

THE BOOK WAS DRENCHED

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190505

UNIVERSAL
LIBRARY

كتاب

علم الادب

مقالات

لمشاهير العرب

على الجزء الثاني

علم الادب

جمع الاب. لويس شيخو اليسوعي

حق الطبع محفوظ للطبعة

في مطبعة الانباء المراسل اليسو

بيروت سنة ١٨٨٩

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No. ٨٩٢٥٤٤٥٤ شول ع Accession No ١٨١٢١

Author شمس الدين السيوطي ١٨١٢١

Title علم الادب : فناء المتأخرين ٢

This book should be returned on or before the date last marked below.

كتاب

علم الادب

مقالات

لمشاهير العرب

على الجزء الثاني

من

علم الادب

جمع الاب لويس شينغو اليسوعي



حق الطبع محفوظ للمطبعة

طبع في مطبعة الانباء الرسايل اليسوعيين

بيروت سنة ١٨٨٩

مَقَامَاتُ

لبعض مشاهير كتاب العرب

في الخطابة والشعر

القسم الأول

في علم الخطابة

الفصل الأول

في تعريف الخطابة وأقسامها ومنافعها

البحث الأول

في تحديد الخطابة وما تشتمل عليه بوجه الاجمال

(عن كليات ابي البقاء ومقدمة ابر خلدون ورسائل ابر سينا)

(راجع صفحة ٣ من الجزء الثاني من علم الادب)

الخطابة في اللغة كالخطاب وهي الكلمة أو اللفظ المتواضع
عليه المقصود به افهام من هو متعني لفهيه وهو يطلق على الكلام
النفسي الموجه نحو الغير للافهام . وعند الحكماء الخطابة هي
القياس المفيد ترغيب الجمهور وحملهم على المراد منهم وما يجب أن

يُسْتَعْمَلُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَقَالَاتِ. وَلَمَّا ظَهَرَ أَرِسْطُو فِي يُونَانَ وَهَذَبَ
مَبَاحِثَ الْمُنْطِقِ وَرَتَّبَ مَسَائِلَهُ وَقُصُولَهُ وَجَعَلَهُ أَوَّلَ الْعُلُومِ الْحِكْمِيَّةِ
وَفَاتِحَتَهَا جَعَلَ الْخُطَابَةَ أَحَدَ أَقْسَامِهَا الثَّانِيَةِ. وَهَذِهِ الْأَقْسَامُ تَشْتَمِلُ
عَلَى ثَمَانِيَةِ كُتُبٍ أَرْبَعَةٌ مِنْهَا فِي صُورَةِ الْقِيَاسِ وَهِيَ كُتُبُ الْقَوْلَاتِ
وَالْعِبَارَةِ وَالْقِيَاسِ وَالْبَرْهَانِ وَأَرْبَعَةٌ فِي مَادَّتِهِ وَهِيَ كُتُبُ الْجَدَلِ
وَالسُّفْسُطَةِ وَالْخُطَابَةِ وَالشَّعْرِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْمَطَالِبَ التَّصْديْقِيَّةَ عَلَى
أَنحَاءٍ فَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الْيَقِينَ بَطْنِيَّةً دَهُوَ تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ
الْكُتُبُ الْأَرْبَعَةُ الْأُولَى. وَمِنْهَا مَا يَكُونُ الْمَطْلُوبُ فِيهِ الظَّنُّ وَهَذَا
تَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الْكُتُبُ الْأَرْبَعَةُ الْآخَرَى. وَفِيهَا تَدْخُلُ الْخُطَابَةُ.
وَتُرْجِعَتْ كُلُّهَا فِي الْمِلَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَكُتِبَتْهَا وَتَدَاوَلَهَا فَلَايَسَفَ الْإِسْلَامُ
بِالشَّرْحِ وَالْتَّخْيِصِ (كَمَا فَعَلَهُ الْقَارَائِي وَأَبْنُ سِينَا ثُمَّ أَبُو دُشْدُش مِنْ فَلَايَسَفَ
الْأَنْدَلُسِ). وَلِأَبْنِ سِينَا كِتَابُ الشِّفَاءِ اسْتَوْعَبَ فِيهِ عُلُومَ الْفَلَسَفَةِ
كُلَّهَا. ثُمَّ جَاءَ الْمُتَأَخَّرُونَ فَغَيَّرُوا أَصْطِلَاحَ الْمُنْطِقِ وَحَصَرُوا مَطَالِبَهُ فِي
كُتُبٍ خَمْسَةٍ الْبَرْهَانِ وَالْجَدَلِ وَالْخُطَابَةِ وَالشَّعْرِ وَالسُّفْسُطَةِ وَرُبَّمَا يَلُمُّ
بَعْضُهُمْ بِأَلَيْسِيرِ مِنْهَا إِمَامًا وَأَنْفَلَوْهَا كَانَ لَمْ تَكُنْ هِيَ أَلِئْهُمْ الْعُتْمَدَ
فِي الْفَنِّ. وَأَمَّا الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ كِتَابُ الْخُطَابَةِ فَهُوَ تَعْرِيفُ الْمَقَالِيْسِ
الْخُطَابِيَّةِ الْبَلَاغِيَّةِ النَّافِعَةِ فِي مُحَاطَبَاتِ الْجُمْهُورِ عَلَى سَبِيلِ الْمَشَاوَرَاتِ
وَالْمُخَاصَمَاتِ فِي الْمَشَاجِرَاتِ أَوْ الْمَدَحِ أَوْ الذَّمِّ أَوْ الْحِيلِ النَّافِعَةِ فِي
الْإِسْتِغْطَافِ وَالْإِسْتِمَاتَةِ وَالْإِغْرَاءِ وَتَضْغِيرِ الْأَمْرِ وَتَعْظِيمِهِ وَوُجُوهِ
الْمَعَاذِيرِ وَالْمَعَاتِبَاتِ وَوُجُوهِ تَرْتِيبِ الْكَلَامِ فِي كُلِّ قِصَّةٍ وَخُطْبَةٍ

البحث الثاني

في تعريف الخطابة وموضوعها

(من تلخيص كتاب خطابة ارسطاطاليس لان رشد)

(راجع صفحة ٥ من الجزء الثاني من علم الادب)

(قَالَ) الْخَطَابَةُ هِيَ قُوَّةٌ تَكْلَفُ الْإِقْتَاعَ الْمُمْكِنَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَفْرَدَةِ . وَنَعْنِي (بِالْقُوَّةِ) الصَّنَاعَةُ الَّتِي تَفْعَلُ فِي الْمَتَقَالِمِينَ . وَلَيْسَ تَتَّبِعُ غَايَتَهَا فَعَلَهَا ضَرُورَةً . وَنَعْنِي (بِالتَّكْلَفِ) أَي تَبَذُّلُ مَجْهُودَهَا فِي اسْتِقْصَاءِ فِعْلِ الْإِقْتَاعِ الْمُمْكِنِ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ . الَّذِي فِيهِ الْقَوْلُ وَذَلِكَ يَكُونُ نَغَايَةً مَا يُمْكِنُ فِيهِ . وَنَعْنِي بِقَوَاهِ : (فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَفْرَدَةِ) أَي فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ . الْمَفْرَدَةِ الْمَوْجُودَةِ فِي مَقُولَةٍ مِنَ الْمَقُولَاتِ الْعَشْرِ (١) . وَهَذَا هُوَ الْفَضْلُ الَّذِي تَفْصِلُ بِهِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ عَنْ سَائِرِ الصَّنَائِعِ . أَتَى يُظَنُّ أَنَّهَا قَدْ تَتَّبِعُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَنْظُرُ فِيهَا . وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ صِنَاعَةٍ إِنَّمَا هِيَ مُعَلَّةٌ أَيْ مُبَرِّهَةٌ وَمُقْنَعَةٌ فِي الْجِنْسِ الَّذِي تَنْظُرُ فِيهِ لَا فِي جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ . وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْعُطْبَ إِنَّمَا يُعَلَّمُ عَلَى طَرِيقِ

(١) المقولة لغة المفعول من القول والثناء للبالغة بمعنى المفظوظ وهي في اصطلاح الحكماء ما جاء عنه القول وأبرز فيه الحكم من الاحساس العالية المجردة من الحسوسات التي ليس فوقها جنس . والمقولات عشر : الجوهر والكم وكيف والاضافة والفعل والانفعال (ويقال لهما يفعل وينفعل) والزمان والمكان (ويقال لهما متى واين) والهيئة والوضع (ويقال لهما ان يكون له والموضوع)

الْبُرْهَانِ وَيُقْنَعُ فِي الصِّحَّةِ وَالْمَرَضِ وَفِي أَنْوَاعِهِمَا . وَكَذَلِكَ الْهَنْدَسَةُ
إِنَّمَا تَعْلَمُ عَلَى طَرِيقِ الْبُرْهَانِ وَعَلَى طَرِيقِ الْإِقْنَاعِ فِي الْأَعْظَامِ
وَالْأَشْكَالِ الَّتِي تَوْحَدُ فِي الْأَجْسَامِ . وَأَمَّا الْخُطَابَةُ فَهِيَ تَتَكَلَّفُ
الْإِقْنَاعَ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ فِي آيٍ مَقُولَةٍ كَانَتْ وَآيٍ جِنْسٍ كَانَتْ وَلِذَلِكَ
لَيْسَ تُنْسَبُ إِلَى جِنْسٍ خَاصٍّ

البحث الثالث

في المناسبة الموجودة بين الجدل والخطابة

(عن تلخيص كتاب خطابة ارسطاطليس لابن رشد)

(قَالَ) إِنَّ صِنَاعَةَ الْخُطَابَةِ تُنَاسِبُ صِنَاعَةَ الْجَدَلِ . وَذَلِكَ أَنَّ
كِلَيْهِمَا يَوْمَانِ غَايَةٌ وَاحِدَةٌ وَهِيَ مُحَاطَةُ الْغَيْرِ إِذْ كَانَتْ هَاتَانِ
الصِّنَاعَتَانِ لَيْسَ يَسْتَعْمِلُهُمَا الْإِنْسَانُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ كَأَحْوَالِ فِي
صِنَاعَةِ الْبُرْهَانِ بَلْ إِنَّمَا يَسْتَعْمِلُهُمَا مَعَ الْغَيْرِ وَتَشْتَرِكَانِ بِنَحْوٍ مِنْ
الْأَنْحَاءِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ إِذْ كَانَ كِلَاهُمَا يَتَعَالَى النَّظَرُ فِي جَمِيعِ
الْأَشْيَاءِ وَيُوجَدُ اسْتِعْمَالُهُمَا مُشْتَرَكًا لِلْجَمِيعِ . أَغْنَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ
يَسْتَعْمِلُ بِالطَّبَعِ الْأَقَاوِيلَ الْجَدَلِيَّةَ وَالْأَقَاوِيلَ الْخُطْبِيَّةَ . وَإِنَّمَا كَانَ
ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ لَيْسَتْ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا عِلْمًا مِنَ الْعُلُومِ مُفْرَدًا بِذَاتِهِ
وَذَلِكَ أَنَّ الْعُلُومَ لَهَا مَوْضُوعَاتٌ خَاصَّةٌ وَيَسْتَعْمِلُهَا أَصْنَافٌ مِنَ النَّاسِ
خَاصَّةٌ . وَلَكِنْ مِنْ جِهَةٍ أَنْ هَذَيْنِ (آيِ الْخُطَابَةِ وَالْجَدَلِ) يَنْظُرَانِ
فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ وَجَمِيعِ الْعُلُومِ تَنْظُرُ فِي جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ فَقَدْ

تُوجَدُ جَمِيعُ الْعُلُومِ مُشَارِكَةً لَهَا بِخَوْرٍ مَا . وَإِذَا كَانَتْ هَاتَانِ
الصَّنَاعَتَانِ مُشْتَرَكَتَيْنِ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ النَّظَرُ فِيهِمَا إِصْاعَةً
وَاحِدَةً وَهِيَ صِنَاعَةُ الْمَنْطِقِ

البحث الرابع

في ان الخطابة تتحرى للتصديق اكثر منها للتأثير

(عن تلخيص كتاب خطابة ارسطاطاليس لابن رشد بتصرف)

(راجع صفحة ٦ من الجزء الثاني من علم الادب)

وَرَأَى مَنْ رَأَى أَنَّ اسْتِعْمَالَ جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَهَا تَأْثِيرٌ فِي
التَّصْدِيقِ فِي تَثْبِيتِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُرَادُ تَثْبِيتُهَا بِطَرِيقِ الْخُطَابَةِ هُوَ
الصَّوَابُ . وَخَالِقٌ إِنْ اسْتَعْمَلَ أَحَدُ هَذَا الْقَانُونِ أَنْ يَكُونَ
بِاسْتِعْمَالِهِ بَصِيرًا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لَيْبًا أَدْبِيًا . وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الْأُمُورَ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ لَيْسَ لَهَا كَبِيرُ جَدْوَى فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنَّ
الَّذِي يَرُومُ أَنْ يُثْبِتَ شَيْئًا بَيْنَ يَدَيِ الْحُكَّامِ فَهُوَ إِمَّا أَنْ يُثْبِتَ
أَنَّ الشَّيْءَ مَوْجُودٌ أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ فَقَطْ أَغْنَى أَنَّهُ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ .
وَذَلِكَ إِذَا حَدَّدَ صَاحِبُ الشَّرِيعَةِ أَنَّ ذَلِكَ الشَّيْءَ الَّذِي فِيهِ الشَّكْوَى
عَظِيمٌ أَوْ يَسِيرٌ وَأَنَّهُ عَدْلٌ أَوْ جَوْرٌ . وَإِمَّا أَنْ يُثْبِتَ الْأَمْرَيْنِ وَذَلِكَ
إِذَا لَمْ يُحْدِدِ الشَّرِيعَةُ ذَلِكَ الشَّيْءَ الَّذِي فِيهِ الْكَلَامُ . فَمَا اسْتِعْمَلَ
إِلَّا نَفْعَالَاتٍ فِي تَثْبِيتِ أَنَّ الْأَمْرَ جَوْرٌ أَوْ عَدْلٌ فَقَدْ تَمَكَّنَ . وَذَلِكَ
أَنَّ الْإِنْفِعَالَ بِالرَّحْمَةِ أَوْ الْبَغْضَةِ إِنَّمَا يَكُونُ لَشَيْءٍ جُزْئِيٍّ وَالْعَدْلُ

وَالْجَوْرُ أُمُورٌ كُثِيَّةٌ. وَأَمَّا اسْتِعْمَالُهَا فِي أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ
فَلَهُ فِي ذَلِكَ تَأْثِيرٌ لِكُنْهُ لَيْسَ يُوجِبُ أَنَّ الْأَمْرَ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ
بِالذَّاتِ بَلْ إِنَّمَا يُعِيلُ الْحُكَّامَ إِلَى أَنْ يَقُولُوا إِنَّهُ صَدَقَ فِيمَا ادَّعَى
أَوْ لَمْ يَصْدُقْ وَمِنْ غَيْرِ أَنْ يَخْذُلَ لِلْحَاكِمِ أَوْ الْمُنَاطِرِ بِذَلِكَ تَصْدِيقٌ
رَأَيْتُ بِالشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ الْكَلَامُ

(قَالَ) وَقَدْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ السُّنَّةُ هِيَ آتِي تَحْدِيدُ أَنَّ الْأَمْرَ
جَوْرٌ أَوْ عَدْلٌ وَتَقْوُضُ أَنَّ الْأَمْرَ وَجِدَ مِنْ هَذَا الشَّخْصِ أَوْ لَمْ
يُوجَدْ إِلَى الْحُكَّامِ. وَبِالْجَمْعَةِ فَتَقْوُضُ إِلَيْهِمُ الْأُمُورُ الْيَسِيرَةُ وَذَلِكَ
لِشَيْئَيْنِ: (الْأَوَّلُ) أَنَّهُ قَلَّ مَا يُوجَدُ حَاصِلُكُمْ يَقْدِرُ أَنْ يُعَيِّرَ الْأُمُورَ
عَلَى كُنْهَا فَيَضَعُ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ جَوْرٌ وَهَذَا عَدْلٌ إِلَّا فِي الْأَقْلِ مِنْ
الزَّمَانِ وَكَثُرَ الْحُكَّامُ الْمَوْجُودِينَ فِي الْمَدِينِ لَيْسَ لَهُمْ هَذِهِ
الْقُدْرَةُ. (وَالثَّانِي) فَلِإِنَّ الْوُقُوفَ عَلَى أَنَّ الشَّيْءَ عَدْلٌ أَوْ جَوْرٌ
يَحْتَاجُ فِيهِ وَاضِعُ السُّنَّةِ إِلَى زَمَانٍ طَوِيلٍ وَذَلِكَ لَا يُمَكِّنُ فِي الزَّمَانِ
الْيَسِيرِ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ التَّنَاطُرُ فِي الشَّيْءِ بَيْنَ يَدَيِ الْحُكَّامِ فَلَمَّا كَانَ
هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ يَضَعُ أَنْ يُقْوُضَ إِلَى الْحُكَّامِ أَنَّ هَذَا الْأَمْرَ عَدْلٌ
أَوْ جَوْرٌ نَافِعٌ أَوْ ضَارٌّ بَلْ إِنَّمَا يُقْوُضُ إِلَيْهِمُ أَنَّ الْأَمْرَ وَقَعَ مِنْ
هَذَا الشَّخْصِ أَوْ لَمْ يَقَعْ وَذَلِكَ إِبْيَانُهُ وَلِأَنَّهُ أَمْرٌ لَا يُمَكِّنُ أَنْ
يَضَعَهُ صَاحِبُ السُّنَّةِ



البحث الخامس

في فوائد علم الخطابة

(عن تلخيص كتاب خطابة ارسطاطليس لابن رشد بتصرف)

(راجع صفحة ٧ من الجزء الثاني من علم الادب) -

(قَالَ) وَلِلْخُطَابَةِ مَقْعَتَانِ أَحَدَاهُمَا أَنْ يَحْتَثَّ الْخُطِيبُ الْمَدَنِيِّينَ عَلَى
الْأَعْمَالِ الْفَاضِلَةِ . وَذَلِكَ أَنَّهُمْ بِالطَّبَعِ يَمِيلُونَ إِلَى ضِدِّ الْفَضَائِلِ
الْعَادِلَةِ فَإِذَا لَمْ يُضَبِّطُوا بِالْأَقَاوِيلِ الْخُطِيبِيَّةِ غَلَبَتْ عَلَيْهِمْ أَغْدَادُ الْأَفْعَالِ
الْعَادِلَةِ . وَذَلِكَ شَيْءٌ مَذْمُومٌ يَسْتَحِقُّ قَاعِلَهُ التَّأْنِيبَ وَالتَّوْبِيخَ أَعْنِي
الَّذِي يَمِيلُ إِلَى ضِدِّ الْأَفْعَالِ الْعَادِلَةِ أَوْ الْمَذِيرِ الَّذِي لَا يُضَبِّطُ
الْمَدَنِيِّينَ بِالْأَقَاوِيلِ الْخُطِيبِيَّةِ عَلَى الْفَضَائِلِ الْعَادِلَةِ الَّتِي هِيَ فَضَائِلُ
بَيْنِ الْإِنْسَانِ وَبَيْنَ غَيْرِهِ أَعْنِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَشَارِكِ لَهُ فِي أَيْ شَيْءٍ
كَانَتْ الشَّرِكَةُ لَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ نَفْسِهِ . (وَالْمَنْفَعَةُ الثَّانِيَةُ) أَنَّهُ لَيْسَ
كُلُّ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ النَّاسِ يَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ مَعَهُمُ الْبُرْهَانُ
فِي الْأَشْيَاءِ النَّظَرِيَّةِ الَّتِي يُرَادُ مِنْهُمْ اعْتِقَادُهَا . وَذَلِكَ إِمَّا لِأَنَّ
الْإِنْسَانَ قَدْ نَشَأَ عَلَى مَشْهُورَاتٍ تُخَالِفُ الْحَقَّ فَإِذَا سَلَكَ بِهِ نَحْوَ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي نَشَأَ عَلَيْهَا سَهْلَ اقْتِاعِهِ . وَإِمَّا لِأَنَّ فِطْرَتَهُ لَيْسَتْ مُعَدَّةً
لِقَبُولِ الْبُرْهَانِ أَصْلًا . وَإِمَّا لِأَنَّهُ لَا يُمَكِّنُ بَيَانُهُ لَهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانَ
الَّذِي يُرَادُ مِنْهُ دُفُوعُ التَّصَدِيقِ فِيهِ . فَلِهَذَا قَدْ نَظَرْتُ إِلَى أَنَّ
مُحَصِّلَ التَّصَدِيقِ بِالْقَدَمَاتِ الْمُشْتَرَكَةِ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْخُطَّابِ أَعْنِي

بِالْمَحْمُودَاتِ. وَهَذِهِ الْمُنْفَعَةُ تُشَارِكُ هَذِهِ الصِّاعَةَ فِيهَا صِنَاعَةُ الْجَدَلِ
 كَمَا ذَكَرْنَا ذَلِكَ فِي كِتَابِ الْجَدَلِ. وَهَذِهِ الصِّاعَةُ يُمَكِّنُهَا الْإِقْتَاعُ فِي
 الْمُتَضَادِّينِ جَمِيعًا كَمَا يُمْكِنُ ذَلِكَ فِي أَلْقِيَاسِ الْجَدَلِيِّ. وَذَلِكَ أَنَّا
 قَدْ نَفَعْنَا فِي الْجَانِبِ أَنَّهُ أَسَاءَ وَأَنَّهُ لَمْ يُسَىءْ وَلَسْتُ أَعْنِي أَنَا نَفَعْنَا
 الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ بَلْ نَفَعْنَا هَذَا فِي وَقْتٍ وَهَذَا فِي وَقْتٍ
 بِحَسَبِ الْإِنْفَعِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَكُونُ الشَّيْءُ نَافِعًا فِي وَقْتٍ
 وَضِدَّهُ نَافِعًا فِي وَقْتٍ آخَرَ. وَآيضًا فَإِنَّهُ إِذَا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ الَّتِي
 تُثَبِّتُ الشَّيْءَ وَضِدَّهُ عِنْدَنَا عَتِيدَةً وَسَمِعْنَا مُتَكَلِّمًا قَدْ أَقْنَعَ فِي
 الصِّدِّ الَّذِي لَيْسَ يَبْدُلُ أَمَكَّنَا بِهِهِ الْقُوَّةُ أَنْ نَقْضَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ.
 فَهَاتَانِ الْمُنْفَعَتَانِ مَوْجُودَتَانِ فِي الْقُدْرَةِ الَّتِي فِي هَذِهِ الصِّاعَةِ عَلَى
 الْإِقْتَاعِ فِي شَيْءٍ مِنَ الصَّنَائِعِ الْقِيَاسِيَّةِ إِلَّا فِي هَاتَيْنِ الصَّنَاعَتَيْنِ هُمَا
 مُهَيَّأَتَانِ بِالطَّبَعِ وَعَلَى السَّوَاءِ لِلْإِقْتَاعِ فِي كِلَا الْمُتَقَابِلَيْنِ. أَعْنِي أَنَّهُ
 لَيْسَ وَاحِدَةٌ مِنْهُمَا تُوجَدُ أَشَدَّ اسْتِعْدَادًا لِلْإِقْتَاعِ فِي أَحَدِ الْمُتَقَابِلَيْنِ
 مِنْهَا فِي الْآخَرِ بَلْ الْإِسْتِعْدَادُ الْمَوْجُودُ فِيهَا عَلَى الْإِقْتَاعِ فِي الْمُتَقَابِلَيْنِ
 هُوَ عَلَى السَّوَاءِ. قَامَا الْأَشْيَاءُ الْمَوْضُوعَةُ لِهَاتَيْنِ الصِّاعَتَيْنِ أَعْنِي الْأَشْيَاءُ
 الَّتِي فِيهَا تُنْفَعُ فَلَيْسَ اسْتِعْدَادُهَا لِقَبُولِ الْإِقْتَاعِ عَلَى السَّوَاءِ أَيْضًا
 إِذَا كَانَتْ الْأُمُورُ الَّتِي تُنْفَعُ فِيهَا صَادِقَةً كَانَتْ الْأَقَابِيلُ الْخَطِيئَةُ
 وَالْجَدَلِيَّةُ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِيهَا أَفْضَلُ وَآبَلُغُ... فَقَدْ اسْتَبَانَ مِنْ هَذَا
 أَنَّ هَذِهِ الصِّاعَةَ لَيْسَ تَنْظُرُ فِي أَحَدِ الْمُتَقَابِلَيْنِ وَلَكِنَّهَا تَنْظُرُ
 فِيهِمَا عَلَى السَّوَاءِ كَالْحَالِ فِي الْجَدَلِ وَأَنَّهَا نَافِعَةٌ لِهَذَا جِدًّا. وَلَيْسَ عَمَلُ

هَذِهِ الصِّانَةُ أَنْ تُشْفَعَ وَلَا بُدَّ ٢ أَعْنِي أَنَّهُ لَيْسَ يَتَّبِعُ فِعْلُهَا الْإِقْتَاعُ
 ضَرُورَةً كَمَا يَتَّبِعُ فِعْلُ التَّجَارِ وَجُودُ الْكُرْسِيِّ ضَرُورَةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ
 هُنَاكَ عَائِقٌ مِنْ خَارِجٍ بَلْ عَمَلُهَا هُوَ أَنْ تُعَرِّفَ جَمِيعَ الْمُفْتَعَاتِ فِي الشَّيْءِ
 وَتَأْتِي بِهَا فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ وَإِنْ لَمْ يَقَعْ إِقْتَاعٌ وَأَلْحَالٌ فِيهَا فِي هَذَا
 الْمَعْنَى كَالْحَالِ فِي صِنَاعَاتٍ كَثِيرَةٍ مِثْلَ صِنَاعَةِ الطَّبِّ فَإِنَّهُ لَيْسَ فِعْلُهَا
 الْإِبْرَاءُ وَلَا بُدَّ بَلْ إِنَّمَا فِعْلُهَا أَنْ تَبْلُغَ مِنْ ذَلِكَ غَايَةَ الشَّيْءِ الْمُمْكِنِ
 فِعْلُهُ فِي ذَلِكَ الشَّيْءِ الْمَقْصُودِ بِالْإِبْرَاءِ. وَلِذَلِكَ قَدْ يَشَارِكُ فِي أَعْمَالِ
 هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا مِثْلَ أَنْ يُرَى مَنْ لَيْسَ بِطَبِيبٍ
 وَيُشْفَعُ مَنْ لَيْسَ بِمُطِيبٍ لَكِنَّ الْفِعْلَ الْحَقِيقِيَّ إِنَّمَا هُوَ لِصَاحِبِ
 الصِّانَةِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْغَايَةَ تَتَّبِعُ فِعْلَ هَذَا عَلَى الْأَكْثَرِ وَذَلِكَ عَلَى
 الْأَقَلِّ. وَكَمَا أَنَّ فِي الْجَدَلِ مَا هُوَ قِيَاسٌ وَمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ قِيَاسٌ
 وَلَيْسَ بِقِيَاسٍ وَهُوَ الْقِيَاسُ السُّوفِسْطَائِيُّ كَذَلِكَ فِي الْأَقَاوِيلِ الْمُفْتَعَةِ
 الْمُسْتَعْلَمَةِ فِي هَذِهِ الصِّانَةِ مَا هُوَ مُقْنِعٌ وَمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مُقْنِعٌ مِنْ غَيْرِ
 أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ. لَكِنْ لَمَّا كَانَ السُّوفِسْطَائِيُّ لَيْسَ إِنَّمَا يَكُونُ
 سُوفِسْطَائِيًّا مِنْ قِبَلِ الْقُوَّةِ وَالْمَلَكَةِ الَّتِي بِهَا يَفْعَلُ الْأَقَاوِيلَ
 السُّوفِسْطَائِيَّةَ بَلْ إِنَّمَا هُوَ سُوفِسْطَائِيٌّ مِنْ قِبَلِ مَا يَقْصِدُهُ بِتِلْكَ
 الْأَقَاوِيلِ مِنَ الْكِرَامَةِ وَالْخَيْرَاتِ الْخَارِجَةِ وَذَلِكَ لِإِيَّامِهِ أَنَّهُ
 حَكِيمٌ وَكَانَ أَجْدِيَّيْنِ إِنَّمَا هُوَ جَدِيٌّ بِالْمَلَكَةِ الْخَاصِلَةِ لَهُ عَنِ الصِّانَةِ
 فَبِالْوَاجِبِ لَمْ تَكُنِ الْأَقَاوِيلُ السُّوفِسْطَائِيَّةُ جُزْءًا مِنْ صِنَاعَةِ الْجَدْلِ
 أَعْنِي الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مَقَايِيسُ جَدَلِيَّةٌ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ جَدَلِيَّةً

إِذَا اسْتَمَعْتَ نَحْوَ هَذِهِ الْغَايَةِ . وَأَمَّا إِذَا اسْتَعْمِلْتَ عَلَى طَرِيقِ
 الْأَمْتِحَانِ فِيهِ جُزْءٌ مِنْهَا . وَأَمَّا الْخَطِيبُ فَلَمَّا كَانَ خَطِيبًا مِنْ أَجْلِ
 الْأُمُورِ الَّتِي مِنْ خَارِجِ شَلِّ الْكَرَامَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ وَنَ سَائِرِ
 الْخَيْرَاتِ أَوْ مِنْ قَبْلِ مَلَكَ هَذِهِ الصِّاعَةِ كَانَتْ الْأَقَاوِيلُ الَّتِي
 يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُنْعَةٌ وَلَيْسَتْ بِمُنْعَةٍ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الصِّاعَةِ . لِأَنَّ
 الْمَقْصُودَ بِهَذِهِ الْأَقَاوِيلِ فِي هَذِهِ الصِّاعَةِ قَدْ يَكُونُ بَعِيْنُهُ مَقْصُودَ
 السُّوفِسْطَانِي . وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْمَقْصُودَ بِهَذِهِ
 الصِّاعَةِ مِنَ الَّذِي يُرَادُ اقْتِنَاعُهُ إِنَّمَا هُوَ الْفِعْلُ أَوْ الْإِنْفِعَالُ فَإِذَا
 حَصَلَ ذَلِكَ مِنْهُ فَلَا فَرْقَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ حُصُولُهُ عَنْ أَقَاوِيلٍ هِيَ
 مُنْعَةٌ فِي الْحَقِيقَةِ أَوْ عَنْ أَقَاوِيلٍ يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُنْعَةٌ وَلَيْسَتْ بِمُنْعَةٍ .
 فَإِنْ كَانَ هَذَا الْفِعْلُ الْمَقْصُودُ مِنَ الْخُطَابِ أَوْ الْإِنْفِعَالِ حَيْرًا مَا
 لَهُ لَا لِلْخَطِيبِ كَانَتْ الْأَقَاوِيلُ الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُنْعَةٌ وَلَيْسَتْ
 بِمُنْعَةٍ دَاخِلَةً فِي هَذِهِ الصِّاعَةِ بِالْجِهَةِ الَّتِي دَخَلَتْ فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ
 الْأَقَاوِيلُ الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا جَدَلِيَّةٌ إِذْ لَمْ يُفْضَدْ بِهَا مَقْصَدُ السَّفْسَطَةِ .
 وَلِنْ كَانَ مَقْصَدُ الْخَطِيبِ خَيْرًا يَأْلُهُ مِنَ الْخَيْرَاتِ الَّتِي يَقْصِدُهَا
 السُّوفِسْطَانِيُّونَ كَانَ الْقَوْلُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مُنْعٌ وَلَيْسَ بِمُنْعٍ
 مِنْ جِهَةِ مَا هُوَ سُوْفِسْطَانِيٌّ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الصِّاعَةِ إِذْ قَدْ يُشَارِكُ
 الْخَطِيبُ السُّوفِسْطَانِي فِي غَايَتِهِ . فَلِذَلِكَ قَدْ تَدْخُلُ الْأَقَاوِيلُ
 السُّوفِسْطَانِيَّةُ فِي هَذِهِ الصِّاعَةِ وَلَا تَدْخُلُ فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ



البحث السادس

في ان الخطابة صناعة اصلها في طبع الانسان

(عن تلخيص كتاب خطابة ارسطاطاليس لابن رشد)

(راجع صفحة ٨ من الجزء الثاني من علم الادب)

وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ يُوجَدُ مُسْتَعْمِلًا لِنَحْوِ مَا مِنْ أَتْحَاءِ الْبَلَاغَةِ
وَمُنْتَهَى مِنْهَا إِلَى مَقْدَارٍ مَا وَذَلِكَ فِي صَنْعِي الْأَقَاوِيلِ الَّذِينَ أَحَدُهُمَا
الْمُطَاظَرَةُ وَالثَّانِي التَّعْلِيمُ وَالْإِرْشَادُ . وَاكْتَرَّ ذَلِكَ فِي الْمَوْضُوعَاتِ
الْخَاصَّةِ بِهَذِهِ الصِّاعَةِ وَهِيَ مِثْلُ الشَّكَايَةِ وَالْإِعْذَارِ وَسَائِرِ الْأَقَاوِيلِ
الَّتِي فِي الْأُمُورِ الْخُزْنِيَّةِ . وَيُوجَدُ كَثِيرٌ مِنْهُمْ يَتْلَعُونَ مَقْصُودَهُمْ
بِهَذَا الْفِعْلِ . فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بِالِاتِّفَاقِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْعَلُهُ
بِالْإِعْتِيَادِ وَيَمْلِكُهُ ثَابِتَةً . وَمَعْلُومٌ أَنَّ الَّذِي يَفْعَلُ هَذِهِ الصِّاعَةَ
بِمَلَكَةٍ ثَابِتَةٍ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَفْعَلُهَا بِالِاتِّفَاقِ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ
كَذَلِكَ فَالَّذِي يَفْعَلُهَا بِمَلَكَةٍ ثَابِتَةٍ وَعِلْمٍ بِالسَّبَبِ الَّذِي بِهِ يَفْعَلُ
فِعْلَهُ يَكُونُ أَتَمَّ وَأَفْضَلَ . وَهَذَا أَسْرُ يَعْرِفُهُ الْجُمْهُورُ فَضْلًا عَنْ
الْخَوَاصِ . وَلِذَلِكَ كَانَ وَاجِبًا أَنْ تُثَبَّتَ أَجْزَاءُ هَذِهِ الصِّاعَةِ فِي
كِتَابٍ وَلَا يُقْتَصَرُ عَلَى مَا يُوجَدُ مِنْ ذَلِكَ بِالطَّبْعِ قَطُّ وَلَا بِالْإِعْتِيَادِ
فِي كَثِيرٍ مِنَ الصَّنَائِعِ الْقِيَّاسِيَّةِ



الفصل الثاني

في بلاغة الخطيب

البحث الاول

في تعريف البلاغة الجديدة بالخطيب

(عن كتاب الصناعتين باختصار)

قَالَ مَعْمَرُ أَبُو الْأَشْعَثِ قُلْتُ لِبَهْلَةَ الْهِنْدِيَّ أَيَّامَ اجْتَلَبَ يَحْيَى
ابْنُ خَالِدٍ أَطْبَاءَ الْهِنْدِ : مَا الْبَلَاغَةُ عِنْدَ أَهْلِ الْهِنْدِ . قَالَ بَهْلَةُ :
عِنْدَنَا فِي ذَلِكَ صَحِيفَةٌ مَكْتُوبَةٌ وَلَكِنِّي لَا أُحْسِنُ تَرْجُمَتَهَا وَلَمْ
أَعْلَجْ هَذِهِ الصَّاعَةَ فَأَثِقَ مِنْ نَفْسِي بِالْقِيَامِ بِمُحَاضَرَتِهَا وَلَطِيفَ
مَعَانِيهَا . (قَالَ أَبُو الْأَشْعَثِ) قَتَلَقَيْتُ تِلْكَ الصَّحِيفَةَ الْمُرْجَمَةَ فَإِذَا
فِيهَا : أَوَّلُ الْبَلَاغَةِ اجْتِمَاعُ آلَةِ الْبَلَاغَةِ وَذَلِكَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ
رَاطِبَ الْجَأَشِ سَاكِنَ الْجَوَارِحِ مُتَحَيِّرًا لِلْفُظِّ لَا يُكَلِّمُهُ سَيِّدَ الْأَمَّةِ
بِكَلَامِ الْأَمَّةِ وَالْمُلُوكِ بِكَلَامِ السُّوْقَةِ وَيَكُونُ فِي كَلَامِهِ التَّصَرُّفُ فِي
كُلِّ طَبَقَةٍ وَلَا يُدَقِّقُ الْمَعَانِي كُلَّ التَّدْقِيقِ وَلَا يُنْقِجُ الْأَلْفَاظَ كُلَّ التَّنْقِيجِ
وَيُصَفِّيهَا كُلَّ التَّصْفِيَةِ وَيُهَذِّبُهَا كُلَّ التَّهْذِيبِ وَلَا يَفْعَلُ ذَلِكَ حَتَّى
يُصَادَفَ حَكِيمًا وَفِيلَسُوفًا عَظِيمًا . وَمَنْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ
وَأَسْقَاطَ مُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ وَنَظَرَ فِي صِنَاعَةِ الْمُنَظِّقِ عَلَى جِهَةِ

الصَّنَاعَةُ وَالْمُبَالَغَةُ فِيهَا لَا عَلَى جِهَةِ الْأَعْرَاضِ (١) وَالْتَصْفُحُ وَلَا عَلَى
وَجْهِ الْأَسْطُرَافِ وَالْتَظْرُفِ (٢) لَهَا . (قَالَ) وَأَعْلَمُ أَنَّ حَقَّ الْمَعْنَى
أَنْ يَكُونَ الْأَسْمُ لَهُ طَبَقًا وَتِلْكَ الْحَالُ وَفَقًا وَلَا يَكُونَ الْأَسْمُ
فَاضِلًا وَلَا مُقْصَرًا وَلَا مُشْتَرَكًا وَلَا مُضَنَّا وَيَكُونُ تَصْفُحُهُ لِصَادِرِ
كَلَامِهِ بِقَدَرِ تَصْفُحِهِ لِمَوَارِدِهِ وَيَكُونُ لِنَظْمِهِ مُوْتَقًا وَمَعْنَاهُ أَنْ يَرَى
وَاضِحًا وَمَدَارُ الْأَمْرِ عَلَى إِفْهَامِ كُلِّ قَوْمٍ بِقَدَرِ طَائِفِهِمْ وَالْحَمْلُ
عَلَيْهِمْ عَلَى قَدَرِ (٣) مَنَازِلِهِمْ وَأَنْ تُؤَاتِيَهُ اللَّهُ وَيَتَصَرَّفَ مَعَهُ أَدَانُهُ
وَيَكُونُ فِي الْتَهَةِ لِنَفْسِهِ مُعْتَدِلًا وَفِي حُسْنِ الظَّنِّ أَوْدَعَهَا تَهَاوُنُ
الْأَمِينِ وَإِنْ تَجَاوَزَ مَقْدَارَ الْحَقِّ فِي الْتَهَةِ ظَلَمَهَا وَأَوْدَعَهَا ذُلُّ
الْمُظْلُومِينَ وَلِكُلِّ ذَلِكَ مَقْدَارٌ مِنَ الشُّغْلِ وَلِكُلِّ شُغْلٍ مَقْدَارٌ مِنَ
الْوَهْنِ وَلِكُلِّ وَهْنٍ مَقْدَارٌ مِنَ الْجَهْلِ

فَقَوْلُهُ: (أَوَّلُ الْمُبَالَغَةِ اجْتِمَاعُ آلَةِ الْمُبَالَغَةِ) أَيَّ أَوَّلِ آلَاتِ الْمُبَالَغَةِ جُودَةُ
الْقَرِيحَةِ وَطَلَاقَةُ اللَّسَانِ وَذَلِكَ مِنْ فِعْلِ اللَّهِ تَعَالَى لَا يَقْدِرُ الْعَبْدُ عَلَى
اِكْتِسَابِهِ لِنَفْسِهِ وَاجْتِلَابِهِ لَهَا . وَمِنْ النَّاسِ مَنْ إِذَا خَلَا بِنَفْسِهِ وَأَعْمَلَ
فِكْرَهُ أَتَى بِالْبَيَانِ الْحَبِيبِ وَالْكَلَامِ الْبَدِيعِ الْمُصِيبِ وَاسْتَخْرَجَ
الْمَعْنَى الرَّائِقَ وَجَاءَ بِاللَّفْظِ الرَّائِعِ . وَإِذَا حَاوَرَ وَنَظَرَ قَصَرَ وَتَأَخَّرَ
فَحَقُّ هَذَا أَنْ لَا يَتَعَرَّضَ لِأَرْجَالِ الْخُطْبِ وَلَا يُجَارِي أَصْحَابَ
الْبَدَايَةِ فِي مَيْدَانِ الْقَرِيضِ وَيَكْتَفِي بِنَتَائِجِ فِكْرِهِ وَالنَّاسُ فِي

(١) ويروى على جهة الاعتراض (٢) وفي نسخة الاستطراف والظرف

(٣) ويروى في اقدار

صِنَاعَةُ الْكَلَامِ عَلَى طَبَقَاتٍ مِنْهُمْ مَنْ إِذَا حَاوَرَ وَنَظَرَ أَبْلَغَ وَأَجَادَ
وَإِذَا كَتَبَ وَأَمْلَى أَخْلَ وَتَحَلَّفَ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَمْلَى بَرَزَ وَإِذَا
حَاوَرَ وَكَتَبَ قَصَرَ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا كَتَبَ أَحْسَنَ وَإِذَا حَاوَرَ وَأَمْلَى
أَسَاءَ . وَمِنْهُمْ مَنْ يُحْسِنُ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْحَالَاتِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُسِيءُ
فِيهَا كُلِّهَا فَأَحْسَنُ حَالَاتِ أَلْسِيهِ أَلْمَسَاكُ وَأَحْسَنُ حَالَاتِ الْحَسَنِ
التَّوَسُّطُ فَإِنَّ الْأَكْثَرَ يُورِثُ الْأَمْلَالَ وَقَلَّ مَا يَنْجُو صَاحِبُهُ مِنَ
الزَّلَلِ وَالْعَيْبِ وَالْخَطْلِ . وَلَيْسَ يَتَّبِعِي لِلْحَسَنِ فِي أَحَدِ هَذِهِ الْفُنُونِ
أَلْسِيهِ فِي غَيْرِهِ أَنْ يَتَجَاوَزَ مَا هُوَ مُحْسِنٌ فِيهِ إِلَى مَا هُوَ مُسِيءٌ فِيهِ
فَإِنْ اضْطُرَّ فِي بَعْضِ الْأَحْوَالِ إِلَى تَجَاوُزِهِ فَخِذْ سُبُلَهُ فِيهِ قَصْدُ
الِاخْتِصَارِ وَتَجَنُّبُ الْأَكْثَارِ وَالْإِهْذَارِ لِيَقَلَّ السَّقَطُ فِي كَلَامِهِ وَلَا
يَكْثُرَ الْعَيْبُ فِي مَنْطِقِهِ . وَقِيلَ لِابْنِ الْمُقَفَّعِ لِمَ لَا تُطِيلُ الْقَصَائِدَ .
قَالَ : لَوْ أَطَانَتْهَا عُرُفُ صَاحِبِهَا . يُرِيدُ أَنَّ الْخُدْثَ يَنْشَبُ بِالْقَدِيمِ فِي
الْقَلِيلِ مِنَ الْكَلَامِ . فَإِذَا طَالَ اخْتَلَّ فَعُرِفَ أَنَّهُ كَلَامٌ مَوْلُودٌ عَلَى
أَنَّ السَّابِقَ فِي مِيَادِينِ الْبَلَاغَةِ إِذَا كَثُرَ سَقَطَ فَكَيْفَ الْمَقْصَرُ عَنْ
غَايَتِهَا وَالسُّخْتِيفُ عَنْ أَمْدِهَا . وَمِنْ تَامِ آلَاتِ الْبَلَاغَةِ التَّوَسُّعُ فِي
مَعْرِفَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَوُجُوهِ الْأَسْتِعْمَالِ لَهَا وَالْعِلْمُ بِفَخَائِرِ الْأَلْفَاظِ
وَسَائِطِهَا وَمُتَحَرِّجَاتِهَا وَرَدِّيَّاتِهَا وَمَعْرِفَةُ الْمَقَامَاتِ وَمَا يُضْحِكُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهَا مِنَ الْكَلَامِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ

وَقَوْلُهُ : (وَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْخَطِيبُ رَابِطَ الْجُلُوسِ سَاكِنِ النَّفْسِ)
هَذَا لِأَنَّ الْخَيْرَةَ وَالْدَّهْشَ يُورِثَانِ الْجُلُوسَةَ وَالْحَصَرَ وَهُمَا سَبَبَا الْأَرِثَاجِ .

وَالْإِفْخَامَ . وَبَلَّغَكَ مَا أَصَابَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ أَوَّلَ مَا صَعِدَ الْنَّبِيُّ
فَارْتَجَعَ عَلَيْهِ فَقَالَ : إِنْ الَّذِينَ قَبْلِي كَانُوا يُعَذِّبُونَ لِهَذَا الْمَقَامِ مَقَالًا وَأَنْتُمْ
إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ أَخْرَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَائِلٍ وَسَتَأْتِيَكُمْ الْخُطْبَةُ
عَلَى وَجْهَيْهَا . وَصَعِدَ بَعْضُ الْعَرَبِ مِنْبَرًا بِحُرَّاسَانَ فَارْتَجَعَ عَلَيْهِ فَقَالَ
حِينَ تَرَى :

فَإِنْ لَمْ أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بِسَيْفِي إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ لِحَطِيبٍ
وَمِنْ حُسْنِ الْإِعْتِدَادِ عِنْدَ الْإِرْتِاجِ مَا أَخْبَرَنَا أَبُو أَحْمَدَ عَنْ دَاوُدَ بْنِ
عَلِيٍّ قَالَ : فَلَمَّا قَالَ (أَمَّا بَعْدُ) أَمْتَعَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ ثُمَّ قَالَ : أَمَّا بَعْدُ
فَقَدْ يَجِدُ الْمُغْسِرُ وَيُغْسِرُ الْمُوَسِّرُ وَيُقَلِّ الْحَدِيدُ وَيَقْطَعُ الْكَلِيلُ . وَإِنَّمَا
الْكَلَامُ بَعْدَ الْإِفْخَامِ كَالْإِسْرَاقِ بَعْدَ الظَّلَامِ وَقَدْ يَغْرِبُ الْيَمَانُ وَيَعْتَمِقُ
الصَّوَابُ وَإِنَّمَا اللِّسَانُ مُضَعَّةٌ مِنَ الْإِنْسَانِ يَنْفَرُ بِقُوْرِهِ (١) إِذَا
تَكَلَّمَ وَيُثَوِّبُ بِأَنْبِسَاطِهِ إِذَا ارْتَجَلَ . آوَا لَا نَنْطِقُ بِطَرَاوَلَا نَسْكُتُ
حَصْرًا بَلْ نَسْكُتُ مُعْتَبِرِينَ وَنَنْطِقُ مُرْشِدِينَ . وَنَحْنُ بَعْدَ ذَلِكَ
أُمَرَاءُ الْقَوْلِ فِينَا وَشَجَّتْ أَعْرَاقُهُ وَعَلَيْنَا عُطِفَتْ أَغْصَانُهُ وَلَكِنَّا تَهْدَلْتُ
مُزْمَرُهُ فَتَحْيَرُ مِنْهُ مَا أَحْلَوْلَى وَعَذِبَ وَنَطَرَ مِنْهُ مَا أَمْلَوْحَ وَخَبِثَ .
وَوْنٌ بَعْدَ مُقَاوَلَاتِ هَذَا يُقَامُ وَمِنْ بَعْدِ أَيَّامِنَا أَيَّامٌ . وَعَلَامَةُ سُكُونِ
نَفْسِ الْخَطِيبِ وَرَبَاطَةِ جَانِبِهِ هُدُوْرُهُ فِي كَلَامِهِ وَتَهْمَلُهُ فِي مَنْطِقِهِ .
قَالَ ثُمَامَةُ : كَانَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى جَانِبُهُ هُدُوْرُهُ فِي كَلَامِهِ وَتَهْمَلُهُ فِي
مَنْطِقِهِ . وَقَالَ ثُمَامَةُ : كَانَ جَعْفَرُ بْنُ يُحْيَى أَنْطَقَ النَّاسَ قَدْ جَمَعَ الْهُدُوْرُ

وَالْتَمَهْلَ وَالْجِرَاةَ وَالْحَلَاوَةَ وَلَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ نَاطِقٌ يَسْتَعْنِي عَنِ
الْإِشَارَةِ لَكَانَهُ

وَقَوْلُهُ : (مُتَحَيِّرُ الْأَلْفَاظِ) فَلَانَ مَدَارَ الْبَلَاغَةِ عَلَى تَحْيِيرِ اللَّفْظِ
وَتَحْيِيرُهُ أَضْعَبُ مِنْ جَمْعِهِ وَتَأْلِيْفِهِ. وَقَوْلُهُ : (وَيَكُونُ فِي قَوْلِهِ فَضْلُ
الْتَّصْرُفِ فِي كُلِّ طَبَقَةٍ) وَهُوَ أَنْ يَكُونَ صَانِعُ الْكَلَامِ قَادِرًا عَلَى
جَمِيعِ ضُرُوبِهِ مُتَمَكِّنًا مِنْ جَمِيعِ قُوَّاتِهِ لَا يَغْتَصِصُ عَلَيْهِ قِسْمٌ مِنْ
أَقْسَامِهِ فَإِنْ كَانَ شَاعِرًا تَصَرَّفَ فِي وَجْهِ الشِّعْرِ مَدِيحِهِ وَهَجَائِهِ
وَمَرَاثِيهِ وَصِفَاتِهِ وَمَفَاخِرِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِهِ. وَلَاخْتِلَافٍ قُوَى
النَّاسِ فِي الشِّعْرِ وَقُوَّاتِهِ مَا قِيلَ : كَانَ أَمْرُهُ الْقَلْبُ اشْعَرَ النَّاسِ إِذَا
رَكِبَ وَالنَّابِغَةُ إِذَا رَهَبَ وَزَهَيْرٌ إِذَا رَغِبَ وَالْأَعَشَى إِذَا طَرِبَ .
وَكَذَلِكَ الْكَتَابُ رُبَّمَا تَقَدَّمَ فِي ضَرْبٍ مِنْ الْكِتَابَةِ وَتَأَخَّرَ فِي غَيْرِهِ
وَسَهْلَ عَلَيْهِ نَوْعٌ مِنْهَا وَعَسَرَ نَوْعٌ آخَرُ وَآخِرُ أَحْمَدُ بْنُ يُونُسَ
قَالَ : أَمَرَنِي الْمَأْمُونُ أَنْ أَكْتُبَ إِلَى النَّوَاحِي فِي الْإِسْتِكْثَارِ مِنْ
الْقَنَادِيلِ فِي الْمَسَاجِدِ . فَبِتُ لَا أَدْرِي كَيْفَ أَحْتَذِي فَأَتَانِي آتٍ فِي
مَآيِمِي فَقَالَ : قُلْ فَإِنَّ فِي ذَلِكَ عِمَارَةَ لِلْمَسَاجِدِ وَأُنْسًا لِلْسَّابِقَةِ
وَأَذَاءَةً لِلْمُتَهَيِّدِينَ وَنَفْيًا لِمَكَائِنِ الْإِيْبِ وَتَنْزِيْهَا لِيُوتِ اللَّهُ جَلَّ
وَعَزَّ مِنْ وَحْشَةِ الظُّلَمِ . فَأَنْتَبَهْتُ وَقَدْ انْفَتَحَ لِي مَا أُرِيدُ فَأَبْتَدَأْتُ
بِهَذَا وَأَتَمَمْتُ عَلَيْهِ. وَالْمَقْدَمُ فِي صُنْعَةِ الْكَلَامِ هُوَ الْمُسْتَوَلِي عَلَيْهِ مِنْ
جَمِيعِ جِهَاتِهِ الَّتِي تُمْكِنُ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِهِ وَبِهَذَا فَضَّلُوا جَرِيدًا عَلَى
الْقَرَزْدَقِ وَقَالُوا : كَانَ لَهُ فِي الشِّعْرِ ضُرُوبٌ لَا يَعْرِفُهَا الْقَرَزْدَقُ . وَسُئِلَ

بَعْضُهُمْ عَنْ أَبِي نُوَّاسٍ وَمُسْلِمٍ. فَذَكَرَ أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ أَشْعَرُ لِتَصْرِفَهُ فِي
وُجُوهِ الشَّعْرِ وَكَثْرَةِ مَذَاهِبِهِ فِيهِ. (قَالَ) وَمُسْلِمٌ جَارٍ عَلَى وَتِيرَةٍ لَا
يَتَغَيَّرُ عَنْهَا. وَأَبْلَغُ مِنْ هَذِهِ الْمَثَلَةِ أَنْ يَتَفَنَّ صَانِعُ الْكَلَامِ فِي قَوْلِهِ
أَيُّ يَأْتِي مَرَّةً بِالْجَزْلِ وَأُخْرَى بِالسَّهْلِ قِيلَيْنِ إِذَا شَاءَ وَيَشْتَدُّ إِذَا
أَرَادَ. وَمِنْ هَذَا الْوَجْهِ فَضَّلُوا جَرِيرًا عَلَى الْفَرَزْدَقِ وَأَبَا نُوَّاسٍ عَلَى
مُسْلِمٍ . . .

وقوله: (وَلَا يُكَلِّمُ سَيِّدَ الْأَمَّةِ بِكَلَامِ الْأُمَّةِ وَلَا الْمَلُوكَ
بِكَلَامِ السُّوْقَةِ) لِأَنَّ ذَلِكَ جَهْلٌ بِالْمَقَامَاتِ وَمَا يَضُحُّ فِي كُلِّ وَاحِدٍ
وَنَهَا مِنْ الْكَلَامِ. وَقَدْ أَحْسَنَ الَّذِي قَالَ: يَكُلُّ مَقَامَ مَقَالٍ.
وَرُبَّمَا غَلَبَ سُوءُ الرَّأْيِ وَقَلَّ الْعَقْلُ عَلَى بَعْضِ عُلَمَاءِ الْعَرَبِيَّةِ فَيَجْأَطِبُونَ
السُّوْقِيَّ وَالْمَلُوكَ الْأَعْجَمِيَّ بِالْفَاطِ أَهْلٍ نَجْدٍ وَمَعَانِي أَهْلِ السَّرَاقِ.
كَأَنِّي عُلَمَاءُ إِذْ قَالَ لِنَجْمِهِ: أَشَدُّ لِقَصَبِ الْمَلَاذِمِ وَأَرْهَفُ ذُبَابِ
الْمَشَارِطِ وَامِرٌّ أَلْسِنِ وَأَسْخَلِ الرِّشْعِ وَخَفِيفِ الْوَطْءِ وَتَحْلِلِ الذَّرْعِ
وَلَا تُكْرِهَنَّ آيَاءَ وَلَا تَمْنَعَنَّ آيَاتٍ. فَقَالَ لَهُ النُّجَّامُ: لَيْسَ لِي عِلْمٌ
بِالْحُرُوبِ. وَآخَرُ أَبُو الْمَعَالِزِ الضُّبِّيُّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَانَ لَنَا جَارٌ
بِالْأُكُوفَةِ لَا يَتَكَلَّمُ إِلَّا بِالْعَرِيبِ فَخَرَجَ إِلَى صَنِيعَةٍ لَهُ عَلَى خَجَرٍ مَعَهَا
مُهْرٌ. فَأَفْلَتَتْ فَذَهَبَتْ وَمَعَهَا مُهْرُهَا فَخَرَجَ يَسْأَلُ عَنْهَا مَرَّ بِجَيَّاطٍ
فَقَالَ: يَا ذَا الصَّاحِ وَذَاتِ السُّمِّ الطَّاعِنَ بِهَا فِي غَيْرِ وَغَى لِيغَيِّرَ عَدَى
هَلْ رَأَيْتَ الْخَيْفَانَةَ الْقَبَاءَ يَتَّبِعُهَا الْحَاسِنُ الْمُسْرَهْفُ (١) كَانَ

غُرَّتْهُ الْقَمَرُ الْأَذْهَرُ يُنِيرُ فِي حُضْرِهِ كَالْخَلْبِ الْأَجْرَدِ (١) . فَقَالَ
 الْحَيَّاطُ أَطْلَبُهَا فِي بَرٍّ تَخْلَعُ (٢) . فَقَالَ : وَنَيْلِكَ وَمَا تَقُولُ فَجَبَّكَ اللَّهُ
 فَمَا أَعْلَمُ رَطَانَتَكَ . فَقَالَ : لَعَنَ اللَّهُ أَبْغَضَنَا لَفْظًا وَأَخْطَانَا مَطْطًا
 وَقَوْلُهُ : (وَلَا يُدْقِقُ الْمَعَانِي كُلَّ التَّدْقِيقِ) قَالَ أَبُو هِلَالٍ : لِأَنَّ
 الْمَعَانِي فِي تَدْقِيقِ الْمَعْنَى سَبِيلٌ إِلَى تَعْيِينِهِ وَتَعْيِينِ الْمَعْنَى لُكْنَةٌ إِلَّا
 إِذَا أُريدَ بِهِ الْأَلْفَاظُ وَكَانَ فِي تَعْيِينِهِ قَائِدَةٌ وَمِثْلُ اثْبَاتِ (٣)
 الْمَعَانِي وَمَا يَجْرِي مَعَهَا مِنَ اللُّحُونِ الَّتِي اسْتَعْمَلُوهَا وَكُنُوا بِهَا عَنِ الْمُرَادِ
 لِبَعْضِ الْأَعْرَاضِ . فَمَا مِمَّنْ أَرَادَ الْإِبَانَةَ فِي مَدِيحٍ أَوْ صِفَةٍ شَيْءٍ
 فَأَتَى بِإِغْلَاقٍ دَلَّ عَلَى عَجْزِهِ فِي الْإِبَانَةِ وَقُصُورِهِ عَنِ الْإِفْصَاحِ .
 وَقَوْلُهُ : (وَلَا يُتَّبَعُ الْأَلْفَاظُ كُلُّ التَّتَبُّعِ) فَتَتَّبِعُ اللَّفْظَ أَنْ
 يُبْنَى مِنْهُ بِنَاءٌ لَا يَكُنُّ فِي الْأَسْتِعْمَالِ كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ
 الْوَزَرَءُ : أَحْسَنَ اللَّهُ إِبَانَتَكَ . فَقَالَ لَهُ الْوَزِيرُ : عَجَلَ اللَّهُ إِمَاتَتَكَ .
 وَيَدْخُلُ فِي تَتَبُّعِ اللَّفْظِ اسْتِعْمَالُ وَخَشْيَةِ وَتَرْكُ سَلْسِلِهِ . وَقَدْ أَخَذَ
 الرُّوَاةُ عَلَى زُهَيْرٍ قَوْلَهُ :

تَقِي نَقِيٍّ لَمْ يَكُنْ غَنِيَةً بِهَيْكَةِ ذِي الْقُرْبَى وَلَا بِحَقْدٍ
 فَأَسْدَبْشَعُوا (أَحْقَلَدَ) وَهُوَ السَّيِّئُ الْخُلُقِ وَقَالُوا : لَيْسَ فِي لَفْظِ زُهَيْرٍ
 أَنْكَرٌ مِنْهُ . قَالَ أَبُو عُثْمَانَ : رَأَيْتُهُمْ يَزِيدُونَ فِي كُتُبِهِمْ هَذَا الْكَلَامَ
 فَإِنْ كَانُوا إِمَامًا رَوَوْهُ وَدَوَّنُوهُ لِأَنَّهُ يَدُلُّ عَلَى فَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ فَقَدْ

(١) وفي رواية : ينير في خضره كالخلب الأخرز (٢) و يروي : في عز بلخ

(٣) وفي رواية : آيات المعاني

بَاعِدَهُ اللَّهُ مِنْ صِفَةِ الْبَلَاغَةِ وَالْفَصَاحَةِ. وَإِنْ كَانُوا فَعَلُوا ذَلِكَ لِأَنَّهُ غَرِيبٌ فَأَيَّاتٌ مِنْ شِعْرِ النِّجَاحِ وَالطَّرِمَاحِ وَأَشْعَارِ هُذَيْلٍ يَأْتِي لَهُمْ مَعَ الرُّضْفِ الْحَسَنِ عَلَى أَكْثَرٍ مِنْ ذَلِكَ. وَلَوْ خَاطَبْتُ الْأَصْحَبِيَّ بِمِثْلِ هَذَا الْكَلَامِ لَظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيَجْهَلُ بَعْضُهُ وَهَذَا خَارِجٌ عَنْ عَادَةِ الْبُلْغَاءِ

وَقَوْلُهُ: (وَيَصِفِيهَا كُلَّ التَّصْفِيَةِ وَيُهْذِبُهَا كُلَّ التَّهْذِيبِ) قَضَيْتُهُ تَعْرِيتُهُ مِنَ الْوَحْشِيِّ وَنَفْيُ الشَّوْاعِلِ عَنْهُ وَتَهْذِيبُهُ وَتَذَرِئَتُهُ مِنَ الرَّدِيِّ الْمُرْذُولِ وَالسُّوْقِيِّ الْمُرْذُولِ قَبْلَ الْكَلَامِ الْمُهْذَبِ قَوْلُ بَعْضِ الْكُتَّابِ: مِثْلُكَ أَوْجِبَ حَقًّا لَا يَجِبُ عَلَيْهِ وَسَمَحَ بِحَقِّي يَجِبُ لَهُ وَقِيلَ وَاصْصِ الْعُذْرَ وَأَسْتَكْثَرُ قَلِيلَ الشُّكْرِ لَا زَالَتْ أَيَادِيكَ فَوْقَ شُكْرِ أَوْلِيَائِكَ وَنِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْكَ فَوْقَ آمَالِهِمْ فِيكَ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ آخَرَ: مَا أَتَيْتُهِ إِلَى غَايَةِ مِنْ شُكْرِكَ إِلَّا وَجَدْتُ وَرَاءَهَا حَادِثًا مِنْ بَرَكَ فَلَا زَالَتْ أَيَادِيكَ مَمْدُودَةً بَيْنَ أَمَلٍ لَكَ تَبْلُغُهُ وَأَمَلٍ فِيكَ تَحْقِيقُهُ حَتَّى تَتَمَلَّى مِنَ الْأَعْمَارِ أَطْوَلَهَا وَتَتَأَلَّ مِنَ الدَّرَجَاتِ أَفْضَلَهَا. وَقَوْلُ أَحْمَدَ بْنِ يُوسُفَ: يَوْمَئِذٍ لَتَيْنِ الْحَوَاشِي وَطِيءَ النَّوَاجِي وَهَذِهِ مَمْلَأَةٌ قَدْ تَهَلَّتْ بِوَذْقِهَا وَضَحِكَتْ لِعَابِسٍ غَيْبِهَا وَلَامَعَ بِرَفَقِهَا وَأَنْتَ قُطْبُ السُّرُورِ وَنِظَامُ الْأُمُورِ فَلَا تَغِبْ عَنَّا فَعِلْ (١) وَلَا تُفَرِّدْنَا (٢) قَدْ سَتَوْحَشَ فَإِنَّ الْحَبِيبَ بِحَبِيبِهِ كَثِيرٌ وَبِمُسَاعَدَتِهِ جَدِيرٌ وَقَوْلُهُ: (وَلَا تَفْعَلْ ذَلِكَ حَتَّى تُصَادَفَ حَكِيمًا وَفِيلْسُوفًا عَظِيمًا وَمَنْ

تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ وَمُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ وَمِنْ نَظَرٍ فِي
الْمَنْطِقِ عَلَى جِهَةِ الصَّنَاعَةِ فِيهَا لَا عَلَى جِهَةِ الْأَسْطِرَافِ وَالْأَطْرَافِ
لَهَا) فَنَقُولُ يَتَّبِعِي أَنْ يَتَكَلَّمَ بِفَاخِرِ الْكَلَامِ وَتَادِرِهِ وَرَصِينِهِ
وَمُخَكِّهِ عِنْدَ مَنْ يَفْهَمُهُ عَنْهُ وَيَقْبَلُهُ مِنْهُ مِمَّنْ عَرَفَ الْعَالِيَّ
وَالْأَلْفَاظَ عِلْمًا شَافِيًا لِنَظَرِهِ فِي اللَّغَةِ وَالْإِعْرَابِ وَالْعَالِيَّ عَلَى جِهَةِ
الصَّنَاعَةِ لَا كَمَنْ اسْتَطَرَفَ شَيْئًا مِنْهَا فَنَظَرَ فِيهِ نَظْرًا غَيْرَ كَامِلٍ أَوْ
أَخَذَ مِنْ أَطْرَافِهِ وَتَنَاولَ مِنْ أَطْرَافِهِ فَحَلَّى بِأَسْمِهِ وَخَلَا مِنْ وَسْمِهِ.
فَإِذَا سَمِعَ لَمْ يَفْقَهُ وَإِذَا سُئِلَ لَمْ يَفْقَهُ وَإِذَا تَكَلَّمَ عِنْدَ مَنْ هَذِهِ
صِفَتُهُ ذَهَبَتْ قَائِدَةُ كَلَامِهِ وَغَضَّتْ مَنَفَعَةُ مَنَظِقِهِ. لِأَنَّ الْعَالِيَّ
إِذَا كَلَّمْتَهُ بِكَلَامِ الْعَالِيَةِ سَخِرَ مِنْكَ وَزَرَى عَلَيْكَ. كَمَا رُوِيَ عَنْ
بَعْضِهِمْ أَنَّهُ قَالَ لِبَعْضِ الْعَامَّةِ: بِمِ كَذُّمٌ تَنْتَقِبُونَ الْبَارِحَةَ
(يَعْنِي عَلَى السَّيِّدِ). فَقَالَ: يَا لِحَمَالَيْنِ. وَلَوْ قَالَ لَهُ: (أَيْشٌ كَانَ
تَقْلُكُمُ) لَسَلِمَ مِنْ سُخْرِيَّتِهِ. فَيَتَّبِعِي أَنْ يُخَاطَبَ كُلُّ فَرِيقٍ بِمَا يَعْرِوَنَ
وَيَتَجَنَّبَ مَا يَجْهَلُونَ

وَأَمَّا قَوْلُهُ: (مَنْ تَعَوَّدَ حَذْفَ فُضُولِ الْكَلَامِ الْخ) هُوَ أَنْ
يُسْقِطَ مِنَ الْكَلَامِ مَا يَكُونُ الْكَلَامُ مَعَ اسْقَاطِهِ تَامًا غَيْرَ
مَنْقُوصٍ وَلَا يَكُونُ فِي زِيَادَتِهِ قَائِدَةً). وَذَلِكَ وَمِثْلُ مَا رُوِيَ عَنْ
مُعَاوِيَةَ أَنَّهُ قَالَ لِصَحَابِ الْعَبْدِيِّ: مَا الْبَلَاغَةُ فَقَالَ: أَنْ تَقُولَ فَلَا
تُحْطِئُ، وَتُسْرِعَ فَلَا تُبْطِئُ. ثُمَّ قَالَ: أَقْلَانِي هَوَانٌ (لَا تُحْطِئُ، وَلَا
تُبْطِئُ). فَأَلْقَى الْأَلْفَظَتَيْنِ لِأَنَّ فِي الْأَذْيِ أَبْقَى عَنْهُمَا وَعِوَضًا مِنْهُمَا.

فَإِذَا كَانَ فِي زِيَادَةِ الْأَلْفَاظِ قَائِدَةٌ فَذَلِكَ مَحْمُودٌ وَهُوَ مِنْ بَابِ
التَّذْيِيلِ. وَقَوْلُهُ: (وَمُشْتَرَكَاتِ الْأَلْفَاظِ) قَوْلٌ أَنْ يُرِيدَ الْإِبَانَةَ
عَنْ مَعْنَى فَيَأْتِي بِالْأَلْفَاظِ لَا تَدُلُّ عَلَيْهِ خَاصَّةً بَلْ يَشْتَرِكُ مَعَهُ مَعَانٍ
أُخَرُ فَلَا يَعْرِفُ السَّامِعُ أَيَّهَا أَرَادَ. وَرُبَّمَا اسْتَبْهَمَ الْكَلَامُ فِي نَوْعٍ
مِنْ هَذَا الْجِنْسِ حَتَّى لَا يُوقِفَ عَلَى مَعْنَاهُ إِلَّا بِالتَّوَهُّمِ. فَمِنْ الْجِنْسِ
الْأَوَّلِ قَوْلُ جَرِيرٍ:

لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ أَخْرَجَ عَهْدَكُمْ يَوْمَ الرَّحِيلِ فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ
فَوَجْهُ الْإِسْتِرَاكِ فِي هَذَا أَنَّ السَّامِعَ لَا يَذَرِي إِلَى أَيِّ شَيْءٍ
أَشَارَ مِنْ أَفْعَالِهِ فِي قَوْلِهِ (فَعَلْتُ مَا لَمْ أَفْعَلْ) أَرَادَ أَنْ يَسْأَلَ
إِذَا رَحَلُوا أَوْ يَتِمُّ عَلَى وَجْهِهِ مِنَ الْعَمَلِ الَّذِي لَحَقَهُ أَوْ يَتَّبِعُهُمْ فِي
الْخِصْيِ عَلَى عَزْمَةِ الرَّحِيلِ أَوْ يَأْخُذُ مِنْهُمْ شَيْئًا يَتَذَكَّرُهُمْ بِهِ أَوْ يَدْفَعُ
إِلَيْهِمْ شَيْئًا يَذْكُرُونَهُ بِهِ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا يَجُوزُ أَنْ يَفْعَلَهُ الْخَلِيلُ عِنْدَ
فِرَاقِ أَحَبَّتِهِ. فَلَمْ يُبَيِّنْ عَنْ غَرَضِهِ وَأَخْوَجَ إِلَى أَنْ يَسْأَلَ عَمَّا أَرَادَ
فَعَلَهُ عِنْدَ رَجَائِهِمْ، وَلَيْسَ هَذَا كَقَوْلِهِمْ: (لَوْ رَأَيْتَ عَلِيًّا بَيْنَ الصَّفَيْنِ).
لِأَنَّ دَلِيلَ الْإِسْأَالِ وَالنِّسْكَائَةِ فِي هَذَا الْكَلَامِ بَيْنٌ وَأَمَادَةٌ
الْأَنْفُسَانِ فِي بَيْتِ جَرِيرٍ وَاجْهَةٌ مَنْ يَسْمَعُهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ
الْبَلَاغَةِ يَسْتَبْرِدُهُ وَيَسْتَعِثُّهُ وَيَسْتَرْجِعُ الْآخَرَ وَيَسْتَحِيدُهُ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ
سَعِيدِ بْنِ مَالِكٍ الْأَزْدِيِّ:

فَإِنَّكَ لَوْ لَأَقَيْتَ سَعْدَ بْنَ مَالِكٍ لَلَأَقَيْتَ مِنْهُ بَعْضَ مَا كَانَ يَفْعَلُ
فَلَمْ يُبَيِّنْ عَمَّا أَرَادَ بِقَوْلِهِ: (لَلَأَقَيْتَ) أَحْزَنًا أَرَادَ أَمْ شَرًّا إِلَّا

أَنْ تَسْمَعَ مَا قَبْلَهُ وَمَا بَعْدَهُ قَيِّبَيْنَ مَعْنَاهُ وَأَمَّا فِي نَفْسِ الْبَيْتِ
فَلَا يَلْبِثُ مَغْرَاهُ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ :

وَقُمْنَا قُلُوبَنَا بَعْدَ أَنْ أُودِعَ الثَّرَى بِهِ مَا يُقَالُ فِي السَّحَابَةِ تُثْقَلُ
قَوْلُ النَّاسِ فِي السَّحَابِ إِذَا اتَّلَعَ عَلَى وُجُوهِهِمْ مَنْ يَدْحُهُ
وَمِنْهُمْ مَنْ يَذُّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحِبُّ اتِّلَاعَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَكْرَهُ اتِّسَاعَهُ
عَلَى حَسَبِ مَا كَانَتْ حَالُهَا عِنْدَهُمْ وَمَوَاقِعُهَا مِنْهُمْ فَلَمْ يَبَيِّنْ
بِقَوْلِهِ مَعْنَى يَتَعَدَّدُ السَّامِعُ. عَلَى أَنَّ الْمُخْتَجَّ لَهُ لَوْ قَالَ : إِنَّ أَكْثَرَ
الْعَادَةِ فِي السَّحَابِ أَنْ يُجَمَّدَ آثَرُهُ وَيُثْنَى عَلَيْهِ بَعْدَهُ لَمَّا كَانَ مُبْعَدًا.
وَلَمْ أُرِدْ عَيْبَ أَبِي تَمَّامٍ بِنَا قُلْتُ وَأَمَّا أَرَدْتُ الْإِخْبَارَ عَنْ وُجُوهِ
الْإِسْتِزَاكِ وَذَكَرَ مَا يَتَشَعَّبُ مِنْهُ وَمَا يَقْرُبُ مِنْ بَابِهِ وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ
مِنْ قَرِيبٍ أَوْ بَعِيدٍ. وَمِنْ أَلْفَظِ الْمُسْتَرَكِّ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

وَحَبْنُ مَا يُخْبَنُ مِنْ آخِرٍ مِنْهُ وَالطَّائِنُ آمَهَارُ (١)

الْأَمَهَارُ هَاهُنَا جَمْعُ مَهْرٍ مِنْ قَوْلِهِمْ : مَهْرٌ يَهْرُ مَهْرًا. وَالْمَصَادِرُ لَا
تُجْتَمِعُ وَلَا يَشْكُ سَامِعُ هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ يُرِيدُ جَمْعَ مَهْرٍ فَيَشْكُلُ
أَلْمَعْنَى عَلَيْهِ. وَخَطَبَ بَعْضُ الْمُسْلِكِينَ فَقَالَ فِي صِفَةِ اللَّهِ تَعَالَى :
لَا يُقَاسُ بِالْقِيَاسِ وَلَا يُدْرَكُ بِالْأَلْمَاسِ. أَرَادَ جَمْعَ لِمَسِّ فَاعْتَابَ
السَّجْمَ وَأَخْطَأَ الْمَعْنَى. وَأَمَّا مَا بَيَّنَّاهُمْ فَلَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ إِلَّا بِالتَّوَهُمِ. وَبَيْنَ
الْكَلَامِ الْخَالِي مِنَ الْإِسْتِمَالِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ لِأَخٍ لَهُ أَرَادَ فِرَاقَهُ :

(١) كَذَا فِي الْأَصْلِ فِي دِيْوَانِ أَبِي نُوَّاسٍ :

وَحَبْنُ مَا يُخْبَنُ مِنْ بَعْدِهِ مِنْهُ وَالطَّائِنُ آمَهَارُ

لَمَّا تَصَفَّحْتُ أَخْلَاقَكَ فَوَجَدْتُهَا مُبَايَنَةً لِمُسَائِلَتِي زَائِنَةً عَنْ قَصْدِ
طَرِيقَتِي صَدَرَتْ عَلَيْهَا رِيَاضَةٌ لِنَفْسِي عَلَى الصَّبْرِ لِمُسَاوِيَةِ أَخْلَاقِ
الْمُعَاشِرِينَ وَلِلْمَعْيِ يَكَامِنُ الْعُدْوَانُ فِي جَمِيعِ الْعَالَمِينَ وَالَّذِي رَجَوْتُ
مِنْ مَرَمَةٍ خِصَالِكَ بِنَا أَقَابَهَا بِهِ مِنَ التَّجَاوُزِ وَأَسْتَحِبُّ عَنْ سُوءِ آثَارِهَا
أَذْيَالَ التَّغَاضِي. وَأَنْتَ مَعَ ذَلِكَ لَا تَقُومُ أَنْعَوَاجَ مَذَاهِبِكَ وَلَا
يَعْطِفُ بِكَ الرَّأْيُ عَلَى رُشْدِكَ. فَلَمَّا فَنَيْتُ حِيلَتِي فِيكَ وَأَنْتَقَطَعْتُ
أَسْبَابَ أَمَلِي مِنْكَ وَرَأَيْتُ الدَّاءَ لَا يَزِيدُ عَلَى التَّعْهَدِ بِالْإِدْوَاءِ
إِلَّا فُسَادًا وَآخَرُقَ عَلَى التَّرْقِيعِ إِلَّا اتِّسَاعًا قَدُمْتُ الْيَأْسَ مِنْكَ عَلَى
الرَّجَاءِ فِيكَ فَاحْتَسَبْتُ أَيَّامِي السَّالِفَةَ فِي اسْتِصْلَاحِي لَكَ

وَقَوْلُهُ : (وَحَقُّ الْمَعْنَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الْإِسْمُ طَبَقًا) أَيْ
يَكُونَ الْإِسْمُ طَبَقًا لِلْفِعْلِ بِقَدْرِ الْمَعْنَى غَيْرَ زَائِدٍ عَلَيْهِ وَلَا نَاقِصٍ
عَنْهُ فَكَانَ كَالطَّبَقِ عَلَى الْإِنَاءِ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ

وَقَوْلُهُ : (وَلَا يَكُونَ الْإِسْمُ فَاضِلًا وَلَا مُقْصِرًا) فَهَذَا دَاخِلٌ فِي
الْأَوَّلِ مِنْ قَوْلِهِ : وَحَقُّ الْمَعْنَى أَنْ يَكُونَ لَهُ الْإِسْمُ طَبَقًا. وَمِثَالُ
الْفَاضِلِ مِنَ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى قَوْلُ عُرْوَةَ بْنِ أَدْنَةَ :

وَأَسْقِ الْعَدُوَّ بِكَأْسِهِ وَأَعْلَمْ لَهُ بِالْغَيْبِ أَنْ قَدْ كَانَ قَبْلُ سَقَاكُمَا
وَأَجْزِ الْكَرَامَةَ مَنْ تَرَى أَنْ لَوْ لَهُ يَوْمًا بَدَلَتْ كَرَامَةُ جَزَاكُمَا
وَمَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ مَحْضُورٌ تَحْتَ ثَلَاثِ كَلِمَاتٍ : اجْزِ كَلًّا

يَفْعَلُهُ . وَكَانَ السُّكُوتُ لِعُرْوَةَ خَيْرًا مِنْهُ . وَمِنْ الْكَلَامِ الْفَاضِلِ
عَنْ مَعْنَاهُ قَوْلُ أَبِي الْعِيَالِ الْهَذَلِيِّ .

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَادَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَعْبُ
فَذَكَرُ الرَّأْسِ مَعَ الصُّدَاعِ فَضُلُّ
وَالْقَصْرِ مِنْ الْكَلَامِ مَا لَا يُنْبِتُكَ بِعَيْنَاهُ عِنْدَ سَمَاعِكَ إِيَّاهُ
وَيُخَوِّجُكَ إِلَى شَرْحِ كَبَيْتِ الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ :

وَالْعَيْشُ خَيْرٌ فِي ظِلَالِ التُّوكِ مِنْ رَامَ كَدًّا
وَقَوْلُهُ : (وَلَا مُضْمَنًا) التَّضْمِينُ أَنْ يَكُونَ الْفَضْلُ الْأَوَّلُ
مُفْتَقِرًا إِلَى الْفَضْلِ الثَّانِي وَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ مُخْتِجًا إِلَى الْآخِرِ كَقَوْلِ
الشَّاعِرِ :

كَانَ الْقَلْبَ لَبَّةً قِيلَ يُغْدَى بِلَيْلِي الْعَامِرِيَّةِ أَوْ يَرَاخُ
بَطَاةً عَرَهَا شَرْكَ فَبَاتَتْ تُجَادِبُهُ وَقَدْ عَلِقَ الْجَنَاحُ
فَلَمْ يَتِمَّ الْمَعْنَى إِلَّا فِي الْبَيْتِ الثَّانِي وَهُوَ قَبِيحٌ . وَمِثْلُهُ مِنْ
نَثْرِ الْكِتَابِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ : وَجَعَلَ سَيِّدَنَا آخِذَا مِنْ كُلِّ مَا دُعِيَ
وَيُدْعَى بِهِ فِي الْأَعْيَادِ بِأَجْزَلِ الْأَقْسَامِ وَأَوْفَرِ الْأَعْدَادِ
وَقَدْ تُسَمَّى اسْتِعَارَتُكَ الْأَنْصَافَ وَالْأَبْيَاتِ مِنْ شِعْرِ غَيْرِكَ
وَإِذَا خَالَكَ إِيَّاهُ فِي أَثْنَاءِ قَصِيدَتِكَ تَضْمِينًا . وَبَاقِي كَلَامِهِ
يَتَضَمَّنُ صِفَةَ الْمُتَكَلِّمِ لَا صِفَةَ الْكَلَامِ إِلَّا قَوْلُهُ : (وَيَكُونُ تَضَمُّنُهُ
لِمَوَادِّهِ بِقَدْرِ تَضَمُّنِهِ لِمَوَادِّهِ) وَسَنَأْتِي عَلَى الْكَلَامِ فِي هَذَا
وَنَسْتَقْصِيهِ فِي فَضْلِ الْمُقَاتِلِ وَالْمَبَادِي



البحث الثاني

في وسائل الاقتناع التي يتخذها الخطيب البليغ

(من تلخيص كتاب ارسطاطاليس في الخطابة لابن رشد)

أَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَفْعَلُ التَّضَدِيقَاتِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَمِنْهَا مَا هِيَ صَّاعِيَّةٌ وَتِلْكَ هِيَ الَّتِي وَجُودُهَا لِاخْتِيَارِنَا وَرَوَيْتِنَا وَنَحْنُ الْفَاعِلُونَ لَهَا. وَمِنْهَا مَا هِيَ غَيْرُ صَّاعِيَّةٍ وَهِيَ الَّتِي لَيْسَ وَجُودُهَا لِاخْتِيَارِنَا وَرَوَيْتِنَا مِثْلُ الشُّهُودِ وَالتَّغْذِيبِ وَالْعُقُودِ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ. وَالْأَشْيَاءُ الصَّاعِيَّةُ الَّتِي نَحْنُ الْفَاعِلُونَ لَهَا مِنْهَا أَشْيَاءٌ قَدْ نَقَدَّمْ غَيْرُنَا فَصَنَعَهَا مِثْلَ الْإِخْتِجَاجِ بِالْأَمْثَالِ السَّائِرَةِ الَّتِي قَدْ وُضِعَتْ وَاشْتَهَرَتْ وَمِنْهَا مَا تَحْتَزُّعُهَا نَحْنُ عِنْدَ الْقَوْلِ فِي الشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ الْإِقْتِنَاعُ وَنَسْتَسْطِطُهَا. فَأَمَّا التَّضَدِيقَاتُ الَّتِي نَفْعُهَا نَحْنُ وَتَحْتَزُّعُهَا فِيهِ ثَلَاثَةٌ أَنْوَاعٍ : (أَحَدُهَا) إِبْتِاتُ الْمُتَكَلِّمِ فَضِيلَةَ نَفْسِهِ الَّتِي يَكُونُ بِهَا أَهْلًا أَنْ يُصَدَّقَ وَأَنْ يَكُونَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِ بَهِيَّةٌ فِي وَجْهِهِ وَأَعْضَانِهِ شَأْنُهَا أَنْ تَوْقِعَ التَّضَدِيقَ بِالشَّيْءِ الْمُتَكَلِّمِ فِيهِ مِثْلُ اتَّوَدَّةٍ وَالْوَقَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَالْفَضِيلَةُ الَّتِي شَأْنُهَا هَذَا هِيَ الَّتِي يَعْني أَرِسْطُو بِالْكَفِيَّةِ. وَالْمَهِيَّةُ الَّتِي شَأْنُهَا هَذَا هُوَ الَّذِي يَعْني بِالْسَمْتِ. وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ لِلْفَضِيلَةِ تَأْثِيرًا فِي التَّضَدِيقِ أَنَّ الصَّالِحِينَ الْفَاضِلِينَ يُصَدِّقُونَ سَرِيعًا

دُونَ قَوْلٍ يَتَكَلَّفُونَهُ فِي الشَّيْءِ. وَإِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الظَّاهِرَةِ
 لِلْجِسْرِ الَّتِي يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَحْسَوْهَا. مِثْلُ قَوْلِهِمْ: إِنَّهُ شَرِبَ أَوْ قَتَلَ.
 فَأَمَّا أَخْبَارُهُمْ عَنِ الْأُمُورِ الْحَقِيقَةِ عِنْدَ الْجِسْرِ وَهِيَ الَّتِي يُظَنُّ أَنَّ خَفِيَ
 عَنْهُمْ مَا أَحْسَوْا مِنْ ذَلِكَ أَوْ وَهَمُوا فِيهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ الشَّيْءُ
 مُمَكِّنًا أَنْ يَهْمَ فِيهِ الْجِسْرُ فَلَيْسَ يُصَدِّقُونَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَدْعُونَهَا
 فِي أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ دُونَ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا فِي تَثْبِيتِ ذَلِكَ الشَّيْءِ
 الْقَوْلَ. وَعَلَيْهِ قَدْ أَخْطَأَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ تَكَاسَرُوا فِي الْخَطَايَا
 فَذَهَبُوا إِلَى أَنَّ الْقَضِيَّةَ وَالْأَنَاءَةَ إِنَّمَا هِيَ نَافِعَةٌ فِي بَابِ الْإِنْفِعَالِ
 فَقَطُّ. وَأَمَّا (الصَّنْفُ الثَّانِي مِنَ التَّصْدِيقَاتِ) فَهُوَ الصَّنْفُ الَّذِي
 يَكُونُ بَانَ يَكْسِبُ السَّمْعُ بِالْقَوْلِ إِنْفِعَالًا مَا يُوْجِبُ لَهُ التَّصْدِيقَ
 بِالشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ الْقَوْلُ. فَإِنَّهُ لَيْسَ تَصْدِيقُنَا بِالشَّيْءِ وَاقْرَارُنَا بِهِ
 وَنَحْنُ فِي حَالِ الْقَرَحِ أَوْ الْحُزَنِ تَصْدِيقًا وَاحِدًا. وَكَذَلِكَ إِذَا كُنَّا
 فِي حَالِ السُّخْطِ عَلَى الشَّيْءِ أَوْ حَالِ الرِّضَا عَنْهُ. وَهَذِهِ هِيَ الْأَشْيَاءُ
 الَّتِي تَكَلَّمُ فِيهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ ذَكَرْنَا أَنَّهُمْ تَكَلَّمُوا فِي هَذِهِ
 الصَّنَاعَةِ. وَأَمَّا (الصَّنْفُ الثَّلَاثُ مِنْ هَذِهِ التَّصْدِيقَاتِ) فَهُوَ تَثْبِيتُ
 الشَّيْءِ بِالْكَلَامِ الْمُفْتَعِ أَوْ مَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مُفْتَعٌ وَذَلِكَ فِي الْأُمُورِ
 الْجُزْئِيَّةِ الَّتِي تُفْتَعُ فِيهَا هَذِهِ الصَّنَاعَةُ. وَإِذَا كَانَتِ التَّصْدِيقَاتُ إِنَّمَا
 تَكُونُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ فَهُوَ بَيْنَ أَنْ الَّذِي يَقْبَرُ أَنْ
 يُفْتَعُ الْإِقْتِنَاعُ الْمُمْكِنُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ إِنَّمَا هُوَ الَّذِي
 يَكُونُ عَالِمًا بِثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ: (أَوَّلُهَا) مَعْرِفَةُ الْأَقَارِيلِ الْمُفْتَعَةِ. (ثَانِيهَا)

مَعْرِفَةُ الْأَخْلَاقِ وَالْفَضَائِلِ . (وَثَلَاثُهَا) مَعْرِفَةُ الْأَنْفِعَالَاتِ (١)
وَذَلِكَ بِأَنَّهُ يَعْرِفُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْفِعَالَاتِ مَا هُوَ وَبِمَنْ آتَى
شَيْءٌ يَكُونُ وَسَقَى يَكُونُ وَكَيْفَ يَكُونُ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ
فَهَذِهِ الصِّاعَةُ كَانَتْهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ صِنَاعَةِ الْكَلَامِ وَالصِّاعَةُ الْخَلْقِيَّةُ
أَعْنِي الْمَدِينَةَ . وَإِنَّمَا لَمْ يُوجَدْ لَنْ تَقْدَمَ قَوْلٌ مُسْتَوْفٍ فِي أَجْزَائِهَا
إِمَّا مِنْ قَبْلِ جِهْلِهِمْ وَإِمَّا مِنْ قَبْلِ أَنَّهُمْ ضُنُّوا عَلَى غَيْرِهِمْ وَبَجَلُوا
عَلَيْهِمْ بِنَا وَقَفُوا عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ لِمَكَانِ الْخَيْرَاتِ الَّتِي وَنَ حَارِجَ .
فَهَذِهِ الصِّاعَةُ هِيَ جُزْءٌ مِنْ صِنَاعَةِ الْمَنْطِقِ وَهِيَ شَبِيهَةٌ بِالْجَدَلِ
فِي أَنَّهَا تَنْظُرُ فِي كِلَا الْمَتَقَابِلَيْنِ وَفِي أَنَّهَا لَيْسَا يَنْظُرَانِ فِي شَيْءٍ
مَحْدُودٍ نَظَرًا يَبْلُغَانِ بِهِ الْيَقِينَ لَكِنْ إِنَّمَا يَبْلُغَانِ مِنَ النَّظَرِ مَا
دُونَ الْيَقِينِ

(١) هذا التقسيم قد اخذهُ عن ارسطاطاليس كل من تكلموا في الخطابة .
وناهيك به من تقسيم يفي بالمقصود ويتسل كل اجزاء الخطابة والفرغ يدعون
هذه الاقسام الثلاثة (Preuves, mœurs oratoires, passions)



الفصل الثالث

في الاقاويل المقتعة

البحث الاول

في ان الخطيب لا بد له للاقتناع من معرفة القياس وعلم المنطق

(من تلخيص كتاب ارسطاطاليس في الخطابة لابن رشد)

مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ الْأَشْيَاءَ الْمُنْسُوبَةَ إِلَى هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
إِنَّمَا يُتَّصَدُّ بِهَا التَّصْدِيقُ وَالْإِعْتِرَافُ مِنَ الْمُخَاطَبِ بِالشَّيْءِ الَّذِي فِيهِ
الدَّعْوَى وَذَلِكَ لَا يَكُونُ إِلَّا بِثَبُتِ الشَّيْءِ عِنْدَ الْمَعْرِفِ بِهِ. وَذَلِكَ
أَنَّا إِنَّمَا نَعْتَرِفُ بِالشَّيْءِ الَّذِي رَأَيْنَا أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ عِنْدَنَا وَالشَّيْءُ الَّذِي
ثَبَتَ بِهِ الْأَشْيَاءُ عَلَى طَرِيقِ الْخَطَايَةِ هُوَ الضَّمِيرُ (١) لِأَنَّ هَذَا هُوَ
أَصْلُ التَّصْدِيقِ وَعَمُودُهُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تُوقَعُ هَذَا النُّحُوٌّ مِنَ التَّصْدِيقِ
أَعْيُنِ التَّصْدِيقِ الْبَلَاغِيِّ. وَالضَّمِيرُ هُوَ نَوْعٌ مِنَ الْقِيَاسِ وَمَعْرِفَةٍ
الْقِيَاسِ جُزْءٌ مِنْ صِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ صَاحِبُ
الْمُنْطِقِ هُوَ الَّذِي يَنْظُرُ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ إِمَّا فِي كُلِّهَا وَإِمَّا فِي أَحْزَاءِ
مِنْهَا. وَبَيِّنُ أَنْ الَّذِي يَعْرِفُ الْقِيَاسَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَلْتَزِمُ وَيَكُونُ وَمَتَى
يَكُونُ فَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى عَمَلِ الضَّمِيرِ مِمَّنْ يَعْرِفُ الضَّمِيرَ فَقَطُّ دُونَ أَنْ

(١) يريد بالضمير القياس الازهارى (Enthymème) وهو القياس

الذي قدرت احدى مقدمتيه امّا الكبرى وامّا الصغرى

تَعْرِفَ الْقِيَاسَ الَّذِي هُوَ جَنْسُهُ . وَالَّذِي يَزِيدُ عَلَى هَذَا فَيَعْلَمُ لِمَاذَا
تُعْمَلُ الصَّمَاوِيُّ وَالْقُصُولُ الَّتِي بَيْنَ الضَّيْرِ وَبَيْنَ سَائِرِ الْقَيَاسِ الَّتِي
تُسْتَعْمَلُ فِي الصَّنَاعِ الْآخَرِ فَهُوَ أَقْدَرُ مِنْ ذَيْنِكَ . وَالْمَعْرِفَةُ بِهَذَا كُلِّهِ
إِنَّمَا هُوَ لِصِنَاعَةِ الْمُنْطِقِ . فَإِنَّ لِلْقُوَّةِ الْوَاحِدَةِ بَعِيْنَهَا أَعْنَى لِلصِّنَاعَةِ
الْوَّاحِدَةِ بَعِيْنَهَا أَنْ تُعْرِفَ الشَّيْءَ الَّذِي هُوَ حَقٌّ وَالَّذِي هُوَ شَيْءٌ
بِالْحَقِّ . وَالتَّضْدِيقَاتُ الْخَطِيئَةُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ حَقًّا فَهِيَ شَيْءٌ بِالْحَقِّ
وَأَيْضًا فَإِنَّ النَّاسَ مُتَمَيِّنُونَ بِطَبِيعَتِهِمْ كُلِّ التَّهْمِينَةِ نَحْوِ الْوُقُوفِ عَلَى
الْحَقِّ نَفْسِهِ . وَهُمْ أَكْثَرُ ذَلِكَ يَرُونَهُ وَيَفْعَلُونَ عَنْهُ . وَالْحُجُودَاتُ
وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ مِنْهَا الصَّمَاوِيُّ شَيْءٌ بِالْحَقِّ مِنْ قَبْلِ أَنَّهَا نَائِبَةٌ عِنْدَ
الْجُهِوْرِ مَنَابَ الْحَقِّ . وَالشَّيْءُ بِالْحَقِّ قَدْ يَدْخُلُ فِي عِلْمِ الْحَقِّ
الَّذِي هُوَ عِلْمُ الْمُنْطِقِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَقَدْ اسْتَبَانَ أَنَّ
قُصُورَ هَؤُلَاءِ فِيمَا تَكَلَّمُوا فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْخَطَابَةِ إِنَّمَا كَانَ مِنْ أَجْلِ
أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ عِلْمٌ بِالْمُنْطِقِ وَأَنَّ سَائِرَ مَنْ تَكَلَّمَ فِي
الْخَطَابَةِ وَمَنْ يَسْتَعْمِلُ الْأَقَاوِيلَ الْخَطِيئَةَ فَقَطَّ مِنْ غَيْرِ أَنَّ
يَتَقَدَّمُوا فَيَعْرِفُوا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ الَّتِي هِيَ عُمُودُ الْبَلَاغَةِ إِنَّهُمْ إِنَّمَا
يَتَكَلَّمُونَ فِي أَشْيَاءٍ تَجْرِي مِنَ الْبَلَاغَةِ مَجْرَى التَّزْيِينِ وَالتَّشْبِيهِ
الَّذِي يَكُونُ فِي ظَاهِرِ الشَّيْءِ وَصَفَتِهِ لَا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَنْزِلُ
مِنْهَا مَثَلَةٌ مَا بِهِ قِوَامُ الشَّيْءِ وَوُجُودُهُ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُظَنُّ بِمَا فَعَلُوا
مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا الْعَالِيَةَ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الْأَقْعَائِيَةِ وَجَرَوْا فِي
ذَلِكَ عَلَى طَرِيقِ الصَّوَابِ وَالْعَدْلِ

البحث الثاني

في الطريق اي الدليل وتفسيره (*)

(من كتاب المواقف لعبد الرحمن الايجي)

(راجع صفحة ١١ من الجزء الثاني من علم الادب)

الطَّرِيقُ هُوَ الْمَوْصِلُ إِلَى الْمَقْصُودِ وَحَدُّهُ هُوَ مَا يُمَكِّنُ التَّوَصُّلَ
بِصَحِيحِ النَّظَرِ فِيهِ إِلَى مَطْلُوبٍ. وَلَمَّا كَانَ الْإِذْرَاكُ أَمَّا تَصَوُّراً أَوْ
تَصْدِيقاً فَكَذَا الْمَطْلُوبُ. فَإِنْ كَانَ تَصَوُّراً سُمِّيَ طَرِيقَهُ مُعَرِّفاً
وَأِنْ كَانَ تَصْدِيقاً سُمِّيَ دَلِيلًا وَهُوَ يَشْمَلُ الظَّنِّيَّ وَالْقَطْعِيَّ وَقَدْ
يُخَصُّ بِالْقَطْعِيِّ. وَيُسَمَّى الظَّنِّيُّ إِمَارَةً وَقَدْ يُخَصُّ بِمَا يَكُونُ وَنَ
الْمَعْلُولِ عَلَى الْعِلَّةِ وَيُسَمَّى عَكْسُهُ تَعْلِيلًا

شرح هذه المقالة للسيد الجرجاني

(١) قال : (الطريق) اي ما يقع فيه النظر (وهو الموصول الى المقصود) بتوسط النظر. (وحده) اي تحديده وتفسيره الى اقسامه الاولى (هو) اي الطريق (ما يمكن التوصل بصحيح النظر فيه الى مطلوب) اعتبر الامكان لان الطريق لا يخرج عن كونه طريقاً بعدم التوصل بل يكفي امكانه. وقيد النظر بالصحيح لان العاسد لا يستلزم المطلوب فلا يمكن ان يتوصل به اليه اذ ليس في نفسه وسيلة له. واراد بالنظر فيه ما يعم النظر في نفسه والنظر في احواله ليتناول المفرد الذي من شأنه انه اذا نظر في احواله اوصل الى المطلوب كالعلم مثلاً فانه يسمى عندهم دليلاً. ويتناول ايضاً التصورات المتعددة غير مأخوذة مع الترتيب وحينئذ يلزم تناوله للقدمات اذ لم تؤخذ مع ترتيبها. واطلق المطلوب

البحث الثالث

في المواضع

(عن تلخيص كتاب ارسطو في الخطابة لابن رشد)

(راجع صفحة ٥ من الجزء الثاني من علم الادب)

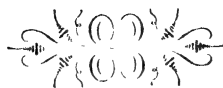
(قَالَ) كُلُّ مَا كَانَ الْقَوْلُ أَكْثَرَ عُمُومًا كَانَ أَكْثَرَ مُوَثَّاقَةً وَثَاقَتِهَا لِأَن يَسْتَعْمَلَ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ . وَكُلَّمَا كَانَ أَقْلَ عُمُومًا كَانَ آخَرَى أَنْ يَكُونَ جُزْءًا مِنْ صِنَاعَةٍ مُخْصُوصَةٍ . وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْمَوَاضِعُ مِنَ الْقِيَاسَاتِ الْخُطْبِيَّةِ وَالْقِيَاسَاتِ الْجُدِّيَّةِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْمَوَاضِعَ تُوجَدُ تَعَمُّ الْأُمُورَ الْمُنْطَقِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ أَغْنِي الْإِرَادِيَّةَ . وَذَلِكَ مِثْلُ مَوَاضِعِ الْأَقْلِ وَالْأَكْثَرِ (*) فَإِنَّهَا لَيْسَ

(*) يريد بمواضع الاقل والاكثر المقابلة في غير الاضداد (راجع الجزء

الثاني من علم الادب صفحة ٢٩)

ليتناول المطلوب التصوري والتصديقي . (ولما كان الادراك اما تصورًا او تصديقًا فكذا المطلوب) الادراكي الذي يطلب بالنظر . (فان كان) المطلوب (تصورًا سمي طريقة) الذي يمكن ان يتوصل بالنظر فيه اليه (معرفًا) . (وان كان) المطلوب (تصديقًا سمي) طريقة (دليلاً وهو) اي الدليل بالمعنى المذكور (يشمل الظني) الموصل الى الظن كالغيم الرطب الموصل الى ظن المطر . (والقطعي) الموصل الى الحزم والقطع كالعالم الموصل الى العلم بوجود الصانع . (وقد يخص) الدليل (بالقطعي) . (ويسمى الظني اشارة وقد يخص) الدليل ايضاً مع التخصيص الاول (بما يكون) الاستدلال فيه (من المعلول) كالحصى (على العلة) كتمفن الاخلاط ويسمى هذا برهاناً ثباتاً ويسمى عكسه) وهو ما يستدل فيه من العلة على المعلول (تعليلًا) وبرهاناً ليثاً

تَعْمَلُ مِنْهَا الْمَقَائِيسُ فِي صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثِ الَّتِي ذَكَرْنَا
 بَلْ فِي جَمِيعِهَا إِذْ كَانَتْ لَا تُسْتَعْمَلُ نَفْسُهَا وَإِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ قُوَّتُهَا. وَأَمَّا
 الْأَنْوَاعُ فَهِيَ الْمَقَدِّمَاتُ الْخَاصَّةُ بِصِنَاعَةٍ صِنَاعَةٍ وَنَ الصَّنَائِعِ الْجَزْئِيَّةِ مِثْلُ
 الْمَقَدِّمَاتِ الَّتِي تَعْمَلُ مِنْهَا الْمَقَائِيسُ فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَلُ
 مِنْهَا الْمَقَائِيسُ فِي الْأُمُورِ الْخَلْقِيَّةِ وَلَا الَّتِي فِي الْأُمُورِ الْخَلْقِيَّةِ تَعْمَلُ
 مِنْهَا الْمَقَائِيسُ فِي الْأُمُورِ الطَّبِيعِيَّةِ. وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَإِذَا ذُنِ
 الْمَوَاضِعُ لَا يُؤَلَّفُ مِنْهَا قِيَاسٌ فِي صِنَاعَةٍ مَخْصُوصَةٍ إِذَا مَا يُتَصَوَّرُ مِنْهَا
 هُوَ عَامٌّ لِأَكْثَرِ مِنْ صِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ. وَأَمَّا الْأَنْوَاعُ فَهِيَ الَّتِي
 تُؤَلَّفُ مِنْهَا الْمَقَائِيسُ الَّتِي تَلْتَمِشُ مِنْهَا الصَّنَاعَةُ الَّتِي تِلْكَ الْأَنْوَاعُ
 مَخْصُوصَةٌ بِهَا. لَكِنَّ الْأَنْوَاعَ الَّتِي نَحْنُ عَاذُهُونَ فِي هَذَا الْكِتَابِ عَلَى
 ذِكْرِهَا لَيْسَتْ هِيَ مُقَدِّمَاتٌ يَقِينَةٌ لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ
 لَكَانَتْ الْمَقَائِيسُ الْخَطِيئَةُ مَقَائِيسَ يَقِينَةً وَلَمْ تَكُنْ مَقَائِيسَ
 جَدَلِيَّةً فَضْلًا عَنْ خُطِيئَةٍ. وَالضَّمَانُ الْمَعْمُولَةُ فِي هَذِهِ الصِّنَاعَةِ أَكْثَرُ
 ذَلِكَ إِنَّمَا تُؤَلَّفُ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ مَا كَانَ مِنْهَا خَاصًا بِجِنْسٍ جِنْسٍ
 وَنَ أَجْنَاسِ الْخَطَابَةِ الثَّلَاثَةِ وَمَا كَانَ مِنْهَا عَامًّا لِلْأَجْنَاسِ الثَّلَاثَةِ
 الَّتِي تُحَدِّدُ بَعْدُ



البحث الرابع

في التعريف والحد والرسم

(مر كتاب الشفاء لان سينا والمواقف للاببي وغيرهما)

(راجع صفحة ١٤ من علم الخطابة)

التعريف عند أهل العربية هو جعل الذات مشاراً بها إلى خارج إشارة وضعية ويُقَابَلُهَا التَّكْيِيدُ. وعند المنطقيين هو الطريق الموصول إلى المطلوب التصوري ويسمى معرفاً وقولاً شارحاً أيضاً ويسمى حداً أيضاً عند الأصوليين. وذلك المطلوب التصوري يسمى معرفاً ومحدوداً. وبالجملة فالعرف ما يكتسب به التصور نخرج ما يخل بطريق الخدس وما يخل من الملزومات اليبية من العلم باللوازم فإن الإكتساب إنما هو بالنظر. وقال المنطقيون: لا بد في العرف من تميز فإن كان التميز ذاتياً سمي العرف حداً وإن كان عرضياً سمي العرف رسماً. وقال المتقدمون: إن الرسم منه تامة يميز الرسوم من كل ما يغيره وهو يتككب من الجنس القريب والخاصة كتعريف الإنسان بالحيوان الضاحك. ومنه ناقصة يميزه عن بعض ما يغيره ويكون بالخاصة وحدها أو بها وبالجنس البعيد كتعريف الإنسان بالضاحك أو بالجسم الضاحك أو بعرضيات تختص بجملتها بحقيقة واحدة كقولنا في

تَعْرِيفُ الْإِنْسَانِ : إِنَّهُ مَا شِ عَلَى قَدَمَيْهِ عَرِيضُ الْأَطْفَارِ بَادِي الْبَشَرَةِ
مُسْتَقِيمُ الْقَامَةِ ضَخَّاكُ بِالطَّبْعِ . وَصَرَحُوا بِأَنَّ الْمَسَاوَةَ شَرْطُ جُودَةِ
الرَّسْمِ وَجَوِّزُوا الرَّسْمَ بِالْأَعْمِ وَالْأَخْصِ وَأَيَّدَ ذَلِكَ بِأَنَّ الْمَعْرِفَ
لَا بُدَّ أَنْ يُفِيدَ التَّمْيِزَ عَنْ بَعْضِ الْأَغْيَارِ كَمَا يَقْتَضِيهِ تَعْرِيفُهُمْ
لِلْمَعْرِفِ بِمَا يَسْتَلْزِمُ مَعْرِفَتَهُ . فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ تَقْتَضِي التَّمْيِزَ فِي الْجُمْلَةِ .
وَأَمَّا التَّمْيِزُ عَنْ جَمِيعِهَا فَلَيْسَ بِشَرْطٍ لِأَنَّ التَّصَوُّرَاتِ الْمُسْتَكْتَسَبَةَ
كَمَا قَدْ تَكُونُ بِوَجْهِ خَاصٍ بِالشَّيْءِ : إِمَّا ذَاتِيٍّ أَوْ عَرَضِيٍّ كَذَلِكَ
تَكُونُ بِوَجْهِ عَامٍّ ذَاتِيٍّ أَوْ عَرَضِيٍّ . فَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ كَالسَّبَبِ كُلِّ
مِنْهَا مُعْرِفًا قَائِلًا مَسَاوَةَ شَرْطٍ لِلْمَعْرِفِ التَّامِّ دُونَ غَيْرِهِ حَدًّا كَانَ
أَوْ رَسْمًا

قَالَ الْأَيْبِيُّ : (*) الْمَعْرِفُ تَجِبُ مَعْرِفَتُهُ قَبْلَ الْمَعْرِفِ فَيَكُونُ
غَيْرُهُ أَوْ أَجْلَى مِنْهُ فَلَا يَعْرِفُ بِمَا لَا يَعْرِفُ إِلَّا بِهِ بِجَرْتَبَةٍ أَوْ أَكْثَرِ .

شرح مقالة الأبيجي للخرجاني

يقول : (المعرف تجب معرفته قبل معرفة (المعرف) لان معرفته طريق الى
معرفته وسبب لها فلا بد ان تتقدمها . (فيكون غيره) اذ لو كان عينه لم يكن
الشيء معلوماً قبل ان يكون معلوماً (او) يكون ايضاً (اجلى منه) اذ لو ساواه في
الجلاء او كان اخفى منه لم يكن معلوماً قبله . (فلا يعرف) هذا تفريع على كونه
اجلى اي لا يعرف الشيء (بما لا يعرف الا به) فانه لا يكون احلى منه سواء توقف
معرفته على معرفته (بجربة) واحدة ويسمى دوراً صريحاً كقولك : الشمس
كوكب نهارى والنهار زمان = كون الشمس طالعة . (او اكثر) ويسمى دوراً
مضراً كقولك : الحركة خروج الشيء من القوة الى الفعل بالتدرج والتدرج
وقوع الشيء في زمان والزمان مقدار الحركة . (ولا بد) اشارة الى شرط آخر للمعرف
اي لا بد من (ان يساويه في العموم والخصوص ليحصل) به (التمييز) . (اذ لولاه)

وَلَا بُدَّ أَنْ يُسَاوِيَهُ فِي الْعُومِ وَالْخُصُوصِ لِيُخْضَلَ التَّمَيُّزُ إِذَا لَوْلَاهُ
لَدَخَلَ فِيهِ غَيْرُ الْمَعْرِفِ فَلَمْ يَكُنْ مَانِعًا وَمُطْرَدًا. أَوْخَرَجَ عَنْهُ بَعْضُ
أَفْرَادِهِ فَلَمْ يَكُنْ جَامِعًا وَنَعَكِسًا وَلَا بُدَّ فِيهِ مِنْ تُمَيُّزٍ فَإِنْ كَانَ
ذَاتِيًا سَمِيَّ حَدًّا وَالْأَسَمِيَّ رَسْمًا. وَعَلَى التَّقْدِيرَيْنِ فَإِنْ ذُكِرَ
فِيهِ تَمَامُ الذَّاتِيِّ أَلْمَشْتَرَكِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ الْمُسَمَّى بِالْجُنْسِ الْقَرِيبِ
فَتَمَّ وَالْأَفْنَاقِصُّ. وَالْمُرَكَّبُ يُحْدُ دُونَ الْبَسِيطِ فَإِنْ تَرَكَّبَ عَنْهُمَا
غَيْرُهُمَا حَدٌّ هَذَا وَالْأَفْلَا. وَكُلُّ كَسْبِي لَهُ خَاصَّةٌ بَيْنَهُ يَرْسُمُ وَالْأَفْلَا.

اي لولا كونه مساويا (لدخل فيه غير المعرفة) على تقدير كونه اعم مطلقا او
من وجه (فلم يكن مانعا) من دخول غير المعرفة فيه (و) لا (مطردا) وهو ان
يكون بحيث كلما صدق على شيء صدق عليه المعرفة ايضا. (او خرج عنه بعض افراده)
على تقدير كونه اخص اما مطلقا او من وجه (فلم يكن جامعا) لجميع افراد المعرفة
(و) لا (منعكسا) وهو ان يكون بحيث يصدق على كل ما صدق عليه المعرفة.
واعلم ان اشتراط المساواة في الصدق ما ذهب اليه المتأخرون اذ حينئذ يحصل
التميز التام بحيث يمتاز جميع افراد المعرفة عن جميع ما عداهما ولا ياتس شيء منها
بغيرها... (ولا بد فيه) اي في المعرفة (من مميز مساو للمعرفة) (ان كان) (المميز
(ذاتيا سمي) المعرفة (حدا) (والا سمي رسما) وعلى التقديرين فان ذكر فيه تمام
الذاتي المشترك بينه وبين غيره المسمى بالجنس القريب تمام) (اما حد تام مركب
من الجنس والفصل القريبين واما رسم تام مركب من الخاصة والجنس القريب.
(والا فناقص) اما حد ناقص سواء كان بالفصل وحده او مع الجنس البعيد او
العرض العام عند من يجوز اخذه في الحد. واما رسم ناقص بالخاصة وحدها او مع الجنس
البعيد او العرض العام عند من يجوز اخذه في الرسم. (والمركب) اذا لم يكن بديهي
التصور (يحد) باجزائه حدا تاما وناقصا (دون البسيط) فانه لا يمكن تحديده اذ لا
جزء له (فان تركب عنها) عن المركب والبسيط (غيرهما) ولا يكون ذلك الغير
بديهي التصور (حد بهما والا فلا) يحد بهما اذ لم يقعا جزء الشيء (وكل) متصور
(كمي) مركب او بسيط (له خاصة) شاملة لازمة (بينه) بحيث يكون تصورهما

فَإِنْ كَانَ مُرَكَّبًا أَمَكَّنَ رَسْمُهُ أَلْتَامُ وَإِلَّا فَالْإِقْصَ . وَهَهُنَا نَوَعَانِ
آخَرَانِ مِنَ التَّعْرِيفِ الْأَوَّلِ بِالْمِثَالِ وَهُوَ بِالْحَقِيقَةِ تَعْرِيفٌ بِالْمُشَاهِدَةِ .
فَإِنْ كَانَتْ مُفِيدَةً لِلتَّمَيِّزِ تَهْيِ حَاصَّةٌ فَيَكُونُ رَسْمًا نَاقِصًا وَإِلَّا
لَمْ تَتَضَلَّحْ لِلتَّعْرِيفِ . وَالثَّانِي التَّعْرِيفُ اللَّفْظِيُّ وَهُوَ أَنْ لَا يَكُونَ اللَّفْظُ

مستلزمًا لتصوره (يرسم . والا) اي وان لم تكن له خاصة كذلك (فلا) يرسم . فان
كان (ذلك الكسبي الذي له تلك الخاصة) (مركبًا امكن رسمه التسام) بتكوين
جنسه القريب مع خاصته (والا فالناقص . وههنا نوعان آخران من التعريف الاول)
التعريف (بالمثال) سواء كان جزئيًا للمعرف كقولك الاسم كزريد والفعل كضرب
او لا يكون جزئيًا له كقولك : العلم كالنور والحل كالظلمة . (وهو بالحقيقة
تعريف بالمشاهدة) التي بين ذلك المعرف وبين المثال . (فان كانت) تلك المشاهدة
(مفيدة للتمييز فهي خاصة) لذلك المعرف (فيكون) التعريف بها (رسمًا ناقصًا)
داخلًا في الاقسام الاربعة المذكورة للمعرف (وإلا) اي وان لم تكن تلك المشاهدة
مفيدة للتمييز (لم تصلح للتعريف) بها فليس التعريف بالمثال قسيمًا على حدة . ولما كان
استنباس العقول القاصرة بالامثلة أكثر شاع في مخاضيات المتعلمين التعريفات بها .
(والثاني التعريف اللفظي . وهو ان لا يكون اللفظ واضح الدلالة) على معنى (فيفسر
بلفظ اوضح دلالة) على ذلك المعنى كقولك : الضئير الاسد . وليس هذا تعريفًا حقيقيًا
يراد به افادة تصور غير حاصل . انما المراد تعيين ما وضع له لفظ الضئير من بين
سائر المعاني ليلتفت اليه ويعلم انه موضوع بازائه . فآله الى التصديق وهو طريقة
اهل اللغة وخارج عن المعرف الحقيقي واقسام الاربعة التي ذكرت . وحقه ان
يكون بالفاظ مفردة مرادفة فان لم يوجد ذكر مركب يقصد به تعيين المعنى لا
تفصيله . واعلم ان التعريف الحقيقي الذي يقصد به تحصيل ما ليس بمحاصل من
التصورات ينقسم الى قسمين : احدهما ما يقصد به تصور مفهومات غير معلومة
الوجود في الخارج ويسمى تعريفًا بحسب الاسم . فاذا علم مثلاً مفهوم الجنس
اجمالاً واريد تصويره بوجه اكمل فان فصل نفس مفهومه باجزائه كان ذلك حدثاً
له اسمياً . وان ذكر في تعريفه عوارضه كان ذلك له رسماً اسمياً . والثاني ما يقصد
به تصور حقائق موجودة ويسمى تعريفًا بحسب الحقيقة اما حدثاً او رسماً ...

وَإِضْعَ الدَّلَالَةِ فَيُفَسَّرُ بِلَفْظٍ أَوْضَحَ دَلَالَةً. ثُمَّ إِنَّهُ يُقَدَّمُ فِي التَّعْرِيفِ
الْأَعْمُ وَيُخْتَرُ عَنْ الْأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ الْوَحْشِيَّةِ وَعَنِ الْمَشْتَرَكِ وَالْجَائِزِ
بِلَا قَرِينَةٍ وَبِالْجُمْلَةِ فَعَنْ كُلِّ لَفْظٍ غَيْرِ ظَاهِرٍ الدَّلَالَةِ عَلَى الْمَقْصُودِ

البحث الخامس

في الكلي والمجزئي

(من كتاب الشفاء لابن سينا وتعريفات السيد الحرجاني وشرح الشمسية

(راجع صفحة ١٦ من الجزء الثاني من علم الادب)

الْكَلِّيُّ عِنْدَ الْمُنْطِقِيِّينَ هُوَ الْمَفْهُومُ الَّذِي لَا يَمْنَعُ تَصَوُّرُهُ مِنْ
وُقُوعِ شَرَكَةٍ كَثِيرِينَ فِيهِ بِحَيْثُ يُمْكِنُ تَقْسِيمُهُ إِلَى أَجْزَاءٍ. وَالْمُعْتَبَرُ
فِي الْكَلِّيِّ إِمَّا كَانَ فَرَضٌ صَدَقَ عَلَى كَثِيرِينَ سِوَاكَ كَانَ صَادِقًا أَوْ
لَمْ يَكُنْ وَسِوَاكَ فَرَضٌ أَلْعَلُّ عِمْدَقُهُ أَوْ لَمْ يَفْرَضْ قَطُّ. وَيَقَابِلُهُ

(ثم انه يقدم في التعريف الاعم) لكونه اظهر عند العقل فتقديمه اولى ولان الاخص
قيد له مخصص اياه فكان تقديمه عليه انسب وما يقل من انه واجب في الحد التام
محصل لمجزئه الصوري حتى اذا اُخِرَ الجنس فيه كان حداً ناقصاً فليس بشيء. اذ
ليس للحد التام جزء خارج عن اجزاء الماهية المحصورة في الجنس والفصل. (ويعترض)
فيه (عن الالفاظ الغريبة الوحشية) التي لا يفهم السامع معناها فيحتاج الى تفسيرها
فتطول المسافة ولذلك ما يختلف بالقياس الى السامعين فان اصطلاحات كل قوم
مشهورة عند اربابها غريبة عند غيرهم. (وعن المشترك والمجاز بلا قرينة) ظاهرة
فيتردد السامع حينئذ في المشترك بين المصور وغيره ويتبادر ذهنه في المجاز الى
غيره. وبالحيلة فمن كل لفظ غير ظاهر الدلالة على المقصود) وذلك لانه يصدر
الانذار والتوضيح فلا بد من ظهور الدلالة

الْجُزْئِيُّ وَهُوَ الْمَفْهُومُ بِمَا يَتَرَكَّبُ مِنْهُ وَبِغَيْرِهِ شَيْءٌ سِوَاهُ كَانَ
مَوْجُودًا فِي الْخَارِجِ أَوْ فِي الْعَقْلِ. وَلِلْكَائِلِيِّ تَقْسِيمَاتٌ فَهُوَ أَمَّا
حَقِيقِيٌّ وَهُوَ الَّذِي مَرَّ تَحْدِيدُهُ. وَأَمَّا إِعْجَافِيٌّ وَهُوَ مَا أُنْدَرَجَ تَحْتَهُ
شَيْءٌ آخَرُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ وَهُوَ أَخْصُ مِنَ الْكَائِلِيِّ الْحَقِيقِيِّ.
وَالْكَائِلِيُّ أَيْضًا أَمَّا جِنْسٌ أَوْ نَوْعٌ أَوْ فَضْلٌ أَوْ خَاصَّةٌ أَوْ عَرَضٌ
عَامٌّ. وَيُقَسَّمُ أَيْضًا إِلَى كَلِّيٍّ طَبِيعِيٍّ أَوْ عَقْلِيٍّ عَلَى حَسَبِ مَا
يَكُونُ مَوْجُودًا فِي الْخَارِجِ أَوْ يَفْتَرِضُهُ الْعَقْلُ وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ مَفْهُومٍ
آخَرَ سِوَاهُ كَانَا كَلِّيَّيْنِ أَوْ جُزْئِيَّيْنِ أَحَدُهُمَا كَلِمًا وَالْآخَرُ جُزْئِيًّا
فَالنِّسْبَةُ بَيْنَهُمَا مُتَحَصِرَةٌ فِي أَرْبَعٍ: الْمُسَاوَاةُ. وَالْعُمُومُ. مُطْلَقًا.
وَالْعُمُومُ مِنْ وَجْهِ. وَالْمُبَايَنَةُ الْكَلِمَةُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ لَمْ يَتَّصِدَقَا عَلَى
شَيْءٍ أَصْلًا فَهُمَا مُتَبَايِنَانِ تَبَايُنًا كَلِمًا. وَإِنْ تَصَادَقَا فَإِنَّ تَلَازُمًا فِي
الصِّدْقِ فَهُمَا مُتَسَاوِيَانِ وَالْأَوَّلَانِ اسْتَلْزَمَ صِدْقُ أَحَدِهِمَا صِدْقَ
الْآخَرِ فَبَيْنَهُمَا عُمُومٌ وَخُصُوصٌ مِنْ وَجْهِ وَكُلٌّ مِنْهُمَا: (أَعْمٌ) مِنْ
الْآخَرِ مِنْ وَجْهِ وَهُوَ كَوْنُهُ شَامِلًا لِلْآخَرِ وَلِغَيْرِهِ. (وَأَخْصٌ) مِنْهُ
مِنْ وَجْهِ وَهُوَ كَوْنُهُ مَشْمُولًا لِلْآخَرِ فَالْمُسَاوَاةُ بَيْنَهُمَا أَنْ يَصْدُقَ
كُلٌّ مِنْهُمَا بِالْفِعْلِ عَلَى كُلِّ مَا صَدَقَ عَلَيْهِ الْآخَرُ سِوَاهُ وَجَبَ ذَلِكَ
الصِّدْقُ أَوْ لَا

وَاعْلَمْ أَنَّ فِي الْكِتَابَةِ وَالْخُطَابَةِ وَالشَّعْرِ مَوْقِعًا لِلْكَائِلِيِّ
وَالْجُزْئِيَّةِ. وَعِنْدَ الْبَدِيعِيِّينَ نَوْعٌ يَعْرِفُونَهُ بِحَضَرِ الْجُزْئِيَّةِ وَالْحَاقِقِ
بِالْكَائِلِيِّ. فَحَضَرُ الْجُزْئِيَّةِ هُوَ أَنْ يَأْتِيَ الْكَلِمَةُ إِلَى نَوْعٍ مِنْ

الأنواع فيجعلهُ جنساً تعظيماً لَهُ وَتَفْخِيماً لِأَمْرِهِ بَعْدَ أَنْ يَخْصُرَ جَمِيعَ
أَقْسَامِهِ . وَالْمُرَادُ عَنْدهُمْ بِالنَّوعِ أَعْمُ مِنْ أَنْ يَكُونَ صَادِقًا عَلَى
مُتَعَدِّدٍ ذَهَنًا كَمَا هُوَ النَّوعُ الْمَعْهُودُ عِنْدَ عُلَمَاءِ الْمَنْطِقِ أَوْ لَا يَصْدُقُ
إِلَّا عَلَى قَوْدٍ وَاحِدٍ كَالْجُزْئِيِّ الْمَعْرُوفِ عَنْدهُمْ . وَالْمُرَادُ بِالْكُلِّيِّ
الْجِنْسُ وَهُوَ مَا صَدَقَ عَلَى مُتَعَدِّدٍ اخْتَلَفَتْ حَقِيقَةُ أَفْرَادِهِ . وَمِثَالُ
ذَلِكَ عَنْدهُمْ كَقَوْلِ الْمُتَدَبِّئِ :

هِيَ الْفَرَضُ الْأَقْصَى وَرُؤْيَاكَ أُنْثَى

وَمِثْلُكَ الدُّنْيَا وَأَنْتَ الْخَلَائِقُ

فَقَدْ قَصَدَ تَعْظِيمَ تَذْوِجِهِ فَجَعَلَ مِثْرَهُ الَّذِي هُوَ جُزْئِيٌّ كُلِّيًّا وَهُوَ
الدُّنْيَا وَجَعَلَ ذَاتَهُ الَّتِي هِيَ جُزْئِيَّةٌ كُلِّيَّةٌ وَهِيَ الْخَلَائِقُ . وَأَمَّا حَصْرُ
أَقْسَامِ الْجُزْئِيِّ فَلِأَنَّ الْعَالَمَ عِبَارَةٌ عَنْ حَيَوَانٍ وَنَبَاتٍ وَجَمَادٍ . وَالْمَثَلُ
شَامِلٌ لَهَا

البحث السادس

في الجنس والنوع

(عن السيف الآمدي وشرح الشمسية وانجاة لابن سينا)

(راجع صفحة ١٧ من علم الخطابة)

الْجِنْسُ فِي اللَّغَةِ الضَّرْبُ فِي كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ أَعْمُ مِنَ النَّوعِ .
يُقَالُ : الْإِنْسَانُ نَوْعٌ وَالْحَيَوَانُ جِنْسٌ . وَيُرَادُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ
الْأَلَهِيَّةُ . وَكُلُّ مَا دَلَّ عَلَى شَيْءٍ وَعَلَى كُلِّ مَا أَشْبَهَهُ وَبِالنَّظَرِ إِلَى

هَذَا قِيلَ اسْمُ الْجِنْسِ اسْمٌ مَوْضُوعٌ لِلْمَاهِيَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ . وَالْجِنْسُ
 عِبَارَةٌ عَنْ كُلِّ مَقُولٍ عَلَى كَثِيرِينَ مُخْتَلِفِينَ بِالْأَغْرَاضِ دُونَ الْحَقَائِقِ .
 وَقِيلَ أَيْضًا : الْجِنْسُ هُوَ الْمَقُولُ عَلَى أَفْرَادٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ حَيْثُ الْمَقَاصِدِ
 وَالْأَحْكَامِ . وَالتَّوَعُّدُ كُلُّ مَقُولٍ عَلَى أَفْرَادٍ مُتَّفِقَةٍ مِنْ حَيْثُ الْمَقَاصِدِ
 وَالْأَحْكَامِ مُخْتَلِفِينَ بِالْعَدَدِ فَقَطْ كَالْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ مَقُولٌ عَلَى زَيْدٍ
 وَعَمْرٍو وَبَكْرٍ فِي جَوَابٍ مَا هُوَ . وَرَبَّمَا أُطْلِقَ الْجِنْسُ عَلَى الْأَ
 لْعَامِ سِوَاهُ كَانَ جِنْسًا عِنْدَ أَفَلَاسِيفَةٍ أَوْ نَوْعًا . كَالْحَرِّ وَالْعَبْدِ مَثَلًا
 فَهُمَا نَوْعَانِ يَنْدَرِجَانِ فِي حُكْمٍ وَاحِدٍ وَيَشْتَرِكَانِ فِي الْإِنْسَانِيَّةِ .
 ثُمَّ إِنَّ الْجِنْسَ يُقَسَّمُ إِلَى قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ الْجَوَابُ عَنْ
 الْمَاهِيَةِ وَعَنْ جَمِيعِ مُشَارِكَاتِهَا فِي ذَلِكَ الْجِنْسِ وَاحِدًا فَهُوَ قَرِيبٌ .
 وَيَكُونُ الْجَوَابُ ذَلِكَ الْجِنْسَ فَقَطْ كَالْحَيَوَانِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ
 وَعَنْ جَمِيعِ مَا يَشَارِكُهُ فِي الْحَيَوَانِيَّةِ كَالْفَرَسِ وَالْعَمَلِ وَالْبَقَرِ وَنَحْوِهَا .
 وَإِنْ كَانَ الْجَوَابُ عَنْهَا وَعَنْ جَمِيعِ مُشَارِكَاتِهَا فِي ذَلِكَ الْجِنْسِ
 مُتَعَدِدًا فَهُوَ بَعِيدٌ وَيَكُونُ الْجَوَابُ هُوَ غَيْرُهُ كَالْجِنْسِ النَّامِيِّ
 بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْإِنْسَانِ فَإِنَّهُ جَوَابٌ عَنِ الْإِنْسَانِ وَعَنْ بَعْضِ
 مُشَارِكَاتِهَا فِيهِ كَالنَّبَاتَاتِ . . وَالْأَجْنَاسُ تَتَرْتَّبُ مُتَصَاعِدَةً وَالْأَنْوَاعُ
 مُتَنَزِّلَةً إِلَى أَنْ تَبْلُغَ إِلَى جِنْسٍ لَيْسَ فَوْقَهُ جِنْسٌ آخَرُ وَهُوَ الْجِنْسُ
 الْعَالِي وَالْإِنْسَانُ لَيْسَ تَحْتَهُ نَوْعٌ آخَرُ وَهُوَ الْجِنْسُ الْمَفْرُودُ



البحث السابع

في تعريف العلة والمعلول

(من كتاب المواقف لعبد الرحمن الايجي)

راجع صفحة ٢٠ من علم الخطابة

اعْلَمْ أَنَّ الْعِلِّيَّةَ وَالْمَعْلُولِيَّةَ مِنَ الْغَوَارِضِ الشَّامِلَةِ لِلْمَوْجُودَاتِ
عَلَى سَبِيلِ التَّقَابُلِ كَالْإِمْكَانِ وَالْوُجُوبِ. وَتَقْصُرُ أَحْتِيَاجُ الشَّيْءِ
إِلَى غَيْرِهِ ضَرْوِيٌّ. فَالْحُتْجُ إِلَى يَسَمَى عِلَّةً وَالْحُتْجُ مَعْلُولًا.
وَالْعِلَّةُ إمَّا جُزْءُ الشَّيْءِ أَوْ خَارِجٌ عَنْهُ. (وَالْأَوَّلُ) إِنْ كَانَ بِهِ الشَّيْءُ
بِالْفِعْلِ كَالْهَيْئَةِ لِلْسَّرِيرِ فَهُوَ الصُّورَةُ. وَإِنْ كَانَ بِالْقُوَّةِ كَالْحَشَبِ لَهُ
فَهُوَ الْمَادَّةُ. وَهَذَا أَمَّا بِأَعْيَانِهِ بِأَعْيَانِهِ مُخْتَلِفَةٍ: قَادَّةٌ إِذَا تَتَوَارَدُ عَلَيْهَا
الْأُصُورُ الْمُخْتَلِفَةُ. وَقَابِلٌ مِنْ جِهَةٍ اسْتَعْدَادَهَا لِلصُّورِ. وَعَنْصَرٌ إِذَا مِنْهَا
يُبْتَدَأُ التَّرْكِيبُ. وَاسْطَقْسُ إِذَا إِلَيْهَا يَنْتَهِي التَّحْلِيلُ. وَهَاتَانِ عِلَّتَانِ
لِلْمَاهِيَةِ كَمَا أَنَّهُمَا عِلَّتَانِ لِلْوُجُودِ فَيُحْصَانِ بِأَسْمِ عِلَّةِ آلْمَاهِيَةِ.
(وَالثَّانِي) إمَّا مَا بِهِ الشَّيْءُ كَالْحَجَارِ لِلْسَّرِيرِ وَهُوَ الْفَاعِلُ. وَإِمَّا لِأَجْلِهِ
الشَّيْءُ كَالْجُلُوسِ عَلَيْهِ لَهُ وَهُوَ الْغَايَةُ. وَهَاتَانِ مُحْصَانِ بِأَسْمِ عِلَّةِ
الْوُجُودِ. وَالْأَوَّلِيَّانِ لَا تُوجَدَانِ إِلَّا لِلْمَرْكَبِ. وَالْغَايَةُ لَا تَكُونُ إِلَّا
لِفَاعِلٍ بِالْإِخْتِيَارِ. وَقَدْ تَسَمَّى فَائِدَةُ فِعْلِ الْمَوْجِبِ غَايَةً أَيْضًا تَشْبِيهَاً.
وَالْغَايَةُ مَعْلُوءَةٌ فِي الْخَارِجِ وَإِنْ كَانَتْ عِلَّةً فِي الذِّهْنِ فَلَهَا عِلَاقَةٌ

الْعِلَّةِ وَالْمَعُولِيَّةِ . وَيُسَمَّى جَمِيعُ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ الشَّيْءُ عِلَّةً تَامَةً وَهِيَ
 قَدْ تَكُونُ عِلَّةً فَاعِلِيَّةً أَوْ مَعَ الْعَالِيَةِ كَمَا فِي الْبَسِيطِ . وَقَدْ تَكُونُ
 مُجْتَمِعَةً مِنَ الْأَرْبَعِ كَمَا فِي الْمُرَكَّبِ ... وَالْفَرْقُ بَيْنَ الْعِلَّةِ وَالشَّرْطِ
 أَنَّ الْعِلَّةَ مُطَرَّدَةٌ فَحَيْثُمَا وَجَدَتْ وَجَدَ الْحُكْمُ وَتَأْثِيرُهَا بِالذَّاتِ . أَمَّا
 الشَّرْطُ فَيَتَرَوَّفُ عَلَيْهِ تَأْثِيرُ الْمَوْثَرِ لَا ذَاتُهُ كَيُوسَةِ الْحَطَبِ لِلْأَخْرَاقِ
 إِذَا النَّارُ لَا تَوْثُرُ فِي الْحَطَبِ بِالْأَخْرَاقِ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَكُونَ يَابِسًا

الفصل الرابع

في آداب الخطابة

البحث الأول

في آداب كلام الخطيب

(من كتاب الدنيا والدين للماوردي)

(راجع صفحة ٣٨ من الجزء الثاني من علم الادب)

أَعْلَمُ أَنَّ لِلْكَلامِ آدَابًا إِنْ أَغْفَلَهَا أَلْتَكَلِمُ أَذْهَبَ رَوِّقَ
 كَلَامِهِ وَطَمَسَ بَهْجَةَ بَيَانِهِ وَلَهَا النَّاسُ عَنْ مَحَاسِنِ فَضْلِهِ عِمَاسُؤِي آدَابِهِ
 فَعَدَلُوا عَنْ مَنَاقِبِهِ بِذِكْرِ مَثَالِيهِ . (فَمِنْ آدَابِهِ) أَنْ لَا يَجَاوِزَ فِي
 مَدْحِهِ وَلَا يُسْرِفَ فِي ذَمِّهِ وَإِنْ كَانَتْ الزَّاهَةُ عَنِ الذَّمِّ كَرَمًا .
 وَالتَّجَاوُزُ فِي الْمَدْحِ مَلَقًا يَصْدُرُ عَنْ مَهَابَةٍ وَالسَّرْفُ فِي الذَّمِّ انتقامًا

يُضَدُّ عَنْ شَرِّهِ. وَكِلَاهُمَا شَيْنٌ وَإِنْ سَلِمَ مِنَ الْكَذِبِ. عَلَى أَنْ
 أَسْلَمَ مِنَ الْكَذِبِ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ. مُتَعَدِّدَةً لَأَسِيًّا إِذَا مَدَحَ
 تَقَرُّبًا وَذَمَّ تَحَقُّقًا. وَحُكِيَ عَنِ الْأَخْفِ بْنِ قَيْسٍ أَنَّهُ قَالَ سَهَرْتُ
 لَيْلِي أَفْكِرُ فِي كَلِمَةٍ أَرْضِي بِهَا سُلْطَانِي وَلَا أُخْطِ بِهَا رَبِّي فَمَا
 وَجَدْتُهَا. وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: إِنْ الرَّجُلَ لَبَدَّخُلٍ عَلَى
 السُّلْطَانِ وَمَعَهُ دَيْنُهُ فَيُخْرِجُ وَمَا مَعَهُ دَيْنُهُ. وَكَيْفَ ذَلِكَ.
 قَالَ: يُرْضِيهِ بِنَا يَنْخِطُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ. وَسَمِعَ ابْنُ الرُّومِيِّ رَجُلًا
 يَصِفُ رَجُلًا وَيُبَالِغُ فِي مَدْحِهِ فَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِذَا مَا وَصَفْتَ أَمْرًا لَا مَرَى فَلَا تَغُلْ فِي وَصْفِهِ وَأَقْصِدِ
 فَإِنَّكَ إِنْ تَغُلْ تَغُلْ الظُّنُّ نَ فِيهِ إِلَى الْأَمَدِ الْأَبْعَدِ
 فَيُضَالُ مِنْ حَيْثُ عَظُمَتْهُ لِفَضْلِ الْمَغِيبِ عَلَى الشَّهَدِ
 (وَمِنْ آدَابِهِ) أَنْ لَا تَبْعَثَ الرَّغْبَةَ وَالرَّهْبَةَ عَلَى الْأَسْتِرْسَالِ
 فِي وَعْدٍ أَوْ وَعِيدٍ يَغْزِي عَنْهُمَا وَلَا يَشْدُرْ عَلَى الْوَفَاءِ بِهِمَا. فَإِنْ مَنْ
 أَطْلَقَ بِهِمَا لِسَانَهُ وَأَرْسَلَ فِيهِمَا عَانَهُ وَلَمْ يَسْتَشْقِلْ مِنَ الْقَوْلِ مَا
 يَسْتَنْفِلُهُ مِنَ الْأَعْمَلِ صَارَ وَعْدُهُ نَكْثًا وَوَعِيدُهُ عَجْزًا. (وَمِنْ آدَابِهِ)
 إِنْ قَالَ قَوْلًا حَقَّقَهُ بِفِعْلِهِ وَإِذَا تَكَلَّمَ بِكَلَامٍ صَدَّقَهُ بِعَمَلِهِ فَإِنْ
 أَرْسَلَ الْقَوْلَ اخْتِيَارًا وَالْعَمَلَ بِهِ اضْطِرَارًا وَلَيْنَ يَفْعَلْ مَا لَمْ يَقُلْ
 أَحْمَلُ مِنْ أَنْ يَقُولَ مَا لَمْ يَفْعَلْ. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: أَحْسَنُ
 الْكَلَامِ مَا لَا يُجْتَاجُ فِيهِ إِلَى الْكَلَامِ. أَيِ يَكْتَفِي بِالْفِعْلِ مِنْ
 الْقَوْلِ. وَقَالَ مُحَمَّدٌ الْوَرَّاقُ:

الْقَوْلُ مَا صَدَقَهُ الْفِعْلُ وَالْفِعْلُ مَا وَكَّدَهُ الْعَقْلُ
لَا يَثْبُتُ الْقَوْلُ إِذَا لَمْ يَكُنْ يُقَالُهُ مِنْ تَحْتِهِ الْأَصْلُ

(وَمِنْ آدَائِهِ) أَنْ يُرَاعِيَ مَخَارِجَ كَلَامِهِ بِحَسَبِ مَقَاصِدِهِ
وَأَغْرَاضِهِ فَإِنْ كَانَ تَرْغِيئًا قَرَنَهُ بِاللَّيْنِ وَاللَّطْفِ. وَإِنْ كَانَ تَرْهِيئًا
خَاطَهُ بِالْخَشُونَةِ وَالْعُنْفِ. فَإِنَّ إِيْنَ اللَّفْظِ فِي التَّرْهِيْبِ وَخَشَوَتُهُ فِي
التَّرْغِيْبِ خُرُوجٌ عَنِ مَوْضِعَيْهِمَا وَتَعْطِيلٌ لِلْمَقْصُودِ بِهِمَا فَيَصِيرُ الْكَلَامُ
لَعْنًا وَالْعَرَضُ الْمَقْصُودُ لَهَوًا. وَقَدْ قَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدِّيْلِيُّ لَا يَبْنِي :
يَا بَنِي إِنْ كُنْتَ فِي قَوْمٍ فَلَا تَتَكَلَّمْ بِكَلَامٍ مِنْ هُوَ قَوْكَ
فَيَمَقُّتُوكَ. وَلَا بِكَلَامٍ مِنْ هُوَ دُوكَ فَيَرْدُوكَ. (وَمِنْ آدَائِهِ) أَنْ
لَا يَرْفَعَ بِكَلَامِهِ صَوْتًا مُسْتَنَكِرًا وَلَا يَنْزِعَ لَهُ أَتْرَعًا مُسْتَهْجَأًا
وَلْيَكُفَّ عَنِ حَرَكَةٍ تَكُونُ طَيْشًا وَعَنْ حَرَكَةٍ تَكُونُ عِيًّا. فَإِنْ
نَقَصَ الطَّيْشُ أَكْثَرَ مِنْ فَضْلِ الْبَلَاغَةِ. وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ الْحُجَّاجَ قَالَ
لَا عَرَابِي : أَخْطِيبُ أَنَا. قَالَ : نَعَمْ لَوْلَا أَنَّكَ تُكْثِرُ الرَّدَّ وَتُثِيرُ
بِالْيَدِ وَتَقُولُ أَمَّا بَعْدُ. (وَمِنْ آدَائِهِ) أَنْ يَتَجَانَى هَجْرَ الْقَوْلِ
وَمُسْتَقْبَحَ الْكَلَامِ وَلِيَعْدِلَ إِلَى الْكِيَامَةِ عَمَّا يُسْتَشْجَعُ صَرِيحُهُ
وَيُسْتَهْجَنُ فَصِيحُهُ لِيَبْلُغَ الْعَرَضَ وَلِسَانَهُ تَرَهُ وَآدَبُهُ مَضُونُ كَمَا أَنَّهُ
يَضُونُ لِسَانَهُ عَنْ ذَلِكَ فَهَكَذَا يَضُونُ عَنْهُ سَمْعُهُ فَلَا يَسْمَعُ خَمًّا وَلَا
يُضْغِي إِلَى فُحْشٍ فَإِنْ سَمِعَ الْفُحْشَ دَاعٍ إِلَى إِظْهَارِهِ وَذَرِيْعَةً إِلَى
إِنْكَارِهِ وَإِذَا وُجِدَ عَنِ الْفُحْشِ مُغْرَضًا كَفَّ قَائِلُهُ وَكَانَ إِغْرَاضُهُ
أَحَدَ التَّكْرِيرَيْنِ كَمَا أَنَّ سَمَاعَهُ أَحَدَ الْبَلَاغَتَيْنِ. وَأَنْشَدَنِي أَبُو الْحَسَنِ

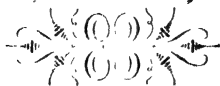
أَبْنُ الْحَارِثِ أَلْهَاشِي :

تَحَرَّ مِنْ الطَّرْقِ أَوْسَاطَهَا وَعَدَّ عَنْ الْمَوْضِعِ الْمَشْتَبَةِ
وَسَمِعَكَ صُنَّ عَنْ قَبِيحِ الْكَلَامِ كَصَوْنِ اللِّسَانِ عَنِ النُّطْقِ بِهِ
فَإِنَّكَ عِنْدَ اسْتِيعَابِ الْقَبِيحِ بِمَرِيكَ لِقَائِهِ فَأَنْتَبَهَ
وَمَا يَجْرِي تَجْرَى فَحَسَّ الْقَوْلِ وَهَجَرَهُ فِي وَجُوبِ اجْتِنَابِهِ وَلَزُومِ
تَنَكُّهِ مَا كَانَ شَنِيعَ الْبَدِيهَةِ مُسْتَكْرَ الظَّاهِرِ وَإِنْ كَانَ غُثَّ
الْتَّامُلِ سَلِيماً وَبَعْدَ الْكَشْفِ وَالرُّوْيَةِ مُسْتَقِيماً كَالَّذِي رَوَاهُ الْأَزْدِيُّ
عَنِ الصُّوْلِيِّ لِبَعْضِ الْمُتَكَلِّدِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ :

إِنِّي شَيْخٌ كَبِيرٌ كَافِرٌ بِاللَّهِ سِيرِي

أَنْتَ رَبِّي وَالْهَي رَازِقُ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ

يُرِيدُ بِقَوْلِهِ (كَافِرٌ) أَيُّ لَا يَسُّ لَأَنَّ الْكُفْرَ التَّغْطِيَةُ. وَلِذَلِكَ
سَمَّى الْكَافِرُ بِاللَّهِ كَافِرًا لِأَنَّهُ قَدْ غَطَى نِعْمَةَ اللَّهِ بِمَعْصِيَتِهِ. وَقَوْلُهُ :
(يَا لِلَّهِ سِيرِي) يُقْسِمُ عَلَيْهَا أَنْ تَسِيرَ. وَقَوْلُهُ : (أَنْتَ رَبِّي) يَعْنِي رَبِّي
وَلِذَلِكَ مِنَ التَّرْتِيبَةِ. وَالْهَي رَازِقُ الطِّفْلِ الصَّغِيرِ كَمَا أَنَّهُ رَازِقُ الْوَلَدِ
الْكَبِيرِ. فَانْظُرْ إِلَى هَذَا اتَّكَلَّفِ الشَّنِيعَ وَالتَّعَقُّقَ الْبَشِيعَ مَا
أَعْتَاضَ مِنْ حَيْثُ الْبَدِيهَةِ إِذَا سَلِمَ بَعْدَ الْفِكْرِ وَالرُّوْيَةِ إِلَّا لَوْثُ مَا
إِنْ حَسُنَ فِيهِ الظَّنُّ أَوْ ذَمًّا إِنْ قَوِيَ فِيهِ الْإِلَارْتِيَابُ. وَقَلَمًا يَكُونُ
ذَلِكَ إِلَّا مِنْ خَاطِئٍ بِطَرِيقٍ أَوْ مُرْتَابٍ أَيْشَرِ



المبحث الثاني

في خصال الخطيب

(عن الماوردي والغزالي ببعض تصرف)

(راجع صفحة ٣٩ من علم الخطابة)

إِنَّ الْخَطِيبَ الْحُرِّيَّ بِالْإِزْشَادِ مَنْ قَدْ اسْتَكْمَلَتْ فِيهِ خَمْسُ
 خِصَالٍ : (إِحْدَاهُنَّ) عَقْلٌ كَامِلٌ مَعَ تَجَرُّبَةٍ سَالِفَةٍ فَإِنَّ بِكَثْرَةِ
 التَّجَارِبِ تَصِحُّ الرُّوِيَّةُ . وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : اسْتَرْشِدُوا الْعَاقِلَ
 تَرْتَدُّوا وَلَا تَعُصِرُوهُ فَنُتَدُّوا . وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْحَسَنِ لِابْنِهِ مُحَمَّدٍ :
 أَحْذَرُوا مَشُورَةَ الْجَاهِلِ وَإِنْ كَانَ نَاصِحًا كَمَا تُحْذَرُ عَدَاوَةُ الْعَاقِلِ
 إِذَا كَانَ عَدُوًّا فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يُورِطَكَ بِمَشُورَتِهِ فَيَسْبِقُ إِلَيْكَ
 مَكْرُ الْعَاقِلِ وَتُورِطُ الْجَاهِلِ . وَقِيلَ لِرَجُلٍ مِنْ عَبَسَ : مَا أَكْثَرَ
 صَوَابَكُمْ . قَالَ : نَحْنُ أَلْفُ رَجُلٍ وَفِينَا حَازِمٌ وَنَحْنُ نَطِيعُهُ فَكَأَنَّا
 أَلْفُ حَازِمٍ . وَكَانَ يُقَالُ إِيَّاكَ وَمَشَاوَرَةُ رَجُلَيْنِ شَابٍ مُعْجَبٍ
 بِنَفْسِهِ قَلِيلِ التَّجَارِبِ فِي غَيْرِهِ أَوْ كَبِيرٍ قَدْ أَخَذَ الدَّهْرَ مِنْ عَقْلِهِ كَمَا
 أَخَذَ مِنْ جِسْمِهِ . وَقِيلَ فِي مَنْشُورِ الْحِكَمِ : كُلُّ شَيْءٍ لَا يَخْتِاجُ إِلَى
 أَعْقَلٍ وَالْعَقْلُ يُخْتِاجُ إِلَى التَّجَارِبِ . وَلِذَلِكَ قِيلَ : أَلَا يَأْمُرُكَ لَكَ عَنْ
 الْأَسْتِارِ الْكَامِنَةِ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : التَّجَارِبُ لَيْسَ لَهَا غَايَةٌ
 وَالْعَاقِلُ مِنْهَا فِي زِيَادَةٍ . وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : مَنْ اسْتَعَانَ بِذَوِي
 الْعُقُولِ فَإِنَّهُ يَذَرُكَ أَلْمَأُؤُولَ . وَقَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ الدِّيلِيُّ :

وَمَا كُلُّ ذِي نُفُحٍ بِمُؤْتِكَ نُفُحُهُ وَلَا كُلُّ مُوتٍ نُفُحُهُ بِلَيْبٍ
وَلَكِنْ إِذَا مَا اسْتَجْمَعَا عِنْدَ صَاحِبٍ فَحَقَّ لَهُ مِنْ طَاعَةٍ بِنَصِيبٍ
(وَالْخُصْلَةُ الثَّانِيَّةُ) أَنْ يَكُونَ الْخُطِيبُ ذَا دَيْنٍ وَتَقَى قَانَ
ذَلِكَ عِمَادُ كُلِّ صَلاحٍ وَبَابُ كُلِّ نَجَاحٍ وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ الدِّينُ فَهُوَ
مَأْمُونُ السَّرِيَّةِ مُوَفَّقُ الْعَزِيمَةِ. (وَالْخُصْلَةُ الثَّلَاثَةُ) أَنْ يَكُونَ
نَاصِحًا وَدُودًا فَإِنَّ النُّصْحَ وَالْمُودَّةَ يُصْدِقَانِ الْفِكْرَةَ وَيَخْضَيَانِ الرَّأْيَ.
وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: لَا تُتَبَاوَرِ إِلَّا الْحَازِمَ غَيْرَ الْحُسُودِ وَاللَّيْبِ
غَيْرَ الْحُقُودِ وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَيْنِ إِلَى الْأَفْنِ وَعِزَّ مَنِ
إِلَى الْوَهْنِ. وَقَالَ بَعْضُ الْأُدَبَاءِ مَشُورَةُ الْمُسْتَفِيعِ الْحَازِمِ ظَفَرٌ
وَمَشُورَةُ غَيْرِ الْحَازِمِ خَطَرٌ وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ:

أَصْفِ ضَمِيرًا لَنْ تُعَايِرَهُ وَأَسْكُنْ إِلَى نَاصِحٍ تُشَاوِرُهُ
وَأَرْضِ مَنْ أَرَأَى فِي مَوَدَّتِهِ بِمَا يُؤْدِي إِلَيْكَ ظَاهِرُهُ
مَنْ يَكْشِفُ النَّاسَ لَمْ يَجِدْ أَحَدًا تَنْصَحُ مِنْهُمْ لَهُ سَرَائِرُهُ
أَوْشَكَ أَنْ لَا يَدُومَ وَضَلُّ أَحْمَرٍ فِي كُلِّ رَلَاتِهِ تَنْسَافِرُهُ

(وَالْخُصْلَةُ الرَّابِعَةُ) أَنْ يَكُونَ سَلِيمَ الْفِكْرِ مِنْ هَمٍّ قَاطِعٍ
وَعَمْرٍ سَاقِلٍ. فَإِنَّ مَنْ عَارَضَتْ فِكْرُهُ شَوَائِبُ الْهَمِّ لَا يَسْلَمُ لَهُ
رَأْيٌ وَلَا يَسْتَقِيمُ لَهُ خَاطِرٌ. وَكَانَ كِسْرَى إِذَا دَهَمَهُ أَمْرٌ بَعَثَ إِلَى
مَرَاذِيهِ فَاسْتَشَارَهُمْ فَإِنْ قَصَرُوا بِالرَّأْيِ ضَرَبَ قَهَارَتَهُ وَقَالَ: أَبْطَأْتُمْ
بَارِزًا قِهِمَ فَأَخْطَأُوا فِي آرَائِهِمْ. وَقَالَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْقُدُوسِ:

وَلَا مُشِيرَ كَذِي نُفُحٍ وَتَقْدَرَةُ فِي مُشْكِالِ الْأَمْرِ فَأَحْزَنَ ذَلِكَ مُنْتَصِحًا

(وَالْخُصْلَةُ الْخَامِسَةُ) أَنْ لَا يَكُونَ لَهُ فِي الْأَمْرِ الْمُسْتَشَارُ
غَرَضٌ يُتَابِعُهُ وَلَا هَوًى يُسَاعِدُهُ فَإِنَّ الْأَغْرَاضَ جاذِبَةٌ وَالْهَوَى صَادٌّ
وَالرَّأْيَ إِذَا عَادَهُ الْهَوَى وَجاذِبَةٌ الْأَغْرَاضُ قَسَدٌ. وَقَدْ قَالَ
الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبَّاسٍ ابْنِ أَبِي هَبٍ :

وَقَدْ يُحْكِمُ الْأَيَّامُ مَنْ كَانَ جَاهِلًا

وَيُزِدِي الْهَوَى ذَا الرَّأْيِ وَهُوَ لَيْبُ

وَيُخَمِّدُ فِي الْأَمْرِ الْقَتَى وَهُوَ نَخْطَى:

وَيُعْذَلُ فِي الْإِحْسَانِ وَهُوَ مُصِيبُ

فَإِذَا اسْتَكْمَلْتَ هَذِهِ الْخِصَالَ الْخَمْسَ فِي رَجُلٍ كَانَ أَهْلًا
لِلْإِشْرَادِ وَالْمَشُورَةِ وَمَعْدِنَا الرَّأْيِ فَلَا تَعْدِلْ عَنْ اسْتِشَارَتِهِ اعْتِمَادًا
عَلَى مَا تَتَوَهَّمُهُ مِنْ فَضْلِ رَأْيِكَ وَثِقَةٍ بِمَا تَسْتَشْعِرُهُ مِنْ صِحَّةِ رَوِيَّتِكَ.
فَإِنَّ رَأْيَ غَيْرِ ذِي الْحَاجَةِ أَسْلَمَ وَهُوَ مِنَ الصَّوَابِ أَقْرَبُ لِلْخُلُوصِ
أَلْفِكْرِ وَخُلُوصِ الْخَاطِرِ مَعَ عَدَمِ الْهَوَى وَارْتِفَاعِ الشَّهْوَةِ وَقَدْ وَرَدَ فِي
الْحَدِيثِ: إِنَّ رَأْسَ الْعَقْلِ بَعْدَ الْإِيمَانِ بِاللَّهِ التَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ وَمَا
اسْتَنْقَى مُسْتَبْدُّ بَرَأْيِهِ وَمَا هَلَكَ أَحَدٌ عَنْ مَشُورَةٍ فَلَا إِذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِعَبْدٍ هَلَكَةً كَانَ أَوَّلَ مَا يُهْلِكُهُ رَأْيُهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ:
الِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهُدَايَةِ وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَنْقَى بَرَأْيِهِ. وَقَالَ لُقْمَانُ
الْحَكِيمُ لِابْنِهِ شَاوِرَ: مَنْ جَرَّبَ الْأُمُورَ فَإِنَّهُ يُعْطِيكَ مِنْ رَأْيِهِ مَا
قَامَ عَلَيْهِ بِالْعِلَاءِ وَأَنْتَ تَأْخُذُهُ بِمَجَانَا. وَقَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ: يَنْصِفُ
رَأْيَكَ مَعَ أَخِيكَ فَشَاوِرْهُ لِيَكْمَلَ الرَّأْيُ

المبحث الثالث

في طباع الناس على اختلاف اطوار الحياة

(من كتاب مشهد الاحوال لفتح الله مراش)

(راجع صفحة ٤٣ من علم الخطابة)

(حَالُ الطُّفُولِيَّةِ) هَذَا هُوَ الدَّوْرُ الْأَوَّلُ لِحَيَاةِ الْإِنْسَانِ. وَالْعِلْوَةُ
 الْأُولَى فِي طَرِيقِ الزَّمَانِ. حِينَ يُقَالُ لِلدَّخْلِ طِفْلٌ مَوْلُودٌ.
 وَلِلخَارِجِ شَيْخٌ مَفْقُودٌ. وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ فِي هَذَا الدَّخْلِ عَدِيمَ
 الْبَصِيرَةِ. خَالِي السَّرِيرَةِ. عَارِيًا مِنْ كُلِّ الْكَمَالَاتِ الْأَدَبِيَّةِ. غَيْرِ
 حَاصِلٍ عَلَى قَامٍ الْوَظَائِفِ الْعَقْلِيَّةِ. فَلَا يَرَى إِلَّا مَا يَقُومُ قُرْبَهُ. وَلَا
 يَشْعُرُ إِلَّا بِمَا يَسْتَغْطِفُ قَلْبَهُ. فَيَلْعَبُ بِالْأَرَابِ وَيَذَرِيهِ. وَيَبْعَثُ بِالْبُتْرِ
 وَيُزْرِيهِ. وَيَسْتَعْرِجُ بِالْمَقْبُولَاتِ وَالْمَرْذُودَاتِ. وَيَضْحَكُ عَلَى كُلِّ
 الْمَوْجُودَاتِ. فَلَا يَهْتَمُّ إِلَّا بِطَلَبِ الْغِذَاءِ. وَلَا يَحْفَلُ إِلَّا بِمَا يُورِثُ
 الْأَدَى. وَإِذَا لَا يَدْرِي طَائِشًا بِخَفَّةِ بُنْيَتِهِ. وَضَائِعًا فِي تَبَةِ بُنْيَتِهِ. فَلَا
 يَسْنَعُ دَرِيَّ صَوْضَاءِ الْعَوَالِمِ. وَلَا رَوِيَّ قَوَائِمِ الْعِظَائِمِ. بَلَيَّا
 يَكُونُ بَاصِيًا تَحْتَ تَأْثِيرَاتِهَا وَقَوَائِمِهَا. وَمُتَحَرِّكًا وَسَاكِئًا تَحْتَ
 جَوَازِمِهَا وَعَوَامِلِهَا. وَمُسْرِعًا فِي طَرِيقِ حَيَاتِهِ إِلَى الدَّخُولِ فِي
 أَبْوَابِهَا. وَالنَّوَصِ فِي عُيَابِهَا. فَكَلِمَتُهُ عَيْنُهُ تَرَى مَا يَسْتَقْبِلُهُ مِنْ
 الْأَوْصَابِ. وَمَا يَسْتَنْظَرُهُ مِنَ الْأَتْعَابِ. فَمَا أَشَدُّهُ الْآرَمُزُ الرَّدَى
 فِي طَلَبِ الْقُوَّةِ. وَمَا أَلْهَدُ إِلَّا إِشَارَةُ التَّائِبِ

(حَالُ الْفُتُوَّةِ) هَذَا هُوَ الدَّوْرُ اثنَانِي لِلْحَيَاةِ الْاِنْسَانِيَّةِ . وَالْمَسَاحَةُ
 الْاُولَى لِاِتِّشَارِ الْقُوَى الْعَقْلِيَّةِ اَوْ اَتَلُّ الْاَوَّلُ فِي طَرِيقِ الْاَجَلِ .
 وَمَسْلَكِ الْعَمَلِ . فَيُضَعَدُ الْاِنْسَانُ عَلَيْهِ وَيَنْظُرُ الْعَالَمَ بِعَيْنَيْهِ . فَيَرَاهُ
 مَشْهُدًا بِدِيَعِ الْجَمَالِ . وَمَلْعَبًا تَلْعَبُ بِهِ الْاَمَالُ . وَتَرْقُصُ فِيهِ
 الْمَلَكُذَاتُ وَالْاَمَانِي . وَتَحُومُ حَوْلَهُ الْبَشَائِرُ وَالْتِهَانِي . فَتَشْلُهُ شُؤْلُ هَذَا
 الظُّهُورِ . وَتَلْعَبُ بِرَأْسِهِ حِمْيَةُ هَذِهِ الْاُمُورِ . فَيَبْتَ سَكْرَانًا بِالْاَفْرَاحِ .
 وَمَأْخُودًا بِرَيْنِ تِلْكَ الْاَقْدَاحِ . فَيَنْسِيمُ مَدَى الْاَوْقَاتِ . وَلَا يَعْلَمُ مَا
 الْاَقَاتُ . اِذْ يَطْلُ مُلْتَمًّا بِكِسَاءِ الْاَمَالِ . وَمُخْتَفًا بِاَوْهَامِ الْاَعْمَالِ .
 وَلَا يَنْظُرُ اِلَّا اِلَى ذَاتِهِ . وَلَا يَخْفَلُ اِلَّا بِصِفَاتِهِ . هَائِمًا فِي مَلَاهِي
 دُنْيَاهُ . وَمُتَهَافِنًا عَلَى حَدَاثَةِ قُوَاهُ . وَهَكَذَا يَهْبِطُ فِي وَادِي هَذَا
 الْعَالَمِ اَلْمَلِمِ . وَيَخْطُ فِي ذَلِكَ الْخَجَرِ الْخِصَمَ . وَلَا يَزَالُ بَيْنَ هُبُوبِ
 وَأَنْكَبَابِ . اِلَى اَنْ يَنْشَلُهُ الصَّوَابُ . وَيُذِرْكَهُ الشَّبَابُ

(حَالُ الشُّبُوبَةِ) اَمَّا الشُّبُوبَةُ فَهِيَ الدَّوْرُ الثَّالِثُ لِلْاَجَلِ . وَتَحُلُّ اَلْكِدَّةُ
 وَالْعَمَلُ . وَمَوْقِعُ الْاِيَّاسِ وَالْاَمَلِ . حَيْثُمَا يُوْجَدُ الْاِنْسَانُ ضَائِعًا فِي مَقَارَةِ
 الْعُمْرِ . حَائِرًا فِي تَنَوُّعِ النَّهْيِ وَالْاَمْرِ . فَيَرَى نَفْسَهُ قَائِمًا فِي وَسْطِ
 هَذِهِ الدُّنْيَا . مُخْطَبًا بِكَافَّةِ الْاَشْيَاءِ . مُلْتَطِمًا بِاَمْوَاجِ الْعَالَمِ وَاهْوَانِهِ .
 مَضْرُوعًا وَمَأْخُودًا بِضَجَارَتِهِ وَضَوْغَانِهِ . وَهَكَذَا تَنْهَضُ فِي قَلْبِهِ ثَوْرَةٌ
 الْحَوَاسِ . وَتَشْبُ فِي دِمَاجِهِ نَارُ الْوَسْوَاسِ . وَتَضْفُرُ فِي سَرِيرَتِهِ رِيحُ
 الْاَفْجَاسِ . فَيَنْدَفِعُ اِلَى مُنَازَلَةِ الْاَقْدَارِ وَالْاَيَّامِ . وَمُقَاتَلَةِ الْحَقَائِقِ
 وَالْاَزْهَامِ . فَتَارَةً تَهْبُ بِهِ الْاَمَالُ اِلَى اَوْجِ الْاَفْرَاحِ وَالْمَسَرَّاتِ .

وَطَوْرًا تَكُوبُ بِهِ الْحَيَّاتُ فِي حَضِيضِ الْأَتْرَاحِ وَالْحَسَرَاتِ. يَرَى
 الْعَالَمَ قَرِيبَ الْمَالِ. فَيَتَدَنَّقُ وَرَاءَهُ عَلَى تُبُونِ الْأَهْوَالِ. حَتَّى إِذَا
 مَا ظَفَرَ بِالْبَعْضِ طَعِمَ بِالْكُلِّ. وَإِذَا فَازَ بِالشَّجَرِ رَغِبَ فِي الظِّلِّ.
 فَلَا يَكُونُ إِلَّا مُضْمَقَةً فِي آفَوَاهِ الطَّامِعِ. وَكَرَّةً تَتَلَقَّهَا الْقَوَامِعُ.
 وَذَلِكَ إِنَّمَا يُوجَدُ مُهْطًا لِحَوَادِثِ الْجَدَثَانِ. وَمُسْتَقْطًا لِأَحَابِيبِ
 الزَّوَالِ. وَلَا تَرَالُ ذَهْرُهُ هَذَا الشَّبَابِ الزَّاهِي بَيْنَ ذُبُولٍ وَأَنْتِدَارِ.
 وَلَا يَبْرَحُ بَذَرُ هَذَا الْعَصْرِ الْبَاهِي بَيْنَ خُسُوفٍ وَأَسْفَارِ. إِلَى أَنْ
 تَمُوتَ الشَّيْخُوخَةُ تَاجَ تِلْكَ الزَّهْرَةِ. وَيَضْمَعُ الْهَرَمُ وَجْهَ هَانِكِ الْقَرَةِ.
 حِينَئِذٍ يَنْسَقُطُ الشَّبَابُ مِنْ قَرَشِهِ. وَيَرْتَفِعُ الشَّيْبُ عَلَى عَرْشِهِ
 (حَالُ الشَّيْخُوخَةِ) فَلَا يَزَالُ الْإِنْسَانُ سَاطِرًا فِي طَرِيقِ عُمرِهِ
 سَيْرَ الْمُسَافِرِ فِي الْقَفَارِ. إِلَى أَنْ يَبْلُغَ رَابِعَ الْأَدْوَارِ. وَهُوَ دَوْرُ الدُّنْيَا.
 هَذَا إِذَا أَمْسَكَهُ الْخِلَاصُ مِنْ لُصُوصِ الْحَوَادِثِ. وَأَلْمَاصُ مِنْ أَسْدِ
 الْكَوَارِثِ. وَنَهَبَةُ الْأَعْرَاضِ. وَقَتْلَةُ الْأَمْرَاضِ فَلَبِثَ هُنَاكَ مِنْهُوَكَأ
 مِنْ تَعَبِ الْمَسِيرِ. وَمَضَضِ التَّأْيِيرِ. إِذْ يَعُودُ مُتَحَنِّنًا تَحْتَ أَحْمَالِ الْحَيَاةِ
 وَأَثْقَالِهَا. وَمَرْمُوضًا مِنْ عَمَدَاتِ الدُّنْيَا وَأَهْوَالِهَا. فَخَضَعَتْ ضَوْضَاءُ
 حَوَاسِهِ وَهَوَاجِسِهِ. وَيَخْرُسُ رَيْنِ أَنْفَاسِهِ وَوَسَاوِسِهِ. فَيَكْفُ بِحَرِّهِ.
 وَتَجْفُ فِكْرُهُ. وَيَقِلُّ ذَوْقُهُ. وَيَكْثُرُ شَوْقُهُ. وَيَجْلُ حَتَّى بِالْقَلَسِ.
 وَيَرِيدُ جَرْعَهُ عَلَى النَّفْسِ. وَيَجُودُ بِالْقَلَسِ. فَإِذَا التَفَتَ إِلَى وَرَائِهِ
 وَرَأَى الدُّنْيَا الَّتِي تَطَعَّمَهَا. وَالْخَارِقَ الَّتِي تَتَّبَعَهَا. ظَهَرَتْ لَهُ الْأَشْيَاءُ
 أَشْبَاحَ أَحْلَامِهِ. وَمَلَايِبَ أَوْهَامِهِ. وَكُلُّهَا تَجْرِي ظَهِيرُهُ إِلَى الزَّوَالِ.

كَالطَّيْفِ وَالْخَيَالِ . فَيَضْحَكُ عَلَى الْجَمِيعِ . ضَحْكُ الْوَجْدِ الرَّضِيعِ . أَمَّا إِذَا أَلْتَفَتَ إِلَى الْأَمَامِ . وَطَمَعَ بِبَقِيَّةِ الْأَيَّامِ . حَنَّ إِلَى الْوُجُودِ . وَهَامَ بِحُبِّ الْخُلُودِ . وَلَا يَزَالُ اللَّامِضِي يَدْفَعُهُ . وَالْحَاضِرُ يَرُدُّهُ . وَالْمُسْتَقْبَلُ يُطْمِعُهُ . حَتَّى تَخْطِفَ يَمَامَةً نَفْسِهِ بُرَاةُ الْمَنِيَّةِ . وَتَسْلِبَهُ كُلَّ بُغْيَةٍ وَأُمْنِيَّةٍ . فَيَهْطُ هُبُوطَ الْبُيَّانِ . وَيَنُورُ فِي قَبْرِ الْأَنْسِيَانِ . حَيْثُمَا تَسْتَرْجِعُ الْكَلِمَاتُ جُزْئِيَّاتِهَا . وَتَسَرِّدُ الْجُمُوعَاتُ مُفْرَدَاتِهَا

البحث الرابع

في سياسة الخطيب مع الجمهور ومواخاة طباعهم

(عن رسائل خط للفارابي بتصرف)

(راجع صفحة ٤٥ من الجزء الثاني من علم الادب)

إِنَّ الْخَطِيبَ إِذَا مَا أَرَادَ بُلُوغَ غَايَتِهِ وَحُسْنَ سِيَاسَةِ نَفْسِهِ فِي أُمُورِهِ فَلْيَتَوَخَّ طِبَاعَهُمْ وَتَأَوَّنْ أَخْلَاقَهُمْ وَتَبَايُنَ أَحْوَالِهِمْ . قَالَ أَفَلَاطُونُ : لِكُلِّ أَمْرٍ حَقِيقَةٌ . وَلِكُلِّ زَمَانٍ طَرِيقَةٌ . وَلِكُلِّ إِنْسَانٍ خَلِيقَةٌ . فَعَامِلِ النَّاسَ عَلَى خَلَائِقِهِمْ وَالتَّبَسُّؤِ وَالْأُمُورِ حَقَائِقِهَا وَاجْرِ مَعَ الزَّمَانِ عَلَى طَرَائِقِهِ (اهـ) . وَهَذِهِ قَوَائِينُ تَنْفَعُ الْخَطِيبَ فِي مُتَصَرِّفَاتِهِ مَعَ كُلِّ طَائِفَةٍ مِنْ أَهْلِ طَبَقَتِهِ وَمَنْ دُونَهُ وَمَنْ فَوْقَهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِيجَازِ وَالْإِخْتِصَارِ . عَلَى أَنَّهُ لَا يَنْبَغُ قَوْلُنَا هَذَا مِنْ ذِكْرِ مَا يَخْتَصُّ بِأَسْتِعْمَالِهِ طَائِفَةٌ دُونَ طَائِفَةٍ وَوَاحِدٌ وَاحِدٌ مِنْهُمْ فِي وَقْتٍ

دُونَ وَقْتٍ وَمَعَ قَوْمٍ دُونَ قَوْمٍ إِذِ الْوَاحِدُ مِنَ النَّاسِ لَا يُنْكِيهِ
 أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِي كُلِّ وَقْتٍ مَعَ كُلِّ أَحَدٍ كُلَّ ضَرْبٍ مِنْ ضُرُوبِ
 السِّيَاسَاتِ. وَنَقَدِمُ لِذَلِكَ مُقَدِّمَاتٍ وَنَهَا أَنْ نَقُولَ إِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ
 مِنَ النَّاسِ مَتَى مَا رَجَعَ إِلَى نَفْسِهِ وَتَأَمَّلَ أَحْوَالَهَا وَأَحْوَالَ غَيْرِهِ
 مِنْ فَنَاتِ النَّاسِ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي رُتْبَةٍ يَشْرَكُهُ فِيهَا طَائِفَةٌ مِنْهُمْ .
 وَوَجَدَ فَوْقَ رُتْبَتِهِ طَائِفَةٌ هُمْ أَعْلَى مَرْتَبَةً مِنْهُ بِجِهَةٍ أَوْ جِهَاتٍ. وَوَجَدَ
 دُونَهَا طَائِفَةٌ هُمْ أَوْضَعُ مِنْهُ بِجِهَةٍ أَوْ جِهَاتٍ. لِأَنَّ الْمَلِكَ الْأَعْظَمَ مَثَلًا
 وَإِنْ وَجَدَ نَفْسَهُ فِي مَحَلٍّ لَا يَرَى لِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ فِي رَمَانِهِ مَثَلَةً
 أَعْلَى مِنْ مَرَاتِبِهِ فَإِنَّهُ مَتَى تَأَمَّلَ حَالَهُ إِعْمًا وَجَدَ مِنْهُمْ مَنْ يَفْضُلُهُ
 بِنَوْعٍ مِنَ الْفَضِيلَةِ الْفَضِيلَةِ إِذْ لَيْسَ فِي أَجْزَاءِ الْعَالَمِ مَا هُوَ
 كَامِلٌ مِنْ جَمِيعِ الْجِهَاتِ. وَكَذَلِكَ الْوَضِيعُ الْخَامِلُ الَّذِي يُجِدُ
 فِي نَفْسِهِ أَشْيَاءَ لَمْ يَفْزُ بِهَا مِنْ هُوَ فَوْقَهُ. فَقَدْ صَحَّ مَا وَصَفْنَا. وَيَنْتَفِعُ
 الْخَطِيبُ بِاسْتِعْمَالِ السِّيَاسَاتِ مَعَ هَؤُلَاءِ الطَّبَقَاتِ الثَّلَاثِ... وَنَقُولُ
 أَيْضًا إِنَّ أَنْفَعَ الطَّرِيقِ الَّتِي يَسْلُكُهَا الْخَطِيبُ فِي ذَلِكَ تَأَمُّلُ أَحْوَالِ
 النَّاسِ وَأَعْمَالِهِمْ وَمَتَصَرَّفَاتِهِمْ مَا شَهِدَهَا وَمَا غَابَ عَنْهَا مِمَّا سَمِعَهُ
 وَتَنَامَى إِلَيْهِ مِنْهَا وَأَنْ يُعِينَ النَّظَرَ فِيهَا وَيُنِيرَ مُحَاسِنَهَا وَمَسَاوِيَهَا
 وَبَيِّنَ النَّافِعَ وَالضَّارَّ لَهُمْ مِنْهَا. ثُمَّ لِيَجْتَهِدَ فِي التَّمَسُّكِ بِخَاسِنِهَا وَحَضَرَ
 النَّاسِ عَلَى طَلِبِهَا لِيَمْلَأُوا مِنْ مَنَافِعِهَا وَمِثْلَ مَا نَالَهُ مِنْ تَقَدُّمِهِمْ وَيَجْتَهِدَ
 فِي التَّنْكِيبِ عَنْ مَسَاوِيهَا لِيَأْمَنَ مِنْ مَضَارِهَا وَيَسْلَمَ مِنْ غَوَائِلِهَا
 مِثْلَ مَا سَلِمُوا. وَنَقُولُ أَيْضًا إِنَّ لِكُلِّ شَخْصٍ مِنْ أَشْخَاصِ

الْأَناسُ قَوَاتِنِ إِحْدَاهُمَا نَاطِقَةٌ وَالْأُخْرَى بَهِيمَةٌ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا
 تَرَاعُ غَالِبٌ. وَتَرَاعُ الْقُرَّةُ الْبَهِيمَةُ نَحْوَ اللَّذَاتِ الْعَاجَةِ الشَّهْوَانِيَّةِ مِثْلَ
 أَنْوَاعِ الْعِذَاءِ وَتَرَاعُ الْقُرَّةُ الطَّمِيَّةُ نَحْوَ الْأُمُورِ الْعَمُودَةِ الْعَوَاقِبِ..
 فَعَلَى كُلِّ مَنْ يَرُشِدُ الْجُمْهُورَ وَيُخْضِطُّهُمْ عَلَى نَيْلِ الْقَضَائِلِ أَنْ لَا
 يَتَعَاقَلَ عَنْ تَخْوِضِهِمْ عَلَى مَا هُوَ أَضْلَعُ لَهُمْ وَأَنْ لَا يَهْلِكُهُمْ فَلَدَنَهُ مَتَى
 مَا أَهْمَلَهُمْ تَحَرَّكُوا نَحْوَ الطَّرَفِ الْآخِرِ الَّذِي هُوَ الْبَيْعِيُّ. وَإِذَا
 تَحَرَّكُوا نَحْوَهُ تَشَبَّهُوا بِبَعْضِ مَنْهُ حَتَّى إِذَا أَرَادَ رَدُّهُمْ عَمَّا تَحَرَّكُوا
 نَحْوَهُ لِحَقِّهِ مِنَ النَّصَبِ أَضْعَافَ مَا كَانَ يَلْقَاهُ إِذَا لَمْ يَكُنْ أَهْمَلَهُمْ.
 وَنَقُولُ أَيْضًا إِنَّ الْخَطِيبَ لَا يَتَّبِعُو فِي جَمِيعِ مَتَصَرِّفَاتِهِ وَنَ أَنْ يَلْقَى
 الْجُمْهُورَ مَائِلًا إِلَى أَسْرِ مَحْمُودٍ أَوْ أَسْرِ مَذْمُومٍ. وَلَهُ فِي كُلِّ وَاحِدٍ
 مِنَ الْأَمْرَيْنِ قَائِدَةٌ وَمَوْضِعُ رِيَاضَةٍ لِلتَّصَرُّفِ وَهُوَ أَنْ يُجَاوِلَ دَفْعَ
 السَّامِعِينَ إِلَى ذَلِكَ الْأَسْرِ الْعَمُودِ الَّذِي يَلْقَاهُ إِنْ وَجَدَ السَّبِيلَ إِلَى
 الدَّفْعِ إِلَيْهِ وَيَنْبَغِيهِمْ عَلَى فَضِيلَتِهِ وَيُوجِبُ عَلَيْهِمُ التَّمَسُّكَ بِهَا مَتَى
 وَجَدَ الْفُرْصَةَ لِذَلِكَ. وَإِذَا يَلْقَاهُ الْأَمْرُ الْمَذْمُومُ فَلْيَتَّخِذْ فِي التَّخْذِيرِ
 مِنْهُ وَالْتَّجَنُّبِ مِنْهُ. وَإِنْ لَمْ يَجِدْ إِلَى ذَلِكَ سَبِيلًا فَلْيَتَّخِذْهُمْ عَلَى
 الْإِعْتِبَارِ بِمَنْ نَالَهُمْ مَضَارٌّ مِثْلَهَا. فَقَدْ ظَهَرَ أَنَّ لِلْخَطِيبِ فِي جَمِيعِ
 أَحْوَالِهِ جُلُهَا وَدَقِّهَا خَيْرَهَا وَشَرُّهَا مَوْضِعَ الرِّيَاضَةِ لِنَفْسِهِ وَإِرْشَادِ
 الْجُمْهُورِ. وَإِذَا تَيَقَّنَ ذَلِكَ فَلْيَبْغِي أَنْ يُقَدِّمَ عَلَى سِيَاسَةِ الْأَحْوَالِ
 بِقَلْبٍ قَوِيٍّ وَنِيَّةٍ صَادِقَةٍ وَصَدْرٍ وَاسِعٍ وَثِقَةٍ أَنْ مَا يَأْتِيهِ مِنْ ذَلِكَ
 وَإِنْ قَلَّ يُجِدِّي عَلَيْهِ نَفْعًا يُجَلُّ. وَنَبْدَأُ بِتَعَهُّدِ الْخَطِيبِ لِلرُّؤَسَاءِ إِنَّهُ

يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُلَازِمًا لِمَا هُوَ فِي صَدَدِهِ مُوَاطِّبًا عَلَى مَا فُوضَ
إِلَيْهِ وَلَا يَخْشَى الْمَلَالَ وَخَصُوصًا مِنَ الْمُلُوكِ. وَأَنْ يَكُونَ مُجْتَهِدًا فِي
طَلَبِ وَجْهِهِ حَسَنِ لِكُلِّ مَا يَطْلُبُهُ مِنْهُمْ إِذَا لَا شَيْءَ مِنَ الْأُمُورِ
فِي الْعَالَمِ إِلَّا وَلَهُ وَجْهَانِ أَحَدُهُمَا جَمِيلٌ وَالْآخَرُ قَبِيحٌ فَلْيَطْلُبْ لِكُلِّ
أَمْرٍ مِنْ أُمُورِهِ وَجْهًا جَمِيلًا يَصْرِفُهُ إِلَيْهِ وَيَتَكَلَّفْ لِذِكْرِهِ بِحَضْرَتِهِ
فَإِنَّ الْخَطِيبَ الْمُفَوَّضَ إِلَيْهِ تَذْيِيرُ ذَلِكَ الرَّئِيسِ كَالسَّيْلِ الْخُحْدَرِ مِنَ
الرُّبُوعَةِ إِنْ أَرَادَ الْمَرْءُ أَنْ يُوَاجِهَهُ أَهْلَكَ نَفْسَهُ وَآتَى عَلَيْهِ السَّيْلُ
فَاغْرَقَهُ. وَإِنْ سَعَى مَعَهُ وَعَلَى جَانِبِهِ وَتَلَطَّفَ لِيَصْرِفَهُ إِلَى النَّاحِيَةِ
بِأَنْ يَطْرَحَ فِي بَعْضِ جَوَانِبِهِ مَقْدَارًا مِنَ السُّدَدِ وَيَطْرُقَ لَهُ مِنْ
الْجَانِبِ الْآخَرَ لَا يَنْشَبُ أَنْ يَصْرِفَهُ إِلَى حَيْثُ شَاءَ. فَيَنْبَغِي لَهُ كَذَلِكَ
أَنْ يَسْتَعْمِلَ مَعَ الرَّئِيسِ فِي صَرْفِ وَجْهِهِ عَمَّا يُرِيدُ صَرْفَهُ عَنْ أَمْرٍ
يُرِيدُ أَنْ يَجْرَى مَعَهُ فِيمَا هُوَ جَارٍ تَحْوَهُ وَلَا يُوَاجِهَهُ وَإِنْ كَانَ فِي
غَايَةِ الْإِنْسَاطِ مَعَهُ وَلَا يُقَرَّرُ بِمَا يُلْقَى مِنْهُ إِلَى النَّاسِ بِمَا يُسْتَقْبَحُ
فَسَيَانِ بَيْنَ الْخَبَرِ وَالْإِقْرَارِ.. وَيَنْبَغِي أَنْ يَتَلَطَّفَ كُلُّ التَّلَطُّفِ فِي
مِثْلِ الْمَنَافِعِ مِنْ جِهَةِ الرُّؤَسَاءِ بِأَنْ لَا يُبْلَغَ فِي السُّؤَالِ وَلَا يُدِيمُهُ
وَلَا يُظْهِرَ الطَّمَعَ وَالشَّرَّهَ مِنْ نَفْسِهِ وَيَجْتَهِدَ فِي أَنْ يَطَّابَ مِنْ
الرُّؤَسَاءِ أَسْبَابَ الْمَنَافِعِ لَا الْمَنَافِعَ أَنْفُسَهَا.. وَلْيَجْتَهِدَ فِي أَنْ يُظْهِرَ
فِي كُلِّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ أَنَّهُ إِنَّمَا يَفْعَلُهُ زِينَةً وَجَمَالًا لِلرَّئِيسِ لَا
لِنَفْسِهِ وَأَنَّهُ يُرِيدُ وَجْهَ الصَّلَاحِ فِي خِلَافِ مَا يَأْتِيهِ وَيَذْكُرُهُ فِي
الْوَقْتِ بَعْدَ الْوَقْتِ عَلَى سَبِيلِ الْحِكَايَاتِ عَنْ غَيْرِهِ وَالْحِلَلِ الطَّيِّمَةِ

بَعْضَ مَا يَعْزُضُ بِمَا هُوَ فِيهِ. فَإِنَّهُ مَتَى مَا اسْتَعْمَلَ هَذِهِ الطَّرِيقَ لَا يَنْشُبُ أَنْ يَبُودَ الْحَالُ بُرَادِهِ.. وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّ لِلرُّؤْسَاءِ هِمًّا يَنْفَرِدُونَ بِهَا عَنْ سِوَاهُمْ مِنَ النَّاسِ وَهِيَ أَنَّهُمْ يَنْتَقِدُونَ فِي جَمِيعِ مَنْ دُونَهُمْ الْأَسْتِخْدَامَ وَالْأَسْتِعْبَادَ وَفِي أَنْفُسِهِمُ الْإِعَابَةَ فِي جَمِيعِ مَا يَأْتُونَ وَإِنَّمَا يَحْدُثُ هَذَا بِهَيْئَتِهِمْ لِكَثْرَةِ مَدْحِ النَّاسِ لَهُمْ وَإِطْرَائِهِمْ أَعْمَالَهُمْ وَتَضَوِّيهِمْ آرَاءَهُمْ

فَهَذِهِ قَوَائِنُ يَنْتَفِعُ بِاسْتِعْمَالِهَا الْخَطِيبُ فِي مَعَاشِرِ الرُّؤْسَاءِ الَّتِي يَتَّبِعِي أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا الْمَرْءُ مَعَ الْأَكْفَاءِ فَسَنَذَكِّرُ مِنْهَا جُمْلًا وَنَقُولُ إِنَّ الْأَكْفَاءَ لَا يَخْلُو مَنْ أَنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ أَوْ أَعْدَاءَ أَوْ لَيْسُوا بِأَصْدِقَاءَ وَلَا أَعْدَاءَ. وَالْأَصْدِقَاءُ عِثْمَانُ أَخَذَهُمَا الْأَعْفِيَاءُ الْخُلَاصُونَ فِي الصَّدَاقَةِ فَيَنْبَغِي لِلْمُسْكَلَمِ أَنْ يُدِيمَ مُلَاطَفَتَهُمْ وَتَعَهُدَ أَسْبَابَهُمْ وَإِهْدَاءَ مَا يَسْتَحْسِنُهُ وَمَا يَتَسَرَّ لَهُ إِلَيْهِمْ فِي كُلِّ وَقْتٍ. وَيَحْيِي الْحَالُ فِيمَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ بِذَلِكَ بَعِيرٌ أَنْ يُظْهِرَ مِنْهُ مَلَالًا أَوْ تَقْصِيرًا وَيَجْتَهِدَ فِي الْإِكْتِسَارِ مِنْهُمْ غَايَةَ الْجُهْدِ فَإِنَّ الصَّدِيقَ زَيْنُ الْمَرْءِ وَعَضُدُهُ وَعَوْنُهُ وَنَاصِرُهُ وَمُذِيعُ قَضَائِلِهِ وَكَاتِمُ هَفَوَاتِهِ وَخُفْيِ زَلَّاتِهِ وَمَهْمَا كَانَ هُوَلَاءُ أَكْثَرَ كَانَتْ أَحْوَالُ الْخَطِيبِ فِيمَا بَيْنَهُمْ أَحْسَنَ وَأَقْوَمَ. وَالصِّفُّ الْآخَرُ آيُ الْأَصْدِقَاءِ فِي الظُّرَاهِرِ عَنْ لَا صِدْقٍ فِيمَا يُظْهِرُونَهُ بَلْ يَتَشَبَّهُ وَتَضَعُ فَيَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ أَنْ يُعَامِلَهُمْ بِدَارَةِ وَيُحْسِنَ إِلَيْهِمْ وَلَا يُطْلِمَهُمْ عَلَى شَيْءٍ مِنْ أَسْرَارِهِ وَخُصُوصًا مِنْ غُيُوبِهِ. وَلْيَجْتَهِدْ فِي اسْتِمَالَتِهِمْ وَالصَّبْرِ مَعَهُمْ وَمُعَامَلَتِهِمْ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ

دُونَ أَخْذِهِمْ بِالْبَاطِنِ وَلَا يَأْخُذُهُمْ بِالتَّقْصِيرِ فَإِنَّهُ مَهْمَا عَمِلَ ذَلِكَ
 يُرْجَى صَلَاحُهُمْ وَرُجُوعُهُمْ إِلَى مُرَادِهِ وَأَمَلُهُمْ يَصِيرُونَ فِي رُتْبَةِ
 الْأَضْيَاءِ لَهُ . أَمَّا الْأَكْفَاءُ الْأَعْدَاءُ فَيَنْبَغِي لِلخُطِيبِ أَنْ يَجْلِدَهُمْ
 وَيَكْشِفَ دَسَائِسَهُمْ وَدَغَلَ نِيَّاتِهِمْ . وَأَمَّا سَائِرُ النَّاسِ الَّذِينَ لَيْسُوا
 بِصَادِقٍ وَلَا عَدُوٍّ فَهُمْ طَبَقَاتٌ سَنَذَرُ جُلُهَا فَمَنْهُمْ الصُّلَحَاءُ الَّذِينَ
 يَتَّبِعُونَ بِالنَّصِيحَةِ فَأَلْوَجِبُ أَنْ لَا يَذْكُرَ كُلُّ مَا يُنْهَى إِلَيْهِ
 وَيَغْزَمَ عَلَى قَلْبِهِ أَوَّلًا بَلَّغَ لَا يَغْتَرُ بِكُلِّ قَوْلٍ يَسْمَعُهُ بَلَّ يَتَأَمَّلُ
 أَقْوَالَهُمْ وَيَتَعَرَّفَ أَغْرَاضَهُمْ غَايَةَ التَّعَرُّفِ لِيَقِفَ مَعَ مَعْرِفَةِ أَغْرَاضِهِمْ
 عَلَى حَقِيقَةِ أَقْوَالِهِمْ فَإِذَا لَاحَ لَهُ وَجْهُ الصَّوَابِ حَقِيقَةً بَادَرَ إِلَى
 إِنْفَاقِ الْأَمْرِ . وَنَهْمُ الصُّلَحَاءِ وَهُمْ أَنْاسٌ يَتَّبِعُونَ لِإِغْلَاحِ
 مَا بَيْنَ النَّاسِ فَيَجِبُ عَلَى الخُطِيبِ أَنْ يُمَدِّحَهُمْ أَبْدًا عَلَى مَا يَفْعَلُونَهُ
 وَأَنْ يَنْشَبَّهُ بِهِمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ فَإِنَّ مَذَاهِبَهُمْ مَرْضِيَّةٌ عِنْدَ
 كُلِّ النَّاسِ وَمِنْهَا مَالُ الخُطِيبِ إِلَيْهِمْ عُرِفَ بِالْخَيْرِ وَحَسَنَ
 النَّيَّةِ . وَنَهْمُ السُّفَهَاءِ فَيَجِبُ عَلَى الخُطِيبِ أَنْ لَا يُؤَايِتَهُمْ وَلَا
 يُقَابِلَهُمْ بِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ السَّفَاهَةِ بَلَّ يَتَلَقَّاهُمْ أَبَدًا بِحِلْمٍ رَزِينٍ
 وَسُكُونٍ بَلِغٍ لِيُنَاسُوا مِنْ مَنَاالِهِمْ بِمَا هُمْ فِيهِ وَلَا يُؤْذُوهُ بَعْدَ
 ذَلِكَ مَتَى يَلْقَوُهُ بِالْمُشَافَهَةِ فَيَجِبُ أَنْ يَتَلَقَّاهُمْ بِقَلَّةِ الْأَكْثَرِاثِ .
 وَمِنْهُمْ أَهْلُ الْكِبَرِ وَالْمُنَاقَشَةِ فَيَجِبُ أَنْ يُقَابِلَهُمْ بِمِثْلِهِ لِأَنَّهُ إِنْ
 تَوَاضَعَ لَهُمْ أَحْسَنُوا مِنْهُ بِضَعْفٍ وَتَوَهَّوْا أَنْ يَفْعَلَهُمْ ذَلِكَ صَوَابٌ
 وَأَنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوَاضُعِ لَهُمْ . وَمَتَى تَكَبَّرَ الْمَرْءُ عَلَيْهِمْ

وَكَاثُرُهُمْ فِي الْأَحْوَالِ وَتَاذُوا بِهِ عِلْمُوا أَنَّ الذَّنْبَ فِي ذَلِكَ لَهُمْ
وَرَجَعُوا إِلَى التَّوَّاضِعِ.

وَأَمَّا الَّذِي يَتَّبِعِي لِلْخُطِيبِ أَنْ يَسْتَعْمِلَهُ مَعَ مَنْ دُونَهُ مِنَ
النَّاسِ فَإِنَّا نَصِفُ مِنْهُ مَا تَيَسَّرَ وَنَقُولُ : فَمِنْهُمْ الضُّعَفَاءُ فَجِبُّ أَنْ
يَتَّعِدَهُمْ بِالْمُوَاسَاةِ وَرِقَّةِ الْكَلَامِ بِغَايَةِ مَا أَمَكَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يُخِلَّ بِأَحْوَالِ نَفْسِهِ . وَمِنْهُمْ الْمُتَعَلِّمُونَ فَإِنْ كَانُوا أُولَى طَبَائِعِ رَدِيئَةٍ
يَقْصِدُونَ الْعُلُومَ لِيَسْتَعْمِلُوهَا فِي الشُّرُورِ فَعَلَى الْخُطِيبِ أَنْ يُجْلِسَهُمْ
عَلَى تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ وَلَا يُعَلِّمَهُمْ شَيْئًا يَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَسْتَعْمِلُونَهُ فِيمَا لَا
يَجِبُ وَيَجْتَهِدُ فِي كَشْفِ مَا هُمْ عَلَيْهِ مِنْ رَدَائِقِ الطَّبَعِ لِيُخَدِّرَهُمْ مِنْهُ .
وَمِنْهُمْ الْبُلْدَاءُ الَّذِينَ لَا يُرْجَى ذَكَرُهُمْ وَبَرَائَتُهُمْ فَيَنْبَغِي أَنْ يُخْشِئَهُمْ
عَلَى مَا هُوَ أَعْوَدُ عَلَيْهِمْ . وَمِنْهُمْ الْمُتَعَلِّمُونَ ذَوُو الْأَخْلَاقِ الطَّاهِرَةِ
وَالطَّبَائِعِ الْحَيَّةِ فَيَجِبُ أَنْ لَا يَدَّخِرَهُمْ شَيْئًا مِمَّا عِنْدَهُ مِنَ الْعُلُومِ ..
فَهَذِهِ أُصُولُ وَقَوَائِنُ مَتَى مَا اسْتَعْمَلَهَا الْخُطِيبُ فِي كَلَامِهِ وَقَاسَ
عَلَيْهَا فِي مُتَصَرِّفَاتِ أُمُورِهِ وَأَسْبَابِهِ اسْتَقَامَتْ بِهِ أَخْرَاجُهُ وَجُعَ فِي
الْقَوْمِ كَلَامُهُ



الفصل الخامس

في الاخلاق والاهواء

البحث الاول

في تعريف الاخلاق

(من كتاب تهذيب الاخلاق لركيأ بن عدي)

(راجع صفحة ٣ من الجزء الثاني من علم الادب)

إِنَّ الْخُلُقَ هُوَ حَالٌ بِهِ يَفْعَلُ الْإِنْسَانُ أَعْمَالَهُ بِسَلَا رَوِيَّةٍ وَلَا
 اخْتِبَارٍ. وَالْخُلُقُ قَدْ يَكُونُ فِي بَعْضِ الْمَاسِ غَوِيَّةً وَطَبْعًا وَفِي بَعْضِ
 النَّاسِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالرِّيَاضَةِ وَالْإِجْتِهَادِ. وَقَدْ يُوجَدُ فِي كَثِيرٍ
 مِنَ النَّاسِ بَغْيٌ رِيَاضَةً وَلَا تَعْلَمُ كَأَشْجَاعَةٍ وَالْجُلْمِ وَالْعِقَّةِ وَالْعَدْلِ
 وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْمَحْمُودَةِ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ يُوجَدُ فِيهِمْ
 ذَلِكَ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَصِيرُ إِلَيْهِ بِالرِّيَاضَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَبْقَى عَلَى عَادَتِهِ
 وَيَجْرِي عَلَى مَسِيرَتِهِ. فَأَمَّا الْأَخْلَاقُ الْمَذْمُومَةُ فَلَا تَنَالُ فِي كَثِيرٍ مِنَ
 النَّاسِ كَالْجُلِّ وَالْجُبْنِ وَالْتَّشَرُّرِ فَإِنَّ هَذِهِ الْعَادَاتِ غَالِبَةٌ عَلَى أَكْثَرِ
 النَّاسِ مَا لَكِنَّهُمْ مُتَسَلِّطَةٌ عَلَيْهِمْ بَلْ قِيلَ لَا يُوجَدُ فِي النَّاسِ مَنْ
 يَخْلُو مِنْ خُلُقٍ مَكْرُوهٍ وَيَسْلَمُ مِنْ جَمِيعِ الْعُيُوبِ وَلَكِنَّهُمْ يَتَفَاضُّونَ

فِي ذَلِكَ كَمَا يَتَفَاضَلُونَ فِي الْأَخْلَاقِ الْحَمْدُودَةِ. وَقَدْ يَخْتَلِفُ النَّاسُ
فِي الْأَخْلَاقِ الْحَمْدُودَةِ بِالتَّفَاعُلِ إِلَّا أَنَّ الْحَبُوبِينَ عَلَى الْأَخْلَاقِ
الْجَمِيلَةِ قَلِيلُونَ جِدًّا وَالْمُبْغِضِينَ لَهَا كَثِيرُونَ. قَامًا الْحَبُوبُونَ عَلَى
الْأَخْلَاقِ السَّيِّئَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ لِأَنَّ الْعَالِبَ عَلَى طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ
الشَّرُّ. وَذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا اسْتَرْسَلَ مَعَ طَبِيعِهِ وَلَمْ يَسْتَعِزْ
بِالْفِكْرِ وَلَا التَّمْيِيزِ وَلَا الْحَيَاءِ وَلَا التَّحْفُظِ فِي جَمِيعِ أَعْمَالِهِ كَانَ الْعَالِبُ
عَلَيْهِ أَخْلَاقُ الْبَهَائِمِ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَتَمَيَّزُ عَنِ الْبَهَائِمِ
بِالْفِكْرِ وَالتَّمْيِيزِ فَقَطُّ فَإِذَا لَمْ يَسْتَعِزَّ بِهَا كَانَ مُشَارِكًا لَهَا فِي
عَادَاتِهَا وَالشَّهَوَاتِ مُسْتَوِلِيَّةً عَلَيْهِ وَالْحَيَاءُ غَائِبٌ عَنْهُ وَالْقَضْبُ مُسْتَقْبَرٌ
بِهِ وَالسَّكِينَةُ غَيْرُ حَاضِرَةٍ عِنْدَهُ وَالْخَرَصُ وَالْإِحْتِشَادُ دَيْدَنُهُ وَالشَّرُّ
لَا يُفَارِقُهُ. وَإِذَا كَانَ النَّاسُ مَطْبُوعِينَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الرَّدِيَّةِ
مُنْقَادِينَ لِلشَّهَوَاتِ الدُّنْيَا وَقَعَ الْإِفْتِقَارُ إِلَى الشَّرَائِعِ وَالسُّنَنِ
وَالسِّيَاسَاتِ الْحَمْدُودَةِ وَعَظُمَ الْإِثْتِمَاعُ بِالْمُلُوكِ الْحَسَنِ السَّيِّدِ
لِيَرُدُّوا الظَّالِمَ عَنْ ظُلْمِهِ وَيَنْعَمُوا بِالْعَاصِبِ عَنْ غَضَبِهِ وَيَعَايِبُوا الْفَاجِرَ
عَلَى جُورِهِ وَيَقْبَعُوا الْخَائِرَ حَتَّى يَعُودَ إِلَى الْإِعْتِدَالِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ.
أَمَّا الْأَخْلَاقُ الْمَكْرُوهَةُ فِي طِبَاعِ النَّاسِ فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَظَاهَرُ بِهَا
وَيُنْقَادُ إِلَيْهَا وَهُمْ أَشْرَارُ النَّاسِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَنَبَّهُ بِجُودَةِ الْفِكْرِ وَقُوَّةِ
التَّمْيِيزِ عَلَى قَبِيحِهَا فَيَأْتِفُ مِنْهَا وَيَتَحَنَّنُ لِاجْتِنَائِهَا (١) وَذَلِكَ يَكُونُ
عَنْ طَبْعِ كَرِيمٍ وَنَفْسٍ شَرِيفَةٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَتَنَبَّهُ لِذَلِكَ إِلَّا أَنَّهُ

إِذَا بُنِيَ عَلَيْهِ أَحْسَنُ بِفَتْحِهِ فَرَبَّمَا حَمَلَ نَفْسَهُ عَلَى تَرْكِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا
تَنَبَّهَ إِلَى مَا فِيهِ مِنَ الْقَانِصِ أَوْ بُنِيَ عَلَيْهَا وَرَامَ الْعُدُولَ عَنْهَا تَعَدَّرَ
عَلَيْهِ ذَلِكَ وَلَمْ يُطَاوِعْهُ طَبْعُهُ وَلَوْ كَانَ مُؤْتَرًّا لِلْعُدُولِ عَنْهَا مُجْتَهِدًا فِي
ذَلِكَ . وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ تَحْتَاجُ أَنْ تُرْشَدَ إِلَى طَرِيقِ التَّدْرِبِ وَالتَّعَلُّمِ
بِالْعَادَاتِ الْحَمُودَةِ حَتَّى تَصِيرَ إِلَيْهَا عَلَى التَّذْرِيعِ . وَمِنْ النَّاسِ مَنْ
إِذَا تَنَبَّهَ عَلَى الْأَخْلَاقِ الرَّدِيئَةِ أَوْ بُنِيَ عَلَيْهَا فَلَا يَجْنُ إِلَى تَجَنُّبِهَا وَلَا
تَسْحُ نَفْسُهُ بِمُفَارَقَتِهَا بَلْ يُؤْثِرُ الْأَضْرَارَ عَلَيْهَا مَعَ عِلْمِهِ بِرَدَائِئِهَا
وُقُبْحِهَا وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ لَيْسَ إِلَى تَهْذِيبِهَا طَرِيقٌ إِلَّا بِالْقَهْرِ
وَالْعُقُوبَةِ إِنْ لَمْ يَرُدَّعَهَا التَّخْوِيفُ وَالتَّرْهِيبُ . فَأَمَّا الْأَخْلَاقُ الْحَمُودَةُ
فَأَنَّهَا وَإِنْ كَانَتْ فِي بَعْضِ النَّاسِ غَرِيزِيَّةً فَلَيْسَتْ فِي جَمِيعِهِمْ
فَعَلَى الْبَاقِينَ أَنْ يَصِيرُوا إِلَيْهَا بِالتَّدْرِبِ وَالزِّيَادَةِ وَيَرْتَقُوا إِلَيْهَا
بِالْإِعْتِيَادِ وَالتَّأَلُّفِ وَقَدْ يُوجَدُ فِي بَعْضِ النَّاسِ مَنْ لَا يَقْبَلُ
طَبْعُهُ الْعَادَاتِ الْحَسَنَةَ وَلَا الْأَخْلَاقَ الْجَمِيلَةَ وَذَلِكَ يَكُونُ لِرَدَاءَةِ
جَوْهَرِهِ وَخُبْثِ عُنْصُرِهِ . وَهَذِهِ الطَّائِفَةُ مِنْ جُمْلَةِ الْأَشْرَارِ الَّذِينَ لَا
يُرْجَى صَلَاحُهُمْ . وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَقْبَلُ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْلَاقِ
الْحَمُودَةِ وَيَأْتِفُ طَبْعُهُ عَنْ بَعْضِهَا فَلَا يُعَدُّ هَذَا شَرًّا بَلْ تَكُونُ
رُبَّتُهُ فِي الْخَيْرِ وَالتَّهْذِيبِ بِحَسَبِ مَحَاسِنِهِ



البحث الثاني

في الاخلاق الحسنة

(من كتاب تهذيب الاخلاق لركريا بن عدي)

(راجع صفحة ٤٧ من الجزء الثاني من علم الادب)

أَمَّا الْأَخْلَاقُ الَّتِي تُعَدُّ فَضَائِلَ فَإِنَّ مِنْهَا (الْعِفَّةَ) وَهِيَ ضَبْطُ
النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ وَقَسْرُهَا عَلَى الْإِسْقَاءِ بِمَا يُقِيمُ أَوْدَ الْجَسَدِ
وَيَحْفَظُ صِحَّتَهُ فَقَطُّ وَاجْتِنَابُ السَّرَفِ وَالْتِقْصِيرِ فِي جَمِيعِ
الذَّاتِ وَقَضْدُ الْأَعْتِدَالِ . وَأَنْ يَكُونَ مَا يُقْتَصَرُ عَلَيْهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ عَلَى
الْوَجْهِ الْمُسْتَحَبِّ الْمُنْفَقِ عَلَى الْإِرْتِضَاءِ بِهِ وَفِي أَوْقَاتِ الْحَاجَةِ الَّتِي لَا
غِنَاءَ عَنْهَا وَعَلَى الْقَدْرِ الَّذِي لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَكْثَرِ مِنْهُ . وَهَذِهِ الْحَالَةُ هِيَ
غَايَةُ الْعِفَّةِ

(وَمِنْهَا أَيْضًا الْقَنَاعَةُ) وَهِيَ الْإِقْتِصَارُ عَلَى مَا مَسَحَّ مِنَ الْعَيْشِ
وَالرِّضَى بِمَا تَسَهَّلَ مِنَ الْمَعَاشِ وَتَرَكَ الْخِرْصَ عَلَى اكْتِسَابِ الْأَمْوَالِ
وَطَلَبِ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ مَعَ الرِّغْبَةِ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ وَإِثَارِهِ وَالْمِيلِ إِلَيْهِ
وَقَهْرِ النَّفْسِ عَلَى ذَلِكَ وَالْقَنَعِ بِالْيَسِيرِ مِنْهُ . وَهَذَا الْخُلُقُ مُسْتَحْسَنٌ
مِنْ أَوَاسِطِ النَّاسِ وَأَصَاغِرِهِمْ فَأَمَّا الْمُلُوكُ وَالْعُظَمَاءُ فَلَيْسَ ذَلِكَ
مُسْتَحْسَنًا مِنْهُمْ وَلَا تُعَدُّ الْقَنَاعَةُ مِنْ فَضَائِلِهِمْ
(وَمِنْهَا التَّصَوُّنُ) وَهُوَ التَّحْفُظُ مِنَ التَّبَدُّلِ . فَمِنَ التَّصَوُّنِ التَّحْفُظُ

مِنَ اهْزَلِ الْقَبِيحِ وَمُخَالَطَةِ أَهْلِهِ وَحُضُورِ مَجَالِسِهِ وَضَبْطِ اللِّسَانِ عَنِ
الْفُحْشِ وَذِكْرِ الْحَيَا وَالْمَزْحِ وَالسَّخِيفِ وَخَاصَّةً فِي الْحَافِلِ وَمَجَالِسِ
الْمُتَشَبِّهِينَ إِذَا لَا أَهْبَةَ لِمَنْ يُسْرِفُ فِي الْمَزْحِ وَيُفْحِشُ فِيهِ . وَمِنْ
الْتَّصُّونِ الْإِنْقِبَاضُ عَنِ أَدْنِيَاءِ النَّاسِ وَأَصَاغِرِهِمْ وَمَصَادِقَتِهِمْ وَمُجَالَسَتِهِمْ
وَالْتَّعَرُّزُ مِنَ الْعَيْشَةِ الزَّرِّيَّةِ وَاصْتِنَابِ الْأَمْوَالِ مِنَ الْوُجُوهِ
الْحَسِيْسَةِ وَالْإِرْفَعُ عَنِ طَائِفِ الْحَاجَاتِ مِنْ لِيَامِ النَّاسِ وَسَفَلَتِهِمْ
وَالْتَّوَاضِعُ لِمَنْ لَا قَدْرَ لَهُ وَالْإِقْلَالُ مِنَ الْبُرُوزِ أَغْيِ الطَّوَافِ مِنْ
غَيْرِ اضْطِرَّارٍ وَالتَّبَدُّلُ بِالْجُلُوسِ فِي الْأَسْوَاقِ وَقَوَارِعِ الطَّرِيقِ مِنْ
غَيْرِ حَاجَةٍ حَيْثُ إِنَّ الْأَكْثَارَ مِنْ ذَلِكَ لَا يَتَخَلَّوْنَ مِنَ الْعُيُوبِ
فَإِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ قَدَرًا كَمَا قِيلَ مَنْ ظَهَرَ أَسْمُهُ وَخَفِيَ حِسْنُهُ

(وَمِنْهَا الْحِلْمُ) وَهُوَ تَرْكُ الْإِنْتِقَامِ عِنْدَ شِدَّةِ الْغَضَبِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى
ذَلِكَ وَهَذَا الْحَالُ مَحْمُودٌ مَا لَمْ يُؤَدَّ إِلَى ثَلَمٍ جَاهٍ أَوْ فُسَادِ سِيَاسَةٍ وَهُوَ
بِالْمَوْلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ أَحْسَنُ لَأَنَّهُمْ أَقْدَرُ عَلَى الْإِنْتِقَامِ مِنْ مُغْضِييهِمْ .
وَلَا يُعَدُّ فَضِيلَةً جَانِبُ الصَّغِيرِ عَلَى الْكَبِيرِ وَإِنْ كَانَ قَادِرًا عَلَى مُقَابَلَتِهِ
فِي الْحَالِ فَإِنَّهُ وَإِنْ أَمْسَكَ عَنْهُ فَإِنَّمَا يُعَدُّ ذَلِكَ مِنْهُ خَوْفًا لَا جِلْمًا
(وَمِنْهَا الْوَقَارُ) وَهُوَ الْإِمْسَاكُ عَنْ فُضُولِ الْكَلَامِ وَالْعُتْبِ

وَكَثْرَةِ الْإِشَارَةِ وَالْحُرْكََةِ فِيمَا يُسْتَعْنَى عَنِ التَّحَرُّكِ فِيهِ وَقَوْلُهُ الْقَضْبُ
وَالْإِضْغَاعُ عِنْدَ الْإِسْتِفْهَامِ وَالتَّوَقُّفُ عِنْدَ الْجَوَابِ وَالتَّحْفُظُ عِنْدَ السَّرْعَةِ
وَالْمُبَادَرَةُ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ . وَمِنْ قِيَلِ الْوَقَارِ أَيْضًا الْحَيَاءُ وَهُوَ
غَضُّ الطَّرْفِ وَالْإِنْقِبَاضُ مِنَ الْكَلَامِ حِشْمَةٌ لِلْمُسْتَحْيِينَ مِنْهُ وَهَذِهِ

الْعَادَةُ مُحْمُودَةٌ مَا لَمْ تَكُنْ صَادِرَةً عَنْ عِيٍّ أَوْ غَيْرٍ
 (وَمِنْهَا الْوُدُّ) وَهُوَ الْحُبُّ الْمُتَعَدِّلُ مِنْ غَيْرِ اتِّبَاعِ الشَّهْوَةِ
 وَالْوُدُّ مُسْتَحْسَنٌ مِنَ الْإِنْسَانِ إِذَا كَانَ لِأَهْلِ الْفَضْلِ وَالْثَبَلِ
 وَذَوِي الْوَقَارِ وَالْأَهْلِ وَالْمُتَمَيِّزِينَ مِنَ النَّاسِ. فَأَمَّا التَّوَدُّدُ إِلَى أَرَادِلِ
 النَّاسِ وَأَصَاغِيرِهِمْ وَأَهْلِ الْخِلَاعَةِ وَمَا شَابَهُهُمْ فَكَرُوهٌ جَدًّا. وَحَسَنُ
 الْوُدِّ مَا تَسَجَّتهُ عَلَى مَنَوَالٍ مُنَاسِبٍ لِلْفَضَائِلِ وَهُوَ أَوْثَقُ الْوُدِّ وَابْتَنَتْهُ
 فَأَمَّا مَا كَانَ أَبْدَاؤُهُ اجْتِمَاعًا عَلَى هَزَلٍ أَوْ طَلَبِ لَذَّةٍ وَمَا شَابَهُ ذَلِكَ
 فَانْسَ بِحُمُودٍ وَلَا بَاقٍ وَلَا ثَابِتٍ وَرُبَّمَا أَفْضَى إِلَى الشَّرِّ

(وَمِنْهَا الرَّحْمَةُ) وَهِيَ خُلُقٌ مُرَكَّبٌ مِنَ الْوُدِّ وَالْجَرِّ وَالرَّحْمَةُ لَا
 يَكُونُ إِلَّا لِمَنْ يَظْهَرُ مِنْهُ لِرَاحِمِهِ خَلَّةٌ مَكْرُوهَةٌ أَمَّا نَقِصَةُ فِي
 نَفْسِهِ وَأَمَّا مَخِئَةٌ عَارِضَةٌ لَهُ. فَالرَّحْمَةُ هِيَ حُبُّهُ لِلْمَرْحُومِ مَعَ جَزَعٍ وَنَ
 الْحَالَةِ أَلَّتِي رُحِمَ لِأَجْلِهَا. وَهَذِهِ الْحَالَةُ مُسْتَحْسَنَةٌ مَا لَمْ تَخْرُجْ بِصَاحِبِهَا
 عَنْ الْعَدْلِ وَلَمْ تَتَلَسَّسْ بِهِ إِلَى الْجَوْرِ وَإِلَى فَسَادِ السِّيَاسَةِ. وَلَيْسَتْ
 بِحُمُودَةٍ رَحْمَةً الْقَائِلِ عِنْدَ الْقَوْدِ وَالْجَانِي عِنْدَ الْقِضَاصِ

(وَمِنْهَا الْوَفَاءُ) وَهُوَ الصَّبْرُ عَلَى مَا يَنْدَلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ
 وَيَرْهَنُ بِهِ لِسَانَهُ وَعَدَمُ الْخُرُوجِ مِمَّا يَضُمُّهُ وَلَوْ كَانَ مُفْرَطًا وَلَا
 يُعَدُّ وَفَاءً لَمْ يَلْحَقْهُ بَوْفَانِهِ أَذِيَّةٌ وَلَوْ قَلِيلَةٌ وَكُلَّمَا أَضَرَّ بِهِ الدُّخُولُ
 تَحْتَ مَا حَكِمَ بِهِ عَلَى نَفْسِهِ كَانَ أَبْلَغَ فِي الْوَفَاءِ. وَهَذَا الْخُلُقُ
 مُحْمُودٌ يَلْتَمِعُ بِهِ جَمِيعُ النَّاسِ فَإِنْ مَنْ عُرِفَ بِالْوَفَاءِ كَانَ مَقْبُولَ
 الْقَوْلِ عِنْدَ النَّاسِ فِي جَمِيعِ مَا يَعِدُ بِهِ وَمَنْ كَانَ مَقْبُولًا كَانَ عَظِيمَ

أَجَاهِ إِلَّا أَنْ أَنْتَفَاعَ الْمُلُوكِ بِهَذَا الْخَلْقِ أَنْفَعُ وَحَاجَتُهُمْ إِلَيْهِ أَشَدُّ
لِأَنَّهُ مَتَى عُرِفَ مِنْهُمْ قِلَّةُ الْوَفَاءِ لَمْ يُوثِقْ بِمَوَاعِيدِهِمْ وَلَمْ تَتِمَّ
أَغْرَاضُهُمْ وَلَمْ تَسْكُنِ الْيَهُمُ جُنْدُهُمْ وَأَعْوَانُهُمْ

(وَمِنْهَا آدَاءُ الْأَمَانَةِ) وَهُوَ التَّعَقُّفُ عَمَّا يَتَصَرَّفُ الْإِنْسَانُ فِيهِ
وَمِنْ مَالٍ غَيْرِهِ وَمَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْأَغْرَاضِ وَالْحَرَمِ مَعَ الْقُدْرَةِ
عَلَيْهِ وَرَدَّ مَا يُسْتَوْدَعُ إِلَى مُودِعِهِ

(وَمِنْهَا كِتْمَانُ السِّرِّ) وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنْ الْوَقَارِ وَآدَاءِ
الْأَمَانَةِ. فَإِنْ إِظْهَرَ السِّرَّ مِنْ فُضُولِ الْكَلَامِ. وَلَيْسَ بِوَقُورٍ مَنْ
تَكَلَّمَ بِالْفُضُولِ وَالْفُضُولِيُّ نَاقِصُ الشَّرَفِ. فَكَمَا أَنَّ مَنْ أَسْتَوْدَعَ
مَالًا فَأَخْرَجَهُ إِلَى غَيْرِ مُودِعِهِ فَقَدْ حَقَرَ الْأَمَانَةَ كَذَلِكَ مَنْ أَسْتَوْدَعَ
سِرًّا فَأَخْرَجَهُ إِلَى غَيْرِ صَاحِبِهِ فَقَدْ حَقَرَ الْأَمَانَةَ أَيْضًا. وَكِتْمَانُ السِّرِّ
مَحْمُودٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَخَاصَّةً مَنْ يَضَحِبُ السُّلْطَانُ وَأَوْلِيَاءُ الْأُمُورِ
فَإِنْ إِخْرَاجُهُ أَسْرَارَهُمْ قَبِيحٌ فِي نَفْسِهِ يُؤَدِّي إِلَى ضَرْبٍ عَظِيمٍ وَبَلَاءٍ
جَسِيمٍ

(وَمِنْهَا التَّوَاضُّعُ) وَهُوَ تَرْكُ التَّرَدُّسِ وَإِظْهَارُ الْخُضُولِ وَكَرَاهِيَةِ
التَّعْظِيمِ وَالزِّيَادَةِ فِي الْأَكْرَامِ وَأَنْ يَتَجَنَّبَ الْإِنْسَانُ الْمُبَاهَاةَ بِمَا
فِيهِ مِنَ الْقُضَائِلِ وَالْفَخَاخَةِ بِالْمَالِ وَالْأَجَاهِ وَأَنْ يَتَجَرَّزَ مِنَ الْأَعْجَابِ
وَالْكِبَرِ. وَلَا يُحْمَدُ التَّوَاضُّعُ إِلَّا مِنْ أَكْبَرِ النَّاسِ وَرُؤَسَائِهِمْ وَأَهْلِ
الْقُضَلِ وَالْعِلْمِ. وَأَمَّا مَا سِوَى هَؤُلَاءِ فَلَا يَكُونُونَ مُتَوَاضِعِينَ
بِالتَّوَاضُّعِ لِأَنَّ الضَّعْفَ هِيَ مُحَلُّهُمْ وَمَرْتَبَتُهُمْ وَلَوْ كَانُوا غَيْرَ مُتَضَعِينَ

(وَمِنْهَا الْبَشَرُ) وَهُوَ أَظْهَارُ الشَّرُورِ لِمَنْ يَلْقَاهُ الْإِنْسَانُ مِنْ
 إِخْوَانِهِ وَأَوْدَانِهِ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلِيَانِهِ وَمَعَارِفِهِ وَالتَّبَسُّمُ عِنْدَ اللَّقَاءِ. وَهَذَا
 الْخُلُقُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَهُوَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعُظَمَاءِ أَحْسَنُ
 لِأَنَّ الْبَشَرَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْوُلَاةِ تَتَأَلَّفُ بِهِ قُلُوبُ الرِّعْيَةِ وَالْأَعْوَانِ
 وَالْحَاشِيَةِ وَيَزْدَادُ بِهِ تَحَبُّبًا إِلَيْهِمْ وَلَا يُعَدُّ سَعِيدًا مِنَ الْمُلُوكِ أَوْ الْوُلَاةِ
 مَنْ كَانَ مُبْغِضًا لِرِعْيَتِهِ لِأَنَّ ذَلِكَ زُبَا أَدَّى إِلَى فُسَادِ أَمْرِهِ
 وَزَوَالِ حُكْمِهِ وَمُلْكِهِ

(وَمِنْهَا صِدْقُ اللَّهِ) وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ عَلَى مَا هُوَ عَلَيْهِ
 وَهَذَا الْخُلُقُ مُسْتَحْسَنٌ مَا لَمْ يُؤَدَّ إِلَى ضَرَرٍ مُفْطِرٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ
 بِمُسْتَحْسَنٍ عِنْدَ الْإِنْسَانِ إِنْ سُئِلَ عَنْ فَاحِشَةٍ كَانَ ارْتِكَابَهَا فَائِدَةً لَا
 يَنْفِي حُسْنَ صِدْقِهِ بِمَا يَلْحَقُهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْعَارِ وَالْمَنْقَصَةِ الْبَاقِيَةِ
 الْإِلَازِمَةِ. وَكَذَلِكَ لَيْسَ يَحْسُنُ صِدْقُهُ إِذَا سُئِلَ عَنْ مُسْتَجِيرِ اسْتِجَارَةٍ
 فَأَخْفَاهُ وَلَا إِنْ سُئِلَ عَنْ جَنَائَةٍ مَتَى صَدَقَ عَنْهَا عُوقِبَ عَلَيْهَا عُقُوبَةٌ
 مُؤَلِّمَةٌ. وَالصِّدْقُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَهُوَ مِنَ الْمُلُوكِ وَالْعُظَمَاءِ
 أَحْسَنُ فَلَا يَسْتَحْسِنُ الْكَذِبُ مَا لَمْ يُعَدَّ الصِّدْقُ عَلَيْهِمْ بِضَرَرٍ
 (وَمِنْهَا سَلَامَةُ النَّيَّةِ) وَهُوَ اعْتِقَادُ الْخَيْرِ بِجَمِيعِ النَّاسِ وَتَكْتِبُ
 الْخُبْنِ وَالْغِيْلَةَ وَالْمَكْرَ وَالْخَدِيعَةَ وَهَذَا الْخُلُقُ مُحْرَقٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ
 إِلَّا أَنَّهُ لَيْسَ يَضُرُّ لِلْمُلُوكِ الْخُلُقَ بِهِ دَائِمًا وَقَدْ لَا يَتِمُّ أَمْلَكُهُمْ إِلَّا
 بِاسْتِعْمَالِ الْمَكْرِ وَالْجَلِيلِ وَالْإِعْتِيَالِ مَعَ الْأَعْدَاءِ وَلَكِنْ لَا يَحْسُنُ
 بِهِمْ اسْتِعْمَالُهُ مَعَ أَخْصَانِهِمْ وَأَصْفِيَانِهِمْ وَأَهْلِ طَاعَتِهِمْ

(وَمِنْهَا السَّخَاءُ) وَهُوَ بَذْلُ أَمْوَالٍ مِنْ غَيْرِ مَسْأَلَةٍ وَلَا اسْتِحْقَاقٍ.
وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ مَا لَمْ يَنْتَهِ إِلَى السَّرَفِ وَالتَّبَذِيرِ فَإِنَّ مَنْ بَذَلَ
جَمِيعَ مَا يَمْلِكُهُ لِمَنْ لَا يَسْتَحِقُّهُ لَا يُسَمَّى سَخِيًّا بَلْ يُسَمَّى مُبَذِّرًا
وَمُضِيعًا. وَالسَّخَاءُ فِي سَائِرِ النَّاسِ فَضِيلَةٌ مُسْتَحْسَنَةٌ وَأَمَّا فِي الْمُلُوكِ
وَالْأَوْلِيَاءِ فَأَمْرٌ وَاجِبٌ لِأَنَّ الْجُبْلَ يُؤَدِّي إِلَى الضَّرَرِ الْعَظِيمِ فِي
الْأَحْكَامِ. وَالسَّخَاءُ وَالْبَذْلُ تَرْتَبُطُ بِهِمَا قُلُوبُ الرِّعْيَةِ وَأَخْجَدُ
وَالْأَعْوَانُ فَيَعْظُمُ الْإِتِّفَاعُ بِهِ

(وَمِنْهَا الشُّجَاعَةُ) وَهِيَ الْإِقْدَامُ عَلَى الْمَكَارِهِ وَالْمَهَالِكِ عِنْدَ
الْحَاجَةِ إِلَى ذَلِكَ وَثَبَاتُ الْجَأَشِ أَيْ الْقَلْبِ عِنْدَ الْخَوَافِ وَالْإِسْتِهَانَةِ
بِالْمَوْتِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَهُوَ بِالْمُلُوكِ
وَأَعْوَانِهِمْ أَلْيَقُ وَأَحْسَنُ بَلْ لَيْسَ يُسْتَحَقُّ لِلْمَلِكِ مِنْ عَدَمِ هَذِهِ
الْخِصْلَةِ. وَكَثُرَ النَّاسُ أَخْطَارًا وَأَخْرَجَهُمْ إِلَى اقْتِحَامِ أَعْمَرَاتِهِمْ
الْمُلُوكُ وَالْأَحْكَامُ فَالشُّجَاعَةُ إِذَا وَنَ أَخْلَاقُهُمْ الْخَاصَّةُ بِهِمْ

(وَمِنْهَا الْمُنَافَسَةُ) وَهِيَ مُنَازَعَةُ النَّفْسِ إِلَى التَّشَبُّهِ بِالنَّفِيرِ فِيمَا
يَرَاهُ وَيَرْغَبُ فِيهِ لِنَفْسِهِ وَالْأَجْتِهَادُ فِي التَّرَقِّي إِلَى دَرَجَةٍ أَعْلَى مِنْ
دَرَجَتِهِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مَحْمُودٌ إِذَا كَانَتْ الْمُنَافَسَةُ فِي الْقَضَائِلِ وَالْمَرَاتِبِ
الْعَالِيَةِ أَوْ فِيمَا يُكْسِبُ مَجْدًا وَسُودَدًا فَأَمَّا فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ اتِّبَاعِ
الشَّهَوَاتِ وَالْمُبَاهَاةِ بِالذَّاتِ وَارْتِنَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ فَكُرُوهٌ جَدًّا

(وَمِنْهَا الصَّبْرُ عِنْدَ الشَّدَائِدِ) وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْوَقَارِ
وَالشُّجَاعَةِ وَهُوَ مُسْتَحْسَنٌ جَدًّا مَا لَمْ يَكُنْ الْجَزَعُ نَافِعًا وَالْحُزْنُ وَالْقَلَقُ

مُجِدِّيًا وَلَا اجْتِهَادَ دَافِعَةً ضَرَرَ تِلْكَ الشَّدَائِدُ فَمَا أَحْسَنَ الصَّبْرَ إِذَا
عَدِمَتْ الْحِيلَةُ وَمَا أَقْبَحَ الْجَزَعَ إِذَا لَمْ يَكُنْ مُفِيدًا

(وَمِنْهَا عِظَمُ الْهَمَّةِ) وَهُوَ اسْتِصْعَارُ مَا دُونَ الْهَيَاةِ مِنْ مَعَالِي
الْأُمُورِ وَطَلَبُ الْمَرَاتِبِ السَّامِيَةِ وَاسْتِحْقَارُ مَا يَجُودُ بِهِ الْإِنْسَانُ عِنْدَ
الْعَطِيَّةِ وَالْإِسْتِحْقَافُ بِأَوَاسِطِ الْأُمُورِ وَطَلَبُ الْغَايَاتِ وَالتَّهَاقُوتُ بِمَا
يَمْلِكُهُ وَبَذْلُهُ لِمَنْ يَسْأَلُهُ مِنْ غَيْرِ أَمْتِنَانٍ وَلَا اعْتِدَادٍ بِهِ. وَهَذَا الْخُلُقُ
مِنْ خَصُوصِيَّاتِ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ وَقَدْ يَحْسُنُ بِالرُّؤَسَاءِ وَالْعُظَمَاءِ
وَمَنْ تَسْمُو نَفْسُهُ إِلَى مَرَاتِبِهِمْ . وَمَنْ عَظِمَ الْهَمَّةُ الْأَنْفَقَةُ وَالْحَيِيَّةُ
وَالْغَيْرَةُ . فَالْأَنْفَقَةُ هِيَ بُعْدُ النَّفْسِ عَنِ الْأُمُورِ الدُّنْيَا وَالْحَيِيَّةُ وَالْغَيْرَةُ
مَعَ وَالْعُصْبُ عِنْدَ الْإِحْسَاسِ بِالنَّفْسِ . وَتَلَحُّقُ الْإِنْسَانَ الْغَيْرَةُ عَلَى
الْحَرَمِ لِأَنَّ فِي التَّعَرُّضِ لَهَا عَارًا وَمَنْقُصَةً فَإِنَّ الْمُتَعَرِّضَ لِلْحَرَمِ
مُهْتَضِمٌ لِصَاحِبِهَا وَمُتَصَرِّفٌ فِي غَيْرِ حَقِّ لَهُ وَالْإِهْتِزَامُ نَقِصَةٌ
وَمِنْ أَعْظَمِ الْهَمَّةِ الْأَنْفَقَةُ مِنْهُ . وَهَذَا الْخُلُقُ مُسْتَحْسَنٌ جِدًّا مِنْ جَمِيعِ
النَّاسِ

(وَمِنْهَا الْعَدْلُ) وَهُوَ التَّنْقِصُ اللَّازِمُ لِلِاسْتِزَاءِ وَاسْتِعْمَالِ
الْأُمُورِ فِي مَوَاضِعِهَا وَأَوْقَاتِهَا وَوُجُوهِهَا وَمَقَادِيرِهَا مِنْ غَيْرِ سَرَفٍ
وَلَا تَقْصِيرٍ وَلَا تَقْدِيمٍ وَلَا تَأْخِيرٍ



البحث الثالث

في الاخلاق الرديئة

(من كتاب تهذيب الاخلاق لركريا بن عدي)

فَأَمَّا الْأَخْلَاقُ أَرْدِيَّةُ آتَتْ تُعَذِّبُ نَقَاصَ وَمَعَانِبَ فَإِنَّ وَنَهَا
الْفُجُورَ وَهُوَ الْإِنْهَالُ فِي الشَّهَوَاتِ وَالْإِسْتِكْثَارَ وَنَهَا وَإِنَارُ اللَّذَاتِ
وَالْإِدْمَانُ عَلَيْهَا وَأَرْكَابُ الْفَوَاحِشِ وَالْجَاهِرَةُ بِهَا بِالْجِلَّةِ السَّرْفُ
فِي جَمِيعِ الشَّهَوَاتِ. وَهَذَا الْخُلُقُ مَكْرُوهٌ جِدًّا يَهْدِمُ الْحَيَاءَ وَيَذْهَبُ
بِمَاءِ الْوَجْهِ وَيَخْرُقُ حِجَابَ الْجِلْمَةِ

(وَمِنْهَا الشَّرُّ) وَهُوَ الْخِرَاصُ عَلَى أَكْثَرِ الْأَمْوَالِ وَجَمْعُهَا
وَطَائِفُهَا مِنْ كُلِّ وَجْهِ وَلَوْ قُبِحَ طَرِيقُ أَكْثَرِهَا وَالْمُتَوَاشِيَةُ عَلَيْهَا
وَالْإِسْتِكْثَارُ مِنَ الْقَنِيِّ وَادِّخَارُ الْأَعْرَاضِ. وَهَذَا الْخُلُقُ مَكْرُوهٌ مِنْ
جَمِيعِ النَّاسِ إِلَّا مِنَ الْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ فَإِنَّ كَثْرَةَ الْأَمْوَالِ
وَالذِّخَائِرِ وَالْأَعْرَاضِ تُعِينُهُمْ وَتُرِيدُهُمْ هَيْبَةً فِي نَفُوسِ رِعِيَّتِهِمْ
وَأَعْوَانِهِمْ وَأَعْدَائِهِمْ وَأَضْدَادِهِمْ

(وَمِنْهَا التَّبَذُّلُ) وَهُوَ أَطْرَاحُ الْجِلْمَةِ وَتَرْكُ التَّحَفُّظِ وَالْإِسْتِمَارِ
مِنْ الْهَزْلِ وَاللَّهْوِ وَخَالِطَةِ السُّفَهَاءِ وَحُضُورِ مَجَالِسِ السُّخْفِ وَالْهَزْلِ
وَالْفُحْشِ وَاللَّغْوِ بِالْحُلَا وَذِكْرُ الْأَعْرَاضِ وَالْمُنْزَحِ وَالْجُلُوسُ فِي
الْأَسْوَاقِ وَعَلَى قَوَارِعِ الطَّرِيقِ وَالتَّكْسُّبُ بِالْمَعَايِشِ الزَّرِّيَّةِ وَالتَّوَاضُّعُ

لِلْأَسْفَلَاءِ وَهَذَا الْخَلْقُ قَبِيحٌ بِجَمِيعِ النَّاسِ
(وَمِنْهَا السَّفَهَ) وَهُوَ ضِدُّ الْحِلْمِ وَهُوَ سِرْعَةُ الْغَضَبِ وَالطَّيْشِ
بِنَ يَسِيرِ الْأُمُورِ وَالْمُبَادَرَةُ فِي الْبَطْشِ وَالْإِيْقَاعُ بِالْمُؤْذِي وَالسَّرْفُ
فِي الْعُقُوبَةِ وَإِهَارُ الْجَزَعِ مِنْ أَدْنَى ضَرَرٍ وَالسَّبُّ الْفَاحِشُ. وَهَذَا الْخَلْقُ
مُسْتَشْجٍ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا أَنَّهُ بِالْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ أَقْبَحُ مِنْهُ بَغَيْرِهِمْ
(وَمِنْهَا الْخُرْقُ) وَهُوَ كَثْرَةُ الْكَلَامِ وَالْعُرْكَ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ
وَشِدَّةُ الضَّحِكِ وَالْمُبَادَرَةُ إِلَى الْأُمُورِ مِنْ غَيْرِ تَوَقُّفٍ وَسُرْعَةُ
الْجَوَابِ وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَشْجٍ مِنْ كُلِّ أَحَدٍ وَهُوَ بِأَهْلِ الْعِلْمِ
وَدَوِي النَّبَاهَةِ أَقْبَحُ. وَمِنْ قَبِيلِهِ قَلَّةٌ إِلَّا حَشَامَ. لِنَ يَحِبُّ احْتِشَامَهُ
وَالْمُجَاهَرَةَ بِالْأَجُوبَةِ الْعَلِيظَةِ الْقَطَّةِ الْمُسْتَشْنَعَةِ وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ
وَخَاصَّةً بِدَوِي الْوَقَارِ

(وَمِنْهَا الْهَوَى) وَهُوَ إِفْرَاطُ الْحُبِّ وَالسَّرْفُ فِيهِ. وَهَذَا الْخَلْقُ
مَكْرُوهٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ يَحْمِلُ صَاحِبَهُ عَلَى الْفُجُورِ وَارْتِكَابِ
الْفَوَاحِشِ وَكَثْرَةِ التَّبَدُّلِ وَقِلَّةِ الْحَيَاءِ وَهُوَ يَشِينُ الْإِنْسَانَ كَثِيرًا
(وَمِنْهَا الْفَسَادُ) وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْبَغْضِ وَالشَّجَاعَةِ
وَهُوَ الْتَهَاؤُنَ بِمَا يَلْعَنُ الْغَيْرَ مِنَ الْأَلَمِ وَالْأَذَى. وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ
مِنْ كُلِّ أَحَدٍ إِلَّا مِنَ الْخُنْدِ وَأَصْحَابِ السِّلَاحِ وَالْمُتَوَلِّينَ
الْحُرُوبَ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مَكْرُوهٍ مِنْهُمْ إِذَا كَانَ فِي مَوْضِعِهِ
(وَمِنْهَا الْقَدْرُ) وَهُوَ الرُّجُوعُ عَمَّا يَبْذُلُهُ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ
وَيَضْمِنُ الْوَفَاءَ بِهِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَشْجٍ إِنْ كَانَ لِصَاحِبِهِ فِيهِ مَضْلَعَةٌ

وَنَفَقَةٌ. وَهُوَ بِالْمُلُوكِ وَالْحُكَّامِ أَقْبَحُ وَأَضْرَفَانِ مَنْ عُرِفَ مِنْهُمْ
بِالْعَدْرِ لَمْ يَرْكُنْ إِلَيْهِ أَحَدٌ وَلَمْ يَثِقْ بِهِ إِنْسَانٌ فَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ
فَسَدَ نِظَامُ مَلِكِهِ

(وَمِنْهَا الْخِيَانَةُ) وَهِيَ الْأَسْتِبدَالُ بِمَا يُوثِقُ الْإِنْسَانُ عَلَيْهِ مِنَ
الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَالْحَرَمِ وَتَمَلُّكَ مَا يُسْتَوْدَعُ وَتَحِبُّ أَحَدَهُ مُودِعِهِ .
وَمِنْ الْخِيَانَةِ أَيْضًا طَيُّ الْأَخْبَارِ إِذَا نَدَبَ الْإِنْسَانُ لِتَأْدِيبِهَا وَتَحْرِيفِ
الرِّسَالِ إِذَا حَمَلَهَا وَصَرَفَهَا عَنْ وَجْهِهَا . وَهَذَا الْخُلُقُ أَغْيَى الْخِيَانَةِ
مَكْرُوهٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَيَثْلُمُ آجَاهَ وَيَقْطَعُ وَجُوهَ الْمَعَاشِ

(وَمِنْهَا إِفْشَاءُ السِّرِّ) وَهَذَا الْخُلُقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْخُرْقِ وَالْخِيَانَةِ
فَإِنَّهُ لَيْسَ بِوَقُورٍ مَنْ لَمْ يَضْبُطْ لِسَانَهُ وَلَمْ يَتَّعِصْ صَدْرَهُ لِحِفْظِ مَا
يُسْتَسَرُّ بِهِ وَالسِّرُّ أَحَدُ الْوَدَائِعِ وَإِفْشَاؤُهُ نَقِيعَةٌ عَلَى صَاحِبِهِ
فَالْمُفْشِي بِالسِّرِّ خَائِنٌ وَهَذَا الْخُلُقُ قَبِيحٌ جِدًّا وَخَاصَّةً بَيْنَ يَضَعُ
الْمُلُوكِ وَأَوْلِيَاءِ الْأُمُورِ وَيَتَدَاخَلُ مَعَهُمْ . وَمِنْ قَبِيلِ إِفْشَاءِ السِّرِّ
أَيْضًا الْغَيْبَةُ وَالنِّسِيَةُ وَهِيَ أَنْ يُبْلَغَ إِنْسَانٌ إِنْسَانًا عَنْ آخَرٍ قَوْلًا
مَكْرُوهًا وَهَذَا الْخُلُقُ قَبِيحٌ جِدًّا وَلَوْ لَمْ يُسْتَسَرَّ أَيْضًا بِمَا يَسْمَعُهُ أَوْ
يُبْلَغُهُ فَتَقْلُهُ إِلَى مَنْ يَكْرَهُ قَبِيحٌ لِأَنَّ فِي ذَلِكَ إِيقَاعَ وَخْشَةٍ بَيْنَ
الْمُبْلَغِ وَالْمُبْلَغِ عَنْهُ وَذَلِكَ غَايَةُ الشَّرِّ

(وَمِنْهَا الْكِبَرُ) وَهُوَ اسْتِعْظَامُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ وَاسْتِحْسَانُ مَا
فِيهِ مِنَ الْقُضَائِلِ وَالْإِسْتِهَانَةُ بِالنَّاسِ وَاسْتِغْفَارُهُمْ وَالتَّرْفُعُ عَلَى مَا
يَحِبُّ التَّوَاضُعُ لَهُ . وَهَذَا الْخُلُقُ مَكْرُوهٌ جِدًّا وَمُضِرٌّ بِصَاحِبِهِ لِأَنَّ

مَنْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ لَمْ يَسْتَزِدْ مِنْ اسْتِزَابِ الْأَدَبِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَزِدْ
بَقِيَّ عَلَى نَفْسِهِ إِذْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَخْلُو مِنَ النَّفْسِ قَبْلَ مَا يَنْتَهِي
إِلَى غَايَةِ الْكَمَالِ. وَأَيْضًا فَإِنَّ هَذَا الْفِعْلَ يُعْضُهُ عِنْدَ النَّاسِ وَمَنْ
تَبَعَضَهُ النَّاسُ سَاءَتْ أحوَالُهُ

(وَمِنْهَا الْعُبُوسُ) وَهُوَ التَّقَطُّبُ عِنْدَ الْإِقَاءِ وَقِلَّةُ التَّبَسُّمِ وَإِظْهَارُ
الْكِرَاهِيَةِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُرَكَّبٌ مِنَ الْكِبَرِ وَغِلَظِ الطَّبَعِ فَإِنَّ قِلَّةَ
الْبَشَاشَةِ هِيَ اسْتِهَانَةٌ بِالنَّاسِ وَالْإِسْتِهَانَةُ بِالنَّاسِ تَكُونُ مِنَ الْإِعْجَابِ
وَالْكِبَرِ وَقِلَّةِ التَّبَسُّمِ أَيْضًا خَاصَّةٌ عِنْدَ إِقَاءِ الْإِخْوَانِ تَكُونُ مِنَ
غِلَظِ الطَّبَعِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَفْهِجٌ وَخَاصَّةً بِالرُّؤَسَاءِ وَالْأَفَاضِلِ

(وَمِنْهَا الْكَذِبُ) وَهُوَ الْإِخْبَارُ عَنِ الشَّيْءِ بِخِلَافِ مَا هُوَ
عَلَيْهِ. وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ وَهُوَ بِالْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ أَكْثَرُ فُجْبَاءَ
لِأَنَّ السَّيْرَ مِنَ النَّفْسِ يَشِينُهُمْ

(وَمِنْهَا الْخُبْتُ) وَهُوَ إِضَارُ الشَّرِّ لِلْغَيْرِ وَإِظْهَارُ الْخَيْرِ لَهُ رِيَاءً
وَأَسْتِعْمَالُ الْحِيلَةِ وَالْمَكْرِ وَالْخَدِيعَةِ فِي الْمَعَامَلَاتِ وَهَذَا الْخَلْقُ
مَكْرُوهٌ جِدًّا. (وَوْنٌ قَبِيلِ الْخُبْتِ الْخُقْدُ) وَهُوَ إِضَارُ الشَّرِّ لِلْجَانِبِيِّ إِذَا لَمْ
يَتِمَكَّنْ مِنَ الْإِتِّقَامِ مِنْهُ فَيُتَّقَى إِلَى وَقْتِ الْفُرْصَةِ وَهَذَا الْخَلْقُ
مِنْ أَخْلَاقِ الْأَشْرَارِ وَهُوَ مَذْمُومٌ جِدًّا

(وَمِنْهَا الْجُلُ) وَهُوَ مَنَعُ الْمُسْتَغْطِي مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى إِعْطَائِهِ.
وَهَذَا الْخَلْقُ مَكْرُوهٌ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ وَخَاصَّةً الْمُلُوكِ وَالْعُظَمَاءِ
وَذَلِكَ لِأَنَّ الْجُلَّ يُبْغِضُ مِنْهُمْ أَكْثَرُ مِمَّا يُبْغِضُ مِنْ غَيْرِهِمْ وَيَقْدَحُ

فِي حُكْمِهِمْ وَيُعْصُهُمْ إِلَى رَعِيَّتِهِمْ
(وَمِنْهَا الْخَجْنُ) وَهُوَ تَوَهُّمُ الْخَوَافِ وَتَمَكُّنُهَا فِي الْعَقْلِ بِدُونِ
طَائِلٍ وَعَدَمُ الْأَقْدَامِ عَلَى الْأُمُورِ عِنْدَ الزُّرْمِ وَالرُّغْبِ مِنْ مُوَاجَهَةِ
ذَوِي الْأَمْرِ عِنْدَ الْإِقْتِضَاءِ . وَهَذَا الْخُلُقُ مَكْرُوهٌ إِلَّا أَنَّهُ بِالْجُنُودِ
وَأَصْحَابِ الْحُرُوبِ مُضِرٌّ جَدًّا

(وَمِنْهَا الْحَسَدُ) وَهُوَ التَّالُمُ مِمَّا يَرَاهُ الْإِنْسَانُ لِنَفْسِهِ مِنْ خَيْرٍ
وَيَحْذَرُهُ فِيهِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْأَجْتِهَادِ فِي إِعْدَامِ الْغَيْرِ مَا هُوَ لَهُ . وَهَذَا
الْخُلُقُ مَكْرُوهٌ وَقَبِيحٌ بِكُلِّ أَحَدٍ

(وَمِنْهَا الْخِرْعُ عِنْدَ الشَّدَةِ) وَهَذَا الْخُلُقُ مَرْكَبٌ مِنَ الْخُرْقِ
وَالْخَجْنِ . وَهُوَ مُسْتَشْتَبِعٌ جَدًّا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُجَدِّيًا تَفْعًا وَأَمَّا إِظْهَارُهُ
لِلْحِيلَةِ عِنْدَ الْوُقُوعِ فِي الشَّدَةِ أَوْ لِاسْتِغْنَاءَةِ مُغِيثٍ أَوْ اجْتِلَابِ مُعِينٍ
لِلْمُسَاعَدَةِ فَغَيْرُ مَكْرُوهٍ وَلَا يُعَدُّ نَبِيضَةً

(وَمِنْهَا بَغْرُ الْهَمَّةِ) وَهُوَ ضَعْفُ النَّفْسِ عَنْ طَلَبِ الْمَرَاتِبِ
الْعَالِيَةِ وَقُصُورُ الْأَمَلِ عَنْ بُلُوغِ الْعَالِيَاتِ وَاسْتِكْثَارُ الْيَسِيرِ مِنَ
الْفَضَائِلِ وَاسْتِعْظَامُ الْقَلِيلِ مِنَ الْعَطَايَا وَالْإِعْتِدَادُ بِذَلِكَ وَالرِّضَى
بِأَوَاسِطِ الْأُمُورِ وَأَصَاغِرِهَا . وَهَذَا الْخُلُقُ قَبِيحٌ بِكُلِّ أَحَدٍ وَهُوَ
بِالْمُلُوكِ وَالْأَعْظَمَاءِ أَقْبَحُ بَلْ لَيْسَ يُسْتَحَقُّ لِلْإِعْتِبَارِ مَنْ صَغُرَتْ هِمَّتُهُ
(وَمِنْهَا الْجُبُورُ) وَهُوَ الْخُرُوجُ عَنِ الْعَدْلِ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ
كَأَخْذِ الْأَمْوَالِ مِنْ غَيْرِ وَجْهٍهَا الْحَلَالِ وَالطَّالِبَةِ بِمَا لَا يَجِبُ مِنْ
الْخُفُوقِ وَفِعْلِ الْأَشْيَاءِ فِي غَيْرِ مَوَاقِعِهَا وَلَا أَوْقَاتِهَا وَلَا عَلَى الْقَدَرِ

الَّذِي يَجِبُ لَهَا وَعَلَى الْوَجْهِ الَّذِي يُسْتَحَبُّ فِيهَا وَمِنْ قَبِيلِ ذَلِكَ
السَّرَفُ وَالتَّبَذِيرُ أَيْضًا

البحث الرابع

في بعض الاخلاق التي تكون في بعض الناس
فضيلة وفي بعضهم رذيلة

(من كتاب تهذيب الاخلاق لتركيبا بن عدي)

(مِنْهَا حُبُّ الْكَرَامَةِ) وَهُوَ أَنْ يُسَّرَ الْإِنْسَانُ بِالْتَّعْظِيمِ
وَالْتَّجِيلِ وَالْمُقَابَلَةِ بِالْمَدْحِ وَاشْتَاءِ الْجَمِيلِ . وَهَذَا الْخَلْقُ مُحَمَّدٌ فِي
الْأَحْدَاثِ وَالْأَصْيَانِ لِأَنَّ مَحَبَّةَ أَنْكَرَامَةِ تَحُثُّهُمْ عَلَى الرِّغْبَةِ فِي اكْتِسَابِ
الْفَضَائِلِ . وَذَلِكَ أَنَّ الْحَدَثَ وَالصَّبِيَّ إِذَا مَدَحَا عَلَى فَضِيلَةٍ وَجَدَتْ
فِيهِمَا كَانَ ذَلِكَ دَاعِيًا لَهُمَا إِلَى الْإِزْدِيَادِ فِي الْفَضَائِلِ . وَأَمَّا الْإِنْسَانُ الْفَاضِلُ
مِنَ النَّاسِ فَإِنَّ ذَلِكَ يُعَدُّ مِنْهُمْ نَقِصَةً . لِأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يُمدَحُ
عَلَى الْفَضِيلَةِ إِذَا كَانَتْ مُسْتَعْرَبَةً مِنْهُ أَمَّا إِذَا كَانَ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ
فَلَا يَبْغِي أَنْ يُسَرَّ أَوْ يَسْتَعْرَبَ مَا يَظْهَرُ مِنْهُ مِنَ الْفَضَائِلِ . وَكَذَلِكَ
الْإِكْرَامُ وَالتَّجِيلُ إِذَا كَانَ رَأْبًا عَلَى اسْتِحْقَاقِهِ فَإِنَّهُ يَجْرِي مَجْرَى
الْمَلَقِ وَالسُّرُورِ بِالْمَلَقِ غَيْرُ مُحَمَّدٍ لِأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْحَدِيقَةِ

(وَمِنْهَا حُبُّ الرِّيَّةِ) وَهُوَ التَّصَنُّعُ بِأَنْسِ أَثْيَابِ الْفَاحِشَةِ
وَرُكُوبِ الْخِيَلِ وَكَثْرَةِ الْخِدَمِ وَالْحَشَمِ وَهَذَا مُسْتَحْسَنٌ مِنَ الْمُلُوكِ
وَالْعُظَمَاءِ وَالْأَحْدَاثِ وَالظُّرَفَاءِ وَالنِّسَاءِ . فَأَمَّا الرُّهْبَانُ وَالزُّهَادُ

وَالشُّيُوخُ وَأَهْلُ الْعِلْمِ وَخَاصَّةً الْخُطَبَاءُ وَالرُّؤَسَاءُ وَرُؤَسَاءُ الدِّينِ
فَإِنَّ التَّصَنُّعَ بِالرِّيَاسَةِ مُسْتَشْجٍ مِنْهُمْ وَالْمُسْتَحْسَنُ بِهِمْ هُوَ لُبْسُ
الْحُسْنِ وَكَرَاهِيَةُ التَّعَمُّرِ وَارْزُومُ يَبُوتِ الصَّلَاةِ

(وَمِنْهَا الْمَجَازَاةُ عَلَى الْمَدْحِ) وَهُوَ مَجَازَاةٌ مَنْ يَمْدَحُ الْإِنْسَانَ
وَيَشْكُرُهُ فِي الْعَجَائِلِ وَالْحَافِلِ . وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ مِنَ الْمُلُوكِ
وَالرُّؤَسَاءِ لِأَنَّهُ يَدْعُو الْمَادِحَ إِلَى الْإِزْدِيَادِ فِي مَدْحِهِ فَيَكْتَسِبُ
الْمَمْدُوحُ ذِكْرًا جَمِيلًا يَتَقَى إِلَى الدَّهْرِ . وَمَنْ فَضَّلَ الْمُلُوكَ وَالرُّؤَسَاءَ
بَقَاءَ ذِكْرِهِمُ الْجَمِيلِ . وَمَا يُحِبُّهُمْ جَمَاعَ الْمَدِحِ مِنَ الْمَادِحِ مُوَاجَهَةً
فَ ذَلِكَ غَيْرُ مُسْتَحَبٍّ مِنْهُمْ لِأَنَّهُ مِنْ جِنْسِ الْمَلَقِ وَحُبُّ الْمَلَقِ مَكْرُوهٌ
لِكَوْنِهِ مِنْ قَبْلِ الْحَدِيثَةِ كَمَا تَقَدَّمَ . نَأْمًا إِيَّازَهُمْ أَنْ يَشَارَ ذِكْرَهُمْ
وَمَدْحَهُمْ وَتَتَنَاوَلَ النَّاسُ لَهُ وَبَقَاؤُهُ بَعْدَهُمْ فَإِنَّهُ مُحْمُودٌ . وَتَجَازَاةُ الْمَادِحِ
مُسْتَحْسَنَةٌ مِنَ الْمُلُوكِ وَمَنْعُهُمْ مُسْتَشْجٌ وَعَارٌ عَلَيْهِمْ لِأَنَّ ذَلِكَ يَدْعُو
إِلَى ذَمِّهِمْ وَذَمُّهُمْ يَبْقَى أَيْضًا إِلَى الدَّهْرِ فَيُنْشِئُ لَهُمْ ذِكْرًا قَبِيحًا
وَذَلِكَ مَكْرُوهٌ مِنَ الْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ . أَنَا أَعَاغُرُ النَّاسَ فَحَبَّتْهُمْ جَزَاءُ
الْمَادِحِ لَهُمْ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ لِأَنَّ الْمَادِحَ إِذَا مَدَحَ الدِّينَ مِنَ النَّاسِ
فَأِنَّمَا يَحْدُثُهُ فَإِذَا أَجَازَهُ اعْتَقَدَ أَنَّهُ أَخَذَ مِنْهُ تِلْكَ الْجَازِيَةَ بِالْحِيلَةِ .
وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ إِذَا مُدِّحُوا بِمَا لَيْسَ فِيهِمْ يُبَادِرُونَ إِلَى مَجَازَاةِ
الْمَادِحِ فَيَكُونُونَ قَدْ وَضَعُوا الشَّيْءَ فِي غَيْرِ مَرَضِعِهِ فَلَوْ صَرَفُوا ذَلِكَ
الشَّيْءَ إِلَى الضُّعْفَاءِ وَأَهْلِ الْمَسْكَنَةِ كَانَ ذَلِكَ أَجْمَلَ بِهِمْ وَآلِيقَ
(وَمِنْهَا الرُّهْدُ) وَهُوَ قَلَّةُ الرَّغْبَةِ فِي الْأَمْوَالِ وَالْإِذْخَارِ وَغَيْرِهَا

وَإِثَارَ الْفَنَاعَةِ بِأَيْقِيمُ الرَّمَقِ وَالْإِسْتِحْقَافُ بِالْذُّنْيَا وَحَاسِنَهَا وَلَذَاتِهَا
وَقِلَّةُ الْإِكْتِرَآثِ بِأَمْرَاتِ الْعَالِيَةِ وَاسْتِصْعَارُ الْمُلُوكِ وَمَمَالِكِهِمْ
وَأَرْبَابِ الْأَمْوَالِ وَأَمْوَالِهِمْ. وَهَذَا الْخَلْقُ مُسْتَحْسَنٌ جِدًّا مِنْ أَعْلَمَاءِ
وَرُؤَسَاءِ الدِّينِ وَالْخُطَبَاءِ وَالْوَعَاظِينَ وَمَنْ يُرَغَّبُ النَّاسُ فِي الْعَمَادِ
وَالْبَقَاءِ بَعْدَ الْمَوْتِ. فَأَمَّا الْمُلُوكُ وَالْعُظَمَاءُ فَإِنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُسْتَحْسَنٍ
مِنْهُمْ وَلَا لَائِقُ بِهِمْ لِأَنَّ الْمَلِكَ إِذَا أَظْهَرَ الزُّهْدَ صَارَ نَاقِصًا إِذَا
مُلْكُهُ لَا يَتِمُّ إِلَّا بِاِحْتِشَادِ الْأَمْوَالِ وَالْأَعْرَاضِ وَأَذْخَارِهَا لِيُدَبَّرَ
بِهَا مُلْكُهُ وَيَصُونَ بِوَاسِطَتِهَا حَوَازَتُهُ وَيَقْتَدِرَ بِهَا رَعِيَّتُهُ وَهَذَا مُضَادٌّ
لِلزُّهْدِ فَإِنَّهُ إِذَا تَرَكَ الْأَذْخَارَ أَبْطَلَ مُلْكُهُ وَصَارَ مَعْدُودًا فِي
جَمَلَةِ الْمُلُوكِ الْخَائِدِينَ عَنْ طَرِيقِ السِّيَاسَةِ

فَهَذِهِ الْأَقْسَامُ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا هِيَ أَخْلَاقُ جَمِيعِ النَّاسِ
أَمَّا الْمَدُوحَةُ مِنْهَا الْمَعْدُودَةُ فَضَائِلُ قَلَمًا تَجْتَمِعُ كُلُّهَا فِي
إِنْسَانٍ وَاحِدٍ وَأَمَّا الْمَذْمُومَةُ مِنْهَا الْمَعْدُودَةُ فَعَاقِبُ وَمَعَابٍ
قَلَمًا يُوْجَدُ إِنْسَانٌ يَخْلُو مِنْ جَمِيعِهَا حَتَّى لَا يَكُونَ فِيهِ خُلُقٌ مَكْرُوهٌ
وَخَاصَّةً مَنْ يَرُوضُ نَفْسَهُ وَيُؤَدِّبُهَا. فَإِنَّ مَنْ لَا يَتَعَمَّلُ لِيَضْبُطَ نَفْسَهُ
وَيَقْتَدِرَ عُيُوبَهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ عُيُوبٍ كَثِيرَةٍ وَإِنْ لَمْ يَحْسَبْ بِهَا وَلَمْ يَفْطَنْ
السَّيِّئَاتِ. وَإِذَا كَانَ الْحَالُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ كَانَ أَوَّلَى الْأُمُورِ
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَتَفَقَّدَ أَخْلَاقَهُ وَيَتَأَمَّلَ عُيُوبَهُ وَيَتَجَهَّدَ فِي إِصْلَاحِهَا
وَنَفْسِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَيَتَّبِعَ الْأَخْلَاقَ الْحَمِيدَةَ وَيَحْمِلَ نَفْسَهُ عَلَى
اِعْتِيَادِهَا وَالتَّحَقُّقِ بِهَا لِأَنَّ النَّاسَ إِذَا تَفَاضَلُوا عَلَى الْحَقِيقَةِ بِفَضَائِلِهِمْ

لَا كَمَا يَتَّقِدُ الْجَاهِلُ وَالْعَامَّةُ أَنَّهُمْ يَتَفَاضِلُونَ بِأَحْوَالِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ
وَكثْرَةِ ذَخَائِرِهِمْ. وَأَفْخَارِ أَكْثَرِ النَّاسِ بِالْأَمْوَالِ وَالذَّخَائِرِ وَالْآلَاتِ
وَتَعْظِيمُهُمُ الْاَغْنِيَاءَ وَذَوِي الْجَاهِ لَيْسَ فِي مَحَلِّهِ. وَذَلِكَ لِأَن كَثْرَةَ
الْمَالِ إِنَّمَا تَتَفَانِلُ بِهَا أَحْوَالُ النَّاسِ وَأَمَّا نُفُوسُهُمْ فَلَا تَكُونُ
أَفْضَلَ مِنْ نُفُوسٍ غَيْرِهَا بِكَثْرَةِ الْمَالِ. وَذَلِكَ لِأَن الْفَاجِرَ السَّفِيهَ
الْجَاهِلَ الشَّرِيرَ وَإِنْ حَوَى أَمْوَالاً عَظِيمَةً فَلَا تَكُونُ بِأَفْضَلَ مِنْ
الْعَفِيفِ الْحَكِيمِ الْحَيِّ الْعَالِمِ. وَلَوْ كَانَ قَعِيرًا بَلَى إِنَّمَا يَكُونُ
بِكَثْرَةِ أَمْوَالِهِ أَغْنَى مِنْهُ إِذَا كَانَ ذَاكَ مُعْسِرًا قَعِيرًا وَأَمَّا التَّفْضِيلُ
فَلَا يَكُونُ إِلَّا بِكَثْرَةِ الْفَضَائِلِ فَقَطْ. وَلَكِنْ إِنْ اجْتَمَعَ بِالْإِنْسَانِ
مَعَ الْاِخْرَاقِ الْجَمِيلَةِ وَالْعَادَاتِ الْمُسْتَحْسَنَةِ الْغِنَى وَالثَّرْوَةُ أَيْضًا
فَلَعَمْرِي أَنَّهُ يَكُونُ أَحْسَنَ حَالًا مِنْ الْفَاقِلِ الْمُعْسِرِ لِأَن ذَاكَ
مِنْ نَجْمَةِ سَعَادَاتِ الْإِنْسَانِ وَخَاصَّةً إِذَا كَانَ فَاضِلًا عَادِلًا عَفِيفًا
يَصْرِفُ مَالَهُ فِي وَجْهِهِ وَيُنْفِقُهُ فِي حَقِّهِ وَيَتَّقَدُّ بِهِ مَنْ يَحِبُّ عَلَيْهِ
وَلَا يَتَهَامَلُ فِي مَكْرَمَةٍ تَزِيدُ فِي مَحَاسِنِهِ

أَمَّا النَّاقِصُ الْجَاهِلُ السَّيِّءُ الْعَادَاتِ فَإِنَّ الْغِنَى رُبَّمَا زَادَهُ
نَقْصًا وَعُيُوبًا وَأَصَافَ إِلَى مَعَائِبِهِ عُيُوبًا أُخْرَى. وَلَا يُعَدُّ نَجْمًا
مَنْ لَا مَالَ لَهُ وَإِنْ كَانَ الْجُلُّ مِنْ طَبْعِهِ لِأَن قِصْرَهُ يُخْفِي ذَلِكَ
مِنْهُ وَمَتَى لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ هَذَا الْأَمْرُ فَلَا يُعَابُ عَلَيْهِ لِأَن الْإِنْسَانَ
إِنَّمَا يُعَابُ بِمَا يَظْهَرُ مِنْهُ وَأَمَّا مَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَإِسَارٍ وَلَمْ يَجِدْ بِهِ
ظَهَرَ نَجْمُهُ قِصِيرَ الْمَالِ جَالِبًا عَلَيْهِ عَارًا. وَأَيْضًا فَإِنَّ أَكْثَرَ الْفُجُورِ

وَالْمَحْظُورَاتِ وَالشَّهَوَاتِ الرَّدِيَّةِ لَا تُنَالُ غَالِبًا إِلَّا بِالْأَمْوَالِ
فَالْفَقِيرُ الْمَغْسِرُ وَإِنْ كَانَ فَجُورًا فَلَا يَكَادُ يَظْهَرُ ذَلِكَ مِنْهُ أَمَّا إِذَا
كَانَ ذَا مَالٍ تَمَكَّنَ مِنْ شَهَوَاتِهِ فَتَظْهَرُ حَبْنَةُ عُيُوبِهِ . وَبَاءَ عَلَيْهِ
يَكُونُ الْغِنَى مَكْسِبًا لِصَاحِبِهِ أَحْيَانًا عُيُوبًا وَنَقَائِصَ وَالْفَقْرُ فَضَائِلَ
وَمَحَاسِنَ . فَيَنْتِجُ مِنْ ذَلِكَ إِذَا أَنَّ النَّاسَ لَا تَتَفَاضَلُ حَقِيقَةُ بِالْأَمْوَالِ
وَالذَّخَائِرِ بَلْ إِنَّمَا يَتَفَاضَلُونَ بِالْآدَابِ وَالنَّحَاسِنِ الدَّائِيَّةِ . فَالْخَلِيقُ
بِالْإِنْسَانِ أَنْ يَسُوسَ نَفْسَهُ بِالْآدَابِ الْمُسْتَحْسَنَةِ وَيَسْأَكَ بِهَا
الطَّرِيقَ الْحَمِيدَةَ فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَكُونُ مَحْبُوبًا عِنْدَ النَّاسِ مَقْبُولًا
لَدَيْهِمْ مَعْظَمًا فِي نَفُوسِهِمْ مَفْضَلًا عَنْ غَيْرِهِ مُوقَرًّا عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ
وَالْمُلُوكِ مَقْبُولَ أَقْوَلٍ عَظِيمٍ أَجَاهٍ

فَهَذِهِ حَالَةُ الْعَظَمَةِ الْحَقِيقَةِ الْمَكْتَسَبَةِ بِالْأَمْوَالِ لِأَنَّ أَلَمَالَ
قَدْ تَلَحُّقَهُ الْمَصَاحِبُ فَإِذَا فَارَقَ صَاحِبَهُ سَقَطَتْ مَنَزَلَتُهُ مِنْ نَفُوسِ النَّاسِ
وَسَاوَى الْعَامَّةِ وَالسُّوْقَةَ وَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَظَمَةَ لَهُ كَانَ مَالُهُ لَا نَفْسُهُ
فَمَتَى زَالَ ذَلِكَ أَلَمَالَ لَمْ يَبْقَ لَهُ شَيْءٌ يُعْظَمُ مِنْ أَجْلِهِ . وَلَيْسَ
كَذَلِكَ الْعَالَمُ النَّفِيسُ الْفَاضِلُ الْمَهْدَبُ الْإِخْلَاقِ لِأَنَّ عَظَمَتَهُ
بِفَضَائِلِهِ وَهِيَ غَيْرُ مُفَارِقَةٍ لَهُ فَهُوَ مُعْتَبَرٌ دَائِمًا وَمَعْظَمٌ مِنْ أَجْلِ
ذَاتِهِ لَا لِشَيْءٍ خَارِجٍ عَنْهُ



البحث الخامس

في الارتياض بمكارم الاخلاق (*)

(من كتاب تهذيب الاخلاق لكرّيان بن عدي)

وَبِمَا أَنَّ الرَّائِبَ فِي سِيَاسَةِ نَفْسِهِ الْمُوَثَّرَ تَهْذِيبَ اخْلَاقِهِ إِذَا
 بُنِيَ عَلَى خُلُقٍ مَذْمُومٍ وَجِدَ فِيهِ وَاحِبٌ اجْتِنَابَهُ رُبَّمَا صَعِبَ عَلَيْهِ
 الْإِتِّبَالُ عَنْهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ وَرُبَّمَا لَمْ يَنْلِ التَّخْلَصَ مِنْهُ وَلَمْ يَطَاوِغْهُ
 طَبْعُهُ أَوْ رُبَّمَا اسْتَحْسَنَ أَيْضًا خُلُقًا مَحْمُودًا لَا يَجِدُهُ لِنَفْسِهِ وَآثَرَ التَّخَلُّقَ
 بِهِ لَمْ تَسْمَحْ لَهُ عَادَتُهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَى مُرَادِهِ. لِذَلِكَ وَجَبَ أَنْ نَرْتَمِ
 الْمُرَائِبِينَ فِي السِّيَاسَةِ الْخَوْدَةِ طُرُقًا يَتَدَبَّرُونَ بِهَا وَيَتَدَرَّجُونَ فِيهَا
 حَتَّى يَتَّهِوْا إِلَى مُرَادِهِمْ مِنْ اِعْتِيَادِ الْاِخْلَاقِ الْجَمِيلَةِ وَالْاِنْطِبَاعِ عَلَيْهَا
 وَتَجَنُّبِ الْاِخْلَاقِ الْقَبِيحَةِ وَالتَّفَرُّغِ مِنْهَا وَلِهَذَا نَذْكُرُ طَرِيقَ الْاِرْتِيَاضِ
 بِالْاِخْلَاقِ الْخَوْدَةِ وَالتَّعَمُّلِ لِاِعْتِيَادِهَا لِكَيْ يُمَكِّنَ لِلرَّائِبِ
 أَنْ يَتَخَلَّقَ بِهَا فنقول:

إِنَّهُ لَأَمْرٌ مُقَرَّرٌ أَنَّ سَبَبَ اخْتِلَافِ الْاِخْلَاقِ فِي النَّاسِ هُوَ
 اخْتِلَافُ قُوَى النَّفْسِ الثَّلَاثِ فِيهِمْ وَهِيَ الشَّهْوَانِيَّةُ وَالْقَضِيَّةُ وَالنَّاطِقَةُ
 وَأَنَّ إِصْلَاحَ الْاِخْلَاقِ هُوَ تَذْلِيلُ الشَّهْوَانِيَّةِ مِنْهَا وَالْقَضِيَّةِ وَتَمْيِيزُ

(*) اعلم ان ما يقوله هنا لكرّيان بن عدي في سياسة الانسان نفسه يصلح
 للخطيب لسياسة غيره. لانه موكل بتحصين طباع الجمهور منقوض اليه حملهم
 على الخير وصرهم عن مضار الاهواء المخرفة

عَادَاتِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ وَاسْتِعْمَالِ الْخَيْرِ مِنْ أَعْمَالِهِمَا. فَطَرِيقُ التَّدَرُّجِ
لِاسْتِعْمَالِ الْعَادَاتِ الْجَمِيلَةِ وَاللَّدُولِ عَنْ الْعَادَاتِ الْقَبِيحَةِ هُوَ التَّدَرُّجُ
فِي تَذَلِيلِ هَاتَيْنِ الْقُوَّتَيْنِ

أَمَّا النَّفْسُ الشَّهَوَانِيَّةُ فَالطَّرِيقُ إِلَى قَمْعِهَا أَنْ يَتَذَكَّرَ الْإِنْسَانُ فِي أَوْقَاتِ
شَهَوَاتِهِ وَعِنْدَ شِدَّةِ الْعَزْمِ إِلَى لَدَاتِهِ أَنَّهُ يُرِيدُ تَذَلِيلَ نَفْسِهِ الشَّهَوَانِيَّةِ
فَيَعْدِلُ عَمَّا تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ مِنَ الشَّهْوَةِ الرَّدِيئَةِ إِلَى مَا هُوَ مُسْتَحْسَنٌ
مِنْ جِنْسِ تِلْكَ الشَّهْوَةِ وَهُوَ تَقَرُّقُ عَلَى ارْتِضَائِهِ وَيَقْتَصِرُ عَلَيْهِ. فَإِنْ لَمْ
تَنْكَسِرْ شَهَوَاتُهُ يُعَلِّئَهَا وَيَعِدِّهَا فَإِنْ سَكَنْتَ انْتَصَرَ وَإِلَّا عَاوَدَ الْفِعْلُ
مِنْ الْوَجْهِ الْمُسْتَحْسَنِ. فَإِنَّهُ إِذَا فَعَلَ ذَلِكَ وَكَرَّرَهُ كَفَتِ النَّفْسُ وَإِذَا
اسْتَمَرَّ عَلَى هَذَا الْحَالِ أَلِفَتْ هَذِهِ الْعَادَةَ وَتَأَنَسَتْ بِهَا وَامْتَوَحَشَتْ
مِمَّا سِوَاهَا. وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ قَمْعَ نَفْسِهِ الشَّهَوَانِيَّةِ أَنْ يَكْثُرَ مِنْ
مُجَالَسَةِ الزَّهَادِ وَالرُّهْبَانِ وَالنَّسَاكِ وَأَهْلِ الْوَرَعِ وَالْوَاعِظِينَ وَيَلَازِمَ
مُجَالِسَ الرُّؤَسَاءِ وَأَهْلَ الْعِلْمِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ وَخَاصَّةً رُؤَسَاءَ الدِّينِ
يُعْظِمُونَ مَنْ كَانَ مَعْرُوفًا بِالْعَمَلِ وَيَسْتَرْزُونَ مَنْ كَانَ فَاجِرًا مِنْهُمْ كَمَا
فَعَالَسَتْهُ وَمُلَازَمَتُهُ لِهَذِهِ الْمَجَالِسِ تَضْطَرُّهُ إِلَى التَّحَوُّنِ وَالْتَعَفُّفِ
وَالْتَّجَمُّلِ لِدَوَقِهِمْ لِئَلَّا يَسْتَرْزُوهُ وَيَغْضَبُوا مِنْهُ وَيُلْحِقَ بِرُتَّتِهِ مَنْ
يُعْظَمُ فِي الْحَافِلِ وَالْمَجَالِسِ. وَيَنْبَغِي لَهُ أَيْضًا أَنْ يُدِيمَ النَّظَرَ فِي
كُتُبِ الْأَخْلَاقِ وَالسِّيَاسَةِ وَأَخْبَارِ الزَّهَادِ وَالرُّهْبَانِ وَالنَّسَاكِ وَأَهْلِ
الْوَرَعِ وَيَتَجَنَّبَ مُجَالِسَ الْخُلَعَاءِ وَالسُّفَهَاءِ وَالْمُنْهَكِينَ وَمَنْ يُكْثِرُ
الْهَزَلَ وَاللَّعِبَ وَحِينَئِذٍ يُلْحِقُ بِرُتَّتِهِ وَيُعْظَمُ فِي الْحَافِلِ. وَكَثُرَ مَا

يَجِبُ لَهُ أَنْ يَتَجَنَّبَ السُّكْرَ فَلَّاهُ مِمَّا يُثِيرُ نَفْسَهُ الشَّهَوَائِيَّةَ وَيُقْوِيَهَا وَيُجَاهِلُهَا عَلَى التَّهَنُّكِ وَأَرْتَكَابِ الْفَوَاحِشِ وَالْجَاهِرَةِ بِهَا. وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ قَمَعَ نَفْسِهِ الشَّهَوَائِيَّةَ أَنْ يُقِلَّ مِنَ اسْتِمَاعِ الْغِنَاءِ وَخَاصَّةً مِنَ النِّسَاءِ الْمُتَصَنِّعَاتِ وَالشَّبَابِ الظُّرَفَاءِ فَإِنَّ السَّمَاعَ قُوَّةٌ عَظِيمَةٌ فِي إِثَارَةِ الشَّهْوَةِ... أَمَّا الطَّعَامُ فَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنْ غَايَتَهُ هُوَ الشَّبَعُ إِذْ دَفَعَ أَلَمَ الْجُوعِ. وَفَافِرُ الطَّعَامِ وَدَيْنُهُ جَمِيعُهُمَا مُشْبَعَانِ فَلَيْسَ لِلْمُبَالَاةِ فِي تَجْوِيدِ الطَّعَامِ الْكَثِيرِ حَظٌّ وَلَا فَايْدَةُ. وَالْأَوَّلَى هُوَ التَّوَسُّطُ فِي أَنْوَاعِ الْمَأْكَلِ وَأَنْ يَكُونَ مِنَ الْجِنْسِ الَّذِي نَشَأَ عَلَيْهِ الْإِنْسَانُ وَاعْتَادَهُ وَالْعَمَّةُ... وَطَرِيقُ التَّدْرُجِ إِلَى الْإِقْتِصَارِ فِي الطَّعَامِ هُوَ أَنْ يُبَادِرَ ذُو الشَّهْوَةِ إِلَى آيِ شَيْءٍ وَجَدَهُ مِنَ الْمَأْكَلِ فَإِنْ كَانَ الْمُشْتَهَى الَّذِي تَأَقَّتْ نَفْسُهُ إِلَيْهِ خُلُوعًا قَالَا آيٍ حَلَاوَةٍ وَجَدَهَا وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ قَالَا مَا يَشْتَبِيهِ مِنَ الطَّعَامِ فَإِنَّهُ إِذَا تَنَاوَلَ الْإِنْسَانُ مِنْ ذَلِكَ تَكَرَّرًا وَبَشِعَ مِنْهُ سَكَنَتْ شَهْوَتُهُ وَكَفَّتْ نَفْسُهُ بَعْدَ ذَلِكَ

وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَحَبَّ الْعَمَّةَ أَنْ يَكُونَ أَبَدًا مُتَمَيِّظًا ذَاكِرًا لِمَا يَحْتَقُ الْفَاجِرُ وَالنَّهَمُ وَالشَّرُّ وَالْمُتَهَنِّكُ مِنَ الْقَبَاحَةِ وَالْعَارِ فِي الدُّنْيَا جَاعِلًا ذَلِكَ دَيْنَهُ وَشِعَارَهُ وَمُدَاوِمًا عَلَى ذِكْرِهِ. فَإِنَّ نَفْسَهُ حِينَئِذٍ تُبْغِضُ الشَّهَوَاتِ الرَّدِيئَةَ وَتَشْتَاقُ إِلَى التَّعَفُّفِ وَالْقَنَاعَةِ وَتَطْرُبُ عِنْدَ الْعُدُولِ عَنِ الْفَوَاحِشِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا وَتَرْتَاحُ لِمَا يُنْشَرُ عَنْهَا وَمَا يَبْلُغُهَا عَنْ النَّاسِ مِنَ الشَّنَاءِ الْجَمِيلِ عَلَى صَاحِبِهَا. فَهَذَا هُوَ طَرِيقُ رِيَاضَةِ النَّفْسِ

إِلَى قَهْرِ الْقُوَّةِ الشَّهَوَانِيَّةِ وَتَذْلِيلِهَا وَقَعْمِهَا أَغْنَى طَرِيقَ الْإِلَازِ تِيَّاضٍ
بِالْعَادَاتِ الْخَمُودَةِ الْمُرْضِيَةِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالشَّهَوَاتِ وَاللَّذَاتِ الدَّيْنِيَّةِ
فَأَمَّا النَّفْسُ الْغَضَبِيَّةُ فَإِنَّ طَرِيقَ قَعْمِهَا وَتَذْلِيلِهَا هُوَ أَنْ يَصْرِفَ
الْإِنْسَانُ هِمَّتَهُ إِلَى تَفَقُّدِ السُّفَهَاءِ الَّذِينَ يُسْرِعُ إِلَيْهِمُ الْغَضَبُ فِي
أَوْقَاتِ طَيْشِهِمْ وَحِدَتِهِمْ وَيُلَاحِظُ تَسَفُّهَهُمْ عَلَى أَخْصَامِهِمْ وَعُقُوبَتِهِمْ
لِحَدَمِهِمْ وَعَيْبِهِمْ فَلَئِنْ يُشَاهِدُ إِذْ ذَاكَ مَنْظَرًا شَنِيعًا يَأْتِي مِنْهُ
الْخَاصُّ وَالْعَامُّ وَأَنْ يَتَذَكَّرَ فِي أَوْقَاتِ غَضَبِهِ وَعِنْدَ جَنَائَاتِ خَدَمِهِ
وَعَيْبِهِ وَوُثُوبِ إِخْوَانِهِ وَأَوْدَانِهِ فِي جَمِيعِ مُحَاورَاتِهِ وَمَعَامَلَاتِهِ مَا
شَاهَدَهُ مِنْ أَوْلِيائِهِ. فَلَئِنْ إِذَا تَفَكَّرَ فِيمَا كَانَ اسْتَحَقَّهُ مِنْهُمْ
فَتَنَكَّرَ بِذَلِكَ سُورَةُ غَضَبِهِ وَيُخَيِّمُ عَمَّا هُمْ بِالْإِقْدَامِ عَلَيْهِ مِنْ
السَّبِّ وَالْوُثُوبِ فَإِنْ لَمْ يَكْفِ بِالْكُلِّيَّةِ قَصْرَ وَلَمْ يَتَّبِعْ إِلَى غَايَةِ
الْفُحْشِ

وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْهَرَ نَفْسَهُ الْغَضَبِيَّةَ أَنْ يَتَذَكَّرَ فِي
أَوْقَاتِ غَضَبِهِ عَلَى مَنْ يُؤْذِيهِ أَوْ يَتَجَنَّى عَلَيْهِ أَنَّهُ لَوْ كَانَ هُوَ الْجَانِي
مَا الَّذِي كَانَ يَسْتَحِقُّ أَنْ يُقَابَلَ بِهِ عَلَى جَنَائِيهِ فَلَئِنْ هَذَا الْفِعْلُ يَعْتَقَدُ
أَنْ دَرَكَ تِلْكَ الْحَالِيَةَ وَذَلِكَ الْأَذَى يَسِيرٌ. جَدًّا فَإِذَا اعْتَقَدَ ذَلِكَ
كَانَتْ مُقَابَلَتُهُ لِلْجَانِي الْمُوْذِي بِحَسَبِ اعْتِقَادِهِ خَفِيفَةً وَجَنِيذًا لَا
يُسْرِفُ فِي الْإِتِّقَامِ وَلَا يُفْحِشُ فِي الْغَضَبِ فَتَمَّ فَعَلَ ذَلِكَ دَائِمًا
وَجَعَلَهُ دَيْدَنًا وَتَفَقَّدَ مَعَايِبَ السُّفَهَاءِ وَمَنْ يُسْرِعُ إِلَيْهِ الْغَضَبُ لَمْ
يُبْعِدْ أَنْ تَنكسرَ نَفْسُهُ الْغَضَبِيَّةُ وَتَتَقَادَرَ إِلَيْهِ وَإِذَا اسْتَمَرَّ عَلَى هَذَا

الْعَمَلِ مُدَّةٌ صَارَ لَهُ خُلُقًا وَعَادَةً

وَيَتَّبِعِي لَكِنْ رَغْبَ فِي تَذَلُّلِ قُوَّةِ الْغَضَبِ أَنْ يَتَجَنَّبَ حَمْلَ السِّلَاحِ
فِي مَجَالِسِ الشَّرَابِ وَحُضُورِ مَوَاضِعِ أَلْفَتَيْنِ وَمَقَامَاتِ الْحُرُوبِ وَفِي
مُجَالَسَةِ الْأَنْرَادِ وَيَتَجَنَّبَ مُعَاشَرَتَهُمْ وَمُخَالَطَةَ الشَّرْطِ فَإِنَّ هَذِهِ
الْمَوَاضِعَ تُكْسِبُ قِسَاوَةَ الْقَلْبِ وَتُغْلِظُهُ وَتُعْدِمُهُ الرِّاقَةَ فَتَشْتَدُّ
إِذْكَ الْقُوَّةُ الْغَضَبِيَّةُ فَإِذَا أَرَادَ تَذَلُّلَهَا وَتَسْكِينَهَا يَجِبُ أَنْ يَجْعَلَ
مُجَالَسَتَهُ لِأَهْلِ الْوَقَارِ وَالشُّيُوخِ وَالرُّؤَسَاءِ وَالْأَفَاضِلِ وَمَنْ يَقِلُّ غَضَبُهُ
وَيَكْثُرُ حِلْمُهُ وَوَقَارُهُ

وَيَتَّبِعِي لَهُ أَنْ يَتَجَنَّبَ الْمُسْكِرَ مِنَ الشَّرَابِ فَإِنَّهُ يُهَيِّجُ الْقُوَّةَ
الْغَضَبِيَّةَ أَكْثَرَ مِمَّا يُهَيِّجُ الْقُوَّةَ الشَّهْوَانِيَّةَ . . .

وَيَتَّبِعِي لَكِنْ أَرَادَ تَذَلُّلَ قُوَّتِهِ الْغَضَبِيَّةِ وَالشَّهْوَانِيَّةِ مَعًا أَنْ
يَسْتَعْمَلَ فِي جَمِيعِ مَا يَفْعَلُهُ الْفِكْرَ وَلَا يُقَدِّمُ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا بَعْدَ أَنْ
يُرَوِّيَ فِيهِ وَيَجْعَلَ الْفِكْرَةَ وَاتِّبَاعَ الرَّأْيِ دَيْدَنَهُ وَعَادَتَهُ فَإِنَّ الرَّأْيَ
وَجُودَةَ الْفِكْرِ يُقْتَضِيَانِ لَهُ السَّفَةَ وَسُرْعَةَ الْغَضَبِ وَالْإِنْهِيَائِ فِي
الشَّهَوَاتِ وَاتِّبَاعِ اللَّذَاتِ . فَإِذَا اسْتَشَجَّ ذَلِكَ أَجْجَمَ عَنْهُ وَعَدَلَ إِلَى
مَا يَقْتَضِيهِ الرَّأْيُ وَالْفِكْرُ وَإِنْ لَمْ يَزَلْ يَتَدَوَّلُ بِالْكَلِمَةِ لَا بُدَّ أَنْ يُورَثَ
فِيهِ ذَلِكَ فَيَتَجَرَّعَ عَمَّا يُرِيدُ التَّسْرِعَ إِلَيْهِ

وَمَلَاكُ الْأَمْرِ فِي تَهْذِيبِ الْأَخْلَاقِ وَصَبْطِ الْقُوَّةِ الشَّهْوَانِيَّةِ
وَالْقُوَّةِ الْغَضَبِيَّةِ هِيَ الْقُوَّةُ النَّاطِقَةُ فَإِنَّ هَذِهِ الْقُوَّةَ تَكُونُ جَمِيعُ
السِّيَاسَاتِ فَإِذَا كَانَتْ قُوَّةً مُتَمَكِّنَةً مِنْ صَاحِبِهَا أَمَكَنَهُ أَنْ

يُسَوِّسَ بِهَا قُوَّتِهِ الْبَاقِيَتَيْنِ وَيَكْفِ نَفْسَهُ عَنْ جَمِيعِ الْقَبَاحِ وَيَتَّبِعَ
أَبْدًا مَحَاسِنَ الْأَخْلَاقِ وَإِذَا لَمْ تَكُنْ قُوَّةً فِي صَاحِبِهَا كَانَتْ
مَغْمُورَةً خَافِيَةً

قَالَ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَعْتَمِدَهُ فِي سِيَاسَةِ أَخْلَاقِهِ هُوَ أَنْ يَرَوْضَ هَذِهِ
الْقُوَّةَ. وَتَرْوِيضُهَا إِنَّمَا يَكُونُ بِالْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ فَإِنَّهُ إِذَا نَظَرَ فِي هَذِهِ
الْعُلُومِ وَدَقَّقَ النَّظَرَ فِيهَا وَدَرَسَ كُتُبَ الْأَخْلَاقِ وَالسِّيَاسَةِ وَدَامَ عَلَيْهَا
تَيَقُّظُ نَفْسِهِ وَانْدَهَتْ مِنْ شَهَوَاتِهَا وَانْتَعَشَتْ مِنْ خَوَلِهَا وَاحْسَتْ
بِفَضَائِلِهَا وَانْفَتَ مِنْ رَذَائِلِهَا لِأَنَّ هَذِهِ الْقُوَّةَ إِنَّمَا تَضَعُفُ وَتَخَفُ
إِذَا عَدِمَتْ الْقُضَائِلَ وَالْمَنَاقِبَ وَاسْتَوَلَتْ عَلَيْهَا الرَّذَائِلُ. أَمَّا إِذَا
اَقْتَنَتِ الْقُضَائِلَ وَاسْتَسَبَّتِ الْأَدَابَ تَيَقُّظَتْ مِنْ غَشِيَتِهَا وَثَارَتْ
بِنُ سُكْرِهَا وَقَوِيَتْ بَعْدَ ضَعْفِهَا. وَفَضَائِلُ هَذِهِ الْقُوَّةِ هِيَ الْعُلُومُ
الْعَقْلِيَّةُ وَخَاصَّةً مَا دَقَّ مِنْهَا فَإِذَا ارْتَأَصَ الْإِنْسَانُ بِهَا شَرَفَتْ نَفْسُهُ
وَعَظُمَتْ هِمَّتُهُ وَقَوِيَ فِكْرُهُ وَتَمَكَّنَ مِنْ نَفْسِهِ وَمَلَكَ أَخْلَاقَهُ
وَقَدَّرَ عَلَى إِصْلَاحِهَا وَأَنْقَادَ لَهُ طَبْعُهُ وَسَهَلَ عَلَيْهِ تَهْذِيبُهُ وَأَذْعَنْتَ لَهُ
الْقُوَّةُ الْفُضِيَّةُ وَالشَّهَوَانِيَّةُ وَهَانَ عَلَيْهِ قَمْعُهُمَا وَتَهْذِيبُهُمَا

وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي أَنْ يَبْتَدِئَ بِهِ مَنْ يُحِبُّ سِيَاسَةَ أَخْلَاقِهِ هُوَ النَّظَرُ
فِي كُتُبِ الْأَخْلَاقِ وَالسِّيَاسَاتِ ثُمَّ الْإِرْتِيَاضُ بِالْعُلُومِ الْحَقَائِقِ فَإِنَّ
أَشْرَفَ مَا يَكُونُ لِلنَّفْسِ إِذْرَاكُهَا حَقَائِقَ الْأُمُورِ وَأَطْلَاعُهَا عَلَى
هَيْئَاتِ الوجودَاتِ فَمَتَى شَرَفَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ وَعَلَتْ هِمَّتُهُ رَقِيَ إِلَى
مَرَاتِبِ الْفَضْلِ

وَمَا يُضْلِحُ النَّفْسَ النَّاطِقَةَ وَيَقْوِيهَا أَيْضًا مَجَالَسَةُ أَهْلِ الْعِلْمِ
وَمُخَالَطَتُهُمْ وَالْإِقْتِدَاءُ بِأَخْلَاقِهِمْ وَعَوَائِدِهِمْ وَخَاصَّةً أَصْحَابَ عُلُومِ
الْحَقَائِقِ وَالْمُتَيَقِّظُونَ وَنَهُمُ الْمُسْتَغِيلُونَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مَا تَقْتَضِيهِ
عُلُومُهُمْ وَتُوجِبُهُ عُقُولُهُمْ

أَمَّا تَمَيُّزُ عَادَاتِ النَّفْسِ النَّاطِقَةِ وَاسْتِعْمَالُ مَا حَسَنَ فِيهَا وَأَطْرَاحُ
مَا قَبِيحٍ فَإِنَّمَا يُمَكِّنُ وَيَسْهَلُ إِذَا رَاضَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ النَّاطِقَةَ فَلِئَلَّا
إِذَا ارْتَاَصَتْ بِالْعُلُومِ الْحَقِيقَةِ وَتَيَقَّظَتْ وَتَشَرَّفَتْ أَنْفَتَ مِنْ
الْعَادَاتِ الْمُسْتَقْبَحَةِ وَتَذَرَتْ عَنِ التَّنْذِيرِ بِهَا قِيُونَُ حَيْثُ عَلَى
الْإِنْسَانِ تَجَنُّبُ مَا يُسْتَكْرَهُ مِنَ الْعَادَاتِ وَيَغْلِبُ عَلَيْهِ اسْتِحْسَانُ
الْأَخْلَاقِ الْحَمِيدَةِ الْجَمِيلَةِ وَالْخَلْقِ بِهَا

فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ جَمِيعِ مَا ذَكَرْنَاهُ أَنَّ طَرِيقَ الْإِرْتِيَاضِ بِالْأَخْلَاقِ
الْمُحْمَدَةِ وَالْتَّصُّعِ لِأَعْيَادِهَا وَاتِّبَاعِ الْخَيْرِ الْمَرْضِيِّ مِنْهَا وَتَرْكِ
الْمَذْمُومِ الْمُسْتَقْبَحِ وَتَذَلِيلِ قُوَّةِ الشَّهْوَةِ الْغَضِيَّةِ وَضَبْطِهَا وَقَهْرُهَا هُوَ
إِصْلَاحُ الْقُوَّةِ النَّاطِقَةِ وَتَقْوِيَتُهَا وَتَحْلِيلُهَا بِالْقَضَائِلِ وَالْآدَابِ
وَالْحَاسِنِ فَإِنَّ ذَلِكَ هُوَ آلَةُ السِّيَاسَةِ وَمَرْكَبُ الرِّيَاضَةِ

وَمَنْ يَسْكُنُ مِنْ أَكْثَابِ الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْإِمْعَانِ فِيهَا
وَتَعَدَّرَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَلْيَبْذُلْ جُهْدَهُ فِي تَذْيِيقِ الْفِكْرِ وَمُجَاهَدَةِ
النَّفْسِ وَيُصَوِّرِ الْفَرْقَ مَا بَيْنَ عَادَتِهِ الْقَبِيحَةِ وَالْجَمِيلَةِ وَيَنْظُرْ أَيُّهَا
أَجْدَى عَلَيْهِ وَأَنْفَعُ وَأَيُّهَا أَجْدَرُ عَاقِبَةً وَابْقَى عَلَى الْآيَامِ فَإِنَّهُ
إِذَا صَدَقَ مَا تَأَكَّدَتْهُ نَفْسُهُ وَجَدَ أَنَّ شَهْوَاتِهِ وَلَذَائِعَ إِغْمَاهِي مُدَّةُ

وَقَتِ اسْتِعْمَالَهَا فَقَطُّ أَمَّا بَعْدُ مُفَارَقَتِهَا فَلَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ عَلَيْهِ وَلَا نَافِعَةٍ لَهُ وَيَجِدُ عَارَهَا وَشَيْنَهَا بَاقِيًا إِلَى الدَّهْرِ مُتَدَاوِلًا فِيمَا بَيْنَ النَّاسِ يُعَابُ بِهِ وَيُزْرَى عَلَيْهِ. وَكَذَلِكَ فِي شِدَّةِ الْغَضَبِ وَالْإِسْرَاعِ إِلَى الْإِتِّقَامِ وَالسَّبِّ وَالْفُحْشِ قَمَتِي انْخَلَّتْ غَمْرُتُهُ وَسَكَنَتْ ثَوْرَتُهُ تَأَمَّلْ أَمْرَهُ فَرَأَى أَنَّ مَا فَعَلَهُ كَانَ قَبِيحًا وَلَمْ يَجِدْهُ مُجْدِيًا وَلَا مُفِيدًا وَقَدْ صَارَ مَا فَعَلَهُ وَقَتِ الْغَضَبِ نَقِيصَةً يُوسِمُ بِهَا وَمَعِيرَةً يُسَبُّ عَلَيْهَا. وَرُبَّمَا أَزْتَكَبَ حَالُ الْغَضَبِ جَنَائِاتٍ كَثِيرَةً يُعَاقَبُ عَلَيْهَا وَيُؤَدَّبُ مِنْ أَجْلِهَا. كَذَلِكَ الْعَادَاتُ الْمَكْرُوهَةُ فِي النَّفْسِ النَّاطِقَةِ هِيَ أَيْضًا غَيْرُ نَافِعَةٍ وَلَا مُجْدِيَةٍ لِلْإِنْسَانِ نَفْعًا كَالْحَسَدِ مَثَلًا وَالْحُبْدِ وَالْخُبْثِ وَأَمْثَالِ هَذِهِ إِذَا لَا يَنْتَفِعُ بِهَا صَاحِبُهَا وَإِنْ اَنْتَفَعَ كَانَ شَرًّا مُنْفَعَةً وَمَعَ ذَلِكَ فَهِيَ مُضِرَّةٌ لَهُ لِأَنَّ مَنْ تَشَرَّرَ قَصْدُهُ النَّاسُ بِالشَّرِّ وَاسْتَعْدُوا لِأَذِيَّتِهِ وَتَعَمَّدُوا لِلْإِضْرَارِ بِهِ وَتَوَقَّوْهُ وَاحْتَرَزُوا مِنْهُ وَكَرَهُوا نَفْعَهُ وَقَصَرُوا عَلَيْهِ وَجْهَ الْخَيْرِ.. فَإِذَا حَاسَبَ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ وَاجَادَ فِكْرَتَهُ وَتَمَيَّزَهُ عِلْمٌ أَنَّ الضَّرَرَ فِي مَسَاوِي الْأَخْلَاقِ أَكْثَرُ مِنْ النِّفْعِ بِهَا وَأَنَّ الَّذِي يَعُدُّ فِيهَا نَفْعًا فَلَيْسَ هُوَ بِنَفْعٍ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَإِذَا كَانَ نَفْعًا فَهُوَ يَسِيرٌ جَدًّا وَغَيْرُ بَاقٍ وَلَا مُسْتَمِرٌّ وَإِنَّ هَذَا الْيَسِيرَ الَّذِي يَعُدُّ نَفْعًا لَا يَفِي بِالضَّرْرِ الْكَثِيرِ وَالْعَارِ الدَّائِمِ

الْمُتَّصِل...

وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ سِيَاسَةَ أَخْلَاقِهِ أَنْ يَجْعَلَ غَرَضَهُ مِنْ كُلِّ قُضِيَّةٍ غَايَتَهَا وَنَهَايَتَهَا وَلَا يَقْنَعَ مِنْهَا بِمَا دُونَ الْعَالِيَةِ وَلَا يُرْضَى إِلَّا

بِأَعْلَى دَرَجَةٍ فَإِنَّهُ إِذَا جَعَلَ ذَلِكَ غَرَضَهُ كَانَ حَرِيًّا أَنْ يَتَوَسَّطَ فِي
الْفَضَائِلِ وَيَبْلُغَ فِيهَا رُتَبَةً مُرْضِيَةً إِنْ قَاتَتْهُ الدَّرَجَةُ الْعُلْيَا وَأَمَّا إِنْ
قَنَعَ بِالتَّوَسُّطِ يَا مَنْ أَنْ يُقْصَرَ عَنْ بُلُوغِهِ فَيَبْقَى فِي أَدْنَى الْمَرَاتِبِ
وَيَقْوَةُ الْمَطْلُوبُ وَلَا يَطْمَعُ أَبَدًا فِي التَّامِّ.

فَهَذَا الَّذِي ذَكَرْنَاهُ هُوَ طَرِيقُ الْإِرْتِيَاضِ بِمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ وَمَنْعِهِ
الْتِدْرُجِ فِي مَخْمُودِهَا وَكَيْفِيَّةَ تَهْذِيبِهَا فَإِذَا أَخَذَ الْإِنْسَانُ بِتَدْرِيبِ
نَفْسِهِ بِهِ وَكَثَّرَ مِنْ مُرَاعَاتِهِ وَتَعَهُّدِهِ صَارَتْ لَهُ الْفَضَائِلُ ذِيْدَنَا
وَالْحَاسِنُ خُلُقًا وَطَبْعًا

هَذَا وَقَدْ بَقِيَ عَلَيْنَا أَنْ نَذْكُرَ أَوْصَافَ الْإِنْسَانِ التَّامِّ
الْجَامِعِ لِحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ... فَقُولُ إِنْ الْإِنْسَانُ أَتَمَّ هُوَ الَّذِي
لَمْ تَفْتَهُ فُضِيلَةٌ مِنَ الْفَضَائِلِ وَلَمْ تَشْهُ رَذِيلَةٌ مِنَ الرَّذَائِلِ وَهَذَا
أَحَدُ قَلَمَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ إِنْسَانٌ وَإِذَا انْتَهَى إِلَيْهِ افْتِرَاضًا كَانَ
أَشْبَهَ وَنَهُ بِالنَّاسِ. وَذَلِكَ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ مَضْرُوبٌ بِأَنْوَاعِ النُّقْصِ
مُسْتَوِلٌ عَلَى طَبْعِهِ ضَرْبُ الشَّرِّ وَبَاءَ عَلَى ذَلِكَ فَقَلَمًا يَخْلُصُ مِنْ
جَمِيعِهَا حَتَّى تَسْلَمَ نَفْسُهُ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ وَمَنْقَصَةٍ وَتُحِيطَ بِهِ كُلُّ
فُضِيلَةٍ وَمَنْقَبَةٍ حَسَنَةٍ فَالتَّامُّ وَإِنْ كَانَ عَزِيزًا بَعِيدَ التَّمَاوُلِ إِلَّا أَنَّهُ
مُمْكِنٌ وَهُوَ غَايَةٌ مَا يَنْتَهِي إِلَيْهِ الْإِنْسَانُ فَإِذَا صَدَقَتْ عَزِيمَتُهُ
وَأَعْطِيَ الْأَجْتِهَادَ حَقَّهُ كَانَ مُمَكِّنًا لَهُ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى الْغَايَةِ
الْمَقْصُودَةِ الْمُنْتَهَى هُوَ لَهَا تِلْكَ الَّتِي تَسْمُو نَفْسُهُ إِلَيْهَا

أَمَّا تَفْصِيلُ ذَلِكَ هُوَ أَنْ يَكُونَ مُتَقَدِّمًا لِجَمِيعِ أَخْلَاقِهِ مُتَقِظًا

لِسَائِرِ مَعَايِهِ مُتَحَرِّزًا مِنْ دُخُولِ نَقْصٍ عَلَيْهِ مُسْتَعْمِلًا لِكُلِّ فَضِيلَةٍ
مُجْتَهِدًا فِي بُلُوغِ الْعَالِيَةِ عَاشِقًا لِمُصَوِّرَةِ الْكَمَالِ مُسْتَلِذًا بِمَحَاسِنِ
الْأَخْلَاقِ مُتَقَيِّظًا لِمَذْمُومِ الْعَادَاتِ مُعْتَنِيًا بِتَهْذِيبِ نَفْسِهِ غَيْرَ
مُسْتَكْبِرٍ لِمَا يَفْتَنِيهِ مِنَ الْقَضَائِلِ مُسْتَعِظًا لِلْيَسِيرِ مِنَ الرِّذَائِلِ
مُسْتَضْعِرًا لِلرُّتْبَةِ الْعُلْيَا مُسْتَحْقِرًا لِلْعَالِيَةِ الْقُصْوَى يَرَى التَّمَامَ دُونَ مَحَلِّهِ
وَالْكَمَالَ أَقْلَ أَوْصَافِهِ . .

فَمَا أَوَّلَى مَنْ نَظَرَ فِي هَذِهِ الْأَقْوَالِ وَتَصَفَّحَهَا وَفَهَمَ مَضْمُونَهَا
وَتَدَبَّرَهَا وَآخَذَ نَفْسَهُ بِاسْتِعْمَالِ مَا تَتَنَّى فِي فُضُولِهِ وَسَاقَ أَخْلَاقَهُ
عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى مَا فُتِنَ فِي أَبْوَابِهِ وَاجْتَهَدَ كُلَّ الْجَهْدِ فِي تَكْمِيلِ
نَفْسِهِ وَأَسْتَفْرَعَ غَايَةَ الْوُسْعِ فِي طَلَبِ التَّمَامِ . وَمَا أَقْبَحَ النُّقْصَ
بِالْقَدْرِ عَلَى التَّمَامِ وَالْعَجْزَ عَنِ الْمُقْتَدِرِ



الفصل السادس

في تنسيق الخطابة وبيان القضية والقياس

البحث الأول

في مبادئ الخطابة والاقتراحات

من كتاب الصنائع لاس ملال العسكري بتصرف

(راجع صفحة ٧٧ من علم الخطابة)

قَالَ بَعْضُ الْكُتَّابِ : أَمَعَايَرُ الْكُتَّابِ أَحْسَنُوا الْإِبْتِدَاءَاتِ
فَإِنَّهُمْ دَلَالٌ أَلْيَانٌ . وَذَلِكَ أَنْ يَجْعَلَ الْخُطِيبُ فَاتِحَةً كَلَامِهِ وَأَوَّلَهُ
دَلِيلًا عَلَى الْمَقْصُودِ الَّذِي دَعَاهُ لِلْقَائِمَةِ فَيَنْظُرُ إِلَى الْغَرَضِ الْمَطْلُوبِ
فَيَجْعَلُ التَّحْمِيدَ أَوْ الدَّعَاءَ أَوْ التَّمْضِيقَ مُشْعِرًا بِذَلِكَ فَإِنَّهُ مِنْ أَعْلَى
مَرَاتِبِ الْبَلَاغَةِ وَإِنَّمَا خُصَّتِ الْإِبْتِدَاءَاتُ بِالْإِخْتِيَارِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا
يَطْرُقُ السَّمْعَ مِنَ الْكَلَامِ فَإِذَا كَانَ الْإِبْتِدَاءُ مُؤَنِقًا بَدِيعًا رَشِيقًا
لَانْتِقًا بِاللُّغَى الْوَارِدِ بَعْدَهُ تَوَفَّرَتِ الدَّوَاعِي لِاسْتِمَاعِ مَا يَجِيءُ بَعْدَهُ
فَيَقْرَعُ أَسْمَاعَهُمْ شَيْءٌ بِدِيعٍ لَيْسَ لَهُمْ بِمِثْلِهِ عَهْدٌ فَيَرْغَبُونَ أَنْ
يَسْمِعُوا مَا بَعْدَهُ لِقَهْمِهِ . وَلِذَا جَعَلَ الْكُتَّابُ وَالْوَاعِظُونَ أَكْثَرَ
الْإِبْتِدَاءَاتِ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ لِأَنَّ النَّفْسَ تَتَشَوَّقُ لِلشَّاءِ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ دَاعِيَةٌ

إِلَى الْأَسْتِمَاعِ . وَقَدْ قِيلَ كُلُّ كَلَامٍ لَا يُبْتَدَأُ فِيهِ بِالْحَمْدَةِ فَهُوَ
 أَبْتَرُ . وَحَقِيقَةُ هَذَا الْبَابِ أَنْ يُجْعَلَ مَطْلَعُ الْكَلَامِ مِنَ الْخُطْبِ أَوْ
 الرِّسَالِ أَوْ الشِّعْرِ دَالًّا عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ . إِنْ
 فَتَحْنَا فَتْحًا وَإِنْ كَانَ هَنَاءَ فَهَنَاءٍ أَوْ كَانَ عَزَاءَ فَعَزَاءٍ وَكَذَلِكَ يَجْرِي
 الْحُكْمُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَارِي . وَقَائِدُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنَ الْكَلَامِ
 مَا الْمُرَادُ بِهِ وَيُسْتَفْحَجَ الْمُتَكَلِّمُ أَبْوَابَ الْأَسْمَاعِ وَيَسْتَحْضِرَ الْأَذْهَانَ
 لِلْأَسْتِمَاعِ . وَهَذَا الشُّعْبُ عَظِيمُ النِّفَعِ لِمَنْ حَقَّقَهُ وَلَا يُفْتَحُ بَابُهُ إِلَّا
 لِمَنْ طَرَفَهُ وَقَدْ يُسَمَّى أَيْضًا هَذَا النَّوْعُ بِرِاعَةِ الْإِسْتِهْلَالِ وَسَيَأْتِي
 عَنْهُ الْكَلَامُ فِي الْقِسْمِ الثَّانِي مِنْ هَذَا الْجُمُوعِ عِنْدَ الْكَلَامِ عَنْ
 الشِّعْرِ

البحث الثاني

في القضية والقياس

(من كتاب شرح مطالع السعود وكتابات أبي البقاء والشفاء لأن سينا باحتصار)

(راجع صفحة ٩٧ من الجزء الثاني من علم الادب)

الْقَضِيَّةُ قَوْلٌ يَصِحُّ أَنْ يُقَالَ لِقَائِلِهِ إِنَّهُ صَادِقٌ فِيهِ أَوْ كَاذِبٌ وَهِيَ
 جُمُوعُ الْمَعْلُومَاتِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ الْحَكْمُ عَلَيْهِ وَالْحَكْمُ بِهِ وَالنِّسْبَةُ
 الْحَكْمِيَّةُ وَالْحُكْمُ وَادْرَاكَ هَذِهِ الْأَرْبَعَةِ تَصْدِيقٌ . وَالْقَضِيَّةُ إِمَّا حَلِيَّةٌ
 وَإِمَّا شَرْطِيَّةٌ . قَالُوا : إِنْ كَانَ الْحَكْمُ عَلَيْهِ وَالْحَكْمُ بِهِ قَضِيَّتَيْنِ
 عِنْدَ التَّحْلِيلِ أَيْ عِنْدَ حَذْفِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْعِلَاقَةِ بَيْنَهُمَا مِنَ النِّسْبَةِ

الْحَكْمِيَّةُ سُيِّتَ شَرْطِيَّةٌ وَالْأُسَيِّتَ حَمَلِيَّةٌ. فَإِنَّ قَوْلَنَا مَثَلًا: (زَيْدٌ نَائِمٌ). قَضِيَّةٌ حَمَلِيَّةٌ. لِأَنَّ طَرَفَيْهَا مُفْرَدَانِ عِنْدَ التَّحْلِيلِ وَيُسَمَّى الطَّرْفُ الْأَوَّلُ مِنَ الْقَضِيَّةِ الْحَمَلِيَّةِ وَهُوَ التَّخْبِيرُ عَنْهُ مَوْضُوعًا وَالَّذِي فِي مَحْمُولًا. وَقَوْلَنَا: (إِنْ كَانَتْ الشَّمْسُ طَالَعَةً فَالْنَّهَارُ مُوجُودٌ) قَضِيَّةٌ شَرْطِيَّةٌ. لِأَنَّهُ إِذَا حَدَفْنَا (إِنْ وَالْفَاءُ) الْمُوجِبَتَيْنِ لِلرَّبْطِ بَقِيَ: (الشَّمْسُ طَالَعَةً) (وَالنَّهَارُ مُوجُودٌ) وَهُمَا قَضِيَّتَانِ. وَالْقَضِيَّةُ الْحَمَلِيَّةُ إِمَّا شَخْصِيَّةٌ وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ الْحَكْمُ عَلَيْهِ فِيهَا جُزْئِيًّا مُعَيَّنًا كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ كَاتِبٌ. وَإِمَّا كَلِّيَّةٌ وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ الْحَكْمُ عَلَيْهِ فِيهَا كَلِّيًّا يَشْمُلُ جَمِيعَ أَفْرَادِ الْمَوْضُوعِ. وَتَكُونُ كِلَاهُمَا إِمَّا مُوجِبَةً وَإِمَّا سَالِبَةً. وَإِنَّمَا يُحْكَمُ فِي الْقَضِيَّةِ الشَّرْطِيَّةِ عَلَى التَّعْلِيلِ وَهُوَ وَجُودُ إِحْدَى قَضِيَّتَيْهَا مُعَلَّقٌ عَلَى وَجُودِ الْأُخْرَى أَوْ عَلَى نَفْيِهَا وَهِيَ قِسْمَانِ مُتَّصِلَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُحْكَمُ فِيهَا بِإِزْمٍ قَضِيَّةٌ أُخْرَى أَوْ لَا لِزُومِهَا وَهِيَ الَّتِي تُوجِبُ التَّلَازُمَ بَيْنَ جُزْئَيْهَا تَحْوٍ: لَوْ كَانَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا. وَمُنْفَصِلَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُحْكَمُ فِيهَا بِامْتِنَاعِ اجْتِمَاعِ قَضِيَّتَيْنِ فَكَثُرَ فِي الصِّدْقِ وَهِيَ الَّتِي جُزْءَاهَا مُتَعَانِدَانِ تَحْوٍ: أَعَالِمٌ إِمَّا قَدِيمٌ أَوْ حَدِيثٌ. وَيُسَمَّى الطَّرْفُ الْأَوَّلُ مِنَ الْقَضِيَّةِ الشَّرْطِيَّةِ مُقَدِّمًا وَالثَّانِي تَالِيًا. وَلَا بُدَّ مِنْ رَابِطٍ بَيْنَ الْمَوْضُوعِ وَالْمَحْمُولِ

وَالْقَضِيَّةُ أَقْسَامٌ غَيْرُ هَذِهِ مِنْهَا (الْقَضِيَّةُ الْبَسِيطَةُ) وَهِيَ الَّتِي حَقِيقَتُهَا أَوْ مَعْنَاهَا إِمَّا إِجْبَابٌ فَقَطْ تَحْوٍ: كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ بِالضَّرُورَةِ.

وَأَمَّا سَلْبُ قَطْعِ نَحْوٍ: لَا شَيْءَ مِنَ الْإِنْسَانِ يَجْرِي بِالضَّرُورَةِ. وَمِنْهَا
(الْقَضِيَّةُ الْمُرَكَّبَةُ) وَهِيَ الَّتِي حَقِيقَتُهَا مُلْتَبِةٌ مِنْ إِيْجَابٍ وَسَلْبٍ
مَعًا نَحْوُ: كُلُّ إِنْسَانٍ ضَاحِكٌ لَا دَائِمًا. وَمِنْهَا (الْقَضِيَّةُ النَّظَرِيَّةُ)
وَهِيَ الَّتِي يُسْأَلُ عَنْهَا وَيُطْلَبُ بِالدَّلِيلِ اثْبَاتُهَا فِي الْعِلْمِ. فَهِيَ مِنْ
حَيْثُ أَنَّهَا يُسْأَلُ عَنْهَا تُسَمَّى مَسْأَلَةً. وَمِنْ حَيْثُ يُطْلَبُ حُصُولُهَا
مَطْلَبًا. وَمِنْ حَيْثُ تُسْتَخْرَجُ مِنَ الْإِرَاهِينِ نَتِيجَةٌ. وَمِنْ حَيْثُ يُبْتَنَى
عَلَيْهَا الشَّيْءُ أَصُولًا. وَمِنْ حَيْثُ أَنَّهَا مُنْطَبِقَةٌ عَلَى جُزْئِيَّاتٍ مَوْضُوعَةٍ
تَتَعَرَّفُ أَحْكَامُهَا مِنْهَا قَاعِدَةٌ. وَمِنْ حَيْثُ يَتَأَلَّفُ مِنْهَا النُّجْمَةُ مُدْمَمَةٌ
وَقَضِيَّةٌ. وَمِنْ حَيْثُ تَحْتَوِلُ الصِّدْقَ وَالْكَذِبَ خَبَرًا

البحث الثالث

في القياس واقسامه وانواعه

(من كتاب النجاة لابن سينا والكلبيات لابي الفنا)

(راجع صفحة ٩٧ من علم الخطابة)

وَأَمَّا الْقِيَاسُ فَهُوَ قَوْلُ مُؤَلِّفٍ مِنْ قَضَايَا إِذَا وُضِعَتْ لِرِمِّ عَنْهَا
بِذَاتِهَا لَا بِالْعَرَضِ قَوْلُ آخَرٍ اضْطِرَّارًا كَقَوْلِنَا: الْعَالَمُ مُتَنَبِّئٌ وَكُلُّ
مُتَغَيِّرٍ حَادِثٌ فَإِنَّهُ مُؤَلِّفٌ مِنْ قَضِيَّتَيْنِ وَلَزِمَ عَنْهُمَا أَنَّ الْعَالَمَ حَادِثٌ
وَهُوَ الْقِيَاسُ الْعَقْلِيُّ وَالْمُنْطَقِيُّ. وَالْقَوْلُ الْآخِرُ يُسَمَّى مَطْلُوبًا قَبْلَ
إِقَامَةِ الدَّلِيلِ عَلَيْهِ. وَنَتِيجَةٌ بَعْدَ تَرْكِيبِ الْقِيَاسِ لَهُ وَإِقَامَةُ الدَّلِيلِ

عَلَيْهِ وَيُسَمَّى بِالرَّذْفِ أَيْضًا. وَمَوْضُوعُ النَّتِيجَةِ هُوَ الْحَدُّ الْأَضْعَرُ
وَالْحَكْمُ فِيهَا هُوَ الْحَدُّ الْأَكْبَرُ. وَمَا كُرِّرَ فِي الْقَضِيَّتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ
يُسَمَّى حَدًّا أَوْسَطَ. وَيَدْعُونَ الْقَضِيَّةَ الْمَشْتَبَهَةَ عَلَى الْحَدِّ الْأَكْبَرِ
مُقَدِّمَةً كُبْرَى وَالْمَشْتَبَهَةَ عَلَى الْحَدِّ الْأَضْعَرِ مُقَدِّمَةً صُغْرَى. وَتَجْمُوعُ
الْمُقَدِّمَةِ الصُّغْرَى بِالْكُبْرَى فِي الْقِيَاسِ يُعْرَفُ بِالضَّرْبِ. وَنِسْبَةُ
الْحَدِّ الْأَوْسَطِ إِلَى الْأَضْعَرِ وَالْأَكْبَرِ هُوَ الشَّكْلُ. وَأَشْكَالُ
الْقِيَاسِ أَرْبَعَةٌ لِأَنَّ الْأَوْسَطَ إِنْ كَانَ مَحْمُولًا فِي الصُّغْرَى مَوْضُوعًا
فِي الْكُبْرَى فَهُوَ (الشَّكْلُ الْأَوَّلُ) كَقَوْلِكَ: كُلُّ بَدْعَةٍ ضَالَّةٌ
وَكُلُّ ضَالَّةٍ فِي النَّارِ. وَشَرَطُ إِتْجَاعِ هَذَا الشَّكْلِ إِيحَابُ الصُّغْرَى
وَكِلَّةُ الْكُبْرَى وَهُوَ يَخْتَصُّ بِأَنَّهُ يُنتِجُ الْمَوْجِبَةَ الْكِلِّيَّةَ. وَبَاقِي
الْأَشْكَالِ لَا يُنتِجُ الْمَوْجِبَةَ الْكِلِّيَّةَ بَلْ إِمَّا مُوجِبَةً جُزْئِيَّةً أَوْ
سَالِبَةً. وَإِنْ كَانَ الْحَدُّ الْأَوْسَطُ مَحْمُولًا فِي الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى فَهُوَ
(الشَّكْلُ الثَّانِي) كَقَوْلِكَ: كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ وَلَا شَيْءٌ مِنْ
الْجَمَادِ بِحَيَوَانٍ فَلَا شَيْءٌ مِنَ الْجَمَادِ بِإِنْسَانٍ. وَكَقَوْلِ الْبَعْضِ: كُلُّ
غَائِبٍ مَجْهُولٍ الصِّفَةِ وَكُلُّ مَا يَصِحُّ بَيَعُهُ لَيْسَ بِمَجْهُولٍ الصِّفَةِ فَالنَّتِيجَةُ
كُلُّ غَائِبٍ لَا يَصِحُّ بَيَعُهُ. وَشَرَطُ إِتْجَاعِهِ اخْتِلَافُ مُقَدِّمَتَيْهِ فِي
الْإِيحَابِ وَالسَّلْبِ وَكِلَّةِ كُبْرَاهُ وَمِنْ خَوَاصِهِ أَنَّهُ لَا يُنتِجُ إِلَّا
سَالِبَةً. وَإِنْ كَانَ الْأَوْسَطُ مَوْضُوعًا فِي الصُّغْرَى وَالْكُبْرَى فَهُوَ
(الشَّكْلُ الثَّلَاثُ) نَحْوُ كُلِّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ وَكُلُّ إِنْسَانٍ نَاطِقٌ
فَبَعْضُ الْحَيَوَانِ نَاطِقٌ. وَشَرَطُ إِتْجَاعِهِ أَنْ تَكُونَ صُغْرَاهُ مُوجِبَةً

وَأَنْ تَكُونَ إِحْدَى مُقَدَّمَتَيْهِ كُرِّيَّةٌ وَمِنْ خَوَاصِهِ أَنْ تَتَجَسَّهَ لَا
تَكُونَ إِلَّا جُزْئِيَّةً. وَإِنْ كَانَ أَحَدُ الْأَوْسَطِ عَكْسَ الْأَوَّلِ بِأَنْ
يَكُونَ مَوْضُوعًا فِي الصَّغَرَى تَحْدُولًا فِي الْكِبَرَى فَهُوَ (الشَّكْلُ
الرَّابِعُ) كَقَوْلِكَ: كُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ وَكُلُّ نَاطِقٍ إِنْسَانٌ قَبْضُ
الْحَيَوَانِ نَاطِقٌ

وَالْقِيَاسُ يَقُومُ إِلَى كَامِلٍ وَغَيْرِ كَامِلٍ فَالْقِيَاسُ الْكَامِلُ هُوَ
الْقِيَاسُ الَّذِي يَكُونُ لِرُومٍ مَا يَلْزَمُ عَنْهُ بَيِّنًا عِنْدَ وَضْعِهِ فَلَا يَحْتَاجُ
أَنْ نُبَيِّنَ أَنَّ ذَلِكَ لَا زِمَ عَنْهُ. وَالْمُعْزِ الْكَامِلُ هُوَ الَّذِي يَلْزَمُ عَنْهُ
شَيْءٌ وَلَكِنْ لَا يَكُونُ بَيِّنًا فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ أَنَّ ذَلِكَ يَلْزَمُ عَنْهُ.
بَلْ إِذَا أُريدَ أَنَّ نُبَيِّنَ ذَلِكَ بُيِّنَ بِشَيْءٍ آخَرَ لِكِنَّهُ غَيْرُ خَارِجٍ مِنْ
جُمْلَةِ مَا قِيلَ بَلْ إِمَّا نَقْبِضُ مَا قِيلَ أَوْ عَكْسُهُ تَعْيِيرُ شَيْءٍ مِنْهُ
وَأَفْتِرَاضُهُ. وَالْقِيَاسُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مَا يَلْزَمُ مِنْهُ لَيْسَ هُوَ وَلَا نَقْبِضُهُ
مَقُولًا فِيهِ بِالْفِعْلِ بَوَجهِ بَلْ بِالْقُوَّةِ وَيُسَمَّى قِيَاسًا أَفْتِرَاضِيًّا كَقَوْلِكَ:
كُلُّ جِسْمٍ مُؤَلَّفٌ وَكُلُّ مُؤَلَّفٍ مُخْدَتٌ سَيِّ بِهِ لِأَفْتِرَاضِ الْخُدُودِ فِيهِ.
وَأَمَّا أَنْ يَكُونَ مَا يَلْزَمُ مِنْهُ هُوَ أَوْ نَقْبِضُهُ مَقُولًا فِيهِ بِالْفِعْلِ وَيُسَمَّى
قِيَاسًا اسْتِنَائِيًّا كَقَوْلِكَ: إِنْ كَانَتِ النَّفْسُ لَهَا فِعْلٌ بِذَاتِهَا فَهِيَ
قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا لَكِنْ لَهَا فِعْلٌ بِذَاتِهَا فَهِيَ قَائِمَةٌ بِذَاتِهَا



المبحث الثالث

في ملحقات القياس

(من كتاب شرح المطالع وشرح التسمية والكلبيات لابي البقا)

(راجع صفحة ١١١ من علم الخطابة)

وَلَا قِسَامَ الْقِيَاسِ مُلْحَقَاتُ آخَرُ يُقْسَمُ إِلَيْهَا . (أَوَّلُهَا) الْقِيَاسُ
الْمُرَكَّبُ وَهُوَ قِيَاسُ رَكِبٍ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ يُلْتَمِجُ مُقَدَّمَتَانِ مِنْهَا نَتِيجَةٌ
وَهِيَ مَعَ الْمُقَدَّمَةِ الْآخَرَى نَتِيجَةٌ أُخْرَى وَلَا تَرَالُ نَتَائِجُ بَعْضُهَا
مُقَدَّمَاتُ لِبَعْضٍ إِلَى أَنْ يَخْصَلَ الْمَطْلُوبُ . فَإِنْ صُرِّحَ بِنَتَائِجِ تِلْكَ
الْأَقْسِمَةِ سَمِيَ مَوْضُولُ النَتَائِجِ لَوْضَلِ تِلْكَ النَتَائِجِ بِالْمُقَدَّمَاتِ
كَقَوْلِكَ : كُلُّ كَاتِبٍ إِنْسَانٌ وَكُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ فَكُلُّ كَاتِبٍ
حَيَوَانٌ . وَكُلُّ حَيَوَانٍ ذُو حِسٍّ فَكُلُّ كَاتِبٍ ذُو حِسٍّ . وَكُلُّ ذُو
حِسٍّ جِسْمٌ فَكُلُّ كَاتِبٍ جِسْمٌ . وَإِنْ لَمْ يُصَرِّحْ بِنَتَائِجِ تِلْكَ
الْأَقْسِمَةِ سَمِيَ مَفْضُولُ النَتَائِجِ وَمَطْوِيَّهَا كَقَوْلِكَ : كُلُّ كَاتِبٍ إِنْسَانٌ .
وَكُلُّ إِنْسَانٍ حَيَوَانٌ . وَكُلُّ حَيَوَانٍ ذُو حِسٍّ . وَكُلُّ ذِي حِسٍّ نَامٌ .
وَكُلُّ نَامٍ جِسْمٌ فَكُلُّ كَاتِبٍ جِسْمٌ . (وَالثَّانِي) قِيَاسُ الْخَلْفِ . وَهُوَ
قِيَاسٌ اسْتِثْنَائِيٌّ يُقْصَدُ فِيهِ اثْبَاتُ الْمَطْلُوبِ بِإِبْطَالِ نَقِيضِهِ كَمَا إِذَا
قِيلَ كُلُّ نَبَاتٍ نَامٌ وَلَا شَيْءٍ مِنَ الْجَمَادِ يَنَامُ فَلَا شَيْءَ مِنَ النَّبَاتِ
بِجَمَادٍ . فَيَقَالُ لَوْ لَمْ يَكُنِ الْمَطْلُوبُ حَقًّا أَيْ لَا يَبْقَى مِنَ النَّبَاتِ
بِجَمَادٍ لَصَدَقَ نَقِيضُهُ أَيْ بَعْضُ النَّبَاتِ جَمَادٌ . لَكِنْ لَوْ كَانَ هَذَا

الْتَقِيضُ حَقًّا لَمَّا صَدَقَ كَوْنُ كُلِّ نَبَاتٍ نَامِيًّا. وَقَدْ سُمِّيَ هَذَا الْقِيَاسُ
خَلْفًا لِأَنَّا لَمْ نَمَسِّكْ بِهِ ثَبُوتَ مَطْلُوبِهِ مِنْ خَلْفِهِ أَيْ مِنْ وَرَائِهِ .
(وَالثَّالِثُ) قِيَاسُ الْأَسْتِقْرَاءِ وَهُوَ قَوْلُ: «وَلَفَّ مِنْ قَضَايَا تَشْتَمِلُ
عَلَى الْحُكْمِ عَلَى الْجُزْئِيَّاتِ لِإِثْبَاتِ الْحُكْمِ الْكُلِّيِّ». وَيُحَدِّثُ أَيْضًا
الْحُكْمُ عَلَى كُلِّيٍّ لَوْجُودِهِ فِي أَكْثَرِ جُزْئِيَّاتِهِ وَقِيلَ أَيْضًا: هُوَ تَصْفُحُ
الْجُزْئِيَّاتِ لِإِثْبَاتِ حُكْمِ كُلِّيٍّ ثُمَّ الْأَسْتِقْرَاءُ قِسْمَانِ (تَامٌّ) وَيُسَمَّى
قِيَاسًا مُقْتَمًا وَهُوَ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِجَمِيعِ الْجُزْئِيَّاتِ وَيُحْكَمَ عَلَى الْكُلِّ
وَهُوَ قَلِيلٌ الْأَسْتِعْمَالُ كَمَا يُقَالُ: كُلُّ جِسْمٍ إِمَّا حَيَوَانٌ أَوْ نَبَاتٌ
أَوْ جَمَادٍ وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُتَحَدِّثٌ فَيُنتِجُ أَنَّ كُلَّ جِسْمٍ مُتَحَدِّثٌ وَهُوَ
يُفِيدُ الْيَقِينَ. (وَنَاقِصٌ) وَهُوَ أَنْ يُسْتَدَلَّ بِأَكْثَرِ الْجُزْئِيَّاتِ فَقَطْ
وَيُحْكَمَ عَلَى الْكُلِّ وَهُوَ قِسْمُ الْقِيَاسِ وَلِذَا عَدَّاهُ مِنْ لَوَاحِقِ
الْقِيَاسِ وَتَوَابِعِهِ وَهُوَ يُفِيدُ الظَّنَّ كَقَوْلِنَا: كُلُّ حَيَوَانٍ يَتَحَرَّكُ فَكُهُ
الْأَسْفَلُ عِنْدَ الْمَضْغِ لِأَنَّ الْإِنْسَانَ وَالْفَرَسَ وَالْحِمَارَ وَالْبَقَرَ وَغَيْرَ
ذَلِكَ مِمَّا تَتَبَعْنَاهُ كَذَلِكَ . فَإِنَّهُ يُفِيدُ الظَّنَّ بِجَوَازِ التَّخْلُفِ كَمَا فِي
الْتِمْسَاحِ. (وَالرَّابِعُ) قِيَاسُ التَّنْثِيلِ وَهُوَ إِثْبَاتُ حُكْمٍ فِي جُزْئِيٍّ
لِثْبُوتِهِ فِي جُزْئِيٍّ آخَرَ لِمَعْنَى مُشْتَرَاكِهِ بَيْنَهُمَا مُؤَبَّرٌ فِي ذَلِكَ الْحُكْمِ
كَقَوْلِكَ: الْعَالَمُ مُؤَلَّفٌ فَهُوَ مُحَدَّثٌ كَالْمَدِينَةِ لِأَنَّ كُلَّيْهَا مُرَكَّبٌ
مِنْ أَجْزَاءٍ وَهُوَ يُشَمُّ إِلَى تَمَثُّلِ قِطْعِيٍّ يُفِيدُ الْيَقِينَ وَإِلَى غَيْرِ
قِطْعِيٍّ يُفِيدُ الظَّنَّ

أَمَّا أَنْوَاعُ الْقِيَاسِ فَخَمْسَةٌ . (أَحَدُهَا) الْقِيَاسُ الْبُرْهَانِيُّ وَهُوَ

مَا رَكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ يَقِينَنِي كَقَوْلِكَ: زَيْدٌ إِنْسَانٌ فَهُوَ قَابِلُ
 الْعِلْمِ. (وَالثَّانِي) الْجَدِيُّ وَهُوَ مَا رَكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ مَشْهُورَةٍ
 يُسَلِّمُ بِهَا أَخْضَمُ وَلَا يَقْوَى عَلَى انْكَارِهَا لِشَهْرَتِهَا بَيْنَ الْجُمْهُورِ
 نَحْوُ: الْعَالَمُ مُتَغَيِّرٌ فَهُوَ مُحَدَّثٌ. (وَالثَّالِثُ) الْخَطَائِيُّ وَهُوَ مَا
 رَكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ مَقْبُولَةٍ يُرَادُ بِهَا تَرْغِيبُ السَّامِعِ أَوْ تَرْهِيْبُهُ نَحْوُ:
 الصَّلَاةُ يُرْفَعُ فِيهَا مَخَاجَةُ الْإِنْسَانِ. وَإِنَّمَا هِيَ مَعْصِيَةٌ فَهُوَ مُمْلِكٌ.
 (وَالرَّابِعُ) الشَّعْرِيُّ وَهُوَ مَا رَكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ تُحْيِلُهُ نُومًا
 فِي أَنْفُسٍ بَسِطًا أَوْ قَبْضًا صَادِقَةً كَانَتْ أَوْ كَاذِبَةً نَحْوُ: الْخُمْرُ
 قَرْمَزِيَّةٌ سَاطِعَةٌ فَهِيَ تَبْهِجُ النَّظَرَ أَوْ هِيَ مُرَّةٌ مَوْعَةٌ فَهِيَ تُزْجَعُ
 الْفَسَ. (وَالْخَامِسُ) الْمُنَالِطِيُّ وَهُوَ مَا رَكِبَ مِنْ مُقَدَّمَاتٍ كَاذِبَةٍ
 شَبِيْهَةٍ بِالصَّادِقَةِ كَقَوْلِكَ عَنْ بُرْجِ الْأَسَدِ: هَذَا أَسَدٌ فَهُوَ يُرَارُ.
 وَالْعَمْدَةُ فِي الْخَطَابَةِ عَلَى الْبُرْهَانِ الْخَطَائِيِّ أَيِ ذِي الْمَقَدَّمَاتِ الْمَقْبُولَةِ

المبحث الرابع

في القياسات المستعملة في الخطابة واخصها القياس الاضماري
 والتمثيل

(من تلخيص خطابة ارسطو لان رشد)

(راجع الصفحة ١٠٨ من الجزء الثاني من علم الادب)

نَقُولُ إِنَّ الْأَقَاوِيلَ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْإِبْثَاتُ وَالْإِبْطَالُ كَمَا
 إِنَّمَا فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ صِنْفَانِ أَحَدُهُمَا الْأَسْتِقْرَاءُ وَمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ

أَسْتَقْرَأَ وَالصَّنْفُ الثَّانِي الْقِيَاسُ وَمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ قِيَاسٌ كَذَلِكَ
 الْأَقَاوِيلُ الْمُنْتَهَى فِي الصَّنَاعَةِ وَالْمُبْتَطَّةُ صِنْفَانِ أَحَدُهُمَا شَبِيهُ بِالْأَسْتَقْرَاءِ
 وَهُوَ الْمِثَالُ وَالْآخَرُ شَبِيهُ بِالْقِيَاسِ وَهُوَ الضَّمِيرُ وَالضَّمِيرُ الَّذِي
 يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ ضَمِيرٌ وَلَيْسَ بِضَمِيرٍ يُشَبِّهُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ هُنَاكَ أَنَّهُ
 قِيَاسٌ وَلَيْسَ بِقِيَاسٍ . وَكَذَلِكَ الْمِثَالُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مِثَالٌ
 وَلَيْسَ بِمِثَالٍ يُشَبِّهُهُ إِلَّا اسْتَقْرَاءُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ اسْتَقْرَاءٌ وَلَيْسَ
 بِالْأَسْتَقْرَاءِ . فَالضَّمِيرُ هُوَ الْقِيَاسُ الْخَطِيئُ وَالْمِثَالُ هُوَ الْأَسْتَقْرَاءُ الْخَطِيئُ .
 وَالْخَطْبَاءُ إِذَا تَوَقَّلَ أَمْرُهُمْ ظَهَرَتْ أَنَّهُمْ يَفْعَلُونَ جَمِيعَ التَّصَدِيقَاتِ
 آتِي تَكُونُ بِالْقَوْلِ يَهْدِيَنِ الصَّنِفَيْنِ أَعْنَى إِمَّا بِالْمِثَالِ وَإِمَّا بِالضَّمِيرِ .
 وَذَلِكَ أَنَّهُمْ يَوْمُونَ بِفَعْلِهِمْ هَذَا أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْأَسْتَقْرَاءِ وَالْقِيَاسِ .
 وَالَّذِي يَفْعَلُونَ مِنْ ذَلِكَ إِنَّمَا يَفْعَلُونَهُ بِمَا هُوَ وَمِثَالُ فِي الْحَقِيقَةِ أَوْ
 بِمَا يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ كَذَلِكَ وَتَبَيَّنَ فِي كِتَابِ الْقِيَاسِ أَنَّ كُلَّ تَصَدِيقٍ
 فَإِنَّهُ يَكُونُ بِالْقِيَاسِ وَأَنَّ الْأَسْتَقْرَاءَ وَالْمِثَالَ إِنَّمَا يُفِيدَانِ
 التَّصَدِيقَ بِمَا فِيهِمَا مِنْ قُوَّةِ الْقِيَاسِ . فَأَمَّا مَا هُوَ الْقِيَاسُ وَمَا الْفَضْلُ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَرَهَانِ فَقَدْ قِيلَ فِي كِتَابِ الْجَدَلِ وَقَدْ تَبَيَّنَ هُنَاكَ
 أَيْضًا الْفَرْقُ بَيْنَ الْقِيَاسِ وَالْأَسْتَقْرَاءِ . وَالْأَسْتَقْرَاءُ وَالْمِثَالُ يَشْتَرِكَانِ
 فِي أَنَّ كِلَيْهِمَا يُنْتَبَاهُ أَنَّ هَذَا الشَّيْءَ موجودٌ كَذَا أَوْ غَيْرُ موجودٍ كَذَا
 مِنْ أَجْلِ وجودِ ذَلِكَ الشَّيْءِ أَوْ لَا وجودِهِ فِي شَبِيهِ . وَالضَّمِيرُ
 وَالْقِيَاسُ يَشْتَرِكَانِ فِي أَنَّ كِلَيْهِمَا قَوْلٌ يُوضَعُ فِيهِ شَيْءٌ فَلِذَا مُمْرُغُهُ
 شَيْءٌ آخَرُ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَهُوَ بَيِّنٌ أَنَّ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ

هَذَيْنِ الْجَنَسَيْنِ مِنَ الْقَوْلِ نَوْعًا خُطْبِيًّا وَنَوْعًا جَدِيًّا وَنَوْعًا بُرْهَانِيًّا وَنَوْعًا سُوفِسْطَانِيًّا. فَإِنَّهُ كَمَا يُوجَدُ الْأَسْتِثْرَاءُ وَالْأَقْيَاسُ فِي هَذِهِ الصَّنَائِعِ كَذَلِكَ يُوجَدُ فِي الْخُطَابَةِ الْمِثَالُ وَالضَّحِيرُ وَإِنَّمَا يُخْتَلَفُ فِي هَذِهِ الصَّنَائِعِ بِجِهَةِ الْأَسْتِعْمَالِ أَنِّي فِي صِنَاعَةِ الْبُرْهَانِ وَصِنَاعَةِ الْجَدَلِ. وَالْأَقْيَاسُ فِي الْجَدَلِ أَوْثَقُ مِنَ الْأَسْتِثْرَاءِ وَالْمِثَالِ فِي الْخُطَابَةِ أَقْعُ مِنَ الضَّحِيرِ لِأَنَّ الضَّحِيرَ يَتَطَرَّقُ إِلَيْهِ الْعَادُّ أَكْثَرَ مِنْ تَطَرُّقِهِ إِلَى الْمِثَالِ وَسَبَبُ هَذَا سَخِيفُ بِهِ فَمَا بَعْدَ وَكَذَلِكَ كَيْفَ نَسْتَعْمِلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ. فَأَمَّا الْآنَ فَيَنْبَغِي أَنْ نَحْدِدَ هَذَيْنِ الطَّرِيقَيْنِ مِنَ الْإِقْنَاعِ أَيْ الضَّحِيرِ وَالْمِثَالِ فَقُولُ :

إِنَّ الْقَوْلَ الْمُنْتَفِعَ إِمَّا أَنْ يَكُونَ مُقْنَعًا لِوَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ لْجَمَاعَةٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ لِأَكْثَرِ النَّاسِ. وَأَيْضًا مِنْهُ مَا يَكُونُ إِقْنَاعُهُ فِي أَمْرٍ كُلِّيٍّ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ فِي أَمْرٍ جُزْئِيٍّ. وَكِلَا هَذَيْنِ مِنْهُ مَا يَكُونُ إِقْنَاعُهُ بَيْنًا بِنَفْسِهِ وَمِنْهُ مَا يَكُونُ إِقْنَاعُهُ بِغَيْرِهِ. وَالَّذِي يَكُونُ إِقْنَاعُهُ بِغَيْرِهِ فِي الْجُزْئِيَّاتِ ضَرْبَانِ (أَحَدُهُمَا) أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ : إِنَّ كَذَا إِذَا هُوَ كَذَا لِمَوْضِعٍ كَذَا. وَمِثْلُ قَوْلِ الْقَائِلِ : إِنَّ شَرَابَ الْأَسْكَجِينِ يَنْتَفِعُ فَلَنَا لِأَنَّهُ مُحْدِثٌ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُسَمَّى الضَّحِيرَ. (وَالضَّرْبُ الثَّانِي) أَنْ يَقُولَ : إِنَّ كَذَا إِذَا كَانَ كَذَا لِأَنَّهُ مِثْلُ كَذَا. وَمِثْلُ أَنْ يَقُولَ : إِنَّ فَلَانًا يَنْتَفِعُ بِشَرَابِ لَسْكَجِينٍ لِأَنَّهُ فَلَانًا أَنْتَفَعَ بِهِ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْمِثَالِ. وَالْمُقْنَعَاتُ الَّتِي هِيَ مُقْنَعَةٌ عِنْدَ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ فَلَيْسَ تَسْتَعْمِلُهَا

هَذِهِ الصَّنَاعَةُ لِأَنَّ ذَلِكَ غَيْرُ مُتَّاهٍ وَغَيْرُ مَعْلُومٍ عِنْدَ الْمُسْتَعْمِلِ
لَهَا وَإِذَلِكَ لَيْسَتْ تَسْتَعْمَلُ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ مِنَ الْمَقْدَمَاتِ الْمَحْمُودَةِ
أَعْنِي الْقَبُولَةَ مَا كَانَ مَقْبُولًا عِنْدَ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ . وَتِلْكَ هِيَ
الْأَرَاءُ الْخَادِثَةُ لِلنَّاسِ عِنْدَ الشُّوقِ وَالْهَوَى بَلْ إِنَّمَا تَسْتَعْمَلُ
الْمَحْمُودَةُ عِنْدَ الْأَكْثَرِ أَوْ الْجَمِيعِ عَلَى مِثْلِ مَا تَسْتَعْمِلُهُ صِنَاعَةُ
الْجَدَلِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ هَكَذَا فَالَّذِي يَفْتَرِقُ بِهِ الْقِيَاسُ
الْمُسْتَعْمَلُ فِي صِنَاعَةِ الْجَدَلِ وَفِي صِنَاعَةِ الْبَرَهَانِ مِنَ الضَّمِيرِ الْمُسْتَعْمَلِ
فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنَّ الْقِيَاسَ يُرْتَّبُ التَّرْتِيبَ الَّذِي يَكُونُ بِهِ الْقَوْلُ
مُنْتَجًا بِالضَّرُورَةِ . وَأَمَّا الْخَيْرُ فَإِنَّهُ تَتَرْتَّبُ مُقَدِّمَاتُهُ التَّرْتِيبَ الَّذِي
هُوَ مُعْتَادٌ عِنْدَ الْجُمْهُورِ أَنْ يَقْبَلَ . وَذَلِكَ هُوَ بِخِلَافِ التَّرْتِيبِ
الصَّنَاعِيِّ فَإِنَّ النَّاسَ يَسْتَرَيِبُونَ بِالْقَوْلِ الْأَزِمِّ عَنِ الْقَوْلِ الصَّنَاعِيِّ
وَيَرَوْنَ أَنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا أَرِمَ مِنْ جِهَةِ الصَّنَاعَةِ لَا مِنْ جِهَةِ الْأَمْرِ فِي
نَفْسِهِ . وَآيَاضًا فَإِنَّ التَّرْتِيبَ الصَّنَاعِيَّ يَقْتَضِي أَنْ يُصْرَحَ فِيهِ بِجَمِيعِ
الْمَقْدَمَاتِ الضَّرُورِيَّةِ فِي بَيَانِ ذَلِكَ الْمَطْلُوبِ وَالْجُمْهُورُ لَا
يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَفْهَمُوا لَزُومَ النَتِيجَةِ أَنِّي تَلَزَمُ عَنْ مُقَدِّمَاتٍ كَثِيرَةٍ .
وَأَيَاضًا فَلَهُمْ لَا يُبَاعِدُونَ بَيْنَ النَتِيجَةِ وَالشَّيْءِ الَّذِي تَلَزَمُ عَنْهُ النَتِيجَةُ
أَعْنِي أَنَّهُمْ لَا يُصْرَحُونَ فِي الْقِيَاسِ بِالْمَقْدَمَتَيْنِ جَمِيعًا مَعَ النَتِيجَةِ
بَلْ إِنَّمَا يَأْتُونَ بِمُقَدِّمَةٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ يُرَدُّونَهَا بِالنَتِيجَةِ . مِثْلُ أَنَّهُمْ
يَقُولُونَ : هَذَا يَدُورُ بِاللَّيْلِ فَهُوَ لَصٌّ . وَلَا يَقُولُونَ : كُلُّ مَنْ يَدُورُ
بِاللَّيْلِ فَهُوَ لَصٌّ وَهِيَ الْمَقْدَمَةُ الْكُبْرَى . وَآيَاضًا فَإِنَّ الضَّمِيرَ لَمَّا

كَانَتْ تُضَعُ فِي الْأَكْثَرِ فِي الْأُمُورِ الْمُسَكَّنَةِ وَذَلِكَ بَيْنَ فِي
 الْأُمُورِ الْمَشَاوِرَةِ فَإِنَّهُ لَيْسَ يُشِيرُ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ بِأَمْرٍ ضَرُورِيٍّ
 الْوُجُودِ وَلَا مُنْتَمِعِ الْوُجُودِ وَكَانَتْ الْمَقْدَمَةُ الْكُبْرَى فِي أَمْثَالِ
 هَذِهِ الْمَوَادِّ كَاذِبَةٌ بِالْجُزْءِ لَمْ يُضَرِّحُوا بِهَا فِي الْمَقَائِسِ الَّتِي
 يَسْتَعْمِلُونَهَا فِي هَذِهِ الْجِنَاغَةِ لِئَلَّا يُظَنَّ بِكَذِبِهَا . وَإِذَا فَلَمَّا كَانَتْ
 الْمَقَائِسُ الْحَيَّةُ الصَّعَّةُ فِي هَذِهِ الْجِنَاغَةِ إِنَّمَا هِيَ أَحَدُ صِنْفَيْنِ إِمَّا
 الْمَقَائِسِ الَّتِي تُؤْتَى مِنَ الْمَقْدَمَاتِ الْبَيِّنَةِ إِفْتِئَاعِهَا بِنَفْسِهِ وَإِمَّا مِنْ
 مُقَدَّمَاتٍ تَبَيَّنَ مُقَدَّمَاتُهَا بِمَقْدَمَاتٍ أُخَرِ تَحْتَاطُ بِهَا وَالْأَمْرُ يَبَيَّنُ
 حَمْدُهَا . فَقَدْ يَلْحَقُ ضَرُورَةً فِي هَذَا الصَّنْفِ الثَّانِي أَنْ يَغُسَّرَ تَأْلِيفُ
 الْمَقْدَمَاتِ وَتَرْتِيبُهَا التَّرْتِيبَ الصَّنَاعِي لِمَكَانِ كَثَرَةِ الْمَقْدَمَاتِ وَطُولِ
 الزَّمَانِ الَّذِي يُصَرِّحُ فِيهِ بِجَمِيعِهَا وَتَرْتِيبُهَا صَنَاعِيًا وَذَلِكَ الشَّيْءُ
 لَا يُسَاعِدُ عَلَيْهِ الْحُكَّامُ بَلْ يَحْمِلُونَ أَلْتَكَلَّمَ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ أَنْ يَكُونَ
 كَلَامُهُ بَسِيطًا غَيْرَ مُتَكَافٍ فِيهِ صَنَعَةً عَلَى الْجَهْلُورِ فِي ذَلِكَ فَإِنَّهُ
 مَتَى كَانَ الْكَلَامُ لَيْسَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ كَانَ غَيْرَ مُقْنِعٍ . وَذَلِكَ
 فِي الْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ يَكُونُ فِيهِمَا الْإِفْتِئَاعُ أَغْنَى فِي أَنْ الشَّيْءُ مَوْجُودٌ
 أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ وَفِي أَنَّهُ إِذَا وَجَدَ مَحْمُودٌ أَوْ غَيْرُ مَحْمُودٍ . وَكَذَلِكَ
 إِذَا اسْتَعْمَلَ التَّضَدِيقُ بِطَرِيقِ اخْتِذِ الْأَشْبَاهِ وَاسْتَقْصِي وَجِعَلْ عَلَى
 طَرِيقِ الْأَسْتِقْرَاءِ عَرَضَ الْعُسْرِ الَّذِي وَصَفْنَاهُ مِنْ الطُّولِ وَالْكَثْرَةِ .
 وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَلِذَاذَنْ الْقِيَاسُ الْخَطِيئُ وَهُوَ الضَّيِّقُ وَالْإِمْتَالُ إِنَّمَا
 يَكُونَانِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْقِيَاسُ وَالْأَسْتِقْرَاءُ بِإِطْلَاقٍ وَتِلْكَ

الْأَشْيَاءَ مَأْخُوذَةً بِحَالٍ غَيْرِ الْحَالِ الَّتِي أُخِذَتْ بِهَا فِي الْقِيَاسِ
وَالِاسْتِقْرَاءِ . فَإِذَا اسْتَعْمِلْتَ تِلْكَ الْأَشْيَاءَ بِالْحَالِ الَّتِي بُيِّنَ فِي
كِتَابِ الْقِيَاسِ عَادَ الْمِثَالُ اسْتِقْرَاءً وَالضَّمِيرُ قِيَاسًا . وَإِذَا أُخِذَتْ
بِهَذِهِ الْحَالِ الَّتِي ذَكَرْنَا عَادَ الْاسْتِقْرَاءُ مِثَالًا وَالْقِيَاسُ ضَمِيرًا .
وَتِلْكَ الْحَالُ هِيَ اخْتِزَامُ الْقِيَاسِ وَالِإِعْتِبَارُ بِمُقَدَّمَاتٍ قَلِيلَةٍ وَجِدَةٍ
فَإِنَّ الْإِقْنَاعَ إِنَّمَا يَكُونُ أَكْثَرُ ذَلِكَ بِالْمُقَدَّمَاتِ الَّتِي هِيَ فِي
غَايَةِ الظُّهُورِ وَحَذَفِ مَا خَفِيَ مِنْهَا وَإِضًا فَإِنَّ الْخُجُودَ فِي
هَذِهِ الصَّلَاةِ أَنْ يُحْذَفَ اللَّازِمُ عَنْهُ وَيُؤْتَى بِالشَّيْءِ الَّذِي يَلْزَمُ
إِذَا أُخِيرَ بِاللَّازِمِ وَاللَّزِمُ فَكَأَنَّهُ قَدْ ذَكَرَ الشَّيْءَ مَرَّتَيْنِ فَيَكُونُ
هَذَا فِي بَادِي الرَّأْيِ . وَعَلَى هَذَا فَلَا يُصْرَحُ بِاخْتِزَامِ الْاَوْسَطِ فِي
الْقِيَاسِ إِلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً وَلَا فِي الْإِعْتِبَارِ إِلَّا بِشَيْءٍ وَاحِدٍ فَيَكُونُ
الْقِيَاسُ ضَرْوَةً ضَمِيرًا أَوْ مَحْذُوفًا إِحْدَى مُقَدَّمَتَيْهِ وَهَذَا سُمِّيَ ضَمِيرًا
إِذْ كَانَتْ إِحْدَاهُمَا مُضْمَرَةً وَيَكُونُ الْاسْتِقْرَاءُ ضَرْوَةً تَمَثِيلًا

البحث الخامس

في مقدمات القياسات الخطبية

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَمُقَدَّمَاتُ الْقِيَاسَاتِ الْخَطْبِيَّةِ قَدْ تَكُونُ ضَرْوِيَّةً وَذَلِكَ
فِي الْأَقْلِ وَتَكُونُ مُمَكِّنَةً وَذَلِكَ فِي الْأَكْثَرِ لِأَنَّ أَكْثَرَ الْفَحْصِ
الْجَنُودِيَّ إِنَّمَا هُوَ فِيمَا يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ بِحَالٍ وَيُمْكِنُ إِلَّا يَكُونَ

بِتِلْكَ الْحَالِ. وَذَلِكَ بَيِّنٌ فِي الْأَشْيَاءِ أَتَى يُشَارُ بِهَا وَذَلِكَ أَنَّهَا كُلُّهَا
أُمُورٌ مَفْعُولَةٌ لِلْإِنْسَانِ لَا ضَرُورِيَّةَ الْوُجُودِ وَلَا مُتَمَتِّعَةَ الْوُجُودِ .
وَالنَّتَائِجُ الضَّرُورِيَّةُ فَإِنَّهَا تَكُونُ بِالذَّاتِ عَنْ مُقَدَّمَاتِ ضَرُورِيَّةٍ
وَالْمُكِنَّةُ عَنْ مُقَدَّمَاتٍ مُمَكِّنَةٍ . وَالضَّمَاكُ مِنْهَا مَا يَكُونُ عَنْ مُقَدَّمَاتٍ
مَحْمُودَةٍ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ مِنَ الدَّلَائِلِ . وَاعْنِي بِالْمُقَدَّمَاتِ الْمُحْمُودَةِ
أَتَى لَيْسَتْ دَلَالٌ . مِثْلُ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يُشْكَرَ الْمُتَعَمُّدُ وَأَنْ يُسَاءَ
إِلَى الْمُسِيءِ . وَاعْنِي بِالدَّلَائِلِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى وُجُودِ شَيْءٍ
لِشَيْءٍ . وَهَذَا الصِّفَتَانِ مِنَ الْمُقَدَّمَاتِ يُوجَدَانِ فِي الْمَوَادِّ الضَّرُورِيَّةِ
وَالْمُكِنَّةِ اعْنِي الْمُحْمُودَاتِ وَالِدَّلَائِلِ . وَلَيْسَ يُوجَدَانِ فِي الْمُكِنَّةِ
عَلَى الْأَكْثَرِ فَقَطْ بَلْ وَفِي الْمُكِنَّةِ عَلَى التَّسَاوِي . وَهِيَ أَتَى
نِسْبَتُهَا إِلَى الْمُقَدَّمَاتِ الْمُكِنَّةِ عَلَى الْأَكْثَرِ نِسْبَةً أَلَّتَى عَلَى الْأَكْثَرِ
إِلَى الضَّرُورِيِّ وَهِيَ نِسْبَةُ الْكُلِّ مِنَ الْبَعْضِ وَذَلِكَ أَنَّ الصِّدْقَ
فِي الضَّرُورِيَّةِ أَعَمُّ مِنَ الصِّدْقِ فِي الْمُكِنَّةِ عَلَى الْأَكْثَرِ إِذَا
كَانَتْ الضَّرُورِيَّةُ تُوجَدُ إِنْ كُلِّ الْمَوْضُوعِ وَالْمُكِنَّةُ عَلَى الْأَكْثَرِ لَا
تُوجَدُ لِكُلِّهِ . وَكَذَلِكَ نِسْبَةُ الْمُكِنَّةِ عَلَى التَّسَاوِي إِلَى الْمُكِنَّةِ
عَلَى الْأَكْثَرِ هِيَ هَذِهِ النِّسْبَةُ أَعَمُّ أَنَّ الْمُكِنَّةَ عَلَى الْأَكْثَرِ
تَصْدُقُ مِنْ مَوْضُوعَاتِهَا عَلَى أَكْثَرِ مِمَّا تَصْدُقُ الْمُكِنَّةُ عَلَى
التَّسَاوِي . وَالدَّلَائِلُ الْمَأْخُودَةُ حَدًّا أَوْسَطَ مِنْهَا مَا هُوَ أَعَمُّ مِنَ
الطَّرَفِ الْأَصْغَرِ وَأَخْصُ مِنَ الْأَكْبَرِ وَمِنْهَا مَا هُوَ أَعَمُّ مِنَ
الطَّرَفَيْنِ . وَمِنْهَا مَا هُوَ أَخْصُ مِنْهُمَا . أَمَّا الَّذِي هُوَ أَعَمُّ مِنَ الطَّرَفِ

الْأَصْغَرِ وَأَخْصُ مِنَ الْأَكْبَرِ فَإِنَّهُ يَأْتِلِفُ ضَرُورَةً فِي الشَّكْلِ
 الْأَوَّلِ. وَإِذَا كَانَ فِي الْمَادَّةِ الْمُمْكِنَةِ عَلَى الْأَكْثَرِ فَهُوَ الَّذِي
 يَعْرِفُهُ الْقَدَمَاءُ بِالْأَشْبِهِ. وَمِثَالُهُ فِي الْمَادَّةِ الضَّرُورِيَّةِ: هَذِهِ أَنْتَى الْحَيَوَانِ
 هَذَا لَبَنٌ فَهِيَ قَدْ وَلَدَتْ. وَفِي الْمُمْكِنَةِ عَلَى الْأَكْثَرِ. فَلَانٌ يُعَدُّ
 السِّلَاحَ وَيَجْمَعُ الرِّجَالَ وَلَيْسَ قُوْبُهُ عَدُوٌّ فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَعْصِيَ الْمَلِكَ.
 وَمِثَالُ الْمُمْكِنَةِ عَلَى الْأَسَاوِي: فَلَانٌ قَدْ تَعَبَ وَالْمَتْعُوبُ مَحْمُومٌ
 فَلَانٌ مَحْمُومٌ. وَهَذَا هُوَ الَّذِي يُعْرِفُ بِالْأَشْبِهِ. وَأَمَّا مَا هُوَ أَعْمُ
 مِنَ الطَّرْقَيْنِ فَإِنَّهُ يَأْتِلِفُ فِي الشَّكْلِ الثَّانِي إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ مُتَّبَعٍ إِلَّا
 فِي بَادِي الرَّأْيِ. مِثَالُ ذَلِكَ فِي الْمَادَّةِ الْمُمْكِنَةِ عَلَى الْأَكْثَرِ
 قَوْلُ الْقَائِلِ: سُقْرَاطُ يَتَنَفَّسُ مُتَوَاتِرًا وَالْحَيَوُومُ يَتَنَفَّسُ مُتَوَاتِرًا فَسُقْرَاطُ
 مَحْمُومٌ. فَهَاتَانِ الْقَدَمَتَانِ صَادِقَتَانِ وَالنَّبِيئَةُ قَدْ تَكُونُ كَاذِبَةً إِذَا
 قَدْ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ تَنَفَّسُ سُقْرَاطُ مُتَوَاتِرًا لِمَوْضِعِ إِحْضَارِهِ.
 وَلَمَّا كَانَ ذَلِكَ خَافِيًا عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ إِذَا رَأَوْا فِي أَمْثَالِ هَذِهِ
 الْمَقْدَمَاتِ الصَّادِقَةَ أَنَّمَا تُنْتِجُ كَذِبًا ظَنُّوا لِذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ انْطَوَى فِيهَا
 كَذِبٌ فَيَرُدُّوْنَ أَنْ يُعَانِدُوا الْمَقْدَمَاتِ فَيَعْسُرُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ لِمَكَانِ
 صِدْقِهَا فَيَتَحَيَّرُونَ لِذَلِكَ. وَأَمَّا الَّتِي هِيَ أَخْصُ مِنَ الطَّرْقَيْنِ فَتَنْتِجُ فِي
 الشَّكْلِ الثَّلَاثِ جُزْئِيًا لَا كُلِّيًّا لَكِنْ تُوَخَّذُ تَبَعِيَّةً فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
 كُلِّيَّةً. مِثَالُ ذَلِكَ فِي الْمَادَّةِ الضَّرُورِيَّةِ قَوْلُ الْقَائِلِ: الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا
 فِي كُرَّةِ الْعَالَمِ وَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا فِي الزَّمَانِ فَالزَّمَانُ كُرَّةُ الْعَالَمِ. وَفِي
 الْمُمْكِنَةِ قَوْلُ الْقَائِلِ: الْحَكَمَاءُ عُدُولٌ لِأَنَّ سُقْرَاطَ حَكِيمٌ وَعَدْلٌ.

وَالدَّلَائِلُ الَّتِي تَكُونُ فِي الشَّكْلِ الثَّلَاثِ وَالثَّانِي يُخَصُّ بِاسْمِ
 الْعَلَامَةِ وَمَا كَانَ مِنْهَا فِي الشَّكْلِ الْأَوَّلِ يُخَصُّ بِاسْمِ الدَّلِيلِ .
 وَالَّذِي فِي الشَّكْلِ الثَّانِي هُوَ أَخَصُّ بِاسْمِ الْعَلَامَةِ مِنَ الثَّلَاثِ
 كَمَا أَنَّهُ مَا كَانَ مِنْ ذَلِكَ فِي الْمُسْكِنَةِ الْأَكْثَرِيَّةِ يُخَصُّ بِاسْمِ
 الْأَشْبَةِ وَإِنْ كَانَ فِي الْمُسْكِنَةِ عَلَى التَّسَاوِي خُصَّ بِاسْمِ الضَّمِيرِ
 الْمُسْتَشْبِهِ . فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَا هِيَ الْحُجُودَاتُ وَالِدَّلَائِلُ
 وَالْعَلَامَاتُ وَمَا الْفَرْقُ بَيْنَهُمَا . لَكِنَّ الَّذِي تَبَيَّنَ مِنَ الْأَقَاوِيلِ
 الْقِيَاسِيَّةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ فِي كِتَابِ الْقِيَاسِ فَإِنَّهُ هُنَاكَ تَبَيَّنَ مَا
 هُوَ الْقِيَاسُ وَكَمْ أَجْنَاسُ الْأَقَاوِيلِ الْقِيَاسِيَّةِ وَتَبَيَّنَ فِي جِنْسٍ جِنْسٍ
 مِنْهَا مَا هُوَ قِيَاسٌ وَمَا لَيْسَ بِقِيَاسٍ . وَأَمَّا (الْمِثَالُ) فَقَدْ بَيَّنَّا فِيمَا تَقَدَّمَ
 أَنَّهُ اسْتِقْرَاءٌ مَا لَيْكِنْ يَبَيِّنُ الْأَسْتِقْرَاءَ بِأَنَّهُ لَيْسَ يُصَادَرُ فِيهِ لَا مِنْ
 الْجُزْئِيِّ إِلَى بَيَانِ الْأَمْرِ الْكُلِّيِّ كَمَا يُصَادَرُ فِي بَعْضِ أَنْوَاعِ
 الْأَسْتِقْرَاءِ . وَلَا مِنْ الْكُلِّيِّ إِلَى الْجُزْئِيِّ كَمَا قَدْ يُصَادَرُ فِي
 بَعْضِ أَنْوَاعِ الْأَسْتِقْرَاءِ . وَذَلِكَ إِذَا بَيَّنَّا بِالْكُلِّيِّ الَّذِي أُثْبِتَهُ
 بِالْأَسْتِقْرَاءِ جُزْئِيًّا آخَرَ غَيْرَ الْجُزْئِيَّاتِ الَّتِي أُثْبِتَهَا الْكُلِّيُّ بِاسْتِقْرَائِهَا
 وَيُؤَافِقُهُ فِي أَنَّهُ يَصِيرُ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ لِاجْتِمَاعِهِمَا فِي أَمْرِ
 كُلِّيٍّ . وَذَلِكَ إِذَا جُمِعَا فِي الْأَسْتِقْرَاءِ الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا اعْنِي أَنْ تَصِيرَ فِيهِ
 مِنَ الْجُزْئِيِّ إِلَى الْكُلِّيِّ ثُمَّ مِنَ الْكُلِّيِّ إِلَى جُزْئِيٍّ آخَرَ فَلَا تَأْ
 فِي هَذَا الْفِعْلِ قَدْ صَرَّحْنَا مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ يَتَوَسَّطُ الْكُلِّيُّ
 كَالْحَالِ فِي الْمِثَالِ فَإِنَّ الْمِثَالَ إِنَّمَا يَصِيرُ فِيهِ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ

لِأَشْتَرَاكِهِمَا فِي أَمْرِ كُلِّي إِذَا كَانَ الْحُكْمُ الْمَقْذُولُ مِنْ أَحَدِهِمَا
إِلَى الْآخَرِ مَوْجُودًا لِلْجُزْئِيِّ الْأَعْرَفِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ الْكُلِّيِّ أَوْ
يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ يَوْجَدُ لَهُ مِنْ جِهَتِهِ وَإِلَّا لَمْ تَصْعَ الثَّقَلَةُ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى
جُزْئِيٍّ أَعْنِي إِنْ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ كُلِّيٌّ وَكَانَ وَجُودُ ذَلِكَ الْحُكْمِ
مِنْ أَجْلِهِ لِلْجُزْئِيِّ الْأَعْرَفِ. وَمِثَالُ مَا يَغْرِضُ مِنْ هَذَا فِي الْأَسْتِقْرَاءِ
أَعْنِي إِذَا كَانَتْ الثَّقَلَةُ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ بِتَوَسُّطِ الثَّقَلَةِ إِلَى
الْكُلِّيِّ قَوْلُ مَنْ قَالَ: أَيُّهَا الْمَلِكُ إِنْ فُلَانًا طَلَبَ أَنْ يَكُونَ مِنْ
جُمْلَةِ الْعَمَسِ وَقَدْ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ عَدُوِّكَ فَلَا تُبْعِ لَهُ ذَلِكَ فَإِنَّهُ يُرِيدُ
أَنْ يَفْتِكَ بِالْمَلِكِ لِأَنَّ فُلَانًا طَلَبَ ذَلِكَ مِنْ فُلَانٍ الْمَلِكِ وَفُلَانًا مِنْ
فُلَانٍ الْمَلِكِ لَا قَوَامَ يُعَدِّدُهُمْ فَفَتَكُوا بِغَاوِكِهِمْ. فَإِنَّ قَائِلَ هَذَا
الْقَوْلِ قَدْ جَعَلَ الثَّقَلَةَ فِيهِ مِنْ جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ بِتَوَسُّطِ الْكُلِّيِّ
الَّذِي هُوَ: إِنْ كُلٌّ مِنْ طَلَبَ أَنْ يَدْخُلَ فِي الْحَرْسِ مِمَّنْ كَانَ فِي
جُمْلَةِ عَدُوِّ الْمَلِكِ فَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَفْتِكَ بِهِ. إِلَّا إِنْ هَذَا الْكُلِّيُّ الَّذِي
أَرْتَمَ فِي النَّفْسِ بِالْقُوَّةِ وَإِنْ لَمْ يُصْرَحْ بِهِ يَسْتَعْمِلُ الثَّقَلَةَ مِنْ
جُزْئِيٍّ إِلَى جُزْئِيٍّ إِذَا كَانَتْ الثَّقَلَةُ إِلَيْهِ فِي الذَّهْنِ. وَنَاصِرُ
الْجُزْئِيَّاتِ كَانَ اسْتِقْرَاءً وَإِنْ كَانَ مِنْ وَاحِدٍ مِنْهَا أَوْ مِنْ الْأَقْلِ
كَانَ تَمْيِيلًا. (قَالَ) قَامَا الْقَوْلُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا مِثَالَاتٌ
فَقَدْ يُكْتَفَى هَاهُنَا بِهَذَا الْقَدْرِ الْمَعْطَى مِنْهَا

وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي فُضُولِ الصَّمَايِرِ مِنْ جِهَةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا
تُعْمَلُ فَإِنَّ الْقَوْلَ فِيهَا غَايِضٌ وَخَفِيٌّ وَهُوَ عَظِيمُ الْعَنَاءِ فِيمَا نَقَصْدُهُ

هَاهُنَا . وَسَبَبُ نَعْمِهِ أَنْ الصَّمَايِرَ تَكُونُ فِي جَمِيعِ الْمَقُولَاتِ
 الْعَشْرِ كَمَا تَكُونُ الْقِيَاسَاتُ الْجَدَلِيَّةُ لَكِنَّ مِنَ الصَّمَايِرِ مَا يَكُونُ فِي
 الْمَوَادِّ الَّتِي فِي الصَّنَائِعِ . مِثْلَ الصَّمَايِرِ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي الْأُمُورِ
 الْكَلِّيَّةِ وَالْجُزْئِيَّةِ فِي صِنَاعَةِ الطِّبِّ وَغَيْرِهَا مِنَ الصَّنَائِعِ . وَهَذِهِ
 فَيَنْبَغِي أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي هَذِهِ الصَّنَائِعِ عَلَى نَحْوِ اسْتِعْمَالِ الْبَرَاهِينِ فِي
 تِلْكَ الصَّنَاعَةِ لِأَعْلَى مَا يَسْتَعْمَلُهَا الْخَطِيبُ فِي الْمَادَّةِ الَّتِي تَخْصُ
 الْخُطَابَةَ مِثْلَ أَنْ يَأْتِيَ بِهَا جُزْأً مِنْ خُطْبَةٍ . وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي
 تَكُونُ بِهَا الْأَقَاوِيلُ الْخُطْبِيَّةُ أَتَمَّ فِعْلاً وَأَنْفَذَ مِمَّا يُذَكَّرُ بَعْدَهُ . وَمِنْ
 الصَّمَايِرِ مَا يَكُونُ فِي الْأُمُورِ الَّتِي تَخْصُ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ بِحَسَبِ مَا
 تَبَيَّنَ مِنْ نَفْعَتِهَا وَهِيَ الْأُمُورُ الْإِرَادِيَّةُ وَهَذِهِ هِيَ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ
 تُسْتَعْمَلَ عَلَى جِهَةٍ مَا يَسْتَعْمِلُ الْخُطْبَاءُ الْأَقَاوِيلَ الْخُطْبِيَّةَ . وَمِنْ هَذِهِ
 الْأَشْيَاءِ يَنْبَغِي أَنْ تُعَدَّ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي هِيَ فُضُولُ
 الصَّمَايِرِ لَا مِنْ تِلْكَ الْمَوَادِّ الَّتِي تَحْتَوِي عَلَيْهَا صِنَاعَةُ صِنَاعَةٍ



الفصل السابع

في التنفيذ

البحث الأول

في المناظرة والمجدال

(عن رسائل الفارابي وابن سينا ومقدمة ابن خلدون وآداب الحت للسمرقندي)

(راجع الصفحة ١١٦ من علم الخطابة)

الْمُنَاطَرَةُ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ كَيْفِيَّةُ إِثْبَاتِ الْمَطْلُوبِ وَنَفْيِهِ أَوْ نَفْيِ دَلِيلِهِ مَعَ الْخُصْمِ. وَالْآدَابُ الطَّرِيقُ. وَمَوْضُوعُ هَذَا الْعِلْمِ الْآدِلَةُ وَنَحْوُهَا. حَيْثُ أَنَّهَا يُثَبَّتُ بِهَا الْمُدَّعِي عَلَى الْغَيْرِ. وَمَسَادِدُهُ أُمُورٌ بَيِّنَةٌ بِنَفْسِهَا. وَالْغَرَضُ مِنْهُ تَحْصِيلُ مَا كَتَبَ طَرِيقُ الْمُنَاطَرَةِ لِئَلَّا يَقَعَ الْخَبْطُ فِي النَّجْثِ فَيُضَيِّحَ الصَّوَابَ. وَتُطْلَقُ الْمُنَاطَرَةُ أَيْضًا فِي أَصْطِلَاحِ أَهْلِ هَذَا الْعِلْمِ عَلَى النَّظَرِ مِنَ الْجَانِبَيْنِ فِي النِّسْبَةِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِظْهَارًا لِلصَّوَابِ. وَقِيلَ أَيْضًا هِيَ تَوَجُّهُ الْخُصْمَيْنِ فِي النِّسْبَةِ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ إِظْهَارًا لِلصَّوَابِ أَيْ تَوَجُّهُ الْمُتَخَاصِمَيْنِ اللَّذِينَ مَطْلَبُ أَحَدِهِمَا غَيْرُ مَطْلَبِ الْآخَرِ إِذَا تَوَجَّهَا فِي النِّسْبَةِ وَإِنْ كَانَ ذَلِكَ أَمْرًا تَوَجَّهَ فِي النَّفْسِ كَمَا كَانَ لِلْحُكَمَاءِ الْأَشْرَاقِيِّينَ وَكَانَ غَرَضُهُمْ مِنْ ذَلِكَ إِظْهَارُ الْحَقِّ وَالصَّوَابِ. وَالْمَسَائِلُ الْعِلْمِيَّةُ تَتَرَايِدُ يَوْمًا فَيَوْمًا بِتَلَاْحُقِ الْأَفْكَارِ

وَالْأَنْظَارِ فَلْتَفَاوَتْ مَرَاتِبُ الطَّبَائِعِ وَالْأَذْهَانِ لَا يَخْلُو عِلْمٌ مِنَ
الْعُلُومِ عَنْ تَصَادُمِ الْأَرَاءِ وَتَبَايُنِ الْأَفْكَارِ وَإِدَارَةِ الْكَلَامِ مِنْ
الْجَرَحِ وَالْتَعْدِيلِ وَالرَّدِّ وَالْقَبُولِ إِلَّا أَنَّهُ بِشُرُوطٍ مُعْتَبَرَةٍ مَشْرُوطٌ
وَبِرِعَايَةِ الْأَصُولِ مَنْوُوطٌ وَالْأَلَا لَكَانَ مُكَابَرَةً غَيْرَ مَسْمُوعَةٍ . فَلَا بُدَّ
مِنْ قَانُونٍ يَعْرِفُ مَرَاتِبَ النِّجَاشِ عَلَى وَجْهِ يَتَمَيَّزُ بِهِ الْقَبُولُ عَمَّا هُوَ
مَرْدُودٌ وَتِلْكَ الْقَوَائِنُ هِيَ عِلْمُ آدَابِ النِّجَاشِ

أَمَّا الْجِدَالُ فَهُوَ عِلْمٌ يَنْجِثُ عَنِ الطَّرِيقِ الَّتِي يُقْتَدَرُ بِهَا عَلَى إِبْرَامِ
وَنَقْشٍ وَهُوَ مِنْ فُرُوعِ عِلْمِ النَّظَرِ وَمَبْنَى لِعِلْمِ الْخِلَافِ . مَاخُذٌ مِنْ
الْجِدْلِ الَّذِي هُوَ أَحَدُ أَجْزَاءِ مَبَاحِثِ الْمُنْطِقِ . وَمَبَادِئُهُ بَعْضُهَا مُبَيَّنَةٌ
فِي عِلْمِ النَّظَرِ وَبَعْضُهَا خَطَابِيَّةٌ وَبَعْضُهَا أُمُورٌ عَادِيَّةٌ . وَلَهُ اسْتِمْدَادٌ مِنْ
عِلْمِ الْمُنَاطَرَةِ الْمَشْهُورِ بِآدَابِ النِّجَاشِ . وَمَوْضُوعُهُ تِلْكَ الطَّرِيقُ وَالْقَرَضُ
مِنْهُ تَخْصِيلُ مَلَكََةِ النَّقْشِ وَالْإِبْرَامِ وَقَائِدُهُ كَثِيرَةٌ فِي الْأَحْكَامِ
الْعِلْمِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْإِزْهَامِ عَلَى الْمُخَالِفِينَ . وَلَا يَبْعُدُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ
عِلْمَ الْجِدْلِ هُوَ عِلْمُ الْمُنَاطَرَةِ لِأَنَّ الْمَالَ وَنَهْمَا وَاحِدٌ إِلَّا أَنَّ الْجِدْلَ
أَخْصٌ مِنْهُ . وَيُؤَيِّدُهُ كَلَامُ ابْنِ خَلْدُونٍ فِي الْمُقَدِّمَةِ حَيْثُ قَالَ :
وَأَمَّا الْجِدَالُ فَهُوَ مَعْرِفَةُ آدَابِ الْمُنَاطَرَةِ الَّتِي تُجْرِي بَيْنَ أَهْلِ
الْمَذَاهِبِ الْفَقْهِيَّةِ وَغَيْرِهِمْ فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَ بَابُ الْمُنَاطَرَةِ فِي الرَّدِّ
وَالْقَبُولِ مُتَّسِعًا وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُنَاطِرِينَ فِي الْأَسْتِدْلَالِ وَالْجَوَابِ
بُرْسِلَ عَنَانُهُ فِي الْأَخْتِجَاجِ . وَمِنْهُ مَا يَكُونُ صَوَابًا وَمِنْهُ مَا يَكُونُ
خَطَأً فَاحْتَاجَ الْأَيُّمَةُ إِلَى أَنْ يَضَعُوا آدَابًا وَأَحْكَامًا يَقِفُ الْمُنَاطِرَانِ

عِنْدَ حُدُودِهَا فِي الرَّدِّ وَالْقَبُولِ وَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْمُسْتَدِلِّ
وَالْحَاجِبِ وَحَيْثُ يَسُوعُ لَهُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَدِلًّا وَكَيْفَ يَكُونُ
مَخْصُوصًا مُنْقَطِعًا وَمَحَلُّ اعْتِرَاضِهِ أَوْ مُعَارَضَتِهِ وَأَيْنَ يَجِبُ عَلَيْهِ
السُّكُوتُ وَلَخْصِيهِ الْكَلَامُ وَالْإِسْتِدْلَالُ. وَلِذَلِكَ قِيلَ فِيهِ أَنَّهُ
مَعْرِفَةٌ بِالْقَوَاعِدِ مِنَ الْحُدُودِ وَالْآدَابِ فِي الْإِسْتِدْلَالِ الَّتِي يُتَوَصَّلُ
بِهَا إِلَى حِفْظِ رَأْيٍ وَهَذِهِ كَانَ ذَلِكَ الرَّأْيُ مِنَ الْقَبْلِ أَوْ غَيْرِهِ.
وَهِيَ طَرِيقَتَانِ طَرِيقَةُ الْبَرْدَوِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٤٨٢ هـ (١٠٩٠ م) وَهِيَ
خَاصَّةٌ بِالْآدِلَةِ الشَّرْعِيَّةِ مِنَ النَّصِّ وَالْإِجْمَاعِ وَالْإِسْتِدْلَالِ. وَطَرِيقَةُ
رُكْنِ الدِّينِ الْعَمِيدِيِّ الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٦١٥ هـ (١٢١٨ م) وَهِيَ عَامَّةٌ فِي
كُلِّ دَلِيلٍ يُسْتَدَلُّ بِهِ مِنْ أَيْ عِلْمٍ كَانَ. وَكَثَرَتْهُ اسْتِدْلَالٌ وَهُوَ
مِنَ الْمَنَاحِي الْحَسَنَةِ وَالْمُعَاطَاتِ فِيهِ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ كَثِيرَةٌ وَإِذَا
اعْتَبَرْنَا النَّظَرَ الْمُنْطِقِيَّ كَانَ فِي الْعَالِبِ أَشْبَهُ بِالْقِيَاسِ الْمَعَالِطِيِّ
وَالسُّوفِسْطَانِيِّ. إِلَّا أَنَّ صُورَ الْآدِلَةِ وَالْأَقْسَةِ فِيهِ مَحْفُوظَةٌ مُرَاعَاةٌ
تُتَحَرَّى فِيهَا طُرُقُ الْإِسْتِدْلَالِ كَمَا يَنْبَغِي وَهَذَا الْعَمِيدِيُّ هُوَ أَوَّلُ
مَنْ كَتَبَ فِيهَا وَنُسِبَتِ الطَّرِيقَةُ إِلَيْهِ وَوَضَعَ الْكِتَابَ الْمُسَمَّى
بِالْإِرْشَادِ مُحْتَصِرًا وَتَبِعَهُ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنَ الْمُتَأَخِّرِينَ كَالنَّسْفِيِّ
الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) وَغَيْرُهُ جَاءُوا عَلَى آثَرِهِ وَسَلَكُوا مَسْلَكَهُ
وَكَثُرَتْ فِي الطَّرِيقَةِ التَّالِيفُ وَهِيَ لِهَذَا الْعَهْدِ مَهْجُورَةٌ لِنَقْصِ الْعِلْمِ
وَالتَّعْلِيمِ فِي الْأَمْصَارِ الْإِسْلَامِيَّةِ

البحث الثاني

في آداب المناظرة

(من كتاب ايجا الولد للعزالي)

(راجع الصفحة ١٢٤ من علم الخطابة)

لَوْ وَقَعَ مَسْئَلَةٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ نَخْصٍ أَوْ قَوْمٍ وَكَانَ إِرَادَتُكَ
 فِيهَا أَنْ تَظْهَرَ الْحَقُّ وَلَا تُضَيِّعَ جَارَ لَكَ الْبَحْثُ. لَكِنْ لِيَتْلِكَ الْإِرَادَةُ
 عَلَامَتَانِ إِحْدَاهُمَا أَنْ لَا تَفْرُقَ بَيْنَ أَنْ يَنْكَشِفَ الْحَقُّ عَلَى
 لِسَانِكَ أَوْ عَلَى لِسَانِ غَيْرِكَ. وَثَانِيَهُمَا أَنْ يَكُونَ الْبَحْثُ فِي الْخَلَاءِ أَحَبَّ
 إِلَيْكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ فِي الْمَلَأِ وَأَسْمَعُ إِيَّيْ أَذْكَرُ لَكَ هُنَا فَائِدَةٌ.
 أَعْلَمُ أَنَّ السُّؤَالَ عَنِ الْمَشْكِلَاتِ عَرَضُ مَرَضٍ الْقَلْبِ إِلَى الطَّبِيبِ
 وَالْجَوَابُ لَهُ سَعْيٌ لِإِصْلَاحِ رَضِيهِ وَأَعْلَمُ أَنَّ أَجَاهِلِينَ الْمَرْضَى
 قُلُوبُهُمْ وَالْعُلَمَاءُ الْأَطِبَاءُ. وَالْعَالِمُ النَّاقِصَ لَا يُحْسِنُ الْمُعَالَجَةَ وَالْعَالِمُ
 الْكَامِلَ لَا يُعَالِجُ كُلَّ مَرَضٍ بَلْ يُعَالِجُ مَنْ يَرْجُو فِيهِ قَبُولَ الْمُعَالَجَةِ
 وَالْإِصْلَاحِ وَإِذَا كَانَتِ الْعِلَّةُ مُزْمِنَةً أَوْ عَقِيماً لَا تَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَحَذَافَةُ
 الطَّبِيبِ فِيهِ أَنْ يَقُولَ: هَذَا لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَلَا يَشْتَغِلُ بِدَوَائِهِ
 وَمُعَالَجَتِهِ لِأَنَّ فِيهِ تَضْيِيعَ الْعُمُرِ

أَعْلَمُ أَنَّ مَرَضَ الْجَهْلِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْوَاعٍ أَحَدُهُمْ يَقْبَلُ
 الْمُعَالَجَةَ وَالْبَاقِي لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ. وَأَمَّا الْمَرَضُ الَّذِي يَقْبَلُ الْعِلَاجَ

فَهُوَ أَنْ يَكُونَ مُسْتَرْشِدًا عَالِمًا عَاقِلًا فَهَمَا لَا يَكُونُ مَغْلُوبَ الْحَسَدِ
وَالْقَصْبِ وَحِبِّ الْجَاهِ وَالْمَالِ وَالشَّهْوَةِ وَيَكُونُ طَالِبَ الطَّرِيقِ
الْمُسْتَقِيمِ وَلَمْ يَكُنْ سُؤَالُهُ وَأَعْتَرَاؤُهُ عَنْ حَسَدٍ وَتَعَنَّتِ وَأَفْجَحَانِ
وَبَحْثٍ. وَهَذَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ فَيَجُوزُ أَنْ تَشْتَغَلَ بِجَوَابِ سُؤَالِهِ بَلْ يَحِبُّ
عَلَيْكَ اجَابَتُهُ. أَمَّا الَّذِي لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ أَحَدُهُمْ مَنْ كَانَ سُؤَالُهُ
وَأَعْتَرَاؤُهُ عَنْ حَسَدِهِ وَبُغْضِهِ وَالْحَسَدُ لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ لِأَنَّهُ مِنْ
الْعِلَّةِ الْمُرْمِيَةِ فَكُلَّمَا تَحَبُّبُهُ بِأَحْسَنِ الْجَوَابِ وَأَفْصَحِهِ وَأَوْضَحِهِ لَا
يَزِيدُ لَهُ ذَلِكَ إِلَّا عِظًا وَحَسَدًا فَالطَّرِيقُ أَنْ لَا تَشْتَغَلَ بِجَوَابِهِ :

كُلُّ الْعَدَاوَةِ قَدْ تُرْجَى إِذَا لَتَهَا إِلَّا عَدَاوَةٌ مِنْ عَادَاكَ عَنْ حَسَدٍ
فَيَنْبَغِي لَكَ أَنْ تُعْرِضَ عَنْهُ وَتَتْرَكَهُ مَعَ مَرَضِهِ قَالَ : فَأَعْرِضْ
عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ وَالْدُنْيَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ
فَتَرَدَّى وَالْحُسُودَ بِكُلِّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ يُوْقِدُ النَّارَ فِي زَرْعِ عَمَلِهِ
كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ : الْحَسَدُ يَأْكُلُ الْحَسَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ النَّارُ
الْخُطْبَ. وَالَّذِي أَنْ يَكُونَ عِلَّةً مِنَ الْحَمَاقَةِ وَهُوَ أَيْضًا كَالْحُسُودِ
لَا يَقْبَلُ الْعِلَاجَ كَمَا قَالَ عِيْسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : (١) إِنِّي مَا عَجِزْتُ عَنْ
أَحْيَاءِ الْمَوْتَى وَقَدْ عَجِزْتُ عَنْ مُعَالَجَةِ الْأَحْقَى وَذَلِكَ رَجُلٌ يَشْتَغَلُ
بِطَلَبِ الْعِلْمِ زَمَانًا قَلِيلًا وَيَتَعَلَّمُ شَيْئًا مِنَ الْعِلْمِ الْعَقْلِيِّ وَالْشَّرْعِيِّ
فَيَسْأَلُ وَيَعْتَرِضُ مِنْ حَقَائِقِهِ لَا يَعْلَمُ وَلَا يَفْهَمُ عَلَى الْعَالَمِ الْكَبِيرِ

(١) لم يروهذا الكلام للسيد المسيح لذكره السجود لا في الانجيل ولا في
التقليد . ولا نعلم عن رواة الغزالي

فِي الْعُلُومِ الْعَقْلِيَّةِ وَالشَّرْعِيَّةِ. وَهَذَا الْأَحَقُّ لَا يَعْلَمُ وَيَظُنُّ أَنَّ مَا
 أَشْكَلَ عَلَيْهِ هُوَ أَيْضًا مُشْكَلٌ لِلْعَالِمِ الْكَبِيرِ فَإِذَا لَمْ يَتَفَكَّرْ هَذَا
 الْقَدَرُ يَكُونُ سُؤَالُهُ وَأَعْتَرَاؤُهُ مِنَ الْحَمَاقَةِ فَيَنْبَغِي أَنْ لَا يُشْتَغَلَ
 بِجَوَابِهِ. وَالثَّالِثُ أَنْ يَكُونَ مُسْتَرْشِدًا وَيَحْمِلُ كُلَّ مَا لَا يَفْهَمُ مِنْ
 كَلَامِ الْأَكْبَابِ عَلَى قُضُورِ فَهْمِهِ وَيَكُونُ سُؤَالُهُ لِلْإِسْتِفَادَةِ لَكِنْ
 يَكُونُ بَلِيدًا لَا يُدْرِكُ الْحَقِّقَ فَلَا يَنْبَغِي الْأَشْتَغَالُ بِجَوَابِهِ أَيْضًا. وَفِي
 الْحَدِيثِ: نَحْنُ مَعَاشِرُ الْحُكَمَاءِ أَيْرُنَا أَنْ نَكَلَّمَ النَّاسَ عَلَى قُدْرِ عُقُولِهِمْ
 وَعَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ: إِيَّاكَ أَنْ تُشْتَغَلَ بِهَذَا الْجَدَلِ الَّذِي ظَهَرَ
 بَعْدَ انْقِرَاضِ الْأَكْبَابِ مِنَ الْعُلَمَاءِ فَإِنَّهُ يُبْعَدُ عَنِ الْعَقْلِ وَيُضِيعُ
 الْأَعْمَرَ وَيُورِثُ الْوُخْشَةَ وَالْعِدَاوَةَ وَهُوَ مِنْ شَرَاطِ السَّاعَةِ كَذَا
 وَرَدَّ فِي الْحَدِيثِ وَلِلَّهِ دَرُ الْقَائِلِ :

أَرَى قُتَّهَاءَ هَذَا الْعَصْرِ طَرَا خَضَعُوا الْعِلْمَ وَأَشْتَغَلُوا بِلَمْ يَلْمِ
 إِذَا نَاذَرْتَهُمْ لَمْ تَلَقَ مِنْهُمْ سِوَى حَرْقَيْنِ لَمْ يَلْمِ لَا نَسَلِمُ
 وَالْإِنْصَافُ أَنْ الْجَدَلَ لِإِظْهَارِ الصَّوَابِ لَا بَأْسَ بِهِ وَرُبَّمَا يَنْتَفِعَ بِهِ فِي
 تَشْجِيزِ الْأَذْهَانِ. وَالْمُسْتَوْعُ الْجَدَلُ الَّذِي يُضِيعُ الْأَوْقَاتَ وَلَا يَحْصُلُ
 مِنْهُ طَائِلٌ. قَالَ مَوْفِقُ الدِّينِ الْبَغْدَادِيُّ: إِيَّاكَ الْغِلْظَةُ فِي الْحِطَابِ.
 وَالْجَفَاءُ فِي الْمُنَاطَرَةِ فَإِنَّ ذَلِكَ يَنْهَبُ بِهَيْجَةِ الْكَلَامِ وَيَنْسِقِطُ
 قَائِدَتُهُ. وَيَعْدِمُ حَلَاوَتُهُ. وَيَجِبُ الضَّغَائِنُ. وَيَخْتَلِقُ الْمَوَدَّاتِ. وَيَصِيرُ
 الْقَائِلُ مُسْتَقْلِلًا. سُكُوتُهُ أَشْهَى إِلَى السَّامِعِ مِنْ كَلَامِهِ. وَيُشِيرُ
 النَّفْسُ عَلَى مُعَانَدَتِهِ وَيَنْسِقِطُ الْأَلْسُنُ بِخُجَاشَتِهِ وَإِذْهَابِ حُرْمَتِهِ

البحث الثالث

في الجوابات على الخصم

(من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه)

(راجع صفحة ١١٣ من علم الخطابة)

إِنَّ الْجَوَابَاتِ هِيَ أَضْعَبُ الْكَلَامِ كُلِّهِ مَرْكَبًا وَأَعَزُّهُ مَطْلَبًا
وَأَنْعَمُهُ مَنْصَبًا وَأَضْيَقُهُ مَسْلَكًا لِأَنَّ صَاحِبَهُ يُجَلُّ مُنَاجَاةَ الْفِكْرَةِ
وَأَسْتِعْمَالَ الْقَرِيحَةِ يَرُومُ فِي بَدِيئَتِهِ تَقْضَ مَا أَرَمَ الْقَائِلُ فِي رَوِيَّتِهِ
فَهُوَ كَمَنْ أَخَذَتْ عَلَيْهِ الْفِتْحَاجُ وَسُدَّتْ لَهُ الْخَوَارِجُ قَدْ اغْتَرَضَ الْأَسِنَّةَ
وَأَسْتَهْدَفَ لِلْمَرَامِيِّ لَا يَذَرِي مَا يُثْرِغُ لَهُ فَيَتَأَهَّبَ لَهُ وَلَا مَا يَنْفُجَاهُ
مِنْ خَصْمِهِ فَيَقْرَعُهُ بِئِلَّهِ • وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ الْقَائِلُ قَدْ أَخَذَ بِجَمَاعِ
الْكَلَامِ فَقَادَهُ بِزَمَامِهِ بَعْدَ أَنْ رَأَى فِيهِ وَاحْتَقَلَ وَجَمَعَ خَوَاطِرَهُ
وَأَجْتَهَدَ وَتَرَكَ الرَّأْيَ يَغِيبُ حَتَّى يُحْتَمِرَ فَقَدْ كَرِهُوا الرَّأْيَ الْفَطِيرَ كَمَا
كَرِهُوا الْجَوَابَ الدَّبْرِيَّ فَلَا يَزَالُ فِي تَسْمِيحِ الْكَلَامِ وَأَسْتِشْنَاهُ حَتَّى
إِذَا أَظْهَرَ شَارِدَهُ وَسَكَنَ نَافِرُهُ صَكَ بِهِ خَصْمَهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً ثُمَّ
قِيلَ لَهُ أَجِبْ وَلَا تُخْطِئْ وَأَنْسِجْ وَلَا تُبْطِئْ • فَتَرَاهُ بِجَوَابِهِ مِنْ غَيْرِ
أَنَاءَةٍ وَلَا اسْتِعْدَادٍ يُطَبِّقُ الْفَاصِلَ وَيَنْفِذُ الْمَقَاتِلَ كَمَا يُرْمِي الْجَنْدِلَ
بِالْجَنْدِلِ وَيُثْرِغُ الْحَدِيدَ بِالْحَدِيدِ فَيُجَلُّ بِهِ عُرَاهُ وَيَقْضَى بِهِ مَرَارُهُ
وَيَكُونُ جَوَابُهُ عَلَى أَكْثَرِ كَلَامِهِ كَسْتَحَابَةٍ لِدَتِ نَجَاجَتَهُ فَلَا شَيْءَ
أَعْصَلَ مِنَ الْجَوَابِ الْخَاضِرِ وَلَا أَعَزُّ مِنَ الْخَصْمِ الْأَلَدِيِّ الَّذِي يَقْرَعُ

صَاحِبُهُ وَيَضْرَعُ مُنَازَعَهُ يَقُولُ كَيْفَ لِنَارٍ فِي أَحْطَبِ الْجَزَلِ

البحث الرابع

في المغالطة

(من كتاب كشف اصطلاحات العلوم للتهانوي وكتاب شرح المطالع)

(راجع صفحة ١١٧ من الجزء الثاني من علم الادب)

الْمَغَالِطَةُ هِيَ قِيَاسٌ قَاسِدٌ أَمَّا مِنْ جِهَةِ الصُّورَةِ أَوْ مِنْ جِهَةِ
الْمَادَّةِ أَوْ مِنْ جِهَتَيْهِمَا مَعَ الْآتِي بِهَا غَالِطٌ فِي نَفْسِهِ مُغَالِطٌ لِغَيْرِهِ .
وَلَوْلَا الْقُصُورُ وَهُوَ عَدَمُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ مَا هُوَ هُوَ وَبَيْنَ مَا هُوَ غَيْرُهُ لَمَّا
تَمَّ لِلْمُغَالِطِ صِدَاقُهُ فَهِيَ صِنَاعَةٌ كَاذِبَةٌ تُنْفَعُ بِالْفَرْضِ إِذَا الْفَرْضُ مِنْ
مَعْرِفَتِهَا الْإِحْتِرَازُ عَنِ الْخَطِإِ وَرَبَّمَا يُسْتَعْنَى بِهَا مَنْ يُرَادُ امْتِحَانُهُ فِي
الْعِلْمِ لِيَعْلَمَ بِهِ عَدَمَ ذَهَابِ الْفَلْطِ عَلَيْهِ كَمَالُهُ وَبِذَلِكَ عَلَيْهِ قُصُورُهُ
وَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ تُسَمَّى قِيَاسًا امْتِحَانِيًّا وَقَدْ تُسْتَعْمَلُ فِي تَبْكِيتِ مَنْ
يُؤَيِّمُ الْعَوَامَّ أَنَّهُ عَالِمٌ لِيُظْهِرَ لَهُمْ عَجْزَهُ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الصَّوَابِ وَالْخَطِإِ
فَيَصْدُقُونَ عَنِ الْإِقْتِدَاءِ بِهِ وَبِهَذَا الْإِعْتِبَارِ تُسَمَّى قِيَاسًا عِنَادِيًّا قَالَ
شَارِحُ إِشْرَاقِ الْحِكْمَةِ : مَوَادُّ الْمَغَالِطَةِ الْمُشَبَّهَاتُ لَفْظًا أَوْ مَعْنَى
وَلِهَذَا الصِّدَاقُ أَجْزَاءُ ذَاتِيَّةٌ صِنَاعِيَّةٌ وَخَارِجِيَّةٌ . وَالْأَوَّلُ مَا يَتَعَلَّقُ
بِالتَّبْكِيتِ الْمَغَالِطِيِّ .

وَعَلَى هَذَا فَنَقُولُ : إِنَّ أَسْبَابَ الْفَلْطِ عَلَى كَثَرَتِهَا تُرْجَعُ إِلَى

أَمْرٍ وَاحِدٍ وَهُوَ عَدَمُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الشَّيْءِ وَأَشْبَاهِهِ ثُمَّ إِنَّهَا تَنْقَسِمُ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَلْفَازِ وَإِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَعَانِي. (وَالْأَوَّلُ) يَنْقَسِمُ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَلْفَازِ لَا مِنْ حَيْثُ تَرَكُّبُهَا وَإِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِهَا مِنْ حَيْثُ تَرَكُّبُهَا. (وَالْأَوَّلُ) لَا يَخْلُو إِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِالْأَلْفَازِ أَنْفُسُهَا وَهُوَ أَنْ تَكُونَ مُخْتَلِفَةً الدَّلَالَةَ فَيَقَعُ الْأَشْبَاهُ بَيْنَ مَا هُوَ الْمُرَادُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ . وَيَدْخُلُ فِيهِ الْأَشْتِرَاكُ وَالْأَشْبَاهُ وَالْحِجَازُ وَالْإِسْتِعَارَةُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهَا وَيُسَمَّى جَمِيعًا بِالْإِشْرَاكِ اللفظي . وَإِمَّا أَنْ يَتَعَلَّقَ بِأَحْوَالِ الْأَلْفَازِ وَهِيَ إِمَّا أَحْوَالٌ دَائِيَّةٌ دَاخِلَةٌ فِي صَيْغِ الْأَلْفَازِ قَبْلَ تَحْصُلِهَا كَالْإِشْتِبَاهِ فِي اللفظِ الْمُخْتَارِ بِسَبَبِ التَّضَرُّفِ إِذَا كَانَ بِمَعْنَى الْفَاعِلِ أَوْ الْمَفْعُولِ . وَإِمَّا أَحْوَالٌ عَارِضَةٌ لَهَا بَعْدَ تَحْصُلِهَا كَالْإِشْتِبَاهِ بِسَبَبِ الْأَنْجَامِ وَالْإِعْرَابِ. (وَالْمُتَعَلِّقَةُ بِالتَّرَكِيبِ) تَنْقَسِمُ إِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِالْأَشْبَاهِ فِيهِ نَفْسُ التَّرَكِيبِ كَمَا يُقَالُ : كُلُّ مَا يَتَصَوَّرُهُ الْعَاقِلُ فَهُوَ كَمَا يَتَصَوَّرُهُ . فَإِنَّ لَفْظَ (هُوَ) يَعُودُ تَارَةً إِلَى الْمَفْعُولِ وَتَارَةً أُخْرَى إِلَى الْفَاعِلِ وَإِلَى مَا يَتَعَلَّقُ بِوُجُودِهِ وَعَدَمِهِ أَيْ بِوُجُودِ التَّرَكِيبِ وَعَدَمِهِ . وَهَذَا الْآخِرُ يَنْقَسِمُ إِلَى مَا لَا يَكُونُ إِلَّا تَرَكِيبٌ فِيهِ مَوْجُودًا فَيُظَنُّ مَعْدُومًا وَيُسَمَّى تَفْصِيلَ الْمَرْكَبِ . وَإِلَى عَكْسِهِ وَيُسَمَّى تَرَكِيبَ الْمُفَصَّلِ وَإِمَّا (الْمُتَعَلِّقَةُ بِالْمَعَانِي) فَلَا بُدَّ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِالتَّأْلِيفِ بَيْنَ الْمَعَانِي إِذَا الْمُرَادُ لَا يَتَصَوَّرُ فِيهَا غَاطٌ لَوْ لَمْ يَقَعْ فِي تَأْلِيفِهَا بِنَحْوِ مَا وَلَا يَخْلُو مِنْ أَنْ تَتَعَلَّقَ بِتَأْلِيفِ يَقَعُ بَيْنَ الْقَضَايَا أَوْ بِتَأْلِيفِ يَقَعُ فِي قَضِيَّةٍ وَاحِدَةٍ . وَالْوَاقِعَةُ بَيْنَ الْقَضَايَا إِمَّا قِيَامِيَّةٌ

أَوْ غَيْرُ قِيَاسِيٍّ. وَالْمُتَعَلِّقَةُ بِالتَّأْلِيفِ الْقِيَاسِيَّةِ إِمَّا أَنْ تَقَعَ فِي الْقِيَاسِ
نَفْسِهِ لَا بِقِيَاسِهِ إِلَى نَتِيجَتِهِ أَوْ تَقَعَ فِيهِ بِقِيَاسِهِ إِلَى نَتِيجَتِهِ.
وَالْوَاقِعَةُ فِي نَفْسِ الْقِيَاسِ إِمَّا أَنْ تَتَعَلَّقَ بِعَادَتِهِ أَوْ بِصُورَتِهِ. أَمَّا
(الْمَادِيَّةُ) فَكَمَا تَكُونُ مَثَلًا بِحَيْثُ إِذَا رُبَّتِ الْمَعَانِي فِيهَا
عَلَى وَجْهِ يَكُونُ صَادِقًا لَمْ تَكُنْ قِيَاسًا وَإِذَا رُبَّتْ عَلَى وَجْهِ
يَكُونُ قِيَاسًا لَمْ يَكُنْ صَادِقًا كَقَوْلِنَا: كُلُّ إِنْسَانٍ نَاطِقٌ مِنْ حَيْثُ
هُوَ نَاطِقٌ وَلَا شَيْءٌ مِنَ النَّاطِقِ مِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ بِحَيَوَانٍ إِذْ مَعَ
إِبْثَابِ قَيْدٍ (مِنْ حَيْثُ هُوَ نَاطِقٌ) فَيَمَّا تَكْذِيبُ الصُّغْرَى وَمَعَ حَذْفِ
عَنْهَا تَكْذِيبُ الْكُبْرَى. وَإِنْ حُذِفَ مِنَ الصُّغْرَى وَائْتِ فِي
الْكُبْرَى تَقَابُ صُورَةُ الْقِيَاسِ إِدْمَ اشْتِرَاكِ الْأَوْسَطِ. وَأَمَّا (الْصُّورِيَّةُ)
فَكَمَا تَكُونُ مِنْهُ عَلَى ضَرْبٍ غَيْرِ مُنْتِجٍ تَكُونُ أَيْضًا عَلَى ضَرْبٍ مُنْتِجٍ.
وَهَذَا يُسَمَّى سُوءَ التَّأْلِيفِ بِإِعْتِبَارِ الْإِزْهَانِ وَسُوءَ التَّرْكِيبِ بِإِعْتِبَارِ
غَيْرِهِ. وَأَمَّا (الْوَاقِعَةُ فِي الْقِيَاسِ بِالْقِيَاسِ إِلَى النَّتِيجَةِ) فَتَنْقَسِمُ إِلَى
مَا لَا يَكُونُ النَّتِيجَةُ مُغَايِرَةً لِأَحَدِ أَجْزَاءِ الْقِيَاسِ فَلَا يَحْصُلُ
بِالْقِيَاسِ عِلْمٌ زَائِدٌ عَلَى مَا فِي الْمَقْدَمَاتِ وَتَسَمَّى مُصَادَرَةً عَلَى
الْمَطْلُوبِ. وَإِلَى مَا تَكُونُ مُغَايِرَةً لِكُلِّهَا لَا تَكُونُ مَا هِيَ الْمَطْلُوبُ
مِنْ ذَلِكَ الْقِيَاسِ وَيُسَمَّى وَضْعَ مَا لَيْسَ بِعِلَّةٍ كَقَوْلِنَا: الْإِنْسَانُ
وَحْدَهُ ضَخَّالٌ كُلُّ ضَخَّالٍ حَيَوَانٌ. وَأَمَّا (الْوَاقِعَةُ فِي قَضَايَا لَيْسَتْ
بِقِيَاسٍ) فَتُسَمَّى جَمْعَ السَّائِلِ فِي مَسْئَلَةٍ كَمَا يُقَالُ: زَيْدٌ وَحْدَهُ
كَاتِبٌ فَإِنَّهُ قَضَيْتَانِ لِإِقَادَتِهِ أَنَّهُ لَيْسَ غَيْرُهُ كَاتِبًا. وَأَمَّا (الْمُتَعَلِّقَةُ

بِالْقَضِيَّةِ الْوَاحِدَةِ فَإِمَّا أَنْ تَقَعَ فِيهَا يَتَعَلَّقُ بِجُزْئِي الْقَضِيَّةِ جَمِيعًا وَذَلِكَ
يَكُونُ بِوُقُوعِ أَحَدِهِمَا مَكَانَ الْآخَرِ وَيُسَمَّى إِبْهَامَ الْعَكْسِ. وَمِنْهُ
الْحُكْمُ عَلَى الْجُلُوسِ بِحُكْمِ نَوْعٍ مِنْهُ مُنْدَرِجٌ تَحْتَهُ نَحْوُ: هَذَا لَوْ
وَاللَّوْنُ سَوَادٌ فَهَذَا سَوَادٌ. وَمِنْهُ الْحُكْمُ عَلَى الْمَطْلُوقِ بِحُكْمِ الْمُقَيَّدِ
بِحَالٍ أَوْ وَقْتٍ نَحْوُ: هَذِهِ رَقَبَةٌ وَالرَّقَبَةُ مُؤَمَّنَةٌ. وَإِمَّا أَنْ تَقَعَ فِيهَا
يَتَعَلَّقُ بِجُزْءٍ وَاحِدٍ مِنْهَا. وَتَنْقَسِمُ إِلَى مَا يُوْرَدُ فِيهِ بِدَلِّ الْجُزْءِ غَيْرُهُ بِمَا
يُشَبِّهُهُ كَعَوَاضِهِ أَوْ مَعْرُوضَاتِهِ مِنْهُ وَيُسَمَّى أَخْذَ مَا بِالْعَرَضِ مَكَانَ
مَا بِالذَّاتِ كَمَنْ رَأَى الْإِنْسَانَ أَنَّهُ يَلْزِمُ لَهُ التَّوَهُّمُ وَالتَّكْلِيفُ فَظَنَّ
أَنَّ كُلَّ مَوْتِهِمْ مُكَلَّفٌ. وَإِلَى مَا يُوْرَدُ فِيهِ الْجُزْءُ نَفْسُهُ وَلَكِنْ لَا عَلَى
الْوَجْهِ الَّذِي يَنْبَغِي كَمَا يُؤْخَذُ مَعَهُ مَا لَيْسَ فِيهِ نَحْوُ: زَيْدٌ الْكَاتِبُ
إِنْسَانٌ. أَوْ لَا يُؤْخَذُ مَعَهُ مَا هُوَ مِنَ الشَّرْطِ أَوْ الْقَيُّودِ كَمَنْ يَأْخُذُ
غَيْرَ الْمَوْجُودِ كَاتِبًا غَيْرَ مَوْجُودٍ مُطْلَقًا وَيُسَمَّى سُوءَ أَعْتِبَارِ الْحَمْلِ. فَقَدْ
حَصَلَ مِنْ الْجَمِيعِ ثَلَاثَةٌ عَشَرَ زَعَا سِتَّةٌ مِنْهَا لَفْظِيَّةٌ يَتَعَلَّقُ ثَلَاثَةٌ
وَمِنْهَا بِالْبَسَاطَةِ هِيَ الْأَشْرَافُ فِي جَوْهَرِ اللَّفْظِ وَفِي أَحْوَالِهِ الدَّلَالِيَّةِ
وَفِي أَحْوَالِهِ الْعَرْضِيَّةِ وَثَلَاثَةٌ وَمِنْهَا بِالتَّرْكِيبِ وَهِيَ الَّتِي فِي نَفْسِ
التَّرْكِيبِ وَتَفْصِيلِ الْمُرَكَّبِ وَتَرْكِيبِ الْمُفَصَّلِ. وَسَبْعَةٌ مَعْنَوِيَّةٌ. أَرْبَعَةٌ
مِنْهَا بِأَعْتِبَارِ الْقَضَايَا الْمُرَكَّبَةِ وَهِيَ سُوءُ التَّأْلِيفِ وَالْمُضَادَّةُ عَلَى
الْمَطْلُوبِ وَوَضْعُ مَا لَيْسَ بِعِلَّةٍ وَجَمْعُ الْمَسَائِلِ فِي مَسْئَلَةٍ وَاحِدَةٍ.
وِثَلَاثَةٌ بِأَعْتِبَارِ الْقَضِيَّةِ الْوَاحِدَةِ وَهِيَ إِبْهَامُ الْعَكْسِ وَأَخْذُ مَا
بِالْعَرَضِ مَكَانَ مَا بِالذَّاتِ وَسُوءُ أَعْتِبَارِ الْحَمْلِ. فَهَذِهِ هِيَ الْأَجْزَاءُ

الذاتية الصناعية لصناعة المغالطة. وأما الخارجيات فما يقتضي المغالطة
بالعرض كالشنيع على المخاطب وسوق كلامه إلى الكذب بزيادة
أو تأويل وإيراد ما يحيره أو يحنئه من إغلاق العبارة أو المبالغة
في أن ألغى دقيق أو ما ينعته من ألفهم كالخلط بالحشو والهديان
التكرار وغير ذلك مما اشتل عليه كتاب الشفاء وغيره من
المطولات

البحث الخامس

في مقاطيع الكلام

(من كتاب الصنائع لسان هلال العسكري)

(راجع الصفحة ١٢٥ من علم الخطابة)

قال المأمون لبعضهم : من أبلغ الناس قال من قرب الأمر
البعيد والمتأول الصعب الدرك بالالفاظ اليسيرة. قال : ما عدل
سهمك عن العرض ولكن البليغ من كان كلامه في مقدار
حاجته لا يحيل الفكرة في اختلاس ما صعب من الالفاظ ولا
يكره المغالي على انزالها في غير منزلها ولا يتعمد الغريب
الوخشي ولا الساقط السوقي فإن البلاغة إذا اعتزلتها المعرفة
بمواضع الفصل والوصل كانت كاللآلي بها نظام. وقال أبو
العباس السفاح لكتابه : وقف عند مقاطيع الكلام وحدوده
وأيالك أن تحاط المرعي بالهمل. ومن حلية البلاغة المعرفة

بِرَاضِعِ الْفَضْلِ وَالْوَصْلِ . وَقَالَ الْأَخْفُ بْنُ قَيْسٍ مَا رَأَيْتُ رَجُلًا
تَكَلَّمَ فَأَحْسَنَ الْوُقُوفَ عِنْدَ مَقَاطِعِ الْكَلَامِ وَلَا عَرَفَ حُدُودَهُ
إِلَّا عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ تَفَقَّدَ مَقَاطِعِ الْكَلَامِ وَأَنْطَى
حَقَّ الْمَقَامِ وَغَاصَ فِي اسْتِخْرَاجِ الْمَعَانِي بِالطَّفِّ مُخْرَجٍ حَتَّى كَانَ
يَقِفُ عِنْدَ الْمَقَاطِعِ وَقُوفًا يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا يَبْتَغِيهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ
وَكَانَ كَثِيرًا مَا يُنْشِدُ :

إِذَا مَا بَدَأَ بَيْنَ الْتَائِبِ قَائِلًا أَصَابَ بَمَا يُوحَى إِلَيْهِ الْمَقَاصِيلَا
وَلَا أَعْرِفُ فَضْلًا فِي كَلَامٍ مَشُورٍ أَحْسَنَ مِمَّا أُخِيرَ عَنْ شَيْبِ
أَبْنِ شُبَّةَ فَإِنَّهُ إِذْ كَانَ يَوْمًا قَاعِدًا بِبَابِ الْتَهْدِي أَقْبَلَ عَبْدُ
الصَّمِدِ بْنُ الْفَضْلِ الرَّقَاشِيَّ فَلَمَّا رَأَاهُ شَيْبٌ قَالَ : أَتَاكُمْ وَاللَّهِ
كَلِيمُ النَّاسِ فَلَمَّا جَلَسَ قَالَ لَهُ شَيْبٌ : تَكَلَّمْ يَا أَبَا الْعَبَّاسِ . فَقَالَ :
أَمَعَكَ يَا أَبَا مَعْمَرٍ وَأَنْتَ خَطِيبُنَا وَسَيِّدُنَا . قَالَ : نَعَمْ فَوَاللَّهِ مَا
رَأَيْتُ قَلْبًا أَقْرَبَ مِنْ لِسَانٍ مِنْ قَلْبِكَ مِنْ لِسَانِكَ . فَقَالَ أَيُّ نَبِيٍّ
تُحِبُّ أَنْ أَتَكَلَّمَ . (قَالَ) وَإِذَا شِئْخٌ مَعَهُ عَصَا يَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا فَقَالَ شَيْبٌ :
صِفْ هَذِهِ الْعَصَا . فَحَمِدَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ثُمَّ ذَكَرَ السَّمَاءَ
فَقَالَ : رَفَعَهَا اللَّهُ بِغَيْرِ عَمَدٍ وَجَعَلَ فِيهَا نُجُومَ رَجَمٍ وَنُجُومَ أَهْتِدَاءٍ وَأَدَارَ
فِيهَا سِرَاجًا وَقَرَأَ مُنِيرًا لِيَتَعَلَّمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحَبَابَ وَأَنْزَلَ مِنْهَا مَاءً
مُبَارَكًا أَحْيَا بِهِ الزَّرْعَ وَالْخَمْرَ وَأَدَّرَ بِهِ الْأَقْوَاتَ وَحَفِظَ بِهِ الْأَرْوَاحَ
وَأَنْبَتَ بِهِ أَنْوَاعًا مُخْتَلِفَةً يَصْرِفُهَا مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ تَكُونُ حَبَّةً
تَمْرٍ يَجْعَلُهَا عَرَقًا ثُمَّ يُقِيمُهَا عَلَى سَاقٍ . فَبَيْنَا نَرَاهَا حَضْرَاءَ تَرْفَةٍ إِذْ

صَارَتْ يَابِسَةً تَتَقَصَّفُ بِهَا الْعِبَادُ وَيُعَمَّرُ بِهَا الْبِلَادُ وَجَعَلَ مِنْ نَسْلِهَا
هَذِهِ الْأَعْصَاءُ (ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى الشَّيْخِ وَقَالَ) : فَكَانَ هَذَا أَوْجَدَهُ اللَّهُ بَعْدَ
عَدَمِهِ وَأَنْشَأَهُ أَمْرَدًا وَشَابًا وَبَعْدَهُ مُكْتَهِلًا ثُمَّ شَيْخًا حَتَّى صَارَ إِلَى
هَذِهِ الْحَالِ مِنَ الْكِبَرِ فَأَحْتَاجُ فِي آخِرِ حَالَاتِهِ إِلَى هَذِهِ الْأَعْصَاءِ
فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَرْبِي الْعِبَادَ. قَالَ شَيْبُ بْنُ شُبَّةٍ : فَمَا سَمِعْتَ كَلَامًا
عَلَى يَدَيْهِ أَحْسَنَ مِنْهُ. وَلَمَّا أَقَامَ أَبُو جَعْفَرٍ دَالِحًا خَطِيبًا بِخُضْرَةَ
شَيْبُ بْنُ شُبَّةٍ وَأَشْرَافُ قُرَيْشٍ فَتَكَلَّمَ أَقْبَلَ شَيْبُ فَقَالَ :
يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ أَبِينَ بَيْنَانًا وَلَا أَرَبَطَ جَنَانًا وَلَا
أَفْصَحَ لِسَانًا وَلَا أَبْلَى رِيَّةً وَلَا أَنْمَضَ عُزُوفًا وَلَا أَحْسَنَ طَرِيقًا إِلَّا
أَنَّ الْجَوَادَ عَسِيرٌ لَمْ يَرْضَ فَحَمَلَتْهُ الْقُوَّةُ عَلَى تَعَسُّفِ الْأَكْثَامِ
وَحَبْطِهَا وَتَرْكِ الطَّرِيقِ الْأَحَبِّ وَأَمِمْ اللَّهُ إِنْ لَوْ عَرَفَ فِي خُطْبَتِهِ
مَقَاطِعَ الْكَلَامِ لَكَانَ أَفْصَحَ مَنْ نَطَقَ بِلسَانٍ. وَقَالَ الْمُتَأَمِّنُونَ :
مَا أُعْجِبُ بِكِتَابِ أَحَدٍ كَأَعْجَابِي بِكِتَابِ الْقَمَمِ بْنِ عِيسَى فَإِنَّهُ فِي غُرَّةِ
عُمْرِهِ وَيُصِيبُ مَقَاصِلَ الْكَلَامِ وَلَا تَدْعُوهُ الْمَقْدَرَةُ إِلَى الْإِطْلَابِ
وَلَا تَمِيلُ بِهِ الْغَرَارَةُ إِلَى الْأَسْهَابِ يُجْلِي عَنْ مُرَادِهِ فِي كِتَابِهِ وَيُصِيبُ
الْمَغْرَى فِي الْفَاطِظَةِ. وَكَانَ يُرِيدُ بْنُ مُعَاوِيَةَ يَقُولُ : إِيَّاكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا
الْفَضْلَ وَضَلًا فَإِنَّهُ أَشَدُّ وَأَعْجَبُ وَأَعْيَبُ مِنَ الْخَيْرِ. وَلَيْسَ كُنْ
الْتِمَقْدُ لِمَقَاطِعِ الْكَلَامِ مِنْكُمْ عَلَى بَالٍ. وَكَانَ أَكْثَمُ بْنُ صَيْفِي
إِذَا كَانَتْ مُلُوكُ الْجَاهِلِيَّةِ تَسْتَكْتِبُهُ قَالَ لِكِتَابَتِهِ : أَفْصَلُوا بَيْنَ
مُنْقَضِ فَضْلٍ وَصِلُوا إِذَا كَانَ الْكَلَامُ مَغْبُورًا بِنُصْبِهِ بَعْضُهُ. وَكَانَ

الْحَارِثُ بْنُ أَبِي سَمِيرَةَ الْعَسَّائِي يَقُولُ لِكَاتِبِهِ الْمُرْقَشِ : إِذَا تَرَعَ بِكَ
 الْكَلَامَ إِلَى أَيْدَاءٍ مَعْنَى غَيْرِ مَا أَنْتَ فِيهِ فَصِلْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَا
 تَبْنِيهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ فَإِنَّكَ إِنْ مَدَقْتَ الْأَفَاطِكَ بِغَيْرِ مَا يُحْسُنُ أَنْ
 تَمْدُقَ بِهِ نَفَرَتِ الْقُلُوبُ عَنْ وَعِيهَا وَمَلَّتْهُ الْأَسْمَاعُ وَاسْتَمَقَّتْهُ الرُّوَاةُ.
 وَكَانَ بَرَزْ جَمَهَرٌ يَقُولُ : إِذَا مَدَحْتَ رَجُلًا وَهَجَوْتَ آخَرَ فَأَجْعَلْ بَيْنَ
 الْقَوْلَيْنِ فُصْلًا حَتَّى تَعْرِفَ الْمَدْحَ مِنَ الْعِجَاءِ كَمَا تَفْعَلُ فِي كُتُبِكَ إِذَا
 اسْتَأْنَفْتَ الْقَوْلَ وَاسْكَمْتَ مَا سَافَ مِنَ اللَّفْظِ. وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ
 سَهْلٍ لِكَاتِبِهِ الْحَرَّائِي : مَا مَثَلُ الْكَاتِبِ فِي قَوْلِهِ وَفِعْلِهِ. قَالَ :
 أَنْ يَكُونَ مَطْبُوعًا مُخْتَنِكًا بِالنَّجْرَةِ سَالِمًا بِجَلَالِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ
 وَحَرَامًا بِالذُّهْرِ فِي تَدَاوُلِهَا وَتَقَرُّفِهَا وَبِالْمُلُوكِ فِي سِيرِهَا وَأَيَّامِهَا
 مَعَ بَرَاةِ اللَّفْظِ وَحُسْنِ النِّسْقِ وَتَأْلِيفِ الْأَوْصَالِ بِمُشَاكَلَةِ
 الْأَسْتِعَادَةِ وَيُشْرَحِ الْمَعْنَى حَتَّى يُنْصَبَ صُورُهَا. وَبِقَاطِعِ الْكَلَامِ
 وَمَعْرِقَةِ الْفُضْلِ مِنَ الْأَوْصَالِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَهُوَ كَاتِبٌ
 مُجِيدٌ. وَقَالَ الْأُمَوِيُّ : مَا أَحْفَظُ مِنْ رَجُلٍ شَيْئًا كَتَحْفَظِي عَنْ الْفُضْلِ
 وَالْأَوْصَالِ فِي كِتَابِهِ وَالْخُلَاصِ مِنَ الْحَاوِلِ إِلَى الْمَعْقُودِ وَإِنْ لِكُلِّ
 شَيْءٍ جَمَالًا وَحِلْيَةً الْكِتَابِ وَجَمَاهُ إِيْقَاعُ الْفُضْلِ وَقَعَهُ وَتَخَذُ
 الْفِكْرَ وَاجِبَاتِهَا فِي لُطْفِ الْخُلَاصِ مِنَ الْمَعْقُودِ إِلَى الْحَاوِلِ. (فُلَانَا) :
 وَمَعْنَى الْمَعْقُودِ وَالْحَاوِلِ هَاهُنَا هُوَ أَنَّكَ إِذَا ابْتَدَأْتَ مُحَاطَبَةً ثُمَّ لَمْ
 تَنْتَهِ إِلَى مَوْضِعِ الْخُلَاصِ فَمَا عَقَدْتَ عَلَيْهِ كَلَامَكَ سُمِّيَ الْكَلَامُ
 مَعْقُودًا. وَإِذَا شَرَحْتَ الشُّوْرَ وَأَبْنَتَ عَنِ الْفُرُضِ الْمَذْرُوعِ إِلَيْهِ

سَمِّيَ اَنْكَلَامُ مَحْوُلًا مِثَالُ ذَلِكَ مَا كَتَبَ بَعْضُهُمْ اَنْظُرَ سَدَّدَ اللهُ
رَأْيَكَ اَنْ لَا تَدْعُوكَ مَقْدَرُكَ عَلَى اَنْكَلَامٍ اِلَى اِطَالَةِ الْمَعْقُودِ فَاِنَّ
ذَلِكَ مِثْلُهَا مَا اَكْثَرْتَهُ فِي صَدْرِكَ وَاَوْرَدْتَ تَضْيِيقَهُ فِي كِتَابِكَ .
وَاَعْلَمُ اَنْ اِطَالَةَ الْمَعْقُودِ تُورِثُ نِسْيَانَ مَا عَقَدْتَ عَلَيْهِ كَلَامَكَ
وَأَرْتَمْتَ بِهِ فِكْرَكَ . وَكَانَ شَيْبُ بْنُ شُبَّةٍ يَقُولُ لَمْ أَرِ مُتَكَلِّمًا
قَطُّ أَذْكَرَ لِمَا عَقَدَ عَلَيْهِ كَلَامَهُ وَلَا أَحْفَظَ لِمَا سَلَفَ مِنْ نُطْقِهِ مِنْ
خَالِدِ بْنِ صَفْوَانَ يُشِيعُ الْمَعْقُودَ بِالْمَعَانِي يَضْعُبُ الْخُرُوجَ مِنْهَا اِلَى
غَيْرِهَا ثُمَّ يَأْتِي بِالْمَحْوُلِ وَاحْتِجَابِنَا وَمَشْرُوحًا مُنَوَّرًا وَكَانَ السَّامِعَ لَا
يَعْرِفُ مَغْرَاهُ وَمَقْصِدَهُ فِي أَوَّلِ كَلَامِهِ حَتَّى يَصِيرَ إِلَى آخِرِهِ . وَقَالَ
بَعْضُهُمْ : لَيْسَ عَمَلٌ مِنَ الْقَائِلِ اَنْ يَكْتُمَ مَغْرَاهُ مِنَ السَّامِعِ اِكْلَامَهُ
فِي أَوَّلِ ابْتِدَائِهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِهِ بَلِ الْأَحْسَنُ اَنْ يَكُونَ
فِي صَدْرِ كَلَامِهِ دَلِيلٌ عَلَى حَاجَتِهِ وَمُبَيِّنٌ لِمَغْرَاهُ وَمَقْصِدِهِ كَمَا اَنْ
آخِرَ آيَاتِ الشَّعْرِ مَا إِذَا سَوَّغَ صَدْرُهُ عَرَفَتْ قَافِيَتُهُ . وَكَانَ
ثُمَّيبُ بْنُ شُبَّةٍ يَقُولُ : النَّاسُ مُوَكَّلُونَ بِتَعْظِيمِ جُودَةِ الْإِبْتِدَاءِ
وَبِمَدْحِ صَاحِبِهِ وَأَنَا مُوَكَّلٌ بِتَعْظِيمِ جُودَةِ الْقَطْعِ وَبِمَدْحِ صَاحِبِهِ
وَخَيْرُ الْكَلَامِ مَا وَقِفَ عِنْدَ مَقَاطِعِهِ وَبَيَّنَ مَوْقِعَ فُضُولِهِ



الفصل الثامن

في التعبير

البحث الأول

في خواصّ تعبير الخطيب

(من كتاب العقد الفريد لابن عبد ربه)

(راجع الصفحة ١٣٢ من علم الخطابة)

مَرَّ بِشَرْبِنُ الْمُعْتَمِرِ بِإِبْرَاهِيمَ بْنِ جَبَلَةَ بْنِ مَخُومَةَ السَّكُونِيِّ
الْخَطِيبِ وَهُوَ يُعَلِّمُ فِتْيَانَهُمُ الْخُطَابَةَ فَوَقَفَ بِشَرٍّ يَسْتَمَعُ فَظَنَّ
إِبْرَاهِيمُ أَنَّهُ إِنَّمَا وَقَفَ لِيَسْتَفِيدَ أَوْ يَكُونَ رَجُلًا مِنَ النُّظَارَةِ فَقَالَ
بِشَرٍّ: اضْرِبُوا عَمَّا قَالَ صَحْحًا وَأَطُوا عَنْهُ كَشْحًا. ثُمَّ دَفَعَ إِلَيْهِمْ
صَحِيفَةً مِنْ تَمْثِيلِهِ وَتَحْجِيرِهِ فِيهَا: خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً نَشَاطِكَ وَفَرَاغَ
بَالِكَ وَإِجَابَتِهَا إِيَّاكَ فَإِنَّ نَفْسَكَ تِلْكَ السَّاعَةَ أَكْرَمُ جَوْهَرًا
وَأَشْرَفُ حَسَبًا وَأَحْسَنُ فِي الْأَسْتِمَاعِ وَأَخْلَى فِي الصُّدُورِ وَأَسْلَمُ
مِنْ فَاحِشِ الْخَطَا وَأَجْلَبُ لِكُلِّ عَيْنٍ مِنْ لَفْظِ شَرِيفٍ وَمَعْنَى
بَدِيعٍ. وَاعْلَمْ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمَكَ الْأَطْوَلُ
بِالْكَدِ وَالْأَطَاوَةِ وَالْمُجَاهَدَةِ بِالتَّكْلِيفِ وَالْمَعَاوِدَةِ. وَمَهْمَا أَخْطَاكَ

لَمْ يُخْطِئْكَ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَصْدًا وَخَفِيفًا عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا وَكَمَا
خَرَجَ مِنْ يَبُوعِهِ وَنَجَمَ مِنْ مَعْدِنِهِ . وَإِيَّاكَ وَالْتَوَعْرَ فَإِنَّ التَّوَعْرَ
يُسَلِّمُكَ إِلَى التَّعْقِيدِ وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ وَيَشِينُ
الْفَاضِلَ وَمَنْ أَدَاعَ مَعْنَى كَرِيماً فَلْيَتَمَسَّ لَهُ لَفْظاً كَرِيماً فَإِنَّ حَقَّ
الْمَعْنَى الشَّرِيفِ اللَّفْظُ الشَّرِيفُ وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ تَصُونَهَا عَمَّا يَفْسِدُهَا
وَيُهْجِنُهَا وَعَمَّا تَعُوذُ مِنْ أَجْلِهِ إِلَى أَنْ تَكُونَ أَسْوَأَ حَالاً مِنْكَ قَبْلَ
أَنْ تَلْتَمِسَ إِظْهَارَهَا وَتَرْهَنَ نَفْسَكَ بِمِلَابَسَتِهَا وَقَضَاءِ حَقِّهَا . فَكُنْ
فِي ثَلَاثَةِ مَآزِلَ قَاوِلُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ رَشِيقاً عَذْباً أَوْ
فَحْماً سَهْلاً وَيَكُونَ مَعَكَ ظَاهِراً مَكْشُوقاً وَقَرِيباً مَعْرُوفاً إِمَّا عِنْدَ
الْخَاصَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْخَاصَّةِ قَصَدْتَ وَإِمَّا عِنْدَ الْعَامَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْعَامَّةِ
أَرَدْتَ . وَالْمَعْنَى لَيْسَ يَتَّضِعُ أَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْعَامَّةِ . وَإِنَّمَا
مَدَارُ الْأَمْرِ عَلَى الشَّرَفِ مَعَ الصَّوَابِ وَإِحْرَازِ الْمُنْفَعَةِ مَعَ مُوَافَقَةِ
الْحَالِ وَمَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ مِنَ الْقَالِ . وَكَذَلِكَ اللَّفْظُ الْعَامِيُّ
وَالْخَاصُّ فَإِنْ أَمَكَنَّكَ أَنْ تَبَاعَ مِنْ بَيَانِ لِسَانِكَ وَبَلَاغَةِ لَفْظِكَ
وَلُطْفِ مَدَاحِكَ وَقَدْرِكَ فِي نَفْسِكَ عَلَى أَنْ تُفْهِمَ الْعَامَّةَ مَعَانِي
الْخَاصَّةِ وَتَكْشُرَهَا أَلْفَاظَ الْمُتَوَسِّطَةِ الَّتِي لَا تَنْطَفِئُ عَنِ الدَّهَاءِ وَلَا
تُخْفَوْنَ عَنِ الْأَكْفَاءِ . فَإِنَّتِ الْبَلِيغُ الثَّامُ . فَقَالَ لَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ جَبَلَةَ
جُعِلَتْ فِدَاكَ أَنَا أَخْرَجَ إِلَى تَعْلِي هَذَا الْكَلَامِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْعِلْمَةِ

البحث الثاني

في بلاغة كلام العرب وكلام العجم

(من رسالة)

(راجع الصفحة ٢٠٧ من علم الادب)

كُنْتُ ذَكَرْتُ لَكَ أَسْعَدَكَ اللَّهُ إِكْثَارَ النَّاسِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا فِي
وَصْفِ الْبَلَاغَةِ وَتَعْرِيفِهِمْ الْقَوْلَ فِي أَقْسَامِهَا وَأَنْوَاعِهَا وَأَنَّهَا الْفَاطُ
يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمَعْنَى فَمِمَّا يَكُونُ فِي النَّظْمِ وَمِنْهَا مَا يَكُونُ فِي
النَّثْرِ وَيَكُونُ فِي الْمَكَاتِبِ وَالرَّسَائِلِ وَالْخُطَبِ وَالنَّشِيبَاتِ
وَالْأَوْصَافِ وَفِي السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. فَأَمَّا بَلَاغَةُ الشُّعْرِ
فَعُدُوبَةُ الْأَلْفَاظِ وَتَقْرِيبُ الْمَعْنَى وَاتِّسَاقُ النَّظْمِ وَرَشَاقَةُ الْمَعْرِضِ
كَقَوْلِ النَّابِغَةِ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتَ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ
وَقَوْلِ الْأَعشى : (فَهُمْ سَاكِنُونَ وَالْمَنِيَّةُ تَنْطِقُ). وَمِنْهَا مَا يَكُونُ
بِلِصَابَةِ الْمَعْنَى وَقَرَعِ الْحِجَةِ وَالْأَصْلُ عِنْدَهُمْ فِيهَا أَنَّهَا الْفَاطُ يُعَبَّرُ
بِهَا عَنِ الْمَعْنَى فَأَحْسَنُهَا مَا يَرِيدُ فِي كَشْفِ الْمَعْنَى مَعَ اخْتِصَارِهِ بِأَقَلِّ
مَا يُمَكِّنُ مِنَ الْعِبَارَةِ بِأَعْدَبِ الْأَلْفَاظِ وَأَحَقُّهَا عَلَى الْأَسْمَاعِ
وَأَقْرَبُهَا إِلَى الْقُلُوبِ ثُمَّ ذَكَرْتُ لَكَ أَنَّ الْبَلَاغَةَ لَيْسَتْ مَقْصُورَةٌ
عَلَى أُمَّةٍ دُونَ أُمَّةٍ وَلَا عَلَى مَلِكٍ دُونَ سُوقَةٍ وَلَا عَلَى لِسَانٍ دُونَ

لِسَانٍ بَلْ هِيَ مَقْسُومَةٌ عَلَى أَكْثَرِ الْأَلْسِنَةِ فَهُمْ فِيهَا مُشْتَرِكُونَ
وَهِيَ مَوْجُودَةٌ فِي كَلَامِ الْيُونَانِيَّةِ وَكَلَامِ الْأَنْجَمِ وَكَلَامِ الْهِنْدِ
وغيرِهِمْ وَلَكِنَّهَا فِي الْعَرَبِ أَكْثَرُ لِكَثْرَةِ تَصَرُّفِهَا فِي النَّثْرِ وَالنَّظْمِ
وَالْخُطْبِ وَالْكُتُبِ وَالسَّجْعِ وَالْمَزْدُوجِ وَالرَّجْزِ وَهُمْ أَيْضًا مُتَقَاوِنُونَ
فِيهَا فَقَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ بَلِيغًا وَلَا يَكُونُ سَيِّدُهُ وَتَكُونُ الْأُمَّةُ
بَلِيغَةً وَلَا تَكُونُ رَبَّتَهَا. فَالْبَلَاغَةُ قَدْ تَكُونُ فِي أَعْوَابِ الْبَلَادِيَةِ
دُونَ مُلُوكِهَا وَقَدْ يُحْسِنُهَا الصَّبِيُّ وَالْمَرْأَةُ... قَالَ أَشْخِ ابْنُ أَحْمَدَ :
وَمِنْ عَجِيبِ مَا فِيهِ وَبَعْدُ تَنَافِيهِ أَنْ يَأْتِيَ بَدَوِيٌّ أَيْمِيًّا جِلْفٌ جَافٍ
فَيَسْتَدِيعُ بِفِكْرِهِ وَقَرِيحَتِهِ الْمَغْنَى الْبَدِيعَ وَالتَّشْبِيهَ الْمُجِيبَ وَالسُّوَالَ
الْأَطِيفَ وَالْمَسَدَحَ الشَّرِيفَ وَالْعَزَلَ الرَّفِيقَ وَالنَّهْجَاءَ الْمَوْجِعَ وَالذَّمَّ
الْمُلَاقَ بِظُلْمِ عَجِيبٍ وَقَوَافٍ مُنْتَظِمَةٍ وَأَوْزَانٍ تَامَةٍ وَأَقْسَامٍ مُعَدَّةٍ
وَالْفَاظِ فَصِيحَةٍ عَذْبَةٍ يَسْتَهْجِي سَامِعُهَا أَنْ يَحْفَظَهَا ثُمَّ يَسْتَهْجِي أَنْ
يُخَاصِرَ أَهْلَ الْمُرُوتِ بِهَا مُمْتَلَأًا أَوْ شَاكِرًا أَوْ عَاتِبًا أَوْ مُهِنًا أَوْ مُعْزِيًا
فَلَا يَزْدَادُ عَلَى الدَّهْرِ إِلَّا نَضَارَةً وَجَدَّةً وَيَكُونُ مَنْ خَلَا مِنْهَا
نَاقِصَ الْأَدَبِ وَالْعَرَفَةِ كَقَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

كَانَ قُلُوبَ الطَّيْرِ رَطْبًا وَيَاسَا لَدَى دُكْرَهَا الْعُنَابُ وَالْحَشَفُ الْبَالِي
وَقَوْلِ النَّابِغَةِ : فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُذْرِكِي. وَكَقَوْلِ
الْخَطِيبَةِ : لَا يَذْهَبُ الْعَرَفُ بَيْنَ اللَّهِ وَالنَّاسِ . ثُمَّ يَجْتَهِدُ الْعَارِفُ
الْمُصِيبُ وَالْعَالِمُ الْأَدِيبُ وَالرَّايِضُ الْحَاقِظُ أَنْ يُدْرِكَ شَأْنَهُ فَلَا
يُسْقُ غِبَارُهُ . قَالَ : سُئِلَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ عَنْ حَدِّ الْبَلَاغَةِ فَقَالَ :

التَّقَرُّبُ مِنْ مَعْنَى الْبُعِيدَةِ وَالتَّبَاعُدُ مِنْ حَشْوِ الْكَلَامِ وَالِدَّلَالَةُ
بَقِيلٍ عَلَى كَثِيرٍ. قَالَ الشَّيْخُ: وَكَثُرَ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي الْبَلَاغَةِ أَنَّهَا
الِاخْتِصَارُ وَتَقْرِيبُ الْمَعَانِي بِالْأَلْفَاظِ الْقَصَارِ وَالِاِقْتِصَارُ عَلَى
الِإِشَارَةِ إِلَى مَعَانِيهَا وَالِدَّلَالَةُ بِالْقَلِيلِ عَلَى الْكَثِيرِ. وَقَدْ سُئِلَ
بَعْضُهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَقَالَ: لَخِثَّةٌ دَالَّةٌ. وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ أَكْثَرُهُمْ فِي
الْخُذْفِ وَالِاخْتِصَارِ وَكَذَلِكَ جَعَلَ أَمْرُ الْقَيْسِ اخْصَارَ قَرَسِهِ وَسُرْعَةَ
لِحَاقِهِ لِلصَّيْدِ وَأَنَّ الْأَوَابِدَ لَا تَطْمَعُ فِي لُتْخَاصٍ مِنْهُ فَجَمَعَ هَذَا فِي
قَوْلِهِ: (قَيْدُ الْأَوَابِدِ). وَكَذَلِكَ قَوْلُ زُهَيْرٍ: (إِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ
هَرَمٌ). فَقِي قَوْلُهُ (عَلَى عِلَاتِهِ) مَا يَذُوبُ عَنْ كُلِّ مَا بَعْدَ كَذَلِكَ قَوْلُ
الْأَعَشَى: فَهُمْ سَاكِنُونَ وَالْمَنِيَةُ تَنْطِقُ وَهَذَا يَكْثُرُ وَفِي مَا
أوردناه بِلَاغٍ. وَهَذَا وَقَعَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى إِلَى كِتَابِهِ لِيَكُنَّ
كَلَامُكُمْ فِي كُتُبِكُمْ وَمِثْلُ التَّوْقِيعِ يَحْضُرُ بِذَلِكَ عَلَى غَايَةِ الْخُذْفِ
وَالِاخْتِصَارِ. وَهَذَا أَنَّ الْمَأْمُونِ أَسْرَعَ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودَةَ أَنْكَتَابَ
أَنْ يَكْتُبَ لِزُجَلٍ لَهُ بِهِ عِنَايَةٌ إِلَى بَعْضِ الْعَمَالِ بِقَضَاءِ حَقِّهِ وَأَنْ
يُخْتَصِرَ كِتَابَهُ مَا أَمَكْنَهُ حَتَّى تَكُونَ كِتَابَتُهُ فِي سَطْرِ وَاحِدٍ بِلَا
زِيَادَةٍ فَكُتِبَ عَمْرُو: كِتَابِي إِلَيْكَ كِتَابٌ وَاقٍ بِنِ كُتِبَ إِلَيْهِ
مَعْنِي بِنِ كُتِبَ لَهُ وَلَنْ يَضِيعَ بَيْنَ الثَّقَةِ وَالْعِنَايَةِ حَاقُولُهُ. وَهَذَا
مَا كُتِبَ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ وَقَدْ تَلَكَّأَ
عَنْ يَبِيعَتِهِ: أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أَرَاكَ تُقَدِّمُ رِجْلًا وَتُؤَخِّرُ أُخْرَى فَإِذَا
أَتَاكَ كِتَابِي فَأَعْتَمِدْ عَلَى آيَتِهِمَا شِئْتَ وَالسَّلَامُ. وَسَادَّكَرُ فِي هَذَا

الْمَوْضِعِ صَدْرًا مِنَ الْفُضُولِ الْخُتَارَةِ مِنْ غَيْرِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ . ثُمَّ
 أَذْكَرُ بَعْدَهُ صَدْرًا مِنَ الْفُضُولِ الْعَرَبِيَّةِ مِمَّا يَضَعُ لِلْمَذَاكِرَةِ وَيَبْعَثُ
 عَلَى النَّشَاطِ فَإِذَا قَرَأَهَا قَارِيٌّ دَلَّتْ عَلَى أَنْفُسِهَا فِي الْإِيحَازِ وَالْحَذَفِ
 وَاجْتَمَعَ لِلْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ بِالْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ سُقْرَاطَ :
 دَلَّ الْجِسْمُ عَلَى صَانِعِهِ . فَجَمَعَ بِثَلَاثِ لَفْظَاتٍ خِفَافٍ مَعَانِي كَثِيرَةً
 جَلِيلَةً الْقَدْرِ لِأَنَّ الْجِسْمَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَضَعْ نَفْسَهُ وَأَنَّ لَهُ صَانِعًا
 حَكِيمًا كَمَا يَدُلُّ الْبَاءُ عَلَى الْبَائِي وَالْكِتَابُ عَلَى الْكَاتِبِ .
 فَانْظُرْ كَمْ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ مَا يُحْكَى عَنْ بَعْضِ مُلُوكِهِمْ أَنَّهُ سُئِلَ
 مَا الَّذِي يَدُلُّ عَلَى مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَيُثَبِّتُ الْعِلْمَ بِالْقَيْبِ فَقَالَ : إِنْ
 لِكُلِّ ظَاهِرٍ مِنْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ عِلْمًا فَهُوَ يَعْرِفُهُ وَيَحْوَطُهُ فَمَنْ كَانَ
 مُعْتَبِرًا بِالْجَلِيلِ مِنْ ذَلِكَ فَلْيَنْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَيَعْلَمْ أَنَّ هَا بَارِنًا
 يُجْرِي فَلَكْهَا وَيُدَبِّرُ أَمْرَهَا . وَمَنْ أَعْتَبَرَ بِالصَّغِيرِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى حَبَّةٍ
 أَوْ خَرْدَلٍ فَيَعْلَمْ أَنَّ هَا مَدَبِّرًا يُنْشِئُهَا وَيُرَكِّبُهَا وَيَقْدِرُهَا أَقْوَاتًا مِنْ
 الْأَرْضِ وَالْمَاءِ وَيُوقِتُ هَا زَمَانًا لِهَشِيِّمِهَا . وَأَمْرُ النُّبُوَّةِ وَالْآيَاتِ وَمَا
 يَخْدُثُ فِي أَنْفُسِ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ يَعْلَمُونَ ثُمَّ اجْتِمَاعُ الْعُلَمَاءِ
 وَالْجُهَالِ وَالْمُهْتَدِينَ وَالضَّالِّينَ عَلَى ذِكْرِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَعْظِيمِهِ وَاجْتِمَاعُ
 مَنْ شَكَّ فِي اللَّهِ وَكَذَّبَ بِهِ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يُخَوِّثُوا أَنْفُسَهُمْ فَكُلُّ
 ذَلِكَ يَهْدِيكَ إِلَى اللَّهِ وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَنْشَأَ الْخَلْقَ وَدَبَّرَ هَذِهِ الْأُمُورَ .
 (قَالَ السَّيِّحُ) وَهَذَا الْكَلَامُ عَلَى طَرِيقِ قَدْرِ انْتِظَامِ أَكْثَرِ مَعَانِيهِ فِي
 قَوْلِ سُقْرَاطَ : دَلَّ الْجِسْمُ عَلَى صَانِعِهِ . (وَقَالَ الْأَوَّلُ كُنْدَرُ) وَعَظَمْتَ

فِكْرُكَ وَارْشَادُكَ عَقْلُكَ حِينَ حَيْرِكَ سَمْعُكَ وَعَشَّكَ تُخْبِرُكَ وَإِنَّ
الْإِنْسَانَ بِاخْتِلَافِ الْمَسْمُوعِ يَتَحَيَّرُ وَيَضِلُّ بِغَشِّ الْخُبْرَيْنِ وَيَسُومُهُمْ
فِي مَا يُخْبِرُونَ بِهِ فَيَمِيزُ لَهُ عَقْلُهُ الصَّوَابَ مِنَ الْخَطَا وَيُرْشِدُهُ إِلَى
الْحَقَائِقِ وَيُخْرِجُهُ مِنَ الْخَيْرَةِ. وَقَالَ مُطَلِبُ الْعُرَايِي لِلْإِسْكَندَرِ :
أَخْلَاقُكَ تَجْعَلُ الْعَدُوَّ صَدِيقًا وَأَحْكَامُكَ تَجْعَلُ الصَّدِيقَ عَدُوًّا وَيَشْهَدُ
لَكَ عَدَمُ وَمِثْلُكَ فِي مَا يَكُونُ. (قَالَ الشَّيْخُ) فَأَنْظِرْ آلَانَ كَمَ
مَعْنَى حَسَنٍ تَحْتَ هَذِهِ الْأَلْفَاظِ الْقَلِيلَةِ يَعْنِي أَنَّ حُسْنَ خُلُقِهِ يُرَدُّ عَدُوَّهُ
إِلَى صَدَاقَتِهِ وَأَنَّ عَدْلَ حُكْمِهِ لَا يُفَرِّقُ بَيْنَ عَدُوٍّ وَصَدِيقٍ وَأَنَّ
عَدَمَ مِثْلِهِ فِي مَاضِي الدُّهُورِ قَدْ شَهِدَ بَأَنَّ مِثْلَهُ لَا يَكُونُ فِي
مُسْتَقْبَلِ الْعُصُورِ. وَهَذَا كَلَامٌ مَنقولٌ إِلَى الْعَرَبِيَّةِ وَلَعَلَّهُ بَلَغَتْهُ كَانَ
أَفْضَحَ وَأَحْسَنَ. وَلَمَّا شَاوَرَ أَبُو مُسْلِمٍ بَعْضَ الْفُرْسِ فِي أَمْرِهِ
قَالَ لَهُ : قُلْ مَا يَقْبَلُ وَخُذْ مَا يَسْهَلُ وَاعْمَلْ مَا يَنْجُلُ. فَجَمَعَ لَهُ
بِهَذِهِ الْكَلِمَاتِ الثَّلَاثِ أَكْثَرَ مَعَانِي السِّيَاسَةِ. وَفِي مَا يُرَوَى أَنَّ
بَعْضَهُمْ رَأَى شَابًا لَا أَدَبَ لَهُ وَعَلَيْهِ خَاتَمٌ ذَهَبٌ فَقَالَ : جِمَارٌ عَلَيْهِ
لِحَامٌ ذَهَبٌ. وَنَظَرَ إِلَى شَابٍ أَحْمَقَ قَامِدًا عَلَى حَجَرٍ. فَقَالَ : هَذَا حَجَرٌ
قَائِدٌ عَلَى حَجَرٍ. وَقَالَ أَرِسْطَاطَالِيسُ : الْحَاجَةُ إِلَى الْقَعْلِ أَقْبَحُ مِنْ
الْحَاجَةِ إِلَى الْإِمَالِ. وَقَالَ : غَيْرُ مُحِبِّ الشَّرَفِ هُوَ الَّذِي يُتَبِعُ نَفْسَهُ
بِالنَّظَرِ فِي الْعِلْمِ. وَقَالَ سُقْرَاطُ : الْأَذَّةُ خِنَاقٌ مِنْ عَسَلٍ. وَرَأَى
سُقْرَاطُ طَبِيبًا جَائِلًا فَقَالَ : هَذَا مُسْتَحِثٌّ. يَعْنِي يُعْجَلُ بِمَنْ يُعَالَجُ إِلَى
الْمَوْتِ. وَقِيلَ لِبَعْضِ تَلَامِيذِهِ : قَدْ مَاتَ أَسْتَاذُكَ. فَقَالَ : أَلَوْعُ لِي

لَقَدْ ضَاعَ مَسْنُ عَقْلِي

(قَالَ الشَّيْخُ) وَهَذَا أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى فِي كَلَامِ الْعَجَمِ
وَلَا سِيَّامَا فِي عُلَمَائِهِمْ وَوُزَرَائِهِمْ الَّذِينَ أَخْرَجُوا كَلَامَهُمْ مُخْرَجَ التَّوْقِيعِ.
فَمِنْ ذَلِكَ مَا يُحْكِي أَنَّ أَنْوِشِرَوَانَ وَقَعَ فِي وَلَايَةِ الْخَرَجِ: الْخَرَجُ
عَمُودُ الْمَلِكِ وَمَا اسْتَنْزَرَ بِمَثَلِ الْجُوزِ وَلَا اسْتَغْزَرَ بِمَثَلِ الْعَدْلِ. وَوَقَعَ
أَيْضًا فِي رُقْعَةٍ رَجُلٍ وَكَيْلٍ لَهُ أَمْرُهُ بِنَاءِ قَصْرِ فَأَخْرَجَهُ: أَنْتَ مَا شِ
وَالْأَيَّامُ رَاكِنَةٌ وَالْعَمَلُ بَاعٌ وَالْعِنَايَةُ فِتْرَةٌ. (قَالَ الشَّيْخُ) وَآيَاتُ
الشَّعْرِ كَثُرَتْ أَمْثَالُ الْعَرَبِ وَزَادَتْ عَلَى أَمْثَالِ سَائِرِ الْأُمَمِ. وَإِنْ
كَانَ فِي غَيْرِ الْعَرَبِ الشَّعْرُ أَيْضًا عَلَى قَدِيمِ الزَّمَانِ فَلِلْفَرَسِ أَمْثَالُ
لَا تُضْبَطُ كَثْرَةُ وَلِلْيُونَانِيِّينَ أَشْعَارُ دُونَ الْفَرَسِ. وَكَانَ أَفْلَاطُونُ
بَعْضَ مَنْ يَقُولُ الشَّعْرَ وَيَقُولُ فِي ذِمَّتِهِ: إِنَّ الشَّاعِرَ مُصَوِّرٌ لِلسَّمْعِ
وَالْمَزُوقِ مُصَوِّرٌ لِلْبَصَرِ. فَأَمَّا الْفَرَسُ فَقَبِي مَشُورٌ أَخْبَارُهُمْ وَذِكْرُ
حُرُوبِهِمْ أَشْعَارُ كَانَتْ تُدَوَّنُ وَتُحْلَدُ فِي الْخَرَائِنِ الَّتِي كَانَتْ يُبَوِّتُ
الْحِكْمَةُ ثُمَّ دَرَسَ أَكْثَرُهَا مَعَ دَرَسِ كَلَامِهِمْ وَبَقِيَ مِنْ أَشْعَارِ
الْعَرَبِ السَّوَابِرِ مِنَ الْأَمْثَالِ تَحْرِي عَلَى أَفْوَاهِ أَهْلِ زَمَانِهِمْ. وَحَكَى
أَبُو حَاتِمٍ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ أَوْصَلَ إِلَى أَحْمَدَ بْنِ سَعِيدِ بْنِ سَهْلٍ
أَبَاهِلِيٍّ أَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ مِثْلٍ عَرَبِيٍّ بَعْضُهَا فِي الْجُلُودِ وَبَعْضُهَا فِي
الْقُطْنِيِّ وَبَعْضُهَا فِي الْقِرْطَاسِ فَتَفَرَّدَتْ الْعَرَبُ مِنْ بَيْنِ الْأُمَمِ
بِكَثْرَةِ الْأَمْثَالِ... وَمِنْ تَوْقِيعَاتِ الْعَجَمِ تَوْقِيعُ أَرْدَشِيرِ بْنِ بَابِكَ
وَكَانَ أَهْلُ زَمَانِهِ قَطُّوا فَرَفَعُوا إِلَيْهِ قِصَّةَ يَشْكُونُ ذَلِكَ فَوَقَعَ

إِلَى صَاحِبِ بَيْتِ أَمَالٍ : إِذَا تَحَطَّ الْمَطَرُ جَادَتْ سَحَابُ الْمَلِكِ . فَفَرَّقَ
 فِيهِمْ مَا قَاتَهُمْ وَمَا نَهُمْ . وَشَكِي مِثْلُ ذَلِكَ إِلَى قُبَادَ بْنِ كِسْرَى
 فَوَقَعَ لَيْكُنْ بِمَا أَلْبَسَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ فَأَيَّ وَآيَاهُمْ فِي
 نَفْعِ ذَلِكَ مُسْتَوُونَ . وَمَدَحَ رَجُلٌ مِنْ الْخَاصَّةِ كِسْرَى بْنَ قُبَادَ
 بِمَدْحٍ أَطْلَبَ فِيهِ وَأَسْهَبَ وَذَهَبَ كُلُّ مَذْهَبٍ وَكَانَ الْمَدْحُ فِي
 رُقْعَةٍ . فَوَقَعَ فِيهَا كِسْرَى إِلَى الْمَدْحِ مُسْتَضْعِرٌ لِعَلِّي بِأَشْيَاءَ قَدْ
 مَدَحَتْ وَكَانَتْ بَانَ تُدَمُّ مَحْقُوقَةٌ . وَوَقَعَ أَنْوِشُرَوَانُ فِي رُقْعَةٍ
 مُتَّصِحٌ : ثَمَرَاتُ النَّصَاحِ شُكْرُ الْجَوَارِحِ وَخَرَجَ التَّوَقُّعُ إِلَى وَزِيرِ
 لَهُ أَمَرَهُ بِجَائِزَةٍ وَآثَنَى عَلَيْهِ وَقَالَ : قَدْ جَعَلْنَا إِلَى شُكْرِ اللِّسَانِ
 شُكْرَ أَلِيدٍ وَهُوَ الْبَذْلُ . وَوَقَعَ كِسْرَى فِي رُقْعَةٍ رَجُلٍ سَأَلَهُ فِيهَا
 الثُّقْلَةَ عَنْ صِنَاعَتِهِ إِلَى صِنَاعَةٍ غَيْرِهَا وَكَانَتْ صِنَاعَتُهُ خَسِيسَةً فَأَخْتَارَ
 صِنَاعَةً رَفِيعَةً فَوَقَعَ فِي رُقْعَتِهِ : أَنَا حَامِلٌ لِلرَّعِيَّةِ عَلَى لُزُومٍ مَثَرِ لَتِهِمْ
 وَصَانِعُهُمْ وَلِنَفْسِي عَلَى مَا يُحْمَلُ عَلَى اللُّزُومِ لَهَا

وَمِنْ حَدِّ الْبَلَاغَةِ جَمْعُ الْمَعَانِي الْكَثِيرَةِ فِي الْأَلْفَاظِ الْيَسِيرَةِ
 فَقَدْ سُئِلَ خَلْفُ الْأَحْمَرُ فَقِيلَ لَهُ : مَا لَنَا نَرَى فِي الْكَلَامِ الْقَلِيلِ عِدَّةَ
 مَعَانٍ . فَقَالَ : إِنَّ كَلَامَ الْعَرَبِ أَوْعِيَةٌ وَالْمَعَانِي أَمْتِيَةٌ فَرُبَّمَا
 جُعِلَتْ ضُرُوبٌ مِنَ الْأَمْتِيَةِ فِي وَعَاءٍ وَاحِدٍ ... وَحُكِيَ عَنْ جَعْفَرِ
 ابْنِ يَحْيَى وَكَانَ قَرِيبَ دَهْرِهِ بَلَاغَةً فِي الْمَكَاتِبَةِ وَجُودَةً لِسَانٍ فِي
 الْمُخَاطَبَةِ أَنَّهُ قَالَ : إِذَا كَانَ الْإِيجَازُ كَافِيًا كَانَ التَّطْوِيلُ عِيًّا وَإِنْ كَانَ
 التَّطْوِيلُ وَاجِبًا كَانَ التَّقْصِيرُ عَجْزًا . وَحُكِيَ الْمُفَضَّلُ قَالَ : قُلْتُ

لَا عَرَابِي: مَا الْبَلَاغَةُ. فَقَالَ: أَلَا يَجَازُ مِنْ غَيْرِ عَجْزٍ وَالْإِطْلَابُ فِي غَيْرِ
 حَظْلٍ. وَوَصَفَ الْجَاهِظُ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ فَقَالَ: كَانَ لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا
 يَسْتَدْعِي مَعْنَى مِنْ بُعْدٍ. قَالُوا: وَالْبَلِيغُ الْكَامِلُ هُوَ الَّذِي تَكُونُ
 أَلَا لِقَاطُ عِنْدَهُ عَزِيزَةٌ وَالْعَلَايُ فِي نَفْسِهِ جَمَّةٌ كَثِيرَةٌ. وَقَالُوا:
 وَنَحْصُورُ الْبَلَاغَةِ أَنَّ لَهَا ثَلَاثَ حَالَاتٍ: حَالًا يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي
 الْعَلَايُ مِنْ أَجْلِهَا. وَحَالًا يَحْتَاجُ إِلَى النَّظَرِ فِي أَلْفَاطٍ. وَحَالًا مُرَكَّبَةٌ
 مِنْ أَلْفَاطٍ وَالْعَلَايُ وَهِيَ ذَاتُ الْبَلَاغَةِ الَّتِي تَخْتَصُّ بِأَسْمِهَا.
 وَلِلْبَلَاغَةِ ثَلَاثَةُ مَذَاهِبَ تُقْصَدُ فِي اسْتِعْمَالِهَا. أَحَدُهَا الْمُسَاوَاةُ وَهِيَ
 أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ كَالْقَالِبِ لِلْمَعْنَى لَا يَفْضُلُ عَنْهُ وَلَا يَنْقُصُ مِنْهُ.
 وَالثَّانِي الْإِشَارَةُ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ مُشَارًا بِهِ إِلَى الْمَعْنَى بِالسَّخَةِ
 الدَّالَّةِ. وَالثَّالِثُ التَّبْدِيلُ وَهُوَ إِعَادَةُ الْأَلْفَاطِ الْمُرَادِفَةِ عَلَى الْمَعْنَى
 الْوَاحِدِ بَعِيْنِهِ حَتَّى يَظْهَرَ لِمَنْ لَمْ يَفْهَمْهُ وَيَتَوَكَّدَ عِنْدَ مَنْ فَهَمَهُ.
 وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَذَاهِبِ مَوْطِنٌ يَلِيْقُ بِهِ وَوَقْتُ لَا يَضِلُّ
 فِيهِ غَيْرُهُ وَسَادُّ كُرُّ هُمَا صَدَدًا مِنَ الْفُضُولِ الْقِصَارِ مِنْ كَلَامِ
 الْأَعْرَبِ وَغَيْرِهِمْ بِمَا يَتَضَمَّنُ الْفَقْرَ الْمُخْتَارَةَ وَالْعَلَايُ الْجَمْعُوعَةَ بِاللَّفْظِ
 فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ: قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُهُ. وَكَقَوْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
 عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ سِتَّ كَلِمَاتٍ مَا سَبَقَهُ إِلَيْهَا أَحَدٌ نُوْزَنُ كُلُّ
 كَلِمَةٍ مِنْهَا بِأَلْفِ كَلِمَةٍ وَرَوَاهَا عَنْهُ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ وَمِنْ
 الْأَدْبَاءِ وَهِيَ: الْأَوَّلَى قَوْلُهُ: قِيَمَةُ كُلِّ أَمْرٍ مَا يُحْسِنُهُ. الثَّانِيَةُ:
 النَّاسُ أَعْدَاءُ لِمَا جَهِلُوا. الثَّالِثَةُ: لِسَانُكَ يَقْتَضِيكَ مَا عَوَّدَتْهُ.

الرَّابِعَةُ: رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا عَرَفَ قَدْرَهُ. الْخَامِسَةُ: لَا رَأْيَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ. السَّادِسَةُ: أَلْمَزَ تَحْبُوهُ تَحْتَ لِسَانِهِ. وَمِنْهَا قَوْلُهُمُ الشَّعْرُ مِيزَانُ الْقَوْمِ وَالْعَرُوضُ مِيزَانُ الشَّعْرِ. وَقَوْلُ عُمَرَ: هَاجِرُوا وَلَا تَهْجُرُوا وَالسَّعِيدُ مَنْ وَعِظَ بَغْيِهِ. وَقَوْلُهُمُ: السَّعِيدُ مَنْ كَفِيَ. وَقَوْلُهُمُ: إِيَّاكَ وَمَا تَعْتَذِرُ مِنْهُ. وَقَوْلُهُمُ: رَبِّ سَاعِ لِقَاعِدٍ. رَبِّ مَا لَوْمٍ غَيْرُ مُلِيمٍ. رَبِّمَا قَتَلَ الْبَلِغَ لِسَانُهُ. أَلْعِيُونُ غُنَوَانُ الْقُلُوبِ. أَلْقُلُوبُ أَبْصَرُ مِنَ أَلْعِيُونِ. مَنْ ضَاقَ قَلْبُهُ اتَّسَعَ لِسَانُهُ. وَقَوْلُ الْأَعْرَابِيِّ وَقَدْ سَأَلَهُ بَعْضُهُمْ عَنْ حُضِرَ قَرَسِهِ فَقَالَ: يُخْضِرُ مَا وَجَدَ أَرْضًا. وَقَالَ آخَرُ: يَسْبِقُ الطَّرْفُ وَيَسْتَفِرْقُ الْوُصْفُ. عُوْجُ اللَّبْسَانِ طَوْعُ الْعَنَانِ كَأَنَّهُ مَوْجٌ يَمُوجُ أَوْ سَيْلٌ فِي حُدُورٍ. وَقَوْلُهُمُ: الْفِكْرَةُ مُحُ الْعَمَلِ. وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ إِنَّكَ لَتُحْسِنُ الْكُذْيَةَ. فَقَالَ: ذَلِكَ غُنَوَانُ نِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدِي. وَقَوْلُهُمُ: حَسْبُكَ مِنْ شَرِّ اسْتِمَاعُهُ. دَلَّ الشَّرُّ عَلَى نَفْسِهِ. أَلْبَادِي أَظْلَمُ. حِفْظُ الْمَوْجُودِ أَيْسَرُ مِنْ طَلَبِ الْمَفْقُودِ. مِنْ عَزَّ بَزَّ. سَرَّكَ مِنْ دَوْلِكَ غُمَّ سَلِمَ. سُئِلَ رَجُلٌ رَكِبَ الْبَجَرَ عَنْ أَنْجَبِ مَا رَأَى فَقَالَ: سَلَامَتِي. أَلَمَلْتُ شُكْرَ الضَّعِيفِ. أَلْصَدِيقُ يَصْدُقُ وَأَلْعَدُوُّ يَتَمَلَّقُ. اقْضِ دُيُونَ الْإِحْسَانِ إِلَيْكَ بِأَلِّسَانٍ قَبْلَ فَقْدِ الْإِلْمَكَانِ. مَنْ وَاسَكَكَ فِي الرُّخَاءِ خَذَاكَ فِي الْبَلَاءِ. عَجَبًا لِلْخَيْرِ الْمَمْدُوحِ أَلْتَرَوْكَ وَالشَّرِّ أَلْتَدُمُومِ. أَلْمَفْعُولِ. مَنْ نَمَّ إِلَيْكَ نَمَّ عَلَيْكَ مِنْ آسَاءِ اسْتَوْحَشَ. سَاعَاتُ اللَّذَّةِ هِيَ سَاعَاتُ الْغَفْلَةِ. (قَالَ الشَّيْخُ) هَذَا مِثْلُ قَوْلِ سُقْرَاطَ اللَّذَّةُ خِنَاقٌ مِنْ عَسَلٍ. عِنْدَ صَفْوِ

الْعَيْشِ يَكْدُرُ. الْغَرِيبُ مُخِيفٌ. الْمَحْبُوبُ مَذْكُورٌ. مَنْ لَكَ بِأَخِيكَ
كُتِبَ. صَدِيقُ الرَّجُلِ عَقْلُهُ وَعَدُوُّهُ جَهْلُهُ. (قَالَ الشَّيْخُ) وَوَيْلُ هَذَا قَوْلُ
أَرِسْطَاطَالِسٍ فِي مَا يَرُدُّ أَفْلَاطُونُ : إِنْ كَانَ أَفْلَاطُونُ لَنَا صَدِيقًا
فَأَلْحَقْ أَصَدَقْ لَنَا مِنْهُ

وَمِنْ الْفُضُولِ الْكِتَابِيَّةِ مَا كَتَبَ بَعْضُهُمْ : قَلْبِي تُحْيِي ذِكْرَكَ. وَلِسَانِي
خَادِمُ شُكْرِي وَكَتَبَ آخَرُ : فَلَنْ أَذِلَّ مِنْ شَاهِدٍ زُورٍ عِنْدَ مَنْ شَهِدَ
لَهُ. وَقَالَ آخَرُ : الْأَسْطِطَاةُ لِسَانُ الْجَهَالَةِ. وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى عَامِلٍ :
أَعْلَمْ أَنَّ النَّظَرَ إِذَا أَخْلَفَكَ لَكَ أَخْلَفَ وَنَكَ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي
طَالِبٍ وَقَدْ كَانَ جَرَى ذِكْرُ الْبَلَاغَةِ وَأَنَّ بَعْضَ وَلَدِهِ يَلِيعُ : إِنِّي
لَأَكْرَهُ أَنْ يُطَوَّلَ لِسَانُهُ. وَقَالَ آخَرُ : فَضْلُ أَلْفَعَالٍ عَلَى أَلْفَقَالٍ مَكْرُوهٌ
وَفَضْلُ أَلْفَقَالٍ عَلَى أَلْفَعَالٍ خَدِيعَةٌ. وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ تَرَكْتُ الشُّكْرَ
كَفَرْتُ بِالْبِعْثَةِ. وَقَالَ آخَرُ : الشُّكْرُ نَسِيمُ الْبِعْثَةِ. أَهْبِيئْ خَيْتُ وَالْحَيَاءُ
جَرَمَانُ. الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ الْمُؤْمِنِ. وَقَالَ إِسْحَاقُ يَوْمًا لِلْعَبَّاسِ بْنِ
الْحَسَنِ إِنِّي لِأَجُوبُكَ. فَقَالَ : رَأَيْدُ ذَلِكَ مَعِيَ. قَرَأْتُ فِي فَضْلِ
لِسَعِيدِ بْنِ جَعْفَرٍ : نَحْنُ فِي زَمَانٍ الْمَعْرُوفُ فِيهِ ذَلُّ وَالصَّوَابُ فِيهِ
خَطْلٌ وَالْإِنْعَامُ مِثْلُ. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ : قَدْ رَخَّصَتِ الضَّرُورَةُ
فِي الْإِلْحَاحِ. أَرْجُو أَنْ تُحْسِنَ النَّظَرَ كَمَا أَحْسَنْتَ الْإِلْتِظَارَ. وَقَالَ
أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى : لِسَانُ الْخَالِ أَفْقَعُ مِنْ لِسَانِ الشُّكْرَى. وَكَتَبَ
آخَرُ : أَشْكُرُ لَكِنْ أَنْعَمَ عَلَيْكَ وَأَنْعَمَ عَلَيَّ مِنْ شُكْرِكَ. وَكَتَبَ
آخَرُ : إِذَا كُنْتَ لَا تُؤْتِي مِنْ ضَعْفٍ سَبَبٍ فَكَيْفَ أَخَافُ مِنْكَ

خَيْبَةَ أَمَلٍ أَوْ عُدُولًا عَنْ انْتِفَارٍ ذَلِكَ أَوْ فُتُورًا عَنْ لَمْ شَعَثٍ وَاصْلَاحٍ
خَلَلٍ . كَتَبَ آخَرُ : أَنَا أَسْأَلُ الَّذِي رَحِمَ الْعِبَادَ بِكَ عَلَى حِينٍ
اقتَارِهِمْ إِلَيْكَ أَنْ يَرْحَمَهُمْ مِنْ بَعْدِكَ فَلَا يُعِيدُهُمْ إِلَى الْمَكَارِهِ
الَّتِي اسْتَفَذَّوْهُمْ مِنْهَا يَدُوكَ . وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ لِلْمَأْمُونِ فِي
رَجُلٍ مُذْنِبٍ : هَبْ لِي . فَقَالَ : كَيْفَ لَا أَهْبُهُ لِمَنْ بِهِ قَدِيرَةٌ عَلَيْهِ .
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ طَاهِرٍ : الْقَلَمُ يُحَرِّكُ وَشَيْءَ الْمَلَائِكَةِ . وَنَظَرَ إِلَى
حَظٍّ بَعْضِ كُتَاتِهِ فَلَمْ يَرْضَهُ فَقَالَ : نَحْوًا هَذَا عَنْ مَرْتَبَةِ الدِّيَّانِ
فَلَا تَهْ عَلِيلُ اَلْحُطِّ وَلَا تَأْمَنُ أَنْ يُعْدِيَ غَيْرَهُ . وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ
الْعَبَّاسِ الصَّوَيْطِيِّ : اَلْحُطُّ لِسَانُ الْيَدِ . وَقَالَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ : مَطْلُ
الْقَرِيمِ أَحْسَنُ مِنْ مَطْلِ الْكَرِيمِ . وَكَانَ يَحْيَى يَقُولُ : مَنْ حُشِقَ
النَّبَلُ أَنْ تَتَوَاضَعَ لِمَنْ هُوَ دُونَكَ وَتَتَصَدَّقَ عَلَى ضَعِيفِكَ وَتُنْصِفَ
مَنْ هُوَ مِثْلُكَ وَتَتَنَبَّلَ عَلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكَ



الفصل التاسع

في اجناس الخطابة الثلاثة

البحث الاول

في تقسيم الخطب الى ثلاثة اجناس

(من كتاب تعريب خطابة ارسطاطليس لابن رشد)

(راجع الصفحة ١٣٤ من الجزء الثاني من علم الادب)

قَدْ تَوَجَّدُ أَجْنَاسُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَنْظُرُ فِيهَا الْخَطَابَةُ مِنَ الْأُمُورِ
الْإِرَادِيَّةِ ثَلَاثَةً كَمَا يُوجَدُ عَدَدُ أَصْنَافِ السَّامِعِينَ لِلْقَوْلِ الْخَطْبِيِّ
ثَلَاثَةً. وَذَلِكَ أَنَّ الْكَلَامَ مُرَكَّبٌ مِنْ ثَلَاثَةٍ مِنْ قَائِلٍ وَهُوَ الْخَطِيبُ
وَمِنْ مَقُولٍ فِيهِ وَهُوَ الَّذِي يُعْمَلُ فِيهِ الْقَوْلُ وَمِنْ الَّذِينَ يُوجَّهُ
إِلَيْهِمُ الْقَوْلُ وَهُمْ السَّامِعُونَ. وَالْعَايَةُ بِالْقَوْلِ إِنَّمَا هِيَ مُتَوَجِّهَةٌ نَحْوَ
هُوَ لِأَنَّ السَّامِعِينَ. وَالسَّامِعُونَ لَا مَحَاةَ إِمَّا مُسَاطِرٌ وَإِمَّا حَاكِمٌ وَإِمَّا
الْمَقْصُودُ إِقْنَاعُهُ. وَالْحَاكِمُ إِمَّا أَنْ يَكُونَ حَاكِمًا فِي الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ
وَهِيَ النَّافِعَةُ وَالضَّارَّةُ. وَإِمَّا فِي الْأُمُورِ الَّتِي قَدْ كَانَتْ. وَالْأُمُورُ
الَّتِي قَدْ كَانَتْ مِنْهَا مَا تَوَجَّدُ فِي الْإِنْسَانِ بِاخْتِيَارِهِ وَتِلْكَ هِيَ
الْفَضَائِلُ وَالرَّذَائِلُ وَمِنْهَا مَا تَوَجَّدُ فِي الْإِنْسَانِ بِغَيْرِ اخْتِيَارِهِ بَلْ مِنْ
إِنْسَانٍ آخَرَ وَهُوَ الْجَبُورُ وَالْعَدْلُ. وَالْحَاكِمُ فِي الْأُمُورِ الْمُسْتَقْبَلَةِ هُوَ

الرَّئِيسُ وَالْحَاكِمُ فِي الْأُمُورِ الْكَائِنَةِ هُوَ الَّذِي يَنْصِبُهُ الرَّئِيسُ (مِثْلُ
الْقَاضِي فِي مَدِينَتِنَا هَذِهِ وَهِيَ مَدُنُ الْإِسْلَامِ) . وَأَمَّا الْمُنَظَرُ فَلَا نَمَّا
يُنَظَرُ بِقُوَّةِ الْمَلَكَةِ الْخَطِيئَةِ فَلَنْ أَجَسَّ أَلْقَوْلِ الْخَطِيئَةِ ثَلَاثَةُ
مَشُورِيٍّ وَمُشَاجِرِيٍّ وَتَشْدِيدِيٍّ

فَأَمَّا الضَّعِيرُ الْمَشُورِيُّ فَهُوَ إِذْنٌ وَمِنْهُ مَنَعٌ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ مَنْ
يُشِيرُ إِمَّا عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ بِمَا يُحْضِرُهُ أَوْ عَلَى جَمِيعِ أَهْلِ
الْمَدِينَةِ بِمَا يَعْنُهُمْ فَإِنَّمَا يُشِيرُ أَبَدًا بِقَوْلٍ هُوَ إِذْنٌ أَوْ مَنَعٌ . وَأَمَّا
الْقَوْلُ الْمُشَاجِرِيُّ فَهُوَ أَيْضًا صِنْفَانِ شِكَايَةٌ وَتَصَلُّ مِنْ الشِّكَايَةِ .
وَأَمَّا الْقَوْلُ التَّشْبِيتِيُّ فَهُوَ أَيْضًا صِنْفَانِ إِمَّا مَدْحٌ وَإِمَّا ذَمٌّ وَالزَّمَانُ
الْخَاصُّ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي يُشَارُ بِهَا هُوَ الزَّمَانُ الْمُسْتَقْبَلُ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُشِيرُ
إِنْسَانٌ عَلَى إِنْسَانٍ بِأَشْيَاءٍ مَعْدُومَةٍ . وَالزَّمَانُ الْخَاصُّ بِالْأَشْيَاءِ
الْمُشَاجِرِيَّةِ هُوَ الزَّمَانُ الْمَاضِي لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُتَشَكَّى مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي
قَدْ وَقَعَتْ وَإِنْ تُشَكَّى مِنْ أَمْرٍ تُتَوَقَّعُ مِنَ الْمُشْتَكَى بِهِ فَلَا نَمَّا
تِلْكَ شِكَايَةٌ عَلَى طَرِيقِ الْإِشَارَةِ بِالنَّافِعِ فِي ذَلِكَ . وَكَذَلِكَ قَدْ
يَعْرِضُ أَنْ تَكُونَ الْمَشُورَةُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي قَدْ كَانَتْ لَكِنْ مِنْ
جِهَةٍ مَا يُتَوَقَّعُ مِنْهَا فَتَنَى كَانَتْ الشَّكْوَى فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ لَا مِنْ
أَجْلِ غَيْرِهِ فَإِنَّمَا تَكُونُ أَبَدًا فِي الشَّيْءِ الَّذِي قَدْ وَقَعَ . وَأَمَّا
الْأَشْيَاءُ التَّشْبِيتِيَّةُ فَإِنَّ أَوَّلَى الْأَزْمَنَةِ بِهَا هُوَ الزَّمَانُ الْحَاضِرُ أَعْنِي
الْقَرِيبَ مِنَ الْآنِ فَإِنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يُعْدَحُونَ وَيَذَمُّونَ بِالْأَشْيَاءِ
الْمَوْجُودَةِ فِي حِينِ الْمَدْحِ وَحِينِ الذَّمِّ فِي الْمَدْحِ وَالْمَذَمِّ وَرَبَّمَا

مُدِحَ بَعْضُهُمْ عَلَى طَرِيقِ الْحِيلَةِ فِي اسْتِكْثَارِ فَضَائِلِ الْمَدُوحِ
وَمَذَامِهِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي يُتَوَقَّعُ حَدُوثُهَا مِنْهُ أَوْ يُرْجَى حَدُوثُهَا مِنْهُ
فَيَحْتَاطُونَ مَعَ الْمَدْحِ الْإِشَارَةَ عَلَى الْمَدُوحِ بِفِعْلِ تِلْكَ الْأَشْيَاءِ

البحث الثاني

في غايات الاجناس الخطبية الثلاثة وانواع مقدماتها

(من الكتاب نفسه)

وَأَمَّا الْغَايَاتُ مِنْ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ فَهِيَ ثَلَاثُ غَايَاتٍ لِهُدُوهِ
الْثَلَاثَةِ الْأَقَاوِيلِ أَمَّا الْقَوْلُ الْمُسِيرُ فَعَايَتُهُ النَّافِعُ وَالضَّارُّ. فَإِنَّ الَّذِي
يُسِيرُ قَانِمًا يَأْذَنُ فِي النَّافِعِ أَوْ فِي الَّذِي هُوَ أَنْفَعُ وَيَنْتَعِ مِنَ الضَّارِّ
أَوْ مِنَ الَّذِي هُوَ أَضَرُّ. وَأَمَّا الْقَوْلُ الْمُسَاجِرِيُّ فَعَايَتُهُ الْعَدْلُ وَالْجَوْرُ.
وَأَمَّا الْقَوْلُ الْمُنْتَبِهُ فَعَايَتُهُ الْفَضِيلَةُ وَالرَّذِيلَةُ وَإِنْ اسْتَعْمَلَ وَاحِدٌ مِنْ
هَذِهِ غَايَةٍ صَاحِبِهِ فَلَيْسَ عَلَى الْقَصْدِ الْأَوَّلِ بَلْ مِنْ أَجْلِ الْغَايَةِ
الْخَاصَّةِ بِهِ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُسِيرَ قَدْ يُقْبَعُ أَنَّ هَذَا عَدْلٌ أَوْ جَوْرٌ
لِيُسِيرَ بِالْإِذْنِ فِيمَا يَكُونُ عَنِ الْعَدْلِ مِنَ الْمَنْفَعَةِ وَبِالْتَمَعِ عَنْ مَا
يَكُونُ عَلَى طَرِيقِ الْجَوْرِ لِمَا فِي الْجَوْرِ مِنَ الْمَضَرَّةِ الَّتِي تُتَوَقَّعُ.
وَكَذَلِكَ قَدْ اسْتَعْمَلَ الْفَضِيلَةَ وَالرَّذِيلَةَ أَعْنِي مِنْ جِهَةٍ مَا يَلْحَقُهَا مِنَ
النَّافِعِ وَالضَّارِّ. وَإِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْغَايَاتُ الثَّلَاثُ تُحْصَى كُلُّ وَاحِدَةٍ
مِنْهَا وَاحِدًا مِنْ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ أَعْنِي مِنْ جِهَةٍ مَا هِيَ غَايَاتٌ عَلَى
الْقَصْدِ الْأَوَّلِ فَالْحُدُودُ الْمُسْتَبْذَةُ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ

الْثَلَاثَةِ إِنَّمَا تَكُونُ الْفُضُولُ الْمَفْطَاةُ فِيهَا مِنْ قَبْلِ هَذِهِ أَلْفَايَاتٍ .
وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذِهِ أَلْفَايَاتٍ هِيَ خَاصَّةٌ بِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنْ
هَذِهِ الْأَجْنَاسِ الثَّلَاثَةِ مِنَ الْأَقَاوِيلِ أَنَّهُ إِذَا أَقْنَعَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا
فِي غَايَةِ الْجَنَسِ الْآخِرِ رُبَّمَا لَمْ يَكُنْ لِلْمُنَاطِرِ فِي ذَلِكَ مُعَاسَرَةٌ
وَمُشَاكَسَةٌ بَلْ كَثِيرًا مَا يُسَلِّمُ لَهُ ذَلِكَ وَلَكِنْ لَا يُسَلِّمُ لَهُ غَايَةَ
ذَلِكَ الْقَوْلِ الَّتِي تَخُصُّهُ . مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْمُدَّعِي إِذَا ادَّعَى أَنَّ فُلَانًا
أَخَذَ أَمْوَالَ مَنْ فُلَانٍ وَذَلِكَ لَا شَكَّ ضَرَّرَ بِهِ قُرْبًا يُسَلِّمُ لَهُ الْخُصْمُ
أَنَّ ذَلِكَ كَانَ وَلَكِنْ لَا يُسَلِّمُ لَهُ أَنَّ أَخَذَهُ أَمْوَالَ مَنْ كَانَ عَلَى جِهَةِ
الْجَوْرِ . وَكَذَلِكَ الْمُشِيرُ قَدْ يُسَلِّمُ أَنَّ الْفِعْلَ الْمُسَكِّنَ جَوْرٌ وَلَا
يُسَلِّمُ أَنَّهُ ضَارٌّ وَلِمَكَانٍ تَدْخُلُ هَذِهِ أَلْفَايَاتٍ يَعْزُضُ الْمُشِيرِينَ
كَثِيرًا أَنْ يُشِيرُوا بِأَشْيَاءَ ضَارَّةٍ عَلَى جِهَةِ الْمُنَاطِلَةِ مِنْ قَبْلِ أَنَّهَُا
عَدْلٌ أَوْ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِجَوْرٍ وَلَكِنْ لَا يَقْرُونَ بِأَنَّهَا ضَارَّةٌ بَلْ رُبَّمَا
أَحْتَالُوا فِي دَعْوَى وَجُودِ النِّفَعِ فِيهَا . مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدْ يُشِيرُونَ
بِالصَّبْرِ عَلَى الْمَوْتِ فِي الْحَرْبِ وَالْأَيُّ قَرُونَ لِيَكُونَ الْفِرَارُ جَوْرًا فِي
السَّرِيعَةِ . وَكَذَلِكَ مَتَى قَهَرَ قَوْمٌ قَوْمًا وَاسْتَوْلَوْا عَلَيْهِمْ رُبَّمَا أَشَارَ
الْمُشِيرُ عَلَيْهِمْ أَلَّا يَتَعَصَّوْا لِذَلِكَ الْقَهْرِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ جَوْرًا وَرُبَّمَا أَوْهَمَ
فِيهِ أَنَّهُ غَيْرُ ضَارٍّ لَهُمْ . وَكَذَلِكَ الْمَادِحُ قَدْ يُسَلِّمُ أَنَّ الشَّيْءَ ضَارٌّ وَلَكِنْ
يَدَّعِي أَنَّهُ فَضِيلَةٌ مِثْلُ مَنْ يُخْلَصُ إِنْسَانًا مِنَ الْمَوْتِ وَيَعْلَمُ أَنَّهُ
يَمُوتُ بِتَخْلِيصِهِ ذَلِكَ الْإِنْسَانُ . فَأَلَمَوْتُ يُسَلِّمُ الْخُصْمُ أَنَّهُ ضَارٌّ
وَلَكِنْ يَرَى أَنَّهُ فَضِيلَةٌ . وَكَذَلِكَ رُبَّمَا مَدَحَ بِالرَّذِيلَةِ عَلَى جِهَةِ

الْمُعَالَطَةِ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ نَافِعَةٌ لَكِنْ لَا يُقَرُّ أَنَّهَا رَذِيئَةٌ بَلْ يَدَّعِي
فِيهَا أَنَّهَا فَضِيلَةٌ مَا لِمَكَانِ النِّفْعِ الَّذِي فِيهَا قَادَرُ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ
هَذِهِ الْمُخَاطَبَاتِ قَدْ تَسْتَعْمِلُ غَايَةَ صَاحِبِهَا بِالْعَرَضِ وَلِذَلِكَ لَا
تُشَارِكُ فِيهَا وَتُشَارِكُ وَلَا بُدَّ فِي غَايَتِهَا. وَإِذَا اسْتَعْمَلْتَ الْوَاحِدَةَ
غَايَةَ صَاحِبِهَا فَعَلَى جِهَةِ الْمُعَالَطَةِ . (نَالِ) وَلَمَّا كَانَتْ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ
قِيَاسِيَّةً مَعْلُومٌ أَنَّهُ يُجِبُ أَنْ تَكُونَ فِيهَا مُقَدِّمَاتٌ وَمُقَدِّمَاتُهَا هِيَ
الثَّلَاثُ الَّتِي وَصَفْنَا: التَّحْمُودَاتُ وَالذَّلَالَاتُ وَالْعَلَامَاتُ. وَذَلِكَ أَنَّ
الْقِيَاسَ الْمَطْلُوقَ يَكُونُ مِنَ الْمُقَدِّمَاتِ الْمَطْلُوقَةِ وَالْقِيَاسَ الْخَاصَّ
بِصَّنَاعَةِ صِنَاعَةٍ يَكُونُ مِنْ مُقَدِّمَاتِ خَاصَّةٍ. وَلِذَلِكَ كَانَ الصَّغِيرُ
قِيَاسًا يَأْتِلِفُ مِنْ هَذِهِ الْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي ذَكَرْنَا وَلِأَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي
يُشِيرُ بِهِ يَحْتَاجُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ أَمْرِهِ أَوَّلًا أَنَّهُ مُمَكِّنٌ لِأَنَّ الْأُمُورَ
الْغَيْرَ الْمُمَكِّنَةَ لَا يُسْتَطَاعُ أَنْ تُفْعَلَ لَا فِي الْخَاضِرِ وَلَا فِي
الْمُسْتَقْبَلِ. وَكَذَلِكَ يَحْتَاجُ فِي الْجِنْسَيْنِ الْبَاقِيَيْنِ مِنْ اجْتِنَاسِ هَذِهِ
الصَّنَاعَةِ أَعْنِي إِنْ غُيِّرَ أَوَّلًا أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ كَانَ وَوَقَعَ أَعْنِي الْجِنْسَ
الْثَنِيَّتِي وَالْجِنْسَ الْأَشْجَرِيَّ. قَادَرُ لَا بُدَّ لِصَاحِبِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنْ
تَكُونَ عِنْدَهُ مُقَدِّمَاتٌ يُفْنَعُ بِهَا فِي أَنْ الْأَمْرَ مُمَكِّنٌ أَوْ غَيْرَ مُمَكِّنٍ
وَفِي أَنَّهُ قَدْ كَانَ أَوْ لَمْ يَكُنْ سَوَى الْمُقَدِّمَاتِ الَّتِي يُبَيِّنُ بِهَا تِلْكَ
الْغَايَاتِ الثَّلَاثَ. ثُمَّ أَيْضًا لَمَّا كَانَ الْخُطْبَاءُ لَيْسَ يَقْتَصِرُونَ عَلَى
الْمَذْحِ وَالذَّمِّ وَالْإِذْنِ وَالنَّهْيِ وَالشُّكَايَةِ وَالِاعْتِذَارِ بَلْ يَتَكَلَّمُونَ
مَعَ هَذَا أَنْ يُثْبِتُوا أَنَّ الْأَمْرَ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ أَوْ شَرٌّ عَظِيمٌ أَوْ صَغِيرٌ

شَرِيفٌ أَوْ حَسِيسٌ وَلَا يَلِيقُ أَوْ غَيْرُ لَا يَلِيقُ وَذَلِكَ إِمَّا عَلَى الْأِطْلَاقِ
وَأِمَّا بِالْمُقَايَسَةِ أَعْنَى أَنَّهُ أَكْثَرُ وَأَشْرَفُ أَوْ بِالضِدِّ مَعْلُومٌ أَنَّهُ يَنْبَغِي
أَنْ تَكُونَ عِنْدَ الْخُطَبَاءِ مُقَدَّمَاتٌ يُشْتُونَ بِهَا أَنْ الْخَيْرُ أَوْ الشَّرُّ
عَظِيمٌ أَوْ صَغِيرٌ وَحَسِيسٌ أَوْ شَرِيفٌ وَلَا يَلِيقُ بِالْمُنْسُوبِ إِلَيْهِ أَوْ غَيْرُ
لَا يَلِيقُ فَهَذِهِ هِيَ جَمِيعُ أَنْوَاعِ الْمُقَدَّمَاتِ الَّتِي تَسْتَعْمَلُهَا هَذِهِ الصَّنَاعَةُ

البحث الثالث

في مقدمات الجنس المشوري

(من الكتاب نفسه)

وَإِذْ قَدْ تَبَيَّنَ ذَلِكَ فَيَنْبَغِي أَنْ نَبْتَدِيَّ بِتَعْدِيدِ الْمُقَدَّمَاتِ الَّتِي تَخْصُ
عَرَضًا عَرَضًا مِنْ الْأَغْرَاضِ الثَّلَاثَةِ وَتَجْعَلَ الْكَلَامَ أَوَّلًا فِي تَعْدِيدِ
الْمُقَدَّمَاتِ الْمَشُورِيَّةِ ثُمَّ ثَانِيًا فِي التَّشْيِيطِيَّةِ ثُمَّ ثَالِثًا فِي الْمَشَاجِرِيَّةِ
فَأَوَّلُ مَا يَجِبُ أَنْ نَنْظُرَ فِيهِ مِنْ أَمْرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُشَارُ
بِهَا مَا هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي يُشَارُ بِهِ فَإِنَّهُ لَيْسَ تَكُونَ الْمَشُورَةُ فِي كُلِّ
خَيْرٍ لَكِنْ فِي الْخَيْرَاتِ الَّتِي تَسْتَطِيعُ أَنْ تَكُونَ أَوْ أَنْ لَا تَكُونَ
فَأَمَّا الْخَيْرَاتُ الَّتِي كَوْنُهَا أَوْ لَا كَوْنُهَا مِنْ الْأَضْطِرَارِ فَلَيْسَ تَكُونَ
فِيهَا مَشُورَةٌ وَلَا أَيْضًا الْمَشُورَةُ تَكُونُ فِي جَمِيعِ الْخَيْرَاتِ الْمُمْكِنَةِ .
فَإِنَّ هَاهُنَا خَيْرَاتٍ مُمَكِّنَةٌ وَجُودُهَا عَنْ الطَّبِيعَةِ بَلْ فِي الْخَيْرَاتِ
الْمُمْكِنَةِ الَّتِي إِلَيْنَا أَنْ تَكُونَ أَوْ أَنْ لَا تَكُونَ وَهِيَ الْأَشْيَاءُ

أَلَّتِي بَدَأَ كَوْنَهَا مِنْ قَبْلِ الْأَخْتِيَارِ وَالْإِرَادَةِ . وَمِنْ هَذِهِ فَيَا كَانَ
 وَجُودُهُ أَوْ لَا وَجُودُهُ تَابِعًا لِرَوَيْتِنَا وَأَفْعَالِنَا عَلَى الْأَكْثَرِ وَأَمَّا مَا
 كَانَ مِنْهَا يَعْزُضُ عَنِ الرُّوْيَةِ بِالْإِتْفَاقِ وَأَقْلَ ذَلِكَ فَلَيْسَتْ هِيَ فِي
 الْأَكْثَرِ مِمَّا يُشَارُ بِهَا إِلَّا حَيْثُ لَا يُمَكِّنُ أَنْ يُوجَدَ الْجُلُوسُ الْآخَرُ
 وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْإِشَارَةَ إِنَّمَا تَكُونُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَنَّ الْإِنْسَانَ
 إِنَّمَا يَنْظُرُ أَوْ لَا هَلْ الْأَمْرُ الَّذِي يُرِيدُ أَنْ يَفْعَلَهُ تُمْكِنُ ثُمَّ إِنْ
 كَانَ مُمَكِّنًا بِأَيِّ شَيْءٍ يُمَكِّنُ فَإِذَا تَبَيَّنَ لَهُ ذَلِكَ شَرَعَ فِي السَّعْيِ
 فِيهِ وَإِنْ تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ غَيْرُ مُمَكِّنٍ حَلَّى عَنْهُ . وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي بِهَا نُشِيرُ
 هِيَ الَّتِي فِيهَا زُرِّي . فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مَا هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي نُشِيرُ
 بِهِ وَفِي أَيِّ الْأَشْيَاءِ يَكُونُ وَالْأُمُورُ الْإِرَادِيَّةُ الَّتِي مَبْدَأُ وَجُودِهَا وَمَا
 لَا الْأُمُورُ الْأَضْطِرَّارِيَّةُ الَّتِي لَيْسَ لِنَا وَجُودُهَا وَإِعْطَاءُ الْفَرْقِ الثَّامِ
 بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الْإِرَادِيَّةِ وَغَيْرِ الْإِرَادِيَّةِ وَتَضَحُّيْ عِدَدِ أَنْوَاعِهَا وَمَعْرِفَةُ
 مَا هِيَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا عَلَى أَقْصَى مَا فِي طِبَاعِهَا أَنْ تُعْلَمَ فَلَيْسَ مِنْ
 شَأْنِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ أَنْ تَبْلُغَهُ مِنْ مَعْرِفَةِ الْأَشْيَاءِ الْإِرَادِيَّةِ وَلَكِنْ
 ذَلِكَ مِنْ شَأْنِ صِنَاعَةِ الْفَلَسَفَةِ الَّتِي لَهَا الْفَضْلُ عَلَى هَذِهِ فِي التَّحْصُورِ
 وَالتَّصْدِيقِ وَالْمُقَدَّمَاتُ الْمُسْتَعْمَلَةُ فِيهَا أَصْدَقُ وَأَصَحُّ مِنْ هَذِهِ .
 وَذَلِكَ أَنَّ هُنَا لَسْنَا تَكَلَّمُ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ الْأَحْوَالِ
 الَّتِي تَنَاسَبُ لَهَا بَلْ الْأُمُورِ الْمَشْهُورَةِ . وَإِذَا كَانَ الْأَمْرُ فِي هَذِهِ
 الْأَشْيَاءِ كَمَا وَصَفْنَا فَقَدْ تَبَيَّنَ أَيْضًا مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ جَمِيعَ مَا
 قُلْنَاهُ فِي أَجْزَاءِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ هُوَ حَقٌّ أَغْنِي أَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ عِلْمِ

الْمُنْطِقِ وَمِنْ عِلْمِ السِّيَاسَةِ الْخَلْقِيَّةِ وَأَنَّ فِيهَا أَشْيَاءَ جَدَلِيَّةً أَوْ شَيْئَةً
بِالْأَشْيَاءِ الْجَدَلِيَّةِ وَأَيْضًا سُوفِسْطَائِيَّةً أَوْ شَيْئَةً بِالسُّوفِسْطَائِيَّةِ .
وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي فِي صَنَائِعٍ كَثِيرَةٍ إِنَّمَا تَكُونُ أَجْزَاءَ لِصِنَاعَةٍ وَاحِدَةٍ
مَتَى أُخِذَ جَمِيعُهَا بِالْجِهَةِ وَالْحَالِ الَّتِي بِهَا تَكُونُ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ
الْكَثِيرَةُ مُتَعَاوِنَةً وَنَافِعَةً فِي غَرَضٍ تِلْكَ الصِّنَاعَةُ الْوَاحِدَةُ وَطُرِحَ
مِنْهَا الْأَحْوَالُ الَّتِي بِهَا تَخْتَلِفُ أَغْنِي الْأَشْيَاءُ الَّتِي لَيْسَتْ تَكُونُ بِهَا مَعْنِيَّةً
فِي غَرَضٍ تِلْكَ الصِّنَاعَةُ الْوَاحِدَةُ . وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَالْأَشْيَاءُ
الْخَلْقِيَّةُ إِنَّمَا صَارَتْ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ مُعَدَّةٌ
نَحْوَ الْكَلَامِ وَالْمُخَاطَبَةِ وَهِيَ مِنْ صِنَاعَةِ السِّيَاسَةِ مِنْ حَيْثُ هِيَ أَحَدُ
الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي نَقْصِدُ مَعْرِفَتَهَا وَعِلْمَهَا . وَالْأَشْيَاءُ الْجَدَلِيَّةُ
وَالسُّوفِسْطَائِيَّةُ إِنَّمَا صَارَتْ جُزْءًا مِنْ هَذِهِ الصِّنَاعَةِ مِنْ حَيْثُ أَنَّهُ
الَّذِي تُسْتَعْمَلُ مِنْهَا هَذِهِ الصِّنَاعَةُ هُوَ سَابِقُ الْمَعْرِفَةِ الْأُولَى لِلْإِنْسَانِ
لَا مَا هُوَ بَعِيدٌ عَنْ مَعْرِفَةِ الْجُمْهُورِ وَمِثْلُ أَنَّهَا إِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ مِنْ الْقِيَاسِ
الْقِيَاسِ الْمَعْرُوفِ عِنْدَ الْجُمْهُورِ وَهُوَ التَّشْمِيلُ وَالضَّمِيرُ وَكَذَلِكَ الْحَالُ
فِي الْأُمُورِ السُّوفِسْطَائِيَّةِ إِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ مِنْهَا مَا جَرَتْ الْعَادَةُ بِاسْتِعْمَالِهِ
عِنْدَ الْجُمْهُورِ مِثْلُ مَوَاضِعِ الْإِطْلَاقِ وَالتَّقْيِيدِ وَغَيْرُ ذَلِكَ مِمَّا يَسْتَعْمَلُهُ
يَطْبَاعُهُمُ الْجُمْهُورُ فَهِيَ إِنَّمَا تُخَالِفُ هَذِهِ بِمَقْدَارِ النَّظَرِ وَقَدْ تُخَالِفُ
أَيْضًا بِمَقْدَارِ النَّظَرِ هَذِهِ الصِّنَاعَةُ فِي الْأُمُورِ الْإِرَادِيَّةِ النَّظَرُ الَّذِي
لِلْعِلْمِ السِّيَاسِيِّ فِيهَا أَذْنِي أَنَّهَا إِنَّمَا تَنْظُرُ فِي الْأُمُورِ الْإِرَادِيَّةِ النَّظَرُ
الَّذِي هُوَ فِي سَابِقِ الْمَعْرِفَةِ الْإِنْسَانِ وَتَدْعُ تَقْصِي النَّظَرِ فِي ذَلِكَ

لِلْعِلْمِ السِّيَاسِيِّ مِنْهَا. وَالْأُمُورُ الَّتِي يُشِيرُ بِهَا الْحَطِيبُ مِنْهَا مَا يُشِيرُ بِهِ عَلَى أَهْلِ مَدِينَةٍ بِأَسْرِهِمْ وَمِنْهَا مَا يُشِيرُ بِهِ عَلَى وَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَوْ جَمَاعَةٍ

البحث الرابع

في خمسة امور يدور عليها البحث في النوع المشوري
وفي القياسات المختلفة بها

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) : فَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَكُونُ فِيهَا الْمَشُورَةُ فِي الْأُمُورِ الْعَظَامِ مِنْ أُمُورِ الْمَدْنِ فَهِيَ قَرِيبَةٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ حَسَةً . أَحَدُهَا الْإِمَارَةُ بِالْعُدَّةِ الْمُدْخَرَةِ مِنَ الْأَمْوَالِ لِلْمَدِينَةِ . وَالثَّانِي الْإِشَارَةُ بِالْحَرْبِ أَوْ السَّلَامِ . وَالثَّلَاثُ الْإِشَارَةُ بِحِفْظِ الْبَلَدِ بِمَا يَرِدُ عَلَيْهِ مِنْ خَارِجٍ . وَالرَّابِعُ الْإِشَارَةُ بِمَا يَدْخُلُ فِي الْبَلَدِ وَيَخْرُجُ عَنْهُ . وَالْخَامِسُ الْإِشَارَةُ بِالْإِزَامِ السَّنَنِ . فَأَلْذِي يُشِيرُ بِالْعُدَّةِ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ ثَلَاثَةً أُمُورٍ أَحَدُهَا أَنْ يَعْرِفَ غَلَاتِ الْمَدِينَةِ مَا هِيَ أَعْيَى هَلْ هِيَ ثَبَاتٌ أَوْ حَيَوَانٌ أَوْ مَعْدِنٌ أَوْ جَمِيعُ هَذِهِ أَوْ اثْنَانِ مِنْهَا كَيْفَا إِنْ تَقَصَّ مِنَ الْفَاضِلِ مِنْهَا لِلْعُدَّةِ شَيْءٌ أَشَارَ بِالرَّيَادَةِ فِيهَا . وَالثَّانِي أَنْ يَعْرِفَ مَعَ ذَلِكَ تَعَقَّاتِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ كُلِّهَا . وَالثَّلَاثُ أَنْ يَعْرِفَ أَصْنَافَ النَّاسِ الَّذِينَ فِي الْمَدِينَةِ فَإِنْ كَانَ فِيهَا إِنْسَانٌ بَطَالٌ

وَهُوَ الَّذِي لَا قُضِيَّةَ عِنْدَهُ أَوْ عَاطِلٌ وَهُوَ الَّذِي لَا صِاعَةَ لَهُ أَشَارَ
بِتَحِيَّتِهِ مِنَ الْبَلَدِ. وَإِنْ كَانَ هُمَا لِكَ عَظِيمُ النِّفَقَاتِ فِي غَيْرِ الْجَمِيلِ أَوْ
غَيْرِ الضَّرُورِيِّ أَشَارَ بِأَخْذِ ذَلِكَ الْفَضْلِ مِنَ الْمَالِ مِنْهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ
يَكُونُ الْغِنَاءُ بِالزِّيَادَةِ فِي الْمَالِ بَلْ وَبِالنَّقْصَانِ مِنَ النِّفَقَةِ وَلِذَلِكَ
قِيلَ : قَلَّةُ أَلْيَالٍ أَحَدُ أَلْيَسَارَيْنِ

(قَالَ) وَمِنْ الضَّرُورَةِ الدَّاعِيَةِ إِلَى هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمِقْدَارِ
الْحَاجَةِ إِلَيْهَا يَقِفُ الْخَطِيبُ عَلَى مَا يَحْتَاجُ أَنْ يُشِيرَ بِهِ فِي وَاحِدٍ
وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ. وَلَيْسَ يَحْتَاجُ عِنْدَ الْإِشَارَةِ بِالزِّيَادَةِ فِي
النَّبَاتِ أَنْ يَكُونَ فَلَاحًا وَلَا فِي الْحَيَوَانِ أَنْ يَكُونَ رَاعِيًا لَكِنْ
يَكْفِيهِ فِي ذَلِكَ مَعْرِفَتُهُ بِمِقْدَارِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا لَكِنْ يَحْتَاجُ مَعَ هَذَا
أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِالسَّيْرِ الْمُتَقَدِّمَةِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمَا عِنْدَ النَّاسِ
فِيهَا. وَأَمَّا الْمَشِيرُ بِالْحَرْبِ أَوْ السَّلْمِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ قُوَّةَ مَنْ
يُحَارِبُ وَقُوَّةَ مَنْ يُحَارَبُ وَمِقْدَارَ الْأَمْرِ الَّذِي يُنَالُ بِالْمُحَارَبَةِ هَلْ هُوَ
يَسِيرٌ أَوْ عَظِيمٌ وَحَالُ الْمَدِينَةِ فِي وَثَاقَتِهَا وَحَصَانَتِهَا وَضَعْفِ أَهْلِهَا
وَقُوَّتِهِمْ. وَفِي صِغَرِ الْمَدِينَةِ أَوْ فِي عَظَمَتِهَا أَعْنِي هَلْ مِقْدَارُهُمْ مِقْدَارُ
مَنْ يَسْتَطِيعُ الْمُحَارَبَةَ أَمْ لَيْسَ مِقْدَارُهُمْ ذَلِكَ الْقَدَارَ. وَهَلْ هُمْ
بِصِفَةِ مَنْ تُمَكِّنُهُمُ الْمُحَارَبَةُ أَمْ لَيْسَ هُمْ. وَأَنْ يَعْرِفَ مَعَ ذَلِكَ شَيْئًا
مِنَ الْحُرُوبِ الْمُتَقَدِّمَةِ لِيَصِفَ لَهُمْ كَيْفَ يُحَارِبُوا إِنْ أَشَارَ عَلَيْهِمْ
بِالْحَرْبِ وَيَهْوَنَ عَلَيْهِمْ أَمْرُ الْحَرْبِ. أَوْ يَعْرِفَهُمْ بَمَا فِي الْحَرْبِ مِنْ
مَكْرُوهٍ إِنْ أَشَارَ عَلَيْهِمْ بِتَرْكِ الْحَرْبِ. وَقَدْ يَحْتَاجُ أَنْ يَعْرِفَ لَيْسَ

حَالِ أَهْلِ مَدِينَتِهِ قَطُّ بَلْ وَحَالِ مَنْ فِي تَحُومِهِ وَتَغْرِهِ أَغْنَى كَيْفَ
حَالَهُمْ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَحَالَهُمْ مَعَ عَدُوِّهِمْ فِي الظَّفَرِ بِهِ أَوْ الْعِجْرِ
عَنْ قَاتِهِ يَأْخُذُ مِنْ هَاهُنَا مُقَدَّمَاتٍ نَافِعَةٍ فِي الْإِسَادَةِ عَلَيْهِمْ بِالْحَرْبِ
أَوْ السَّلَامِ. وَيَحْتَاجُ مَعَ هَذَا أَنْ يَعْلَمَ الْحُرُوبُ الْجَمِيلَةَ مِنَ الْحُرُوبِ
الْجَائِزَةِ وَأَنْ يَعْلَمَ حَالَ الْأَجْنَادِ هَلْ هُمْ مُتَشَابِهُونَ فِي الْقُوَّةِ
وَالشَّجَاعَةِ وَالرَّأْيِ وَإِجَادَةِ مَا فُوضَ إِلَى صَنْفٍ صَنْفٍ مِنْهُمْ مِنْ
الْقِيَامِ بِجُزْءٍ جُزْءٍ مِنْ أَجْزَاءِ الْحَرْبِ. أَغْنَى أَنْ يَكُونُوا فِي ذَلِكَ
مُتَشَابِهِينَ فَإِنَّهُ رُبَّمَا كَثُرُوا وَتَنَاسَلُوا حَتَّى يَكُونَ فِيهِمْ مَنْ لَا يَضِلُّ
بِالْحَرْبِ أَوْ لِلْجُزْءِ مِنَ الْحَرْبِ الَّذِي فُوضَ إِلَيْهِ الْقِيَامُ بِهِ. وَقَدْ يَنْبَغِي
مَعَ هَذَا أَنْ يَكُونَ نَاطِرًا لَيْسَ فِيهَا أَفْضَتْ إِلَيْهِ مُحَارَبَتُهُمْ بَلْ وَفِيهَا
أَفْضَتْ إِلَيْهِ حُرُوبُ سَائِرِ النَّاسِ مِنَ الْمُتَقَدِّمِينَ الْمُتَشَابِهِينَ لَهُمْ فَإِنَّ
الشَّيْءَ يُحْكَمُ مِنْهُ عَلَى الشَّيْءِ. أَغْنَى أَنَّهُ إِنْ كَانَ أَفْضَتْ الْحُرُوبُ
الشَّيْءَ يُجَرِّبُهُمْ إِلَى مَكْرُوهِ أَنْ يُشِيرَ بِالسَّلَامِ وَإِنْ كَانَتْ أَفْضَتْ
إِلَى الظَّفَرِ أَنْ يُشِيرَ بِالْحَرْبِ. وَأَمَّا حِفْظُ الْبِلَادِ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ الْمَشِيرَ
بِالْحِفْظِ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ تَحْفَظُ الْبِلَادُ وَمَا مِقْدَارُ الْحِفْظِ الْحَاجِجِ
إِلَيْهِ فِي طَارِيءٍ طَارِيءٍ وَكَمْ أَنْوَاعُ الْحِفْظِ. وَيَعْرِفُ مَعَ هَذَا
الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَكُونُ حِفْظُهَا بِالرِّجَالِ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى الْمَسَالِحَ. فَإِنْ
كَانَ الْحِفْظُ لِتِلْكَ الْمَوَاضِعِ قَلِيلًا زَادَ فِيهِمْ وَإِنْ كَانَ فِيهِمْ مَنْ لَا
يَضِلُّ لِحِفْظِ نَحَاهُ يَمْنَنُ لَيْسَ يَقْصِدُ قَصْدَ الْحَمَامَةِ عَنْ الْمَدِينَةِ بَلْ يَقْصِدُ
قَصْدَ نَفْسِهِ. وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَحْفَظَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ الْمَوَاضِعِ الْحَقِيقَةِ

أَعْنِي الَّتِي الْمَنْفَعَةُ بِحِفْظِهَا أَكْثَرُ . فَمَنْ عَرَفَ هَذَا فَقَدْ يُمَكِّنُهُ أَنْ يُشِيرَ بِالْحِفْظِ وَأَنْ يَكُونَ خَيْرًا بِاللِّبَادِ الَّتِي يُشِيرُ بِحِفْظِهَا . وَأَمَّا الْإِشَارَةُ بِالْقَوْتِ وَسَائِرِ الْأَشْيَاءِ الضَّرُورِيَّةِ الَّتِي تَحْتَاجُهَا الْمَدِينَةُ فَإِنَّهُ يَحْتَاجُ الْمَشِيرَ فِيهِ أَنْ يَعْرِفَ وَقْدَارَهَا وَكَمْ يَكْفِي الْمَدِينَةَ مِنْهَا وَكَمْ الْحَاضِرُ الْمَوْجُودُ فِي الْمَدِينَةِ مِنْ ذَلِكَ وَهَلْ أَدْخَلَ الْكَافِي مِنْ ذَلِكَ فِي الْمَدِينَةِ وَأَخْرَجَ أَمْ لَمْ يَدْخُلْ . وَمَا الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَتَّبَعِي أَنْ تَخْرُجَ مِنَ الْمَدِينَةِ وَهُوَ الْقَاضِلُ عَنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ . وَمَا الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَتَّبَعِي أَنْ تَدْخُلَ وَهُوَ مَا قَصَرَ عَنِ الضَّرُورِيِّ لِتَكُونَ شُورَتُهُ وَمَا يُعْهَدُ بِهِ عَلَى حَسَبِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ قَدْ يَحْتَاجُ الْمَرْءُ أَنْ يَحْفَظَ أَهْلَ مَدِينَتِهِ لِأَمْرَيْنِ : أَحَدُهُمَا لِمَكَانِ ذَوِي الْقَضَائِلِ وَالثَّانِي لِمَكَانِ ذَوِي أَلْمَالِ الَّذِينَ مِنْ أَجْلِ ذَوِي الْقَضَائِلِ . وَالْحَافِظُ لِلْمَدِينِ يَحْتَاجُ بِالْجُمْلَةِ إِلَى أَنْ يَكُونَ عَارِفًا بِجَمِيعِ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ الْخَمْسَةِ عِنْدَ حِفْظِهَا

(قَالَ) وَأَمَّا النَّظَرُ فِي وَضْعِ السُّنَنِ وَالْإِشَارَةُ بِهَا فَلَيْسَ بِبَسِيرٍ فِي أَمْرِ الْمَدِينِ فَإِنَّ الْمَدِينَةَ إِنَّمَا تَسْلَمُ وَيَلْتَمِمْ وُجُودُهَا بِالسُّنَنِ وَلِذَلِكَ قَدْ يَتَّبَعِي لِوَضْعِ السُّنَنِ أَنْ يَعْرِفَ كَمْ أَصَافُ السِّيَاسَاتِ وَآيُ سُنَّةٍ تَنْفَعُ فِي سِيَاسَةٍ سِيَاسَةٍ وَآيُ سُنَّةٍ لَا تَنْفَعُ وَآيُ نَاسٍ تَضِلُّ بِهِمْ سُنَّةٌ سُنَّةٌ وَسِيَاسَةٌ سِيَاسَةٌ وَآيُ نَاسٍ لَا تَضِلُّ بِهِمْ وَأَنْ يَكُونَ يَعْرِفُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي يَخَافُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْهَا الْفَسَادُ عَلَى الْمَدِينَةِ . وَذَلِكَ إِمَّا مِنْ الْأَضْدَادِ مِنْ خَارِجٍ وَإِمَّا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ فَإِنَّ سَائِرَ الْمَدِينِ مَا عَدَا الْمَدِينَةَ الْفَاعِلَةَ قَدْ تَفْسُدُ مِنْ قَبْلِ السُّنَنِ

الْمَوْضُوعَةِ فِيهَا وَذَلِكَ إِذَا كَانَتِ السُّنَّةُ مُفْرَطَةً الضَّعْفِ وَاللَّيْنِ أَوْ
مُفْرَطَةً الشَّدَّةِ وَسَوَاءٌ كَانَتْ فِي رَأْيٍ أَوْ فِي خُلُقٍ أَوْ فِي فِعْلٍ
وَذَلِكَ أَنَّ السِّيَاسَةَ الَّتِي تُسَمَّى الْحُرِّيَّةَ قَدْ يَظْهَرُ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهَا
تَتَنَقَّلُ كَثِيرًا مِنْ قَبْلِ هَذَا الْمَعْنَى إِلَى رِئَاسَةِ الْحَسَّةِ أَعْنِي رِئَاسَةَ
الشُّهُرَاتِ أَوْ رِئَاسَةَ أَلْمَالِ وَالَّذِي قَالَهُ ظَاهِرٌ عِنْدَنَا مِنْ أَمْرِ
ذَوِي السِّيَاسَاتِ الَّتِي وَصَلْتَنَا أَخْبَارُهُمْ

(قَالَ) وَلَيْسَ يُوَلُّ الْأَمْرُ فِي هَذِهِ السِّيَاسَةِ أَعْنِي سِيَاسَةَ
الْحُرِّيَّةِ إِلَى سِيَاسَةِ الْأَخْسَاءِ مِنْ قَبْلِ أَسْتِرْخَاءِ السُّنَنِ وَلِئِنْهَا وَإِنْ
كَانَ ذَلِكَ هُوَ الْأَكْثَرُ بَلْ وَمِنْ قَبْلِ الْأَفْرَاطِ فَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ
الْأَشْيَاءِ إِذَا أُفْرِطَتْ بَطَلَ وَجُودُهَا كَمَا يَبْطُلُ وَجُودُهَا مِنْ قَبْلِ
الضَّعْفِ وَالْإِنْقِصَادِ. وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْقَطْسَ إِذَا أُفْرِطَ وَتَفَاقَمَ كَانَ
قَرِيبًا مِنْ أَنْ يُظَنَّ أَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَنْفٌ وَإِذَا كَانَ غَيْرُ مُفْرِطٍ
قَرُبَ مِنَ الْإِعْتِدَالِ

(قَالَ) وَيَحْتَاجُ مَعَ ذَلِكَ أَنْ يَعْرِفَ السُّنَنَ الَّتِي وَضَعَهَا كَثِيرٌ
مِنَ النَّاسِ فَأَتَنَفَعُوا بِهَا فِي سِيَاسَةِ سِيَاسَةٍ مِنَ السِّيَاسَاتِ الْمَشْهُورَةِ
وَفِي أُمَّةٍ أُمَّةٍ لِيَسْتَغْفِلَ مِنْهَا النَّافِعَ الَّذِي يُحْصُهُ وَالْأُمَّةُ الَّتِي تَحْصُهُ .
وَلِذَلِكَ تَبَيَّنَ أَنَّ مَعْرِفَةَ وَاضِعِ السُّنَنِ بِأَمْزِجَةِ النَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ
وَعَادَاتِهِمْ مِمَّا يُنْتَفَعُ بِهِ فِي وَضْعِ السُّنَنِ فَإِنَّ مِنْ هَاهُنَا يُمَكِّنُ أَنْ
يَضَعَ السُّنَنَ النَّافِعَةَ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ الْمُخْتَلِفَةِ الطَّبَائِعِ. وَأَمَّا الْفَسَادُ
الدَّخِلُ عَلَى الْمُدُنِ مِنْ خَارِجٍ أَعْنِي مِنَ الْأَعْدَاءِ فَأَمْرٌ ظَاهِرٌ بِنَفْسِهِ

وَقَدْ كَتَبَ النَّاسُ فِي الْأَوْجِهِ الَّتِي يُتَوَقَّعُ مِنْهَا غَلَبَةُ الْأَعْدَاءِ
وَالْأَوْجِهِ الَّتِي يُتَحَرَّزُ بِهَا مِنْهُمْ. وَمِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ يَأْخُذُ الْمُقَدَّمَاتِ
الَّتِي يُشِيرُ بِهَا عَلَى أَهْلِ مَدِينَتِهِ بِالْحَفَظِ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَمَا قُلْنَا فِي
وَضْعِ السُّنَنِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ وَاضِعُهَا هُوَ مِنْ عِلْمِ السِّيَاسَةِ لَا مِنْ
عِلْمِ الْخَطَايَةِ. وَإِنَّمَا يُذَكَّرُ مِنْهَا هَاهُنَا مَا يَكْفِي فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ

البحث الخامس

في السبب الذي من اجله يشير الخطيب وهو سعادة السامع
وفي ماهية السعادة وانواع الحبور التي من مجموعها

تنولد السعادة

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَهَذِهِ هِيَ الْأَوَّلُ وَالْأَعْظَى الَّتِي بِهَا يُشِيرُ الْمَشِيرُونَ
عَلَى أَهْلِ الْمَدُنِ وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا يُشَارُ عَلَى وَاحِدٍ
وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ. وَنَحْنُ قَائِلُونَ الْآنَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا يَكُونُ
الْإِذْنُ وَالْمَنْعُ لِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ وَمُبْتَدِئُونَ أَوَّلًا بِالْإِخْبَارِ
عَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يُشِيرُ الْمَشِيرُونَ فَيَذَنُونَ فِيهَا أَوْ يَمْنَعُونَ
مِنْ أَضْدَادِهَا. وَيُشِيرُ أَنْ يَكُونَ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ أَنْفِعَالٌ
مَا وَتَشَوُّقٌ بِالطَّبْعِ لِلْخَيْرِ الَّذِي يَتَشَوَّقُهُ الْكُلُّ لِنَفْسِهِ وَيُشِيرُ بِهِ عَلَى
غَيْرِهِ مَنْ غَيْرِ أَنْ يَعْرِفَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ مَا هُوَ ذَلِكَ الْخَيْرُ فَيَحْتَارُونَ
وَيُؤْثِرُونَ عَلَى غَيْرِهِ. أَوْ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ أَجَابَ فِيهِ بِجَوَابٍ مُنْبِيٍّ عَنْ

طَبِيعَتِهِ بَلْ إِنَّمَا عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَجُودُهُ فَقَطُّ. وَإِذَا سُئِلَ وَاحِدٌ
وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَمَّا يَدُلُّ عَلَيْهِ اسْمُهُ أَجَابَ فِيهِ بِجَوَابٍ غَيْرِ الْجَوَابِ
الَّذِي يُجِيبُ فِيهِ الْآخَرُ. وَإِنَّمَا يُؤَثِّرُهُ الْجَمِيعُ لِمَكَانِ هَذَا إِلَّا نِفْعَالُ
الْمَوْجُودِ لَهُ بِالطَّبَعِ عِنْدَ الْجَمِيعِ. وَهَذَا الْخَيْرُ فِي الْجُمْلَةِ هُوَ صَلَاحُ
أَحْوَالِ وَأَجْزَاءِ صَلَاحِ الْحَالِ. وَلِذَلِكَ فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ نُفَصِّلَ أَوَّلًا مَا
هُوَ صَلَاحُ الْحَالِ بِقَوْلِ عَامٍ ثُمَّ نُفَصِّلَ أَجْزَاءَهُ وَنُخْرِجَ عَنْ أَضْدَادِهَا
وَعَنِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْأَذْنُ وَالْمَنَعُ وَهِيَ النَّافِعَةُ فِي صَلَاحِ
الْحَالِ أَوْ الْأَنْفَعُ فِيهِ أَوْ الضَّارَّةُ فِيهِ أَوْ الْأَضَرُّ فِيهِ فَإِنَّ هَذَا يَمُ
لَنَا الْقَوْلُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْهَا تَلْتَمُ الْأَقَاوِيلُ الْمَشُورِيَّةُ الْمُسْتَعْمَلَةُ
مَعَ جَمِيعِ النَّاسِ

(قَالَ) وَالَّذِينَ تَكَلَّمُوا فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فَلَمْ يَتَكَلَّمُوا
مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ إِلَّا فِيمَا يَجْرِي مَجْرَى الْأُمُورِ الْكُلِّيَّةِ مِثْلَ
أَنَّهُمْ قَالُوا: يَنْبَغِي لِلطَّبِيبِ أَنْ يُعْظِمَ الشَّيْءَ الصَّغِيرَ إِذَا أَرَادَ
تَفْخِيمَهُ وَيُصَغِّرَ الشَّيْءَ الْكَبِيرَ إِذَا أَرَادَ تَهْوِينَهُ. وَيَنْبَغِي لَهُ أَنْ لَا
يَأْذَنَ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُفْسِدُ صَلَاحَ الْحَالِ وَفِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي
تَعُوقُ عَنْ صَلَاحِ الْحَالِ أَوْ تَتَجَاوَزُ صَلَاحَ الْحَالِ إِلَى ضِدِّهِ. وَلَمْ يَقُولُوا
مَا هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي بِهَا يُعْظَمُ الشَّيْءُ أَوْ يُصَغَّرُ وَلَا مَا هِيَ الْأَشْيَاءُ
الَّتِي تُوجِبُ اخْتِلَالَ صَلَاحِ الْحَالِ أَوْ تَعُوقُهُ أَوْ تَتَجَاوَزُهُ إِلَى ضِدِّهِ
(قَالَ) فَأَمَّا صَلَاحُ الْحَالِ فَهُوَ حُسْنُ الْفِعْلِ مَعَ فَضِيلَةٍ وَطُولٍ مِنَ
الْعُمُرِ وَحَيَاةٍ لَذِيذَةٍ مَعَ السَّلَامَةِ وَالسَّعَةِ فِي الْمَالِ وَحُسْنِ الْحَالِ

عِنْدَ النَّاسِ مَعَ تَحْصِيلِ الْأَشْيَاءِ الْخَافِظَةِ لَهُذِهِ الْأَشْيَاءِ وَالْفَاعِلَةِ لَهَا .
وَقَدْ يَشْهَدُ أَنَّ هَذَا هُوَ رَسْمُ صَلَاحِ أَحَالِ الْمَشْهُورِ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ
يَرَوْنَ أَنَّ صَلَاحَ أَحَالِ هُوَ هَذَا أَوْ شَيْءٌ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا وَإِذَا كَانَ
صَلَاحُ أَحَالِ هُوَ هَذَا فَاجْزَأْهُ هِيَ كَرَمُ الْحَسْبِ وَكَثْرَةُ الْإِخْوَانِ
وَالْأَوْلَادِ وَالْفَيْسَارُ وَحُسْنُ الْفِعْلِ وَالشَّيْخُوخَةُ الصَّالِحَةُ وَفَضَائِلُ الْجَسَدِ
وَمِثْلُ الصَّحَّةِ وَالْجَمَالِ وَالْجَلْدِ وَالْجِرَالَةِ وَالْبَطْشِ وَالْعَجْدِ وَالْجَلَالَةِ
وَالسَّعَادَةِ وَالْفُضِيلَةِ وَاجْزَأْهَا مِثْلُ الْعَقْلِ وَالشَّجَاعَةِ وَالْعَفَافِ وَالْعَدَالَةِ
وَالْبِرِّ فَإِنَّهُ هَكَذَا أُخْرَى أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ مُوفُورًا مَكْنِيًا
أَعْنِي إِذَا كَانَتْ لَهُ الْخَيْرَاتُ الْمَوْجُودَةُ مِنْ خَارِجٍ . وَالْخَيْرَاتُ
الْمَوْجُودَةُ فِيهِ النَّفْسَانِيَّةُ وَالْجَسَدَانِيَّةُ وَالْآتِيَّةُ مِنْ خَارِجٍ هِيَ الْحَسْبُ
وَالْإِخْوَانُ وَالْأَمَالُ وَالْكَرَامَةُ وَقَدْ يُظَنُّ أَنَّهُ يُعَدُّ مَعَ هَذِهِ نَفُوذُ
الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَالْإِتِّفَاقَاتُ الْجَمِيلَةُ وَهِيَ الْمُسَامَاةُ عِنْدَ النَّاسِ سَعَادَةٌ
فَإِنَّ يَهَذِهِ الْأَشْيَاءَ تَكُونُ حَيَاةَ الْمَرْءِ فِي سِيرَتِهِ حَيَاةً مَنْ لَا
يَنْقُصُهُ شَيْءٌ مِنْ خَارِجٍ وَلَا يَشُوبُ خَيْرُهُ شَيْءٌ مُضَادٌّ . وَإِذَا كَانَ
هَذَا هَكَذَا فَجِبُّ أَنْ نَنْظُرَ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ مَا هُوَ بِمَحْسَبِ
النَّظَرِ الْمَقْصُودِ هُنا وَهُوَ النَّظَرُ الْمَشْهُورُ . فَأَمَّا الْحَسْبُ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ
الْقَوْمُ الَّذِينَ هُوَ مِنْهُمْ هُمْ أَوَّلَ مَنْ تَرَى الْمَدِينَةَ أَوْ يَكُونُوا قُدَمَاءَ
الَّذُولِ فِيهَا وَيَكُونُوا مَعَ هَذَا حُكَّامًا أَوْ رُؤَسَاءَ ذَوِي ذِكْرِ جَمِيلِ
وَكَثْرَةِ عُدَدٍ وَأَنْ يَكُونُوا مَعَ هَذَا أَعْرَافًا لَمْ يَجْزُ عَلَيْهِمْ سِبَاكٌ أَوْ
يَكُونُوا مِنْ نَالِ الْأُمُورِ الْجَمِيلَةِ الْمَقْبُولَةِ عِنْدَ النَّاسِ وَإِنْ لَمْ

يَكُونُوا حُكَمَاءَ وَلَا رُؤَسَاءَ. فَأَمَّا النَّظَرُ فِي الْحَسَبِ هَلْ هُوَ مِنْ
الرِّجَالِ فَقَطْ أَوْ مِنْ النِّسَاءِ فَالظَّاهِرُ مِنْ ذَلِكَ وَالْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ عِنْدَ
الْجَمِيعِ أَنَّهُ يَكُونُ أَمَّ إِذَا كَانَ مِنْ كِلَيْهِمَا. وَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعْمَلَ
الْخَطِيبُ مِنْ ذَلِكَ الْمَشْهُورَ فِي أُمَّةٍ أُمَّةً. وَمِنْ شُرُوطِ الْحَسَبِ أَنْ
يَكُونَ الرُّؤَسَاءُ وَالْأَحْرَارُ مِنَ أُولَئِكَ الْقَوْمِ الَّذِينَ شُهِرُوا بِالْفَضِيلَةِ
وَالْيَسَارِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَكْرُمَاتِ لَمْ يَنْقَطِعْ وُجُودُهُمْ فِي الْقَوْمِ
الَّذِينَ هُوَ مِنْهُمْ إِلَى وُجُودِهِ هُوَ بَلْ يُوجَدُ فِي ذَلِكَ الْجِنْسِ أَبَدًا
أَشْيَاخُ هَذِهِ الصِّفَةِ يَخْلَفُهُمْ غِلْمَانٌ فِي تِلْكَ الْحِصَالِ. فَإِنَّهُ إِنْ انْقَطَعَ
الشَّرَفُ فِي ذَلِكَ الْجِنْسِ الَّذِي هُوَ مِنْهُمْ لَمْ يَكُنْ حَسَبًا وَإِنْ لَمْ
يَنْقَطِعْ مِنْهُمْ فَهُوَ حَسَبٌ وَإِنْ انْقَطَعَ فَيَسُنُّ وَلَدَ مِنْهُمْ. وَأَمَّا حُسْنُ
أَحْوَالِ بِالْأَوْلَادِ وَكَثَرَتِهِمْ فَهُوَ مِمَّا لَا خَفَاءَ بِهِ وَحُسْنُ أَحْوَالِ بِالْأَوْلَادِ
الْمُشْتَرِكُ لِلْجَمِيعِ هُوَ كَثَرَةُ الْفَتَيَانِ وَصَلَاحُهُمْ فِي فَضَائِلِ الْجَسَدِ
وَفَضَائِلِ النَّفْسِ. أَمَّا فِي فَضَائِلِ الْجَسَدِ فَبِارْبَعٍ أَحَدَاهَا الْخِرَاطَةُ وَهِيَ
أَنْ تَكُونَ خُلُقُهُمْ خُلُقًا طَبِيعِيَّةً يَفُوقُونَ فِيهَا كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ.
وَالثَّانِيَةُ الْجَمَالُ. وَالثَّلَاثَةُ الشَّدَّةُ. وَالرَّابِعَةُ الْبَطْشُ فَهَذِهِ الْأَرْبَعُ
يَكُونُ الْغِلْمَانُ صَالِحِينَ فِي فَضَائِلِ أَجْسَادِهِمْ. وَأَمَّا فِي فَضَائِلِ
النَّفُوسِ فَيَكُونُونَ بِاثْنَتَيْنِ بِالْعَفَافِ وَالشَّجَاعَةِ. وَأَمَّا مَا قَدْ بَكُنَ بِهِ
صَلَاحُ حَالِ بَعْضِ النَّاسِ فَكَثَرَةُ الْأَوْلَادِ مِنَ الذُّكُورِ وَالْإِنَاثِ.
وَصَلَاحُ أَحْوَالِ بِالْإِنَاثِ أَيْضًا يَكُونُ بِفَضِيلَتَيْنِ فِي الْجَسَدِ وَالنَّفْسِ.
أَمَّا فِي الْجَسَدِ فَاثْنَتَانِ الْعِبَالَةُ وَهُوَ عَظَمُ الْأَعْضَاءِ الْعَظَمِ الطَّبِيعِيِّ

وَكثْرَةُ النَّحْمِ الطَّبِيعِي لَا اللَّوْنُ وَالْجَمَالُ. وَأَمَّا فِي النَّفْسِ فَثَلَاثُ
 الْقَفَافِ وَحُبُّ الْأَلْفَةِ وَحُبُّ الْكَدِّ فَإِنْ يَهْدِهِ الْقَضَائِلُ يَكْمُلُ
 الْمَثَرُ وَهَذِهِ الْقَضَائِلُ الَّتِي قُلْنَا سَبِيلَهَا أَنْ تُوجَدَ فِي الْأَنْسَاءِ كُلِّهِنَّ
 اللَّائِي مِنْ نَسَبِ ذَلِكَ الرَّجُلِ عَلَى الْعُمومِ وَفِي الرِّجَالِ كُلِّهِمْ عَلَى
 الْعُمومِ وَفِي أَوْلَادِهِ الذُّكُورِ خَاصَّةً إِذَا كَانَ أَوَّلَدُهُ بِهِ الصَّقَ.
 وَقَدْ يَنْبَغِي لِلْحَاطِبِ أَنْ يَنْظُرَ هَلِ الْقَضَائِلُ الَّتِي هُوَ مِنْهَا هِيَ هَذِهِ
 الْقَضَائِلُ عِنْدَهُمْ أَوْ غَيْرُهَا فِي أَوْلَادِهِمْ أَمْ لَيْسَ هِيَ هَذِهِ فَإِنْ كَثُرَ
 مِنْ الْأَنْثَى يَرُبُّونَ أَوْلَادَهُمْ الذُّكُورَ وَالْأُنثَى بِالزَّيْتَةِ وَالسِّنِّ
 وَهُوَ لَا يَقُولُ فِيهِمْ أَرَسَطُوا إِنَّهُ قَدْ فَاتَهُمُ التَّصْفُ مِنْ صَلَاحِ الْحَالِ
 بِالْأَنْبَاءِ. فَأَمَّا أَجْزَاءُ الْإِسَارِ فِكثْرَةُ الدَّائِيَرِ وَالْأَرْضِيْنَ وَالْعَقَارِ
 وَالْأَنْثَى وَالْأَمْتَعَةُ وَالْمَوَاشِي وَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ الْمُخْتَلِفَةِ فِي النُّوعِ
 وَالْجِنْسِ. وَكُلُّ ذَلِكَ إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي حِفْظِ وَمَعَ خَرِيَّةٍ
 وَأَنْ يَكُونَ فِيهَا مُشْتَعَا أَيُّ مُلْتَدًا لَا حَافِظًا لَهَا فَقَطُّ أَوْ مُنِيًّا
 (قَالَ) وَمِنْ الْأُمُورِ الْمَافِعَةِ فِي الْإِسَارِ وَالْقَاعِلَةِ لَهُ الْأَشْجَارُ
 الْمُشْمَرَةُ وَالْعَلَاتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ. وَاللَّذِيذُ مِنْ هَذِهِ هُوَ مَا يُجْنَى
 بِغَيْرِ تَعَبٍ وَلَا نَفَقَةٍ وَحَدُّ الْحِفْظِ وَالْأَحْزَانِ لِلْمَالِ هُوَ أَنْ يَكُونَ
 فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي لَا يُتَعَدَّرُ مِنْهُ عَلَيْهِ وَأَنْ يَكُونَ بِالْحَالِ الَّتِي
 يُمَكِّنُ أَنْ يَنْتَفِعَ بِهَا وَمِثْلُ أَنْ إِذَا كَانَتْ أَرْضًا أَلَّا تَكُونَ سَجْنَةً وَإِنْ
 كَانَ فَرَسًا أَلَّا يَكُونَ جُوحًا. وَحَدُّ الْخَرِيَّةِ فِي الْمَالِ أَنْ يَكُونَ
 إِلَيْهِ التَّصَرُّفُ فِي الْمَالِ بِالْإِعْطَاءِ وَالنَّبِيْعِ وَالشِّرَاءِ وَأَمَّا التَّنْعُمُ بِالْمَالِ

فَهُوَ اسْتِعْمَالُهُ عَلَى طَرِيقِ التَّلَذُّذِ بِهِ . وَإِنَّمَا اشْتَرَطَ فِي الْغِنَى هَذَا
الشَّرْطَ لِأَنَّهُ أَنْ يَكُونَ الْغِنَى فِي اسْتِعْمَالِ أَمَالٍ أُخْرَى مِنْهُ أَنْ
يَكُونَ فِي اقْتِنَائِهِ لِأَنَّ الْاِقْتِنَاءَ هُوَ فَاعِلُ الْغِنَى وَأَمَّا الِاسْتِعْمَالُ
فَهُوَ الْغِنَى بِعَيْنِهِ وَأَمَّا حُسْنُ الْفِعْلِ عَلَى الرَّأْيِ الصَّوَابِ فَهُوَ الَّذِي
يُظَنُّهُ الْكُلُّ قَانِعًا وَهُوَ الَّذِي يَقْتَنِي الشَّيْءَ الَّذِي يَتَشَوَّقُ الْأَكْثَرُ
لَا حَالَةَ أَوْ الْأَخْيَارُ مِنَ النَّاسِ وَذَوُوا الْكَيْسِ وَالْفِطَنَةِ

(قَالَ) وَأَمَّا الْكَرَامَةُ فَلَانَّهَا فِي زَمَانِنَا هَذَا لِلْمُعْتَنِي بِحُسْنِ
الْفِعْلِ وَالْإِكْرَامِ النَّاسِ الَّذِينَ لَهُمُ الْعِنَايَةُ الْحَسَنَةُ بِهِمْ هِيَ مُكَافَأَةٌ
عَلَى طَرِيقِ الْعَدْلِ وَالْحَقِّ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَفْعَالُ لَيْسَ تُكَافَأُهَا
الدَّائِرُ وَالْدَّرَاهِمُ . وَلَيْسَ يُكْرَمُ الَّذِينَ لَهُمُ الْعِنَايَةُ الْحَسَنَةُ بِالنَّاسِ
فَقَطُّ بَلْ وَالَّذِينَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَكُونَ لَهُمُ الْعِنَايَةُ الْحَسَنَةُ أَغْنَى
الَّذِينَ لَهُمْ قُوَّةٌ عَلَى ذَلِكَ وَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فِي حَالِ الْإِكْرَامِ
وَالْعِنَايَةِ بِالنَّاسِ الَّتِي تَسْتَوْجِبُ الْكَرَامَةَ هِيَ الْعِنَايَةُ تَخْلُصُهُمْ مِنَ
الشُّرُورِ الَّتِي لَيْسَ الْتَخْلِصُ مِنْهَا يَهْتَمُّ أَوْ إِفَادَتُهُمْ الْخَيْرَاتِ الَّتِي لَيْسَ
إِفَادَتُهَا بِالسَّهْلِ . وَهَذِهِ الْأَفْعَالُ الْجَمِيلَةُ هِيَ تَكُونُ عَنِ الْغِنَى أَوْ
السُّلْطَانِ أَوْ مَا أَشَبَّ ذَلِكَ مِمَّا يَكُونُ لِلْإِنْسَانِ بِهِ الْقُدْرَةُ عَلَى
أَمْثَالِ هَذِهِ الْأَفْعَالِ وَقَدْ يُكْرَمُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ عَلَى خَيْرَاتٍ
يَسِيرَةٍ لَكِنَّهَا تَكُونُ كَثِيرَةً بِالإِضَافَةِ إِلَى ذَلِكَ الزَّمَانِ وَإِلَى
تِلْكَ الْحَالِ . فَكَانَ الْكَرَامَةُ عَلَى الْأَشْيَاءِ الْيَسِيرَةِ هِيَ بِالْعَرَضِ
أَيَّ مِنْ جِهَةٍ مَا عَرَضَ لِتِلْكَ الْأَشْيَاءِ أَنْ تَكُونَ كَثِيرَةً بِالإِضَافَةِ

إِلَى ذَلِكَ أَلَوْتِ أَوْ أَحَالَ. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَكُونُ بِهَا الْكَرَامَةُ
فَمِنْهَا مُشْتَرَكَةٌ لِجَمِيعِ الْأَنْفُسِ وَمِنْهَا خَاصَّةٌ. فَالْخَاصَّةُ مِثْلُ الذَّبَائِحِ
وَالْقَرَابِينِ الَّتِي كَانَتْ قَدْ جَرَتْ عَادَةُ الْيُونَانِيِّينَ أَنْ يُكْرَمُوا بِهَا
الْأَمْوَاتُ. وَمِنْهَا عَامَّةٌ وَهِيَ الْمَرَاتِبُ فِي الْحَجَالِسِ وَالْمَسَارَعَةِ إِلَى
أَقْوَالِهِ وَتَرْكُ مُحَالَفَتِهِ وَالْهَدَايَا الَّتِي تُوجِبُ الْحُبَّ وَالْقُرْبَ. فَإِنَّ الْهَدِيَّةَ
جَمَعَتْ أَمْرَيْنِ بَذَلَ أَمَالٍ وَالْكَرَامَةُ وَذَلِكَ كَانَتْ مُسْتَحَبَّةً لِجَمِيعِ
النَّاسِ وَكُلُّ إِنْسَانٍ يُحِبُّ فِيهَا مَا يَتَشَوَّقُ لَهُ وَذَلِكَ أَنَّ النَّاسَ ثَلَاثَةٌ
أَصْنَافٍ إِمَّا صَنَفٌ يُحِبُّ الْكَرَامَةَ وَإِمَّا صَنَفٌ يُحِبُّ أَلْمَالَ وَإِمَّا
صَنَفٌ يَجْمَعُ الْأَمْرَيْنِ. وَالْهَدِيَّةُ قَدْ جَمَعَتْ مُتَشَوِّقَ هَذِهِ الْأَصْنَافِ
الْثَلَاثَةِ

(قَالَ) وَأَمَّا فَضِيلَةُ الْجَسَدِ فَالصِّحَّةُ وَذَلِكَ أَنْ يَكُونُوا عَرِيذِينَ
مِنَ الْأَسْقَامِ الْبَتَّةِ وَأَنْ يَسْتَعْمِلُوا أَبْدَانَهُمْ لِأَنَّ مَنْ لَا يَسْتَعْمِلُ
صِحَّتَهُ فَلَيْسَ تَغْبِطُ نَفْسُهُ بِالصِّحَّةِ أَيْ لَيْسَ هُوَ حَسَنُ أَحْوَالٍ بِهَا وَهُوَ
بَعِيدٌ مِنْ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ أَوْ مِنْ أَكْثَرِهَا

(قَالَ) وَأَمَّا الْحَسَنُ فَإِنَّهُ مُخْتَلِفٌ بِاخْتِلَافِ أَصْنَافِ الْإِنْسَانِ
فَحَسَنُ الْعِلْمَانِ وَجَمَاهُمْ هُوَ أَنْ تَكُونَ أَبْدَانُهُمْ وَخَلْقُهُمْ بِهَيْئَةٍ
يَعْسُرُ بِهَا قَبُولُهُمْ إِلَّا لَامٌ وَالْأَنْفِعَالُ أَيْ لَا يَكُونُونَ غَيْرَ مُحْتَمِلِينَ
لِلْأَذَى وَأَنْ يَكُونُوا بِحَيْثُ يُسْتَلَذُّ أَنْ يُنْظَرَ إِلَيْهِمْ عِنْدَ الْجُرْيِ
وَالْعَلَبَةِ

(قَالَ) وَلِذَلِكَ مَا يَرَى النَّاسُ الْعِلْمَانَ الَّذِينَ هُمْ مَهَيَّأُونَ نَحْوَ الْخَمْسِ

الْمُزَاوَلَاتِ وَاللَّعِبَاتِ حَسَنًا جِدًّا وَتَغْنِي بِالْخُمْسِ الْمُزَاوَلَاتِ وَاللَّعِبَاتِ
الْأَشْيَاءَ الَّتِي كَانَ الْيُونَانِيُّونَ يَرَوْنَهَا صَيَانَهُمْ وَهِيَ الْعَدُوُّ
وَالرُّكُوبُ وَالْمُتَأَقَّةُ وَالصَّرَاعُ وَالْمَلَاكِرَةُ

(قَالَ) وَإِنَّمَا كَانَ النَّاسُ يَرَوْنَ فِيمَنْ كَانَ مَهَيَّا نَحْوَ هَذِهِ
الْأَفْعَالِ الْخُمْسَةَ أَنَّهُ جَمِيلٌ لِأَنَّهُ مَهَيَّا بِهَا نَحْوُ الْخِفَّةِ وَالْقَلْبَةِ وَإِذَا
شَبَّ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ الْعُلَمَاءِ كَانُوا لَذِيذِي الْبَصَرِ عِنْدَ الْعَمَلِ فِي
الْحَرْبِ وَذَلِكَ بِحَسَبِ الْهَيْئَةِ الَّتِي كَانُوا مُعَدِّينَ بِهَا نَحْوَ الْحَرْبِ. وَأَمَّا
الشُّيُوخُ فَجَمَالُهُمْ هُوَ اسْتِلْدَاذُ أَعْمَالِهِمْ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي هِيَ جَدُّ وَهِيَ
الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا يُرَاضُ الصَّبِيَانُ عَلَى هَذِهِ اللَّعِبَاتِ الْخُمْسِ وَهِيَ
الْحُرُوبُ وَأَنْ يَكُونُوا مَعَ ذَلِكَ يُرَوْنَ غَيْرَ ذَرِي أَخْزَانٍ وَلَا غَمٍّ .
وَذَلِكَ أَنَّ الْخُزْنَ وَالْغَمَّ إِذَا ظَهَرَ بِالشُّيُخِ ذُنَّ بِهِ أَنَّ ذَلِكَ الطَّارِئُ
الَّذِي طَرَأَ عَلَيْهِ يَمَّا يَضُرُّ فِي شَيْخُوخَتِهِ مِثْلَ الْفَقْرِ وَالْمَوَانِ أَوْ غَيْرِ
ذَلِكَ

(قَالَ) وَأَمَّا الْبَطْشُ فَإِنَّهُ قُوَّةٌ يُحْرِكُ الْمَرْءُ بِهَا غَيْرَهُ كَيْفَ
شَاءَ. فَإِنَّهُ إِذَا جَذَبَ غَيْرَهُ أَوْ دَفَعَهُ أَوْ أَسْأَلَهُ أَوْ أَخْرَجَهُ أَوْ سَعَطَهُ
وَكَانَ هَذَا الْفِعْلُ مِنْهُ بِكُلِّ مَنْ يَتَصَدَّى لَهُ أَوْ بِأَكْثَرِهِمْ فَهُوَ ذُو
بَطْشٍ

(قَالَ) وَأَمَّا فَضِيلَةُ الصَّخَّامَةِ فَهُوَ أَنْ يَفُوتَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ
وَيُجَاوِرَهُمْ فِي الطُّوْلِ وَالْعَرْضِ وَالْعُمُقِ وَتَكُونُ مَعَ صَخَّامَتِهِ حَرَكَاتُهُ
غَيْرَ مُتَكَلِّفَةٍ لِحُودَةِ هَذِهِ الْفَضِيلَةِ وَتَكُونُ صَخَّامَتُهُ لَيْسَ سَبَبًا سِمَانًا

وَلَا أَمْرًا مُكْتَسَبًا

(قَالَ) وَأَمَّا الْهَيْئَةُ الَّتِي تُسَمَّى الْجِهَادِيَّةَ فَإِنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ الصَّخَامَةِ وَالْجَلْدِ وَالْحِفَّةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا اقْتَرَنَتِ الْحِفَّةُ مَعَ الْقُوَّةَ امْكَنَ أَنْ يَبْلُغَ بِالسَّرْعَةِ أَمَدًا بَعِيدًا لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ خَفِيفًا دُونَ جَلْدٍ لَمْ يَبْلُغَ بِالسَّرْعَةِ أَمَدًا بَعِيدًا. وَذَلِكَ أَنَّ الَّذِي جَمَعَ الصَّخَامَةَ وَالْقُوَّةَ هُوَ مُصَارِعٌ وَالَّذِي جَمَعَ الصَّخَامَةَ وَالْقُوَّةَ وَالْحِفَّةَ هُوَ مُجَاهِدٌ. وَأَمَّا الَّذِي جَمَعَ الصَّرَاعَ وَالْحِفَّةَ مَعَ فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ بِأَنَّهُمْ مُشْتَقٌّ مِنْ الْجِلْدِ بِاسْتِعْمَالِ الْقُوَّةِ وَالْحِفَّةِ وَأَمَّا الَّذِي جَمَعَ هَذِهِ الْجِصَالَ كُلَّهَا فَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى عِنْدَهُمْ ذَا الْخُمْسِ اللَّعِبِ

(قَالَ) وَأَمَّا الشَّيْخُوخَةُ الصَّالِحَةُ فَإِنَّهَا دَوَامُ الْكِبَرِ مَعَ الْبَرَاءَةِ مِنَ الْحُزَنِ لِأَنَّهُ إِنْ عَجَلَتْ وَفَاةُ الْإِنْسَانِ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ مُنْتَهَى الشَّيْخُوخَةِ لَمْ يَكُنْ ذَا شَيْخُوخَةٍ صَالِحَةٍ وَإِنْ كَانَ بَرِيئًا مِنَ الْآخِرَانِ وَلَا أَنْ أُهْمِلَ إِلَى مُنْتَهَى الشَّيْخُوخَةِ وَكَانَ فِي كَرْبٍ وَحُزْنٍ كَانَ ذَا شَيْخُوخَةٍ صَالِحَةٍ. وَإِنَّمَا يَكُونُ بَرِيئًا مِنَ الْآخِرَانِ إِذَا كَانَ ذَا حَظٍّ مِنْ أَجَلٍ وَقَضَائِلِ الْبَدَنِ أَعْنِي أَنْ يَكُونَ صَحِيحًا وَلَمْ تَعْتَرِهِ مَصَائِبُ تُكَثِّرُ شَيْخُوخَتَهُ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ بِمَرَضٍ أَوْ كَانَ أَجَلُهُ غَيْرَ مُسَاعِدٍ لَهُ بِأَنْ يَكُونَ قَدْ أَعْتَرَتْهُ مَصَائِبُ فَإِنَّهُ لَيْسَ بِصَالِحٍ الشَّيْخُوخَةِ وَإِنْ كَانَ مُعْمَرًا. وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَ بِمَرَضٍ وَقَدْ يُشَكُّ كَيْفَ يَكُونُ طُولُ الْعُمُرِ مَعَ الْأَمْرَاضِ لَكِنْ يُشَبَّهُ أَنْ تَكُونَ قُوَّةُ طُولِ الْعُمُرِ غَيْرَ قُوَّةِ الصِّحَّةِ فَإِنَّا نَرَى قَوْمًا كَثِيرِينَ تَطُولُ

أَعْمَارُهُمْ مَعَ أَنَّهُمْ مُسْقَامُونَ . وَتُصَحِّحُ هَذَا هُوَ لِلْعِلْمِ الطَّبِيعِيِّ وَلَيْسَ فِي تَصْحِيحِهِ فِي هَذَا الْعِلْمِ مَنَفَعَةٌ وَالْخَطِيبُ إِنَّمَا يَكْتَفِي مِنْ ذَلِكَ بِالشَّيْءِ الظَّاهِرِ

(قَالَ) وَأَمَّا كَثْرَةُ الْحِلَّةِ وَصَلَاحُ حَالِ الْإِنْسَانِ بِالْإِخْوَانِ وَذَلِكَ أَيْضًا غَيْرُ حَقِيٍّ إِذَا حَدَّ مَا هُوَ الْخَلِيلُ وَالصَّاحِبُ . وَهُوَ أَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا يَفْعَلُ الْخَيْرَ الَّذِي يَنْظُرُ أَنَّهُ يَنْفَعُ بِهِ الْآخَرَ لَا الْخَيْرَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ فِي نَفْسِهِ فَقَطْ . وَإِذَا كَانَتْ الْحِلَّةُ وَالضَّخْبَةُ هِيَ هَذِهِ فَبَيِّنْ أَنَّ الْمَرْءَ يَكُونُ صَالِحَ الْحَالِ بِالْإِخْوَانِ الْكَثِيرَةِ

(قَالَ) وَأَمَّا صِلَاحُ الْجَدِّ فَهُوَ أَنْ يَكُونَ الْإِتِّفَاقُ لِلْإِنْسَانِ مَا عِلَّةٌ لَوْجُودِ الْخَيْرِ لَهُ . وَذَلِكَ إِمَّا مِنْ الْخَيْرَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِي ذَاتِهِ وَإِمَّا مِنْ الْخَيْرَاتِ الْمَوْجُودَةِ لَهُ مِنْ خَارِجٍ . وَعِلَّةُ الْإِتِّفَاقِ قَدْ تَكُونُ الصَّنَاعَةُ وَقَدْ تَكُونُ الطَّبِيعَةُ وَهُوَ الْأَكْثَرُ . فَيُنَالُ مَا يَكُونُ عَنِ الْإِتِّفَاقِ الطَّبِيعِيِّ أَنْ يُولَدَ الْإِنْسَانُ ذَا قُوَّةٍ وَهَيْئَةٍ يَغْسُرُ بِهَا قَبُولُهُ الْأُمُورَ الْوَارِدَةَ عَلَيْهِ مِنْ خَارِجٍ . فَأَمَّا أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ صَحِيحًا فَقَدْ يَكُونُ سَبَبُهُ الْإِتِّفَاقُ الطَّبِيعِيِّ وَمِثْلُ أَنْ يُولَدَ صَحِيحًا . وَقَدْ يَكُونُ الْإِتِّفَاقُ الصَّنَاعِيُّ مِثْلُ أَنْ يُسْقَى سُمًّا فَيَبْرَأَ مِنْ مَرَضٍ كَانَ بِهِ . وَأَمَّا الْجَبَالُ وَالضَّخَاةُ فَعِلَّتُهُمَا الْإِتِّفَاقُ الصَّنَاعِيُّ وَالطَّبِيعِيُّ وَجُمْلَةُ الْأَنْرِ أَنَّ الْخَيْرَاتِ الَّتِي سَبَبُهَا الْجَدُّ الَّذِي هُوَ حَسَنُ الْإِتِّفَاقِ هِيَ الْخَيْرَاتُ الَّتِي يَكُونُ الْمَرْءُ مَغْبُوطًا بِهَا مَحْسُودًا عَلَيْهَا . وَقَدْ يَكُونُ

أَجْدُّ عِلَّةَ خَيْرَاتٍ لَيْسَتْ هِيَ خَيْرَاتٍ بِالْحَقِيقَةِ وَإِنَّمَا تُرَى خَيْرَاتٍ
بِالْإِصَافَةِ وَالْمَقَاسَةِ إِلَى الْغَيْرِ. كَمَا قَدْ يَكُونُ الْقَنْجُ فِي حَقِّ إِنْسَانٍ
خَيْرًا مَّا إِذَا رُئِيَ غَيْرُهُ أَقْبَحُ مِنْهُ وَمِثْلُ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانَانِ وَقَفَا مِنْ
الْحَرْبِ فِي مَوْضِعٍ وَاحِدٍ فَأَصَابَ أَحَدُهُمَا السَّهْمُ وَلَمْ يُصِبِ الثَّانِي
فَأَنَّ الَّذِي لَمْ يُصِبْهُ السَّهْمُ يَرَى أَنَّهُ قَدْ نَالَ بِالْإِصَافَةِ إِلَى صَاحِبِهِ خَيْرٌ
كَثِيرٌ. وَبِجَاصَةِ إِنْ كَانَ ذَلِكَ الَّذِي لَمْ يُصِبْهُ السَّهْمُ مِنْ عَادَتِهِ أَنْ
يَشْهَدَ الْحُرُوبَ كَثِيرًا وَالْآخَرُ لَمْ يَشْهَدْ قَطُّ إِلَّا تِلْكَ الْحَرْبَ
وَكَذَلِكَ إِذَا وَجَدَ الْكَثْرَ وَاحِدٌ مِمَّنْ طَلَبَهُ. قَدْ يَرَى أَنَّهُ خَيْرٌ
بِالْإِصَافَةِ إِلَى مَنْ لَمْ يُصِبْهُ وَإِنْ كَانَ الْكَثْرُ يَسِيرًا فَمِنْ هَذَا
وَنَحْوِهِ يَنْظُرُ الْخَطِيبُ فِي سَعَادَةِ الْجَدِّ. وَأَمَّا تَعْرِيفُ الْقُضِيَّةِ فَأَوَّلَى
الْمَوَاضِعِ بِذِكْرِهَا هُوَ عِنْدَ الْقَوْلِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُعْمَدُ بِهَا. لِأَنَّ
الْقُضِيَّةَ خَاصَّةً بِالْمَادِحِ وَلِذَلِكَ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ الْمَادِحُ هُوَ الَّذِي
يَعْرِفُ بِاسْتِقْصَاءِ الْقُضِيَّةِ وَالْقَضَائِلِ وَإِنْ كَانَ مِنْهَا مُسْتَقِيلٌ وَحَاضِرٌ
فَالْمَادِحُ إِنَّمَا يَنْظُرُ فِيهَا مِنْ جِهَةٍ تَأْهِي حَاضِرَةً وَالْمُشِيرُ مِنْ جِهَةٍ
أَنَّهَا مُسْتَقْبَلَةٌ أَيْ نَافِعَةٌ



البحث السادس

في الفرق بين الخير والسعادة

(من كتاب خذيب الاخلاق لابن مسكويه)

نَبْدَا بِمَعُونَةِ اللَّهِ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْمَقَالَةِ بِذِكْرِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْخَيْرِ
وَالسَّعَادَةِ بَعْدَ أَنْ نَذْكُرَ الْفَاطَ أَرِسْطَاطَلِسَ اقْتِدَاءً بِهِ وَتَوْفِيقَةً
لِحَقِّهِ فَنَقُولُ: إِنَّ الْخَيْرَ عَلَى مَا حَدَّهُ وَأَسْتَحْسَنَهُ مِنْ آرَاءِ الْمُتَقَدِّمِينَ هُوَ
الْمَقْصُودُ مِنَ الْكُلِّ وَهِيَ الْعَالِيَةُ الْآخِرَةُ وَقَدْ يُسَمَّى الشَّيْءُ النَّافِعُ
فِي هَذِهِ الْعَالِيَةِ خَيْرًا فَأَمَّا السَّعَادَةُ فَهِيَ الْخَيْرُ بِالْإِضَافَةِ إِلَى صَاحِبِهَا
وَهِيَ كَمَالٌ لَهُ فَالسَّعَادَةُ إِذَا خَيْرٌ مَا. وَقَدْ تَكُونُ سَعَادَةُ الْإِنْسَانِ
غَيْرَ سَعَادَةِ الْفَرَسِ وَسَعَادَةُ كُلِّ شَيْءٍ فِي تَمَامِهِ وَكَمَالِهِ الَّذِي يُخْصُهُ.
فَأَمَّا الْخَيْرُ الَّذِي يَفْصِدُهُ الْكُلُّ بِالشَّرْقِ فَهُوَ طَبِيعَةٌ تُقْصَدُ وَلَهَا
ذَاتٌ وَهُوَ الْخَيْرُ الْعَامُّ لِلنَّاسِ مِنْ حَيْثُ هُمْ نَاسٌ فَهُمْ بِاجْمَعِهِمْ
مُشْتَرِكُونَ فِيهَا. فَأَمَّا السَّعَادَةُ فَهِيَ خَيْرٌ مَا لِوَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنَ النَّاسِ
فَهِيَ إِذَا بِالْإِضَافَةِ لَيْسَ لَهَا ذَاتٌ مُعَيَّنَةٌ وَهِيَ مُخْتَلِفٌ بِالْإِضَافَةِ إِلَى
قَاصِدِيهَا. فَلِذَلِكَ يَكُونُ الْخَيْرُ الْمَطْلُوقُ غَيْرَ مُخْتَلَفٍ فِيهِ وَقَدْ يُظَنُّ
بِالسَّعَادَةِ أَنَّهَا تَكُونُ لِغَيْرِ النَّاطِقِينَ فَإِنْ كَانَ ذَلِكَ فَأَنَا هِيَ
اِسْتِعْدَادَاتٌ فِيهَا لِقَبُولِ تَمَامَاتِهَا وَكَمَالَاتِهَا مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا رَوِيَّةٍ وَلَا
إِرَادَةٍ وَتِلْكَ أَلَا سَعَادَاتٌ هِيَ الشَّوْقُ أَوْ مَا يَجْرِي مَجْرَى الشَّوْقِ

مِنَ اللَّاطِقِينَ بِالْإِرَادَةِ . فَأَمَّا مَا يَتَأْتِي لِلْخَيْرَاتِ فِي مَآصِلِهَا
وَمَشَارِبِهَا وَرَاحَتِهَا فَيَتَّبِعِي أَنْ يُسَيَّ بِحُجَّتَا أَوْ اتِّفَاقًا وَلَا يُؤْهَلُ لِأَنَّهُم
السَّعَادَةُ كَمَا يُسَيَّ فِي الْإِنْسَانِ أَيْضًا . وَلَئِنَّمَا اسْتَحْسِنَ الْحَدُّ الَّذِي
ذَكَرْنَا لِلْخَيْرِ الْمَطْلُوقِ لِأَنَّ الْعَقْلَ لَا يُطْلَقُ السَّغْيَ وَالْحَرَكَةَ إِلَى لَا
نِهَآيَةٍ وَهَذَا أَوَّلُ فِي الْعَقْلِ . وَمِمَّا أَلِ ذَلِكَ أَنَّ الصَّاعَاتِ وَالْهَمَمَ
وَالْتَّدَايِرَ الْأَخْتِيَارِيَّةَ كُلَّهَا يُفْضَدُ بِهَا خَيْرٌ مَا وَهَلَمْ يُفْضَدُ بِهِ خَيْرٌ
مَا فَهُوَ عِبْتُ وَالْعَقْلُ يُجْتَدِرُهُ وَيَمْتَنِعُ مِنْهُ وَبِالْوَاجِبِ صَارَ الْخَيْرُ الْمَطْلُوقُ
هُوَ الْمَقْصُودُ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ النَّاسِ . وَلَكِنْ بَقِيَ أَنْ يُعْلَمَ مَا هُوَ وَمَا
الْعَاقِبَةُ الْأَخِيرَةُ مِنْهُ الَّتِي هِيَ غَايَةُ الْخَيْرَاتِ الَّتِي تَرْتَقِي الْخَيْرَاتُ
كُلُّهَا إِلَيْهَا حَتَّى تَجْمَعَهُ غَرَضًا وَتَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ وَلَا تَلْتَفِتَ إِلَى غَيْرِهِ وَلَا
تَتَنَشَّرَ أَفْكَارُنَا فِي الْخَيْرَاتِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَيْهِ إِمَّا تَأْدِيَةً
بَعِيدَةً وَإِمَّا تَأْدِيَةً قَرِيبَةً وَلَا تَغْلُطُ أَيْضًا فِيمَا أَيْسَ بِخَيْرٍ فَظَنُّهُ خَيْرًا
ثُمَّ تَفْتِي أَعْمَارُنَا فِي طَلَبِهِ وَالتَّعَبِ بِهِ وَكُلًّا سَابِقِينَ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ وَعَوْنِهِ

المبحث السابع

في اقسام الخير والسعادة

(من الكتاب نفسه)

الْخَيْرُ عَلَى مَا قَسَمَهُ أَرِسْطَاطَالِيْسُ وَحَكَاهُ عَنْهُ فَرْفُورِيُوسُ
وَعَبْرُهُ هَكَذَا قَالَ : الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَا هِيَ شَرِيفَةٌ وَمِنْهَا مَا هِيَ

مَدُوحَةٌ وَمِنْهَا مَا هِيَ بِالْقُوَّةِ كَذَلِكَ وَمَا هِيَ نَافِعَةٌ فِيهَا . فَالْشَّرِيفَةُ
 مِنْهَا هِيَ الَّتِي شَرَفَهَا مِنْ ذَاتِهَا وَتَجَعَلَ مِنْ أَقْسَمَاتِهَا شَرِيفًا . وَهِيَ
 الْحِكْمَةُ وَالْعَقْلُ . وَالْمَدُوحَةُ مِنْهَا مِثْلُ الْفَضَائِلِ وَالْأَفْعَالِ الْجَيِّلَةِ
 الْإِرَادِيَّةِ . وَالَّتِي هِيَ بِالْقُوَّةِ مِثْلُ التَّهَيُّزِ وَالِاسْتِعْدَادِ لِنَيْلِ الْأَشْيَاءِ
 الَّتِي تَقْدَمَتْ . وَالنَّافِعَةُ هِيَ جَمِيعُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُطْلَبُ لِذَاتِهَا بَلْ
 لِيَتَوَصَّلَ بِهَا إِلَى الْخَيْرَاتِ . (وَعَلَى جِهَةٍ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَا هِيَ
 غَايَاتُ وَمِنْهَا مَا هِيَ لَيْسَتْ بِغَايَاتٍ . وَالْغَايَاتُ مِنْهَا مَا هِيَ تَامَةٌ وَمِنْهَا
 مَا هِيَ غَيْرُ تَامَةٍ . فَالَّتِي هِيَ تَامَةٌ كَالسَّعَادَةِ وَذَلِكَ أَنَا إِذَا وَصَلْنَا
 إِلَيْهَا لَمْ نَضْجُ أَنْ نَسْتَرِيدَ إِلَيْهَا شَيْئًا آخَرَ . وَالَّتِي هِيَ غَيْرُ تَامَةٍ
 فَكَأَنَّهَا ضَحَّةٌ وَالْإِسَارُ مِنْ قَبْلِ أَنَا إِذَا وَصَلْنَا إِلَيْهَا خَجْنَا أَنْ نَسْتَرِيدَ
 فَتَقْتَرِي أَشْيَاءَ أُخْرَى . وَأَمَّا الَّتِي لَيْسَتْ بِغَايَةٍ أَلْبَتَّ فَكَأَنَّهَا لَعَلَّاجٌ وَالتَّعَلُّمُ
 وَالزِّيَادَةُ . (وَعَلَى جِهَةٍ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَا هُوَ مُؤَثِّرٌ لِأَجْلِ ذَاتِهِ
 وَمِنْهَا مَا هُوَ مُؤَثِّرٌ لِأَجْلِ غَيْرِهِ وَمِنْهَا مَا هُوَ مُؤَثِّرٌ لِلْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا وَمِنْهَا
 مَا هُوَ خَارِجٌ عَنْهُمَا . (وَعَلَى جِهَةٍ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ
 عَلَى الْإِطْلَاقِ وَمِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ عِنْدَ الضَّرُورَةِ وَالْإِتِفَاقَاتِ الَّتِي تَتَّفِقُ
 لِبَعْضِ النَّاسِ وَفِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ وَإِضًا مِنْهَا مَا هُوَ خَيْرٌ لَجَمِيعِ
 النَّاسِ وَمِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ وَفِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ وَمِنْهَا مَا لَيْسَ بِخَيْرٍ
 لَجَمِيعِ النَّاسِ وَلَا مِنْ جَمِيعِ الْوُجُوهِ . (وَعَلَى جِهَةٍ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ
 مِنْهَا مَا هُوَ فِي الْجَوْهَرِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي الْكَيْفِيَّةِ وَمِنْهَا مَا هُوَ فِي
 الْكَيْفِيَّةِ وَفِي سَائِرِ الْقَوْلَاتِ فَيَنْهَا كَالْقَوَى وَالْمَلَكَاتِ وَمِنْهَا

كَأَلْأَحْوَالِ وَمِنْهَا كَالْأَفْعَالِ وَمِنْهَا كَالْفَاعِيَاتِ وَمِنْهَا كَالْمَوَادِّ وَمِنْهَا
كَالْأَلَاتِ. وَوُجُودُ الْخَيْرَاتِ فِي الْمَقُولَاتِ كُلِّهَا يَكُونُ عَلَى هَذَا
الْمِثَالِ أَمَّا فِي الْجَوْهَرِ أَغْنِي مَا لَيْسَ بِعَرَضٍ فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
هُوَ الْخَيْرُ الْأَوَّلُ فَإِنَّ جَمِيعَ الْأَشْيَاءِ تَتَحَرَّكُ تَحْوُهُ بِالشَّقْوِ إِلَيْهِ وَلِأَنَّ
مَالَ الْخَيْرَاتِ الْإِلَهِيَّةِ مِنَ الْبَقَاءِ وَالسَّرمِدِيَّةِ وَالنَّامِ مِنْهُ. وَأَمَّا فِي
الْكَمِّيَّةِ فَالْعَدَدُ الْمُعْتَدِلُ وَالْقَدَارُ الْمُعْتَدِلُ وَأَمَّا فِي الْكَيْفِيَّةِ
فَكَاللَّذَاتِ. وَأَمَّا فِي الْأَصَاقَةِ فَكَالْصَّدَقَاتِ وَالرِّئَاسَاتِ. وَأَمَّا فِي
الْأَيْنِ وَالْمَتَى فَكَالْمَكَانِ الْمُعْتَدِلِ وَالزَّمَانِ الْأَيْنِيِّ الْبَهِجِ. وَأَمَّا فِي
الْوَضْعِ فَكَالْمَقُودِ وَالْإِضْطِجَاعِ وَالْإِتِّكَاءِ الْمُوَافِقِ. وَأَمَّا فِي الْمَلِكِ
فَكَالْأَمْوَالِ وَالْمَنَافِعِ. وَأَمَّا فِي الْإِنْفَعَالِ فَكَالسَّمْعِ الطَّيِّبِ
وَسَائِرِ الْمُحْسُوسَاتِ الْمَوْثُورَةِ. وَأَمَّا فِي الْفِعْلِ فَمِنْهُ نَفَاذُ الْأَمْرِ وَرَوَاجُ
الْفِعْلِ. (وَعَلَى جِهَةٍ أُخْرَى) الْخَيْرَاتُ مِنْهَا مَعْقُولَاتٌ وَمِنْهَا مُحْسُوسَاتٌ
(وَأَمَّا السَّعَادَةُ) فَقَدْ قُلْنَا إِنَّهَا خَيْرٌ مَا وَهِيَ تَمَامُ الْخَيْرَاتِ
وَعَايَاتُهَا وَالنَّامُ هُوَ الَّذِي إِذَا بَلَّغْنَا إِلَيْهِ لَمْ نَخْتِجْ مَعَهُ إِلَى شَيْءٍ
آخَرَ فَلِذَلِكَ نَقُولُ إِنَّ السَّعَادَةَ هِيَ أَفْضَلُ الْخَيْرَاتِ وَلَكِنَّا نَحْتَاجُ
فِي هَذَا النَّمَامِ الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ الْقُضْوَى إِلَى سَعَادَاتٍ أُخَرَ وَهِيَ
الَّتِي فِي الْبَدَنِ وَالَّتِي خَارِجَ الْبَدَنِ. (وَأَرِسْطَاطَلِسُ) يَقُولُ إِنَّهُ
يُفْسَرُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَفْعَلَ الْأَفْعَالَ الشَّرِيفَةَ بِلَا مَادَّةٍ مِثْلِ
اتِّسَاعِ الْيَدِ وَكَثْرَةِ الْأَصْدِقَاءِ وَوُجُودِ النَّجْتِ
(وَأَمَّا أَقْسَامُ) السَّعَادَةِ عَلَى مَذْهَبِ هَذَا الْحَكِيمِ فِيهِ خَمْسَةٌ

أَقْسَامٍ : (أَحَدَهَا) فِي صِحَّةِ الْبَدَنِ وَلَطْفِ الْخَوَاسِ وَيَكُونُ ذَلِكَ
 مِنْ اَعْتِدَالِ اَلْزَاجِ اَغْنِي اَنْ يَكُونَ جَيِّدَ السَّعْيِ وَالْبَصَرِ وَالشَّمِّ
 وَالذَّوْقِ وَاللَّمْسِ . (وَالثَّانِي) فِي الثَّرْوَةِ وَالْاَغْوَانِ وَاشْبَاهِهِمَا حَتَّى
 يَتَسَعَّ لِأَنْ يَضَعَ اَلْمَالُ فِي مَوْضِعِهِ وَيَعْمَلَ بِهِ سَائِرَ الْخَيْرَاتِ وَيُؤَيِّسَ
 مِنْهُ اَهْلَ الْخَيْرَاتِ خَاصَّةً وَالْمُسْتَحِقِّينَ عَامَّةً وَيَعْمَلَ بِهِ كُلُّ مَا يَزِيدُ
 فِي قَضَائِهِ وَيَسْتَحِقَّ الثَّنَاءَ وَالْمَدْحَ عَلَيْهِ . (وَالثَّالِثُ) اَنْ تَحْسُنَ اُحْدُوثُهُ
 فِي النَّاسِ وَيَنْشُرَ ذِكْرَهُ بَيْنَ اَهْلِ الْقَضَلِ فَيَكُونَ مَمْدُوحًا بَيْنَهُمْ
 يُكْثِرُونَ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ لِمَا يَتَصَرَّفُ فِيهِ مِنَ الْاِحْسَانِ وَالْمَعْرِوفِ .
 (وَالرَّابِعُ) اَنْ يَكُونَ مُنْجِحًا فِي الْاُمُورِ وَذَلِكَ إِذَا اسْتَمَّ كُلُّ
 مَا رَوَى فِيهِ وَعَزَمَ عَلَيْهِ حَتَّى يَصِيرَ اِلَى مَا يَأْمُلُهُ مِنْهُ . (وَالْخَامِسُ)
 اَنْ يَكُونَ جَيِّدَ الرَّأْيِ صَحِيحَ الْفِكْرِ سَلِيمَ الْاِعْتِقَادَاتِ فِي دِينِهِ
 بَرِيئًا مِنَ الْخَطَا وَالزَّلَلِ جَيِّدَ الْمَشُورَةِ فِي الْاَرَآءِ . فَمَنْ اجْتَمَعَتْ لَهُ
 هَذِهِ الْاَقْسَامُ كُلُّهَا فَهُوَ السَّعِيدُ الْكَامِلُ عَلَى مَذْهَبِ هَذَا الرَّجُلِ
 الْفَاضِلِ وَمَنْ حَصَلَ لَهُ بَعْضُهَا كَانَ حَظُّهُ مِنَ السَّعَادَةِ بِحَسَبِ ذَلِكَ .
 (وَامَّا اَلْحُكَمَاءُ) قَبْلَ هَذَا الرَّجُلِ مِثْلُ فَيْثَاغُورُسَ وَبُقْرَاطَ
 وَافْلَاطُونَ وَاشْبَاهِهِمْ فَلَهُمْ اَحْتِمَاؤُ عَلَى اَنَّ الْفَضَائِلَ وَالسَّعَادَةَ
 كُلُّهَا فِي النَّفْسِ وَحَدَهَا وَلِذَلِكَ لَمَّا قَسَمُوا السَّعَادَةَ جَعَلُوهَا كُلُّهَا فِي
 قُوَى النَّفْسِ اَلَّتِي ذَكَرْنَاهَا فِي اَوَّلِ الْكِتَابِ (وَهِيَ الْحِكْمَةُ
 وَالشَّجَاعَةُ وَالْعِفَّةُ وَالْعَدَالَةُ) . وَاجْمَعُوا عَلَى اَنَّ هَذِهِ الْفَضَائِلَ هِيَ
 كَافِيَةٌ فِي السَّعَادَةِ وَلَا يُحْتَاجُ مَعَهَا اِلَى غَيْرِهَا مِنْ فَضَائِلِ الْبَدَنِ

وَلَا مَا هُوَ خَارِجَ الْبَدَنِ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ إِذَا حَصَلَ تِلْكَ الْفَضَائِلُ لَمْ
يُضِرَّهُ فِي سَعَادَتِهِ أَنْ يَكُونَ سَقِيمًا نَاقِصَ الْأَعْضَاءِ مُبْتَلًى بِجَمِيعِ
أَمْرَاضِ الْبَدَنِ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُلْحِقَ النَّفْسَ مِنْهَا مَضَرَّةٌ فِي خَاصٍ
أَفْعَالِهَا مِثْلُ فَسَادِ الْعَقْلِ وَرَدَاءَةِ الذِّهْنِ وَمَا أَشَبَّهُمَا . وَأَمَّا الْفَقْرُ
وَالْخُمُولُ وَسُقُوطُ الْحَالِ وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ عَنْهَا فَلَيْسَتْ عِنْدَهُمْ
بِقَادِحَةٍ فِي السَّعَادَةِ الْبَتَّةَ . وَأَمَّا الزَّوَاقِيُونَ وَجَمَاعَةُ مِنَ الطَّبِيعِيِّينَ
قَاتِلُهُمْ جَعَلُوا الْبَدَنَ جُزْءًا مِنَ الْإِنْسَانِ وَلَمْ يَجْعَلُوهُ آلَةً كَمَا شَرَحْنَاهُ
فِيمَا تَقَدَّمَ فَلِذَلِكَ اضْطَرُّوا إِلَى أَنْ يَجْعَلُوا السَّعَادَةَ الَّتِي فِي النَّفْسِ
غَيْرَ كَامِلَةً إِذَا لَمْ يَقْتَرِنْ بِهَا سَعَادَةُ الْبَدَنِ وَمَا هُوَ خَارِجُ الْبَدَنِ
أَيْضًا غَنِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ بِالنَّجْتِ وَالْجَدِّ . وَالْحَقِيقُونَ مِنْ
الْفَلَاسِفَةِ يَحْقِرُونَ أَمْرَ النَّجْتِ وَكُلَّ مَا يَكُونُ بِهِ وَمَعَهُ وَلَا يُؤْهَلُونَ
تِلْكَ الْأَشْيَاءَ لِأَنَّهُمُ السَّعَادَةَ لِأَنَّ السَّعَادَةَ شَيْءٌ ثَابِتٌ غَيْرُ زَائِلٍ
وَلَا مُتَغَيِّرٍ وَهِيَ أَشْرَفُ الْأُمُورِ وَأَكْرَمُهَا وَأَرْفَعُهَا فَلَا يَجْعَلُونَ
لَا خَسَرَ الْأَشْيَاءَ وَهُوَ الَّذِي يَتَغَيَّرُ وَلَا يَثْبُتُ وَلَا يَتَحَصَّلُ بِرُؤْيَةٍ وَلَا
فِكْرٍ وَلَا يَتَأَتَّى بِعَقْلِ وَفَضِيلَةٍ فِيهَا نَصِيبًا

وَلِهَذَا الظَّرِّ اخْتَلَفَ الْقَدَمَاءُ فِي السَّعَادَةِ الْعَظْمَى فَظَنَّ قَوْمٌ
أَنَّهَا لَا تَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بَعْدَ مُفَارَقَةِ الْبَدَنِ وَالطَّبِيعِيَّاتِ كُلِّهَا .
وَهَؤُلَاءِ هُمُ الْقَوْمُ الَّذِينَ حَكَيْنَا عَنْهُمْ أَنَّ السَّعَادَةَ الْعَظْمَى هِيَ فِي
النَّفْسِ وَخَدَهَا وَسَمَوُا الْإِنْسَانَ ذَلِكَ الْجَوْهَرُ وَخَدَهُ دُونَ الْبَدَنِ
وَلِذَلِكَ حَكَمُوا أَنَّهَا مَا دَامَتْ فِي الْبَدَنِ وَمُتَّصِلَةٌ بِالطَّبِيعَةِ وَكَدَرِهَا

وَنَجَاسَاتِ الْبَدَنِ وَضُرُورَاتِهِ وَحَاجَاتِ الْإِنْسَانِ بِهِ وَافْتِقَارَاتِهِ إِلَى
 الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ فَلَيْسَتْ سَعِيدَةً عَلَى الْإِطْلَاقِ. وَآيْضًا لَمَّا رَأَوْهَا لَا
 تَكْمُلُ لَوْجُودِ الْأَشْيَاءِ الْعَقْلِيَّةِ لِأَنَّهَا لَا تَسْتَرُ عَنْهَا بِظُلْمَةِ الْهَيُولَى
 أَغْنَى قُصُورَهَا وَنُقْصَانَهَا ظَنُّوا أَنَّهَا إِذَا فَارَقَتْ هَذِهِ الْكُدُورَةَ فَارَقَتْ
 أَجْهَالَاتٍ وَصَفَتْ وَخَاصَتْ وَقَبِلَتْ الْإِضَاءَةَ وَالتَّوَرُّدَ الْإِلَهِيَّ أَغْنَى الْعَقْلَ
 التَّامَّ. وَيَجِبُ عَلَى رَأْيٍ هُوَ لَا أَنْ الْإِنْسَانَ لَا يَسْعُدُ السَّعَادَةَ التَّامَّةَ
 إِلَّا فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ. وَأَمَّا الْفِرْقَةُ الْأُخْرَى فَلَانْهَا قَالَتْ إِنَّهُ
 مِنْ أَتَمِّجِ الشَّيْخِ أَنْ يُظَنَّ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَا دَامَ حَيًّا يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ
 الصَّالِحَةَ وَيَعْتَقِدُ الْآرَاءَ الصَّحِيحَةَ وَيَسْعَى فِي تَحْصِيلِ الْفَضَائِلِ كُلِّهَا نَفْسِهِ
 أَوَّلًا ثُمَّ لِإِبْنَاءِ جَنْسِهِ ثَانِيًا وَيُخْلِفَ رَبَّ الْعِزَّةِ تَقَدَّسَ ذِكْرُهُ فِي
 خَلْقِهِ بِهِذِهِ الْأَفْعَالِ الْمَرْضِيَّةِ فَهُوَ شَقِيٌّ نَاقِصٌ حَتَّى إِذَا مَاتَ
 وَعَدِمَ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ صَارَ سَعِيدًا تَامَ السَّعَادَةِ وَارْتِطَاطًا لَيْسَ يَتَحَقَّقُ
 بِهِذَا الرَّأْيِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي السَّعَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَالْإِنْسَانُ هُوَ
 الْمُرْكَبُ عِنْدَهُ مِنْ بَدَنِ وَنَفْسٍ وَلِذَلِكَ حَدَّ الْإِنْسَانُ بِالنَّاطِقِ
 أَلَمَانٍ وَبِالنَّاطِقِ أَلَمَاشِي بِرَجُلَيْنِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَهَذِهِ الْفِرْقَةُ وَهِيَ
 الَّتِي رَأَيْتُهَا ارْتِطَاطًا لَيْسَ رَأَتْ أَنَّ السَّعَادَةَ الْإِنْسَانِيَّةَ تَحْصُلُ
 لِلْإِنْسَانِ إِذَا سَعَى لَهَا وَتَعَبَ بِهَا حَتَّى يَصِيرَ إِلَى أَقْصَاهَا. وَلَمَّا رَأَى
 الْحَكِيمُ ذَلِكَ وَأَنَّ النَّاسَ مُخْتَلِفُونَ فِي هَذِهِ السَّعَادَةِ الْإِنْسَانِيَّةِ وَأَنَّهَا
 قَدْ أَشْكَتْ عَلَيْهِمْ إِشْكَالًا شَدِيدًا أَحْتَاجَ أَنْ يَتَعَبَّ فِي الْإِبَاتَةِ
 عَنْهَا وَإِطَاعَةِ الْكَلَامِ فِيهَا. وَذَلِكَ أَنَّ الْفَقِيرَ يَرَى أَنَّ السَّعَادَةَ الْعُظْمَى

فِي الثَّرْوَةِ وَالْيَسَارِ وَالرِّيحِ يَرَى أَنَّهَا فِي الصِّحَّةِ وَالسَّلَامَةِ وَالذَّلِيلَ
يَرَى أَنَّهَا فِي الْجَاهِ وَالسُّلْطَانِ وَالْخَلِيعِ يَرَى أَنَّهَا فِي التَّسْكِينِ مِنَ
الشَّهَوَاتِ كُلِّهَا عَلَى اخْتِلَافِهَا وَالْعَاشِقَ يَرَى أَنَّهَا فِي الظَّفَرِ بِالْمَعشُوقِ
وَالْفَاضِلَ يَرَى أَنَّهَا فِي إِفَاضَةِ الْمَعْرُوفِ عَلَى الْمُسْتَحِقِّينَ وَالْفِيلَسُوفَ
يَرَى أَنَّ هَذِهِ كُلُّهَا إِذَا كَانَتْ مُرْتَبَةً بِحَسَبِ تَقْسِيطِ الْعَدْلِ أَغْنَى عَنِ
الْحَاجَةِ وَفِي الْوَقْتِ الَّذِي يَحِبُّ وَكَمَا يَحِبُّ وَعِنْدَ مَنْ يَحِبُّ فِيهِ
سَعَادَاتُ كُلِّهَا وَمَا كَانَ وَنَهَا يُرَادُ لَيْشَيْءٌ آخَرَ فَذَلِكَ الشَّيْءُ أَحَقُّ
بِاسْمِ السَّعَادَةِ

وَلَمَّا كَانَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَاتَيْنِ الْفِرْقَتَيْنِ نَظَرَتْ نَظْرًا مَا
وَجَبَ أَنْ تُنْبِتَ فِي ذَلِكَ مَا تَرَاهُ صَوَابًا وَجَامِعًا لِلرَّأْيَيْنِ فَقُتِلَ :
إِنَّ الْإِنْسَانَ ذُو فَضِيلَةٍ رُوحَانِيَّةٍ يُنَاسِبُ بِهَا الْأَرْوَاحَ الطَّيِّبَةَ الَّتِي
تُسَمَّى مَلَائِكَةً وَذُو فَضِيلَةٍ جِسْمَانِيَّةٍ يُنَاسِبُ بِهَا الْأَنْعَامَ لِأَنَّهُ
مُرَكَّبٌ مِنْهُمَا فَهُوَ بِاخْتِيارِ الْجِسْمَانِي الَّذِي يُنَاسِبُ بِهِ الْأَنْعَامَ مُقِيمٌ
فِي هَذَا الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ مُدَّةً قَصِيرَةً لِيَعْبُرَهُ وَيُنْظِمَهُ وَيُرْتَبَهُ حَتَّى إِذَا
ظَفِرَ بِهَذِهِ الْمُرْتَبَةِ عَلَى الْكَمَالِ انْتَقَلَ إِلَى الْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ وَأَقَامَ
فِيهِ دَائِمًا سَرْمَدًا فِي صُحْبَةِ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ وَيَبْغِي أَنْ
يُفْهَمَ مِنْ قَوْلِنَا الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ وَالْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ مَا ذَكَرْنَاهُ فِيمَا تَقَدَّمَ
قَائِلًا قَدْ قُلْنَا هُنَاكَ إِنَّا لَنَسْنَا نَعْنِي بِالْعُلَوِيِّ الْمَكَانَ الْأَعْلَى فِي الْجِسْرِ
وَلَا بِالْعَالَمِ السُّفْلِيِّ الْمَكَانَ الْأَسْفَلَ فِي الْجِسْرِ بَلْ كُلُّ مُحْسُوسٍ
فَهُوَ أَسْفَلٌ وَإِنْ كَانَ مُحْسُوسًا فِي الْمَكَانِ الْأَعْلَى وَكُلُّ مَعْقُولٍ فَهُوَ

أَعْلَى وَإِنْ كَانَ مَعْقُولًا فِي الْمَكَانِ الْأَسْفَلِ . وَيَتَّبِعِي أَنْ يُعْلَمَ أَنَّهُ
لَيْسَ يُحْتَاجُ فِي صِحَّةِ الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ الْمُسْتَعْنِيَةِ عَنِ الْأَبْدَانِ إِلَى
شَيْءٍ مِنَ السَّعَادَاتِ الْبَدَنِيَّةِ الَّتِي ذَكَرْنَاهَا سِوَى سَعَادَةِ النَّفْسِ فَقَطُّ
أَعْنِي الْمَعْقُولَاتِ الْأَبَدِيَّةِ الَّتِي هِيَ الْحِكْمَةُ فَقَطُّ . فَإِذَا مَا دَامَ
الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا فَلَيْسَ يَتِمُّ لَهُ السَّعَادَةُ إِلَّا بِتَحْصِيلِ الْحَالَيْنِ جَمِيعًا
وَلَيْسَ يَخْضُلَانِ عَلَى التَّامِّ إِلَّا بِالْأَشْيَاءِ النَّافِعَةِ فِي الْوُضُوعِ إِلَى
الْحِكْمَةِ الْبَدَنِيَّةِ . فَالسَّعِيدُ إِذَا مِنَ النَّاسِ يَكُونُ فِي إِحْدَى
مَرَّتَيْنِ إِمَّا فِي رُتَبَةِ الْأَشْيَاءِ الْجَمَانِيَّةِ مُتَعَلِّقًا بِأَحْوَالِهَا السُّفْلَى
سَعِيدًا بِهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُطَالِعُ الْأُمُورَ الشَّرِيفَةَ بَاحِثًا عَنْهَا مُشْتَاقًا
إِلَيْهَا مُتَحَرِّكًا نَحْوَهَا مُغْتَبِطًا بِهَا . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ فِي رُتَبَةِ الْأَشْيَاءِ
الرُّوحَانِيَّةِ مُتَعَلِّقًا بِأَحْوَالِهَا الْعُلْيَا سَعِيدًا بِهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ يُطَالِعُ
الْأُمُورَ الْبَدَنِيَّةَ مُغْتَبِطًا بِهَا نَاطِرًا فِي عِلَامَاتِ الْقُدْرَةِ الْإِلَهِيَّةِ
وَدَلَالِ الْبَلَاءِ مُقْتَدِرًا بِهَا نَاطِلًا لَهَا مُفِيضًا لِحَايَاتِ عَلَيْهَا
سَابِقًا لَهَا نَحْوُ الْأَفْضَلِ فَالْأَفْضَلُ بِحَسَبِ قَبُولِهَا وَعَلَى نَحْوِ اسْتِطَاعَتِهَا .
وَأَيُّ أَمْرٍ لَمْ يَخْضُلْ فِي إِحْدَى هَاتَيْنِ الْمَرَّتَيْنِ فَهُوَ فِي رُتَبَةِ
الْأَنْعَامِ بَلْ هُوَ أَضَلُّ وَإِنَّمَا صَارَ أَضَلَّ لِأَنَّ تِلْكَ غَيْرُ مُعَرَّضَةٍ لَهُذِهِ
الْخَيْرَاتِ وَلَا أُعْطِيَتْ اسْتِطَاعَةً تَتَحَرَّكُ بِهَا نَحْوُ هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الْعَالِيَةِ
وَإِنَّمَا تَتَحَرَّكُ بِقُوَّاهَا نَحْوُ كَمَالِهَا الْخَاصَّةِ بِهَا وَالْإِنْسَانُ مُعَرَّضٌ لَهَا
مَنْدُوبٌ إِلَيْهَا مُزَاحٌ الْعِلَّةِ فِيهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ غَيْرُ مُحْصِلٍ لَهَا وَلَا سَاعِدٍ
نَحْوَهَا وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ مُؤَثِّرٌ لِضِدِّهَا يَسْتَعْمِلُ قُوَّاهُ الشَّرِيفَةَ فِي

الأمور الدنيئة وتلك محصلة كمالها التي تحضها. فإذا الأنعام إذا
 منعت الخيرات الإنسانية حرمت جوار الأزواح الطيبة ودخول الجنة
 التي وعد بها التلقون فهي معذورة والإنسان غير معذور. ومثل
 الأول مثل الأعمى إذا جاز عن الطريق فتردى في بئر فهو مرحوم
 غير مأوم. ومثل الثاني مثل بصير يجور على بصيرة حتى يتردى في
 البئر فهو ممقوت مأوم. وإذا قد تبين أن السعيد لا محالة في إحدى
 المراتبتين اللتين ذكرناهما فقد تبين أيضا أن أحدهما ناقص مقصر
 عن الآخر وأن النقص بينهما ليس يخلو ولا يتعري من الألام
 والحسرات لأجل خداع الطبيعة والزخارف الحسية التي تغتر بها
 فيما يلبسها وتغورها عما يلاحظه وتنمعه من الرقي فيها على ما ينبغي
 وتشغله بما يتعلق به من الأمور الجسمانية فصاحب هذه المرتبة غير
 كامل على الإطلاق ولا سعيد تام. وأن صاحب المرتبة الأخرى
 هو السعيد التام وهو الذي نوفر حظته من الحكمة فهو مقيم
 بروحانيته بين الملأ الأعلى يستمد منهم لطائف الحكمة ويستفيد
 بالنور الإلهي ويستزيد من فضائله بحسب عنايته بها وقلة عوائقه
 عنها ولذلك يكون أبدا خاليا من الألام والحسرات التي لا يخلو
 صاحب المرتبة الأولى منها. ويكون مسرورا أبدا بذاته مقيطا
 بحاله وبما يحصل له دائما من فيض نور الأول فليس يسر إلا بتلك
 الأحوال ولا يعقبط إلا بتلك التحاسين ولا يهش إلا لإظهار
 تلك الحكمة بين أهلها ولا يرتاح إلا لمن ناسبه أو قاربه

وَأَحَبُّ الْأَقْبَاسِ مِنْهُ . وَهَذِهِ هِيَ الْمُرْتَبَةُ الَّتِي مَنْ وَصَلَ إِلَيْهَا فَقَدْ
وَصَلَ إِلَى آخِرِ السَّعَادَاتِ وَأَقْصَا مَا وَهُوَ الَّذِي لَا يُبَالِي بِفِرَاقِ
الْأَحْبَابِ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَا يَتَحَسَّرُ عَلَى مَا يَفُوتُهُ مِنَ التَّشْمُعِ فِيهَا
وَهُوَ الَّذِي يَرَى جِسْمَهُ وَمَالَهُ وَجَمِيعَ خَيْرَاتِ الدُّنْيَا الَّتِي عَدَدَ نَاهَا فِي
السَّعَادَاتِ الَّتِي فِي بَدَنِهِ وَأَخَارِجِهِ عَنْهُ كُلِّهَا كَلَاءً عَلَيْهِ إِلَّا فِي
ضُرُورَاتٍ يَحْتَاجُ إِلَيْهَا لِبَدَنِهِ الَّذِي هُوَ مَرْبُوطٌ بِهِ لَا يَسْتَطِيعُ
الْإِحْلَالَ عَنْهُ إِلَّا عِنْدَ مَشِيئَةِ خَالِقِهِ وَهُوَ الَّذِي يَشْتَأِقُ إِلَى ضُجْبَةِ
أَشْكَالِهِ وَمُلَاقَاةِ مَنْ يُنَاسِبُهُ مِنَ الْأَرْوَاحِ الطَّيِّبَةِ وَالْمَلَائِكَةِ
الْمُقَرَّبِينَ وَهُوَ الَّذِي لَا يَفْعَلُ إِلَّا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ مِنْهُ وَلَا يَخْتَارُ إِلَّا
مَا قُرِبَ إِلَيْهِ وَلَا يُخَالِفُهُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ شَهَوَاتِهِ الرَّدِيئَةِ وَلَا يَخْجَعُ
بِحُدَايِعِ الطَّيِّعَةِ وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ يَعُوقُهُ عَنْ سَعَادَتِهِ وَهُوَ الَّذِي
لَا يَحْزَنُ عَلَى فَقْدِ مُحَبِّبٍ وَلَا يَتَحَسَّرُ عَلَى قُوْتِ مَطْلُوبٍ . إِلَّا أَنَّ
الْمُرْتَبَةَ الْأَخِيرَةَ تَتَفَاوَتْ تَفَاوُتًا عَظِيمًا أَعْنِي أَنَّ مَنْ يَصِلُ إِلَيْهَا مِنْ
النَّاسِ يَكُونُ عَلَى طَبَقَاتٍ كَثِيرَةٍ غَيْرِ مُتَقَارِبَةٍ وَهَاتَانِ الْمُرْتَبَتَانِ هُمَا
الَّتَانِ سَاقَ الْحَكِيمِ الْكَلَامَ إِلَيْهِمَا وَاخْتَارَ الْمُرْتَبَةَ الْأَخِيرَةَ مِنْهُمَا . .
(وَإِذْ قَدْ لَحَضْنَا أَمْرَهُاتَيْنِ الْمُرْتَبَتَيْنِ مِنَ السَّعَادَةِ الْقُصْوَى) فَقَدْ تَبَيَّنَ
بَيَانًا كَافِيًا أَنَّ أَحَدَهُمَا بِالْإِصَاقَةِ إِلَيْنَا أَوْلَى وَالْأُخْرَى ثَلَاثِيَّةٌ وَمِنْ
الْمَحَالِ أَنْ تَسْلُكَ إِلَى الثَّانِيَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُعْرَى بِالْأُولَى . . ثُمَّ أَعْلَمَ أَنَّ
مَنْ غَنِيَ بِبَعْضِ الْقُوَى الَّتِي ذَكَرْنَاهَا دُونَ بَعْضٍ أَوْ تَعَمَّدَ لِإِصْلَاحِهَا
فِي وَقْتٍ دُونَ وَقْتٍ لَمْ تَحْصُلْ لَهُ السَّعَادَةُ الثَّامَّةُ . . .

البحث الثامن

في أنه ينبغي للخطيب المشير ان يعرف الاشياء النافعة

وفي مقابلة الخير مع النافع ومقابلة الخيور مع بعضها

(من كتاب خطابة ارسطاطاليس تعريب ابن رشد)

قَدْ تَبَيَّنَتْ أَلْفَايَاتُ الْآتِي مِنْ أَجْلِهَا يُشِيرُ الْمَشِيرُ وَمِنْهَا تَتَبَيَّنُ
أَضْدَادُهَا الْآتِي مِنْ أَجْلِهَا يَنْعُ الْمَشِيرُ وَهِيَ تُؤَلَّفُ مِنْهَا أَقَاوِيلُ
أَلْتَمَعُ إِذَا كَانَ عَدَدُهَا هُوَ ذَلِكَ الْعَدَدُ بِعَيْنِهِ وَوَضَعُهَا مِنَ الْأَقَاوِيلِ
الْمَشُورِيَّةِ هُوَ ذَلِكَ الْوَضْعُ بِعَيْنِهِ وَمِنْ أَجْلِ أَنْ الْمَشِيرَ إِنَّمَا غَرَضُهُ
الْمُقَدَّمُ فِي فِكْرِهِ هُوَ أَنْ يُشِيرَ بِالشَّيْءِ النَّافِعِ الَّذِي تَلَزَمُ عَنْهُ وَاحِدَةٌ
وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ أَلْفَايَاتِ ذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ أَلْفَايَاتِ هِيَ أَوَّلُ الْفِكْرَةِ
وَأَخِرُ الْعَمَلِ وَالْأَشْيَاءِ النَّافِعَةِ هِيَ آخِرُ الْفِكْرَةِ وَأَوَّلُ الْعَمَلِ
وَأَعْنِي بِأَوَّلِ الْفِكْرِ النَّتِيجَةَ وَبِآخِرِ الْفِكْرِ الْمَقْدَمَاتِ

فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْخَطِيبِ أَصُولٌ وَقَوَانِينُ يَعْرِفُ بِهَا الْأَشْيَاءَ
النَّافِعَةَ فِي أَلْفَايَاتِ وَهِيَ الْعَوَاقِبُ إِذَا كَانَتْ هِيَ أَوَّلُ الْعَمَلِ
وَالنَّافِعَاتُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ خَيْرًا مُطْلَقًا فَهِيَ خَيْرٌ لِأَنَّهَا طَرِيقٌ إِلَى
الْخَيْرِ بِإِطْلَاقٍ فَالْخَيْرُ الْمَطْلُوقُ هُوَ الَّذِي يُنْتَخَرُ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ وَيُخْتَارُ
غَيْرُهُ مِنْ أَجْلِهِ وَهُوَ الَّذِي يَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ الْكُلُّ وَأَعْنِي هَاهُنَا
بِالْكُلِّ ذَرِي الْفَهْمِ الْحَسَنِ مِنَ النَّاسِ وَالذُّكَّاءِ وَذَلِكَ قَدْ
يَكُونُ خَيْرًا فِي الْحَقِيقَةِ وَقَدْ يَكُونُ خَيْرًا فِي الظَّنِّ وَذَلِكَ بِحَسَبِ
أَعْتِقَادِ إِنْسَانٍ إِنْسَانٍ فِي هَذَا الْخَيْرِ وَلِذَلِكَ إِذَا كَانَ الشَّيْءُ الَّذِي

يَعْتَقِدُ فِيهِ الْإِنْسَانُ هَذَا الْأَعْتِقَادَ مَوْجُودَهُ لَهُ فَقَدْ اسْتَقْتَى بِهِ وَنَالَ
حَاجَتَهُ وَلَمْ يَبْقَ لَهُ تَشَوُّقٌ إِلَى شَيْءٍ أَصْلًا. وَالْأَشْيَاءُ النَّافِعَةُ فِي هَذَا
الْخَيْرِ هِيَ بِالْجُمْلَةِ أَرْبَعَةُ أَجْنَاسٍ الْأَشْيَاءُ الْفَاعِلَةُ وَالْأَشْيَاءُ الْحَافِظَةُ
لَهُ وَمَا يَلْزَمُ الْفَاعِلَةَ وَذَلِكَ أَنَّ لَزِمَ الشَّيْءُ يُعَدُّ مَعَ الشَّيْءِ. وَكَذَلِكَ
أَيْضًا لَزِمَ الْمُفْسِدُ لِلشَّيْءِ يُعَدُّ مَعَ الْمُفْسِدِ. وَلَزِمَ ضِدَّ الْفَاعِلِ مَعَ
ضِدَّ الْفَاعِلِ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي يَنْهَى عَنْهَا وَلَزِمَ الْغَايَةُ لِلْفَاعِلِ رُبَّمَا
كَانَ مَعًا مِثْلُ مَا يَلْزَمُ الْمَذْحَ اقْتِنَاءُ الْأَشْيَاءِ الْمَدْرُوحَةِ وَرُبَّمَا كَانَ
مُتَاخِرًا وَشَلَّ الْعِلْمُ الَّذِي يَتَّبِعُ التَّعْلَمَ بِآخِرَةٍ. وَالْأَشْيَاءُ الْفَاعِلَةُ ثَلَاثَةٌ
أَصْنَافٍ إِمَّا بِالذَّاتِ وَإِمَّا بِالْعَرَضِ. وَالَّذِي بِالذَّاتِ أَثْنَانِ إِمَّا
قَرِيبٌ وَمِثْلُ فِعْلِ الْغِذَاءِ لِلصِّحَّةِ. وَإِمَّا بَعِيدٌ مِثْلُ الطَّيِّبِ. وَالَّذِي
بِالْعَرَضِ وَمِثْلُ فِعْلِ التَّعَبِ فِي الرِّيَاضَةِ لِلصِّحَّةِ. وَإِذَا كَانَ وَاجِبًا أَنْ
تَكُونَ أَصْنَافُ الْأَشْيَاءِ الْفَاعِلَةِ لِلْخَيْرِ هِيَ هَذِهِ الْأَصْنَافُ الثَّلَاثَةُ
فَبِإِضْطِرَارٍ أَنْ تَكُونَ الْأُمُورُ النَّافِعَةُ فِي الْخَيْرِ بَعْضُهَا خَيْرٌ فِي ذَاتِهَا
مِثْلُ نَفْعِ الْغِذَاءِ فِي الصِّحَّةِ وَبَعْضُهَا شَرٌّ فِي ذَاتِهَا وَخَيْرٌ مَا يَجْسِبُ
نَفْعَهَا فِي الْخَيْرِ مِثْلُ شُرْبِ الدَّوَاءِ لِلصِّحَّةِ. وَالشَّرُّ الَّتِي تَنْفَعُ فِي
الْخَيْرِ هِيَ نَافِعَةٌ عَلَى وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنْ يُسْتَفَادَ بِهَا خَيْرٌ هُوَ أَعْظَمُ
مِنَ الشَّرِّ الْأَخْقِ مِنْ اسْتِعْمَالِهَا مِثْلُ اسْتِفَادَةِ الصِّحَّةِ عَنْ شُرْبِ
الدَّوَاءِ وَمِثْلُ الْمَشَقَّةِ الْيَسِيرَةِ فِي اسْتِفَادَةِ أَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ. وَمِنْهَا مَا
يُنَالُ بِهِ السَّلَامَةُ مِنْ شَرٍّ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الشَّرِّ الَّذِي يُنَالُ مِنْهَا
مِثْلُ مَا يُنَالُ رُكَّابَ النُّجَرِ مِنَ السَّلَامَةِ إِذَا طَرَحُوا أَمَتِيَّتَهُمْ فَإِنَّ

طَرَحَ أَمْتِعَتَهُمْ شَرٌّ لَكِنْ تُسْتَفَادُ مِنْهُ السَّلَامَةُ مِنْ شَرِّ هُوَ أَعْظَمُ
وَهُوَ أَمْطَبُ. وَالْخَيْرَاتُ الَّتِي تُسْتَفَادُ مِنَ الْخَيْرَاتِ يُسَمِّيَهَا أَرِسْطُو
قَوَائِدَ بِإِطْلَاقٍ وَأَمَّا تِلْكَ فَيُسَمِّيَهَا أُنْتِقَالًا وَيَعْنِي بِذَلِكَ أَنَّهَا أُنْتَقَالٌ
مِنْ شَرِّ إِلَى مَا هُوَ أَخَفُّ شَرًّا مِنْهُ أَوْ أُنْتَقَالٌ مِنْ شَرِّ إِلَى مَا هُوَ
خَيْرٌ

(قَالَ) وَالْفَضَائِلُ وَإِنْ كَانَتْ غَايَاتٍ فَهِيَ أَيْضًا خَيْرَاتٌ فِي
أَنْفُسِهَا وَنَافِعَةٌ فِي الْخَيْرِ فَإِنَّ الْمُقْتَسِمِينَ لَهَا هُمْ بِهَا حَسَنُوا الْأَحْوَالِ
وَهِيَ مَعَ هَذَا فَاعِلَةٌ لِلْخَيْرِ وَمُسْتَعْمَلَةٌ فِيهِ

(قَالَ) وَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ نُخْبِرَ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ وَكَيْفَ
هِيَ خَيْرٌ فِي نَفْسِهَا وَكَيْفَ هِيَ فَاعِلَةٌ لِلْخَيْرِ وَنَفِصَلُ الْأَمْرِ فِي ذَلِكَ.
وَالَّذَاتُ أَيْضًا هِيَ خَيْرٌ بِنَفْسِهَا لِأَنَّ جَمِيعَ الْخَيْرَانِ يَشْتَقُّ إِلَيْهَا.
وَالْأُمُورُ الْمَذْكُورَةُ إِنَّمَا تَكُونُ خَيْرًا إِذَا كَانَ بِهَا أَلْتَمُذٌ حَسَنَ الْحَالِ
وَقَدْ يَسْتَسِينُ مَنْ أَلْتَفَحَّحَ أَنَّهَا خَيْرٌ وَأَنَّهَا قَدْ تَكُونُ نَافِعَةً فِي الْخَيْرِ
وَأَجْزَاءَ صَلَاحِ الْحَالِ. وَبِالْجُمْلَةِ مِنْهَا مَا هِيَ غَايَاتٌ فَقَطْ. وَمِنْهَا مَا قَدْ
تُعَدُّ غَايَاتٍ وَهِيَ نَافِعَةٌ أَيْضًا فِي الْغَايَاتِ. وَذَلِكَ أَنَّ لِبَعْضِهَا تَرْتِيبًا
عِنْدَ بَعْضِ أَغْنِي أَنْ بَعْضُهَا عِلَّةٌ لَوْجُودِ بَعْضٍ وَمُتَقَدِّمٌ عَلَيْهِ. وَوَسَّالُ
ذَلِكَ أَنَّ الشُّجَاعَةَ وَالْحِكْمَةَ وَالْعَفَافَ وَكِبَرَ النَّفْسِ وَالنُّبْلَ وَمَا
أَشْبَهَهَا مِنْ فَضَائِلِ النَّفْسِ قَدْ تُخْتَارُ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ مِنْ أَجْزَاءِ صَلَاحِ
الْحَالِ مِنْ أَجْلِهَا. وَكَذَلِكَ الصِّحَّةُ وَالْجَمَالُ مِنْ فَضَائِلِ الْجَسَدِ قَدْ تُخْتَارُ
أَشْيَاءٌ مِنْ أَجْلِهَا هِيَ مِنْ صَلَاحِ الْحَالِ وَهِيَ فَاعِلَاتُهَا وَكَذَلِكَ تُخْتَارُ

فَاعِلَاتُ أَشْيَاءٍ أُخَرَ مِنْ صَلَاحِ الْحَالِ مِثْلُ فَاعِلَاتِ اللَّذَّةِ وَفَاعِلَاتِ
السَّيْرِ الْحَسَنَةِ . وَلِذَلِكَ مَا يُظَنُّ بِالسَّارِ أَنَّهُ خَيْرٌ إِذْ كَانَ سَبَبًا
لِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ أَحَدُهُمَا اللَّذَّةُ وَالْآخَرُ حُسْنُ السَّيْرِ
وَصَلَاحُ الْحَالِ بِكَثْرَةِ الْإِخْوَانِ قَدْ يُوجَدُ فَاعِلًا لِأَشْيَاءٍ كَثِيرَةٍ مِنْ
الْخَيْرَاتِ وَذَلِكَ إِذَا كَانَتِ الصَّدَاقَةُ الَّتِي بَيْنَهُمَا مِنْ أَجْلِ الْحَبَّةِ
نَفْسِهَا لَا أَنْ تَكُونَ الْحَبَّةُ بَيْنَهُمَا . مِنْ أَجْلِ شَيْءٍ أُخَرَ فَإِنَّ
الْإِخْوَانَ الَّذِينَ بِهَذِهِ الصِّفَةِ هُمْ يَفْعَلُونَ الْكِرَامَةَ وَالشَّجِيدَ وَغَيْرَ
ذَلِكَ بِمَا يُجْرِي مَجْرَاهُمَا مِنَ الْخَيْرَاتِ وَذَلِكَ يَكُونُ مِنْهُمْ بِالْقَوْلِ
وَالْفِعْلِ فَإِنَّ الْأَقْوَالَ وَالْأَفْعَالَ الَّتِي تُفْعَلُ بِهَا الْكِرَامَةُ وَالشَّجِيدُ
وغير ذلك مما يُجْرِي مَجْرَاهُمَا هِيَ خَيْرٌ وَنَافِعٌ

(قَالَ) وَمِنْ النَّافِعَاتِ بِذَاتِهَا الْمَلَكَاتُ الطَّبِيعِيَّةُ الَّتِي يَكُونُ
الْإِنْسَانُ بِهَا مُسْتَعِدًّا لِأَشْيَاءٍ حَسَنَةٍ مِثْلِ الذِّكَاءِ وَالْحَفِظِ وَالْعِلْمِ
وَجَفَةِ الْحَرَكَاتِ . وَكَذَلِكَ الْكَمَالَاتُ مِثْلُ الْعَاوِمِ وَالصَّانِعِ وَكَذَلِكَ
السَّيْرِ الْمُحْمَدَةِ وَهَذِهِ كُلُّهَا مَعَ أَنَّهَا نَافِعَةٌ فِي غَيْرِهَا هِيَ خَيْرٌ فِي
نَفْسِهَا وَإِنْ لَمْ يَتَّصِلْ بِهَا خَيْرٌ أُخَرُ فَهِيَ خَيْرَاتٌ مُنْفَرِدَةٌ بِأَنْفُسِهَا
مُخْتَارَةٌ لِذَاتِهَا وَأَلْبَرُ، أَيْضًا خَيْرٌ نَافِعٌ

(قَالَ) فَهَذِهِ هِيَ الْخَيْرَاتُ الَّتِي يُعْتَرَفُ بِهَا وَيُجْتَمَعُ أَنَّهَا خَيْرَاتٌ
وَنَافِعَاتٌ وَمَتَى بُيِّنَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا أَنَّهَا خَيْرٌ قَدْ لِكَانَ لَا عَلَى طَرِيقِ
الْإِرَاءِ وَالْمَعَالِطَةِ الْمُسْتَعْمَلَةِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ . وَأَمَّا إِذَا بُيِّنَ فِي شَيْءٍ
مِنْ أَضْدَادِ هَذِهِ أَنَّهَا خَيْرٌ وَفِيهَا أَنَّهَا شَرٌّ قَدْ لِكَانَ يَكُونُ فِي هَذِهِ

الْصَّنَاعَةِ عَلَى طَرِيقِ الْمِرَاءِ أَغْنَى بَيَانِ سُوفِسْطَايِي. وَذَلِكَ أَنَّ الشَّرَّ
إِنَّمَا يَنْفَعُ بِالْعَرَضِ مِثْلُ أَنْ يُبَيِّنَ خَطِيبٌ لِأَهْلِ مَدِينَةٍ مَا أَنَّ
أَجْبُنَ لَهُمْ خَيْرٌ لَّانْتَهُمْ إِنْ سَجَعُوا خَرَجُوا عَنِ الْمَدِينَةِ فَقَالَ مِنْهُمْ
أَلْعَدُوُّ وَلَكِنْ أَجْبُنُ لَيْسَ هُوَ خَيْرًا عَلَى الْإِطْلَاقِ وَلَئِنَّمَا كَانَ خَيْرًا
بِالْإِضَافَةِ إِلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ عَرَضَ لَهُمْ هَذَا. وَأَمَّا الدَّافِعُ فِي
الْأَكْثَرِ بِأَلذَاتِ لِلْإِنْسَانِ فَهُوَ الْخَيْرُ كَمَا أَنَّ الشَّرَّ الْمَضَادُّ لِلْخَيْرِ
هُوَ نَافِعٌ لِلْعَدَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ أَجْبُنَ لَمَّا كَانَ شَرًّا لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ
بِالْعَرَضِ كَانَ نَافِعًا لِلْعَدَاءِ. وَالشَّجَاعَةُ لَمَّا كَانَتْ بِأَلذَاتِ خَيْرًا لَهُمْ
كَانَتْ ضَارَّةً بِالْعَدَاءِ إِلَّا أَنَّهُ قَدْ يَلْحَقُ مَا هُوَ شَرٌّ مَا لِلْإِنْسَانِ
أَنْ يَكُونَ ضَارًّا لِعَدُوِّهِ وَمَا هُوَ خَيْرٌ مَا لَهُ أَنْ يَكُونَ نَافِعًا لِعَدُوِّهِ
مِثْلُ أَجْبُنٍ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ الَّذِينَ إِذَا خَرَجُوا عَنِ الْمَدِينَةِ لَمْ تَكُنْ
لَهُمْ قُوَّةٌ يَقَاوِمُونَ بِهَا عَدُوَّهُمْ. فَيَنْبَغِي لِلْخَطِيبِ أَنْ يَتَحَوَّى فِي
كُلِّ وَقْتِ النَّافِعِ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَهَذِهِ الْقَضِيَّةُ أَيْضًا لَيْسَتْ كُتَيْبَةً
أَعْنَى الْقَائِلَةِ أَنَّ كُلَّ مَا يَضُرُّ الْعَدُوَّ وَيَكْرَهُهُ نَافِعٌ وَكُلُّ مَا يَنْفَعُ
الْعَدُوَّ وَيُسِرُّهُ ضَارٌّ فَإِنْ كَثِيرًا مَا يَكُونُ الْأَمْرُ الْوَاحِدُ ضَارًّا
لِلْإِنْسَانِ وَعَدُوِّهِ وَنَافِعًا لِلْإِنْسَانِ وَعَدُوِّهِ. فَيَقَالُ مَا هُوَ نَافِعٌ لِكِلَيْهِمَا
وَيُسِرُّ بِهِ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مُفَارَقَةُ الْعَدُوِّ عَدُوَّهُ إِذَا كَانَتْ بَعْدَ مُقَاتَلَةٍ
شَدِيدَةٍ بَيْنَهُمَا وَمُقَاوِمَةٌ أَشْفَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى الْعَطَبِ مِنْهَا
مَنْ غَيْرِ أَنْ يَظْفَرَ أَحَدُهُمَا بِصَاحِبِهِ فَإِنَّهُمَا إِذَا اقْتَرَقَا فِي إِثْرِ هَذِهِ
الْأَحَالِ سُرَّ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِالْأَفْدَاقِ وَلِذَلِكَ قَدْ يَكُونُ النَّافِعُ

نَافِعًا لِلْأَعْدَاءِ أَيْضًا . وَأَمَّا مَا هُوَ صَارَ لِكُلِّهِمَا فَكَثِيرًا مَا يُوجِبُ
صَدَاقَةَ الْعَدُوِّ . وَذَلِكَ إِذَا كَانَا مُتَسَاوِيَيْنِ فِي تَرَوُّلِ الشَّرِّ الْوَارِدِ
بِهِمَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَفْضَلَ أَحَدُهُمَا فِي ذَلِكَ صَاحِبَهُ . وَكَثِيرٌ مِنْ
الْأَنْهَارِ الْمُخْتَلِفَةِ كَانَ اتِّفَاقُهُمْ بِهَذَا السَّبَبِ وَلِذَلِكَ قِيلَ إِنَّ الشَّرَّ قَدْ
يَجْمَعُ النَّاسَ فَهَذَا أَيْضًا أَحَدُ مَا يَكُونُ بِهِ الشَّرُّ نَافِعًا أَعْنِي أَنْ
يَكُونُ الضَّرُّ النَّازِلُ بِالْإِنْسَانِ نَازِلًا بِعَدُوِّهِ . فَإِنَّ ذَلِكَ يُوجِبُ
صَدَاقَةَ الْعَدُوِّ وَجَيِّنَدُ يَهْوَى الْعَدُوُّ الْوَارِدُ ضِدَّ مَا يَهْوَاهُ كُلُّ وَاحِدٍ
مِنَ الْمُتَعَادِيَيْنِ الَّذِينَ وَرَدَ عَلَيْهِمَا الْعَدُوُّ مِنْ خَارِجٍ . وَذَلِكَ أَنَّ
كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُتَعَادِيَيْنِ يَهْوَى صَدَاقَةَ صَاحِبِهِ لِمَكَانِ تَعَاوُنِهِمَا عَلَى
الْعَدُوِّ الْوَارِدِ عَلَيْهِمَا مِنْ خَارِجٍ . وَالْعَدُوُّ الْوَارِدُ يَهْوَى بَقَاءَ عَدَاوَتِهِمَا
عَلَى حَالِهَا أَوْ تَأْكُيْدَهَا . وَارِسْطُو يَقُولُ : وَلِذَلِكَ كَثِيرًا مَا تُنْفَقُ
الْأَنْفَقَاتُ الْعَظِيمَةُ وَتُفْعَلُ الْأَفْعَالُ الْكَثِيرَةُ فِي مِثْلِ هَذَا الْخَيْرِ
الَّذِي يُدْفَعُ بِهِ الشَّرُّ الْعَظِيمُ وَإِنَّمَا تَطِيبُ النَّفْسُ بِالْأَمَقَاتِ فِي مِثْلِ
هَذِهِ الْأَشْيَاءِ لِظُهُورِ مَا يَلْزَمُ عَنْهَا مِنَ الْعَالِيَةِ الْمَطْلُوبَةِ وَفُرْجِهَا حَتَّى
كَانَهَا إِذَا وَجِدَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ وَجِدَتْ الْعَالِيَةَ . وَقَدْ يَكُونُ الشَّرُّ
الْمُفْرَطُ النَّازِلُ بِالْعَدُوِّ أَيْضًا سَبَبًا لِلْاعْتِرَافِ بِالْخَيْرِ الْيَسِيرِ الَّذِي
نَالَهُ مِنْ عَدُوِّهِ وَلَوْلَا هُ لَمْ يَعْتَرَفْ بِهِ الْعَدُوُّ . مِثْلُ مَا حَكَى أَرِسْطُو
أَنَّهُ عَرَضَ لِبَعْضِ الْمُلُوكِ الَّذِينَ كَانُوا أَعْدَاءَ لِلْيُونَانِيِّينَ أَنَّهُ اسْتَدَّتْ
مُحَارَبَتُهُمْ لَهُ وَحَضَرُهُمْ إِيَّاهُ سِنِينَ كَثِيرَةً وَقَتَلُوا فِي ذَلِكَ الْخِصَارِ
أَبْنَهُ فَسَأَلَهُمْ أَنْ يُنْظَوْهُ جُسْئَهُ لِيُخْرِقَهَا عَلَى عَادَتِهِمْ فِي مَوَاتِهِمْ فَعَمَلُوا

ذَلِكَ فَشَكَرَهُمْ عَلَى ذَلِكَ وَأَظْهَرَ شُكْرَهُمْ عِنْدَ جَمِيعِ قَوْمِهِ وَأَهْلِ
 مَدِينَتِهِ . فَلَوْلَا مَا تَرَلَّ بِهِ مِنَ الشَّرِّ الْعَظِيمِ لَمَّا شَكَرَهُمْ عَلَى هَذَا
 الشَّيْءِ الْبَسِيرِ الَّذِي سَخَّوْا لَهُ بِهِ كَمَا قَالَ ذَلِكَ أُوْمِيرُوشُ الشَّاعِرُ
 (قَالَ) وَمِنَ الْأَضْطِنَاعَاتِ النَّافِعَةِ وَالْأَفْعَالِ الَّتِي يَعْظُمُ قَدْرُهَا
 عِنْدَ الْمُضْطَنَعِ الْيَوْمَ فَيَصِيرُ بِهِ الْمُضْطَنَعُ إِلَى خَيْرٍ عَظِيمٍ مِنْ
 الْمُضْطَنَعِ الْيَوْمَ أَنْ يَخْتَارَ الْإِنْسَانُ إِنْسَانًا عَظِيمَ الْقَدْرِ مِنْ جِنْسٍ مَا
 مِنْ النَّاسِ لَهُ أَيْضًا عَدُوٌّ عَظِيمٌ الْقَدْرِ فِي جِنْسٍ آخَرَ مِنَ النَّاسِ
 فَيَفْعَلَ بِعَدُوِّ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الشَّرَّ وَبِأَصْدِقَائِهِ الْخَيْرَ . مِثْلَ مَا عَرَضَ
 لِأُوْمِيرُوشَ مَعَ الْيُونَانِيِّينَ وَأَعْدَائِهِمْ فَإِنَّهُ قَصَدَ إِلَى عَظِيمٍ
 مِنْ عَظَمَاءِ الْيُونَانِيِّينَ فِي الْقَدِيمِ وَخَصَّهُ بِالْمَدْحِ وَأَصْدِقَاءَهُ مِنْ
 الْيُونَانِيِّينَ . وَخَصَّ عَدُوَّاهُ عَظِيمًا بِالْهَجْوِ هُوَ وَقَوْمُهُ الْمَعَادِينَ
 لِلْيُونَانِيِّينَ فِي حُرُوبٍ وَقَعَتْ بَيْنَهُمَا فَكَانَ رَبُّ التَّعَمُّعِ الْعَظِيمَةِ
 بِذَلِكَ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ وَعَظَّمُوهُ كُلَّ التَّعَمُّعِ حَتَّى اعْتَقَدُوا فِيهِ أَنَّهُ كَانَ
 رَجُلًا إلهيًا وَأَنَّهُ كَانَ أَلْعَلَمَ الْأَوَّلَ لِجَمِيعِ الْيُونَانِيِّينَ . وَبِالْجُمْلَةِ
 فَعِلَ الشَّرَّ بِالْأَعْدَاءِ وَالْخَيْرَ بِالْأَصْدِقَاءِ مِنَ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ .
 وَمِنْ شَرْطِ هَذَا الْفِعْلِ الَّذِي يَعْظُمُ مَوْقِعُهُ أَنْ يَكُونَ مَا فَعَلَ
 مِنْهُ يُرَى أَنَّهُ لَمْ يُمْكِنْ أَلْفَاعِلَ وَلَا تَيَسَّرَ لَهُ غَيْرُهُ وَسَوَاءٌ كَانَ أَلْفِعْلُ
 كَثِيرًا فِي نَفْسِهِ أَوْ يَسِيرًا وَأَنْ يَظُنَّ أَنْ فِعْلَهُ لَمْ يَكُنْ لِمَكَانٍ
 خَوْفٍ وَلَا شَيْءٍ يَرْجُوهُ بَلْ لِأَنَّ شَوْقَهُ وَهَوَاهُ قَادَهُ إِلَى ذَلِكَ فَإِنَّ
 هَذَا يَكُونُ أَلْفِعْلُ مُدَاوِمًا عَلَيْهِ مِنَ أَلْفَاعِلِ وَهُوَ السَّهْلُ عَلَيْهِ لِأَنَّ

الْأَفْعَالُ الَّتِي تَكُونُ مِنْ أَجْلِ خَوْفٍ إِنَّمَا تَكُونُ غَيْرَ شَاقَّةٍ زَمَانًا
 سِيرًا وَإِذَا طَالَ بِهَا الزَّمَانُ كَانَتْ شَاقَّةً فَأَنْقَطَعَتْ وَإِذَا انْقَطَعَتْ
 كَانَ مِنْ ذَلِكَ عَدَاوَةٌ مِنَ الْمُضْطَنِعِ إِلَيْهِ الْمُضْطَنِعُ . فَلِذَلِكَ
 يُشْتَرَطُ فِي هَذَا الْفِعْلِ أَنْ يَكُونَ سَهْلًا عَلَى الْقَاعِلِ فَهَذِهِ هِيَ
 شُرُوطُ الْأَبْدَاءِ بِالصَّنَائِعِ الَّتِي يَعْظُمُ مَوْقِعُهَا وَيُوجَدُ نَفْعُهَا . وَأَمَّا
 الْمُكَافَاةُ الَّتِي لَا يَعْظُمُ مَوْقِعُهَا فَهِيَ الْمُكَافَاةُ الَّتِي لَا تَكُونُ
 بِحَسَبِ مَا يَهْوَى الْمُكَافِي بِالطَّبْعِ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ وَهُوَ أَنْ
 تَكُونَ نَاقِصَةً عَنِ الصَّنِيعَةِ الَّتِي أُسْدِيَتْ إِلَيْهِ إِمَّا فِي الْكَيْفِيَّةِ
 وَإِمَّا فِي الْمَنْفَعَةِ وَإِمَّا لِأَنَّهَا قَدْ قُضِلَتْ عِنْدَ الْمُكَافِي وَلَيْسَ يَمْتَنَحُ
 إِلَيْهَا وَهِيَ الْمُكَافَاةُ الَّتِي يُعَاطُ فِيهَا وَإِنَّمَا كَانَ الْمُكَافِي بِالطَّبْعِ
 الَّذِي يَشْتَهِي أَنْ تَكُونَ مُكَافَاةً بِأَحَدِ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْأَحْوَالِ
 لِأَنَّ الْمُكَافِي كَأَنَّهُ مَقْصُورٌ عَلَى الْإِعْطَاءِ فَهُوَ إِنَّمَا يَشْتَهِي إِمَّا
 أَلَّا يُلْحَقَهُ نَقْصٌ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ
 النِّقْصُ أَقْلَ وَنَ الْخَيْرِ الَّذِي وَصَلَ إِلَيْهِ . فَإِذَا لَمْ تَكُنِ الْمُكَافَاةُ
 بِهَذِهِ الصِّفَةِ بَلْ كَانَتْ مُقَارِنَةً لِلصَّنِيعَةِ إِمَّا فِي الْجُلُوسِ مِثْلَ أَنْ
 تَكُونَ الْمُكَافَاةُ عَلَى الدَّائِرِ بِدَرَاهِمٍ وَإِمَّا فِي الْقُوَّةِ مِثْلَ أَنْ
 تَكُونَ الْمُكَافَاةُ عَلَى أَلْمَالٍ بِكَرَامَةٍ يُقْتَنَى بِهَا مِثْلَ ذَلِكَ أَلْمَالِ
 فَهِيَ الْمُكَافَاةُ الْعَادِلَةُ لِكِنِّهَا سُوقِيَّةٌ . فَإِذَا لَمْ تَكُنِ الْمُكَافَاةُ لَا
 سُوقِيَّةً وَلَا فِيهَا غَنٌّ بَلْ كَانَ الْمُكَافِي يُعْتَقَدُ فِيهِ أَنَّهُ لَيْسَ
 اخْتِيَارُهُ فِي الْمُكَافَاةِ لِمَا هُوَ أَنْقَصُ أَكْثَرَ مِنْ اخْتِيَارِهِ لِمَا هُوَ

أَزِيدُ وَسَوَاءٌ وَقَعَتْ مُكَافَأَتُهُ بِمَا هُوَ أَنْقَصُ أَوْ بِمَا هُوَ مُسَاوٍ. أَوْ بِمَا
هُوَ شَبِيهُ فِيهِ الْمُكَافَأَةُ الْجَمِيلَةُ لِأَنَّ مُكَافَأَتَهُ بِالْأَنْقَصِ لَمْ تَكُنْ
مِنْهُ بِاخْتِيَارٍ لِذَلِكَ بَلْ لِأَنَّهُ لَمْ يَتَيَسَّرْ ذَلِكَ فَإِذَا اتَّفَقَ أَنْ يَكُونَ
مَعَ هَذَا ذَلِكَ الْفَضْلُ بِمَا يَسُرُّ بِهِ الْأَصْدِقَاءُ أَعْنِي أَصْدِقَاءَ
الْمُكَافِيءِ بِالْفِعْلِ وَيَسُوهُ أَعْدَاءُهُ وَيَكُونُ مَعَ هَذَا مُتَّحِبًا مِنْهُ
عِنْدَ الْجُمْهُورِ. وَذَلِكَ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَنْ صَدَرَ عَنْهُ عَظِيمُ مَوْقِعِهِ مِنَ
الْمُضْطَنَعِ إِلَيْهِ وَبِخَاصَّةٍ إِذَا كَانَتِ الصَّنِيعَةُ بِمَا تَوَافَقُ شَهْوَةُ الْمُضْطَنَعِ
إِلَيْهِ. مِثْلُ أَنْ يُكَافِيَ أَوْ يُبَدَأَ مُحِبُّ الْكَرَامَةِ بِالْكَرَامَةِ وَمُحِبُّ
الْأَمَالِ بِالْأَمَالِ وَمُحِبُّ الْعَلَبَةِ بِالْعَلَبَةِ فَإِنَّ هَذِهِ الصَّنِيعَةَ لَيْسَتْ هِيَ
لَذِيذَةٌ فَقَطْ عِنْدَ الَّذِي تُضْطَنَعُ إِلَيْهِ أَوْ يُكَافَأُ بِهَا بَلْ هِيَ عِنْدَهُ
فَاضِلَةٌ وَكَذَلِكَ الْأَمْرُ فِي سَائِرِ أَصْنَافِ الْخَيْرَاتِ وَإِنَّمَا تَكُونُ
أَفْعَالُ الصَّانِعِ وَالْمُكَافَأَةُ عَلَى الْمُبْتَدَى وَالْمُكَافِيءِ أَفْعَالًا سَهْلَةً
يُمْكِنُ أَنْ يُدَاوِمُوا عَلَيْهَا مَتَى كَانُوا بِاسْتِعْدَادِهِمُ الطَّبِيعِيِّ مُهَيَّيْنِ
لِتِلْكَ الْأَفْعَالِ وَكَانَتْ قَدْ حَصَلَتْ لَهُمُ الْمَلَكَةُ الَّتِي بِهَا تُصَدَّرُ مِنْهُمْ
ذَلِكَ الْأَفْعَالُ وَمِنَ الصَّانِعِ السَّيِّدَةِ الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا لَيْسَ تُنْقُصُ
الْمُضْطَنَعُ شَيْئًا بِالْإِضْطِنَاعِ بِالتَّأْدِيبِ وَالْمَوْعِظَةِ



البحث التاسع

في اثمار الخيور وفي شروط تفضيل بعضها على بعض

والاسباب الموجبة لذلك

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَمِنْ هَذِهِ أَلْوَجُوهُ يَأْخُذُ الْخَطِيبُ أَلْقَدَمَاتِ أَلَّتِي مِنْهَا يُفْنَعُ أَنْ الشَّيْءَ نَافِعٌ أَوْ غَيْرُ نَافِعٍ. وَمِنْ أَجْلِ أَنْ الْخَطِيبَ قَدْ يَعْتَرِفُ أَحْيَانًا بِأَنَّ الْأَمْرَ نَافِعٌ وَلَكِنْ يَدَّعِي أَنَّ هَاهُا شَيْئًا هُوَ أَنْفَعُ فَقَدْ يَحْتَاجُ أَنْ تَكُونَ عِنْدَهُ مَوَاضِعُ يَقْدِرُ أَنْ يُبَيِّنَ بِهَا أَنَّ الْأَمْرَ أَنْفَعُ وَأَفْضَلُ. فَمِنْهَا أَنْ مَا كَانَ نَافِعًا فِي كُلِّ الْأَشْيَاءِ فَهُوَ أَنْفَعُ مِمَّا هُوَ نَافِعٌ فِي بَعْضِ الْأَشْيَاءِ. وَالَّذِي هُوَ أَدْوَمُ نَفْعًا هُوَ أَنْفَعُ مِنَ الَّذِي هُوَ أَقْصَرُ نَفْعًا. وَالَّذِي هُوَ أَكْثَرُ هُوَ أَنْفَعُ مِنَ الْأَصْغَرِ. وَالَّذِي هُوَ أَكْثَرُ هُوَ أَنْفَعُ مِنَ الْأَقَلِّ. وَالَّذِي جَمَعَ مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ أَكْثَرُ أَوْ جَمَعَ صِفَاتِهِ كُلَّهَا فَهُوَ أَنْفَعُ. وَصِفَاتُ الْخَيْرِ أَلْتَّامُ هُوَ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ مُخْتَارًا مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ لَا مِنْ أَجْلِ غَيْرِهِ وَأَنْ يَكُونَ مُتَشَوِّقًا عِنْدَ الْكُلِّ وَأَنْ يَكُونَ دَوْرُ أَلْفَضْلِ وَاللَّبِّ يَحْتَارُونَهُ وَالَّذِي جَمَعَ هَذِهِ الصِّفَاتِ كُلَّهَا أَوْ أَكْثَرَهَا فَهُوَ الْخَيْرُ وَالنَّافِعُ الَّذِي فِي أَلْعَايَةِ وَهُوَ أَلْعَايَةُ لِسَائِرِ الْأَشْيَاءِ أَلَّتِي تُوصَفُ بِالْخَيْرِ. وَالْأَشْيَاءُ أَلْمُتَّصِفَةُ بِالْخَيْرِ أَلْمُتَّعَلِّقَةُ بِهَذَا الْخَيْرِ الَّذِي

جَمَعَ هَذِهِ الصِّفَاتِ إِنَّمَا يُقَالُ فِيهَا أَنَّهَا أَنْفَعُ إِذَا وُجِدَ فِي وَاحِدٍ
 مِنْهَا صِفَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ هَذِهِ الصِّفَاتِ أَوْ أَكْثَرُ مِنْ صِفَةٍ وَاحِدَةٍ . وَكُلُّ
 مَا كَانَ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تُوْجِدُ فِيهِ صِفَاتٌ أَكْثَرُ مِنْ صِفَاتِ الْخَيْرِ
 فَهُوَ أَنْفَعُ مَا لَمْ تَكُنِ الصِّفَةُ الْوَاحِدَةُ أَنْفَعَ مِنْ اثْنَتَيْنِ أَوْ مِنْ
 ثَلَاثٍ . وَأَيْضًا قَمَا كَانَ الْعَظِيمُ فِيهِ أَفْضَلُ مِنَ الْعَظِيمِ فِي
 جِنْسٍ آخَرَ فَالْجِنْسُ الَّذِي فِيهِ الْعَظِيمُ الْأَفْضَلُ هُوَ أَفْضَلُ مِنَ
 الْجِنْسِ الْآخَرِ وَمَا كَانَ الْجِنْسُ مِنْهُ أَفْضَلُ مِنَ الْجِنْسِ الْأَفْضَلِ
 فَالْعَظِيمُ مِنَ الْجِنْسِ الْأَفْضَلِ أَفْضَلُ مِنَ الْعَظِيمِ مِنَ الْجِنْسِ الْآخَرِ
 وَهُوَ عَكْسُ الْأَوَّلِ . وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ الذَّكَرَانُ أَفْضَلُ
 مِنَ الْإِنَاثِ فَالرَّجُلُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَرَاةِ وَإِنْ كَانَ الرَّجُلُ أَفْضَلُ
 مِنَ الْمَرَاةِ فَالذَّكَرَانُ أَفْضَلُ مِنَ الْإِنَاثِ . وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ
 كَذَلِكَ لِأَنَّ نِسْبَةَ الْعَظِيمِ إِلَى جِنْسِهِ هِيَ كَنِسْبَةِ الْعَظِيمِ الْآخَرِ إِلَى
 جِنْسِهِ فَتَكُونُ نِسْبَةُ الْجِنْسِ إِلَى الْجِنْسِ هِيَ نِسْبَةُ الْعَظِيمِ إِلَى
 الْعَظِيمِ . ثُمَّ إِذَا كَانَ الشَّيْءُ لَا زِمًا لِشَيْءٍ مَا وَالْآخَرُ غَيْرَ لَا زِمٍ لَهُ
 فَإِنَّ الَّذِي يَلْزِمُ عَنْهُ الشَّيْءُ آتَرُ مِنَ الَّذِي لَا يَلْزِمُ عَنْهُ الشَّيْءُ .
 مِثَالُ ذَلِكَ السُّلْطَانُ وَالثَّرْوَةُ فَإِنَّ الثَّرْوَةَ تَلْزِمُ السُّلْطَانَ وَلَيْسَ يَلْزِمُ
 السُّلْطَانُ الثَّرْوَةَ . فَلِذَلِكَ السُّلْطَانُ أَفْضَلُ مِنَ الثَّرْوَةِ وَكَذَلِكَ الْحَالُ
 فِي الْمَضَارِّ فَإِنَّ الْفَقْرَ يَلْزِمُ عَنْهُ الْجُلُ وَلَيْسَ يَلْزِمُ عَنْ الْجُلِ الْفَقْرُ .
 فَالْفَقْرُ أَكْثَرُ شَرًّا مِنَ الْجُلِّ وَاللَّازِمُ يُوجَدُ عَلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ : إِمَّا
 أَنْ يُوْجَدَا مَعًا أَغْنَى اللَّازِمِ وَالْمَلْزُومِ مِثْلُ وُجُودِ الْأَبْيَضِ وَالْبَيَاضِ

مَعًا وَمِثْلُ لَزُومِ الْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ. وَإِمَّا أَنْ يُوجَدَ الْأَلَزَمُ تَابِعًا
بِآخِرَةٍ مِثْلُ لَزُومِ الْعِلْمِ عَنِ التَّعَلُّمِ. وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ تَلَاذُمُهُمَا فِي
الْفَقْرَةِ أَيْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا يَفْعَلُ فِعْلَ الْآخَرِ وَلَا يَنْعَكِسُ أَغْنِي
أَلَا يَفْعَلُ الْآخَرُ فِعْلَ الْأَوَّلِ. مِثَالُ ذَلِكَ الْفَقْرُ وَالْجُلُّ فَإِنَّ الْفَقْرَ
يَلْزِمُ عَنْهُ أَنْ يَفْعَلَ الْإِنْسَانُ فِعْلَ الْجُلِّ وَلَيْسَ يَلْزِمُ عَنِ الْجُلِّ فِعْلُ
الْفَقْرِ فَإِنَّ الْفَقْرَ يَعُوقُ عَنْ أَشْيَاءَ أَكْثَرُ مِنْ عَدَمِ اسْتِعْمَالِ الْمَالِ
الَّذِي هُوَ الْجُلُّ وَآيضًا الَّذِي يَفْعَلُ الْخَيْرَ لَا نَفْعَ هُوَ أَنْفَعُ مِنَ
النَّفْعِ. مِثَالُ ذَلِكَ الْجَلْدُ وَالْجَمَالُ فَإِنَّ كِلَيْهِمَا نَافِعٌ وَخَيْرٌ وَالْجَلْدُ
يُفْعَلُ بِهِ خَيْرٌ أَعْظَمُ مِمَّا يَفْعَلُ بِالْجَمَالِ فَهُوَ أَعْظَمُ نَفْعًا. وَكَذَلِكَ
الصِّحَّةُ آيضًا أَعْظَمُ نَفْعًا مِنَ اللَّذَّةِ لِأَنَّ الصِّحَّةَ يُفْعَلُ بِهَا خَيْرَاتٌ
أَكْثَرُ مِمَّا يَفْعَلُ بِاللَّذَاتِ. وَآيضًا فَإِنَّ الَّذِي يُخْتَارُ مُفْرَدًا أَفْضَلُ نَفْعًا
مِنَ الَّذِي لَا يُخْتَارُ إِلَّا مَعَ ذَلِكَ الْخُتَارِ مُفْرَدًا. وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ
الْجَمَالَ لَا يُخْتَارُ إِلَّا مَعَ الصِّحَّةِ وَالصِّحَّةُ تُخْتَارُ دُونَ الْجَمَالِ فَالصِّحَّةُ
أَفْضَلُ نَفْعًا مِنَ الْجَمَالِ. وَآيضًا إِذَا كَانَ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا كَمَالًا
وَالْآخَرُ طَرِيقٌ إِلَى الْكَمَالِ فَالَّذِي هُوَ كَمَالٌ أَفْضَلُ. مِثْلُ الصِّحَّةِ
وَاللَّذَّةِ فَإِنَّ الصِّحَّةَ كَمَالٌ وَاللَّذَّةُ كَوْنٌ وَالْكَوْنُ طَرِيقٌ إِلَى الْكَمَالِ.
وَإِذَا كَانَ شَيْئَانِ أَحَدُهُمَا يُخْتَارُ لِذَاتِهِ وَالْآخَرُ يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ غَيْرِهِ
فَالَّذِي يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ
غَيْرِهِ. مِثَالُ ذَلِكَ الْحِكْمَةُ وَاللِّسَارُ فَإِنَّ الْحِكْمَةَ تُخْتَارُ لِذَاتِهَا
وَاللِّسَارُ يُخْتَارُ لِغَيْرِهِ. وَآيضًا فَإِنَّ الَّذِي يَجْعَلُ الْكُلَّ إِذَا اقْتَنَاهُ أَقْلًا

حَاجَةً إِلَى أَصْدِقَانِهِ أَوْ إِلَى الْإِنْسَانِ فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَجْمَعُهُ
أَكْثَرُ حَاجَةٍ. فَإِنَّ مَنْ هُوَ أَكْثَرُ كِفَايَةً وَأَسْتِعْنَاءً عَنِ النَّاسِ هُوَ الَّذِي
يَحْتَاجُ إِلَى أَشْيَاءَ قَلِيلَةٍ الْعَدَدِ سَهْلٌ وَجُودُهَا. وَآيْضًا إِذَا كَانَ شَيْئَانِ
أَحَدُهُمَا يُخَوِّجُ أَقْتِنَاؤَهُ إِلَى الثَّانِيِ وَالثَّانِي لَا يُخَوِّجُ أَقْتِنَاؤَهُ إِلَى
الْآخَرِ فَإِنَّ الَّذِي لَا يُخَوِّجُ أَقْتِنَاؤَهُ إِلَى الْآخَرِ هُوَ أَثَرٌ. وَمِثَالُ ذَلِكَ
الْيَسَارُ وَالْبَنُونُ فَإِنَّ الْبَنِينَ يُخَوِّجُونَ إِلَى أَقْتِنَاءِ أَلْمَالِ وَالْيَسَارُ لَيْسَ
يُخَوِّجُ إِلَى أَقْتِنَاءِ الْبَنِينَ فَالْيَسَارُ أَفْضَلُ نَفْعًا

(قَالَ) وَيَسْتَبِينَ أَنَّ الشَّيْءَ الَّذِي هُوَ مَبْدَأٌ لَيْسَ يَلْزِمُ أَنْ يَكُونَ أَعْظَمَ
مِنَ الشَّيْءِ الَّذِي هُوَ لَهُ مَبْدَأٌ. وَذَلِكَ أَنَّ الْإِرَادَةَ مَبْدَأُ الْخَيْرِ وَفَعْلُ
الْخَيْرِ أَعْظَمُ مِنْ إِرَادَةِ الْخَيْرِ. وَكَذَلِكَ التَّعَلُّمُ وَالْعِلْمُ وَإِنْ كَانَ
لَيْسَ يُمَكِّنُ أَنْ يَكُونَ الشَّيْءُ النَّافِعُ دُونَ مَبْدَأِهِ. وَإِذَا كَانَ
شَيْئَانِ مَبْدَأَيْنِ لِشَيْئَيْنِ وَاحِدُ الْمَبْدَأَيْنِ أَعْظَمُ مِنَ الثَّانِيِ فَإِنَّ الَّذِي
يَكُونُ عَنِ الْمَبْدَأِ الْأَعْظَمِ أَعْظَمُ. وَعَكْسُ هَذَا أَيْضًا وَهُوَ إِذَا كَانَ
ثَمَانِ مَبْدَأَيْنِ لِشَيْئَيْنِ عَلَى أَنَّهُمَا فَاعِلٌ وَاحِدُهُمَا أَعْظَمُ مِنَ الثَّانِيِ
فَإِنَّ الَّذِي هُوَ مَبْدَأُ الْأَعْظَمِ أَعْظَمُ. وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ مَبْدَأَانِ عَلَى
أَنَّهُمَا غَايَةٌ وَإِذَا قِيسَ الْمَبْدَأُ الْفَاعِلُ إِلَى الْغَايَةِ أَمَكَّنَ أَنْ يُتَوَهَّمُ
أَنَّ الْفَاعِلَ أَعْظَمُ مِنَ الْغَايَةِ. وَذَلِكَ أَنَّ الْفَاعِلَ هُوَ الَّذِي يَفْعَلُ
الْغَايَةَ وَلَوْلَا هُوَ لَمْ تَوْجِدِ الْغَايَةَ وَأَمَكَّنَ أَنْ يُتَوَهَّمُ أَيْضًا أَنَّ الْغَايَةَ
أَعْظَمُ مِنَ الْمَبْدَأِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ لَوْلَا الْغَايَةُ لَكَانَ الْفَاعِلُ فَضْلًا. فَمِثَالُ
مَا تَجَعَلَ الْغَايَةَ فِيهِ أَعْظَمَ مِنَ الْفَاعِلِ قَوْلُ مَنْ يَقُولُ فِي الذَّمِّ: إِنَّ

فَلَا نَأْوِي بِأَن يُنْسَبَ إِلَى الْجَوْرِ فِي فِعْلِهِ كَذَا مِنْ فُلَانٍ الَّذِي
 أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُ ذَلِكَ الْفِعْلُ إِذْ لَوْ لَمْ يَفْعَلْ
 هُوَ ذَلِكَ الْفِعْلُ لَمْ يَتَّعْ ذَلِكَ الذَّرْرُ. وَمِثَالُ مَا يُجْعَلُ الْقَاعِلُ فِيهِ
 أَعْظَمُ مِنَ الْعَايَةِ قَوْلُ الْقَائِلِ: فُلَانٌ أَحَقُّ بِالشُّكْرِ عَلَى هَذَا الْفِعْلِ
 مِنْ فُلَانٍ لِأَن فُلَانًا هُوَ الَّذِي أَشَارَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ الْفِعْلِ وَلَوْلَا
 إِشَارَتُهُ لَمْ يَكُنْ لِفِعْلٍ ذَلِكَ الْفِعْلُ الْحَمْدُ وَفِي كِلَا الْمَوْضُوعَيْنِ
 مَا قَبِلَ الْعَايَةُ إِنَّمَا يُفْعَلُ لِمَكَانِ الْعَايَةِ. وَآيُضًا فَإِنَّ الَّذِي وَجُودُهُ
 أَقْلُ فَهُوَ أَفْضَلُ مِثْلُ الذَّهَبِ وَالْحَدِيدِ غَيْرَ أَنَّهُ إِنْ كَانَ الذَّهَبُ
 أَقْلَ وَجُودًا مِنَ الْحَدِيدِ فَلَيْسَ هُوَ أَنْفَعُ. وَآيُضًا مَقَابِلُ هَذَا وَهُوَ أَنَّ
 مَا كَثُرَ وَجُودُهُ فَهُوَ أَفْضَلُ مِمَّا قَلَّ وَجُودُهُ لِكَثْرَةِ مَنَافِعِهِ وَمِنْ هُنَا
 يُقَالُ إِنْ أَلَاءَ خَيْرٌ لِكَثْرَةِ وَجُودِهِ وَعُمُومِ مَنَافِعِهِ. وَآيُضًا فَإِنَّ مَا
 هُوَ أَعْسَرُ وَجُودًا فَهُوَ أَفْضَلُ لِأَن مَا عَسَرَ وَجُودُهُ قَلَّ وَجُودُهُ
 وَمَا قَلَّ وَجُودُهُ فَهُوَ غَرِيبٌ وَيَتَنَافَسُ فِيهِ. وَمَقَابِلُ ذَلِكَ وَهُوَ أَنَّ مَا
 سَهَلَ وَجُودُهُ فَهُوَ أَفْضَلُ لِأَنَّهُ يُوجَدُ فِي كُلِّ حِينٍ يَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ .
 وَآيُضًا الشَّيْءُ الَّذِي ضِدُّهُ أَعْظَمُ فَهُوَ أَفْضَلُ. وَآيُضًا الَّذِي عَدِمُهُ
 أَشَدُّ ضَرَرًا فَهُوَ أَنْفَعُ. وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُفْهَمَ هَاهُنَا مِنَ الْأَعْظَمِ
 وَالْأَقْلِ عِظَمُ الْمَقَائِيسَةِ فِي الْخَيْرِ فَقَطُّ بَلْ وَفِي الشَّرِّ وَفِيمَا هُوَ لَا
 خَيْرَ وَلَا شَرٍّ. وَآيُضًا فَإِنَّ الْعَايَاتِ وَالْأَشْيَاءَ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا تُفْعَلُ
 الْأَفْعَالُ إِذَا كَانَتْ الْعَايَاتُ بَعْضُهَا أَزِيدَ خَيْرًا مِنْ بَعْضٍ أَوْ أَزِيدَ
 شَرًّا مِنْ بَعْضٍ فَإِنَّ الْأُمُورَ الْمُتَقَدِّمَةَ لِتِلْكَ الْعَايَاتِ الْأَزِيدِ هِيَ

أَزِيدُ. وَآيْضًا فَإِنَّ مَا كَانَ مِنَ الْمَلَكَاتِ وَالْفَضَائِلِ وَبِالْجُمْلَةِ الْأَشْيَاءِ
 الْقَاعِلَةِ أَعْظَمُ فَإِنَّ أَعْمَالَهَا الصَّادِرَةَ عَنْهَا تَكُونُ أَعْظَمَ لِأَنَّ نِسْبَةَ
 الْأَفْعَالِ إِلَى مَبَادِيهَا هِيَ نِسْبَةُ الْمَبَادِي بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ. فَإِنَّهُ
 إِنْ كَانَ الْبَصَرُ أَثَرٌ مِنَ الشَّمِّ فَإِنَّ الْأَبْصَارَ أَثَرٌ مِنَ الشَّمِّ
 وَهَكَذَا يُوجَدُ الْأَمْرُ فِي جَمِيعِ الْأَفْعَالِ مَعَ أَسْبَابِهَا الْقَاعِلَةِ لَيْسَ
 فِي الذَّاتِيَّةِ قَطُّ بَلْ وَفِيمَا يَعْزُضُ عَنِ الشَّيْءِ بِإِلَافَتِهَا فَإِنَّ الْعَظِيمَ
 يَكُونُ إِلَافَتَهُ الَّذِي يَعْزُضُ لَهُ عَظِيمًا وَفِي الْأَعْرَاضِ الَّتِي تَجُودُ فِي
 الشَّيْءِ أَعْيُنُ أَنَّ الشَّيْءَ الْأَعْظَمَ الْعَرَضُ الَّتِي تَجُودُ فِيهِ أَكْثَرُ. وَآيْضًا
 أَنَّ يُحِبُّ الْإِنْسَانُ صَاحِبَ أَمَلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَنْ يُحِبَّ أَمَلًا لِأَنَّ
 حُبَّ الْإِنْسَانِ أَفْضَلُ مِنْ حُبِّ أَمَلٍ. وَآيْضًا فَإِنَّ الْفَضَائِلَ أَفْضَلُ
 مِنْ ذَوِي الْفَضَائِلِ وَالْأَشْيَاءِ الَّتِي شَهْوَتُهَا فَاضِلَةٌ أَفْضَلُ مِنَ الَّتِي
 شَهْوَتُهَا غَيْرُ فَاضِلَةٍ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ شَهْوَةَ الْعُلُومِ فَاضِلَةٌ وَشَهْوَةُ
 الْأَكْلِ وَالشَّرْبِ غَيْرُ فَاضِلَةٍ فَالْعُلُومُ أَفْضَلُ مِنَ الْأَكْلِ
 وَالشَّرْبِ. وَآيْضًا عَكْسُ هَذَا وَهُوَ أَنَّ مَا هُوَ أَفْضَلُ فَشَهْوَتُهُ أَفْضَلُ
 مِثْلُ أَنَّ الْحِكْمَةَ أَفْضَلُ مِنَ الصِّحَّةِ فَشَهْوَتُهَا أَفْضَلُ مِنْ شَهْوَةِ
 الصِّحَّةِ. وَآيْضًا فَإِنَّ الْعُلُومَ الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فَأَعْمَالُهَا خَيْرٌ
 وَأَفْضَلُ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا كَانَتِ الْعُلُومُ الْعِلْمِيَّةُ أَفْضَلَ مِنَ
 الْعَمَلِيَّةِ كَانَ فِعْلُهَا الَّذِي هُوَ الصِّدْقُ أَفْضَلَ مِنَ الَّتِي فِعْلُهَا الْعَمَلُ.
 وَعَكْسُ هَذَا وَهُوَ أَنَّ الَّتِي فِعْلُهَا أَفْضَلُ مِنَ الْعُلُومِ فَهِيَ أَفْضَلُ
 وَذَلِكَ أَنَّ الْوُقُوفَ عَلَى الْحَقِّ لَمَّا كَانَ أَفْضَلَ مِنَ الْعَمَلِ كَانَتْ

الصَّائِغُ الْعِلْمِيَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْعَمَلِيَّةِ وَإِنَّمَا كَانَا هَذَانِ الْمَوْضِعَانِ مُتَلَازِمَيْنِ لِأَنَّ نِسْبَةَ الصَّاعَةِ إِلَى الصَّاعَةِ هِيَ نِسْبَةُ فِعْلِهَا إِلَى فِعْلِهَا (قَالَ) وَالَّذِي يَحْكُمُ بِهِ الْكُلُّ مِنَ الْجُمْهُورِ أَوْ الْأَكْثَرُ أَوْ ذُوو الْأَلْبَابِ وَالْأَخْيَارُ الصَّالِحُونَ أَنَّهُ خَيْرٌ وَأَفْضَلُ فَهُوَ أَفْضَلُ بِإِطْلَاقٍ وَفِي نَفْسِهِ إِذَا كَانَ حُكْمُهُمْ فِي الْأَشْيَاءِ بِحَسَبِ فِطْرِهِمْ وَكَانُوا ذَوِي لُبٍّ لَا يَحْسَبُ مَا اسْتَفَادُوهُ مِنَ الْأَرْزَاءِ مِنْ خَارِجٍ فَإِنَّ ذَوِي الْأَلْبَابِ مِنَ النَّاسِ قَدْ يَقُولُونَ بِفِطْرِهِمْ فِي الْقَضَائِلِ وَالْخَيْرَاتِ مَا هِيَ وَكَمْ هِيَ وَعِنْدَ آيِ شَيْءٍ هِيَ وَإِنْ كَانَ مَا يَقِفُونَ عَلَيْهِ بِفِطْرِهِمْ دُونَ مَا يُوقِفُ عَلَيْهِ مِنْ ذَلِكَ فِي الْعُلُومِ وَمَا قِيلَ فِي حَدِّ الْخَيْرِ مِنْ أَنَّهُ الَّذِي يَتَشَوُّهُ الْكُلُّ إِنَّمَا يُرَادُ بِذَلِكَ الْخَيْرُ الَّذِي يَتَشَوُّهُ الْكُلُّ بِحَسَبِ فِطْرِهِمُ الطَّبِيعِيَّةِ أَعْنِي اللَّيْبِيَّةَ فَإِنَّ مَا تَتَشَوُّهُ الْفِطْرُ اللَّيْبِيَّةُ بِمَا هِيَ فِطْرٌ لَيْبِيَّةٌ هُوَ خَيْرٌ مُطْلَقٌ أَوْ خَيْرٌ أَفْضَلُ مِنْ خَيْرٍ مِثْلُ عِلْمِهِمْ أَنَّ الشُّجَاعَةَ وَالْأَدَبَ وَالْجَلَدَ خَيْرَاتٌ وَتَشْرِفُهُمْ إِيَّاهَا. وَأَمَّا الَّذِي هُوَ خَيْرٌ بِالإِضَافَةِ إِلَى إِنْسَانٍ مَا مِثْلُ مَنْ يَرَى مِنَ النَّاسِ الْفَاضِلِينَ أَنَّهُ أَنْ يُجَارَ عَلَيْهِ أَفْضَلُ مِنْ أَنْ يُجَوَّرَ هُوَ فَإِنَّ هَذَا الْخَيْرَ لَا يُدْرِكُهُ النَّاسُ بِحَسَبِ طَبَاعِهِمْ وَإِنَّمَا يَرَى هَذَا الرَّأْيُ الَّذِي هُوَ مِنَ النَّاسِ فِي غَايَةِ الْعَدْلِ وَالْفَضْلِ. وَإَيْضًا مَا كَانَ مِنَ الْخَيْرَاتِ مَعَهُ أَكْثَرُ لَذَّةٍ فَهُوَ أَثَرٌ. وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْكُلَّ مِنَ الْجُمْهُورِ يَتَسَدِّدُونَ إِلَى اللَّذَّةِ وَيَطْلُبُونَهَا وَطَلَبُهُمُ اللَّذَّةُ هُوَ مِنْ أَجْلِ اللَّذَّةِ نَفْسِهَا لَا مِنْ أَجْلِ شَيْءٍ آخَرَ غَيْرِهَا. وَمَا

كَانَ يَهْدِيهِ الصِّفَةُ أَغْنَى مُتَشَوِّقًا لِلْكَلِّ فَقَدْ قِيلَ إِنَّهُ الْخَيْرُ وَالْقَائِيَةُ
 قَالَتُ الدُّهُ إِذْنٌ خَيْرٌ وَالْأَزِيدُ لَذَّةٌ هِيَ الْمَلَذَّاتُ الَّتِي هِيَ أَبْرَأُ مِنَ الْأَذَى
 وَالْحُزْنِ وَادْوَمَ بَقَاءُ. وَاللَذَّةُ الْجَمِيلَةُ الَّتِي مِنَ اللَّذَّةِ الْقَبِيحَةِ لِأَنَّ الْجَمِيلَ
 يَمَّا قَدْ يُخْتَارُ بِذَاتِهِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَذِيذًا وَهُوَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُخْتَارُ
 الْمَرْءُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ لِيَكُونَهُ إِمَّا لِنَفْسِهِ وَإِمَّا لِصَدِيقِهِ. وَبِالْجَمَلَةِ فَكُلُّ
 مَا كَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَلَذَّةِ أَفْضَلَ فَهُوَ الَّذِي يَمَّا هُوَ أَحْسَنُ وَكُلُّ مَا هُوَ
 مِنْهَا أَطْوَلُ مُدَّةً فَهُوَ الَّذِي مِنَ الَّتِي هِيَ مِنْهَا أَقْصَرُ مُدَّةً وَكُلُّ مَا كَانَ
 مِنَ الْخَيْرَاتِ أَثْبَتَ فِيمَا فَهُوَ الَّذِي يَمَّا هُوَ أَقَلُّ تَبَاطًا وَذَلِكَ أَنَّ الصِّحَّةَ
 لَمَّا كَانَتْ أَرْتَخَ فِينَا مِنَ الْجَمَالِ كَانَ وَجُودُ الصِّحَّةِ لَنَا أَلَدَّ مِنْ
 وَجُودِ الْجَمَالِ. وَالْأَشْيَاءُ اللَّذِيذَةُ أَوْ الْأَكْثَرُ لَذَّةً إِنَّمَا السَّبَبُ
 فِي وَجُودِهَا لَنَا يَهْدِيهِ الصِّفَةُ أَحَدُ أَمْرَيْنِ إِمَّا طُولَ اعْتِيَادِ الشَّيْءِ حَتَّى
 يَصِيرَ لَنَا الْإِلْتِدَادُ بِهِ مِنْ قَبْلِ الْعَادَةِ كَالْحَالِ فِي اللَّذَّةِ الْخَالِصَةِ عَنْ
 الْعِلْمِ. وَإِمَّا مِنْ قَبْلِ أَنَّهَا لَذِيذَةٌ جِدًّا عِنْدَنَا بِالطَّبْعِ. وَالْهُوَى قَالِ الْأَشْيَاءُ
 إِذْنٌ إِنَّمَا تَصِيرُ أَكْثَرُ لَذَّةً إِمَّا مِنْ قَبْلِ طُولِ الزَّمَانِ وَإِمَّا مِنْ
 قَبْلِ الْهُوَى وَالْمُوَافَقَةِ الَّتِي بِالطَّبْعِ. وَجَمِيعُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُتَلَانِمُ هَوَانًا
 مُلَائِمَةً أَكْثَرُ فَإِنَّ مَنَفْعَتَهَا لَنَا إِنَّمَا تَكُونُ فِي دُسُوحِهَا وَثُبُوتِهَا.
 وَقَدْ تَوَخَّذُ مُقَدِّمَاتُ الْإِنْفَعِ وَالْأَفْضَلُ مِنْ مَوَاضِعِ النِّظَائِرِ
 وَالتَّحَارِيفِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَتْ الشَّجَاعَةُ أَثَرٌ مِنَ الْعَفَافِ قَالَ الرَّجُلُ
 الشَّجَاعُ أَثَرٌ مِنَ الرَّجُلِ الْعَلِيفِ

(قَالَ) وَمَا اخْتَارَهُ الْكُلُّ أَثَرِيًّا لَا يُخْتَارُهُ الْكُلُّ مِنْ

الْجُمْهُورِ وَمَا اخْتَارَهُ اَيْضًا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ اَثَرٌ مِمَّا يَخْتَارُهُ الْقَلِيلُ مِنَ
النَّاسِ فَإِنَّ الْخَيْرَ كَمَا قِيلَ هُوَ الَّذِي يَشْتَقُ إِلَيْهِ الْكُلُّ . وَمَا
اخْتَارَهُ اَيْضًا الْحُكَّامُ الْأَوَّلُ اَعْنِي الَّذِينَ لَا يَأْخُذُونَ بِالْأَحْكَامِ
مِنْ غَيْرِهِمْ وَهُمْ الشَّرَاعُ أَفْضَلُ مِمَّا لَمْ يَخْتَارُوهُ . وَمَا اخْتَارَهُ اَيْضًا
الَّذِينَ يَتْلَقُونَ بِالْأَحْكَامِ مِنْ هَؤُلَاءِ أَفْضَلُ مِمَّا لَيْسَ يَخْتَارُهُ هَؤُلَاءِ .
وَالَّذِينَ يَتْلَقُونَ بِالْأَحْكَامِ مِنَ الْحُكَّامِ الْأَوَّلِ وَهُمْ الَّذِينَ تَوَخَّذَ عَنْهُمْ
أُصُولُ الْأَحْكَامِ صِنْفَانِ إِمَّا سَاوِعٌ فَقَطْ مُبْلَغٌ وَإِمَّا سَاوِعٌ عَالِمٌ
أَيُّ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَسْتَنْبِطَ مِنْ تِلْكَ الْأُصُولِ أَحْكَامًا مَا لَمْ
يُصْرَحْ بِهَا الْحُكَّامُ الْأَوَّلُ . وَهَؤُلَاءِ صِنْفَانِ إِمَّا مُسَلِّطُونَ مِنْ قَبْلِ
الْحُكَّامِ الْأَوَّلِ وَهُمْ الْقَضَاةُ وَمَا أَشْبَهُهُمْ وَإِمَّا غَيْرُ مُسَلِّطِينَ وَهُمْ
الْفُقَهَاءُ . وَمِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ مَا لِجَمِيعِ اصْنَافِ الْمُتَلَقِّينَ مِنَ الْحُكَّامِ
الْأَوَّلِ أَنْ يَقُولُوا فِيهَا . وَهُوَ مَا سَمِعُوهُ أَوْ مَا شَاهَدُوهُ مِنْ أَحْكَامِ
الْأَوَّلِ وَمِنْهَا مَا يُخْتَصُّ بِذَوِي الْعِلْمِ وَنَهُمْ وَهُوَ الْقَوْلُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي
تُسْتَنْبِطُ عَنْ الْأَحْكَامِ الْأَوَّلِ الَّتِي صُرِّحَ بِهَا لِأَحْكَامِ الْأَوَّلِ وَلَيْسَ
لِلسَّامِعِينَ ذَوْنُ عِلْمٍ أَنْ يَقُولُوا فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ . وَإِمَّا الَّذِي يُخَصُّ
الْحُكَّامُ الْأَوَّلُ الْقَوْلُ فِيهِ فَهِيَ الْأُصُولُ الَّتِي تَتَرَدَّدُ مَثَرَةٌ
الْمَبَادِي لِسَائِرِ مَا يُحْكَمُ بِهِ السَّامِعُونَ ذَوُو الْعِلْمِ اَعْنِي الْمُسَلِّطِينَ
وَالْفُقَهَاءَ وَهِيَ الَّتِي يُسَمِّيَهَا أَرَسَطُو الْأُمُورِ الْعُظْمَى . وَالْفَضْلَاءُ الْأَبْرَارُ
الَّذِينَ جَرَتْ الْعَادَةُ أَنْ يَأْخُذَ عَنْهُمْ الْجَمِيعُ أَوْ الْأَكْثَرُ فَحُكْمُهُمْ
أَفْضَلُ فَإِنَّ عَدَمَ الْأَخْذِ قَدْ يُحِيلُ هَوَانًا وَنَقْصًا فِي الْمَرْءِ الْفَاضِلِ الْبَرِّ

وَقَوْلُهُ قَبُولُ لِقَوْلِهِ وَقَدْ يُحْيِلُ الْأَمْرُ بِعَكْسِ هَذَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ رُبَّمَا كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ الْفَاضِلُونَ مَقْبُولِي الْقَوْلِ مَعَ أَنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ أَحَدٌ مِنَ الْجُمْهُورِ عَنْهُمْ أَصْلًا شَيْئًا أَوْ إِنَّمَا أَخَذَ عَنْهُمْ قَلِيلٌ. وَذَلِكَ أَنَّ أَقَاوِيلَ هَؤُلَاءِ قَدْ يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مَقْبُولَةٌ بِجِهَةِ أُخْرَى وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ الْمَرْضِيُّ عِنْدَ الْجُمْهُورِ مَنْ لَيْسَ مَرْضِيًّا فِي نَفْسِهِ وَالْأَقَلُّ مِنَ الْجُمْهُورِ وَهُمْ ذَوُو التَّمْيِيزِ. وَآيُضًا فَإِنَّ الْفَاضِلِينَ الَّذِينَ كَتَمُوا قَضَائِلَهُمْ عَنِ الْجُمْهُورِ هُمْ مَمْدُوحُونَ أَكْثَرُ وَهُمْ أَقَلُّ وَجُودًا وَأَعَزُّ لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا كَتَمُوا قَضَائِلَهُمْ عَنِ الْجُمْهُورِ لِمَا خَافُوا أَنْ يَلْحَقَهُمْ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالرَّئَاسَاتِ الَّتِي يُخَافُ إِذَا لَحِقَتْ أَلْمَاءُ أَنْ تَكُونَ سَبَبًا لِأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْأَلْحَقَةُ لِلْقَضَائِلِ هِيَ الْمَقْصُودَةُ عِنْدَهُ بِالْقَضَائِلِ. فَبِنْ هَاهُنَا صَارَتْ أَقْوَالُ هَذَا الصَّنِفِ مَقْبُولَةً كَمَا صَارَتْ أَقْوَالُ الصَّنِفِ الْأَوَّلِ الْمَضَادِّ لِهَذَا مَقْبُولَةً وَهُمْ الَّذِينَ أَخَذَ عَنْهُمْ الْجُمْهُورُ

(قَالَ) وَمِنْ الصَّنِفِ الْمَقْبُولِ الْقَوْلُ مِنَ النَّاسِ جِدًّا جِدًّا الصَّنِفِ الَّذِينَ كَرَّامَتُهُمْ أَعْظَمُ لِأَنَّ الْكَرَامَةَ لَمَّا كَانَتْ مُكَافَأَةً الْقَضِيَّةِ كَانَ أَلْمَاءُ كُلَّمَا عَظُمَتْ كَرَامَتُهُ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ قَدْ عَظُمَتْ فَضِيلَتُهُ. وَالصَّنِفُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ نَالَتْهُمْ الْمَضَرَّةُ الْعَظِيمَةُ وَالشَّقَاءُ الْكَثِيرُ لِمَكَانِ الْقَضَائِلِ هُمْ أَيْضًا مَقْبُولُوا الْأَقْوَالِ جِدًّا جِدًّا بِمِثَرَةِ سُقْرَاطَ وَغَيْرِهِ وَالصَّنِفُ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَرَى فِيهِ هَذَانِ الصَّنِيفَانِ مِنَ النَّاسِ أَعْنِي الَّذِينَ كَرَّامَتُهُمْ أَعْظَمُ وَالَّذِينَ نَالَهُمُ الضَّرَرُ

الْكَبِيرُ مِنْ قَبْلِ الْفَضَائِلِ أَنَّهُمْ فَاضِلُونَ وَيَعْتَرِفُونَ لَهُمْ بِالْفَضْلِ
هُمْ أَيْضًا أَفْضَلُ وَأَعْظَمُ. فَهَؤُلَاءِ هُمْ أَصْنَافُ النَّاسِ الَّذِينَ إِذَا
اخْتَارُوا شَيْئًا وَاخْتَارَ غَيْرُهُمْ سِوَاهُ كَانَ مَا يُخْتَارُهُ هَؤُلَاءِ أَفْضَلَ
وَأَثَرُ

(قَالَ) وَقِسْمَةُ الشَّيْءِ إِلَى جُزْئِيَّاتِهِ يُخِيلُ فِي الشَّيْءِ أَنَّهُ أَعْظَمُ
وَالذَّكَاءُ لَمَّا أَرَادَ أَوْمِيدُ الشَّاعِرِ أَنْ يُعْظِمَ الشَّرَّ الَّذِي لِحَقِّ الْمَدِينَةِ
أَخَذَ بَدَلَهُ جُزْئِيَّاتِهِ فَذَكَرَ قَتْلَ الْأَوْلَادِ وَالنُّوحَ عَلَيْهِمْ وَحَرْقَ الْمَدِينَةِ
بِالنَّارِ وَغَيْرَ ذَلِكَ مِنْ أَصْنَافِ الشُّرُورِ الَّتِي لَهَا

(قَالَ) وَكَذَلِكَ التَّرْكِيبُ قَدْ يُخِيلُ فِي الشَّيْءِ أَنَّهُ أَعْظَمُ وَهُوَ
عَكْسُ. هَذَا آغْنِي أَنْ يُؤْخَذَ بَدَلُ الْجُزْئِيَّاتِ الْكُلِّيِّ الَّذِي يُعْمَهَا
وَالسَّبَبُ فِي الْإِقْتِنَاعِ فِي هَذَيْنِ الصَّنِفَيْنِ هُوَ التَّغْيِيرُ وَالْإِبْدَالُ

(قَالَ) وَلَمَّا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ الْأَعْسَرُ وَجُودًا فِي نَفْسِهَا
وَالْأَقْلُ وَجُودًا يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا أَفْضَلُ كَانَتْ الْأَشْيَاءُ الْكَثِيرَةُ
الْوُجُودِ فِي نَفْسِهَا وَالسَّهْلَةُ الْوُجُودِ قَدْ تَرَى عَظِيمَةً إِذَا وَجَدَتْ فِي
الْمَوَاضِعِ الَّتِي يَقِلُّ فِيهَا وَجُودُهَا أَوْ فِي الْأَزْمِنَةِ الَّتِي يَقِلُّ وَجُودُهَا
فِيهَا أَيْضًا أَوْ فِي الْأَسَانِ مِنَ النَّاسِ الَّتِي يَقِلُّ وَجُودُهَا فِيهَا مِثْلُ
وُجُودِ الْإِنْسَانِ حَطِيبًا فِي سِنِّ الصَّبَا أَوْ فِي الْمُدَدِ الَّتِي لَيْسَ مِنْ
ثَمَانِيَا أَنْ تَوْجَدَ فِيهِ. وَمِثْلُ مَنْ يَفْعَلُ مَا شَاءَهُ أَنْ يَفْعَلَ فِي زَمَانٍ
طَوِيلٍ فِي زَمَانٍ قَصِيرٍ أَوْ تَكُونُ صَادِرَةً عَنِ الْقُوَى الَّتِي يَقِلُّ
صُدُورُهَا عَنْهَا مِثْلُ أَنْ يَفْعَلَ الضَّعِيفُ فِعْلَ الْقَوِيِّ وَالْمَرِيضُ فِعْلَ

الصَّحِيحِ . وَكُلُّ هَذِهِ وَأَشْبَاهُهَا مِمَّا يُصَيِّرُ الْأَمْرَ الَّذِي لَيْسَ بِعَظِيمٍ عَظِيمًا وَمُسْتَعْرَبًا . وَآيضًا فَإِنَّ الْجُزْءَ الْعَظِيمَ مِنَ الشَّيْءِ هُوَ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ أَعْظَمُ مِثْلُ الْقَلْبِ مِنَ الْحَيَوَانِ وَالْدَّمَاعِ أَوِ الرَّبِيعِ . مِنَ السَّنَةِ وَالشَّبَابِ مِنَ الْمَدِينَةِ . وَآيضًا فَإِنَّ النَّافِعَ فِيمَا أَلْجَأَتْهُ إِلَيْهِ أَشَدُّ هُوَ أَعْظَمُ نَفْعًا وَالضَّارُّ فِيهِ أَكْثَرُ ضَرَرًا وَمِثْلُ الصِّحَّةِ فِي الشَّيْخُوخَةِ وَالْمَرَضِ فِيهَا . فَإِنَّ الصِّحَّةَ فِيهَا أَثَرٌ مِنَ الصِّحَّةِ فِي الصَّبَا وَالْمَرَضِ فِيهَا أَضَرُّ . وَآيضًا مَا كَانَ مِنَ الْأَمْرَيْنِ أَقْرَبَ إِلَى الْقَائِدَةِ فَهُوَ أَفْضَلُ . وَآيضًا مَا كَانَ فِي آخِرِ الْعُمُرِ فَهُوَ أَفْضَلُ فَإِنَّ الْأَشْيَاءَ الَّتِي سَبِيلُهَا أَنْ تَكُونَ لِلنَّاسِ فِي آخِرِ أَعْمَارِهِمْ هِيَ أَفْضَلُ مِثْلُ الْحِكْمَةِ وَالْجَلْمِ . وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْفَضَائِلِ الَّتِي تَكْمُلُ مَعَ طُولِ الْعُمُرِ . وَآيضًا الْأَشْيَاءُ الَّتِي فُعِلَتْ أَوْ قِيلَتْ كَانَ فِعْلُهَا حَقِيقَتَهَا أَعْظَمَ مِنَ الَّتِي إِذَا فُعِلَتْ لَمْ يَكُنْ فِعْلُهَا حَقِيقَةً تَمَامًا . وَارْتِطُوبُ يُسَمَّى الَّتِي إِذَا فُعِلَتْ كَانَ فِعْلُهَا حَقِيقَتَهَا الَّتِي يُتَعَمَدُ بِهَا الْحَقِيقَةُ وَيُسَمَّى الْآخَرُ الَّتِي يُتَعَمَدُ بِهَا الْمَدْحُ أَغْنَى الَّتِي لَيْسَ فِعْلُهَا حَقِيقَتَهَا (قَالَ) وَحَدَّثَ الْأَشْيَاءَ الَّتِي يُتَعَمَدُ بِهَا الْمَدْحُ أَنَّهَا الَّتِي إِذَا فُعِلَتْ يَجْهَلُ أَوْ يَغْلَطُ لَمْ تَمْدَحْ أَضْلًا وَالَّتِي يُتَعَمَدُ بِهَا الْحَقِيقَةُ هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي كَيْفَ مَا فُعِلَتْ فَقَدْ حَصَلَتْ عَلَى التَّمَامِ .

(قَالَ) وَلِذَلِكَ كَانَ حُسْنُ قَبُولِ الشَّيْءِ الْجَمِيلِ أَثَرٌ مِنْ فِعْلِ الشَّيْءِ الْجَمِيلِ لِأَنَّ فِعْلَ الْجَمِيلِ إِذَا فُعِلَ عَنْ غَلَطٍ أَوْ جَهْلٍ لَمْ يُقْبَلْ وَلَا مَدْحٌ قَاعِلُهُ . وَأَمَّا حُسْنُ الْإِتِّعَالِ وَالْقَبُولِ فَكَيْفَ مَا

حَصَلَ فَقَدْ اسْتَفَادَ الْخَيْرَ مِنْهُ الْقَائِلُ لَهُ . وَايضًا مَا أُثِرَ فِعْلُهُ لِنَفْسِهِ
 وَإِنْ لَمْ يَعْلَمْ بِهِ أَحَدٌ أَثَرٌ مِمَّا لَا يُخْتَارُ إِلَّا مِنْ جِهَةٍ مَا يُعْلَمُ كَالْحَالِ
 فِي الصِّحَّةِ وَالْجَمَالِ . فَإِنَّ الصِّحَّةَ مُوْتَرَةٌ بِذَاتِهَا وَالْجَمَالَ مُوْتَرٌ الْغَيْرِ .
 وَايضًا فَإِنَّ النَّافِعَةَ فِي أَشْيَاءَ كَثِيرَةٍ فَهِيَ أَنْفَعُ كَالنَّافِعَةِ فِي طُولِ
 الْعُمُرِ وَفِي حُسْنِ الْعَيْشِ أَعْنِي الْعَيْشَ الرَّغْدَ وَفِي اللَّذَاتِ وَفِي
 اضْطِمَاعِ الْخَيْرَاتِ . وَلِذَلِكَ مَا يُظَنُّ بِالصِّحَّةِ وَالْيَسَارِ أَنَّهُمَا عَظِيمَانِ لِأَنَّهُمَا
 يَجْمَعَانِ الْخُلُوءَ مِنَ الْحُزَنِ وَالْفِعْلَ بِلَذَّةٍ أَعْنِي أَنَّ الصِّحَّةَ هِيَ سَبَبُ
 الْفِعْلِ بِلَذَّةٍ وَالْيَسَارُ سَبَبُ الْخُلُوءِ مِنَ الْأَحْزَانِ . وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ
 هَذَيْنِ عَلَى الْإِنْفِرَادِ فَاضِلٌ وَمُخْتَارٌ بِنَفْسِهِ أَعْنِي الْخُلُوءَ مِنَ الْأَحْزَانِ
 وَالْأَفْعَالِ اللَّذِيذَةِ فَإِذَا اجْتَمَعَا لِأَمْرٍ جَعَلَاهُ أَنْظَمَ مِنْ كُلِّ
 شَيْءٍ سِوَاهُ . عَلِمَ ذَلِكَ مِنْ عِلْمِهِ أَوْ جَهْلِهِ مِنْ جَهْلِهِ لِأَنَّ هَذِهِ
 خَيْرَاتٌ مُسْتَفَادَةٌ بِالْحَقِيقَةِ لَا مِنْ الْخَيْرَاتِ الَّتِي يُتَعَمَدُ بِهَا الْمَدْحُ .
 وَلِكُونَ الْيَسَارَ سَبَبًا لِدَفْعِ الْأَحْزَانِ ظَنَّ بِهِ أَنَّهُ السَّعَادَةُ قَوْمٌ
 وَآخَرُونَ رَأَوْا أَنَّ السَّعَادَةَ هِيَ أَنْ يَقْتَرِنَ بِهِ شَيْءٌ آخَرُ وَذَلِكَ
 وَاجِبٌ مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ آخَرَى أَنْ تَكُونَ السَّعَادَةُ ثَابِتَةً وَمَا مُوْنَةً
 الزَّوَالِ . فَإِنَّهُ لَيْسَ الضَّرَرُ الْأَلْحَقُ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ فَقَدْ أَحَدَاهُمَا كَسَنَ لَهُ
 عَيْنٌ وَاحِدَةٌ فَقَدْ هَدَاهَا لِأَنَّ الَّذِي لَهُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ سَلِبَ أَحَبَّ مِمَّا سَلِبَ
 مَنْ لَهُ عَيْنَانِ . وَكَذَلِكَ إِنْ كَانَتِ السَّعَادَةُ فِي الْمَالِ وَفِي شَيْءٍ آخَرَ
 لَمْ يَكُنِ الضَّرَرُ الْأَلْحَقُ عَنْ سَلْبِ الْمَالِ كَالضَّرَرِ الْأَلْحَقِ عَنْ سَلْبِهِ
 إِنْ كَانَ هُوَ السَّعَادَةُ وَحْدَهُ

(قَالَ) وَالْكَلَامُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كُلِّهَا هَاهُنَا لَيْسَ هُوَ عَلَى جِهَةِ التَّضَحُّيِّ وَإِنَّمَا الْكَلَامُ فِيهَا بِالْقَدْرِ الَّذِي يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الْخَطِيبُ مِنْ ذَلِكَ وَيَجِبُ لِلْخَطِيبِ أَبَدًا مَتَى أَتَى بِالنَّتَاجِ مِنْ أَمْثَالِ هَذِهِ الْمَقَدَّمَاتِ أَنْ يُرْفِدَهَا بِأَلْمَلَاتِ الْمَأْخُودَةِ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ فَعَلُوا تِلْكَ الْأَفَاعِيلَ فَحَقَّقَهُمُ النِّفْعُ أَوْ الضَّرَرُ فَلِذَلِكَ مَا يَجِبُ لِلْخَطِيبِ أَنْ يَكُونَ حَافِظًا لِلْقِصَصِ وَالْأَخْبَارِ

البحث العاشر

في ان الخطيب المشوري ينبغي ان يعرف اصناف السياسات

وفي بيان اجناس هذه السياسات الاربعة

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَهَذِهِ هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يُثَبَّتُ بِهَا أَنَّ الشَّيْءَ أَنْفَعُ أَوْ أَضَرُّ. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَكُونُ بِهَا الْإِذْنُ وَالنِّهْيُ فَقَدْ قِيلَ فِيهَا قَبْلَ هَذَا بِمَا فِيهِ كِفَايَةٌ. لَكِنْ أَهْمُ وَأَعْظَمُ مَا فِيهَا هُوَ الْقَوْلُ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا يَتَقَدَّرُ عَلَى جُودَةِ الْإِفْتِنَاعِ فِي السُّنَنِ وَالْإِشَارَةِ بِالسُّنَنِ الَّتِي لَا يُوْجَدُ أَنْفَعُ مِنْهَا. وَلِذَلِكَ قَدْ يَجِبُ أَنْ نَسْتَقْصِيَ الْقَوْلَ فِيهَا هَاهُنَا فَقَوْلُ: إِنَّ الْإِمَامَةَ بِالسُّنَنِ النَّافِعَةِ وَالْإِقْنَاعَ التَّامَّ فِيهَا يَتَأْتَى بِمَعْرِفَةِ أَصْنَافِ السِّيَاسَاتِ وَالْأَخْلَاقِ وَالسُّنَنِ الَّتِي تَحْصِي سِيَاسَةً سِيَاسَةً. وَذَلِكَ أَنَّ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ السِّيَاسَاتِ سُنَنًا نَافِعَةً فِيهَا وَهِيَ السُّنَنُ الَّتِي بِهَا

يَكُونُ خَلاصُ تِلْكَ الْمَدِينَةِ وَقَوَامُهَا. وَالسُّنَنُ النَّفِيسَةُ الْخَطِيرَةُ هِيَ السُّنَنُ
الْعَادِلَةُ أَعْنِي الْمَوْضُوعَةُ فِي الْعَدْلِ الَّتِي رَسَمَهَا الرَّئِيسُ الْأَوَّلُ فِي
تِلْكَ الْمَدِينَةِ أَوْ الْمُسْلُطُ عَلَيْهَا مِنْ قَبْلِ الرَّئِيسِ الْأَوَّلِ. وَهَذِهِ السُّنَنُ
النَّفِيسَةُ أَعْنِي السُّنَنُ الْعَادِلَةُ تَحْتَلِفُ فِي السِّيَاسَاتِ بِحَسَبِ اخْتِلَافِ
غَايَتِهَا. وَعَدَدُهَا عَلَى عِدَدِ السِّيَاسَاتِ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْعَدْلَ فِي
سِيَاسَةِ التَّعْلُبِ أَنَّهُ لَا شَيْءَ عَلَى الرَّئِيسِ إِذَا لَطَمَ الْمَرْدُوسَ. وَفِي
سِيَاسَةِ الْحُرِّيَةِ الْعَدْلُ فِي ذَلِكَ أَنْ يُلَطَمَ الرَّئِيسُ وَمِثْلُ اللَّطْمَةِ الَّتِي
لَطَمَهَا. وَالسِّيَاسَاتُ بِالْجُمْلَةِ أَرْبَعُ السِّيَاسَةِ الْجَمَاعِيَّةِ وَسِيَاسَةُ الْخِصَّةِ
وَسِيَاسَةُ جُودَةِ التَّسْلُطِ وَسِيَاسَةُ الْوَحْدَانِيَّةِ وَهِيَ الْكَرَامِيَّةُ. وَهَذِهِ
السِّيَاسَاتُ كُلُّهَا الْمَقْصُودُ بِالسُّنَنِ الْمَوْضُوعَةِ فِيهَا إِنَّمَا هُوَ الْمَدِينَةُ
وَالْكُلُّ لَا الشَّخْصُ. فَاِمَّا الْمَدِينَةُ الْجَمَاعِيَّةُ فَهِيَ الَّتِي نَكُونُ الرِّئَاسَةَ
فِيهَا بِالْإِتِّفَاقِ وَالنَّجْتِ لَا عَنِ اسْتِهْهَالٍ إِذَا كَانَ لَيْسَ فِي هَذِهِ
الْمَدِينَةِ لِأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ فَضْلٌ. وَأَمَّا خِصَّةُ الرِّئَاسَةِ فَهِيَ الَّتِي يَتَسَلَّطُ
فِيهَا الْمُتَسَلِّطُونَ عَلَى الْمَدِينِينَ بِإِدَاءِ الْإِتَاوَةِ وَالتَّغْرِيمِ لَا عَلَى جِهَةٍ
أَنْ تَكُونَ تَفَقُّهُ لِلْحِمَاةِ وَالْحَفَظَةِ وَلَا عُدَّةُ لِلْمَدِينَةِ عَلَى مَا عَلَيْهِ
الْأَمْرُ فِي السِّيَاسَاتِ الْأُخْرَى بَلْ عَلَى جِهَةٍ أَنْ تَحْصُلَ الثَّرْوَةُ لِلرَّئِيسِ
الْأَوَّلِ. فَإِنْ جَعَلَ لَهُمْ حَظًّا مِنْ الثَّرْوَةِ كَانَتْ رِئَاسَةُ الثَّرْوَةِ.
وَأِنْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ حَظًّا مِنْ الثَّرْوَةِ كَانَتْ رِئَاسَةُ التَّعْلُبِ وَكَانُوا
بِمَنْزِلَةِ الْعَبِيدِ لِلرَّئِيسِ الْأَوَّلِ. وَكَانَتْ مُحَامَاةُ عَنْهُمْ بِمَنْزِلَةِ
مُحَامَاةِ الْإِنْسَانِ عَنْ عَيْدِهِ. وَأَمَّا جُودَةُ التَّسْلُطِ فَهُوَ التَّسْلُطُ الَّذِي

يَكُونُ عَلَى طَرِيقِ الْأَدَبِ وَالْإِقْتِدَاءِ بِمَا تُوجِبُهُ السُّنَّةُ فَإِنَّ الَّذِينَ يُشِيرُونَ بِمَا تُوجِبُهُ السُّنَّةُ هُمْ مُتَسَلِّطُونَ بِجُودَةِ التَّسَلُّطِ. وَهَذَا هُوَ التَّسَلُّطُ الَّذِي يَحْصُلُ بِهِ صَلَاحُ حَالِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَالسَّعَادَةُ الْإِنْسَانِيَّةُ. وَلِذَلِكَ كَانَ هَؤُلَاءِ أَهْلُ فَضَائِلٍ وَأَقْتِدَارٍ عَلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي تُضْلِعُ الْمَدِينَةَ وَأَهْلَ حَزْمٍ. وَتَحْزُرُ بِمَا شَأْنُهُ أَنْ يُفْسِدَ الْمَدِينَةَ مِنْ خَارِجٍ أَوْ مِنْ دَاخِلٍ. وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ هَذِهِ الْمَدِينَةُ بِهَذَا الْأَسْمِ. وَهَذَا التَّسَلُّطُ الَّذِي ذَكَرَهُ صِنْفَانِ رِئَاسَةِ الْمَلِكِ وَهِيَ الْمَدِينَةُ الَّتِي تَكُونُ أَرَادُهَا وَأَفْعَالُهَا بِحَسَبِ مَا تُوجِبُهُ الْعُلُومُ النَّظَرِيَّةُ. وَالثَّانِيَةُ رِئَاسَةُ الْأَخْيَارِ وَهِيَ الَّتِي تَكُونُ أَفْعَالُهَا فَاضِلَةً فَقَطْ. وَهَذِهِ تُعْرَفُ بِالْإِمَامِيَّةِ وَيُقَالُ إِنَّهَا كَانَتْ مَوْجُودَةً فِي الْفُرْسِ الْأَوَّلِ فِيمَا حَكَاهُ أَبُو نَضْرٍ

(قَالَ) وَأَمَّا وَحْدَانِيَّةُ التَّسَلُّطِ فَهِيَ الرِّئَاسَةُ الَّتِي يُحِبُّ الْمَلِكُ أَنْ يَتَوَحَّدَ فِيهَا بِالْكَرَامَةِ الرِّئَاسِيَّةِ وَالْأَلَا يَنْقُصُهُ مِنْهَا شَيْءٌ بِأَنْ يُشَارِكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ وَذَلِكَ بِضِدِّ مَدِيَّةِ الْأَخْيَارِ. وَهَذِهِ الْمَدِينُ رُبَّمَا كَانَتْ السُّنَنُ الْمَوْضُوعَةُ فِيهَا مَحْدُودَةٌ غَيْرَ مُتَبَدِّلَةٍ وَاحِدَةٍ فِي الدَّهْوِ عَلَى مَا عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي سُنَنِ الْإِسْلَامِيَّةِ. وَرُبَّمَا كَانَتْ غَيْرَ ذَاتِ سُنَنِ مَحْدُودَةٍ بَلْ يُفَوِّضُ الْأَمْرُ فِيهَا إِلَى الْمُتَسَلِّطِينَ عَلَيْهَا بِحَسَبِ الْأَنْفَعِ فِي وَقْتٍ وَقْتٍ عَلَى مَا عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي كَثِيرٍ مِنْ سُنَنِ الرُّومِ الْيَوْمَ

(قَالَ) وَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يَخْفَى عَلَيْنَا مِنْ هَذَا الَّذِي رَسَمْنَا بِهِ هَذِهِ

السِّيَاسَاتِ غَايَةٌ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا لَأَنَّا إِذَا عَرَفْنَا أَلْغَايَةَ عَلِمْنَا الْأَشْيَاءَ
الْمُخْتَارَةَ مِنْ أَجْلِ أَلْغَايَةِ فَعَايَةُ السِّيَاسَةِ الْجَمَاعِيَّةِ الْحُرِّيَّةُ. وَغَايَةُ
خِصَّةِ الرِّئَاسَةِ الثَّرْوَةُ وَغَايَةُ جُودَةِ السَّلَاطِ الْفَضِيلَةُ وَاللِّسْكُ
بِالسُّتَةِ. وَغَايَةُ الْوَحْدَانِيَّةِ الْكَرَامَةُ وَالسِّيَاسَاتُ الَّتِي لَيْسَ يُوَضَّعُ
فِيهَا شَيْءٌ غَيْرُ مُتَبَدِّلَةٍ فَعَايَةُ وَاضِعِهَا هُوَ التَّحْفُظُ وَالْأَخِيرَاسُ مِنْ
الْخَلَلِ الْوَاقِعِ فِي السُّنَنِ بِتَبَدُّلِ الْأَزْمِنَةِ وَالْأَمَكِيَّةِ. وَيَنْبَغِي أَنْ
تَعْلَمَ أَنَّ هَذِهِ السِّيَاسَاتِ الَّتِي ذَكَرَهَا أَرِسْطُو لَيْسَ تُنْفَى بِسَيْطَةِ
وَأَمَّا تُنْفَى أَكْثَرُ ذَلِكَ مُرَكَّبَةٌ كَالْحَالِ فِي السِّيَاسَةِ الْمَوْجُودَةِ
الْآنَ فَإِنَّهَا إِذَا تَوُمِّلَتْ تُجَدُّ مُرَكَّبَةٌ مِنْ فَضِيلَةٍ وَكَرَامَةٍ وَحُرِّيَّةٍ
وَتَعْلُبُ

(قَالَ) وَإِذَا كَانَتْ أَصْنَافُ السِّيَاسَاتِ مَعْلُومَةً عِنْدَنَا فَهُوَ
بَيِّنٌ أَنَّا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَعْرِفَ الْأَخْلَاقَ وَالسُّنَنَ الَّتِي تُؤَدِّي إِلَى غَايَةِ
كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْ هَذِهِ السِّيَاسَاتِ إِنْغِي النِّفَاعَةِ فِيهَا وَأَنْ نَعْتَبِدَ فِي
أَنْفُسِنَا الْحَقَّ بِتِلْكَ الْأَخْلَاقِ وَاللِّسْكِ بِالصِّفِّ مِنَ السُّنَنِ الَّتِي
تُرْوَمُ الْإِقْتِنَاعُ فِيهَا. فَإِنَّهُ إِنَّمَا تَكُونُ الْأَقَاوِيلُ الَّتِي يُحْتَضَرُ بِهَا عَلَى
السُّنَنِ مُقْنَعَةً إِذَا كَانَ الْمَشِيرُونَ بِهَا ذَوِي صَلَاحٍ وَحُسْنِ فِعْلٍ حَتَّى
تَكُونُ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الْمَذْكُورَةُ هَاهُنَا مَعْلُومَةً لَنَا وَمَوْجُودَةً فِيْنَا.
فَإِنَّهُ إِذَا وُجِدَ فِيْنَا الْخُلُقُ الَّذِي تَحْتَضِرُ عَلَيْهِ كَانَ قَوْلُنَا فِي الْحَثِّ
عَلَيْهِ أَشَدَّ إِقْتِنَاعًا وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي إِلَّا نُشِيرَ إِلَّا بِمَا هُوَ مَوْجُودٌ لَنَا أَوْ
نَحْنُ عَازِمُونَ عَلَى أَنْ يُوْجَدَ لَنَا. وَمَعْلُومٌ أَنَّ الْوُقُوفَ عَلَى السُّنَنِ

النَّافِعَةِ فِي الْغَايَةِ إِنَّهَا إِنَّمَا تُسْتَبْطُ عَلَى جِهَةِ التَّحْلِيلِ مِنَ النَّظَرِ إِلَى الْغَايَةِ. فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ مِنْ أَيْنَ تَوْجَدُ الْمُنْفَعَاتُ فِي النَّافِعِ مِنَ السُّنَنِ فِي سِيَاسَةِ سِيَاسَةٍ وَكَمْ انْحَاءُ السِّيَاسَاتِ وَالسُّنَنِ الَّتِي تَحْتَذِي فِيهَا وَذَلِكَ بِحَسَبِ السَّكَافِي فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ. وَأَمَّا الْقَوْلُ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَى التَّحْقِيقِ فَمِنِ الْأَوَائِلِ الْمَدِينَةِ

البحث الحادي عشر

في ما ينبغي للخطيب ان يعرفه في النوع الثنيتي . وفي الفضيلة

والنقيصة والمدح والذم وتصرف الخطيب فيها

وفي انواع الامور الفاضلة والناقصة

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَأَمَّا بَعْدَ هَذَا فَتَحْنُ قَائِلُونَ فِي الْفَضِيلَةِ وَالنَّقِصَةِ وَالْجَمِيلِ وَالْقَبِيحِ لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ الَّتِي يُمدَحُ بِهَا وَيُذَمُّ . وَيَلْتَقِي مِنْ تَعْرِيفِنَا هَذِهِ الْأَشْيَاءَ أَنَّ نَعْرِفَ الْأُمُورَ الَّتِي بِهَا يُثْبِتُ الْمَرْءُ فَضِيلَةَ نَفْسِهِ إِذَا كَانَ ذَلِكَ هُوَ الطَّرِيقُ الثَّانِي مِنَ الطَّرِيقِ الثَّلَاثَةِ الَّتِي يَقَعُ بِهَا الْإِفْتِقَاعُ كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ قَوْلِنَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الْمَدْحِ أَغْنِي أَنْ يَكُونَ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي نَقْدِرُ بِهَا عَلَى مَدْحٍ غَيْرِنَا نَقْدِرُ بِهَا أَنْفُسَهَا عَلَى مَدْحِ أَنْفُسِنَا. وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ يَتَّفَقُ فِي جَمِيعِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُمدَحُ بِهَا الْغَيْرُ بَلْ إِنَّمَا يَكُونُ ذَلِكَ بِالْفَضِيلَةِ فَقَطْ

وَهِيَ الْأُمُورُ الرَّاجِعَةُ إِلَى الْإِخْتِيَارِ

(قَالَ) وَمَنْ أَجَلَ أَنَّهُ يَغْرُضُ كَثِيرًا أَنْ يُمَدِّحَ النَّاسُ
وَالرُّومَانِيُونَ بِالْفَضِيلَةِ وَبِأَشْيَاءَ غَيْرِ الْفَضِيلَةِ وَلَيْسَ يَغْرُضُ هَذَا فِي
مَدْحٍ هُوَ لَا فِقْطَ بَلْ وَفِي مَدْحِ الْأَشْيَاءِ الْمُتَنَفِّسَةِ وَغَيْرِ الْمُتَنَفِّسَةِ.
أَعْنِي أَنَّهُ يُمَدِّحُ بِأَشْيَاءَ خَارِجَةً عَنِ الْفَضِيلَةِ. فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ
هَاهُنَا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُؤْخَذُ مِنْهَا الْمَقْدَمَاتُ فِي الْمَدْحِ بِالْفَضَائِلِ
وَبِغَيْرِ الْفَضَائِلِ لِيَكُونَ الْقَوْلُ فِي ذَلِكَ عَامًّا فَنَقُولُ: إِنَّ الْجَمِيلَ هُوَ
الَّذِي يُخْتَارُ مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ وَهُوَ مَمْدُوحٌ وَخَيْرٌ وَلَذِيذٌ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ
خَيْرٌ. وَإِذَا كَانَ الْجَمِيلُ هُوَ هَذَا فَبَيِّنْ أَنَّ الْفَضِيلَةَ حِمْلَةٌ لَا حِمْلَةَ
لِأَنَّهَا خَيْرٌ وَهِيَ مَمْدُوحَةٌ. وَالْفَضِيلَةُ هِيَ مَلَكَتُهُ مُقَدَّرَةٌ لِكُلِّ فِعْلٍ
هُوَ خَيْرٌ مِنْ جِهَةٍ ذَلِكَ التَّقْدِيرُ أَوْ يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ خَيْرٌ أَعْنِي الْحَافِظَةَ
لِهَذَا التَّقْدِيرِ وَالْفَاعِلَةَ لَهُ. وَإِذَلِكَ كَانَتْ مُوجِدَةً لِكُلِّ فِعْلٍ يُقْصَدُ
بِهِ نَحْوُ غَايَةٍ مَا جَلِيلِ الْقَدْرِ عَظِيمِ الشَّانِ فِي حُصُولِ تِلْكَ الْغَايَةِ
عَنْهُ. فَمَا أَجْزَاءُ الْفَضِيلَةِ فَالْبُرُّ أَيْ الْعَدْلُ الْعَالَمُ وَالشُّجَاعَةُ وَالْأَمْرُوءَةُ
وَالْعِفَّةُ وَكِبَرُ الْهِمَّةِ وَالْجَلْمُ وَالسَّخَاءُ وَاللُّبُّ وَالْحِكْمَةُ. وَهَذِهِ
الْفَضَائِلُ مِنْهَا مَا هِيَ فَضَائِلُ فِي ذَاتِ الْفَاضِلِ فَقَطْ وَمِنْهَا مَا هِيَ فَضَائِلُ
مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُ تَفَعَّلُ فِي أَنْاسٍ آخَرِينَ وَهَذِهِ الَّتِي تَفَعَّلُ فِي
أَنْاسٍ آخَرِينَ تَكُونُ أَعْظَمَ عِنْدَ قَوْمٍ مِنْهَا عِنْدَ آخَرِينَ وَفِي حَالٍ
دُونَ حَالٍ. مِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ فَضِيلَةَ الشُّجَاعَةِ أَثَرُ فِي وَقْتِ الْحَرْبِ
مِنْهَا فِي وَقْتِ السَّلَامِ. وَأَمَّا فَضِيلَةُ الْعَدْلِ فُؤُورَةُ فِي السَّلَامِ وَالْحَرْبِ

جَمِيعًا. وَفَضِيلَةُ السَّخَاءِ وَالْمُرُوَّةِ عِنْدَ الْحَاوِيحِ آثَرُ وَنَهَا عِنْدَ غَيْرِ الْحَاوِيحِ.
 وَلَئِنَّا تَنْفَصِلُ فَضِيلَةُ الْمُرُوَّةِ مِنَ السَّخَاءِ بِالْأَقَلِّ وَالْأَكْثَرِ لِأَنَّ
 فِعْلَ كِلْتُمَا هُوَ فِي الْإِلَالِ لَكِنَّ الْمُرُوَّةَ هِيَ فِعْلٌ أَكْثَرُ مِنْ فِعْلِ
 السَّخَاءِ. فَأَمَّا الْإِثْرُ فَهُوَ فَضِيلَةُ عَادِلَةٍ يُعْطِي الْقَاضِلُ بِهَا إِكْلًا أَمْرِي
 مِنَ النَّاسِ مَا يَسْتَحِقُّ وَذَلِكَ بِقَدَرِ مَا تَأْمُرُ بِهِ السُّنَّةُ. وَالْجَوْرُ هُوَ الْخُلُقُ
 الَّذِي يَأْخُذُ بِهِ الْمَرْءُ الْأَشْيَاءَ الْغَرِيبَةَ الَّتِي لَيْسَ لَهُ أَنْ يَأْخُذَهَا فِي
 السُّنَّةِ. وَأَمَّا السَّخَاءَةُ فَفَضِيلَةٌ يَكُونُ الْمَرْءُ بِهَا فَعَالًا لِلْأَفْعَالِ الصَّالِحَةِ
 الْمُنَافِعَةِ فِي الْجِهَادِ عَلَى حَسَبِ مَا تَأْمُرُ بِهِ السُّنَّةُ حَتَّى يَكُونَ بِفِعْلِهِ ذَلِكَ
 حَادِمًا لِلْسُّنَّةِ. وَأَمَّا الْجُبْنُ فَضِدُّ هَذَا. وَأَمَّا الْعَقَّةُ فَفَضِيلَةٌ يَكُونُ بِهَا الْمَرْءُ
 فِي شَهَوَاتِ الْبَدَنِ عَلَى مِقْدَارِ مَا تَأْمُرُ بِهِ السُّنَّةُ. وَالْفُجُورُ ضِدُّ هَذَا.
 وَأَمَّا السَّخَاءُ فَفَضِيلَةٌ تَفْعَلُ الْجَمِيلَ أَشْهُورَ فِي الْإِلَالِ. وَالذَّنَاءَةُ ضِدُّ
 هَذَا. وَأَمَّا كِبَرُ الْهَمَّةِ فَفَضِيلَةٌ يَكُونُ بِهَا حُسْنُ الْأَفْعَالِ الْعَظِيمَةِ
 وَصِغَرُ النَّفْسِ. وَالذَّنَالَةُ ضِدُّهَا. وَأَمَّا الْإِلْبُ فَفَضِيلَةُ الْعَقْلِ الَّذِي يَكُونُ
 بِهِ حُسْنُ الْمَشُورَةِ وَالرَّوِيَّةِ مَعَ وُجُودِ الْفَضَائِلِ الْخَلْقِيَّةِ لَهُ الَّتِي هِيَ مِنْ
 صَلَاحِ الْحَالِ. فَهَذَا هُوَ الْقَوْلُ فِي الْفَضِيلَةِ وَأَجْزَائِهَا بِقَدَرِ مَا يُحْتَاجُ إِلَيْهِ
 فِي هَذِهِ الصَّاعَةِ. وَأَمَّا سَائِرُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُدْخِلُ بِهَا مِمَّا عَدَا الْفَضِيلَةَ
 فَلَيْسَ يَغْسِرُ الْوُقُوفَ عَلَيْهَا. وَذَلِكَ أَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ فَاعِلَاتِ الْفَضَائِلِ
 وَمِثْلَ التَّأْدِبِ وَالْإِزْتِيَاظِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا تَحْصُلُ الْفَضَائِلُ هِيَ أَوْدُ
 حَسَنٍ وَتَمْدُوحُ بِهَا. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تُوجَدُ فِي الْفَضَائِلِ أَنْفُسُهَا
 أَعْنِي الْأَعْرَاضَ الَّتِي تُوجَدُ فِيهَا. وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي تُوجَدُ تَابِعَةٌ

الْفَضَائِلُ فِيهِ الَّتِي يُقَالُ فِيهَا أَلَانَ وَهِيَ عِلَامَاتُ الْفَضَائِلِ
وَأَعْرَاضُهَا الْأَحْقَةُ لَهَا. وَأَفْعَالُهَا إِنَّمَا يُمدَحُ بِهَا إِذَا كَانَتْ حَسَنَةً
مُحْمُودَةً فَإِنَّ كَثِيرًا مِنْ أَفْعَالِ الْفَضَائِلِ قَدْ لَا يُمدَحُ بِهَا وَكَذَلِكَ
كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَاضِ. فَمِثَالُ الْأَفْعَالِ وَالْأَعْرَاضِ الَّتِي هِيَ مُحْمُودَةٌ
أَفْعَالُ الشُّجْعَانِ فِي الْحَرْبِ أَوْ مَنْ فَعَلَ فِي الْحَرْبِ فَعَلَهُمْ وَإِنْ لَمْ
تَكُنْ لَهُمْ مَلَكَ الشُّجَاعَةِ. وَكَذَلِكَ الْأَعْرَاضُ الَّتِي تَلْحَقُ الشُّجْعَانَ بِمَا
يُمدَحُ بِهَا. وَمِثَالُ الْأَفْعَالِ الَّتِي لَا يُمدَحُ بِهَا فِي وَقْتٍ مَا بَدَلُ
أَمَلٍ فَإِنَّهُ فَعَلُ مِنْ أَفْعَالِ السَّخَاءِ لَكِنْ رُبَّمَا كَانَ ذَلِكَ الْفِعْلُ
عَلَى جِهَةِ التَّذِيرِ. وَمِثَالُ الْأَعْرَاضِ الَّتِي لَا يُمدَحُ بِهَا أَنْفَعَالُ
الْمَرْءِ عَنِ الْعَدْلِ وَقَبُولُهُ إِيَّاهُ وَذَلِكَ أَنَّ فِعْلَ الْعَدْلِ مَمْدُوحٌ وَأَمَّا
الْأَنْفَعَالُ عَنْهُ فَلَيْسَ بِمَمْدُوحٍ لِأَنَّهُ يُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ مَهَانَةٌ وَضَمٌّ. وَبِالْجَمَلَةِ
فَأَفْعَالُ الْفَضَائِلِ إِنَّمَا تَكُونُ مَمْدُوحَةً إِذَا كَانَتْ مُقَدَّرَةً تَقْدِيرَ
الْعَدْلِ وَمِمَّا يُمدَحُ بِهَا الْأَفْعَالُ الْعَظِيمَةُ الشَّاقَّةُ الَّتِي جَزَاؤُهَا
الْكِرَامَةُ فَقَطْ. فَإِنَّ الْأَفْعَالِ الَّتِي يَكُونُ جَزَاؤُهَا الْكِرَامَةُ خَيْرٌ
مِنَ الْأَفْعَالِ الَّتِي جَزَاؤُهَا أَمَلٌ. وَلِذَلِكَ إِذَا كَانَ فِعْلٌ يُجَازَى
عَلَيْهِ بِالْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا فَعَمَلُهُ قَاعِلٌ مِنْ أَجْلِ الْكِرَامَةِ فَقَطْ مُدَحٌّ
بِهِ وَكُلُّ مَا يَقَعُّهُ الْمَرْءُ مِنَ الْفَضَائِلِ لَا مِنْ أَجْلِ نَفْسِهِ مُدَحٌّ بِهِ.
وَفِعْلُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ خَيْرَاتٌ بِإِطْلَاقٍ كَذَلِكَ بِمَا يُمدَحُ بِهِ.
وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي فِي طَبِيعَتِهَا خَيْرَاتٌ وَإِنْ كَانَتْ صَادَةً لِلْفَاعِلِ يُمدَحُ
بِهَا أَيْضًا. مِثْلُ فِعْلِ الْعَدْلِ فَإِنَّ الْعَادِلَ كَثِيرًا مَا يَسْتَضِرُّ بِهِ.

وَالْأَفْعَالُ الَّتِي تَخْتَصُّ بِإِكْرَامِ الْأَمْوَاتِ مَمْدُوحَةٌ لِأَنَّ الْأَفْعَالَ
الَّتِي تَكُونُ لِلْأَحْيَاءِ إِنَّمَا يَقْصَدُ مِنْهَا الْمَرَّةَ أَكْثَرَ ذَلِكَ مَنَفْعَةٌ
نَفْسِهِ . وَبِالْجُمْلَةِ فَكُلُّ فِعْلٍ كَانَ الْمَقْصُودُ بِهِ الْغَيْرَ وَلَمْ يَكُنْ
يَنْتَفِعُ بِهِ الْفَاعِلُ لَهُ أَوْ كَانَ يُلْحَقُهُ مِنْهُ ضَرَرٌ فَهُوَ مَمْدُوحٌ بِهِ . وَالْفِعْلُ
الَّذِي يَكُونُ إِلَى الْخُسَيْنِينَ إِلَى النَّاسِ مَمْدُوحٌ بِهِ أَيْضًا لِأَنَّ هَذَا
هُوَ عَدْلٌ إِذْ كَانَ لَيْسَ يَنْتَفِعُ بِهِ الْفَاعِلُ لَهُ . وَبِمَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الْإِنْسَانَ ذَوْ فَضِيلَةٍ أَنْ لَا يَفْعَلَ الْأَفْعَالَ الَّتِي يَفْتَضِحُ بِهَا أَهْلُ
الْفَوَاحِشِ وَأَنْ يُؤَدِّبَهُمْ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ . وَكَذَلِكَ نَصْرَةُ ذَوِي
الْفَضَائِلِ وَمَحَمَدَتُهُمْ بِمَا يُدْخِلُ بِهِ . وَالْحُجْلُ عِنْدَ ذِكْرِ الْقَبَائِحِ بِمَا
قَدْ يَدُلُّ عَلَى الْفَضِيلَةِ لِأَنَّهُ يُظَنُّ بِهِ أَنَّ الْحَيَاءَ يَنْعُهُ عَنْ إِتْيَانِ تِلْكَ
الرَّذِيلَةِ . وَقَدْ يَكُونُ أَيْضًا عَدَمُ الْحَيَاءِ عِنْدَ ذِكْرِ الْفَوَاحِشِ عَلَامَةً يُدْخِلُ
بِهَا . وَذَلِكَ أَنَّهُ قَدْ يُظَنُّ أَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَسْتَحْيِي عِنْدَ ذِكْرِ الْقَبَائِحِ
إِذَا كَانَ قَدْ فَعَلَهَا أَوْ نَالَهَا أَوْ هُوَ مُزْمَعٌ أَنْ يَفْعَلَهَا . مِثْلُ مَا حَكَى
أَرِسْطُو أَنَّهُ عَرَضَ لِمَرْأَةٍ مَشْهُورَةٍ بِالْحِكْمَةِ عِنْدَهُمْ وَذَلِكَ أَنَّ إِنْسَانًا
مَشْهُورًا عَرَضَ لَهَا بِالْقَبِيحِ بَانَ قَالَ لَهَا : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ قَوْلًا
يُمْعِنِي عَنْهُ الْحَيَاءُ فَحُلِمْتُ عَنْهُ وَلَمْ تُجِبْهُ بِقَوْلٍ قَبِيحٍ . وَلَمْ يُدْرِكْهَا مِنْ
ذَلِكَ تَأَلُّمٌ وَلَا انْفِعَالٌ لِأَنَّهَا كَانَتْ تَرَى لِمَكَانٍ فَضِيلَتَهَا أَنَّ
أَحَدًا لَا يُعْرِضُ لَهَا لِإِثْمَالِ وَلَا بِثَوَلِ كَأَيِّ (وَهُمَا صِنْفَا
التَّعْرِيزِ) . لَكِنَّهَا فِي تِلْكَ الْحَالِ جَعَلَتْ تَمُصُّ الْقَضَائِلَ وَتَمْدَحُ
أَهْلَهَا وَتَتَعَصَّبُ لَهُمْ وَتُحَامِي عَنْهُمْ . وَكَانَ أَيْضًا مِنْ مَعَهَا لَمْ يَأْتُوا

أَيْضًا لِقَوْلِ ذَلِكَ وَلَا لِتَعْرِيفِهِ لِعَلِيهِمْ أَنَّ مِثْلَهَا لَا يُتَمِّمُ بِمِثْلِ هَذَا

(قَالَ) وَلِذَلِكَ كَانَ التَّعَصُّبُ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي تُكْسِبُ التَّجَدُّدَ وَالْحَمَامَةُ عَنْهَا قَدْ تَجَمَّلُ الْمُتَعَصِّبُ لَهَا وَالْحَامِي عَنْهَا مِنْ أَهْلِ الْفَضَائِلِ الَّتِي لَا تَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بِجَاهِدَةٍ كَثِيرَةٍ لِلطَّبِيعَةِ مِثْلِ الْعَفَافِ وَالشُّجَاعَةِ وَغَيْرِهِمَا. وَذَلِكَ إِذَا صَارَتْ لَهُ مَلَكَهُ بِتَرَدَادٍ فِيهَا وَالتَّعَصُّبُ لَهَا وَالْحَمَامَةُ عَنْهَا كَمَا عَرَضَ لَهُذِهِ الْمَرَأَةُ الَّتِي اقْتَصَصْنَا ذِكْرَهَا مَعَ ذَلِكَ الرَّجُلِ. وَذَلِكَ أَنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الْأَفْعَالِ قَدْ يَصِيرُ بِهَا الْإِنْسَانُ مِنْ أَهْلِ الْفَضَائِلِ الَّتِي لَا تَحْصُلُ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا بِجَاهِدَةٍ كَثِيرَةٍ

(قَالَ) وَالْإِنْعَامُ عَلَى الْغَيْرِ إِذَا لَمْ يَسْتَفِدِ الْمَنْعِمُ مِنْهُ شَيْئًا هُوَ مِمَّا يُدْخِلُ بِهِ وَلِذَلِكَ مَا كَانَ الْعَدْلُ وَالْإِرْ يُدْخِلُ بِهِمَا الْإِنْسَانُ مِنْ جِهَةٍ أَنَّهُمَا نَافِعَانِ كَمَا يُدْخِلُ بِهِمَا مِنْ جِهَةٍ مَا هُمَا جَمِيلَانِ. وَالْإِنْتِقَامُ أَيْضًا مِنَ الْأَعْدَاءِ وَالْأَيُّضَى عَنْهُمْ فِي حَالِهِ مِمَّا يُدْخِلُ بِهِ. فَإِنَّ الْإِنْتِقَامَ مِنْهُمْ هُوَ جَزَاءُ وَالْجَزَاءُ عَدْلٌ وَالْعَدْلُ جَمِيلٌ. وَحُبُّهُ الْقَلْبَةِ أَيْضًا وَحُبُّهُ الْكَرَامَةِ مِمَّا يُدْخِلُ بِهِمَا لِأَنَّهُمَا عِلَامَتَانِ تَدُلُّانِ عَلَى إِدَارِ الْفَضَائِلِ لَا لِكَانِ أَكْتِسَابِ مَالٍ بِهِمَا. أَمَّا حُبُّهُ الْقَلْبَةِ فَتَدُلُّ عَلَى إِثَارِ الشُّجَاعَةِ. وَأَمَّا حُبُّهُ الْكَرَامَةِ فَفَعْلَى إِثَارِ جَمِيعِ الْفَضَائِلِ وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْفَضَائِلُ الْآيِثَرَةُ الْخُتَارَةُ هِيَ الَّتِي لَيْسَ يَقْصِدُ بِهَا مُقْتَنِيهَا إِلَى أَكْتِسَابِ مَالٍ. لِأَنَّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى شَرَفِ

الْفَضِيلَةِ وَمِنْ الْأَفْعَالِ الَّتِي يُدْخِلُهَا إِلَيْهَا شَأْنُهَا أَنْ يَنْقُيَ ذِكْرُهَا
مَحْظُوظًا أَبَدًا عِنْدَ النَّاسِ. وَمِنْ الْأَشْيَاءِ الَّتِي يُدْخِلُهَا إِلَيْهَا الْهَيْئَاتُ
الْمَحْذُودَةُ عِنْدَ قَوْمٍ الَّتِي يَجْعَلُونَهَا عَلَامَةً لِذَوِي الشَّرَفِ مِثْلُ تَوْفِيرِ
الشُّعُورِ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الشَّرَفِ إِذَا كَانَ لَيْسَ كُلُّ
أَحَدٍ يَسْهَلُ عَلَيْهِ تَوْفِيرُ شَعْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَوْفِرِي الشُّعُورِ لَا يَعْمَلُونَ عَمَلًا
مَنْ لَيْسَ بِمُتَوْفِرٍ الشُّعْرَ وَلَا يُتَمَنُّونَ بِأَيِّ هِنَةِ اتَّفَقَتْ. وَالْأَزْيَاءُ
الَّتِي كَانَتْ تُتَّخَذُ عِنْدَنَا هِيَ مِنْ هَذَا النَّوعِ الَّذِي ذَكَرَهُ أَرِسْطُو
(قَالَ) وَمِنْ الشَّرَفِ أَلَّا يَحْتَاجَ الْإِنْسَانُ إِلَى آخَرِينَ بَلْ
يَكُونُ مُكْتَفِيًا بِنَفْسِهِ

(قَالَ) وَقَدْ يَتَّبِعِي أَنْ نَأْخُذَ فِي الْمَدْحِ وَالذَّمِّ وَالْأُمُورِ
الْقَرِيبَةِ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالنَّقَائِصِ وَهِيَ النَّقَائِصُ الَّتِي قَدْ تُوْجَدُ عَنْهَا
أَفْعَالُ الْفَضِيلَةِ أَوْ الْفَضَائِلِ الَّتِي قَدْ تُوْجَدُ عَنْهَا أَفْعَالُ النَّقَائِصِ.
فَيُدْخِلُ بِالنَّقَائِصِ الَّتِي تُوْجَدُ عَنْهَا أَفْعَالُ الْفَضِيلَةِ بِأَنْ يُوْهِمَ أَنَّهَا
فَضَائِلُ مِنْ أَجْلِ أَنَّ تِلْكَ الْأَفْعَالُ هِيَ مِنْ أَفْعَالِ الْفَضَائِلِ. وَكَذَلِكَ
يُوْهِمُ فِي الْفَضَائِلِ أَنَّهَا نَقَائِصُ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ عَرَضَ أَنْ وَجَدَ عَنْهَا
أَفْعَالُ النَّقَائِصِ. فَيَقَالُ النَّقَائِصُ الَّتِي تُوْجَدُ عَنْهَا أَفْعَالُ الْفَضَائِلِ
فَيُوْهِمُ أَنَّهَا فَضَائِلُ الْعَبْدِ الَّذِي قَدْ يَكُونُ عَنْهُ أَفْعَالُ الْحَلِيمِ فَيُوْهِمُ
بِهِ أَنَّهُ حَلِيمٌ. وَالْبَلَّةُ الَّتِي قَدْ تُوْجَدُ عَنْهُ أَفْعَالُ ذَوِي السَّمْتِ
فَيُوْهِمُ بِذَلِكَ أَنَّهُ ذُو سَمْتٍ. وَكَذَلِكَ الْعَدِيمُ الْحَلِيسَ قَدْ يُوْهِمُ فِيهِ
أَنَّهُ عَفِيفٌ إِذَا كَانَ قَدْ يُوْجَدُ لَهُ فِعْلُ الْعَفِيفِ بِالْعَرَضِ. وَكَذَلِكَ

الْمُتَهَوِّرُ قَدْ يَوْمُهُ فِيهِ أَنَّهُ شَجَاعٌ وَالسَّيْفِيُّ أَنَّهُ كَرِيمٌ. وَمِثَالُ مَا
يَوْمُهُ بِهِ أَنَّهُ نَقِصَةٌ وَلَيْسَ بِنَقِصَةٍ مَا يَغْرِضُ الْكَبِيرُ إِلَهَةً مِنْ
أَنْ يَتَجَاوَى عَنِ الْأُمُورِ الْيَسِيرَةِ فَيُظَنُّ بِهِ أَنَّهُ يَغْلُظُ وَيَخْدَعُ.
وَالْكَبِيرُ إِلَهَةٌ إِنَّمَا يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي الْأُمُورِ الْيَسِيرَةِ الَّتِي لَيْسَ يَلْحَقُهُ
مِنْهَا خَوْفٌ كَبِيرٌ وَلَا ضَرَرٌ شَدِيدٌ وَذَلِكَ أَيْضًا فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي
يَحْسُنُ فِيهِ أَنْ يَتَغَاوَلَ عَنْهَا. وَقَدْ يَوْمُهُ أَيْضًا هَذَا الْمَوْضِعُ عَكْسَ هَذَا.
وَهُوَ أَنْ يُقَالَ فِي الْمُخْدَعِ أَنَّهُ كَبِيرُ إِلَهَةٍ. وَمِمَّا يُمدَحُ بِهِ أَنْ
يَكُونَ الْمَرْءُ يُعْطِي أَصْدِقَاءَهُ وَغَيْرَ أَصْدِقَائِهِ وَمَنْ يَعْرِفُ وَمَنْ لَا
يَعْرِفُ لِأَنَّهُ يُظَنُّ أَنْ شَرَفَ فَضِيلَةِ السَّخَاءِ هُوَ بِذَلِكَ أَمَّا لِلْكُلِّ
(قَالَ) وَقَدْ يَتَبَنَّى أَنْ يَكُونَ الْمَدْحُ مُحْضَرَةً الَّذِينَ يُحْبُونَ الْمَدْحَ
كَمَا قَالَ سُقْرَاطُ: أَنَّهُ يَسْهُلُ مَدْحُ أَهْلِ آيِنِيَّةٍ بِآيِنِيَّةٍ. وَيَتَبَنَّى أَنْ
يُمدَحَ كُلُّ إِنْسَانٍ بِالَّذِي هُوَ مَمْدُوحٌ عِنْدَ قَوْمِهِ وَأَهْلِ مَدِينَتِهِ إِنْ
كَانَ ذَلِكَ يَخْتَلِفُ

(قَالَ) وَمِنْ الْمَدْحِ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ خَارِجِ مَدْحِ الْأَبَاءِ
وَذِكْرُ مَا بَرَّهَمُ الْمُتَقَدِّمَةِ وَمَدْحُ الْمَرْءِ بِمَا تَسْمُو إِلَيْهِ هِمَّتُهُ مِنْ
الْمَرَاتِبِ. وَأَنَّهُ لَيْسَ يَقْتَصِرُ عَلَى مَا حَصَلَ لَهُ مِنْهَا. وَالرَّجُلُ الْكَبِيرُ
إِلَهَةٌ الَّذِي لَا يَقْتَصِرُ بِهَيْئَتِهِ عَلَى مَا نَالَ مِنَ الْمَرَاتِبِ يُمدَحُ
بِهَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ مِنْ خَارِجِ أَغْنَى بِفَضَائِلِ آبَائِهِ وَمِمَّا يُؤْمَلُ أَنْ يَسْمُوَ
نَحْوَهُ كَمَا يُقَالُ مِنْ آيٍ مَأْثُرٍ أَتَدَأُ مِنْ قَبْلِ آبَائِهِ وَإِلَى آيٍ مَأْثُرٍ
يَنْتَهِي مِنْ قَبْلِ هِمَّتِهِ. وَأَمَّا الَّذِي لَا يَسْمُو بِهَيْئَتِهِ إِلَى نَيْلِ أَكْثَرِ مَا

حَصَلَ لَهُ مِنَ الْمُرْتَبَةِ فَلَمَّا يُمدَحُ مِنَ الْأَمْرَيْنِ اللَّذَيْنِ مِنْ خَارِجٍ
بِأَبَائِهِ فَقَطُّ. وَكَأَنَّهُ يَرَى هَاهُنَا أَنَّ الْمَدْحَ بِمَنَاقِبِ الْأَبَاءِ لَيْسَ
يُنْبَغِي أَنْ يُقْتَصَرَ عَلَيْهِ دُونَ أَنْ يُمدَحَ بِفَضِيلَةِ ذَاتِهِ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

لَسْنَا وَإِنْ كَرُمْتَ أَوَائِلُنَا يَوْمًا عَلَى الْأَخْسَابِ تَشَكُّلُ

نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَنَفْعُلُ مِثْلَ مَا فَعَلُوا

وَأَنَّهُ قَدْ يُقْتَصَرُ بِالْمَدْحِ عَلَى الْفَضِيلَةِ دُونَ ذِكْرِ الْأَبَاءِ كَمَا قَالَ:

نَفْسُ عَصَامٍ سَوَدَتْ عَصَا مَا

(قَالَ) وَأَنَّمَا يَكُونُ الْمَدْحُ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِالْأَفْعَالِ الَّتِي تَكُونُ عَنْ
الْمَشِئَةِ وَالْإِخْتِيَارِ فَإِنَّ الْفِعْلَ الَّذِي يَكُونُ بِالْمَشِئَةِ وَالْإِخْتِيَارِ
هُوَ الْفِعْلُ الْفَاعِلُ. وَالَّذِي يُمدَحُ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ بِالِاتِّفَاقِ
أَوْ بِالْعَرَضِ مِنْ أَجْلِ أَنَّهَا إِذَا اقْتَرَنْتَ بِالْفَضَائِلِ تَرِينَا لَهَا
وَتَفْخِيمًا بِمِثَالِ الْحَسَبِ الْمُقْتَرِنِ إِلَى الْفَضِيلَةِ وَجُودَةِ الْجَمْعِ الْمُقْتَرِنِ
بِأَفْعَالِ الْفَضَائِلِ. وَأَنَّمَا يَدْخُلُ فِي الْمَدْحِ الْأَفْعَالُ الَّتِي تَكُونُ
بِالِاتِّفَاقِ وَالْأَعْرَاضِ الَّتِي تَقْتَرِنُ بِالْعَرَضِ مَعَ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَكُونُ
بِالْمَشِئَةِ مَتَى تَكَرَّرَتْ مَرَارًا كَثِيرَةً عَلَى صِفَةٍ وَاحِدَةٍ حَتَّى أَوْهَمَتْ
أَنَّهَا بِالذَّاتِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَرَضَ لَهَا ذَلِكَ ظَنَّ بِهَا أَنَّهَا عِلَامَةٌ
لِلْفَضِيلَةِ مِثْلَ أَنْ يَحْجَلَ الْإِنْسَانُ مَرَارًا كَثِيرَةً بِالِاتِّفَاقِ فِي مَوَاضِعَ
يُمدَحُ الْحَجَلُ فِيهَا. وَأَنَّمَا دَخَلَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي الْمَدْحِ لِأَنَّ
الْمَدْحَ هُوَ قَوْلٌ يَصِفُ عَظَمَ الْفَضِيلَةِ وَهَذِهِ الْأَشْيَاءُ هِيَ مِمَّا تَعْظُمُ بِهَا
الْفَضِيلَةُ. وَإِذَا اسْتَعْمِلَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ فِي الْمَدْحِ فَيُنْبَغِي أَنْ تُسْتَعْمَلَ

عَلَى أَنَّهَا حَدَّثَتْ عَنِ الرَّوِيَّةِ . وَالْأَشْيَاءُ الَّتِي بِالْإِتِّفَاقِ مِنْهَا أَشْيَاءُ
لَيْسَ الْإِنْسَانُ سَبَبُهَا لَا بِالذَّاتِ وَلَا بِالْعَرَضِ مِثْلُ الْحَسَبِ وَالْمَنْشَأِ
الْفَاضِلِ وَمِنْهَا أَشْيَاءُ تَعْرِضُ عَنِ الْأَفْعَالِ الَّتِي تَكُونُ عَنِ الرَّوِيَّةِ .
فَأَمَّا الْإِتِّفَاقَاتُ الْحَيَّةُ الَّتِي تَعْرِضُ عَنِ الْأَفْعَالِ فَتَوَخَّذْ عَلَامَةً عَلَى
الْفَضَائِلِ . وَأَمَّا الْإِتِّفَاقَاتُ الْمُتَقَدِّمَةُ عَلَى الْإِنْسَانِ فَتَوَخَّذْ فِي تَقْرِيرِ
الْفَضِيلَةِ وَتَثْبِيَّتِهَا مِثْلُ مَا يُقَالُ فِي الْمَذْحِ : إِنْ الْخِيَارُ يُؤَادُّ فِي
الْخِيَارِ . وَفِي الْأَذَمِ : إِنْ الْحَيَّةُ تَبْدُ الْحَيَّةَ . وَالْأَفْعَالُ بِالْجُمْلَةِ هِيَ الَّتِي
عَلَيْهَا يُحْمَدُ الْفَاعِلُ . وَأَمَّا آثارُ الْأَفْعَالِ فَهِيَ دَلَالٌ عَلَى الْفِعْلِ وَإِنَّمَا
يُمَدِّحُ بِهَا إِذَا اثْبَتْنَا وَنَهَا الْفِعْلَ

(قَالَ) وَجُودَةُ الْخَيْرِ الَّتِي قِيلَ فِيهَا تَقَدَّمَ إِنَّهَا السَّعَادَةُ عَلَى
مَا يَرَاهُ الْجَاهِلُونَ هِيَ وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الْإِتِّفَاقِيَّةِ الَّتِي يُمَدِّحُ بِهَا
وَاحِدَةٌ فِي الْجِنْسِ وَلَيْسَتْ هِيَ وَالْفَضَائِلُ وَاحِدَةٌ بِالْجِنْسِ بَلْ كَمَا
أَنَّ صَلَاحَ الْخَالِ جِنْسٌ لِلْفَضِيلَةِ أَغْنَى مُحِيطًا بِهَا كَذَلِكَ مَا يَخْدُثُ
بِالْإِتِّفَاقِ جِنْسٌ مُحِيطٌ بِالسَّعَادَةِ . وَهَذَانِ الْجِنْسَانِ أَغْنَى الْفَضَائِلُ وَمَا
بِالْإِتِّفَاقِ يَدْخُلَانِ جَمِيعًا فِي بَابِ الْمَذْحِ وَفِي بَابِ الْمَشُورَةِ لَكِنْ مِنْ
جِهَتَيْنِ مُخْتَلِفَتَيْنِ . وَإِنَّمَا كَانَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ لِأَنَّا إِذَا عَرَفْنَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي
يُحِبُّ أَنْ تُفْعَلَ فَقَدْ عَرَفْنَا الْأَشْيَاءَ الَّتِي إِذَا فُعِلَتْ مُدِّحُ بِهَا الْإِنْسَانُ .
وَلِذَلِكَ إِذَا ذُكِرَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ ذِكْرًا مُطْلَقًا أَمَكْنَ أَنْ تَدْخُلَ فِي
الْمَشُورَةِ وَفِي الْمَذْحِ وَذَلِكَ بِزِيَادَةِ الْجِهَةِ الَّتِي بِهَا تَدْخُلُ فِي الْمَشُورَةِ
أَوْ الْجِهَةِ الَّتِي بِهَا تَدْخُلُ فِي الْمَذْحِ . وَذَلِكَ مِثْلُ مَا يَقُولُ الْقَائِلُ

إِنَّهُ لَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُوجَبَ الْعِظَمُ وَالْفَضْلُ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ
لِلْإِنْسَانِ بِالْعَرَضِ بَلْ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي تَكُونُ عَنْ رُؤْيَاهِ وَاخْتِيَارِهِ .
فَإِذَا زِيدَ إِلَى هَذَا . فَلِذَاكَ لَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُمدَّحَ الَّذِينَ سَعَادَتُهُمْ
بِالْبُخْتِ وَإِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يُمدَّحَ الَّذِينَ سَعَادَتُهُمْ عَنْ رُؤْيَاهِ وَاخْتِيَارِهِ
كَفَلَانِ كَانَ دَاخِلًا فِي بَابِ الْمَدْحِ . وَإِذَا زِيدَ إِلَى هَذَا فَلِذَاكَ لَا
يَنْبَغِي أَنْ تُطْلَبَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَكُونُ عَنْ الْإِتِّفَاقِ بَلْ الْأَشْيَاءُ
الَّتِي تَكُونُ عَنْ الرُّؤْيَا دَخَلَ فِي الْمَشُورَةِ . وَالْأَشْيَاءُ الْإِتِّفَاقِيَّةُ قَدْ
يُمْكِنُ أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الْمَدِيحِ نَادَةً وَفِي الذَّمِّ أُخْرَى . فَإِنْ ظَنُّوا
النَّاسَ فِيهَا مُخْتَلَفَةً فَإِنَّ قَوْمًا يَرَوْنَ أَنَّ الْخَيْرَاتِ الَّتِي تَكُونُ
بِالْإِتِّفَاقِ لَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُمدَّحَ بِهَا إِذَا كَانَتْ شَيْئًا غَيْرَ مُحْصَلٍ وَلَا
مُكْتَسَبٍ لِلْإِنْسَانِ . وَقَوْمٌ يَرَوْنَ أَنَّهُ يُجِبُ أَنْ يُمدَّحَ بِهَا وَأَنَّهَا
تَدُلُّ عَلَى عِنَايَةِ إِلَهِيَّةٍ بِالَّذِي تَعَرَّضُ لَهُ وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي عَنْ
الْإِخْتِيَارِ فَالْمَدْحُ مِنْهَا يُمدَّحُ بِهِ أَبَدًا وَالْمَذْمُومُ مِنْهَا يَذَّمُ بِهِ أَبَدًا
(قَالَ) وَيَنْبَغِي أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي الْمَدْحِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي يَكُونُ
بِهَا تَعْظِيمُ الشَّيْءِ وَتَسْمِيَتُهُ وَهُوَ أَنْ يُحْدَلَ فِي الشَّيْءِ أَنَّهُ بِالْقُوَّةِ أَشْيَاءُ
كَثِيرَةٌ . وَذَلِكَ إِذَا قِيلَ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ هَذَا كَمَا قِيلَ فِي قِصَّةِ
هَابِيلَ وَقَابِيلَ . أَوْ إِنَّهُ وَحْدَهُ فَعَلَ هَذَا . أَوْ إِنَّهُ فَصَلَ فِي زَمَانٍ
يَسِيرٍ مَا شَأْنُهُ أَنْ يُفْعَلَ فِي زَمَانٍ كَثِيرٍ . أَوْ إِنَّهُ فَعَلَ فِعْلًا كَبِيرًا .
فَإِنَّ هَذِهِ كُلَّهَا إِنَّمَا تُفِيدُ عِظَمَ الْفِعْلِ . وَكَذَلِكَ إِذَا قِيلَ أَنَّهُ فَعَلَ
فِي زَمَانٍ يَسِيرٍ فِعْلُهُ . وَذَلِكَ إِذَا كَانَ بِحَسَبِ مَا يُشَاكِلُ إِنْسَانًا

إِنْسَانًا. ثُمَّ إِنَّهُ إِنْ كَانَ الْفَاعِلُ يَمُنُّ يُقْتَدَى بِهِ فِي أَعْمَالِهِ وَأَقْوَالِهِ
 مِرَارًا كَثِيرَةً فَإِنَّ فِعْلَهُ عَظِيمٌ كَمَا قِيلَ: إِنَّكُمْ أَيُّهَا الرَّهْطُ آئِنَةٌ
 يُقْتَدَى بِكُمْ. وَالْأَفْعَالُ الَّتِي يُقْتَدَى بِهَا لَيْسَتْ هِيَ الْأَفْعَالُ الَّتِي تَكُونُ
 بِالْإِتِّفَاقِ بَلِ الْأَفْعَالُ الَّتِي تَكُونُ عَنِ الْمَشِئَةِ وَالرَّوِيَّةِ. وَهَذِهِ
 الْأَشْيَاءُ قَدْ يُمَكِّنُ أَنْ تَدْخُلَ فِي الْمَشُورَةِ أَغْنِي الْأَشْيَاءَ الَّتِي
 تُعْظَمُ الشَّيْءُ مِثْلُ أَنْ يُشَارَ عَلَى الْمَرْءِ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِالْمَدْحِ الْأَوَّلِ
 فِي ذَلِكَ الْجَنَسِ أَوْ يَتَشَبَّهَ بِهِ فِي الْمَدْحِ أَوْ يُشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ
 مِنْ جُمْلَةِ الْمَدْحِيِّينَ الَّذِينَ لَا يُنَازَعُ أَحَدٌ فِي حَمْدِهِمْ. مِثْلُ الَّذِينَ
 يُدْعَوْنَ فِي الْأَسْوَاقِ أَوْ يُتَشَبَّهُ بِهِمْ فِي الْمَدْحِ. وَبِمَا يُعْظَمُ
 الْمَدْحِيِّينَ أَنْ يُقَاسُوا بِالَّذِينَ يَفْعَلُونَ أَضْدَادَ أَعْمَالِهِمْ وَذَلِكَ عِنْدَ
 ذِكْرِ أَعْمَالِهِمْ الْفَاعِلِ.

(قَالَ) وَالَّذِينَ شَانَهُمْ أَنْ يَتَشَبَّهُوا بِالْمَدْحِيِّينَ الَّذِينَ فِي
 أَعْمَالِهِمْ وَيُقَاسُوا أَنْفُسَهُمْ مَعَهُمْ دَائِمًا فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ يُشَبَّهُوا بِأُولَئِكَ
 وَأَنْ يُجْرَوْا بِمَجْرَاهُمْ فِي الْمَدْحِ وَإِنْ لَمْ يَكُونُوا وَضُؤُوا مَرَاتِبَهُمْ. فَإِنَّ
 قَضَائِهِمْ فِي نُجُوِّ دَائِمِهِمْ. وَمُقَايَسَةُ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ مَعَ غَيْرِهِ لَا
 تَصِحُّ إِلَّا مِنَ الرَّجُلِ الْفَاضِلِ لِمَوْضِعِ حُبِّ الْإِنْسَانِ لِنَفْسِهِ فَهُوَ
 يَرَى تَقَابُضَهُ أَقْلًا مِنْ تَقَابُضِ غَيْرِهِ وَإِنْ كَانَتْ أَعْظَمَ. وَيَرَى
 فَضَائِلَهُ أَكْثَرَ وَإِنْ كَانَتْ أَضْعَفَ وَلِذَلِكَ لَيْسَ كُلُّ أَحَدٍ يَسْتَطِيعُ
 الْقَاسِيَةَ وَإِنَّمَا يَسْتَطِيعُهَا الْفَضْلَاءُ مِنَ النَّاسِ وَمِثْلُ مَا حَكَى أَرِسْطُو
 عَنْ سُقْرَاطَ أَنَّهُ كَانَ يُقَاسُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ وَيُجْرَى الْأَحْكَامَ

عَلَى اخْلَاقِ نَفْسِهِ . بِمَعْنَى أَنَّهُ كَانَ يَنْظُرُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ غَيْرِهِ فَإِنْ وَجَدَ فِيهِ فَضِيلَةً آثَابَ نَفْسَهُ عَلَيْهَا وَإِنْ وَجَدَ فِيهِ رَذِيلَةً عَاقَبَ نَفْسَهُ عَلَيْهَا . وَالْمُقَاسِمَةُ التَّنَافُعُ لِمَنْ يُرِيدُ أَنْ يَتَرَدَّدَ فِي الْفَضَائِلِ إِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ بِالْمَدْوَحِينَ جِدًّا . وَقَدْ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْأَمْثَالَ هُوَلَاءِ مَمْدُوحُونَ أَعْنِي الَّذِينَ فَضَائِلُهُمْ فِي نُسُوبٍ دَائِمٍ . أَنَّ الَّذِينَ أَجْهَدُوا أَنْفُسَهُمْ فِي أَنْ يَبْلُغُوا مَبْلَغَ الْفَاضِلِينَ فَعَجَزُوا عَنْ ذَلِكَ فَهُمْ مَمْدُوحُونَ عِنْدَ الْجُمْهُورِ . وَهُوَ يَتَنَبَّهٌ أَنَّ تَعْظِيمَ الشَّيْءِ دَاخِلٌ فِي الْمَدْحِ . فَإِنَّ التَّعْظِيمَ لِلشَّيْءِ تَشْرِيفٌ لَهُ وَالتَّشْرِيفُ مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يُمْدَحُ بِهَا . وَيَنْبَغِي إِذَا أُريدَ التَّعْظِيمُ بِالتَّشْبِيهِ أَنْ يُشَبَّهَ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمُحْسِنِينَ فَإِنَّ فِي هَذَا الْفِعْلِ تَشْرِيفًا لِلْمَمْدُوحِ وَدَلَالَةً لِلْجُمْهُورِ عَلَى فَضِيلَتِهِ . وَجُمْلَةُ أَقْوَالٍ فِي الْأَنْوَاعِ الْمُشْتَرَكَةِ لِأَجْناسِ الْأَقَاوِيلِ الثَّلَاثَةُ أَنَّ التَّعْظِيمَ وَإِنْ كَانَ مُشْتَرَكًا لِأَجْناسِ الْأَقَاوِيلِ الْخَطِيئَةُ الثَّلَاثَةُ فَهُوَ أَخْصُ بِالْمَدْحِ وَالذَّمِّ . لِأَنَّهُ إِنَّمَا يُمْدَحُ الْإِنْسَانُ أَوْ يُذَمُّ بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ الْمَوْجُودَةُ الْمُعْتَرَفُ بِوُجُودِهَا . وَتَعْظِيمُ الشَّيْءِ أَخْصُ بِالْمَوْجُودِ مِنْهُ بِالْمَعْدُومِ . وَلِذَلِكَ قَدْ يَنْبَغِي لِلْمَدْحِ أَنْ يَصِفَ جَلَالََةَ الشَّيْءِ وَبَهَاءَهُ وَزِينَتَهُ . وَأَمَّا امْتِعْمَالُ الْعَلَامَاتِ وَالْمِثَالَاتِ فَهُوَ أَخْصُ بِالشُّوْرَةِ لِأَنَّ مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَصَرِّمَةِ الَّتِي قَدْ سَلَفَتْ يُحْدَسُ عَلَى الَّتِي سَتَكُونُ وَإِعْطَاءُ السَّبَبِ وَالْعِلَّةِ مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي قَدْ سَلَفَتْ نَحْنُ لَهُ أَكْثَرُ قَبُولًا وَتَعْظِيمًا لِاتِّقَضَائِهِ وَتَصَرُّوهِ . وَأَمَّا مَعْرِفَةُ الْعَدْلِ وَالْجَوْرِ فَهُوَ خَاصٌّ بِالْمُشَاجَرَةِ . وَبِالْجُمْلَةِ فَجَمِيعُ الْمَدْحِ

وَالذَّمَّ إِنَّمَا يَكُونُ بِالْمَقَاسَةِ بَيْنَ سَلَفٍ مِنَ الْمُحْمُودِينَ
وَالْمَذْمُومِينَ. وَقَدْ يَنْبَغِي لِلْمَادِحِ وَالذَّامِ أَنْ يَعْلَمَ بِحَضْرَةِ مَنْ يَكُونُ
الْمَدْحُ أَوِ الذَّمُّ أَغْنِي أَنْ يَدَّحَ بِحَضْرَةِ الْأَصْدِقَاءِ وَيَذُمَّ بِحَضْرَةِ الْأَعْدَاءِ
كَمَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْلَمَ الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَأْخُذُ وَنَهَا الْمَدْحَ وَالذَّمَّ وَهِيَ
الَّتِي سَلَفَ ذِكْرُهَا وَهِيَ الْفَضَائِلُ وَقَاعِلَاتُهَا وَعَلَامَاتُهَا وَأَعْرَاضُهَا
وَهُوَ بَيِّنٌ أَنَّ مِمَّا ذَكَرْنَاهُ مِنْ حُدُودِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ تُعْرَفُ حُدُودُ
أَصْدَادِهَا إِذَا كَانَ الصِّدُّ يُعْرَفُ مِنْ ضِدِّهِ

الفصل العاشر

في انواع الخطب ومن برع فيها

البحث الاول

في خطب التهاني

(من كتاب صناعة الترسل)

إِنَّ التَّهْنِائِيَّ لَيْسَ فِيهَا إِلَّا بَسْطُ الْكَلَامِ وَالْإِظْطَابُ فِي
شُكْرِ نِعَمِ اللَّهِ وَالتَّبَرُّؤِ مِنَ الْخَوْلِ وَالْقُوَّةِ إِلَّا بِهِ وَوَصْفُ مَا
أُعْطِيَ مِنَ النَّصْرِ وَنَجِّهِ مِنَ الثَّبَاتِ وَتَعْظِيمُ مَا يُسَّرُ مِنَ الْفَتْحِ ثُمَّ
مَا وَصَفَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِهِ وَإِقْدَامِهِ وَصَبْرِهِ وَجَلْدِهِ عَنِ الْمَلِكِ وَعَنْ
جَائِشِهِ حَسَنَ وَغَمَّةٍ فَلَاقَ ذِكْرَهُ وَرَاقَ التَّوَسُّعِ وَعَذَبَ بَسْطُ

الْكَلَامِ فِيهِ فَإِنَّهُ مُتَرَتَّبٌ عَلَى مَا قَدَّمَ مِنْ نِسْبَةِ النَّصْرِ إِلَى
وَاهِيهِ وَالْجَلَدِ إِلَى مُعْطِيهِ وَالثَّبَاتِ إِلَى الْمُؤَفَّقِ لَهُ ثُمَّ كَلَّمَ اتَّسَعَ
مَجَالُ الْكَلَامِ فِي ذِكْرِ الْمُرَافَقَةِ وَوَضَفِهَا كَانَ أَحْسَنَ وَأَدَلَّ عَلَى
الْبَلَاغَةِ وَأَدْعَى لِسُرُورِ الْمَدُوحِ وَأَحْسَنَ لِمَوْقِعِ النِّعْمَةِ عِنْدَهُ
وَأَشْهَى إِلَى سَمْعِهِ وَأَشْفَى لِقَلِيلِ شَوْقِهِ إِلَى مَعْرِفَةِ الْحَالِ عَلَى
جَلِيلَتِهِ وَلَا بَأْسَ بِتَهْوِيلِ أَمْرِ الْعَدُوِّ وَوَضَفِ جَمْعِهِ وَاقْدَاوِهِ فَإِنَّ
فِي تَضْعِيفِ أَمْرِهِ تَحْقِيقَ الظَّنِّ بِهِ

البحث الثاني

في خطب التقليد

(من الكتاب نفسه)

الْأَخْسَنُ مِنْهَا بَسْطُ الْكَلَامِ وَتُعْتَبَرُ كَثْرَتُهُ وَقِلَّتُهُ بِحَسَبِ
الرُّتَبِ وَيَجِبُ أَنْ يُرَاعَى فِيهَا أُمُورٌ مِنْهَا بَرَاعَةُ الْأَسْتِغْلَالِ بِذِكْرِ
الرُّتَبَةِ أَوْ الْحَالِ وَقَدَرِ النِّعْمَةِ أَوْ لِقَبِّ صَاحِبِ التَّقْلِيدِ أَوْ أُنْسِهِ
لَا يَكُونُ الْمَطْلَعُ أَجْنَبِيًّا مِنْ هَذِهِ الْأَحْوَالِ وَلَا بَعِيدًا مِنْهَا وَلَا
مُبَايَنًا لَهَا ثُمَّ يَنْسْتَضِجُ مَا يُنَاسِبُ الْغَرَضَ وَيُؤَافِقُ الْمَقْصَدَ مِنْ أَوَّلِ
الْخُطْبَةِ إِلَى آخِرِهَا وَيَحْسُنُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ مُنْقَسِمًا فِي التَّقْلِيدِ
عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ مُتَقَارِبَةٍ الْقَادِيرِ فَالرُّبْعُ الْأَوَّلُ الْخُطْبَةُ وَالثَّانِي
ذِكْرُ مَوْقِعِ الْإِنْعَامِ فِي حَقِّ الْقَلَدِ وَذِكْرُ الرُّتَبَةِ وَتَفْخِيمُ أَمْرِهَا

وَالثَّالِثُ فِي أَوْصَافِ الْمَقْلَدِ وَذِكْرُ مَا يُنَاسِبُ تِلْكَ الرُّتَبَةَ وَيُنَاسِبُ
حَالَهُ مِنْ عَدْلٍ وَسِيَاسَةٍ وَمَهَابَةٍ وَبُعْدِ صِيَةٍ وَسُمْعَةٍ وَشَجَاعَةٍ إِنْ
كَانَ نَائِبًا وَوَضْفِ الْعَدْلِ وَالرَّأْيِ وَحُسْنِ التَّذْيِيرِ وَالْمَعْرِفَةِ بِوُجُوهِ
الْأَقْوَالِ وَعِمَارَةِ الْبِلَادِ وَصَلَاحِ الْأَحْوَالِ وَمَا يُنَاسِبُ ذَلِكَ إِنْ
كَانَ وَزِيرًا وَكَذَلِكَ فِي كُلِّ رُتَبَةٍ بِحَسَبِهَا. وَالرَّابِعُ فِي الْوَصَايَا وَهَذِهِ
هِيَ الْقَاعِدَةُ فِي مِثْلِ ذَلِكَ وَمِنْهَا تُرَاعَى الْمُنَاسَبَةُ وَمَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ
فَلَا يُعْطَى أَحَدًا قَوْقَ حَقِّهِ وَلَا يَصِفُهُ بِأَكْثَرِ مِمَّا يُرَادُ مِنْ مِثْلِهِ
وَيُرَاعَى أَيْضًا مِقْدَارُ النِّعَمَةِ وَالرُّتَبَةِ فَيَكُونُ وَضْفُ الْمُنْتَهَى بِهَا عَلَى
وَمِقْدَارِ ذَلِكَ وَمِنْهَا أَنْ لَا يَصِفَ الْمُتَوَلِّي بِمَا يَكُونُ فِيهِ تَعْرِضُ
بِالْعَذُولِ وَتَقْيِصُ لَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُؤْغِرُ الصُّدُورَ وَيُورِثُ الضَّغَائِنَ
فِي الْقُلُوبِ وَيُدِلُّ عَلَى ضَعْفِ الْأَرَءَاءِ فِي اخْتِيَارِ الْأَوَّلِ وَلَهُ أَنْ
يَصِفَ الثَّانِي بِمَا يَحْضُرُ بِهِ الْقُصُودُ مِنْ غَيْرِ تَعْرِضٍ بِالْأَوَّلِ وَمِنْهَا
أَنْ يَتَخَيَّرَ الْكَلَامَ وَالْعَمَانِي فَإِنَّهُ مِمَّا يَشِيعُ وَيَذِيعُ وَلَا يُعَدُّ الْمَقْصَرُ
فِي ذَلِكَ بِحِجَلَةٍ وَلَا ضِيْقٍ فَإِنَّ جَمَالَ الْكَلَامِ عَلَيْهِ مُتَسِعٌ وَالْبَلَاغَةُ
تُظْهِرُ فِي الْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ وَالْأَمْرُ الْجَارِي فِي ذَلِكَ عَلَى الْعَادَةِ
مَعْرُوفٌ وَفِي أَيْدِي النَّاسِ مِمَّا كَتَبْتُ فِيهِ شَيْءٌ كَثِيرٌ لَكِنْ تَقَعُ
أَشْيَاءٌ خَارِجَةٌ عَنِ الْعَادَةِ فَيَحْتَاجُ الْكَاتِبُ إِلَى التَّنَصُّفِ فِيهَا عَلَى
مَا يَقْتَضِيهِ الْحَالُ



البحث الثالث

في الارتجال والبديهة وإشارات الخطيب

(من كتاب بدائع البدائه والعقد الفريد)

قِيلَ إِنَّ الْأَرْتِجَالَ فِي اللُّغَةِ مَأْخُودٌ مِنَ الْأَنْصَابِ وَالسُّهُولَةِ وَمِنْهُ
 قِيلَ : شَعْرُ رَجُلٍ إِذَا كَانَ سَبْطًا غَيْرَ جَعْدٍ وَمُسْتَرْسِلًا غَيْرَ مُنْقَضٍ .
 وَقِيلَ مِنْ أَرْتِجَلِ الْبَيْتِ وَهُوَ أَنْ يَنْزِلَ الرَّجُلُ بِرِجْلَيْهِ مِنْ غَيْرِ حَبْلِ
 فَكَانَتْهُمْ شَبْهُوا أَقْتِدَارَ الشَّاعِرِ عَلَى الْقَوْلِ مِنْ غَيْرِ فِكْرَةٍ وَلَا أَهْبَةِ
 بِأَقْتِدَارِ نَازِلِ الْبَيْتِ عَلَى التَّذْوِيلِ مِنْ غَيْرِ حَبْلِ وَلَا آلَةٍ . وَالْبَدِيْهَةُ
 مُشْتَقَّةٌ مِنْ بَدَهَ يَدَهُ بِمَعْنَى بَدَأَ يَبْدَأُ أَبْدَلُوا الْهَمْزَةَ هَاءً لِقُرْبِهَا مِنْهَا
 كَمَا قَالُوا : لَهْنَكَ بِمَعْنَى لَأَنَّكَ وَكَمَا أَبْدَلُوا أَلْهَاءَ آيَضًا بِأَلْهَاءَ لِقُرْبِهَا
 مِنْهَا فَقَالُوا مَدَحَ وَمَدَهَ . وَاشْتَقَاقًا الْأَرْتِجَالَ وَالْبَدِيْهَةَ وَإِنْ كَانَا
 مُتَقَارِبَيْنِ إِلَّا أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ مَيَّزُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَنِ
 الْآخَرِ بِمَا سَنَذْكُرُهُ فَنَقُولُ :

الْأَرْتِجَالُ هُوَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُ مَا يَقُولُ فِي أَوْحَى مِنْ خَطْفِ
 الْبَارِقِ وَأَخْطَافِ السَّارِقِ وَأَسْرَعَ مِنْ التَّيْحِ الْوَامِقِ وَنُقُودِ
 السَّهْمِ الْمَارِقِ حَتَّى يُحَالَ مَا يُعْمَلُ مُحْفُوظًا أَوْ مَرِيئًا مُلْحُوظًا مِنْ غَيْرِ
 حَاجَةٍ إِلَى كِتَابَةٍ وَلَا تَعَلُّلٍ بِتَقْيِيهِ وَتَتَفَرَّدُ عِنْدَ ذَلِكَ قَضِيَّةُ الْحَالِ
 بِاخْتِرَاعِ الْوُزْنِ وَالْقَافِيَةِ وَهُمْ الشُّهُودُ الْعُدُولُ الَّذِينَ يَحِبُّ الرُّجُوعُ

إِلَيْهِمْ وَلَا يَجُوزُ عَنْهُمْ الْعُدُولُ بِالشَّهَادَةِ عَلَى اسْتِطَاعَتِهِ وَأَنَّ ذَلِكَ
الْمَنْظُومَ إِنْ سَاعَتِهِ. وَالْبَدِيهَةُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَى هَذِهِ الطَّبَقَةِ قَلِيلًا
وَيُفَكِّرَ مُقَصِّرًا لَا مُطِيلًا فَإِنْ أَطَالَ ذُو الْبَدِيهَةِ الْفِكْرَةَ
أَنْعَكَسَتْ الْقَضِيَّةُ وَخَرَجَتْ مِنْ حَدِّ الْبَدِيهَةِ إِلَى حَدِّ الرُّوْيَةِ
وَعِنْدَ ذَلِكَ تَقْصُرُ نَهْضَةُ الْإِقْتِدَارِ عَنْ بُلُوغِ ذَلِكَ الْخِضَارِ إِذَا الْمُرْتَجِلُ
وَالْبَالِدُ يُنْفَعُ مِنْهَا بِالرَّذِي الْيَسِيرِ وَلَا يُنْفَعُ مِنْ الرُّوْيِ إِلَّا بِالْحَيْدِ
الْكَثِيرِ وَكَفَاكَ فِي ذِكْرِهَا قَوْلُ ابْنِ الْمَعْتَرِ :

وَالْفِكْرُ قَبْلَ الْقَوْلِ يَوْمَنْ زَيْغُهُ شَتَانٌ بَيْنَ رُيَّةٍ وَبَدِيهِ
وَقَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ :

نَارُ الرُّوْيَةِ نَارٌ تُسَلِّقِي نَضِيجَةً وَلِلْبَدِيهَةِ نَارٌ ذَاتُ تَسْلُوجٍ
وَقَدْ يُفَضِّلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنَّا عَاجِلٌ يَمْضِي مَعَ الرِّيحِ
وَحَسْبُكَ يَهْرَبُ إِمَامُ الشُّعْرَاءِ وَقَاتِبُهُمْ مِنْ الْبَدِيهَةِ قَمَا ذُنُوكَ
بِالْأَرْجَالِ وَإِذَا كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبٍ الرَّاسِيَّ رَيْسُ الْخَوَارِجِ
فِي يَوْمِ النَّهْرِ أَنْ يَقُولُ وَهُوَ الْبَدَوِيُّ الْفَصِيحُ وَالْعَرَبِيُّ الصَّرِيحُ
إِيَّاكُمْ وَالرَّأْيُ الْفَطِيرُ وَالْكَلَامُ الْقَضِيبُ يَقُولُ هَذَا فِي مُطْلَقِ
الْكَلَامِ وَهُوَ غَيْرُ مُقَيَّدٍ بِوِزْنٍ وَلَا قَافِيَةٍ فَكَيْفَ الظَّنُّ بِالْمُقَيَّدِ
بِهِمَا لَعَنَرِي أَنَّهُ لَمَقَامٌ يَجِبُنَّ فِيهِ الشُّجَاعُ وَيَكْذِبُ فِيهِ رَأْيُ الْفِكْرِ
فِي طَلَبِ الْإِتِّجَاعِ

قَالَ مُحَمَّدٌ كَاتِبُ إِبْرَاهِيمَ وَكَانَ شَاعِرًا رَافِيًا وَطَالِبًا لِلنَّحْوِ عَلَامَةً
قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا دَاوُدَ وَجَرَى شَيْءٌ مِنْ ذِكْرِ الْخُطْبِ وَتَمْيِيزِ الْكَلَامِ

فَقَالَ: تَخِيصُ الْمَعَانِي رِفْقُ وَاسْتِعَانَةُ بِالْعَرِيبِ عَجْزُ وَالتَّشَادُقُ فِي غَيْرِ
أَهْلِ الْبَادِيَةِ نَقْصُ وَالنَّظَرُ فِي عُيُوبِ النَّاسِ عِيٌّ وَمَسُّ الْحَيَّةِ هُلْكُ
وَالْخُرُوجُ مِمَّا بُنِيَ عَلَيْهِ الْكَلَامُ إِسْهَابُ (فَقَالَ) وَسَمِعْتُهُ يَقُولُ رَأْسُ
الْخُطَابَةِ الطَّبْعُ وَعُمُودُهَا الدُّرْبَةُ وَحَلْيُهَا الْإِعْرَابُ وَبَهَاؤُهَا تَحْيِيرُ اللَّفْظِ
وَالْحُبَّةُ مَقْرُونَةٌ بِقَلَّةِ الْأَسْتِكْرَاهِ وَأَنْشَدَنِي بَيْتًا فِي خُطْبَةٍ إِيَادُ
يُومُونَ بِاللَّفْظِ الْحَنِيِّ وَتَارَةً رَحِمِي الْمَلَا حِظْ خِيفَةُ الرُّقْبَاءِ
(وَقَالَ) ابْنُ الْإِعْرَابِيِّ قُلْتُ لِلْفَضْلِ مَا الْإِيحَارُ عِنْدَكَ قَالَ
حَذْفُ الْفُضُولِ وَتَقْرِيبُ الْبَعِيدِ (وَتَكَلَّمَ) ابْنُ السَّمَّاكِ يَوْمًا وَجَارِيَةٌ
أَنَّ تَسْمَعُ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ لَهَا كَيْفَ سَمِعْتَ كَلَامِي قَالَتْ إِلَى أَنَّ
تَفْهَمَهُ مَنْ لَمْ يَفْهَمَهُ مَلَهُ مَنْ فَوَهَهُ

البحث الرابع

في خطب الوعاظة

(من كتاب التبيان للجاحظ وكتاب العقيد الفريد)

وزهر الاداب للعصري بتصرف)

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ فِي الْمُحْتَضَبِ: لَمَّا كَانَتْ الْمَوَاعِظُ مَسْدُوبًا
إِلَيْهَا يَقُولُ: فَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَ تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ وَقَوْلُهُ لِعَمَالِهِ
تَعَاهِدُوا النَّاسَ بِالتَّذْكِرَةِ. وَلِأَنَّ أَذْوَاءَ الْقُلُوبِ تَقْتَقِرُ إِلَى
أَذْوِيَةٍ كَمَا تَحْتَاجُ أَمْرَاضُ الْبَدَنِ إِلَى مُعَالَجَةٍ أَلْفَتْ فِي هَذَا

الْفَنِّ كُتِبَ تَشْتِمِلُ عَلَى أُصُولِهِ وَفُرُوعِهِ وَكَانَ السَّلَفُ يُقْتَضُونَ مِنْ
 الْمَوَاعِظِ بِالْيَسِيرِ مِنْ غَيْرِ تَحْسِينِ لَفْظٍ أَوْ زَخْرَفَةٍ نَظْمٍ وَمَنْ تَأَمَّلَ
 مَوَاعِظَ الْخُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَغَيْرِهِ مِمَّا اشْتَرَتْ إِلَيْهِ. وَكَذَلِكَ كَانَتْ أَلْفَقَاهُ
 فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ يَتَنَاطَرُونَ مِنْ غَيْرِ مُعَارَضَةٍ فِي تَسْمِيَةِ قِيَاسٍ عَلَيْهِ
 أَوْ قِيَاسٍ شَبَّهِ وَتَرْجُو أَنْ يَكُونَ مَا أَخَذْتُ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَالْأَسَامِي
 لَا يَخْرُجُ عَنْ مَرَضَةِ الْأَوَائِلِ وَلِذَاكَ مَا أَخَذْتُ مِنَ الْعُلَمَاءِ الْمَذْكُورِينَ
 مِنْ تَحْسِينِ لَفْظٍ أَوْ تَنْجِيعِ وَعَظٍ وَلَا يَخْرُجُ مِنْ قَانُونِ الْجَوَادِ وَمَا
 ذَاكَ إِلَّا بِمَثَابَةِ جَمْعِ الْقُرْآنِ الَّذِي أَبْتَدَأَ بِهِ أَبُو بَكْرٍ وَثَنِي بِهِ عُثْمَانُ
 فِي شَهْرِ رَمَضَانَ وَأَذِنَ لِتَسْمِيَةِ الدَّارِيِّ أَنْ يَقْصَّ وَمِثْلُ هَذِهِ لَا
 تُذَمُّ لِكُونِهَا أَبْتَدِعَتْ إِذْ لَيْسَتْ تَخْرُجُ عَنِ الْأَعْمَالِ الْمَشْرُوعِ وَقَالَ
 الْحَسَنُ الْقَاصِصُ بِدَعَاةٍ كَمْ مِنْ أَخٍ يَسْتَفَادُ وَدَعْوَةٍ تُسْتَجَابُ
 قَالَ بَعْضُ الْقَدَمَاءِ إِنَّ الْوَعْظَ حَبْلُ اللَّهِ الْمَمْدُودُ وَعَهْدُهُ الْمَعْهُودُ
 وَظِلُّهُ الْعَمِيمُ وَسِرَاطُهُ الْمُسْتَقِيمُ وَنُجْمَتُهُ الْكُبْرَى وَمَجْمَعَتُهُ الْوُسْطَى وَهُوَ
 الْوَاضِعُ سَبِيلُهُ الرَّاشِدُ دَلِيلُهُ الَّذِي مَنْ اسْتَضَاءَ بِصَاحِبِيهِ أَبْصَرَ وَتَجَا
 وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ ضَلَّ وَهُوَ حُجَّةُ اللَّهِ وَعَهْدُهُ وَوَعِيدُهُ وَعَدُّهُ بِهِ يَعْلَمُ
 الْجَاهِلُ وَيَعْمَلُ الْعَالِمُ الْعَامِلُ وَيَنْتَبِهُ السَّاهِي وَيَتَذَكَّرُ اللَّاهِي بِشِيرِ
 الثَّوَابِ وَتَذِيرِ الْعِقَابِ وَشِفَاءِ الصَّدُورِ وَجَلَاءِ الْأُمُورِ مِنْ فَضَائِلِهِ
 أَنَّهُ يُقْرَأُ دَائِمًا وَيُكْتَبُ وَيُحْلَى وَلَا يَمِلُ مَا أَهْوَنُ الدُّنْيَا عَلَى مَنْ
 جَعَلَ الدِّينَ إِمَامَهُ وَتَصَوَّرَ أَمَامَهُ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ
 الْحِكْمَةُ مُرَاقَبَةُ الْقُلُوبِ مِنْ سَيِّئَةِ الْفَعْلَةِ وَمُنْقِذَةٌ لِلْبَصَائِرِ مِنْ مَكْرَةٍ

اخْيَرَةُ وَنَحِيَّةٌ لَهَا مِنْ مَوْتِ الْجَهَالَةِ وَمُسْتَحْرَجَةٌ لَهَا مِنْ ضَيْقِ الصَّلَاةِ
 وَالْعِلْمِ دَوَاءٌ لِلْقُلُوبِ الْعَلِيلَةِ وَمَسْخَدٌ لِلْأَذْهَانِ الْكَلِيلَةِ وَنُورٌ فِي
 الظُّلْمَةِ وَأَنْسٌ فِي الْوَحْشَةِ وَصَاحِبٌ فِي الْوَحْدَةِ وَسَيِّدٌ فِي الْخَلْوَةِ
 وَوُضْعَةٌ فِي الْجُلُوسِ وَمَادَّةٌ لِلْعَقْلِ وَتَأْقِيجٌ لِلْفَهْمِ وَنَافٍ لِلْعِيَالِ
 الْبَاهِلِ الْأَحْسَابِ الْقَصِيرِ يَدْرِي الْأَلْبَابِ أَنْطَقَ اللَّهُ سُجَّاتِهِ أَهْلَهُ
 بِأَبْيَانِ الَّذِي جَعَلَهُ صِفَةً لِكَلَامِهِ فِي تَنْزِيلِهِ وَآيَدُهُ رُسُلُهُ إِضَاحًا
 لِلْمُسْكِلَاتِ وَقَضَاءً بَيْنَ الشُّبُهَاتِ شَرَفَ بِهِ الْوُضِيعَ وَأَعَزَّهُ بِهِ
 الدَّلِيلَ وَسَوَّدَ بِهِ الْمُسَوَّدَ مَنْ تَحَلَّى بِغَيْرِهِ فَهُوَ مُعْطَلٌ وَمَنْ تَعَطَّلَ مِنْهُ
 فَهُوَ مُعْقَلٌ لَا تُبْلِيهِ الْآيَامُ وَلَا تَحْتَرِمُهُ الدُّهُورُ يَتَجَدَّدُ عَلَى الْإِبْتِدَالِ
 وَيَذْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ لِلَّهِ عَلَى مَنْ بِهِ مِنْ عِبَادِهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ قِيلَ
 لِعِمْرُو بْنِ عُبَيْدٍ مَا الْبَلَاغَةُ قَالَ مَا بَلَغَكَ الْجَنَّةُ وَعَدَلُ بِكَ عَنْ النَّارِ
 وَبَصَرَكَ مَوَاقِعَ رُشْدِكَ وَعَوَاقِبَ عَمَلِكَ قَالَ السَّائِلُ لَيْسَ هَذَا
 أُرِيدُ قَالَ مَنْ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْكُتَ لَمْ يُحْسِنْ أَنْ يَسْتَمِعَ وَمَنْ لَمْ
 يُحْسِنْ الْإِسْتِمَاعَ لَمْ يُحْسِنْ الْقَوْلَ قَالَ لَيْسَ هَذَا أُرِيدُ قَالَ : قَالَ
 النَّبِيُّ إِنَّا مَعَشَرُ الْأَنْبِيَاءِ فِينَا تَلَكَّا أَيُّ قَلَّةٍ الْكَلَامِ وَكَانُوا
 يَكْرَهُونَ أَنْ يَزِيدَ مَنْطِقُ الرَّجُلِ عَلَى عَقْلِهِ . قَالَ السَّائِلُ لَيْسَ هَذَا
 أُرِيدُ . قَالَ : كَانُوا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ وَمِنْ سَقَطَاتِ الْكَلَامِ
 مَا لَا يَخَافُونَ مِنْ فِتْنَةِ السُّكُوتِ وَسَقَطَاتِ الصَّمْتِ . قَالَ : لَيْسَ هَذَا
 أُرِيدُ . قَالَ عِمْرُو : يَا هَذَا فَكَيْفَ تَرِيدُ تَحْيِيرَ اللَّفْظِ فِي حُسْنِ الْإِنْفَهَامِ .
 قَالَ : نَعَمْ . قَالَ : إِنَّكَ إِنْ أَرَدْتَ تَقْرِيرَ حُجَّةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي عُقُولِ

الْمُكَلَّفِينَ وَتَخْفِيفَ الْمَوْثِقَةِ عَلَى الْمُسْتَمْعِينَ وَتَرْزِيقَ تِلْكَ الْمَلْعَانِ فِي قُلُوبِ الْمُرِيدِينَ بِالْأَلْفَاظِ الْحَسَنَةِ فِي الْأَذَانِ الْمُبْتَوَلَةِ عِنْدَ الْأَذْهَانِ رَغْبَةً فِي سُرْعَةِ إجابَتِهِمْ وَنَفْيِ الشَّوْاعِلِ عَنْ قُلُوبِهِمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ عَلَى الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ كُنْتَ قَدْ أُوتِيتَ الْحِكْمَةَ وَفَضَلَ الْخِطَابِ وَاسْتَوْجِبْتَ مِنَ اللَّهِ جَزِيلَ الثَّوَابِ

قَالَ ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ: وَأَحْكَمُ الْمَوَاعِظِ مَوَاعِظُ اللَّهِ ثُمَّ مَوَاعِظُ الْأَنْبِيَاءِ ثُمَّ مَوَاعِظُ الْأَبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ ثُمَّ مَوَاعِظُ الْحُكَمَاءِ وَالْأَدْبَاءِ ثُمَّ مَقَامَاتُ الْعِبَادِ بَيْنَ أَيْدِي الْخُلَفَاءِ ثُمَّ قَوْلُهُمْ فِي الزُّهْدِ وَرَجَالِهِ الْمَعْرُوفِينَ بِهِ ثُمَّ الْمَشْهُورِينَ مِنَ الْمُنْتَهِسِينَ إِلَيْهِ وَالْمَوْعِظَةُ ثَقِيلَةٌ عَلَى السَّمْعِ مُسْتَحْرَجَةٌ عَلَى النَّفْسِ بَعِيدَةٌ مِنَ الْقَبُولِ لِإِعْتِرَاضِهَا الشَّهْوَةَ وَمُضَادَّتِهَا الْهَوَى الَّذِي هُوَ رَيْعُ الْقَلْبِ وَمُرَادُ الرُّوحِ وَمَرْبَعُ اللَّهْوِ وَمَسْرَحُ الْأَمَانِيِّ إِلَّا مَنْ وَعَظَهُ عِلْمُهُ وَارْشَدَهُ قَلْبُهُ وَاحْكَمَتْهُ تَجَرُّبَتُهُ. قَالَ الشَّاعِرُ:

لَنْ تَرْجِعَ النَّفْسُ عَنْ غَيْبِهَا حَتَّى يَرَى مِنْهَا لَهَا وَاعِظُ
(وَقَالَتِ الْحُكَمَاءُ) السَّعِيدُ مَنْ وَعَظَ بغيرِهِ وَلَا يَتَعَنَّى مَنْ
وَعَظَهُ بغيرِهِ وَلَكِنْ مَنْ رَأَى الْعِبْرَةَ فِي غَيْرِهِ فَأَتَعَظَّ بِهَا فِي نَفْسِهِ
وَلِذَلِكَ كَانَ يَقُولُ الْحَسَنُ: اقْرَعُوا هَذِهِ النَّفُوسَ فَإِنَّهَا طَلَعَتْ وَحَادِثُوهَا
بِالذِّكْرِ فَإِنَّهَا سَرِيعَةُ الدُّثُورِ وَأَعْصُوهَا فَإِنَّهَا إِنْ أُطِيعَتْ بَرَعَتْ فِي
الشَّرِّ غَايَةً وَكَانَ يَقُولُ عِنْدَ انْقِضَاءِ مَجْلِسِهِ وَخَتَمَ مَوْعِظَتِهِ يَا هَا مِنْ
مَوْعِظَةٍ لَوْ صَادَقَتْ مِنْ الْقُلُوبِ حَيَاةً. وَكَانَ ابْنُ السَّمَاكِ يَقُولُ

إِذَا قَرَعَ مِنْ كَلَامِهِ: أَلَسُنْ تَصِفُ وَقُلُوبُ تَعْرِفُ وَأَعْمَالُ تُخْلِفُ.
وَقَالَ يُونُسُ بْنُ عُيَيْدٍ: لَوْ أَمَرْنَا بِالْجَنَعِ لَصَبَرْنَا يُرِيدُ ثِقَلُ الْمَوْعِظَةِ
عَلَى السَّنَعِ وَجُوحِ النَّفْسِ إِلَى مُحَالَفَتِهَا. وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ: (أَحَبُّ شَيْءٍ
إِلَى الْإِنْسَانِ مَا مُنِعَا). وَقَوْلُهُمْ: وَالشَّيْءُ يُرْغَبُ فِيهِ حِينَ يُنْتَعَمُ
وَالْمَوْعِظَةُ مَا نِعَةُ لَكَ مِمَّا تَشْتَهِي حَامِلَةٌ لَكَ عَلَى مَا تَكْرَهُ إِلَّا
أَنْ تَلْقَاهَا بِسَمْعٍ. قَدْ فُتِنَتْهُ الْعِزَّةُ وَقَلْبٌ قَدَحَتْ فِيهِ الْفِكْرَةُ
وَنَفْسٌ لَهَا مِنْ عِلْمِهَا زَاجِرٌ وَمِنْ عَقْلِهَا رَادِعٌ فَيُفْتَحُ لَكَ بَابُ
التَّوْبَةِ وَيُوضَحُ لَكَ سَبِيلُ الْإِنَابَةِ (قَالَ النَّبِيُّ) حُفَّتِ الْجَنَّةُ بِالْمَكَارِهِ
وَحُفَّتِ النَّارُ بِالشَّهَوَاتِ يُرِيدُ أَنَّ الطَّرِيقَ إِلَى الْجَنَّةِ أُخْتِمَالُ
الْمَكْرُوهِ فِي الدُّنْيَا وَالطَّرِيقَ إِلَى النَّارِ رُكُوبُ الشَّهَوَاتِ وَخَيْرُ
الْمَوْعِظَةِ مَا كَانَتْ مِنْ قَائِلٍ مُخْلِصٍ إِلَى سَامِعٍ مُنْصِفٍ (وَقَالَ بَعْضُهُمْ)
الْكَلِمَةُ إِذَا خَرَجَتْ مِنْ الْقَلْبِ وَقَعَتْ فِي الْقَلْبِ وَإِذَا خَرَجَتْ
مِنَ اللِّسَانِ لَمْ تَجَاوِزِ الْأَذَانَ. وَقَالُوا مَا أَحْسَنَ النَّاجِ. وَهُوَ عَلَى
رَأْسِ الْمَلِكِ أَحْسَنُ. وَمَا أَحْسَنَ الدَّرَّ. وَهُوَ عَلَى نَحْرِ الْفَتَاةِ أَحْسَنُ وَمَا
أَحْسَنَ الْمَوْعِظَةَ. وَهِيَ مِنَ الْفَاضِلِ التَّقِيَّ أَحْسَنُ. (وَقَالَ زِيَادٌ)
أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَنْفَعُكُمْ سُوهُ مَا تَعْلَمُونَ مِنَّا أَنْ تَتَنَبَّهُوا بِأَحْسَنِ مَا
تَسْمَعُونَ مِنَّا. قَالَ الشَّاعِرُ:

إِعْمَلْ بِقَوْلِي وَإِنْ قَصُرَتْ فِي عَمَلِي

يَنْفَعَكَ قَوْلِي وَلَا يَضُرُّكَ تَقْصِيرِي

البحث الخامس

في غاية الوعظ

(من كتاب الفصن الرطب للمقري)

قَالَ لِسَانُ الدِّينِ بْنِ الْخَطِيبِ فِي الرُّوضَةِ فِي مُحَرِّكَاتِ الْعَزِيمَةِ
وَهِيَ الْيَقَظَةُ مَا نَحْنُ قَاتُ وَالْمُحَرِّكَاتُ الْمُسْتَرْكَاتُ فِي بَاعِثِ الْيَقَظَةِ
كَثِيرَةٌ مِنْهَا الْوَعْظُ السَّائِقُ بِمَقْوَدِ الشَّارِدِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَى مَرَبِطِ
التَّوْبَةِ وَمُحَرِّكِ الْعَزِيمَةِ يُرَدِّدُ آدَاءَهُ عَلَى نَوْمِ أَهْلِ الْكَهْفِ وَقَدْ ضُرِبَ
نَوْمُ الْغَفْلَةِ عَلَى آذَانِهِمْ حَتَّى يَحُولَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ آذَانِهِمْ وَيُرَكِّبُهُمْ
ظَهَرُ الرِّيَاضَةِ حَتَّى تُلْحِقَهُمْ بِالْمُجَذَّوْبِينَ مِنْ إِخْوَانِهِمْ وَلَمَّا كَانَ حُبُّ
الدُّنْيَا هُوَ الْمَانِعُ عَنِ الشُّرُوعِ فِي إِطْلَاقِ الْعَمَلِ وَالْقَاطِعُ بِهِ لَمَّا بَعْدَهُ لَمْ
يَجِدْ إِسَاءَةَ خَبَلٍ أَهْوَى وَجُنُونٍ أَنْكَسَلَ أَنْجَعُ مِنْ وَفَى الْعَذْلِ وَالتَّائِبِ
وَتَقْبِيعِ الْحُبُوبِ سَيِّئًا إِذَا أُنْزَجَتْ نَبَالُ نَبْلِهِ عَنْ حَنِيَّاتِ ضُلُوعِ
الصِّدْقِ وَقَالَ بَعْضُهُمُ الْكَلَامُ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْقَلْبِ دَخَلَ الْقَلْبَ
أَوْقَدِ النَّارَ مِنْ رِسَالَةِ لَيْلَى وَأَحْذَرِ السَّيْلَ بَعْدَهَا مِنْ دُمُوعِي
وَلَا تَغْدِلِ الْوَعْظَ الْبَلِيغَ بِالسَّيْلِ الْفَصِيحِ وَالْقَلْبَ الْفَرِيحِ فَإِذَا
رَأَيْتَ الْأَرْضَ قَدْ أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ وَهَضَبَ الْقُلُوبِ الْقَاسِيَةَ قَدْ
تَقَلَّبَتْ فَسَمِرَ لِلْغَرَسِ وَالزَّرَاعِ عَنِ الذَّرَاعِ وَأَغْتَمَّ السَّرَاعَ وَالْأَمْرَاعَ
إِذَا هَتَّ رِيَا حُكَّ فَأَغْتَمَّهَا فَإِنَّ لِكُلِّ خَافِقَةٍ سُكُونًا
وَكَقُولِ الْآخِرِ:

حَقِيرٌ لَهَا مَاءٌ يُرِيهَا بَدَاءَةً وَأَظْنَنَ لَهَا حَوْضًا وَإِنْ لَمْ تُخَفِّرْ
وَأَرْبَابًا بِنَفْسِكَ عَنْ تَسَاحُرِ بَانِعٍ وَأَغْنَمَ إِذَا سَأَمْتَكَ مَهْوَةٌ مُشْتَرِي
قَالُوا أَلَوْعْظُ يَضْرِبُ وَجْهَ النَّفْسِ عَنِ التَّبْطُّ فِي بِسَاطِ اللَّذَاتِ
وَيَنْقُلُ خَطَرَاتِهَا عَنِ الْخَطَرِ فِي مَلْعَبِ الْخَطِيئَاتِ وَيُمَثِّلُ لَهَا الصَّبْرَ عِيَانًا
وَيُبَيِّنُ الْعَوَاقِبَ الْمُحْتَجَّةَ بَيَانًا وَيُنْثِي سَحَابَ الْحُزْنِ فِي أَجْوَافِ أَجْزَائِهَا
وَيَذْكُرُهَا بِمَا لَهَا وَأَتْبَاهِهَا وَيُعْرِضُ عَنْ مَصَارِعِ فَنَائِهَا وَخَرَابِ بَنَائِهَا
وَيَفَرِّقُ حَبَائِثَهَا وَأَبْنَاءَهَا عِنْدَ تَرَوْلِ هَادِمِ اللَّذَاتِ بِفَنَائِهَا فَتَرْجِعُ إِلَى
اللَّهِ تَعَالَى بِحُكْمِ الْأَضْطِرَّارِ أَفْكَارُهَا وَتَحْشَعُ مِنْ خَيْفَةِ اللَّهِ تَعَالَى
وَجَلَالِهِ أَنْبَارُهَا وَالْوَعْظُ يَكُونُ بِلِسَانَيْنِ وَيُوجَدُ فَنَيْنِ لِسَانِ حَالِ
وَلِسَانِ مَقَالِ وَرَبَّمَا كَانَ لِسَانُ الْحَالِ أَبْلَغَ وَهُوَ يُسْمَعُ مِنْ
أَقْبُورِ الْمُوجِشَةِ وَالْقُصُورِ الْخَالِيَةِ وَالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ وَفِيهِ حِكَايَاتُ
وَأَخْبَارُ. وَلِسَانُ مَقَالِ كَقَوْلِهِ سُجَّاهُ وَتَعَالَى وَسَكَنُكُمْ فِي مَسَاكِينِ
الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمْ
الْأَمْثَالَ وَهُوَ سَبِيلُ اللَّهِ تَعَالَى الَّتِي بَعَثَ بِهَا النَّبِيِّينَ وَضَمَّنَ فُضُولَهَا
الْكِتَابَ الْأَمِينِ وَالسُّوْطَ الَّذِي يَحْمِلُ عَلَى الْأَوْبَةِ وَيَسُوقُ دُرُودَ
الْمُتَطَهِّرِينَ إِلَى غَدِيرِ التَّوْبَةِ وَتَحْنُ تَجْعَلُهُ هَيْمَةً بَيْنَ يَدَيْ الْفِرَاسَةِ
لِتَذْكِيَةِ النَّفُوسِ إِنْ صَدَقَ حُكْمُ الْفِرَاسَةِ مِنْ ذَلِكَ فَمِنْ ذَلِكَ مَا صَدَرَ
عَنِّي عَلَى لِسَانٍ وَاعِظٍ



البحث السادس

في فوائد الوعظ وجهل كثيرين من الخطباء في هذا الفن

(من كتاب الكلم لثمان الشيخ الحسين المرصفي)

وَلَمَّا كَانَ الْإِنْسَانُ مَوْضِعًا لِلسَّهْوِ وَاللَّسْيَانِ وَتَحَلًّا لِلذُّهُولِ
وَالْعَفْلَةِ لَمَّا يَعْتَوِرُهُ وَيَكْنِفُهُ مِنَ الْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ الَّتِي بَاتِبَاءَهَا
وَالْإِنْقِيَادَ مَعَهَا يَدْخُلُ الْإِخْتِلَالُ عَلَى النِّظَامِ الْكُلِّيِّ وَالْمُحَلَّةِ
الْعَامَّةِ ثُمَّ يَسْرِي بِغَايَةِ السَّرْعَةِ إِلَى النِّظَامَاتِ الْجُزْئِيَّةِ وَالْمَصَالِحِ
الْخَاصَّةِ فَيَضْحِكُ الْغَنِيِّ فَقِيرًا وَالْقَادِرُ عَاجِزًا وَالشَّجَاعُ جَبَانًا وَالذَّكِيُّ
غَبِيًّا وَالْفَطَنُ بَلِيدًا وَيَصِيرُ أَنْمُ الْبَهَائِمِ أَوَّلَى بِهِمْ مِنْ أَنْمِ
الْإِنْسَانِيَّةِ بَلْ كَانَتْ الْبَهَائِمُ أَحْسَنَ حَالًا مِنْهُمْ كَمَا سَلَفَ وَكَانُوا
مَوْضِعَ قَوْلِهِ : إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا . تَعَيَّنَ
أَنْ يَضْحَكُ مُذَكَّرٌ دَائِمٌ وَوَاعِظٌ مُسْتَوِرٌ يَهْدِيهِ إِلَى قَضَاءِ السَّبِيلِ
وَجَادَةِ الْمَحَبَّةِ كُلَّمَا جَارَتْ بِهِ الْحَيَالَاتُ الْفَاسِدَةُ وَالْوَسَاوِسُ
الرَّدِيَّةَةُ . وَتَحْصِيلُ ذَلِكَ وَرَدُّ الْأَنْرُ فِي قَوْلِهِ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ
يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ . فَقَدْ أَبَانَ أَنَّ لَا صَلَاحَ لِلْكَافَّةِ إِلَّا بِوُجُودِ أُمَّةٍ
تَكُونُ وَظِيفَتُهَا دُعَاءُ النَّاسِ لِلْخَيْرِ وَصَرْفُهُمْ عَنْ تَاجِيَةِ الشَّرِّ وَأَمْرُهُمْ
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ . وَنَوْهَ بِمَقْدَارِ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِذَا وَجِدَتْ
وَنَبَهَ عَلَى شَرِّهَا وَفَضَلَ مَكَانَهَا حَيْثُ جَعَلَهَا مُحْتَصَةً بِالْإِفْلَاحِ .

وَأَقْمُودِ بِحَقِيقَةِ السَّعَادَةِ إِذْ قَدْ تَكُونُ هِيَ فِي نَفْسِهَا صَالِحَةً وَبِهَا
يَعْمُ الصَّلَاحُ فَيَصِيرُ فَلَاحُهَا أَصْلًا لِفَلَاحِ سِوَاهَا فَاسْتَحَقَّتْ أَنْ يُقَالَ
فِيهَا بِعِبَارَةِ التَّخْصِصِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ وَإِنَّمَا يُكِنُّ تَأْدِيَةَ تِلْكَ
الْوُظَيْفَةِ وَالْقِيَامَ بِهَا حَقَّ الْقِيَامِ لِقَوْمٍ تَقَدَّسَتْ نُفُوسُهُمْ وَتَنَقَّتْ
طِبَاعُهُمْ وَتَهَدَّبَتْ أَخْلَاقُهُمْ وَتَنَوَّرَتْ عُقُولُهُمْ وَصَحَّتْ أَفْهَامُهُمْ
وَرَجَحَتْ أَحْلَامُهُمْ وَصَدَقَتْ عَزَائِمُهُمْ وَعَلَتْ هِمَمُهُمْ وَعَرَفُوا أَجْنَاسَ
الْخَيْرِ وَاحَاطُوا بِأَنْوَاعِهِ وَمَيَّزُوهَا مِنْ أَصْنَافِ الشَّرِّ قَرَّبًا أَشَبَّهَ الْحَالُ
وَتَمَثَّلَ كُلُّ فِي صُورَةٍ الْآخِرِ وَلَوْلَا ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ تَمَيُّزُ الْخَيْرِ مِنْ
الشَّرِّ أَمْرًا عَسِرًا إِذْ كَانَ الْأَسَاسُ الضَّرَرُ وَالنَّفْعُ وَلَا تَجِدُ أَحَدًا
يُجَاهِلُهُمَا وَلَكِنْ رُبَّ ضَارٍّ فِي الْحَالِ نَافِعٌ فِي الْمَالِ فَيَكُونُ خَيْرًا
وَرُبَّ نَافِعٍ فِي الْحَالِ ضَارٌّ فِي الْمَالِ فَيَكُونُ شَرًّا وَرُبَّمَا اجْتَمَعَتِ
الْمُضَرَّةُ وَالنَّفْعَةُ وَاسْتَوَتَا أَوْ غَابَتْ إِحْدَاهُمَا وَمِنْ هُنَا تَبَتَّ
الْإِخْتِاجُ لَوْجُودِ أَمَةٍ تُفَرِّغُ أَنْفُسَهَا لِلْإِسْتِعَالَ بِذَلِكَ حَتَّى تَحْكُمَ
أَمْرَهَا ثُمَّ تُلَاحِظُ النَّاسَ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِمْ إِيذَعُوهُمْ إِلَى الْخَيْرِ
وَتَأْمُرُهُمْ بِمَا عَرَفْتُهُ خَيْرًا وَتَنْهَاهُمْ عَمَّا أَنْكَرْتُهُ وَعَرَفْتُهُ شَرًّا
تَنْصَحُهُمْ بِالْإِزَامِ مَا عَرَفُوهُ وَتَدُلُّهُمْ عَلَى مَا جَهَلُوهُ فَكَثُرَ الْمَنَافِعُ
وَالْمَضَارُّ مَعْرُوفٌ بَيْنَ لَا يَخْتَلِفُ بِالنَّاسِ عَلَيْهِ حَتَّى قِيلَ إِنَّ الدِّينَ
أَمْرٌ تَقْتَضِيهِ الطَّبَاعُ وَتَدْفَعُ إِلَيْهِ الْفِطْرَةُ وَلَكِنَّ الْإِنْسَانَ لِغَلَبَةِ
هَوَاهُ قَدْ يُبْجِعُ لِنَفْسِهِ مَا يَحْكُمُ عَقْلُهُ بِتَنْعِيهِ وَيَجِدُ فِي طَبْعِهِ
اسْتِغْبَاحَهُ أَلَا تَرَى إِلَى السَّارِقِ وَالْغَاصِبِ كَيْفَ يَسْتَحْزِرُ أَنْ يَفْعَلَ

بغيره ما لا يستحيز أن يفعله به غيره. فتنى سرق ماله أو اغتصب منه وجد بذلك في قلبه حرارة وفي نفسه ضيقاً وتشوش فكره وأختلت حاله وبطل نظام سيره. وهو لا يريد ذلك. بل يريد أن يدوم منشرح الصدر طيب النفس مستقيم الأحوال. فهو يحكم بعقوب ذلك وحسن هذا. وإن كان لا يعبر عن ذلك بقصوره عن معرفة الألفاظ بالحلال والحرام. وإلى ذلك ألقى الإشارة بقوله الحلال بين والحرام بين وبينها أمور مشبهات. وعلى هذه الأمة أن تعرف المحجذات الرمانية لتكون أعمالها مطابقة للأحوال الحاضرة. فرب أمر يكون خيراً في عصر فيضي شراً في غيره. وهل هذه الأمة كائنة أو كانت. لا أثبت ذلك ولا أنفيه حتى أفاوضك الحديث فيه. إن قلت هذه الأمة مُحَقَّقَةٌ في خطباء المنابر. قلت لك: أتريد بهم هؤلاء الذين تراهم وتسمهم وهم إنما تميزوا عن آخر طبقة من طبقات العامة لتسكنهم من قراءة نوع من أنواع الخطب. فعناية أمر الواحد منهم أن يقرأ ديوان خطب صفة بعض أسلافه كما تحيل مناسبات للشهور والمواسم فيحفظ ما تغطي تلك النقوش من مواد الألفاظ. أو ينسخ صورة خطبة ليحفظ حماها عليه إذا قام بها خطيباً. يسرد اللفاظ حفظها أو نظر حروفها لا يعقل معناها ولا يفهم المراد منها. كما إذا لم يكن الديوان مشكولاً ولم يقرأ الخطبة على ذي دراية سيعت منه العجب والمطرب من اللحن الفاحش والتضخيف القبيح. فإن منهم

مَنْ يَخَافُ عَلَى نَفْسِهِ اتِّبَاعَ السَّامِعِينَ فَيَقْرَأَ الْخُطْبَةَ مِرَارًا
 عَلَى بَعْضِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ حَتَّى يَقِفَ عَلَى صِحَّةِ النُّطْقِ بِهَا. وَمِنْهُمْ
 مَنْ يَتَّقِصِرُ عَلَى تَضَمُّنِ الْحَدِيثِ أَخْرَاجًا لِإِسْكَالِ النَّبِيِّ. وَرُبَّمَا قَرَأَهُ
 عَلَى رَجُلٍ يُقِيمُهُ لَهُ بِصَاعَةِ الْخَوْرِ فَيُضِلُّانِ جَمِيعًا. إِذْ لَا عَمَلَ لِصَاعَةِ الْخَوْرِ
 إِلَّا بَعْدَ فَهْمِ أَلْعَنَى. وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يُبَالِي بِتَضَمُّنِ آيَةٍ وَلَا حَدِيثٍ.
 مَا أَطْنُ أَنْكَ تَسْتَحْيِرُ أَنْ تَقُولَ أَرَدْتُ هُوَ لَا. فَإِنْ قُلْتَ إِنَّمَا
 أَرَدْتُ خُطْبَاءَ الْأَسْلَافِ قُلْتُ لَكَ: تَجَاوَزَ عَصْرَ النَّبِيِّ وَعَصَرَ أَصْحَابِهِ
 ثُمَّ أَقْرَأَ خُطْبَ الْخُلَفَاءِ وَنَوَائِبِهِمْ فِي النَّوَاحِي ثُمَّ أَمَضَ فِي ذَلِكَ
 طَبَقَةً بَعْدَ طَبَقَةٍ وَعَصْرًا خَلْفَ عَصْرٍ حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى وَقْتِكَ هَذَا
 تَحْذَرُ أَنْ جَمِيعَ الْخُطْبِ يَدُورُ أَمْرُهَا عَلَى مَعَانٍ وَاحِدَةٍ وَالْفَاطِمَةُ مُعَيَّنَةٌ
 لَا تَجَاوِزُهَا. وَهِيَ الْتَرْهِيدُ فِي الدُّنْيَا وَالتَّرْغِيبُ فِي الْآخِرَةِ وَتَبَشِيرُ
 الْمَطِيعِ وَإِنْدَارُ الْعَاصِي. يُكَرِّرُونَ ذَلِكَ كُلَّ جُمُعَةٍ وَكُلِّ مَوْعِدٍ حَتَّى لَمْ
 يَبْقَ لَهُ تَأْثِيرٌ وَالتَّحْقُّ بِالْأُمُورِ الْمَعْتَادَةِ. إِنَّمَا يَسْمَعُ النَّاسُ أَصْوَاتًا
 ذَاتَ كَيْفِيَّاتٍ مُخْتَلِفَةٍ إِقَامَةً لِذَلِكَ الرَّسْمِ حَسَبًا يَصِلُ إِلَيْهِ فَهْمُ
 الْعَامَّةِ مِنْ أَنَّ تِلْكَ الصُّورَةَ هِيَ إِقَامَةُ الدِّينِ. وَفِي صِفَةِ خُطْبَاءِ
 الْعَصْرِ الثَّانِي بَعْدَ عَصْرِ النَّبِيِّ وَأَصْحَابِهِ يَقُولُ شَاعِرُهُ:
 وَدَّوْا لَنَا الدُّنْيَا وَهُمْ يَرْغَبُونَهَا أَفَاقِيكَ حَتَّى مَا يَدُرُّ لَنَا شَعْلُ
 وَالْعَمَلُ بِفَتْحِ أَوَّلِهِ أَوْضَحِهِ وَسُكُونِ ثَانِيهِ زِيَادَةٌ فِي أَطْبَاءِ
 النَّفَاقَةِ وَغَيْرِهَا تُشْبِهُ حَلْمَةَ الثَّوْدِيِّ لَا تَخْرُجُ مِنْهَا فِي الْعَادَةِ لَبَنٌ. وَلَا
 تَهْنُ أَتَنِي أَتَقِصُّ بِذَلِكَ خُطْبَاءَ الْعُصُورِ الْأُولَى فَلَنْهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ

كِفَايَةِ ذَلِكَ لِكثَرَةِ أَهْلِ الْمَعْرِفَةِ حِينَ ذَلِكَ. وَبِالْجُمْلَةِ فَكَيْفَمَا
كَانَ الْحَالُ فِي الْخُطَابَةِ فَهِيَ غَيْرُ كَافِيَةٍ فِي تَحْقِيقِ الدُّعَاءِ إِلَى الْخَيْرِ
وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ. فَلَا تَكُونُ الْأَمَّةُ مُتَحَقِّقَةً
بِخُطْبَاءِ الْمَلَايِمِ. وَإِنْ قُلْتُ: إِنَّهَا الْعُلَمَاءُ قُلْتُ: هَذَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ
تَنْظُرُ. أَمَّا عُلَمَاءُ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ جَزَاهُمْ اللَّهُ عَنِ الدِّينِ وَالْأَمَّةِ خَيْرًا
فَكَانَ اشْتِقَائُهُمْ بِجَمْعِ الْأَصُولِ وَتَقْيُّهَا مِنَ الدَّخِيلِ الَّذِي بَادَرَ
بِإِدْخَالِهِ أَهْلُ الْتِفَاقِ وَالزَّنْدَقَةِ لِأَغْرَاضٍ شَتَّى. وَمِنْهَا الشُّكُوكُ فِي
الدِّينِ. وَمِنْهَا التَّمَسُّسُ مَا عِنْدَ الْمُلُوكِ وَمِنْهَا أُنْبَاءُ مَنَزَلَةٍ فِي قُلُوبِ
الْعَامَّةِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ تَمَّا يُحِيطُ بِهِ مَنْ قَرَأَ التَّوَارِيخَ وَتَأَمَّلَهَا.
وَأَجْتَهَادُهُمْ وَبَذَلُ هِمَمِهِمْ فِي تَفْرِيعِ الْفُرُوعِ وَتَقْرِيرِ أَحْكَامِ
الْحَوَادِثِ مَا كَانَ مِنْهَا وَمَا لَمْ يَكُنْ يُفَرِّضُ وَيُقَدِّرُ حَتَّى إِذَا وَقَعَتْ
الْحَادِثَةُ وَجَدَتْهَا حُكْمًا حَاضِرًا وَأَمْرًا كَافِيًا فِي انْقِذِ أَعْمَالِهِمْ
مَابِعَالَهُمْ عَنْ رَاحَةِ أَبْدَانِهِمْ فَكَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَقُولُ لَا يُبَالُ
أَلَعَلَّ بَرَاةَ الْجَنَمِ. وَأَمَّا مَنْ خَلَقَهُمْ فَكَانَ إِقْبَالُهُمْ عَلَى دَوَائِنِ
مَشِيئَتِهِمْ يَهْدِي بُونَهَا وَيُجِدُّونَ تَرْتِيبَهَا وَيُوضَحُونَ مَا يَحْتَاجُ لِلتَّوَضُّعِ
مِنْهَا وَيَسْتَدْرِكُونَ عَلَيْهِمْ مَا فَاتَهُمْ تَحْرِيجًا عَلَى أَصُولِهِمِ الْإِلَهِيِّ قَرَّرُوهَا
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْأَعْمَالِ نَاطِلًا لَهُمْ فِي سِلْكِ سَلَفِهِمْ. فَكَانَ
حُكْمُهُمْ وَاحِدًا لَا يَفْرُغُ لَهُمْ وَقْتُ يَسْتَعْبِلُونَهُ فِي تَعَهْدِ النَّاسِ
وَدُعَائِهِمْ إِلَى الْخَيْرِ كَمَا هُوَ وَظِيفَةُ تِلْكَ الْأَمَّةِ. ثُمَّ جَاءَ مِنْ بَعْدِ
هَؤُلَاءِ خَلْفٌ اتَّخَذُوا الْجِدَالَ شِرْعَةً وَالْمُنَازَعَةَ سَبِيلًا. وَخَرَجَ بِهِمْ ذَلِكَ

إِلَى سَبَابٍ وَمُشَاتَّةٍ وَأَخْتِقَارٍ قَوْمٌ قَوْمًا وَرَجَعَ بِهِمْ إِلَى الْقَذْحِ فِي
السَّلَفِ وَصَادَ الْأَخْتِلَافُ بَيْنَ أَهْلِ الْمَذَاهِبِ مُنْشِئًا لِعَدَاوَةٍ إِنْ لَمْ
تَكُنْ فَوْقَ الْعَدَاوَةِ بَيْنَ أَهْلِ الْأَذْيَانِ فَلَيْسَتْ دُونَهَا. فَكَثِيرًا مَا
كَانَتْ سَبَبًا لِيَجْرِي السُّيُوفُ يُقَاتِلُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا حَتَّى دَخَلَ بَيْنَهُمْ
الْحُكَّامُ لِإِصْلَاحِهِمْ وَكَانُوا هُمْ الْأَوَّلَى بِذَلِكَ. وَهُوَ حَقُّهُمُ الَّذِي
مَا كَانَ يَتَّبِعِي أَنْ يُكَبِّرُوا مِنْهُ غَيْرَهُمْ وَصَارُوا آخِرَ آبَا يُخَازِ كُلُّ
حِزْبٍ إِلَى مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ التَّوَّاحِي وَصَارَتْ الْأَذْيَانُ بِمَنْزِلَةِ الْمَعَاوِلِ
وَالْخُصُونِ حَتَّى دَخَلَ أَهْلُهَا تَحْتَ نَظْرِ السِّيَاسَةِ وَقَهَرَهَا وَبَدَلَتْ سُيُوفُ
الْمَنَابِرِ يَقْطَعُ خَشَبٍ فِي صُورَتِهَا يَتَكَبَّرُ عَلَيْهَا الْخُطْبَاءُ حَالَ صُعُودِهِمْ
وَهُبُوطِهِمْ. وَالْأَمْرُ الْعُلَمَاءَ إِلَى كَوْنِهِمْ طَائِفَةً مِنَ الطَّوَائِفِ الْمُرَبَّوَةِ
الْمُسَوِّقَةِ تَحْظُرُ حَرَكَاتِهِمْ أَرْصَادُ الْحُكُومَةِ وَتَأْخُذُهُمْ عِيُونُهَا مَنَعًا لِلتَّعَدِي
بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَحَسْمًا لِمَادَّةِ الشَّرِّ بَيْنَهُمْ. وَلَعِبَتْ بِهِمْ أَهْوَاءُ الْمُلُوكِ
الْحَائِرَةِ الْجَهْلَةِ مِنَ التَّنَزُّلِ وَالذِّلَّةِ وَغَيْرِهِمْ. وَنَشَأَ مِنْ ذَلِكَ مَقَاصِدُ
عَظِيمَةٌ مِنْهَا تَمَكُّنُ كَثِيرٍ مِنَ الْجَهْلَةِ الَّذِينَ أَمْضَوْا ضُورَ أَعْمَارِهِمْ
فِي اللَّهْوِ وَاللَّعِبِ دُونَ فِكْرَةٍ فِي تَحْصِيلِ سَبَبٍ مِنْ أَسْبَابِ الْمَعِيشَةِ
حَتَّى دَهَمَهُمْ وَقْتُ الْإِحْتِيَاجِ لِذَلِكَ مِنَ الْإِنْسَابِ إِلَى الْعِلْمِ وَأَهْلِهِ
فَصَفَّوْا كُتُبًا مَلَأُوهَا أَحَادِيثَ كَاذِبَةً وَحِكَايَاتٍ غَيْرَ مَعْقُولَةٍ
وَرَوَّجُوهَا عَلَى الْعَامَّةِ وَاسْكُوهَا الْخُبْرَ وَخَلَطُوا مَا لَيْسَ مِنَ الدِّينِ بِهِ.
فَأَيُّ مَفْسَدَةٍ أَكْبَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَيْسَ لَهُ سَبَبٌ إِلَّا أَفْرِاقُ الْعُلَمَاءِ
وَأَهْلَاهُمْ أَمْرُ الرِّعَايَةِ. وَلَمْ يَزَلِ الْأَخْتِلَافُ الَّذِي هُوَ مُنْشَأُ تِلْكَ

الْعَدَاوَةِ مُسْتَمِرًّا يُخْفِيهِ الضَّعْفُ وَتُظْهِرُهُ الْقُوَّةُ كَمَا تَرَى . فَهَلْ يَسْرِعُ
لَكَ بَعْدَ مَعْرِفَةِ هَذَا أَنْ تَقُولَ إِنَّهَا أَلْعَمَاءُ . وَإِنْ قُلْتَ إِنَّهَا أَلْوَعَاظُ
قُلْتَ هَذَا أَقْرَبُ فَإِنَّ أَلْوَعَاظَهُ كَانَتْ حِرْقَةً شَائِعَةً وَصِنَاعَةً فَاشِيَةً
كَانَ أَهْلُهَا يَتَأَفَّسُونَ بِهَا وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ أَخَذَ عَلَيْهَا الرُّوَاتِبَ مِنْ يُبُوتِ
الْأَمْوَالِ وَأَكْثَرُهُمْ كَانَ يَأْمُ بِهَا الْقِطْعَ مِنَ الْعَامَّةِ الَّذِينَ يَحْضُرُونَ
مَجَالِسَهُمْ . فَكَانَ أَلْوَعَاظُهُ إِذَا قَرَعَ مِنْ كَلَامِهِ الَّذِي أَعَدَّهُ لِذَلِكَ
الْمَجْلِسِ بَسْطَ مَنَدِيلِهِ وَطَرَحَ فِيهِ كُلَّ مَا سَحَتَ بِهِ نَفْسُهُ

وَصُنِفَتْ لِأَجْلِ أَلْوَعَاظِهِ كُتُبٌ لَقَّبُوهَا بِالْمَجَالِسِ تَشْتَبِلُ عَلَى
تَفْسِيرِ آيَاتٍ مِنْ آيَاتِ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيْبِ وَبَعْضُ أَحَادِيثَ صَحِيحَةٍ
وَبَعْضُ أَشْعَارٍ وَحِكَايَاتٍ مِنْ ذَلِكَ الْوَادِي . وَنُودِجُ ذَلِكَ مَا تَرَاهُ فِي
الْمَسْجِدِ الْحُسَيْنِيِّ بَعْدَ الْعَصْرِ فِي رَمَضَانَ . وَبِالْجُمْلَةِ فَحَصُولُ تِلْكَ
الْكُتُبِ هُوَ مُحْصُولُ خُطْبِ الْمَلَايِمِ . وَإِنْ كَانَ بَعْضُ أَهْلِ تِلْكَ
الْصِنَاعَةِ وَهُمْ قَلِيلٌ كَانُوا مِنَ الْفِطْنَةِ وَالذِّكَاةِ وَبَرَاةِ الْمُنَاطِقِ
وَبَلَاغَةِ الْعِبَادَةِ يُمْكِنُ رَفِيعٍ . فَإِنَّ أَكْثَرَهُمُ الْقَصَاصُ الْجَهْلَةُ الَّذِينَ
غَايَةُ أَمْرِ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ أَنْ يُلْفِقَ أَحَادِيثَ يَضَعُهَا أَوْ وَضَعَهَا غَيْرُهُ
يُفْرَحُ بِهَا نَفُوسُ الْعَامَّةِ بِمَا يَذْكُرُ مِنْ كَثَرَةِ الثَّرَابِ مَعَ قَلَّةِ الْعَمَلِ
وَمَا يَهْوَنُ مِنْ أَمْرِ الْمَعْصِيَةِ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ بِمَثَرَةٍ التَّخْرِيطِ عَلَى
أَرْتِكَابِ الشَّهَوَاتِ وَالْإِسْتِزْسَالِ مَعَ الْأَهْوَاءِ وَطَرَحِ الْمُبَالَاهِ
أَعْتِمَادًا عَلَى مَا رَكَّزُوهُ فِي نَفُوسِهِمْ وَشَغَلُوا بِهِ عُقُولَهُمْ مِنْ كَثَرَةِ
أَسْبَابِ الْغَفَرَةِ وَسَعَةِ الرَّحْمَةِ وَعِظَمِ الْعُقُورِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ . لَا

يَتَكَلَّمُونَ فِي سِوَاهُ حَتَّى صَادَ سَبِيًّا قَوِيًّا فِي خُمُودِ الطَّبَاعِ وَاسْتِحْكَامِ
الْعَقْلَةِ وَالْإِنْصِرَافِ عَنْ تَذَكُّرِ مَعْنَى الْأَجْتِمَاعِ الْإِنْسَانِيِّ وَتَمَقُّلِ
ضُرُورَةِ التَّعَاوُنِ وَالتَّفَكُّرِ فِي إِحْكَامِ أَسْبَابِ التَّعَارُفِ وَالتَّوَاضُّلِ
وَمُحَاوَرَةِ النَّاسِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا فِيمَا يُوجِبُ عِزَّ الْأُمَّةِ وَسَعَادَتَهَا وَسُرُورَ
أَحَادِهَا وَابْتِهَاجَهُمْ بِالتَّصَافِ وَأَفْضَالِ الْأَقْرِيَاءِ عَلَى الضُّعَفَاءِ مِنْ
تَمَارِقِ قَوَاهِمِهِمْ فَلَا يَتَسَلَّقُونَ إِلَّا وَصُدُورُهُمْ مُنْشَرِحَةً وَقُلُوبُهُمْ فَرِحَةً
وَتُغُورُهُمْ بِاسْمَةِ وَوُجُوهُهُمْ مُنْبَسِطَةٌ. قَدْ آمَنَ بَعْضُهُمْ غَوَائِلَ
بَعْضٍ وَتَحَقَّقُوا السَّلَامَةَ مِنْ مَقَاصِدِ السُّوءِ وَالتَّمَاكُرِ بِاسْتِبْلَابِ
الْأَمْوَالِ وَقَهَرِ النُّفُوسِ وَتَسْخِيرِ الْأَقْرِيَاءِ الضُّعَفَاءِ فِيمَا يَخْتَصُّونَ بِهِ
مِنَ اللَّذَاتِ وَيُحَافِظُونَ عَلَيْهِ بِجُذْرَانِ الْخُحُورِ وَأَبْوَابِ الْحَدِيدِ حَتَّى كَانَ
ذَلِكَ مُوَلَّدًا فِي النَّاسِ كَثِيرًا مِنْ خَسِيسِ الطَّبَاعِ أَلَّتِي تَمِيلُ بِأَضْحَاقِهَا
نَحْوَ الْأَكْتِسَابِ بِجَهَةِ السَّرِقَةِ وَالسُّوَالِ بِالضَّرَاقَةِ وَالتَّرَامِي عَلَى
أَعْتَابِ الْمُكْثَرِينَ. وَأَنْتَ لِذَلِكَ عَارِفٌ وَإِلَيْهِ نَظَرٌ لَا تَجْهَلُ تِلْكَ
الطَّوَائِفَ الْكَاسِبَةَ بِهَذِهِ الْوُجُوهِ الرَّدِيشَةِ. وَأَسَوَّاهَا حَالًا وَأَخْسَهَا
عَمَلًا وَابْغَضَهَا مَرَدَّدًا هُوَلَاءِ الَّذِينَ أَطْفَأُوا أَنْوَارَ عُقُولِهِمُ الْخَلْقِيَّةَ وَآحَدُوا
لَهَبَ قَوَاهِمِ الطَّبِيعَةِ وَعَطَّأُوا جَوَارِحَ أَبْدَانِهِمْ بِمَا يَلَاوُنُ بِهِ رُؤُوسَهُمْ مِنْ
أَشْرَبَةِ خُرَاقَاتِ تَخْرُجُ بِهِمْ مِنْ نَوْعِ الْحَيَوَانِ لَا يَجُوزُ أَنْ أَقُولَ مِنْ
نَوْعِ الْإِنْسَانِ يَوْزُلُ أَمْرُهُمْ إِلَى الْإِخْتِيَاجِ وَطَلَبِ الْعَاشِ بِأَبْدَانِهِمْ
وَأَبْدَانِهِمْ اتَّقَصَّتْ عَنْهُمْ وَشَغَلُوا بِهَا كَثِيرًا مِنَ الْقَرَاغِ أَيَّ أَبْدَانِهِمْ وَأَبْدَانِ
نَسْلِهِمْ إِلَى أَنْ يَطْرَحُوا نُفُوسَهُمْ بَيْنَ أَيْدِي أَهْلِ الْمَكَاسِبِ بِطُرُقِ

الْأَعْمَالِ الْمُتَعَبَةِ وَالْحَوَالَاتِ الشَّقَاةِ . يُذَكِّرُونَهُمْ ثَوَابَ الصَّدَقَاتِ
وَيُلْحِقُونَ فِي السُّؤَالِ حَتَّى تَمَلَ ذَلِكَ نَفُوسُهُمْ وَيَضْعَفُ يَقِينُهُمْ وَتَقْسُو
قُلُوبُهُمْ وَيَلْتَبِسُوا وُجُوهًا لِلطَّعْنِ عَلَى تِلْكَ الطَّائِفَةِ لَا يَفْرُقُونَ بَيْنَ
أَهْلِ الْأَثَرَةِ مِنْهُمْ وَغَيْرِهِمْ . فَيَكُونُ الْقَدْحُ عَامًّا وَلَا اخْتِقَارُ شَامِلًا . وَجِهَةٌ
أَلَا عِتْبَارٍ فِيهِ أَنْ مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِرِزْقِ الْهَدَى وَدَعَاءِ النَّاسِ إِلَى
الْخَيْرِ يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ أَبَدُهُمْ مِنَ التَّضَعُّعِ وَآخِرَتُهُمْ عَلَى الْكَمَالِ .
فَإِنَّ آذَنِي هَفْوَةٍ مِنْهُ تُسْقِطُ اعْتِبَارَهُ وَتُسَهِّلُ التَّهَانُونَ بِهِ فَلَا يَكُونُ
لِكَلَامِهِ تَأْثِيرٌ فِي الْقُلُوبِ وَيَصِيرُ مَجْلِسُهُ مَسَلَةً يَتْلَاهَى بِمُحْذُورِهِ
فَكَثِيرًا مَا كَانَتْ تِلْكَ الْمَجَالِسُ مَوَاعِدَ لِأَهْلِ الْخَلَاعَاتِ وَالْمُجُونِ

البحث السابع

في الخطب عند العرب

(نقلًا عن الجاحظ والشريثي والقيرواني)

إِنَّا لَا نَعْرِفُ الْخُطْبَ إِلَّا لِلْعَرَبِ وَالْفَرَسِ . فَمَا أَهْلُهُمْ فَلَانَمَا لَهُمْ
مَعَانٍ مُدَوَّنَةٌ وَكُتُبٌ مُخْلَدَةٌ لَا تُضَافُ إِلَى رَجُلٍ مَعْرُوفٍ وَلَا إِلَى
عَالِمٍ مَوْصُوفٍ . وَإِنَّمَا هِيَ كُتُبٌ مُتَوَارَثَةٌ وَآدَابٌ عَلَى وَجْهِ الدَّهْرِ
سَائِرَةٌ مَذْكُورَةٌ . وَلِلْيُونَانِيِّينَ فِلَسَفَةٌ وَصِنَاعَةٌ مَنْطِقٌ وَكَانَ صَاحِبُ
الْمَنْطِقِ نَفْسُهُ عِيَالِ اللِّسَانِ غَيْرَ مَوْصُوفٍ بِالْيَبَانِ مَعَ عَلَيْهِ بِتَمْيِيزِ
الْكَلَامِ وَتَفْصِيلِهِ وَمَعَانِيهِ وَبِحُصَانِهِ . وَهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ جَالِينُوسَ
كَانَ أَنْطَقَ النَّاسِ وَلَمْ يَذْكُرُوهُ بِالْخَطَابَةِ وَلَا بِهِذَا الْجِلْسِ مِنْ

الْبَلَاغَةِ وَفِي الْفَرْسِ خُطْبَاءُ إِلَّا أَنْ كَلَامَ الْفَرْسِ وَكُلَّ مَعْنَى لَهُمْ
فَإِنَّمَا هُوَ عَنْ طُولِ فِكْرَةٍ وَعَنْ اجْتِهَادِ رَأْيٍ وَعَنْ مُشَاوَرَةٍ وَمُعَاوَنَةٍ
وَعَنْ طُولِ التَّفَكُّرِ وَدِرَاسَةِ الْكُتُبِ وَحِكَايَةِ الثَّانِي عِلْمَ الْأَوَّلِ
وَرِيَاذَةَ الثَّلَاثِ فِي عِلْمِ الثَّانِي حَتَّى اجْتَمَعَتْ ثَمَارُ تِلْكَ الْفِكْرِ عِنْدَ
آخِرِهِمْ. وَكُلُّ شَيْءٍ لِلْعَرَبِ فَإِنَّمَا هُوَ بَدِيهَةٌ وَأَرْتِحَالٌ وَكَانَهُ إِلَهُمُ
وَلَيْسَتْ هُنَاكَ مَعَانَاةٌ وَلَا مُكَابَدَةٌ وَلَا إِجَاهَةٌ فِكْرٍ وَلَا اسْتِعَانَةٌ
وَإِنَّمَا هُوَ أَنْ يَصْرِفَ أَحَدُهُمْ وَهَمَّهُ إِلَى الْكَلَامِ وَإِلَى زَجْرِ يَوْمِ
الْخِصَامِ أَوْ حِينَ يَنْتَحِ عَلَى رَأْسِ بَيْتٍ أَوْ يَخْدُو بِبَعِيرٍ أَوْ عِنْدَ الْمُقَارَعَةِ
أَوْ الْمُنَاقَلَةِ أَوْ عِنْدَ صِرَاعٍ أَوْ حَرْبٍ قَمَاهُ إِلَّا أَنْ يَصْرِفَ وَهَمَّهُ إِلَى
جُمْلَةٍ أَلَذَّابٍ وَإِلَى الْعُودِ الَّذِي إِلَيْهِ يَقْصِدُ فَتَرْتِيهِ الْمَعَانِي أَرْسَالًا
وَتَهَالٍ عَلَيْهِ الْأَلْفَاظُ أَمْتِثَالًا ثُمَّ لَا يُقْبِدُهُ عَلَى نَفْسِهِ وَلَا يَذْرِسُهُ
أَحَدٌ مِنْ وَلَدِهِ وَكَانُوا أَمِينِينَ لَا يَكْتُبُونَ وَمَطْبُوعِينَ لَا يَكْتَلِفُونَ
وَكَانَ الْكَلَامُ أَحْيَدُ عِنْدَهُمْ أَظْهَرَ وَأَكْثَرَ وَهَمُّ عَلَيْهِ أَقْدَرُ وَآلَهُ
أَقْهَرُ وَكُلُّ وَاحِدٍ فِي نَفْسِهِ أَنْطَقَ وَمَكَانُهُ مِنَ الْبَيَانِ أَرْفَعُ
وَخُطَاهُمْ لِلْكَلَامِ أَجْوَدُ وَالْكَلَامُ عَلَيْهِمْ أَسْهَلُ وَهُوَ عَلَيْهِمْ أَيْسَرُ
مَنْ أَنْ يَنْقَرُوا إِلَى تَحْفِظٍ وَيَحْتَاجُوا إِلَى تَدَارُسٍ. وَلَيْسَ هُمْ كَمَنْ حَفِظَ
عِلْمَ غَيْرِهِ وَآخَتَذَى عَلَى كَلَامٍ مَنْ قَبْلَهُ قَمَا يَحْفَظُونَ إِلَّا مَا عَلِقَ
بِقُلُوبِهِمْ وَالتَّحَمُّ بِصُدُورِهِمْ وَاتَّصَلَ بِعُقُولِهِمْ وَنَ غَيْرُ تَكْلُفٍ وَلَا قَصْدٍ
وَلَا تَحْفَظٍ وَلَا طَلَبٍ وَإِنَّ هَذَا الَّذِي فِي أَيْدِينَا جُزْءٌ مِنْهُ (اه)
وَمِنْ اشتهر في الخطابة أيضا فس بن ساعدة الأيادي أسقف

نَجْرَانَ خَطِيبُ الْعَرَبِ وَشَاعِرُهَا وَحَاسِبُهَا وَحَكِيمُهَا وَحَكَمُهَا فِي عَصَرِهِ يُقَالُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ عَلَا عَلَى شَرْفٍ وَخَطَبَ عَلَيْهِ. وَأَوَّلُ مَنْ قَالَ فِي كَلَامِهِ: أَمَّا بَعْدُ. قِيلَ: وَبَعْدُ لَفْظَةٌ عَرَبِيَّةٌ وَفَضْلُ الْخُطَّابِ وَالَّذِي أُوتِيَهُ قُسٌّ هُوَ فَضْلُ الْخُصُومَةِ وَهَذَا يُؤَيِّدُ مَا قِيلَ عَنْهُ إِنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ: أَلْبَيْتَةُ عَلَى الْمُدَّعِي وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ. وَأَوَّلُ مَنْ أَتَكَأَ عِنْدَ خُطْبَتِهِ عَلَى سَيْفٍ أَوْ عَصَا. وَأَوَّلُ مَنْ كَتَبَ: مِنْ فُلَانٍ إِلَى فُلَانٍ. أَدْرَكَهُ رَسُولُ الْمُسْلِمِينَ وَرَأَاهُ بِعُكَاظَ فَكَانَ يَأْثُرُ عَنْهُ كَلَامًا يَسْمَعُهُ مِنْهُ. وَكَانَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَالْبَعْثِ. بَلِيغٌ أَلْفُطِقٌ وَفِيهِ يَقُولُ الْأَعَشَى:

وَأَقْضَحُ مِنْ قُسٍّ وَآجَرَى مِنْ أَلَّذِي

بِذِي الْأَعْيَنِ (١) مِنْ خَفَّانَ أَضْمَجَ خَادِرًا
وَكَانَ قُسٌّ يَفِدُ عَلَى قَيْصَرَ زَائِرًا فَيُكْرِمُهُ وَيَعْظُمُهُ فَقَالَ لَهُ
قَيْصَرٌ: مَا أَفْضَلُ أَعْلَمَ. قَالَ: مَعْرِفَةُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ. قَالَ: فَمَا
أَفْضَلُ أَلْعَلَّ. قَالَ: وَقُوفُ الْمَرْءِ عِنْدَ عَلَيْهِ. قَالَ: فَمَا أَفْضَلُ
الْأَدَبِ. قَالَ: اسْتِيقَاءُ الرَّجُلِ مَاءَ وَجْهِهِ. قَالَ: فَمَا أَفْضَلُ الْمَرْءِ قَرِ.
قَالَ: قِلَّةُ رَغْبَةِ الْمَرْءِ فِي إِخْلَافٍ وَعُدِهِ. قَالَ: فَمَا أَفْضَلُ أَلْمَالِ.
قَالَ: مَا قُضِيَ بِهِ الْحَقُّ

وَقِيلَ إِنَّ أَلْجَارُودَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ لَمَّا وَفَدَ فِي وَفْدِ عَبْدِ الْقَيْسِ عَلَى
رَسُولِ الْمُسْلِمِينَ وَكَانَ سَيِّدًا فِي قَوْمِهِ مُعَظَّمًا فِي عَشِيرَتِهِ فَاسْتَلَمَ سَالَهُ

الرَّسُولُ: يَا جَارُودُ هَلْ فِي جَمَاعَةِ عَبْدِ الْقَيْسِ مَنْ يَعْرِفُ لَنَا قُتْسًا. قَالَ:
 كُلُّنَا نَعْرِفُهُ. وَأَنَا كُنْتُ مِنْ بَيْنِهِمْ أَتَقَوُّ آثَرَهُ وَأَطْلَعُ خَبْرَهُ. كَانَ
 قُتْسٌ سَبْطًا مِنْ أَسْبَاطِ الْعَرَبِ. صَحِيحُ النَّسَبِ فَصِيحًا ذَا شَيْئَةٍ حَسَنَةٍ
 يَتَقَرُّ الْقِفَادَ. وَلَا تَكُنْهُ دَارٌ. وَلَا يُقَرُّ قَرَارٌ. يَتَحَسَّى فِي تَقَرُّهِ
 بَعْضُ الطَّعَامِ. وَيَأْنَسُ بِالْوُحُوشِ وَالْهُوَامِ. يَلْبَسُ الْمُسُوحَ. وَيَتَّبِعُ
 السَّيَّاحَ عَلَى مَنَاجِرِ الْمَسِيحِ. لَا يُغَيِّرُ الرَّهْبَانِيَّةَ. مُقِرًّا بِالْوَحْدَانِيَّةِ.
 تُضْرَبُ بِحِكْمَتِهِ الْأَمْثَالُ. وَتُكْسَفُ بِهِ الْأَهْوَالُ. وَتَلْبَعُهُ الْأَبْدَالُ.
 أَدْرَكَ رَأْسَ الْحَوَارِيِّينَ سَمْعَانُ فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَأَلَّاهُ مِنَ الْعَرَبِ.
 وَاعْبَدُ مَنْ تَعَبَّدَ فِي الْحَقِّبِ. وَآيَقَنَ بِالْبَعْثِ وَالْحِسَابِ. وَحَذَرَ سُوءَ
 الْمُنْقَلَبِ وَالْمَلَبِ. وَوَعَّظَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ. وَأَمَرَ بِالْعَمَلِ قَبْلَ الْقَوْتِ.
 الْحَسَنُ الْأَلْقَاطِ. الْخَالِطُ بِسُوقِ عُكَاظِ. الْغَارِفُ بِشَرْقِ وَغَرْبِ.
 وَيَاسِرُ وَرَظْبِ. وَأَجَاجُ وَعَذْبِ. كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ. وَالْعَرَبُ بَيْنَ
 يَدَيْهِ يُقْسِمُ بِالرَّبِّ الَّذِي هُوَ لَهُ. لَيَبْلُغَنَّ الْكِتَابُ أَجَلَهُ. وَلَيُؤَفِّقَنَّ
 كُلُّ عَامِلٍ عَمَلَهُ. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

هَاجَ الْقَلْبِ مِنْ هَوَاهُ أَدْكَارُ وَلَيَالٍ خِلَافَهُنَّ نَهَارُ
 وَجِبَالُ شَوَاغِخِ رَايِسَاتٍ وَبِحَارُ مِيكَاهُنَّ غِزَارُ
 وَنَجُومٌ يَجُتُّهَا قَرُّ اللَّيْلِ (١) م وَشَمْسٌ فِي كُلِّ يَوْمٍ تُدَارُ
 ضَوْوُهَا يَطْمُسُ الْعُيُونَ وَإِذَا عَادُ شَدِيدُ فِي الْخَافِقِينَ مُتَارُ (٢)
 وَغَلَامٌ وَاشْمَطُ وَرَضِيعُ كُلُّهُمْ فِي الثَّرَابِ يَوْمًا يُزَارُ

وَقُصُورٌ مَشِيدَةٌ حَوَتْ الْخَيْرَ م وَأُخْرَى حَوَتْ (١) فَهِنَّ قِفَارٌ
وَكَثِيرٌ يَمَّا تُقْصَرُ عَنْهُ حَدَسَةُ النَّاطِرِ الَّذِي لَا يَحَارُ
وَالَّذِي قَدْ ذَكَرْتُ دَلَّ عَلَى اللَّهِ م نَفُوسًا لَهَا هُدًى وَاعْتِبَارُ
فَقَالَ رَسُولُ الْمُسْلِمِينَ: يَرْحَمُ اللَّهُ قُوسًا إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يُنْعَثَ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةٌ وَحَدَهُ

وَمِنْ خُطْبٍ قُسٍ الْمَأْثُورَةِ مَا رَوَاهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ قَالَ:
لَسْتُ أَنَسَاهُ بِسُوقٍ عُكَاظَ (وَهُوَ سُوقٌ بَيْنَ بَطْنِ الْخَلْجَةِ وَالطَّائِفِ
كَانَ لِثَقِيفٍ وَقَيْسٍ) عَلَى جَمَلٍ لَهُ أَوْرَقٌ. وَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِكَلَامِ
مُوثِقٍ. فَقَالَ حِينَ خُطِبَ فَأَطْلَبَ. وَرَغَبَ وَرَهَبَ. وَحَذَرَ وَأَنْذَرَ.
وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ: أَيُّهَا النَّاسُ أَسْمِعُوا وَعُوا. وَإِذَا وَعَيْتُمْ فَأَتَنِعُوا.
إِنَّهُ مِنْ عَاشَ مَاتَ. وَمَنْ مَاتَ فَاتَ. وَكُلُّ مَا هُوَ آتٍ آتٍ. مَطَرٌ
وَنَاتٌ. وَارْزَاقٌ وَأَقْوَاتٌ. وَأَبَاءٌ وَأُمَمَاتٌ. وَأَحْيَاءٌ وَأَمَوَاتٌ. وَجَمْعٌ
وَشَتَاتٌ. وَأَيَّاتٌ بَعْدَ آيَاتٍ. لَيْلٌ مَوْضُوعٌ. وَسَقْفٌ مَرْفُوعٌ. وَنَجْمٌ
تَغَوْرٌ. وَأَرَاضٍ تُثَوِّرُ. وَجُجُورٌ تُنْجِجُ. وَتِجَارَةٌ تُرْجِجُ. وَضَوْءٌ وَظَلَامٌ. وَبِرٌّ
وَأَثَامٌ. وَمَطْعَمٌ وَمَشْرَبٌ. وَمَلْبَسٌ وَمَرْكَبٌ. أَلَا إِنَّ أَلْبَغَ أَلِغَطَاتِ.
السَّيْرِ فِي أَلْفَلَوَاتِ. وَالنَّظَرِ إِلَى مَحَلِّ الْأَمَوَاتِ. إِنَّ فِي السَّمَاءِ لَخَيْرًا.
وَأَنَّ فِي الْأَرْضِ لَعِبْرًا. لَيْلٌ دَاجٍ. وَسَمَاءٌ ذَاتُ آبَرَاكِ. وَأَرْضٌ
ذَاتُ رِتَاجٍ. وَتِجَارَةٌ ذَاتُ أَمَوَاجٍ. مَا لِي أَرَى النَّاسَ يَذْهَبُونَ فَلَا
يَرْجِعُونَ. أَرْضُوا بِالْمَقَامِ فَأَقَامُوا. أَمْ رُكُّوا هُنَاكَ فَأَمَامُوا. أَقْسَمَ قُسٌ

بِاللَّهِ قَسَمًا حَقًّا لَا آثِمًا فِيهِ وَلَا حَاشِيًا إِنَّ اللَّهَ دِينًا هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ
 مِنْ دِينِكُمْ الَّذِي أَنْتُمْ عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: تَبَا لَأَرْبَابِ الْقَفَلَةِ مِنْ
 الْأُمَمِ الْخَالِيَةِ. وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ. يَا مَعْشَرَ إِيَادِ. آيِنَ الْأَبَاءِ
 وَالْأَجْدَادِ. وَآيِنَ الْمَرِيضِ وَالْعَوَادِ. وَآيِنَ الْفَرَاغَةِ الشَّدَادِ. آيِنَ مَنْ
 بَنَى وَشَيْدَ. وَزَخَرَ وَتَجَدَّ. وَغَرَّهَ أَلْمَالُ وَالْوَلَدُ. آيِنَ مَنْ بَغَى وَطَغَى.
 وَجَمَعَ فَأَوْغَى. وَقَالَ أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى. أَلَمْ يَكُونُوا أَكْثَرَ مِنْكُمْ
 أَمْوَالًا. وَأَطْوَلَ مِنْكُمْ أَجَالًا. طَحَّيْهُمْ أَلْثَرَى بِكُلِّكَلِهِ. وَمَزَقَهُمْ
 بِتَطَاوُلِهِ. فَتِلْكَ عِظَامُهُمْ بِأَلْيَةِ. وَيُؤْتِيهِمْ حَاوِيَةً. عَمَرَتْهَا الدِّنَابُ
 أَلْعَاوِيَةُ. كَلَّا بَلْ هُوَ الْمَعْبُودُ. ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ:

فِي الذَّاهِبِينَ الْأَوَّلِينَ مِ
 لَّمَّا رَأَيْتُ مَوَارِدًا لِلْمَوْتِ لَيْسَ لَهَا مَصَادِرُ
 وَرَأَيْتُ قَوْمِي تَحْوَهَا تَمْضِي الْأَصَاغِرُ وَالْأَكَاكِرُ
 لَا يَرْجِعُ الْمَاضِي وَلَا يَبْقَى مِنَ الْبَاقِينَ غَابِرُ (١)
 أَيْقَنْتُ آتِي لَا مَحَا لَهَ حَيْثُ صَادَ الْقَوْمُ صَانِرُ

وَمَنْ أَشْتَهَرَ عِنْدَ الْعَرَبِ سَحْبَانُ بْنُ زُقْرَبْنِ إِيَّاسِ الْوَائِلِيُّ وَائِلُ
 بِأَهْلِيهِ خَطِيبٌ مُفَضِّعٌ يُضْرَبُ بِهِ الْاِمْلُ فِي الْبَيَانِ. أَدْرَكَ الْإِسْلَامَ وَاسْلَمَ
 وَمَاتَ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ. وَحَكَى الْأَضْمَعِيُّ قَالَ: كَانَ إِذَا حَطَبَ
 يَسِيلُ عَرَقًا وَلَا يُعِيدُ كَلِمَةً وَلَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَقْعُدُ حَتَّى يَفْرَغَ. وَقَدِيمُ

عَلَى مُعَاوِيَةَ وَفَدَّ مِنْ خُرَّاسَانَ فِيهِمْ سَعِيدُ بْنُ عُثْمَانَ فَطَلَبَ سَجْبَانَ فَلَمْ
 يُوجَدْ فِي مَنْزِلِهِ فَأَقْتَضَبَ مِنْ نَاحِيَةِ اقْتِضَابٍ وَأَدْخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ: تَكَلَّمْ
 فَقَالَ: أَنْظِرُوا إِلَى عَصَا ثَقُومٍ مِنْ أَوْدِي. قَالُوا: وَمَا تَضَعُ بِهَا وَأَنْتَ
 بِحَضْرَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَالَ: مَا كَانَ يَضَعُ بِهَا مُوسَى وَهُوَ يُخَاطِبُ
 رَبَّهُ وَعَصَاهُ فِي يَدِهِ. فَضَحِكَ مُعَاوِيَةُ وَقَالَ: هَاتُوا عَصَا فَجَاؤُوا بِهَا إِلَيْهِ
 فَرَكَّبَهَا بِرِجْلِهِ وَلَمْ يَرْضَهَا وَقَالَ: هَاتُوا عَصَايَ فَأَتَوْا بِهَا فَأَخَذَهَا. ثُمَّ
 قَامَ وَتَكَلَّمَ مُنْذُ صَلَاةِ الظُّهْرِ إِلَى أَنْ قَامَتِ صَلَاةُ الْعَصْرِ
 مَا تَسَخَّعَ وَلَا سَعَلَ وَلَا تَوَقَّفَ وَلَا ابْتَدَأَ فِي مَعْنَى فَحَرَجَ مِنْهُ وَقَدْ
 بَقِيَ عَلَيْهِ مِنْهُ شَيْءٌ. فَمَا زَالَتْ تِلْكَ حَالُهُ حَتَّى أَشَارَ مُعَاوِيَةُ بِيَدِهِ
 فَأَشَارَ إِلَيْهِ سَجْبَانُ أَنْ لَا تَقْطَعَ عَلَيَّ كَلَامِي فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: الصَّلَاةُ.
 قَالَ: هِيَ أَمَامُكَ وَنَحْنُ فِي صَلَاةٍ وَتَحْمِيدٍ وَوَعْدٍ وَوَعِيدٍ. فَقَالَ
 مُعَاوِيَةُ: أَنْتَ أَخْطَبُ الْعَرَبِ. فَقَالَ سَجْبَانُ: وَالْعَجْمِ وَالْجَنِّ
 وَالْإِنْسِ. وَمِمَّا رَوِيَ عَنْهُ فِي بَعْضِ خُطْبِهِ الْبَلِيغَةِ يَقُولُ: إِنَّ الدُّنْيَا
 دَارُ بَلَاغٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ. أَهِيَ النَّاسُ فُخِّدُوا مِنْ دَارِ مَمَرٍ ثُمَّ لِدَارِ
 مَقَرٍّ ثُمَّ وَلَا تَهْتَكُوا اسْتَارَكُمْ. عِنْدَ مَنْ لَا تُخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَادُكُمْ.
 وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ. قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْهَا أَبْدَانَكُمْ. فَبَيَّنَّا
 حَيِّتُمْ وَلَغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا هَلَكَ. قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ. وَقَالَتِ
 الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ لِلَّهِ. قَدِّمُوا بَعْضًا يَكُونُ لَكُمْ وَلَا تُخْلِفُوا كَلًّا
 يَكُونُ عَلَيْكُمْ. وَمِنْ شِعْرِهِ يَمْدَحُ طَلْحَةَ الطَّلَحَاتِ وَهُوَ طَلْحَةُ بْنُ
 عَبْدِ اللَّهِ الْخَزَاعِيُّ:

يَا ظَلَمَ أَكْرَمَ مِنْ يَهَا حَسْبًا وَأَعْطَاهُمْ لِتَالِذِ
 مِنْكَ أَلْعَاطَاءُ فَأَعْطِنِي وَعَلَيَّ مَدْحُكَ فِي الْمَشَاهِدِ
 فَيَقُولُ إِنَّ طَلْحَةَ قَالَ لَهُ: اخْتَكِمْ. قَالَ: فَرَسَكَ الْوَرْدَ وَقَصْرَكَ
 بِكَذَا. فَقَالَ طَلْحَةُ أَفَرِكَ لَكَ لَوْ سَأَلْتَنِي عَلَى قَدْرِي أَعْطَيْتُكَ كُلَّ
 فَرَسٍ لِي وَكُلَّ قَصْرِ وَلَكِنْ أَبَيْتُ إِلَّا بِأَهْلِيَّتِكَ
 وَذَكَرَ جَعْفَرُ بْنُ يَحْيَى فِي مَجْلِسِ ثَمَامَةَ بْنِ أَشْرَسَ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ
 أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ كَانَ أَبْطَلُ لِسَانًا وَلَا أَلْحَنَ بِحُجَّتِهِ وَلَا أَقْدَرَ
 عَلَى كَلَامٍ بِنَظْمٍ حَسَنٍ وَالْفَاطِطِ عَذْبَةٍ وَمَنْطِقٍ فَصِيحٍ مِنْ جَعْفَرِ بْنِ
 يَحْيَى كَانَ لَا يَتَوَقَّفُ وَلَا يَجْحَسُ وَلَا يَصِلُ كَلَامُهُ بِحُشْوٍ مِنْ التَّكَلَامِ
 وَلَا يُعِيدُ لَفْظًا وَلَا مَعْنَى وَلَا يُخْرِجُ مِنْ فَمِّهِ إِلَى غَيْرِهِ حَتَّى يَبْلُغَ
 آخِرَ مَا فِيهِ. وَكَانَ لَا يَرَى شَيْئًا إِلَّا حَكَاهُ وَلَا يَحْكِي شَيْئًا إِلَّا
 كَانَ أَكْثَرَ مِنْهُ وَلَا يُرِي بِذِيهِ شَيْءٌ إِلَّا حَفِظَهُ. وَكَانَ إِذَا شَاءَ
 أَضْحَكَ النَّاسَ وَأَذْهَلَ الزَّاهِدَ وَحَسَّنَ قَلْبَ الْعَابِدِ. قُلْتُ فَكَيْفَ
 كَانَتْ مَعْرِفَتُهُ. قَالَ: كَانَ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ بِالْخَبَرِ الْبَاهِرِ وَالشَّعْرِ
 النَادِرِ وَالْمَثَلِ السَّائِرِ وَالْفَصَاحَةِ الثَّامَّةِ وَاللِّسَانِ الْبَسِيطِ. قَالَ
 سَهْلُ بْنُ هَارُونَ وَذَكَرَ يَحْيَى بْنُ خَالِدٍ وَأَبْنَهُ جَعْفَرًا فَقَالَ: لَوْ كَانَ
 التَّكَلَامُ مُتَّصِرًا دُرًّا وَيُلْقِيهِ الْمَنْطِقُ جَوْهَرًا لَكَانَ كَلَامُهُمَا
 وَالْمَنْتَقَى مِنَ الْفَاطِطِيَّاتِ. وَلَقَدْ غَبَرَتْ مَعَهُمَا وَأَدْرَكَتْ طَبَقَةُ الْمُتَكَلِّمِينَ
 فِي أَيَّامِهِمَا وَهُمْ يَرُونَ الْبَلَاغَةَ لَمْ تُسْتَكْمَلْ إِلَّا فِيهِمَا. وَلَمْ تَكُنْ
 مَقْصُورَةً إِلَّا عَلَيْهِمَا وَلَا أَنْقَادَتْ إِلَّا لَهُمَا وَإِنَّهُمَا لِلْبَابِ الْكَرِيمِ

عَشَى مَنْظَرٍ وَجُودَةٍ مَحَبَّرٍ وَسُهُولَةٍ لَفْظٍ وَجَزَالَةٍ مَنْطِقٍ وَتَرَاهَهُ نَفْسٍ
وَكَمَالَ خِصَالٍ حَتَّى لَوْ فَاحَرَتِ الدُّنْيَا بِقَلِيلِ أَيَّامِهَا وَالْمَأْثُورُ مِنْ
خَصَائِصِهَا جَمِيعَ أَيَّامٍ مِنْ سِوَاهُمَا مِنْ لَدُنِ آدَمَ إِلَى أَنْ يُنْفَخَ فِي
الصُّورِ وَيُبْعَثَ أَهْلُ الْقُبُورِ حَاشَا أَنْبِيَاءَ اللَّهِ الْكَرَامِ وَسَلَفَ عِبَادِهِ
الصَّالِحِينَ لَمَا بَاهَتِ إِلَّا يَبَاهُ وَلَا عَوَّلَتْ فِي الْفَخْرِ إِلَّا عَلَيْهِمَا. وَلَقَدْ
كَانَا مَعَ تَهْذِيبِ أَخْلَاقِهِمَا وَمَغْسُولِ مَذَاقِهِمَا وَسَنَا إِشْرَاقِهِمَا
وَكَمَالَ خِصَالِ الْخَيْرِ فِيهِمَا فِي مَحَاسِنِ الْإِيمَانِ كَالنُّقْطَةِ فِي الْبَحْرِ
وَالْخُرْدَةِ فِي الْقَفْرِ



الْقِسْمُ الثَّانِي

في علم الشعر

الفصل الاول

في تعريف الشعر وانواعه وفوائده

البحث الاول

في تحديد الشعر

(عن ابن خلدون)

اعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى قَنَيْنِ فَنَرِ الشِّعْرَ
الْمَنْظُومَ وَهُوَ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ الْمُلَقَّى وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ أَوْزَانُهُ
كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ. وَفَنَ النَّثْرِ وَهُوَ الْكَلَامُ غَيْرُ
الْمَوْزُونِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْقَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى فُنُونٍ وَمَذَاهِبَ فِي
الْكَلَامِ. فَأَمَّا الشِّعْرُ فَمِنْهُ الْمَدْحُ وَالنِّجَاءُ وَالرِّثَاءُ. وَأَمَّا النَّثْرُ فَمِنْهُ
الْكَلَامُ الَّذِي يُرْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُنْتَرَمُ فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ
وَيُسَمَّى سَبْجًا. وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا

وَلَا يُقَطَّعُ أَجْزَاءُ بَلْ يُرْسَلُ إِزْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَقْسِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا
غَيْرِهَا. وَيُسْتَعْمَلُ فِي الْخُطْبِ وَالِدُعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجَنَّةِ وَتَرْهِيْبِهِمْ .
وَأَمَّا الْقُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنِ الْوُضْعَيْنِ
وَلَيْسَ يُسَمَّى مُرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّمًا بَلْ تَفْصِيلَ آيَاتِهِ يَنْتَهِي إِلَى
مَقَاطِيعَ يَشْهَدُ الذَّوْقُ بِانْتِهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا . ثُمَّ يُعَادُ الْكَلَامُ
فِي الْآيَةِ الْآخَرَى بَعْدَهَا وَيُشْنَى مِنْ غَيْرِ التَّزَامِ حَرْفٌ يَكُونُ
سَجْمًا أَوْ قَافِيَةً . وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِ الْقُرْآنِ : اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا
مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ . وَقَالَ قَدْ
فَضَّلْنَا الْآيَاتِ . وَيُسَمَّى آخِرُ الْآيَاتِ مِنْهُ فَوَاعِلٌ إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاعًا
وَلَا التَّزِمَ فِيهَا مَا يُلْتَزَمُ فِي السَّجْعِ . وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ . وَأُطْلِقَ
أَنَّهُ الْمَثَانِي عَلَى آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْصَصَتْ
بِأَمِّ الْقُرْآنِ لِلْغَلْبَةِ فِيهَا كَالْحَجْمِ لِلثَّرْيَا وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّجْعَ الْمَثَانِي .
وَأَنْظُرْ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَعْلِيلِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَثَانِي يَشْهَدُ
لَكَ الْحَقُّ بِرُجْحَانِ مَا قُلْنَاهُ . وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْفُنُونِ
أَسَالِيبَ تَخْتَصُّ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَضِلُّ لِلْفَنِّ الْآخَرِ وَلَا تُسْتَعْمَلُ
فِيهِ مِثْلُ السَّيْبِ الْمُخْتَصِّ بِالشِّعْرِ وَالْحَمْدِ وَالِدُعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْخُطْبِ
وَالِدُعَاءِ الْمُخْتَصِّ بِالْمُحَاطَبَاتِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ . وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمَثَاخِرُونَ
أَسَالِيبَ الشِّعْرِ وَمَوَازِيئَهُ فِي الْمَثُورِ مِنْ كَثْرَةِ الْأَسْجَاعِ وَالتَّزَامِ
التَّقْنِيَةِ وَتَقْدِيمِ السَّيْبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ هَذَا الْمَثُورُ
إِذَا تَامَلْتَهُ مِنْ بَابِ الشِّعْرِ وَقِيهِ وَلَمْ يَفْتَرِقَا إِلَّا فِي الْوُزْنِ . وَأَسْتَمِرَّ

الْمُتَاخِرُونَ مِنَ الْكُتَّابِ عَلَى هَذِهِ الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعْمَلُوا فِي الْمُخَاطَبَاتِ
السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا الْإِسْتِعْمَالَ فِي الْمُنْشُورِ كُنْهِ عَلَى هَذَا الْفَنِّ الَّذِي
ارْتَضَوْهُ وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ وَخُصُوصًا
أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَصَارَتِ الْمُخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ عِنْدَ الْكُتَّابِ
الْفَعْلُ جَارِيَةً عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ الَّذِي أَشْرْنَا إِلَيْهِ. وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ
مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا يُلَاحَظُ فِي تَطْلِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ
مِنْ أَحْوَالِ الْمُخَاطَبِ وَالْمُخَاطَبِ. وَهَذَا الْفَنُّ الْمُنْشُورُ أُلْقِيَ أَدْخَلَ
الْمُتَاخِرُونَ فِيهِ أَسَالِيبَ الشِّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ تُنْذَرَ الْمُخَاطَبَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ
عَنْهُ إِذْ أَسَالِيبُ الشِّعْرِ تُنَافِيَا اللَّوْذِيعِيَّةَ وَخَلَطُ الْجِدِّ بِالْهَزْلِ وَالْإِطْنَابُ
فِي الْأَوْصَافِ وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ التَّشْبِIHَاتِ وَالْإِسْتِعَارَاتِ
حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةٌ إِلَى ذَلِكَ فِي الْخُطَابِ. وَالتَّحْمُودُ فِي الْمُخَاطَبَاتِ
السُّلْطَانِيَّةِ التَّرْسُلُ وَهُوَ إِطْلَاقُ الْكَلَامِ وَإِزْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَنْجِيعٍ
إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ وَحَيْثُ تُرْسَلُهُ الْمَلَكَةُ إِزْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ
لَهُ. ثُمَّ إِعْطَاءُ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَإِنَّ
الْمَقَامَاتِ مُخْتَلِفَةً وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ يَخُصُّهُ مِنْ إِطْنَابٍ أَوْ إِيْجَازٍ
أَوْ حَذْفٍ أَوْ إِبْثَاتٍ أَوْ تَضْرِيعٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكِأَيَّةٍ وَاسْتِعَارَةٍ .
وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْمُخَاطَبَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا الْخَوِّ الَّذِي هُوَ عَلَى
أَسَالِيبِ الشِّعْرِ قَدْ مَوْمٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ إِلَّا اسْتِيسْلَاءُ
الْفَجْهَةِ عَلَى السِّنْتِهِمْ وَقُصُورُهُمْ لِذَلِكَ عَنْ إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّهُ فِي
مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى الْحَالِ فَهَجَرُوا عَنْ الْكَلَامِ الْمُرْسَلَ لِيُعَدَّ أَمْدُهُ

فِي الْبَلَاغَةِ وَأَنْفَسَاحِ خَطَوَاتِهِ وَوَلِعُوا بِهَذَا الْمُسْتَجْمَعِ يُلَقِّقُونَ بِهِ مَا
نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْيِيقِ الْكَلَامِ عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى الْحَالِ فِيهِ
وَيُجَبِّرُونَ بِهِ ذَلِكَ الْقَدْرَ مِنَ التَّرَيُّينِ بِالْأَسْجَاعِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ
وَيَقُولُونَ عَمَّا سَوَى ذَلِكَ. وَأَكْثَرُ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي
سَائِرِ أَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كِتَابُ الْمَشْرِقِ وَشِعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ حَتَّى إِنَّهُمْ
يُخْفِلُونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالتَّضْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ لَهُمْ فِي
تَخْيِيسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهَا فَيُرَجِّحُونَ ذَلِكَ الصَّنْفَ مِنَ
التَّخْيِيسِ وَيَدْعُونَ الْإِعْرَابَ وَيُفْسِدُونَ بَنِيَّةَ الْكَلِمَةِ عَسَاهَا تُصَادِفُ
التَّخْيِيسَ. فَتَأْمَلْ ذَلِكَ بِمَا قَدْ مَنَاهُ لَكَ تَقِفْ عَلَى صِحَّةِ مَا ذَكَرْنَاهُ
وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ إِلَى الصَّوَابِ بِبَنِيهِ وَكَرَّمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

البحث الثاني

في صناعة الشعر وانواع الاشعار

(عن تلخيص كتاب ارسطاطاليس في الشعر تأليف ابى الوليد بن رشد)

الْفَرَضُ فِي هَذَا الْقَوْلِ تَلْخِيسُ مَا فِي كِتَابِ أَرِسْطَاطَالِيسَ فِي
الشَّعْرِ مِنَ الْقَوَائِنِ الْكَلِمِيَّةِ الْمُشَدَّكَةِ لِجَمِيعِ الْأَنْحَاءِ أَوْ لِلْأَكْثَرِ إِذَا
كَثُرَ بِمَا فِيهِ هِيَ قَوَائِنُ خَاصَّةٌ بِأَشْعَارِهِمْ وَعَادَتِهِمْ فِيهَا. وَإِنَّمَا أَنْ
تَكُونَ نِسْبًا مَوْجُودَةً فِي كَلَامِ الْعَرَبِ أَوْ مَوْجُودَةً فِي غَيْرِهِ مِنْ
الْأَلْسِنَةِ. (قَالَ) إِنَّ قَصْدَنَا الْآنَ التَّكَلُّمُ فِي صِنَاعَةِ الشَّعْرِ
وَفِي أَنْوَاعِ الْأَشْعَارِ. وَقَدْ يَجِبُ عَلَى مَنْ يُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْقَوَائِنُ

الَّتِي يُعْطَى فِيهَا تَجْرِي مَجْرَى الْجُودَةِ أَنْ يَقُولَ أَوَّلًا مَا فِعْلُ كُلِّ
وَاحِدٍ مِنَ الْأَنْوَاعِ الشَّعْرِيَّةِ وَمِمَّاذَا تَتَقَوَّمُ الْأَقَاوِيلُ الشَّعْرِيَّةُ وَمِنْ
كَمْ شَيْءٍ تَتَقَوَّمُ وَأَيُّمَا هِيَ أَجْزَاؤُهَا الَّتِي تَتَقَوَّمُ بِهَا وَكَمْ أَصْنَافُ
الْأَغْرَاضِ الَّتِي تُقْصَدُ بِالْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ . وَأَنْ يَجْعَلَ كَلَامُهُ مِنْ
الْأَوَائِلِ الَّتِي لَنَا بِالطَّبَعِ فِي هَذَا الْمَعْنَى . (قَالَ) فَكُلُّ شَعْرٍ وَكُلُّ قَوْلٍ
شَعْرِيٌّ فَهُوَ أَمَّا هِجَاءٌ وَأَمَّا مَدِيحٌ وَذَلِكَ بَيِّنٌ بِاسْتِقْرَاءِ الْأَشْعَارِ
وَبِخَاصَّةِ أَشْعَارِهِمُ الَّتِي كَانَتْ فِي الْأُمُورِ الْإِرَادِيَّةِ أَغْنَى الْخُسَّةِ
وَالْقَبِيحَةِ وَكَذَلِكَ الْحَالُ فِي الصَّنَائِعِ الْحَاكِيَةِ لِصِنَاعَةِ الشَّعْرِ الَّتِي
هِيَ الضَّرْبُ بِالْعِيدَانِ وَالزَّمَرِ وَالرَّقْصِ أَغْنَى أَنَّهُا مُعَدَّةٌ بِالطَّبَعِ
لِهَذَيْنِ الْفَرْضَيْنِ . وَالْأَقَاوِيلُ الشَّعْرِيَّةُ هِيَ الْأَقَاوِيلُ الْحَمِيَّةُ . وَأَصْنَافُ
الْخَيْلِ وَالتَّشْبِيهِ ثَلَاثَةٌ إِمَّا بَسِيطَانٍ وَثَلَاثُ مُرَكَّبٍ مِنْهُمَا . أَمَّا
الْإِثْنَانِ الْبَسِيطَانِ فَأَحَدُهُمَا تَشْبِيهُ شَيْءٍ بِشَيْءٍ وَتَمَثِيلُهُ بِهِ وَذَلِكَ
يَكُونُ فِي لِسَانِ لِسَانٍ بِالْفَاطِظِ خَاصَّةً عِنْدَهُمْ وَمِثْلُ كَانَ وَإِخَالُ
وَمَا أَشَبَّهُ ذَلِكَ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَهُمْ حُرُوفَ
التَّشْبِيهِ . وَإِمَّا أَخَذَ الشَّيْءَ بِعَيْنِهِ بَدَلَ الشَّيْءِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى
الْإِبْدَالَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ وَذَلِكَ وَمِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

هُوَ الْخَجَرُ مِنْ آتَى الْمَوَاضِعِ جِثَّةُ

وَيَتَبَعِي أَنْ نَعْلَمَ أَنَّ فِي هَذَا الْقِسْمِ تَدْخُلُ الْأَنْوَاعُ الَّتِي
يُسَمِّيهَا أَهْلُ زَمَانِنَا اسْتِعَارَةً وَكِدَايَةً مِثْلَ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَعَرِّيَ أَفْرَاسُ الصَّبَا وَرَوَّاحِلُهُ

إِلَّا أَنَّ الْكِتَابَاتِ أَكْثَرَ ذَلِكَ هِيَ إِبْدَالَاتٌ مِنْ لَوَاقِحِ
 الشَّيْءِ . وَالْإِسْتِعَادَةُ هِيَ إِبْدَالٌ مِنْ مُنَاسِبِهِ أَغْنَى إِذَا كَانَ شَيْءٌ
 نَسَبُهُ إِلَى الثَّانِي نِسْبَةُ الثَّلَاثِ إِلَى الرَّابِعِ فَلِإِبْدَالِ اسْمِ الثَّلَاثِ
 إِلَى الْأَوَّلِ وَبِالْعَكْسِ . وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي كِتَابِ الْخَطَابَةِ مِنْ كَمِ شَيْءٍ
 تَكُونُ الْإِبْدَالَاتُ . وَأَمَّا الْقِسْمُ الثَّانِي فَهُوَ أَنْ يَبْدَلَ التَّشْبِيهِ مِثْلَ
 أَنْ تَقُولَ : الشَّمْسُ كَأَنَّهَا فُلَانٌ أَوْ الشَّمْسُ هِيَ فُلَانٌ لَا فُلَانٌ
 كَالشَّمْسِ وَلَا هُوَ الشَّمْسُ

وَالصَّنْفُ الثَّلَاثُ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ هُوَ الْمُرَكَّبُ مِنْ هَذَيْنِ
 (قَالَ) وَكَمَا أَنَّ النَّاسَ بِالطَّعْمِ قَدْ يُخَيَّلُونَ وَيُمْكِنُ أَنْ بَعْضُهُمْ بَعْضًا
 بِالْأَفْعَالِ مِثْلَ مُحَاكَاةِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا بِالْأَلْوَانِ وَالْأَشْكَالِ
 وَالْأَصْوَاتِ وَذَلِكَ أَمَّا بِصِنَاعَةٍ وَمَلَكَةٍ تُوجَدُ لِلْمُحَاكِمِينَ وَإِمَّا مِنْ
 قِبَلِ عَادَةٍ تَقَدَّمَتْ لَهُمْ فِي ذَلِكَ . كَذَلِكَ تُوجَدُ لَهُمُ الْمُحَاكَاةُ
 بِالْأَقَاوِيلِ بِالطَّعْمِ وَالْخَيَالِ . وَالْمُحَاكَاةُ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ تَكُونُ
 مِنْ قِبَلِ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ : مِنْ قِبَلِ النِّعَمِ الْمُتَّفِقَةِ وَمِنْ قِبَلِ الْوِزْنِ
 وَمِنْ قِبَلِ التَّشْبِيهِ نَفْسِهِ . وَهَذِهِ قَدْ يُوْجَدُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهَا مُفْرَدًا عَنْ
 صَاحِبِهِ مِثْلَ وُجُودِ النِّعَمِ فِي الْمَزَامِيرِ وَالْوِزْنِ فِي الرِّقَصِ وَالْمُحَاكَاةِ
 فِي اللَّفْظِ . أَغْنَى الْأَقَاوِيلِ الْخَيَالَةَ الْغَيْرَ مَوْزُونَةٍ . وَقَدْ تَجَمَّعَ هَذِهِ
 الثَّلَاثَةُ بِأَسْرَها مِثْلَ مَا يُوْجَدُ عِنْدَنَا فِي النَّوعِ الَّذِي يُسَمَّى
 الْمُوسَخَاتِ وَالْأَزْجَالِ وَهِيَ الْأَشْعَارُ الَّتِي اسْتَبَطَهَا فِي هَذَا اللِّسَانِ
 أَهْلُ هَذِهِ الْجَزِيرَةِ إِذْ كَانَتْ الْأَشْعَارُ الطَّبِيعِيَّةُ هِيَ مَا جَمَعَتْ

الْأَمْرَيْنِ جَمِيعًا. وَالْأُمُورُ الطَّبِيعِيَّةُ إِنَّمَا تُوجَدُ لِلْأَهْلِ الطَّبِيعِيِّينَ فَإِنَّ
 أَشْعَارَ الْعَرَبِ لَيْسَ فِيهَا لَحْنٌ. وَإِنَّمَا هِيَ إِمَّا أَلْوَزْنُ فَقَطُّ وَإِمَّا أَلْوَزْنُ
 وَالْحَاكَاةُ مَعًا فِيهَا. وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَالْصِّنَاعَةُ الْحَيَّةُ أَوْ الَّتِي
 تَفْعَلُ فِعْلَ الْخَيْلِ ثَلَاثَةٌ. صِنَاعَةُ اللَّحْنِ وَصِنَاعَةُ أَلْوَزْنٍ وَصِنَاعَةُ
 عَمَلِ الْأَقَاوِيلِ الْحَاكِيَّةِ وَهَذِهِ الصِّنَاعَةُ الْمُنْطَقِيَّةُ الَّتِي نَنْظُرُ فِيهَا
 فِي هَذَا الْكِتَابِ. (قَالَ): وَكَثِيرًا مَا يُوجَدُ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الَّتِي تُسَمَّى
 أَشْعَارًا مَا لَيْسَ فِيهَا مِنْ مَعْنَى الشَّعْرِيَّةِ إِلَّا أَلْوَزْنُ فَقَطُّ كَأَقَاوِيلِ
 مُقْرَاطِ الْمَوْزُونَةِ وَأَقَاوِيلِ إِنْبَادُ قَلِيسَ فِي الطَّبِيعِيَّاتِ بِخِلَافِ الْأَمْرِ
 فِي أَشْعَارِ أُوْمَيْرُوشَ فَإِنَّهُ يُوجَدُ فِيهَا الْأَمْرَانِ جَمِيعًا. (قَالَ): وَلِذَلِكَ
 لَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ يُسَمَّى شِعْرًا بِالْحَقِيقَةِ إِلَّا مَا جَمَعَ هَذَيْنِ. وَأَمَّا
 تِلْكَ فَهِيَ أَنْ تُسَمَّى أَقَاوِيلَ أُخْرَى مِنْهَا أَنْ تُسَمَّى شِعْرًا
 وَكَذَلِكَ الْفَاعِلُ أَقَاوِيلُ مَوْزُونَةٌ بِالطَّبِيعِيَّاتِ هُوَ أُخْرَى أَنْ يُسَمَّى
 مُتَكَلِّمًا مِنْ أَنْ يُسَمَّى شَاعِرًا. وَكَذَلِكَ الْأَقَاوِيلُ الْحَيَّةُ الَّتِي
 تَكُونُ مِنْ أَوْزَانٍ مُخْتَلِطَةٍ لَيْسَتْ أَشْعَارًا. وَحِكْمِي أَنْ كَانَتْ
 تُوجَدُ عِنْدَهُمْ أَعْنِي مِنْ أَوْزَانٍ مُخْتَلِطَةٍ وَهَذَا غَيْرُ مَوْجُودٍ عِنْدَنَا فَقَدْ
 بَيَّنَّ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ كَمْ هِيَ أَصْنَافُ الْحَاكَاةِ وَمِنْ أَيْ الصَّانِعِ
 تَلْتَمِمْ الْحَاكَاةُ بِالْقَوْلِ حَتَّى تَكُونَ تَامَةً الْفِعْلُ



البحث الثاني

في غاية صناعة الشعر

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَلَمَّا كَانَ الْمُحَاكُونَ وَالْمُشْتَبِهُونَ إِنَّمَا يَقْصِدُونَ
بِذَلِكَ أَنْ يُحْثُوا عَلَى عَمَلِ بَعْضِ الْأَفْعَالِ الْإِرَادِيَّةِ وَأَنْ يَكْفُوا
عَنْ عَمَلِ بَعْضِهَا فَقَدْ يَجِبُ ضَرُورَةٌ أَنْ تَكُونَ الْأُمُورُ الَّتِي تُقْصَدُ
مُحَاكَاتُهَا إِمَّا فَضَائِلَ وَإِمَّا رَذَائِلَ وَذَلِكَ أَنَّ كُلَّ فِعْلٍ وَكُلَّ خَلْقٍ إِنَّمَا
هُوَ تَابِعٌ لِأَحَدِ هَذَيْنِ أَغْنِي الْفَضِيلَةَ وَالرَّذِيَّةَ فَقَدْ يَجِبُ ضَرُورَةٌ
أَنْ تَكُونَ الْفَضَائِلُ إِنَّمَا تُحَاكَى بِالْفَضَائِلِ وَالْفَاضِلِينَ وَأَنْ تَكُونَ
الرَّذَائِلُ تُحَاكَى بِالرَّذَائِلِ وَالْأَرَذَلِينَ . وَإِذَا كَانَ كُلُّ تَشْبِيهِ وَحِكَايَةٍ
إِنَّمَا تَكُونُ بِالْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ فَظَاهِرٌ أَنَّ كُلَّ تَشْبِيهِ وَحِكَايَةٍ إِنَّمَا
يُقْصَدُ بِهَا الْحَسَنُ وَالْقَبِيحُ وَقَدْ يَجِبُ مَعَ هَذَا ضَرُورَةٌ أَنْ يَكُونَ
الْمُحَاكُونَ لِلْفَضَائِلِ أَغْنِي الْمَائِلِينَ بِالطَّبَعِ إِلَى مُحَاكَاتِهَا أَفَاضِلَ .
وَالْمُحَاكُونَ لِلرَّذَائِلِ أَنْقَصُ طَبْعًا مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَقْرَبُ إِلَى الرَّذِيَّةِ
وَعَنْ هَذَيْنِ الصَّنَفَيْنِ مِنَ النَّاسِ وَجَدَ الْمَدِيحُ وَالْهَجْوُ . أَغْنِي مَدْحُ
الْفَضَائِلِ وَهَجْوُ الرَّذَائِلِ وَلِهَذَا كَانَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يُجِيدُ الْمَدْحَ وَلَا
يُجِيدُ الْهَجْوَ وَبَعْضُهُمْ بِالْعَكْسِ أَغْنِي يُجِيدُ الْهَجْوَ وَلَا يُجِيدُ الْمَدْحَ
فَلَذَنْ بِالْوَاجِبِ مَا كَانَ يُوجَدُ لِكُلِّ تَشْبِيهِ وَحِكَايَةٍ هَذَانِ

الْقَضْلَانِ أَغْنَى التَّحْسِينَ وَالتَّقْبِيحَ وَهَذَانِ الْقَضْلَانِ إِنَّمَا يَوْجَدَانِ
لِلتَّشْبِيهِ وَالْخُصَاكَاةِ إِلَيَّ تَكُونُ بِالْقَوْلِ لَا الْخُصَاكَاةِ إِلَيَّ تَكُونُ
بِالْوِزْنِ وَلَا إِلَيَّ تَكُونُ بِاللَّحْنِ . وَقَدْ يَوْجَدُ لِلتَّشْبِيهِ بِالْقَوْلِ فَضْلٌ
ثَالِثٌ وَهُوَ التَّشْبِيهُ الَّذِي يُقْصَدُ بِهِ مُطَابَقَةُ الْمُسَبَّحِ بِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ
يُقْصَدَ فِي ذَلِكَ تَحْسِينٌ أَوْ تَقْبِيحٌ لَكِنْ نَفْسُ الْمُطَابَقَةِ وَهَذَا
النَّوعُ مِنَ التَّشْبِيهِ هُوَ كَالْمَادَّةِ الْمَعْدَّةِ لِأَنَّهُ يَسْتَحِيلُ إِلَى الطَّرَفَيْنِ
أَغْنَى أَنَّهَا تَسْتَحِيلُ تَارَةً إِلَى التَّحْسِينِ بِزِيَادَةٍ عَلَيْهَا وَتَارَةً إِلَى التَّقْبِيحِ
بِزِيَادَةٍ أَيْضًا عَلَيْهَا (قَالَ) وَهَذِهِ كَانَتْ طَرِيقَةُ أَوْمِيدُوشَ أَنِّي أَنَّهُ
كَانَ يَأْتِي فِي تَشْبِيهِاتِهِ بِالْمُطَابَقَةِ وَالزِّيَادَةِ الْحَسَنَةِ وَالْمَقْبُوحَةِ . وَمِنْ
الشُّعْرَاءِ مَنْ إِجَادَتُهُ إِنَّمَا هِيَ فِي الْمُطَابَقَةِ فَقَطْ . وَوَهُمْ مَنْ إِجَادَتُهُ
فِي التَّحْسِينِ وَالتَّقْبِيحِ . وَمِنْهُمْ مَنْ جَمَعَ الْأَمْرَيْنِ مِثْلُ أَوْمِيدُوشَ
وَتَمَثَّلَ فِي كُلِّ صَنْفٍ مِنْ هَؤُلَاءِ بِأَصْنَافٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَانُوا
مَشْهُورِينَ فِي مَدَّتِهِمْ وَسِيَاسَتِهِمْ بِاسْتِعْمَالِ صَنْفٍ صَنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ
هَذِهِ التَّشْبِيهِاتِ الثَّلَاثَةِ . وَأَنْتَ فَلَيْسَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ وَجُودُ مِثَالَاتِ
ذَلِكَ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَإِنْ كَانَتْ أَكْثَرُ أَشْعَارِ الْعَرَبِ إِنَّمَا هِيَ
كَمَا يَقُولُ أَبُو نَضْرٍ فِي التَّهْمِ وَالْكِرِيهِ . وَذَلِكَ أَنَّ النَّوعَ الَّذِي
يُسَمُّونَهُ النَّسِيبَ إِنَّمَا هُوَ حَثٌّ عَلَى الْفُسُوقِ وَذَلِكَ يَتَّبَعِي أَنْ يَتَّجِبَهُ
الْوِلْدَانُ وَيُودِّبُونَ مِنْ أَشْعَارِهِمْ بِمَا يُحَثُّ فِيهِ عَلَى الشُّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ .
فَإِنَّهُ لَيْسَ يُحَثُّ الْعَرَبُ فِي أَشْعَارِهَا مِنْ الْقَضَائِلِ عَلَى سِوَى هَاتَيْنِ
الْفَضِيلَتَيْنِ وَإِنْ كَانَتْ لَيْسَ تَتَكَلَّمُ فِيهِمَا عَلَى طَرِيقِ الْحَثِّ عَلَيْهَا

وَأَمَّا تَشَكُّلُهُمْ فِيهِمَا عَلَى طَرِيقِ الْفَخْرِ. وَأَمَّا الصِّنْفُ مِنَ الْأَشْعَارِ
الَّذِي الْمَقْصُودُ بِهِ الْمَطَابَقَةُ فَقَطُّ فَهُوَ مَوْجُودٌ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ
وَلِذَلِكَ يَصِفُونَ الْجَمَادَاتِ كَثِيرًا وَالْحَيَوَانَاتِ وَالنبَاتِ. وَأَمَّا الْيُونَانِيُّونَ
فَلَمْ يَسْكُونُوا يَقُولُونَ أَكْثَرَ ذَلِكَ شَعْرًا أَلَا وَهُوَ مُوجَّهٌ نَحْوَ الْقَضِيَّةِ
أَوْ الْكَفِّ عَنِ الرَّذِيلَةِ أَوْ مَا يَفِيدُ آدَابًا وَنَ الْأَدَابِ أَوْ مَعْرِفَةً
مِنَ الْمَعَارِفِ. فَقَدْ تَبَيَّنَ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ أَنَّ أَصْنَافَ التَّشْبِيهَاتِ
ثَلَاثَةٌ أُصُولٌ وَأَنَّ فُضُولَهَا ثَلَاثَةٌ وَتَبَيَّنَ مَا هِيَ هَذِهِ الْفُضُولُ
الْثَلَاثَةُ وَالْأَصْنَافُ الثَّلَاثَةُ. وَيُشَبَّهُ إِذَا اسْتَقْرَيْتِ الْأَشْعَارُ أَنْ يَقَعَ
الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَيْسَ هَاهُنَا صِنْفٌ رَافِعٌ وَنَ أَصْنَافُ التَّشْبِيهَاتِ وَلَا
فَضْلٌ رَافِعٌ مِنْ فُضُولِ تِلْكَ الْأَصْنَافِ

البحث الثالث

في العلل المولدة للشعر

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَيُشَبَّهُ أَنْ تَكُونَ الْعِلَلُ الْمُولِدَةُ لِلشَّعْرِ بِالطَّبْعِ فِي
النَّاسِ عِلَّتَيْنِ. أَمَّا الْعِلَّةُ الْأُولَى فَوْجُودُ التَّشْبِيهِ وَالْحَاكَاةُ لِلْإِنْسَانِ
بِالطَّبْعِ مِنْ أَوَّلِ مَا يَنْشَأُ أَعْنِي أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ يُوجَدُ لِلنَّاسِ وَهُمْ
أَطْفَالٌ وَهَذَا شَيْءٌ يَخْتَصُّ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ دُونِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ
وَالْعِلَّةُ فِي ذَلِكَ أَنَّ الْإِنْسَانَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْحَيَوَانَاتِ هُوَ الَّذِي

يَلْتَذُّ بِالتَّشْبِيهِ لِلْأَشْيَاءِ الَّتِي قَدْ أَحَسَّهَا وَبِالْحُكَاةِ لَهَا. وَالذَّلِيلُ عَلَى
 أَنَّ الْإِنْسَانَ يُسَرُّ بِالتَّشْبِيهِ بِالطَّعْمِ. وَيَفْرَحُ هُوَ أَنَّا نَلْتَذُّ وَنَسُرُّ
 بِحُكَاةِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي لَا نَلْتَذُّ بِإِحْسَاسِهَا وَبِحَاجَتِهِ إِذَا كَانَتْ
 الْحُكَاةُ شَدِيدَةً الْأَسْتِقْصَاءُ مِثْلُ مَا يَغْرِضُ فِي تَصَاوِيرِ كَثِيرٍ
 مِنْ الْحَيَوَانَاتِ الَّتِي يَفْعَلُهَا الْمَهْرَةُ مِنَ الْمَصَوِّرِينَ وَلِهَذَا الْعِلَّةُ
 اسْتُعْمِلَ فِي التَّعْلِيمِ عِنْدَ الْإِنْفَهَامِ وَالنَّحَاطِ الْأَشَارَاتُ فَإِنَّهَا آدَاءُ
 مُعِينَةٌ عَلَى فَهْمِ الْأَمْرِ الَّذِي يُقْصَدُ تَفْهِيمُهُ لِمَكَانٍ مَا فِيهَا مِنْ
 الْأَلْذَاذِ الَّذِي هُوَ مَوْجُودٌ فِي الْأَشَارَاتِ مِنْ قَبْلِ مَا فِيهَا مِنْ
 التَّخْيِيلِ فَكَوْنُ النَّفْسِ بِحَسَبِ التَّذَاذِ بِهَ أَتَمَّ قُبُولًا لَهُ. فَإِنَّ
 التَّعْلِيمَ لَيْسَ إِنَّمَا يُوْجَدُ لِلْفَيْلَسُوفِ فَقَطْ بَلْ وَلِلنَّاسِ فِي ذَلِكَ
 مُشَارَكَةٌ يَسِيرَةٌ مَعَ الْفَيْلَسُوفِ. وَذَلِكَ أَنَّهُ يُوْجَدُ التَّعْلِيمُ بِالطَّعْمِ
 يَصْدُرُ مِنَ الْإِنْسَانِ إِلَى إِنْسَانٍ بِحَسَبِ قِيَاسِ ذَلِكَ الْإِنْسَانِ الْمَعْلَمِ
 مِنَ الْإِنْسَانِ الْمَعْلَمِ وَالْإَشَارَاتُ لَمَّا كَانَتْ إِنَّمَا هِيَ تَشْبِيهَاتٌ
 لِأُمُورٍ قَدْ أُحِسَّتْ قَبْلَئِنَّهَا إِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ لِمَوَاضِعِ الْمُسَاعَدَةِ إِلَى
 الْقَهْمِ وَالْقَبُولِ لَهُ وَأَنَّهُ إِنَّمَا يُفْهَمُ بِمَا فِيهَا مِنَ الْأَلْذَاذِ لِمَوْضِعِ
 التَّخْيِيلِ الَّذِي فِيهَا. فَهَذِهِ هِيَ الْعِلَّةُ الْأُولَى الْمَوْلِدَةُ لِلشَّعْرِ. وَأَمَّا
 الْعِلَّةُ الثَّانِيَةُ فَالْتَّذَاذُ الْإِنْسَانِ أَيْضًا بِالطَّعْمِ بِالْوِزْنِ وَالْأَلْحَانِ فَإِنَّ
 الْأَلْحَانَ يَظْهَرُ مِنْ أَمْرِهَا أَنَّهَا مُنَاسِبَةٌ لِوِزْنِ عِنْدَ الَّذِينَ فِي طِبَاعِهِمْ
 أَنْ يُدْرِكُوا الْأَوْزَانَ وَالْأَلْحَانَ فَالْتَّذَاذُ النَّفْسِ بِالطَّعْمِ بِالْحُكَاةِ
 وَالْأَلْحَانِ وَالْأَوْزَانِ هُوَ السَّبَبُ فِي وُجُودِ الصَّاعَاتِ الشَّعْرِيَّةِ

وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَ الْفِطْرِ الْفَانِقَةِ فِي ذَلِكَ قَادًا كَشَاتِ الْأَمَّةُ تَوَلَّدَتْ
فِيهِمْ صِنَاعَةُ الشِّعْرِ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْأَوَّلَ يَأْتِي مِنْهَا أَوَّلًا بِجُزْءٍ يَسِيرٍ
ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِهِ بِجُزْءٍ آخَرَ وَهَكَذَا إِلَى أَنْ تَكْمَلَ الصِّنَاعَاتُ
الشِّعْرِيَّةُ . وَتَكْمُلُ أَيْضًا أَصْنَافُهَا بِحَسَبِ اسْتِعْدَادِ صِنْفٍ صِنْفٍ
مِنَ النَّاسِ لِلْإِلْتِذَاذِ أَكْثَرَ بِصِنْفٍ صِنْفٍ مِنْ أَصْنَافِ الشِّعْرِ . مِثَالُ
ذَلِكَ أَنَّ النَّفُوسَ الَّتِي هِيَ قَاضِيَةٌ وَشَرِيقَةٌ بِالطَّبَعِ هِيَ الَّتِي تُنْشِئُ
أَوَّلًا صِنَاعَةَ الْمَدِيحِ أَغْنَى مَدِيحَ الْأَفْعَالِ الْجَمِيَّةِ . وَالنَّفُوسُ الَّتِي هِيَ
أَخْسُ مِنْ هَذِهِ هِيَ الَّتِي تُنْشِئُ صِنَاعَةَ الْهَجَاءِ أَغْنَى هَجَاءَ الْأَفْعَالِ
الْقَبِيحَةِ . وَإِنْ كَانَ قَدْ يَضْطَرُّ الَّذِي مَقْصِدُهُ الْهَجَاءُ لِلشَّرَارِ وَالشُّرُورِ
أَنْ يَمْدَحَ الْأَخْيَارَ وَالْأَفْعَالِ الْقَاضِيَةَ لِيَكُونَ ظُهُورُ فَجْرِ الشُّرُورِ
أَكْثَرَ أَغْنَى إِذَا ذَكَرَهَا ثُمَّ ذَكَرَ بِأَزَانِهَا الْأَفْعَالِ الْقَبِيحَةَ . فَهَذَا مَا فِي
هَذَا الْقُصْلِ مِنَ الْأُمُورِ الْمُشْتَرَكَةِ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ أَوِّ لِلْأَكْثَرِ وَسَائِرُ
مَا يَذْكُرُ فِيهِ فَكُلُّهُ أَوْ جُلُّهُ مِمَّا يَخُصُّ أَشْعَارَهُمْ وَعَادَتَهُمْ فِيهَا وَذَلِكَ
أَنَّهُ يَذْكُرُ أَصْنَافَ الصِّنَاعَاتِ الشِّعْرِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ عِنْدَهُمْ
وَكَيْفَ كَانَ مَنَشَأَ وَاحِدَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْهَا بِالطَّبَعِ وَآيُ جُزْءٍ هُوَ الْمُتَقَدِّمُ
مِنْهَا فِي الْكَوْنِ عَلَى آيِ جُزْءٍ وَبِخَاصَّةٍ فِي صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ وَصِنَاعَةِ
الْهَجَاءِ الْمَشْهُورَتَيْنِ عِنْدَهُمْ وَيَذْكُرُ مَعَ هَذَا أَوَّلَ مَنْ أَبْتَدَأَ صِنَاعَةَ
صِنَاعَةٍ مِنْ تِلْكَ الصَّنَائِعِ الشِّعْرِيَّةِ الْمُتَعَادَةِ عِنْدَهُمْ وَمَنْ زَادَ فِيهَا
وَمَنْ كَمَلَهَا بَعْدُ . وَهُوَ فِي هَذَا الْبَابِ يُثْنِي عَلَى أَوْمِيرُوشَ شَاءَ كَثِيرًا
وَيَعْرِفُ أَنَّهُ الَّذِي أَعْطَى مَبَادِي هَذِهِ الصَّنَائِعِ . وَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ

قَبْلَهُ فِي صِنَاعَةِ الْمَدْحِ عَمَلٌ لَهُ قَدْرٌ يُعْتَدُّ بِهِ وَلَا فِي صِنَاعَةِ الْهَجَاءِ وَلَا
 فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الصَّنَائِعِ الْمَشْهُورَةِ عِنْدَهُمْ . قَالَ وَالْأَنْقَصُ مِنَ
 الْأَشْعَارِ وَالْأَقْصَرُ هِيَ الْأَتَقَدِّمَةُ بِالزَّمَانِ لِأَنَّ الطَّبَاعَ أَسْهَلَ وَتَوَعَّا
 عَلَيْهَا أَوَّلًا . وَالْأَقْصَرُ هِيَ الَّتِي تَكُونُ مِنْ مَقَاطِعِ أَقْلٍ وَالْأَنْقَصُ هِيَ
 الَّتِي تَكُونُ مِنْ تَعَمَّاتٍ أَقْلٍ أَيْضًا . (قَالَ) وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ هَذِهِ
 الْأَنْوَاعَ أَسْبَقَ إِلَى الْنُفُوسِ أَنَّ النَّاسَ عِنْدَ الْمُمَازَعَاتِ قَدْ يَرْجَحُونَ
 مَصَارِيحَ مِنْ هَذِهِ فِي تَجَادُّهِمْ وَذَلِكَ عِنْدَ الْحَرَجِ . يُرِيدُ فِيمَا أَحْسِبُ
 مِثْلَ قَوْلِ الْقَائِلِ : لَا لَا لَا يُعَدُّ بِهَا صَوْتُهُ . وَمِثْلَ قَوْلِهِ لَيْسَ هَذَا كَذَا
 مَا دَأْبُهَا صَوْتُهُ فَإِنَّ أَمْثَالَ هَذِهِ الْمُرَاجَعَاتِ هِيَ مَصَارِيحُ مَوُزُونَةٍ
 ذَاتُ لَحْنٍ وَأَمَّا الَّتِي هِيَ أَطْوَلُ وَأَتَمُّ فَإِنَّمَا ظَهَرَتْ بِأَخْرَجِ كُلِّهَا
 فِي سَائِرِ الصَّنَائِعِ . (قَالَ) وَصِنَاعَةُ الْهَجَاءِ لَيْسَ إِنَّمَا يُقْصَدُ بِهَا التَّحَاكَاةُ
 بِكُلِّ مَا هُوَ شَرٌّ وَقَبِيحٌ فَقَطْ بَلْ وَبِكُلِّ مَا هُوَ شَيْءٌ مُسْتَهْزَأٌ بِهِ
 أَيْ مَرْدُولٌ قَبِيحٌ غَيْرُ مُنْعَمٍ بِهِ . (قَالَ) وَالذَّلِيلُ عَلَى أَنَّ الْأَسْتَهْزَاءَ
 يَجِبُ أَنْ يَجْمَعَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ الْأَوْصَافَ أَنَّهُ يُوجَدُ فِي وَجْهِ الْمُسْتَهْزَأِ
 هَذِهِ الْأَحْوَالُ الثَّلَاثَةُ أَعْنِي قُبَاحَةَ الْوَجْهِ وَهَيْئَةَ الْأَسْتِغْصَارِ وَقِلَّةَ
 الْأَكْتِرَابِ بِالْمُسْتَهْزَأِ بِهِ وَذَلِكَ بِخِلَافِ وَجْهِ الْغَاصِبِ أَعْنِي أَنَّ
 فِيهِ قُبْحًا وَأَهْتِمَامًا وَتِلْكَ هِيَ حَالَةُ نَفْسِ الْغَاصِبِ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي
 يُغْصَبُ عَلَيْهِ



البحث الرابع

في وزن الشعر ولحنه

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَإِحْكَادُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ يَكُونُ تَعَلُّمُهَا فِي الْأَعَارِضِ الطَّوِيلَةِ لَا فِي الْقَصِيرَةِ وَلِذَاكَ رَفَضَ الْمُتَأَخَّرُونَ الْأَعَارِضَ الْقِصَارَ أَتَى كَانَتْ تُسْتَعْمَلُ فِيهَا وَفِي غَيْرِهَا مِنْ صَنَائِعِ الشِّعْرِ. وَأَخْصُ الْأَوَازِ بِهَا هُوَ الْوِزْنُ الْبَسِيطُ الْغَيْرُ مُرَكَّبٍ وَلَكِنْ يَنْبَغِي أَلَّا يُبْلَغَ فِيهَا مِنَ الطُّولِ إِلَى حَدِّ يُسْتَكْرَهُ. وَآخِذُ الْمَفْهُومِ جَوْهَرُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ هُوَ أَنَّهَا نِسْبَةٌ وَمُحَاكَاةٌ لِلْعَمَلِ الْإِرَادِيِّ الْفَاضِلِ الْكَامِلِ الَّذِي لَهُ قُوَّةٌ كُلِّيَّةٌ فِي الْأُمُورِ الْفَاضِلَةِ لَا قُوَّةٌ جُزْئِيَّةٌ فِي وَاحِدٍ وَاحِدٍ مِنَ الْأُمُورِ الْفَاضِلَةِ مُحَاكَاةٌ تَنْفَعِلُ لَهَا النُّفُوسُ أَنْفَعَالًا مُعْتَدِلًا بِمَا يُولَدُ فِيهَا مِنَ الرَّحْمَةِ وَالْخَوْفِ وَذَلِكَ بِمَا يُحْمَلُ فِي الْفَاضِلِينَ مِنَ اللَّقْيِ وَالنَّطَاقَةِ فَإِنَّ الْمُحَاكَاةَ إِنَّمَا هِيَ لِلْهَيْئَاتِ الَّتِي تَلَزُمُ الْقَضَائِلَ لَا لِلْمَلَكَاتِ إِذْ لَيْسَ يُمَكِّنُ فِيهَا أَنْ يُحْمَلَ. وَهَذِهِ الْمُحَاكَاةُ بِالْقَوْلِ تَكْمُلُ إِذَا قُرِنَ بِهَا اللَّحْنُ وَالْوِزْنُ وَقَدْ تَوَجَّدَ مِنَ الْمُنْشِدِينَ أَحْوَالٌ أُخَرُ خَارِجَةٌ عَنِ الْوِزْنِ وَاللَّحْنِ تَجْعَلُ الْقَوْلَ أَتَمَّ مُحَاكَاةً وَهِيَ الْإِشَارَاتُ وَالْآخِذُ بِالْوُجُوهِ الَّذِي قِيلَ فِي كِتَابِ الْخَطَابَةِ قَاوُلُ أَجْزَاءِ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ الشِّعْرِيَّةِ فِي الْعَمَلِ هُوَ أَنْ تُخَصَّى

الْمَعَانِي الشَّرِيفَةُ الَّتِي بِهَا يَكُونُ التَّخْيِيلُ . ثُمَّ تُكْنَى تِلْكَ الْمَعَانِي
 اللَّحْنُ وَالْوَزْنُ اَلْمَلَانَيْنِ لِلشَّيْءِ الْمَقُولِ فِيهِ . وَعَمَلُ اللَّحْنِ فِي الشِّعْرِ
 هُوَ أَنَّهُ يُعَدُّ النَّفْسُ لِقَبُولِ خِيَالِ الشَّيْءِ الَّذِي يُقَصَّدُ تَخْيِيلُهُ فَكَانَ
 اللَّحْنُ هُوَ الَّذِي يُفِيدُ النَّفْسَ اَلِاسْتِعْدَادَ الَّذِي بِهِ يُقْبَلُ التَّشْبِيهُ
 وَالْحَاكَاةُ لِلشَّيْءِ الْمَقْصُودِ تَشْبِيهُهُ . وَانَّمَا يُفِيدُ النَّفْسَ هَذِهِ اَلْهَيْئَةُ
 فِي نَوْعٍ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ الشِّعْرِ اللَّحْنُ الْمُلَامٌ لِذَلِكَ السَّوْعِ مِنْ
 الشِّعْرِ بِنَعْمَاتِهِ وَتَأْلِيْفِهِ . فَإِنَّهُ كَمَا أَنَّا نَجِدُ النَّعْمَ اَلْحَادَةَ ثَلَاثَ نَوْعَاتٍ
 مِنْ اَلْقَوْلِ غَيْرِ الَّذِي ثَلَاثَتُهُ النَّعْمَاتُ اَلْقَالُ كَذَاكَ يَنْبَغِي أَنْ
 نَعْتَقِدَ فِي تَرْكِيبِ اَلْأَحَانِ وَهَيْئَاتِ اَلْمُحَدِّثِينَ وَأَقْصَاصِ اَلَّتِي
 تُكْمِلُ اَلتَّخْيِيلَ اَلْمَوْجُودَ فِي اَلْأَقَاوِيلِ اَلشِّعْرِيَّةِ أَنْفُسَهَا مِنْ قَبْلِ
 هَذِهِ اَلثَّلَاثَةِ أَغْنِي اَلتَّشْبِيهُ وَالْوَزْنَ وَاللَّحْنَ اَلَّتِي هِيَ اِسْطِقْسَاتُ
 اَلْحَاكَاةِ هِيَ اِلْجُمْلَةُ هَيْئَتَانِ اِحْدَاهُمَا هَيْئَةُ تَدُلُّ عَلَى خَاتَمِ وَعَادَةِ
 كَمَنْ يَتَكَلَّمُ كَلَامَ عَاقِلٍ أَوْ كَلَامَ غَضُوبٍ وَالثَّانِيَةُ هَيْئَةُ تَدُلُّ
 عَلَى اِعْتِقَادٍ فَإِنَّهُ لَيْسَ هَيْئَةُ مَنْ يَتَكَلَّمُ وَهُوَ مُتَحَقِّقٌ بِالشَّيْءِ هَيْئَةُ
 مَنْ يَتَكَلَّمُ فِيهِ وَهُوَ شَاكٌ . فَالْقَاصُ وَاَلْمُحَدِّثُ فِي الْمَدِيحِ يَنْبَغِي أَنْ
 تَكُونَ هَيْئَةُ قَوْلِهِ وَشَكْلُهُ هَيْئَةُ مُحَقِّقٍ لَا شَاكٍ وَهَيْئَةُ جَادٍ لَا هَازِلٍ
 وَاَلْقَصَصُ وَاَلْمُحَدِّثُ الَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُعَبَّرَ عَنْهُ اَلْقَاصُ وَاَلْمُحَدِّثُ وَهُوَ
 بِهَا تَيْنِ اَلْحَالَتَيْنِ هُوَ اَلْخَرَاةُ اَلَّتِي تَكُونُ بِاَلتَّشْبِيهِ وَاَلْحَاكَاةُ وَاعْنِي
 بِاَلْخَرَاةِ تَرْكِيبَ الْأُمُورِ اَلَّتِي تُقَصَّدُ مُحَاكَاتُهَا إِمَّا بِحَسَبِ مَا هِيَ
 عَلَيْهِ فِي أَنْفُسِهَا أَوْ فِي اَلْوُجُودِ وَإِمَّا بِحَسَبِ مَا أُعْتِيدَ فِي الشِّعْرِ

مِنْ ذَلِكَ وَإِنْ كَانَ كَذِبًا. وَلِهَذَا قِيلَ لِلْأَقَاوِيلِ الشَّرْعِيَّةِ خُرَافَاتٌ
 فَأَلْفَصَاصُ وَالْمُحَدِّثُونَ بِالْجُلَّةِ هُمْ الَّذِينَ لَهُمْ قُدْرَةٌ عَلَى مُحَاكَاةِ
 الْعَادَاتِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ (قَالَ) وَقَدْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ أَجْزَاءُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ
 سِتَّةَ : الْأَقَاوِيلُ الْخُرَافِيَّةُ وَالْعَادَاتُ وَالْوَزْنُ وَالْإِعْتِقَادَاتُ وَالنَّظَرُ
 وَاللَّحْنُ. وَالذَّلِيلُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ كُلَّ قَوْلٍ شِعْرِي قَدْ يَنْقَسِمُ إِلَى مُشَبَّهِ
 وَمُشَبَّهِ بِهِ وَالَّذِي بِهِ يُشَبَّهُ ثَلَاثَةٌ الْخُحَاكَاةُ وَالْوَزْنُ وَاللَّحْنُ وَالَّذِي
 يُشَبَّهُ فِي الْمَدْحِ ثَلَاثَةٌ أَيْضًا : الْعَادَاتُ وَالْإِعْتِقَادَاتُ وَالنَّظَرُ أَعْنِي
 الْأَسْتِدْلَالَ لِصَوَابِ الْإِعْتِقَادِ فَتَكُونُ أَجْزَاءُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ
 ضَرْوَرَةٌ سِتَّةَ. وَإِنَّمَا كَانَتْ الْعَادَاتُ وَالْإِعْتِقَادَاتُ أَكْثَمَ أَجْزَاءِ
 الْمَدِيحِ لِأَنَّ صِنَاعَةَ الْمَدِيحِ لَيْسَتْ هِيَ صِنَاعَةُ تَحَاكِي النَّاسِ أَنْفُسَهُمْ
 مِنْ جِهَةِ مَا هُمْ أَشْخَاصُ نَاسٍ مُحْسُوسُونَ بَلْ إِنَّمَا تَحَاكِيهِمْ مِنْ
 قَبْلِ عَادَاتِهِمْ الْجَمِيلَةِ وَأَفْعَالِهِمْ الْحَسَنَةِ وَاعْتِقَادَاتِهِمْ السَّعِيدَةِ تَشْمَلُ
 الْأَفْعَالَ وَالْخُلُقَ وَلِذَلِكَ جُعِلَتِ الْعَادَةُ أَحَدَ أَجْزَاءِ السِتَّةِ وَأُسْتَعْنِيَ
 بِذِكْرِهَا فِي التَّقْسِيمِ عَنْ ذِكْرِ الْأَفْعَالِ وَالْخُلُقِ. وَأَمَّا النَّظَرُ فَهُوَ أَبَاةُ
 صَوَابِ الْإِعْتِقَادِ وَكَأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُمْ ضَرْبًا مِنَ الْإِخْتِجَاجِ لِصَوَابِ
 الْإِعْتِقَادِ الْمَدْحُوحِ بِهِ. وَهَذَا كُلُّهُ لَيْسَ يُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا
 يُوجَدُ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّرْعِيَّةِ الْمَدِيحِيَّةِ وَكَانُوا يُحَاكُونَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ
 الْأَشْيَاءَ أَعْنِي الْعَادَاتِ وَالْإِعْتِقَادَاتِ وَالْأَسْتِدْلَالَ بِالثَّلَاثَةِ الْأَصْنَافِ
 مِنَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا يُحَاكَى أَعْنِي الْقَوْلَ الْخُلُقَ وَالْوَزْنَ وَاللَّحْنَ (قَالَ)
 وَأَجْزَاءُ الْقَوْلِ الْخُرَافِيِّ مِنْ جِهَةِ تَأْهُلِ مُحَاكَاةِ أَجْزَاءِ ذَلِكَ أَنَّ

كُلِّ مُحَاكَاةٍ قَامَا أَنْ تُوْطَىٰ مُحَاكَاةُ مُحَاكَاةٍ ضِدَّهُ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَىٰ
 مُحَاكَاةٍ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يُعْرَفُ عِنْدَهُمْ بِالْإِدَارَةِ وَإِنَّمَا أَنْ يُحَاكِي
 الشَّيْءَ نَفْسُهُ دُونَ أَنْ يُعْرِضَ مُحَاكَاةَ ضِدِّهِ وَهُوَ الَّذِي كَانَ
 يُسَمَّوْنَهُ بِالْإِسْتِدْلَالِ. وَالَّذِي يَنْزِلُ مِنْ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ مَثَرَةٌ
 الْمُبْدِئِ وَالْأَسْرِ هُوَ الْقَوْلُ الْخَوَافِيُّ الْخَوَافِيُّ. وَالْجُزْءُ الثَّلَاثِي الْعَادَاتُ
 وَهُوَ الَّذِي تُسْتَعْمَلُ أَوَّلًا فِيهِ الْمُحَاكَاةُ أَعْنِي أَنَّهُ الَّذِي يُحَاكِي
 وَإِنَّمَا كَانَتْ الْحِكَايَةُ هِيَ الْعَمُودَ وَالْأَسْرَ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ لِأَنَّ
 الْإِلْتِذَاذَ لَيْسَ يَكُونُ بِذِكْرِ الشَّيْءِ الْمَقْصُودِ ذِكْرُهُ دُونَ أَنْ يُحَاكِي
 بَلْ إِنَّمَا يَكُونُ الْإِلْتِذَاذُ بِهِ وَالْقَبُولُ لَهُ إِذَا حُوسِي. وَلِذَلِكَ
 لَا يَلْتَذُّ الْإِنْسَانُ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ صُورِ الْأَشْيَاءِ الْمَوْجُودَةِ أَنْفُسِهَا وَيَلْتَذُّ
 بِمُحَاكَاةِهَا وَتَصَوُّرِهَا بِالْأَصْبَاغِ وَالْأَلْوَانِ وَلِذَلِكَ اسْتَعْمَلَ النَّاسُ
 صِنَاعَةَ الزَّوْاقَةِ وَالْتَّصْوِيرِ. وَالْجُزْءُ الثَّلَاثُ لِصِنَاعَةِ الْمَدِيحِ أَعْنِي الثَّلَاثِي
 لِلثَّلَاثِي هُوَ الْإِعْتِقَادُ وَهَذَا هُوَ الْقُدْرَةُ عَلَىٰ مُحَاكَاةِ مَا هُوَ مَوْجُودٌ
 كَذَا أَوْ لَيْسَ بِمَوْجُودٍ كَذَا. وَذَلِكَ مِثْلُ مَا تَتَكَلَّمُهُ الْخُطَابَةُ مِنْ
 تَبْيِينِ أَنَّ شَيْئًا مَوْجُودٌ أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ إِلَّا أَنَّ الْخُطَابَةَ تَتَكَلَّمُ
 ذَلِكَ بِقَوْلِهِ مُقْنِعٍ. وَالشَّعْرُ يَقُولُ مُحَاكِي وَهَذِهِ الْمُحَاكَاةُ هِيَ أَيْضًا
 مَوْجُودَةٌ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ. (قَالَ) وَقَدْ كَانَ الْأَقْدَمُونَ مِنْ
 وَاضِعِي السِّيَاسَاتِ يَتَحَبَّرُونَ عَلَىٰ تَمَكُّينِ الْإِعْتِقَادَاتِ فِي النُّفُوسِ
 بِالْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ حَتَّىٰ شَعَرُوا أَلْتَأَخَّرُونَ بِالطَّرِيقِ الْخَطِيئَةِ وَالْفَرْقِ
 بَيْنَ الْقَوْلِ الشَّعْرِيِّ الَّذِي يُحْثُّ عَلَىٰ الْإِعْتِقَادِ وَالَّذِي يُحْثُّ عَلَىٰ الْعَادَةِ.

إِنَّ الَّذِي يَحْتَ عَلَى الْعَادَةِ يَحْتَ عَلَى عَمَلِ شَيْءٍ أَوْ عَلَى الْهَرَبِ مِنْ
 شَيْءٍ وَالْقَوْلُ الَّذِي يَحْتَ عَلَى الْإِعْتِقَادِ إِنَّمَا يَحْتَ عَلَى أَنَّ شَيْئًا
 مَوْجُودٌ أَوْ غَيْرُ مَوْجُودٍ لَا عَلَى شَيْءٍ يُطْلَبُ أَوْ يُهْرَبُ عَنْهُ. وَالْجُزْءُ
 الرَّابِعُ لَهُذِهِ الْأَجْزَاءُ أَغْنَى التَّالِي لِلثَّالِثِ هُوَ الْوَزْنُ وَمِنْ تَمَامِهِ أَنَّ
 يَكُونُ مُنَاسِبًا لِلْغَرَضِ قُرْبٌ وَزَنْ يُنَاسِبُ غَرَضًا وَلَا يُنَاسِبُ غَرَضًا
 آخَرَ. وَالْجُزْءُ الْخَامِسُ فِي الْكِرْتَبَةِ هُوَ الْكُنْ وَهُوَ أَكْثَرُ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ
 تَأْثِيرًا وَأَفْعَالًا فِي النُّفُوسِ. وَالْجُزْءُ السَّادِسُ هُوَ النَّظَرُ أَغْنَى الْإِخْتِجَاجَ
 لِصَوَابِ الْإِعْتِقَادِ أَوْ صَوَابِ الْعَمَلِ لَا يَقُولُ إِقْنَاعِي فَإِنَّ ذَلِكَ
 غَيْرُ مُلَاحَظٍ لَهُذِهِ الصَّنَاعَةُ بَلْ يَقُولُ مُحَاكٍ فَإِنَّ صِنَاعَةَ الشَّعْرِ لَيْسَتْ
 مَبْنِيَّةً عَلَى الْإِخْتِجَاجِ وَالْمُتَابَعَةِ وَبِخَاصَّةِ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ وَلِذَلِكَ لَيْسَ
 يَسْتَعْمِلُ الْمَدِيحُ صِنَاعَةَ التَّفَاقُحِ وَالْأَخْذَ بِالْوُجُوهِ كَمَا تَسْتَعْمِلُهَا
 الْخُطَّابَةُ. (قَالَ) وَالصَّنَاعَةُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي تُعَرَفُ بِمَاذَا تُعْمَلُ
 الْأَشْعَارُ وَكَيْفَ تُعْمَلُ أَمْ رِئَاسَةً مِنْ عَمَلِ الْأَشْعَارِ فَإِنَّ كُلَّ صِنَاعَةٍ
 تُؤَقَفُ مَا تَحْتَهَا مِنْ الصَّنَائِعِ عَلَى عَمَلِهَا هِيَ أَرَأْسُ مَا تَحْتَهَا



البحث الخامس

في صناعة المديح واجزائها

(من الكتاب نفسه)

فَلَاذَ قَدْ قِيلَ مَا هِيَ صِنَاعَةُ الْمَدِيحِ وَمِمَّا ذَا تَلْتَمِمْ وَكَمْ أَجْزَاؤُهَا
وَمَا هِيَ فَلْتَنْقُلْ فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا يَكُونُ حُسْنُ الْأُمُورِ الَّتِي
يَتَقَوَّمُ بِهَا الشَّعْرُ . فَإِنَّ أَقْوَلَ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ضَرْوَرِيٌّ فِي صِنَاعَةِ
الْمَدِيحِ وَفِي غَيْرِهَا وَهُوَ لَهَا بِمَثَرَةِ الْمَبْدَأِ وَذَلِكَ أَنَّ الْأُمُورَ الَّتِي
تَتَقَوَّمُ مِنْهَا الصَّنَائِعُ صِنْفَانِ أُمُورٌ ضَرْوَرِيَّةٌ وَأُمُورٌ تَكُونُ بِهَا
أَتَمٌّ وَأَفْضَلُ فَتَقُولُ إِنَّهُ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ صِنَاعَةُ الْمَدِيحِ مُسْتَوْفِيَةً
إِلَافَاتٍ فَعَلِهَا أَعْنِي أَنْ تَبْلُغَ مِنَ التَّشْبِيهِ وَالْخَالِصَةِ الْعَلَاةِ الَّتِي فِي
طَبَائِعِهَا أَنْ تَبْلُغَهَا وَذَلِكَ يَكُونُ بِأَشْيَاءٍ أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ لِلْعَجِيدَةِ
عَظَمٌ مَا مَحْدُودٌ تَكُونُ بِهِ كِلَاءً وَكِبَالَةً وَالْأَكْلُ وَالْكَامِلُ هُوَ مَا
كَانَ لَهُ مَبْدَأٌ وَوَسْطٌ وَآخِرٌ وَالْمَبْدَأُ قَبْلُ وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
مَعَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ لَهَا مَبْدَأٌ وَالْآخِرُ هُوَ مَعَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي هِيَ لَهَا
آخِرٌ وَلَيْسَ قَبْلُ وَالْوَسْطُ هُوَ قَبْلُ وَمَا فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الطَّرَفَيْنِ
إِذَا كَانَ الْوَسْطُ فِي الْمَكَانِ قَبْلُ وَبَعْدُ فَإِنَّ الشُّجْعَانَ هُمُ الَّذِينَ
مَكَانُهُمْ فِي الْحَرْبِ مَا بَيْنَ مَكَانِ الْجَبْنَاءِ وَالْمُتَهَوِّرِينَ وَهُوَ الْمَكَانُ
الْوَسْطُ وَكَذَلِكَ لِحْدُ الْأَفْضَلِ فِي التَّرَكِيبِ هُوَ الْوَسْطُ وَهُوَ الَّذِي
يَتَرَكَّبُ مِنَ الْأَطْرَافِ وَلَا تَتَرَكَّبُ الْأَطْرَافُ مِنْهُ وَلَيْسَ يَجِبُ أَنْ

يَكُونُ الْمُتَوَسِّطُ وَسَطًا أَيْ خِيَارًا فِي التَّرْتِيبِ وَالتَّرْتِيبُ قَطْعٌ بَلْ
وَفِي الْقَدَرِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ لِلْقَصِيدَةِ
أَوَّلٌ وَوَسْطٌ وَآخِرٌ وَأَنْ يَكُونَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْأَجْزَاءِ
وَسَطًا فِي الْقَدَرِ وَكَذَلِكَ يَجِبُ فِي الْجُمْلَةِ الْمُرَكَّبَةِ مِنْهَا أَنْ تَكُونَ
بِقَدَرٍ مُحْدُودٍ لِأَنْ تَكُونَ بِأَيِّ عِظَمٍ اتَّفَقَ وَذَلِكَ أَنَّ الْجُودَةَ فِي
الْمُرَكَّبِ تَكُونُ مِنْ قَبْلِ شَيْئَيْنِ أَحَدُهُمَا التَّرْتِيبُ وَالثَّانِي الْقَدَرُ
وَلِهَذَا لَا يُقَالُ فِي الْحَيَوَانَ الصَّغِيرِ الْجُمْلَةُ بِالْإِصْطِقَاقِ إِلَى اشْتِخَاصِ
نَوْعِهِ إِنَّهُ جَيِّدٌ وَالحَالُ فِي اخْتِطَابَةِ الشَّعْرِيَّةِ فِي ذَلِكَ كَالْحَالِ فِي
التَّعْلِيمِ الْبَرْهَانِيِّ أَعْنِي أَنَّ التَّعْلِيمَ إِنْ كَانَ قَصِيرَ الدَّلَّةِ لَمْ يَكُنْ
أَفْهَمُ جَيِّدًا وَلَا إِنْ كَانَ أَطْوَلَ مِمَّا يَنْبَغِي لِأَنَّهُ يَلْحَقُ الْمُتَعَلِّمَ فِي
ذَلِكَ التَّنْصِيانَ وَالحَالُ فِي ذَلِكَ كَالْحَالِ فِي النَّظَرِ إِلَى التَّحْسُوسِ
أَعْنِي أَنَّ النَّظَرَ إِلَى التَّحْسُوسِ إِنَّمَا يَكُونُ جَيِّدًا إِذَا كَانَ بَيْنَ
النَّاظِرِ وَبَيْنَهُ بُعْدٌ مُتَوَسِّطٌ لَا إِذَا كَانَ بَعِيدًا مِنْهُ جِدًّا وَلَا إِذَا
كَانَ قَرِيبًا مِنْهُ جِدًّا وَالَّذِي يَغْرُضُ فِي التَّعْلِيمِ بِغَيْنِهِ يَغْرُضُ فِي
الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ أَعْنِي أَنَّهُ إِذَا كَانَتِ الْقَصِيدَةُ قَصِيرَةً لَمْ تَسْتَوْفِ
أَجْزَاءَ الْمَدِيحِ وَإِنْ كَانَتْ طَوِيلَةً لَمْ يُكُنْ أَنْ تَحْفَظَ فِي ذِكْرِ
السَّامِعِينَ أَجْزَاءَهَا فَيَغْرُضُ لَهُمْ إِذَا سَمِعُوا الْأَجْزَاءَ الْآخِرَةَ أَنْ
يَكُونُوا قَدْ نَسُوا الْأَوَّلَى وَآمَّا الْأَقَاوِيلُ الْخَطِيئَةُ الَّتِي تُسْتَعْمَلُ فِي
الْمُنَاطَرَةِ فَالْيَسَ لَهَا قَدَرٌ مُحْدُودٌ بِالطَّبْعِ وَإِذَلِكَ أَحْتَاجُ النَّاسُ أَنْ
يُقَدِّرُوا زَمَانَ الْمُنَاطَرَةِ بَيْنَ الْخُصُومِ إِمَّا بِآلَةٍ أَلْمَاءَ عَلَى مَا جَرَتْ بِهِ

الْعَادَةُ عِنْدَ الْيُونَانِيِّينَ إِذَا سَكَنُوا إِنَّمَا يَعْتَمِدُونَ الصَّمَارَ فَقَطْ وَإِمَّا
 بِتَأْخِيلِ الْأَيَّامِ كَالْحَالِ عِنْدَنَا إِذَا كَانَ الْمُعْتَمِدُ فِي الْخُصُومَاتِ عِنْدَنَا
 إِنَّمَا هِيَ الْأَشْيَاءُ الْمُفْتَعَةُ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ وَلِذَلِكَ لَوْ كَانَتْ صَاعَةً
 الْمَدِيمِ بِالْمُنَظَرَةِ لَكَانَ يُحْتَاجُ فِيهَا إِلَى تَقْدِيرِ زَمَانٍ الْمُنَظَرَةِ
 بِسَاعَاتِ الْمَاءِ أَوْ غَيْرِهَا. لَكِنْ لَمَّا لَمْ يَكُنِ الْأَمْرُ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ
 يَكُونَ لِصَاعَةِ الشَّعْرِ حَدٌّ طَبِيعِيٌّ كَالْحَالِ فِي الْأَقْدَارِ الطَّبِيعِيَّةِ
 لِلْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ جَمِيعَ الْمَتَكُونَاتِ إِذَا لَمْ يَعْطَهَا
 فِي حَالِ الْكَوْنِ سُوهُ الْبُخْتِ صَارَتْ إِلَى عِظَمٍ مُخَدُّدٍ بِالطَّبْعِ
 كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ الْحَالُ فِي الْأَقْوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ وَبِخَاصَّةٍ فِي
 صِنْفِي الْحَاكَاةِ آعْنِي الَّتِي يُنْتَقَلُ فِيهَا مِنَ الضِدِّ إِلَى الضِدِّ أَوْ
 يُحَاكِي فِيهَا الشَّيْءُ نَفْسُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْتَقَلَ إِلَى ضِدِّهِ (قَالَ) وَنَمَّا
 يُحَسِّنُ بِهِ قَوَامُ الشَّعْرِ أَلَّا يُطَوَّلَ فِيهِ بِذِكْرِ الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي
 تَعْرِضُ لِلشَّيْءِ الْوَاحِدِ الْمَقْصُودِ بِالشَّعْرِ فَإِنَّ الشَّيْءَ الْوَاحِدَ تَعْرِضُ
 لَهُ أَشْيَاءٌ كَثِيرَةٌ وَكَذَلِكَ يُوجَدُ لِلشَّيْءِ الْوَاحِدِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ أَفْعَالٌ
 كَثِيرَةٌ (قَالَ) وَيُسَبِّهُ أَنْ يَكُونَ جَمِيعُ الشُّعْرَاءِ لَا يَتَحَفَّظُونَ بِهَذَا بَلْ
 يَنْتَقِلُونَ مِنْ شَيْءٍ إِلَى شَيْءٍ وَلَا يَلْزَمُونَ غَرَضًا وَاحِدًا بِعَيْنِهِ مَا
 عَدَا أَوْمِيْدُوشَ. وَأَنْتَ تَحْدُ هَذَا كَثِيرًا مَا يَعْضُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ
 وَالْمُحَدِّثِينَ وَبِخَاصَّةٍ عِنْدَ الْمَذْحِ آعْنِي أَنَّهُ إِذَا عَنَّ لَهُمْ شَيْءٌ مَا مِنْ
 أَسْبَابِ الْمَذْحُوحِ مِثْلُ سَيْفٍ أَوْ قَوْسٍ اشْتَقَلُوا بِمُحَاكَاتِهِ وَأَضْرَبُوا
 عَنْ ذِكْرِ الْمَذْحُوحِ وَبِالْجُمْلَةِ فَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ الصَّنَاعَةُ تَنْشَبُهِ بِالطَّبِيعَةِ

أَعْنِي أَنْ تَكُونَ إِنَّمَا تَفْعَلُ جَمِيعَ مَا تَفْعَلُهُ مِنْ أَجْلِ غَرَضٍ وَاحِدٍ وَغَايَةٍ
 وَاحِدَةٍ. وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَوَاجِبٌ أَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهُ وَالْحَاكَاةُ
 لِوَاحِدٍ وَمَقْصُودًا بِهِ غَرَضٌ وَاحِدٌ وَأَنْ يَكُونَ لِأَجْزَائِهِ عِظَمٌ مُخَدَّوْدٌ
 وَأَنْ يَكُونَ فِيهَا مَبْدَأٌ وَوَسْطٌ وَآخِرٌ وَأَنْ يَكُونَ الْوَسْطُ أَفْضَلَهَا
 فَإِنَّ الْمَوْجُودَاتِ الَّتِي وَجُودُهَا فِي التَّرْتِيبِ وَحُسْنِ النِّظَامِ إِذَا عَدِمَتْ
 تَرْتِيبَهَا لَمْ يَوْجَدْ لَهَا الْفِعْلُ الْخَاصُّ بِهَا. (قَالَ) وَظَاهِرٌ أَيْضًا بِمَا قِيلَ مِنْ
 مَقْصِدِ الْأَقْوَالِ الشِّعْرِيَّةِ أَنَّ الْحَاكَاةَ الَّتِي تَكُونُ بِالْأُمُورِ الْمُخْتَرَعَةِ
 التَّكَادُبُ لَيْسَتْ مِنْ فِعْلِ الشَّاعِرِ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى أَمَثَالًا وَقِصَصًا مِثْلُ مَا
 فِي كِتَابِ دِمْنَةَ وَكَلِيمَةَ. لَكِنَّ الشَّاعِرَ إِنَّمَا يَتَكَلَّمُ فِي الْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ أَوْ
 الْمُسَكَّنَةِ الْوُجُودَ لِأَنَّ هَذِهِ هِيَ الَّتِي يُقْصَدُ الْهَرَبُ عَنْهَا أَوْ طَلِبُهَا أَوْ
 مُطَابَقَةُ التَّشْبِيهِ لَهَا عَلَى مَا قِيلَ فِي فُصُولِ الْحَاكَاةِ. وَأَمَّا الَّذِينَ يَعْمَلُونَ
 الْأَمْثَالَ وَالْقِصَصَ فَإِنَّ عَمَلَهُمْ غَيْرُ عَمَلِ الشُّعْرَاءِ وَإِنْ كَانُوا قَدْ يَعْمَلُونَ
 تِلْكَ الْأَمْثَالَ وَالْأَحَادِيثَ الْمُخْتَرَعَةَ بِكَلَامٍ مَوْزُونٍ. وَذَلِكَ أَنَّ كَلِمَتَيْهَا
 وَإِنْ كَانَا يَشْتَرِكَانِ فِي الْوِزْنِ فَاحَدُهُمَا يَتِمُّ لَهُ الْعَمَلُ الَّذِي قَصَدَهُ
 بِالْخُرَاقَةِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مَوْزُونَةً وَهُوَ التَّعَمُّلُ الَّذِي يُسْتَفَادُ مِنَ الْأَحَادِيثِ
 الْمُخْتَرَعَةِ وَالشَّاعِرُ لَا يَخْضُلُ لَهُ مَقْصُودُهُ عَلَى التَّمَامِ مِنْ التَّخْيِيلِ إِلَّا
 بِالْوِزْنِ فَالْفَاعِلُ لِلْأَمْثَالِ الْمُخْتَرَعَةِ وَالْقِصَصِ إِنَّمَا يَخْتَرَعُ اشْتِخَاصًا لَيْسَ
 لَهَا وَجُودٌ أَصْلًا وَيَضَعُهَا أَسْمَاءُ وَأَمَّا الشَّاعِرُ فَإِنَّمَا يَضَعُ أَسْمَاءَ لِأَشْيَاءَ
 مَوْجُودَةٍ وَرَبَّمَا تَكَلَّمُوا فِي الْكَلِمَاتِ وَلِذَلِكَ كَانَتْ صِنَاعَةُ
 الشُّعْرِ أَقْرَبَ إِلَى الْفَلَسَفَةِ مِنْ صِنَاعَةِ اخْتِرَاعِ الْأَمْثَالِ وَهَذَا الَّذِي

قَالَ هُوَ بِحَسَبِ عَادَتِهِمْ فِي الشِّعْرِ الَّذِي يُشَبُّهُ أَنْ يَكُونَ هُوَ الْأَمْرُ
الطَّبِيعِيُّ لِلأَمْرِ الطَّبِيعِيِّ (قَالَ) وَأَكْثَرُ مَا يَجِبُ أَنْ يُعْتَمَدَ فِي صِنَاعَةِ
الْمَدِيحِ أَنْ تَكُونَ الْأَشْيَاءُ الْحَاكِيَاتُ أُمُورًا مَوْجُودَةً لَا أُمُورًا لَهَا
أَنَّمَا تُخْتَرَعُ فَإِنَّ الْمَدِيحَ إِنَّمَا يَتَوَجَّهُ نَحْوَ التَّحْرِيكِ إِلَى الْأَفْعَالِ
الْإِرَادِيَّةِ فَإِذَا كَانَتْ الْأَفْعَالُ مُمَكِّنَةً كَانِ الْأَفْعَالُ فِيهَا أَكْثَرُ
وَقُوْعًا أَغْنَى التَّصَدِيقَ الشِّعْرِيَّ الَّذِي يُحَرِّكُ النَّفْسَ إِلَى الطَّلَبِ
وَالْعَرَبِ. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الْغَيْرُ الْمَوْجُودَةِ فَلَيْسَ تُوضَعُ وَتُخْتَرَعُ لَهَا أَنَّمَا
فِي صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ إِلَّا أَقَلُّ ذَلِكَ مِثْلُ وَضْعِهِمُ الْجُودَ شَخْصًا ثُمَّ
يَضَعُونَ أَفْعَالًا لَهُ وَيُحَاكُونَهَا وَيُطَبِّقُونَ فِي مَدْحِهِ. وَهَذَا النَّحْوُ مِنْ
التَّخْيِيلِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يُنْتَفَعُ بِهِ مَنَفَعَةٌ غَيْرُ يَسِيرَةٍ لِمُنَاسَبَةِ أَفْعَالِ
ذَلِكَ الشَّيْءِ الْخْتَرَعِ وَأَنْفِعَالَاتِهِ لِلأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ
يُعْتَمَدَ فِي صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ فَإِنَّ هَذَا النَّحْوَ مِنَ التَّخْيِيلِ لَيْسَ بِمَا يُوَافِقُ
جَمِيعَ الطَّبَاعِ بَلْ قَدْ يَفْتَحُكَ مِنْهُ وَيَزِدُّهُ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ. وَمِنْ
جَيْدِ مَا فِي هَذَا الْبَابِ لِلْعَرَبِ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَى طَرِيقِ الْحَثِّ عَلَى
الْأَفْضَلِ قَوْلُ الْأَعَشَى :

لَعَنِي لَقَدْ لَاحَتْ عَيْنٌ نَوَاطِرُ إِلَى صَوِّ نَارٍ بِالْإِقَاعِ تُحَرِّقُ
تُشَبُّ لِقُرُورَيْنِ يَضْطَلِبَانِهَا وَبَاتَ عَلَى النَّارِ الْبُذَى وَالْخُلُقُ
رَضِيعِي لِبَانٍ ثَدْيٍ أَمْرٌ تَحَاكَا بِأَسْحَمِ دَاجٍ عَوْضُ لَا نَتَفَرَّقُ
وَإِذَا كَانَ هَذَا هَكَذَا فَظَاهِرٌ أَنَّ الشَّاعِرَ إِنَّمَا يَكُونُ شَاعِرًا
بِعَمَلِ الْخَرَافَاتِ وَالْأَوْزَانِ بِقَدْرِ مَا يَكُونُ قَادِرًا عَلَى عَمَلِ التَّشْبِيهِ

وَالْحَاكَاةُ وَهُوَ إِنَّمَا يَفْعَلُ التَّشْبِيهَ لِلْأُمُورِ الْإِرَادِيَّةِ الْمَوْجُودَةِ
وَلَيْسَ مِنْ شَرْطِهِ أَنْ يُحَاكِيَ الْأُمُورَ الَّتِي هِيَ مَوْجُودَةٌ فَقَطْ بَلْ
وَقَدْ يُحَاكِي الْأُمُورَ الَّتِي يُظَنُّ بِهَا أَنَّهَا مُمَكِّنَةُ الوجودِ وَهُوَ فِي
ذَلِكَ شَاعِرٌ لَيْسَ بِدُونِ مَا هُوَ فِي مُحَاكَاةِ الْأُمُورِ الْمَوْجُودَةِ مِنْ قَبْلِ
أَنَّهُ لَيْسَ مَانِعٌ يَنْعِي أَنْ تُوجَدَ تِلْكَ الْأَشْيَاءُ عَلَى مِثْلِ حَالِ الْأَشْيَاءِ
الَّتِي هِيَ الْآنَ . وَجُودَةٌ فَلَيْسَ يَحْتَاجُ فِي التَّحْيِيلِ الشَّعْرِي إِلَى مِثْلِ
هَذِهِ الْخَرَافَاتِ الْخَفَرَةِ وَلَا أَيْضًا يَحْتَاجُ الشَّاعِرُ الْمَفَاقُ أَنْ تَقَمَّ
مُحَاكَاتُهُ بِالْأُمُورِ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ وَهُوَ الَّذِي يُدْعَى نِفَاقًا وَآخِذًا
بِالْوُجُودِ فَإِنَّ ذَلِكَ إِنَّمَا يَسْتَعْمِلُهُ الْمَوْهُونُ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَعْنِي
الَّذِينَ يَرَوْنَ أَنَّهُمْ شُعْرَاءُ وَلَيْسُوا شُعْرَاءُ . وَأَمَّا الشُّعْرَاءُ بِالْحَقِيقَةِ فَلَيْسَ
يَسْتَعْمِلُونَهُ إِلَّا عِنْدَ مَا يُرِيدُونَ أَنْ يُقَابِلُوا بِهِ اسْتِعْمَالَ شُعْرَاءِ
الزُّرُورِ لَهُ وَأَمَّا إِذَا قَابَلُوا الشُّعْرَاءَ الْحَيِّدِينَ فَلَيْسَ يَسْتَعْمِلُونَهُ أَصْلًا . وَقَدْ
يُضْطَرُّ الْمَفْلُثُونَ فِي مَوَاضِعَ أَنْ يَسْتَعْمِلُوا بِاسْتِعْمَالِ الْأَشْيَاءِ الْخَارِجَةِ عَنْ
عُمُودِ الشَّعْرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْلُكَاةَ لَيْسَ تَكُونُ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ
لِلْأَشْيَاءِ الْكَامِلَةِ الَّتِي تُمْكِنُ مُحَاكَاتُهَا عَلَى التَّامِّ بَلْ لِأَشْيَاءٍ نَاقِصَةٍ
تَعْسُرُ مُحَاكَاتُهَا بِالْقَوْلِ فَيَسْتَعْمِلُونَ عَلَى مُحَاكَاتِهَا بِالْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ .
وَبِجَازَةِ إِذَا قَصَدُوا مُحَاكَاةَ الْأَعْتِقَادَاتِ لِأَنَّ تَحْيِيلَهَا يَعْسُرُ إِنْ كَانَتْ
لَيْسَتْ أَفْعَالًا وَلَا جَوَاهِرَ وَقَدْ تَمَّزَّجَ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ
بِالْمُحَاكِيَاتِ الشَّعْرِيَّةِ أَحْيَانًا كَمَا أَنَّهَا بِاتِّفَاقٍ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ فَيَكُونُ لَهَا
فِعْلٌ مُغَيَّبٌ إِذَا كَانَتْ الْأَشْيَاءُ الَّتِي شَأْنُهَا أَنْ تَقَمَّ بِاتِّفَاقٍ مُغَيَّبَةٌ

(قَالَ) وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ تَكُونُ جُودَتُهَا فِي الْحَاكَاةِ
الْبَسِيطَةِ الْغَيْرِ الْمُتَنَفِّسَةِ وَكَثِيرٌ وَنَهَا إِنَّمَا تَكُونُ جُودَتُهَا فِي نَفْسِ
النَّشِيبِ وَالْحَاكَاةِ وَذَلِكَ أَنَّ الْحَالَ فِي النَّشِيبِ كَالْحَالِ فِي الْأَعْمَالِ
فَكَمَا أَنَّ مِنَ الْأَعْمَالِ مَا يُنَالُ بِفِعْلِ وَاحِدٍ بَسِيطٍ وَمِنْهَا مَا يُنَالُ
بِفِعْلِ مُرَكَّبٍ كَذَلِكَ الْأَنْزُرُ فِي الْحَاكَاةِ. وَالْحَاكَاةُ الْبَسِيطَةُ هِيَ
الَّتِي يُسْتَعْمَلُ فِيهَا أَحَدُ نَوْعِي التَّغْيِيلِ أَعْنِي النَّوْعَ الَّذِي يُسَمَّى
الْإِدَارَةَ أَوْ النَّوْعَ الَّذِي يُسَمَّى الْإِسْتِدْلَالَ. وَأَمَّا الْحَاكَاةُ
الْمُرَكَّبَةُ فَهِيَ الَّتِي يُسْتَعْمَلُ فِيهَا الصَّنَفَانِ جَمِيعًا وَذَلِكَ إِمَّا بِأَنْ
يُبْتَدَأَ بِالْإِدَارَةِ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى الْإِسْتِدْلَالِ أَوْ يُبْتَدَأَ
بِالْإِسْتِدْلَالِ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى الْإِدَارَةِ وَالْإِعْتِمَادُ هُوَ أَنْ يُبْدَأَ
بِالْإِدَارَةِ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى الْإِسْتِدْلَالِ فَإِنَّهُ فَرْقٌ كَثِيرٌ بَيْنَ أَنْ
يُبْدَأَ أَوَّلًا بِالْإِدَارَةِ ثُمَّ يُنْقَلُ إِلَى الْإِسْتِدْلَالِ أَوْ يُبْدَأَ بِالْإِسْتِدْلَالِ
ثُمَّ يُنْقَلُ إِلَى الْإِدَارَةِ. (قَالَ) وَأَعْنِي بِالْإِدَارَةِ مُحَاكَاةَ ضِدِّ
الْمَقْصُودِ مَذْحُهُ أَوَّلًا بِمَا يُنْفِرُ النَّفْسَ عَنْهُ ثُمَّ يُنْقَلُ مِنْهُ إِلَى
مُحَاكَاةِ الْمَدْحِ نَفْسِهِ مَثَلًا إِنَّهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحَاكِيَ السَّعَادَةَ
وَأَهْلَهَا ابْتَدَأَ أَوَّلًا بِمُحَاكَاةِ الشَّقَاوَةِ وَأَهْلِهَا ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى مُحَاكَاةِ
أَهْلِ السَّعَادَةِ وَذَلِكَ بِضِدِّ مَا حَاكَى بِهِ أَهْلَ الشَّقَاوَةِ. وَأَمَّا
الْإِسْتِدْلَالُ فَهُوَ مُحَاكَاةُ الشَّيْءِ فَقَطْ (قَالَ) وَأَحْسَنُ الْإِسْتِدْلَالِ
مَا خِلَطَ بِالْإِدَارَةِ. (قَالَ) وَقَدْ يُسْتَعْمَلُ الْإِسْتِدْلَالُ وَالْإِدَارَةُ فِي
الْأَشْيَاءِ الْغَيْرِ الْمُتَنَفِّسَةِ وَفِي الْمُتَنَفِّسَةِ لَا مِنْ جِهَةٍ مَا يُقْصَدُ بِهِ عَمَلٌ

أَوْ تَرَكْتُ بَلْ مِنْ جَهَةِ التَّخِيلِ قَطُّ أَغْنَى الْمَطَابَقَةَ . وَهَذَا النَّوعُ مِنْ
الْإِسْتِدْلَالِ الَّذِي ذَكَرَهُ هُوَ الْقَالِبُ عَلَى أَشْعَارِ الْعَرَبِ أَغْنَى
الْإِسْتِدْلَالُ وَالْإِدَارَةُ فِي غَيْرِ الْمُتَنَفِّسَةِ وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:
كَمْ زَوْرَةٌ لَكَ فِي الْأَعْرَابِ خَافِيَةٌ

أَدْمَى وَقَدْ رَقَدُوا مِنْ زَوْرَةِ الذَّيْبِ
أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي

وَأَنْتَنِي وَيَبَاضُ الضَّنَجُ يُغْرِي بِي
فَلَنْ أَلَيْتَ الْأَوَّلَ هُوَ اسْتِدْلَالٌ . وَالثَّانِي إِدَارَةٌ وَلَمَّا جَمَعَ
هَذَانِ الْبَيْتَانِ صَنَعِي الْحَاكَاةَ كَمَا فِي غَايَةِ مِنَ الْحُسْنِ (قَالَ)
وَالْإِسْتِدْلَالُ الْإِنْسَانِي وَالْإِدَارَةُ إِنَّمَا يُسْتَعْمَلَانِ فِي الطَّلَبِ
وَالْهَرَبِ وَهَذَا النَّوعُ مِنَ الْإِسْتِدْلَالِ هُوَ الَّذِي يُشِيرُ فِي النَّفْسِ
الرَّحْمَةُ تَارَةً وَالْخَوْفُ تَارَةً وَهَذَا هُوَ الَّذِي نَحْتَاجُ إِلَيْهِ فِي صِنَاعَةِ
الْمَدِيحِ الْأَفْعَالِ الْإِنْسَانِيَّةِ الْجَلِيلَةِ وَهَجْوِ الْقَبِيحَةِ (قَالَ) فَهَذَانِ
الْجُزْءَانِ اللَّذَانِ أَخْبَرْنَا عَنْهُمَا جُزْءَا صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ وَهَاهُنَا جُزْءُ
ثَلَاثٍ وَهُوَ الْجُزْءُ الَّذِي يُولَدُ الْإِنْفِعَالَاتِ النَّفْسَانِيَّةِ أَغْنَى أَنْفِعَالَاتِ
الْخَوْفِ وَالرَّحْمَةِ وَالْخُورِنِ وَهُوَ يَكُونُ بِذِكْرِ الْمَصَائِبِ وَالرَّذَايَا
النَّازِلَةِ بِالنَّاسِ فَإِنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ هِيَ الَّتِي تَبْعَثُ الرَّحْمَةَ وَالْخَوْفَ
وَهُوَ جُزْءٌ عَظِيمٌ مِنْ أَجْزَاءِ الْحِكْمَةِ عَلَى الْأَفْعَالِ الَّتِي هِيَ مَقْصُودَةٌ
الْمَدِيحِ عِنْدَهُمْ

البحث السادس

في اجزاء صناعة المديح من جهة الكمية

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَأَمَّا أَجْزَاءُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ مِنْ بَابِ الْكِفِيَّةِ فَقَدْ تَكَلَّمْنَا فِيهَا . وَأَمَّا أَجْزَاؤُهَا مِنْ جِهَةِ الْكَمِّيَّةِ فَيَنْبَغِي أَنْ تَتَكَلَّمَ فِيهَا وَهُوَ يَذْكُرُ فِي هَذَا الْمَعْنَى أَجْزَاءَ خَاصَّةً بِأَشْعَارِهِمْ وَالَّذِي يُوجَدُ مِنْهَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ فَهُوَ ثَلَاثَةٌ . الْجُزْءُ الَّذِي يَجْرِي عَنْدهُمْ تَجْرَى الصَّدْرُ فِي الْخُطْبَةِ وَهُوَ الَّذِي فِيهِ يَذْكُرُونَ الدِّيَارَ وَالْأَثَارَ وَيَتَغَزَّلُونَ فِيهِ وَالْجُزْءُ الثَّانِي الْمَدْحُ . وَالْجُزْءُ الثَّلَاثُ الَّذِي يَجْرِي تَجْرَى الْخَاتَمَةِ فِي الْخُطْبَةِ وَهَذَا الْجُزْءُ أَكْثَرُ مَا هُوَ عَنْدهُمْ إِمَّا دَعَاءٌ لِلْمَدْحِ وَإِمَّا فِي تَقْرِيزِ الشَّعْرِ الَّذِي قَالَهُ وَالْجُزْءُ الْأَوَّلُ أَشْهُرُ مِنْ هَذَا الْآخِرِ وَلِذَلِكَ يُسَمَّوْنَ الْإِتِّقَالَ مِنَ الْجُزْءِ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي أَسْتَطْرَادًا وَرَبْمَا اتَّوَا بِالْمَدِيحِ دُونَ صَدْرِ . مِثْلُ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ :

لَهَا نَ عَلَيَّا أَنْ نَقُولَ وَنَفْعَلَا

وَمِثْلُ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْ دَهْرِهِ مَا تَعُودَا

وَلَمَّا قَرَعْنَا مِنْ تَعْدِيدِ أَجْزَاءِ الشَّعْرِ عَنْدهُمْ (قَالَ) فَأَمَّا أَجْزَاءُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ الَّتِي مِنْ جِهَةِ الْكِفِيَّةِ وَالَّتِي مِنْ جِهَةِ الْكَمِّيَّةِ فَقَدْ

أَخْبَرْنَا بِهَا. فَأَمَّا مِنْ آيِ الْمَوَاضِعِ يُمَكِّنُ عَمَلُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ فَتَحْنُ
مُخْبِرُونَ عَنْهَا بَعْدَ وَمُضِيْفُونَ ذَلِكَ إِلَى مَا تَقَدَّمَ (قَالَ) وَيَنْبَغِي كَمَا
قِيلَ أَنْ لَا يَكُونَ تَرْكِيبُ الْمَدَائِحِ مِنْ مُحَاكَاةِ بَسِيطَةٍ بَلْ مَخْلُوطَةٍ
وَمِنْ أَنْوَاعِ الْإِسْتِدْلَالَاتِ وَأَنْوَاعِ الْإِدَارَةِ وَمِنْ الْحَاكَاةِ الَّتِي تُوجِبُ
الْإِنْفِعَالَاتِ الْخَفِيفَةِ الْخَرَكَةَ الْمُرَقَّةَ لِلنَّفُوسِ وَذَلِكَ أَنَّهُ يُجِبُ أَنْ
تَكُونَ الْمَدَائِحُ الَّتِي يُفَصِّدُ بِهَا الْحُثُّ عَلَى الْفَضَائِلِ مُرَكَّبَةً مِنْ
مُحَاكَاةِ الْفَضَائِلِ وَمِنْ مُحَاكَاةِ أَشْيَاءَ مُحَوَّاةٍ مُخَرَّجَةٍ يَتَجَمَّعُ لَهَا وَهِيَ الشَّقَاوَةُ
الَّتِي تَلْحَقُ مِنْ عَدَمِ الْفَضَائِلِ لَا بِاسْتِيْهَالٍ وَذَلِكَ أَنَّ هَذِهِ الْأَشْيَاءَ
يَشْتَدُّ تَحْرُكُ النَّفْسِ لِقَبُولِ الْفَضَائِلِ فَإِنَّ أَثْقَالَ الشَّاعِرِ مِنْ مُحَاكَاةِ
فَضِيلَةٍ إِلَى مُحَاكَاةِ لَا فَضِيلَةٍ أَوْ مِنْ مُحَاكَاةِ فَاضِلٍ إِلَى مُحَاكَاةِ لَا فَاضِلٍ
لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يَمَّا يَحِثُّ الْإِنْسَانَ وَيُزَجِّجُهُ إِلَى فِعْلِ الْفَضَائِلِ إِذَا
كَانَ لَيْسَ يُوجِبُ مَحَبَّةَ لَهَا زَائِدَةً وَلَا خَوْفًا. وَالْأَقَاوِيلُ الْمَدِيحِيَّةُ
يُجِبُ أَنْ يُوْجَدَ فِيهَا هَذَانِ الْأَمْرَانِ وَذَلِكَ يَكُونُ إِذَا أَثْقَلَ مِنْ
مُحَاكَاةِ الْفَضَائِلِ إِلَى مُحَاكَاةِ الشَّقَاوَةِ وَرَدَّاءَةِ النَّازِلَةِ بِالْأَوْضِلِ
أَوْ أَثْقَلَ مِنْ هَذِهِ إِلَى مُحَاكَاةِ أَهْلِ الْفَضَائِلِ فَإِنَّ هَذِهِ الْمُحَاكَاةَ
تُرِقُّ النَّفُوسَ وَتَدْعِيهَا إِلَى قَبُولِ الْفَضَائِلِ وَأَنْتَ تَجِدُ أَكْثَرَ الْمُحَاكَاةِ
الْوَاقِعَةِ فِي الْأَقَاوِيلِ الشَّرْعِيَّةِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي ذَكَرَ إِذْ
كَانَتْ تِلْكَ هِيَ أَقَاوِيلُ مَدِيحِيَّةٌ تَدُلُّ عَلَى الْعَمَلِ بِمِثْلِ مَا وَرَدَ
مِنْ حَدِيثِ يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ الْأَقَاوِيلِ الَّتِي تُسَمَّى
مَوَاعِظَ (قَالَ) وَإِنَّمَا تَحْدُثُ الرَّحْمَةُ وَالرِّقَّةُ بِذِكْرِ حَدُوثِ الشَّقَاوَةِ

بِنَ لَا يَسْتَحِقُّ وَعَلَى غَيْرِ الْوَاجِبِ. وَالْخَوْفُ إِنَّمَا يَحْدُثُ عِنْدَ
 ذِكْرِ هَذِهِ مِنْ قَبْلِ تَحْيِيلِ وَقَعِ الصَّارِ بِنَ هُوَ ذَوْنُهُمْ أَغْنَى بِنَفْسِ
 السَّمِيعِ إِذْ كَانَ آخَرَى بِذَلِكَ وَالْحُزْنَ وَالرَّحْمَةَ إِنَّمَا يَحْدُثُ عِنْدَ هَذِهِ
 مِنْ قَبْلِ وَقُوعِهَا بِنَ لَا يَسْتَحِقُّ وَإِذَا كَانَ ذِكْرُ الْفَضَائِلِ مُفْرَدَةً لَا
 يُوقِعُ فِي النَّفْسِ خَوْفًا مِنْ قَوَاتِهَا وَلَا رَحْمَةً وَحُبَّةً قَوَاجِبَ عَلَى مَنْ
 يُرِيدُ أَنْ يَحْثُ عَلَى الْفَضَائِلِ أَنْ يَجْعَلَ جُزْءًا مِنْ مُحَاكَاةِ كَاتِبَةِ الْأَشْيَاءِ
 الَّتِي تَبَعَتْ الْحُزْنَ وَالْخَوْفَ وَالرَّحْمَةَ (قَالَ) وَبِذَلِكَ الْمَدَامِجُ الْحَسَنُ
 الْمَوْجُودَةُ لِصِنَاعَةِ الشَّعْرِ مِ الْمَدَامِجِ الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا هَذَا التَّرْكِيبُ
 أَغْنَى ذِكْرَ الْفَضَائِلِ وَالْأَشْيَاءِ الْحُزْنَ وَالْخَوْفَ وَالرَّحْمَةَ (قَالَ) وَبِذَلِكَ
 يُحْطَى بِالَّذِينَ يَلُومُونَ مَنْ يَجْعَلُ أَحَدَ أَجْزَاءِ شِعْرِهِ هَذِهِ الْخُرَافَاتِ
 وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ تَأْوِيلٌ فِي الْمَدَامِجِ أَنَّ صِنَاعَةَ الْمَدَامِجِ
 الْجَهَادِيَّةَ قَدْ تَدْخُلُ فِيهَا الْمُنْغِضَاتُ وَالْمُنْغِضُ هُوَ حُزْنٌ مَعَ حُبِّ
 شَدِيدٍ لِلْإِتِّسَامِ وَإِذَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ فَذِكْرُ الرِّزَايَا وَالْمَصَائِبِ
 النَّازِلَةِ بِأَهْلِ الْفَضْلِ يُوجِبُ حُبًّا زَائِدًا لَهُمْ وَخَوْفًا مِنْ قَوَاتِ
 الْفَضَائِلِ فَأَمَّا مُحَاكَاةُ التَّقَانِصِ فِي الْمَدَامِجِ فَقَدْ يُدْخِلُهَا قَوْمٌ فِيهَا
 لِأَنَّ فِيهَا ضَرْبًا مِنَ الْإِدَارَةِ لَكِنَّ مُنَاسَبَةً ذَمِّ التَّقَانِصِ لِصِنَاعَةِ
 الْحِجَاءِ أَكْثَرُ مِنْهَا لِصِنَاعَةِ الْمَدَامِجِ وَلِذَلِكَ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَحْيِيلُهَا
 فِي الْمَدَامِجِ عَلَى التَّصْدِيقِ الْأَوَّلِ بَلْ مِنْ قَبْلِ الْإِدَارَةِ وَإِذَا كَانَ
 الشَّعْرُ الْمَدَامِجِيُّ تَذَكُّرُ فِيهِ التَّقَانِصِ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ ذِكْرُ
 الْأَعْدَاءِ الْمُنْغِضِينَ وَالْمَدَامِجِ إِنَّمَا تُبْتَنَى عَلَى ذِكْرِ أَعْمَالِ الْأَوْلِيَاءِ

وَالْأَعْدَاءُ. وَأَمَّا عَدُوُّ الْعَدُوِّ أَوْ صَدِيقُ الصَّدِيقِ فَلَيْسَ يُذَكَّرُ لَا فِي الْمَدْحِ وَلَا فِي الذَّمِّ. إِذْ كَانَ لَا صَدِيقًا وَلَا عَدُوًّا (قَالَ) وَيَتَّبِعِي أَنْ تَكُونَ الْخَرَاةُ الْحَيَّةُ الْخُزْنَةُ تَخْرُجُهَا تَخْرُجُ مَا يَتَّعُ تَحْتَ الْبَصَرِ يُرِيدُ مِنْ وَقُوعِ التَّصَدِيقِ بِهَا لِأَنَّهُ إِذَا كَانَتْ الْخَرَاةُ مَشْكُوكًا فِيهَا أَوْ أُخْرِجَتْ تَخْرُجُ مَشْكُوكًا فِيهَا لَمْ تَفْعَلِ الْفِعْلَ الْمَقْصُودَ بِهَا وَذَلِكَ أَنَّ مَا لَا يُصَدِّقُهُ الْمَرْءُ فَهُوَ لَا يَفْزَعُ مِنْهُ وَلَا يُشْفِقُ لَهُ. وَهَذَا الَّذِي ذُكِرَ هُوَ السَّبَبُ فِي أَنَّ كَثِيرًا مِنَ الَّذِينَ لَا يُصَدِّقُونَ بِالْقَصَصِ الشَّرْعِيِّ يَصِيرُونَ أَرَاذِلَ لِأَنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَتَحَرَّكُونَ بِالطَّبَعِ لِأَحَدِ قَوْلَيْنِ أَمَّا قَوْلُ بُرْهَانِي وَإِمَّا قَوْلُ لَيْسَ بُرْهَانِيَا. وَهَذَا الصَّنْفُ الْحَسِيسُ مِنَ النَّاسِ قَدْ عَدِمَ التَّحَرُّكُ عَنْ هَذَيْنِ الْقَوْلَيْنِ (قَالَ) وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يُدْخِلُ فِي الْمَدَائِحِ مُحَاكَاةَ أَشْيَاءٍ يُقْصَدُ بِهَا التَّعْجِبُ فَقَطُّ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَكُونَ مُحْيِيَةً وَلَا مُحْزِنَةً وَأَنْتَ تَحْدُثُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ كُلَّهَا كَثِيرًا فِي الْمَكْتُوباتِ الشَّرْعِيَّةِ إِذَا كَانَتْ مَدَائِحُ الْقَضَائِلِ لَيْسَ تُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا تُوجَدُ فِي زَمَانِنَا هَذَا فِي أَشْئِنِ الْمَكْتُوبَةِ (قَالَ) وَهَذَا الْفِعْلُ لَيْسَ فِيهِ مُشَارَكَةٌ لِصِنَاعَةِ الْمَدِيحِ بِوَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ وَذَلِكَ أَنَّهُ لَيْسَ يُقْصَدُ مِنْ صِنَاعَةِ الشُّعْرِ أَيُّ لَذَّةٍ أَتَفَقَّتْ لَكِنْ إِنَّمَا يُقْصَدُ بِهَا حُصُولُ الْإِلْتِذَاذِ بِتَخْيِيلِ الْقَضَائِلِ وَهِيَ اللَّذَّةُ الْمُنَاسِبَةُ لِصِنَاعَةِ الْمَدِيحِ (قَالَ) وَهُوَ مَعْلُومٌ مَا هِيَ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَفْعَلُ اللَّذَاتِ بِحَاكَايَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَلْتَحِقَ عَنْ ذَلِكَ حُزْنٌ وَلَا خَوْفٌ. وَأَمَّا الْأَشْيَاءُ الَّتِي تَلْتَقِ بِهَا الْإِلْتِذَاذُ بِحَاكَايَا

الرَّحْمَةِ وَالْخَوْفَ فَإِنَّمَا يَقْدِرُ الْإِنْسَانُ عَلَى ذَلِكَ إِذَا أَلْتَمَسَ آيَ
الْأَشْيَاءِ هِيَ الصَّعْبَةُ مِنَ النَّوَائِبِ الَّتِي تَتَوْبُ وَآيَ الْأَشْيَاءِ هِيَ
الْأَشْيَاءُ الَّتِي سِيرَةُ إِلَهِيَّةٍ الَّتِي لَيْسَ يَلْحَقُ عَنْهَا كِبَرُ حُزْنٍ وَلَا خَوْفٌ
وَأَمثالُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ هِيَ مَا يَنْزِلُ بِالْأَصْدِقَاءِ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ
مِنْ قَبْلِ الْإِرَادَةِ مِنَ الرِّزَايَا وَالْمَصَائِبِ لَا مَا يَنْزِلُ بِالْأَعْدَاءِ
بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْسَ يَحْزَنُ وَلَا يُشْفِقُ إِذَا يَنْزِلُ
مِنْ السُّوءِ بِالْعَدُوِّ مِنْ عَدُوِّهِ كَمَا يَحْزَنُ وَيَخَافُ مِنَ السُّوءِ النَّازِلِ
بِالصَّدِيقِ مِنْ صَدِيقِهِ وَإِنْ كَانَ قَدْ يَلْحَقُ عَنْ ذَلِكَ أَلَمْ فَلَيْسَ
يَلْحَقُ مِثْلُ أَلَمْ الَّذِي يَلْحَقُ مِنَ السُّوءِ الَّذِي يَنْزِلُ مِنَ الْخَلْبَيْنِ
بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ مِثْلُ قَتْلِ الْأَخَوَةِ بَعْضُهُمْ بَعْضًا أَوْ قَتْلِ الْأَبَاءِ الْأَبْنَاءِ
أَوْ الْأَبْنَاءِ الْأَبَاءِ وَلِهَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ كَانَ قَصَصُ إِبْرَاهِيمَ فِيهِ أَمْرٌ فِي
أَنَّهُ فِي غَايَةِ الْأَقَاوِيلِ الْمَوْجِبَةِ لِلْحُزْنِ وَالْخَوْفِ (قَالَ) وَالْمَدْخُحِ إِنَّمَا
يَتَّبَعِي أَنْ يَكُونَ بِالْأَفْعَالِ الْفَاضِلَةِ الَّتِي تَصْدُرُ عَنْ إِرَادَةِ وَعِلْمٍ
لِأَنَّ مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا يُفْعَلُ عَنْ إِرَادَةٍ وَعِلْمٍ وَمِنْهَا مَا يُفْعَلُ لَا عَنْ
إِرَادَةٍ وَلَا عِلْمٍ وَمِنْهَا يُفْعَلُ عَنْ عِلْمٍ لَا عَنْ إِرَادَةٍ أَوْ عَنْ إِرَادَةٍ
لَا عَنْ عِلْمٍ وَكَذَلِكَ الْأَفْعَالُ مِنْهَا مَا تَكُونُ لِمَنْ يَعْرِفُ وَلِمَنْ لَا
يَعْرِفُ فَالْفِعْلُ إِذَا صَدَرَ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ وَلَا إِرَادَةٍ فَلَيْسَ يَدْخُلُ فِي
بَابِ الْمَدِيحِ وَكَذَلِكَ إِذَا كَانَ صَادِرًا مِنْ غَيْرِ مَعْرُوفٍ لِأَنَّهُ يَكُونُ
حَيْثُ فِي الْأَصْدُوبَاتِ أُدْخِلَ مِنْهُ فِي الشِّعْرِ وَلَا يَجِبُ أَنْ
يُحَاكِيَ. وَأَمَّا الْأَفْعَالُ الَّتِي لَا يُشَكُّ أَنَّهَا صَدَرَتْ عَنْ إِرَادَةٍ وَمَعْرِفَةٍ

وَعَنْ مَعْرُوفِينَ قَمَا أَحْسَنَ الْإِسْتِدْلَالَ الَّذِي يَكُونُ فِي هَذِهِ
 الْأَفْعَالِ (قَالَ) قَامًا فِي حُسْنِ قَوَامِ الْأُمُورِ الَّتِي تُرَكَّبُ مِنْهَا
 الْأَشْعَارُ وَكَيْفَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ تَرْكِيبُهَا فَقَدْ قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَوْلًا
 كَافِيًا قَامًا أَيُّ الْعَادَاتِ هِيَ الْعَادَاتُ الَّتِي يَنْبَغِي أَنْ تُحَاكَمَ فِي
 الْمَدْحِ فَقَدْ يَجِبُ أَنْ نَقُولَ فِيهَا فَقُولُ إِنَّ الْعَادَاتِ الَّتِي تُحَاكَمُ عِنْدَ
 الْمَدْحِ الْحَيِّدِ اغْنَى الَّذِي يَحْسُنُ مَوْضِعُهَا مِنَ السَّامِعِينَ أَرْبَعَةٌ أَحَدَاهَا
 الْعَادَاتُ الَّتِي هِيَ خَيْرَةٌ وَقَاضِيَةٌ فِي ذَلِكَ الْمَمْدُوحِ فَإِنَّ الَّذِي يُؤَثِّرُ
 فِي النَّفْسِ هُوَ مُحَاكَاهُ الْأَشْيَاءِ الْحَقِّ الْمَوْجُودَةِ فِي ذَلِكَ الْمَمْدُوحِ
 وَكُلُّ جِنْسٍ فِيهِ خَيْرٌ مَا وَإِنْ كَانَ فِيهِ أَشْيَاءٌ لَيْسَتْ خَيْرًا. وَالثَّانِيَّةُ
 أَنْ تَكُونَ الْعَادَاتُ مِنَ الَّتِي تَلِيْقُ بِالْمَمْدُوحِ وَتَقْلَعُ لَهُ وَذَلِكَ أَنَّ
 الْعَادَاتِ الَّتِي تَلِيْقُ بِالْمَرْأَةِ لَيْسَتْ تَلِيْقُ بِالرَّجُلِ. وَالثَّالِثَةُ أَنْ تَكُونَ
 مِنَ الْعَادَاتِ الْمَوْجُودَةِ فِيهِ عَلَى أَتَمِّ مَا يُمَكِّنُ أَنْ تُوجَدَ فِيهِ مِنَ
 الشَّبهِ وَالْمُوَافَقَةِ. وَالرَّابِعَةُ أَنْ تَكُونَ مُعْتَدِلَةً مُتَوَسِّطَةً بَيْنَ الْأَطْرَافِ
 وَإِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ لِأَنَّ الْعَوَائِدَ الرَّذَلَةَ لَيْسَ بِمَا يُمَدِّحُ بِهَا
 وَكَذَلِكَ الْعَوَائِدُ الَّتِي لَا تَلِيْقُ بِالْمَمْدُوحِ وَإِنْ كَانَتْ جَيَادًا وَكَذَلِكَ
 الْعَوَائِدُ اللَّانِقَةُ إِذَا لَمْ تُوجَدَ عَلَى أَتَمِّ مَا يُمَكِّنُ فِيهَا مِنَ الشُّبَاهَةِ
 أَوْ لَمْ تُوجَدَ مُسْتَوْفَاةً وَالْعَوَائِدُ الَّتِي هِيَ خَيْرٌ وَتَدُلُّ عَلَى الْخُلُقِ الْخَيْرِ
 الْفَاضِلِ مِنْهَا مَا هِيَ كَذَلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ وَمِنْهَا مَا هِيَ كَذَلِكَ فِي
 الشُّهُورِ وَمِنْهَا مَا هِيَ شَبِيهَةٌ بِهَذَيْنِ وَالْعَوَائِدُ الْحَيَادُ أَمَّا حَقِيقَةُ
 وَإِمَّا شَبِيهَةٌ بِالْحَقِيقَةِ وَإِمَّا مَشْهُورَةٌ أَوْ شَبِيهَةٌ بِالشُّهُورَةِ وَكُلُّ

هذه تَدْخُلُ فِي الْمَذْحِ (قَالَ) وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ خَوَاتِمُ الْأَشْعَارِ
وَالْقَصَائِدِ تَدْخُلُ بِإِجْمَالٍ عَلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنَ الْعَوَائِدِ الَّتِي وَقَعَ
الْمَذْحُ بِهَا كَالْحَالِ فِي خَوَاتِمِ الْخُطْبِ وَأَنْ يَكُونَ الشَّاعِرُ لَا يُورِدُ
فِي شِعْرِهِ مِنَ الْحَاكَاةِ الْخَارِجَةِ عَنِ الْقَوْلِ إِلَّا بِقَدَرٍ مَا يَحْتَسِبُهُ
الْخَاطِبُونَ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى لَا يَنْسَبَ فِي ذَلِكَ إِلَى الْغُلُوِّ وَالْخُرُوجِ
عَنْ طَرِيقَةِ الشَّعْرِ وَلَا إِلَى التَّقْصِيرِ (قَالَ) وَالْتَشْبِيهُ وَالْحَاكَاةُ هِيَ
مَدَائِحُ الْأَمْثِلَةِ الَّتِي فِي غَايَةِ الْفَضِيلَةِ فَكَمَا أَنَّ الْمَصَوِّرَ الْحَادِثَ
يُصَوِّرُ الشَّيْءَ بِحَسَبِ مَا هُوَ عَلَيْهِ فِي الْوُجُودِ حَتَّى أَنْهُمْ قَدْ يُصَوِّرُونَ
الْغَضَابَ وَالْكَسَالَى مَعَ أَنَّهَا صِفَاتُ نَفْسَانِيَّةٍ كَذَلِكَ يَجِبُ أَنْ
يَكُونَ الشَّاعِرُ فِي مُحَاكَاةِ يُصَوِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِحَسَبِ مَا هُوَ عَلَيْهِ حَتَّى
يُحَاكِيَ الْأَخْلَاقَ وَأَحْوَالَ النَّفْسِ وَذَكَرَ مِثَالَ ذَلِكَ فِي شِعْرِ
لَاوَمِيرُوشَ قَالَهُ فِي عِمَقَةِ قَضِيَّةٍ عَرَضَتْ لِوَجَلٍ وَمِنْ هَذَا النَّحْوِ مِنْ
التَّخْيِيلِ أَعْنِي الَّذِي يُحَاكِي حَالَ النَّفْسِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ يَصِفُ
رَسُولَ الرُّومِ الْوَاصِلَ إِلَى سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

أَنَاكَ يَكَادُ الرَّأْسُ يَنْجَرُ غُنْفَهُ وَتَقْدُّ تَحْتَ الذُّعْرِ مِنْهُ الْمَفَاصِلُ
يُقَوِّمُ تَقْوِيمُ السِّمَاطِينَ مَشِيَهُ إِلَيْكَ إِذَا مَا عَوَّجَتْهُ الْأَفَاكِلُ
(قَالَ) وَيَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ يَلْزِمَ فِي تَخْيِيلَاتِهِ وَحَاكِيَاتِهِ
الْأَشْيَاءَ الَّتِي جَرَتْ الْعَادَةُ بِاسْتِعْمَالِهَا فِي التَّشْبِيهِ وَالْأَلَا يَتَعَدَّى فِي ذَلِكَ
طَرِيقَةَ الشَّعْرِ (قَالَ) وَأَنْوَاعُ الْأَسْتِدْلَالَاتِ الَّتِي تَجْرِي عَلَى هَذَا
النَّحْوِ أَعْنِي الْحَاكَاةَ الْحَارِجَةَ تَجْرِي الْجُودَةَ عَلَى الطَّرِيقِ الصَّاعِي

أَنوَاعٌ كَثِيرَةٌ فَمِنْهَا أَنْ تَكُونَ أَلْحَاكَاهُ لِأَشْيَاءٍ مَحْسُوسَةٍ بِأَشْيَاءٍ
مَحْسُوسَةٍ مِنْ شَأْنِهَا أَنْ تُوقَعَ الشَّكُّ لَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهَا وَتُوْهِمُ أَنَّهَا هِيَ
لِأَشْأَرِصَكَمَا فِي أَحْوَالِ مَحْسُوسَةٍ وَذَلِكَ مِثْلُ تَسْمِيَتِهِمْ لِبَعْضِ
ضَوْرِ الْكَوَاكِبِ سَرَطَانًا وَلِبَعْضِهَا مُمَسِّكِ الْخَرَبَةِ لِأَنَّهَا مِنْ جِهَةِ
الشَّكْلِ يُمَكِّنُ أَنْ يَتَوَهَّمُ مُتَوَهَّمٌ أَنَّهَا هِيَ هِيَ. وَجُلُّ تَشْبِيهَاتِ
الْقَرَبِ رَاجِعَةٌ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ. وَلِذَلِكَ كَانَتْ حُرُوفُ التَّشْبِيهِ عِنْدَهُمْ
تَقْتَضِي الشَّكَّ وَكُلَّمَا كَانَتْ هَذِهِ الْمُتَوَهَّمَاتُ أَقْرَبَ إِلَى وَقُوعِ
الشَّكِّ كَانَتْ أَيْمَ تَشْبِيهًا وَكُلَّمَا كَانَتْ أَبْعَدَ مِنْ وَقُوعِ الشَّكِّ
كَانَتْ أَنْقَصَ تَشْبِيهًا وَهَذِهِ هِيَ أَلْحَاكَاهُ الْبَعِيدَةُ وَيَتَبَيَّنُ أَنَّ
تَطَرُّحَ ذَلِكَ وَمِثْلُ قَوْلِ أَمْرِي، أَلَيْسَ فِي الْقَرَسِ :

كَأَنَّهَا هِرَاوَةٌ وَمِنَوَالٍ

وَمِثْلُ قَوْلِهِ :

إِذَا أَقْبَلْتُ قُلْتُ دُبَاءَةٌ مِنْ الْخَضِرِ مَحْسُوسَةٌ فِي الْقُدْرُ
وَأِنْ أَدْبَرْتُ قُلْتُ أُنْفِيَةٌ مُلَمَلَةٌ لَيْسَ فِيهَا أُنْزُ
وَأِنْ كَانَ هَذَا أَقْرَبَ مِنَ الْأَوَّلِ لِأَنَّ فِيهِ مُقَابَلَةً مَا. وَمِنْهَا
أَنْ تَكُونَ أَلْحَاكَاهُ لِأُمُورٍ مَعْنَوِيَّةٍ بِأُمُورٍ مَحْسُوسَةٍ إِذَا كَانَ لِتِلْكَ
الْأُمُورِ أَفْعَالٌ مُنَاسِبَةٌ لِتِلْكَ الْمَعَانِي حَتَّى تُوْهِمَ أَنَّهَا هِيَ مِثْلُ
قَوْلِهِمْ فِي الْمَلَكَةِ إِنَّهَا طَوَّقُ الْعُنُقِ وَفِي الْإِحْسَانِ قَيْدٌ كَمَا قَالَ أَبُو
الطَّيِّبِ :

وَمَنْ وَجَدَ الْإِحْسَانَ قَيْدًا تَقِيدَا

وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَمِنْهُ قَوْلُ إِمْرِئِ الْقَيْسِ:

قَيْدُ الْأَوَايِدِ هَيْكَلٌ

وَمَا كَانَ مِنْ هَذِهِ أَيْضًا غَيْرَ مُنَاسِبٍ وَلَا شَيْءٍ فَيَنْبَغِي أَنْ
يُطْرَحَ وَهَذَا كَثِيرًا مَا يُوجَدُ فِي أَشْعَارِ الْأَخْدَثِينَ وَبِخَاصَّةٍ فِي شِعْرِ
أَبِي تَمَّامٍ وَمِثْلُ قَوْلِهِ:

لَا تَسْقِنِي مَاءَ الْمَلَامِ

فَإِنَّ الْمَاءَ غَيْرُ مُنَاسِبٍ لِلْمَلَامِ . وَانْخَفُ مِنْ هَذَا قَوْلُهُ:

كُتِبَ الْمَوْتُ رَأْبًا وَحَلِيمًا

وَكَمَا أَنَّ الْبَعِيدَ الوجودَ هَاهُنَا مُطْرَحٌ كَذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ
التَّشْبِيهُ بِالْخَيْسِ الوجودِ مُطْرَحًا أَيْضًا وَأَنْ يَكُونَ التَّشْبِيهُ
بِالْأَشْيَاءِ الْفَاضِلَةِ . فَيُنَالُ تَشْبِيهُ الشَّرِيفِ بِالْخَيْسِ قَوْلُ الرَّاجِزِ:
وَالشَّمْسُ مَائِلَةٌ وَلَمَّا تَفْعَلْ فَكَانَهَا فِي الْأَفْقِ عَيْنُ الْأَحْوَلِ
وَكَمَا قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ يَدْحُ سَيْفِ الدَّوْلَةِ:

وَقَدْ عَلِمَ الرُّومُ الشَّقِيُونَ أَنَّهُمْ سَتَلَقَاهُمْ يَوْمًا وَتَلَقَى الدُّمُسْتَقَامُ
وَكَانُوا كَفَّارٍ وَشَوْشَا خَلَفَ حَائِطٍ وَكُنْتُ كَسِنُورٍ عَلَيْهِمْ تَسَلَّقَا
قَالَ وَهَذَا نَوْعٌ آخَرُ مِنَ الشِّعْرِ وَهِيَ الْأَشْعَارُ الَّتِي هِيَ فِي بَابِ
التَّضْدِيقِ وَالْإِفْقَاعِ . أُدْخِلَ مِنْهَا فِي بَابِ التَّخْيِيلِ وَهِيَ أَقْرَبُ إِلَى
الْمَثَالَاتِ الْخُطْبِيَّةِ مِنْهَا إِلَى الْحِكَاةِ الشِّعْرِيَّةِ وَهَذَا الْجِنْسُ الَّذِي
ذَكَرَهُ مِنَ الشِّعْرِ هُوَ كَثِيرٌ فِي شِعْرِ أَبِي الطَّيِّبِ مِثْلُ قَوْلِهِ:

لَيْسَ السَّكُّلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالسَّكُّلِ

وَقَوْلِهِ :

فِي طَلَعَةِ الشَّمْسِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ ذُحُلِ

وَمِنْ أَحْسَنِ مَا فِي هَذَا الِغْنَى قَوْلُ أَبِي فِرَاسٍ :

وَنَحْنُ أَنَا لَا تَوَسُّطَ عِنْدَنَا لَنَا الصَّدْرُ دُونَ الْعَالَمِينَ أَوْ الْقَبْرِ
تَهُونُ عَلَيْنَا فِي الْمَعَالِي نُفُوسُنَا وَمَنْ خَطَبَ الْحَسَنَاءَ لَمْ يَغْلُهُ الْمَهْرُ

(قَالَ) وَالنُّوعُ الثَّلَاثُ مِنَ الْخُحَاكَةِ هِيَ الْخُحَاكَةُ الَّتِي تَقَعُ
بِالتَّذَكُّرِ وَذَلِكَ أَنْ يُورِدَ الشَّاعِرُ شَيْئًا يُتَذَكَّرُ بِهِ شَيْءٌ آخَرُ وَمِثْلَ أَنْ
يَرَى الْإِنْسَانَ خَطَّ إِنْسَانٍ فَيَتَذَكَّرُهُ فَيُحِزَنُ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مَيِّتًا أَوْ
يَتَشَوَّقُ إِلَيْهِ إِنْ كَانَ حَيًّا وَهَذَا مُوجُودٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ كَثِيرًا
مِثْلُ قَوْلِ مُتَمِّمِ بْنِ نُوَيْرَةَ :

وَقَالُوا أَتَبْكِي كُلَّ قَبْرٍ رَأَيْتَهُ لِقَبْرِ ثَوَى بَيْنَ الْوَاوِ وَالْكَادِكِ
فَقُلْتُ لَهُمْ إِنْ الْأَمْسَى يَبْعَثُ الْأَمْسَى دَعُونِي فَهَذَا كُلُّهُ قَبْرُ مَالِكٍ
وَمِنْهُ قَوْلُ قَيْسِ الْجَنْجُونِ :

وَدَاعٍ دَعَا إِذْ نَحْنُ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
فَهَجَّ أَحْزَانُ الْفَوَادِ وَمَا يَذْرِي

دَعَا بِأَنفِهِمْ لَيْلَى غَيْرَهَا فَكَأَنَّمَا
أَطَارَ بِلَيْلَى طَائِرًا كَانَ فِي صَدْرِي

وَمِنْ هَذَا النَّوعِ قَوْلُ الْحَسَنَاءِ :

يَذَكِّرُنِي طُلُوعُ الشَّمْسِ صَحْرًا وَأَذَكُّهُ لِكُلِّ غُرُوبِ شَمْسٍ
وَقَوْلُ الْهَذَلِيِّ :

أَبَى الصَّبْرُ إِنِّي لَا يَزَالُ يَهْمِي مَيِّتٌ لَنَا فِيمَا مَضَى وَمَقِيلٌ
إِذَا مَا أَبْيَاضُ الصُّبْحِ أَنْتَ ضَوْءُهُ يُعَاوِدُنِي رَجْمٌ عَلَيَّ ثَقِيلٌ
وَهَذَا النَّوعُ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَمِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ تَذَكُّرُهَا
الْأَجَبَةُ بِالْدِّيَارِ وَالْأَظْلَالِ كَمَا قَالَ :

قَفَا نَبْكَ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ
وَيَقْرُبُ مِنْ هَذَا الْمَوْضِعِ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ مِنْ
تَذَكُّرِ الْأَجَبَةِ بِالْخَيَالِ وَإِقَامَتِهِ مُقَامَ التَّخَيُّلِ كَمَا قَالَ شَاعِرُهُمْ :
وَأِنِّي لَا أَسْتَعِشِي وَمَا بِي نَفْسَةٌ لَعَلَّ خَيَالًا وَنَبْكَ يَلْقَى خَيَالًا
وَأَخْرَجُ مِنْ بَيْنِ الْبُيُوتِ لَعَائِي أَحَدْتُ عَنْكَ النَّفْسَ فِي السَّرِّ خَالِيًا
وَتَصَرَّفُ الْعَرَبُ وَالْمُحَدِّثِينَ فِي الْخَيَالِ مُتَقَفِّينَ وَأَتَحَاءُ اسْتِعْمَالَهُمْ
لَهُ كَثِيرَةٌ وَلِذَلِكَ يُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمَوَاضِعِ الشُّعْرِيَّةِ الْخَاصَّةِ
بِالنَّسِيبِ وَقَدْ يَدْخُلُ فِي الرِّثَاءِ كَمَا قَالَ الْبُخْتَرِيُّ :

خَلَا نَاطِرِي مِنْ طَيْفِهِ بَعْدَ شَخْصِهِ قِيَا عَجَبًا لِلدَّهْرِ فَقَدْ عَلَى فَقْدِ
(قَالَ) وَأَمَّا النَّوعُ الرَّابِعُ مِنْ التَّحَاكَاةِ فَهُوَ أَنْ يُذَكَّرَ أَنَّ
شَخْصًا مَا شَبَّهَ بِشَخْصٍ مِنْ ذَلِكَ النَّوعِ بِعَيْنِهِ وَهَذَا التَّشْبِيهُ لَا
يَكُونُ إِلَّا فِي الْخَلْقِ أَوْ الْخَلْقِ مِثْلَ قَوْلِ الْقَائِلِ جَاءَ شَيْءٌ يُوسِفُ
وَلَمْ يَأْتِ إِلَّا فَلَانٌ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

وَتَعْرِفُ فِيهِ مِنْ أَبِيهِ شَمَانِلًا
وَالْتَضَرِّيحُ بِالتَّشْبِيهِ خِلَافُ التَّشْبِيهِ فَإِنَّ التَّشْبِيهِ هُوَ إِيقَاعُ شَيْءٍ
وَالْتَضَرِّيحُ بِالتَّشْبِيهِ بَيْنَ اثْنَيْنِ هُوَ تَحْقِيقُ لَوْجُودِ الشَّيْءِ وَهُوَ الْغَايَةُ فِي

مُطَابَقَةً التَّخْيِيلِ أَعْنِي إِذَا قِيلَ شَيْءٌ فَلَانٍ (قَالَ) وَالنَّوْعُ الْخَامِسُ
هُوَ الَّذِي يَسْتَعْمِلُهُ السُّوفِسْطَاثِيُونَ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَهُوَ الْغَلْوُ الْكَاذِبُ
وَهَذَا كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَالْمُحَدِّثِينَ وَمِثْلُ قَوْلِ النَّابِغَةِ :
تَقْدُ السَّلَوقِيَّ الْمُضَاعَفَ تَنْجُهُ وَتُوقِدُ بِالْصَّفَاحِ نَارَ الْخُبَايِبِ
وَقَوْلِ الْآخَرِ :

فَأَوَّلَا الرِّيحُ أَسْمَعُ مَنْ يَجْجِرُ صَلِيلَ الْبَيْضِ تُثْقِرُ بِالذُّكُورِ
وَهَذَا كُتْلُهُ كَذِبٌ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ آدِي الطَّيِّبِ :
عَدُوُّكَ مَذْمُومٌ بِكُلِّ لِسَانٍ وَلَوْ كَانَ مِنْ أَعْدَائِكَ الْقَمَرَانِ
وَقَوْلُهُ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :
لَوْ أَلْفَكَ الدَّوَّارُ أَبْغَضْتَ سَيَرَهُ لَعَوَّعُهُ شَيْءٌ عَنِ الدَّوَرَانِ
وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :
مَنْ أَلْقَا صِرَاتِ الطَّرْفِ لَوْ دَبَّ مُحُولٌ

مِنْ الذِّدِّ فَوْقَ الْإِتَابِ مِنْهَا لَا تَرَا
وَهَذَا كَثِيرٌ مَوْجُودٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَلَيْسَ تَجِدُ فِي
الْكِتَابِ الْعَزِيزِ مِنْهُ شَيْئًا إِذَا كَانَ يَتَذَلُّ مِنْ هَذَا الْجِنْسِ مِنْ
الْقَوْلِ أَعْنِي الشُّعْرَ مَثَلَهُ الْكَلَامِ السُّوفِسْطَاثِيِّ مِنَ الْبُرْهَانِ
وَلَكِنْ قَدْ يُوجَدُ لِلْمَطْبُوعِ مِنَ الشُّعْرَاءِ مِنْهُ شَيْءٌ بِمَحْمُودٍ وَمِثْلُ قَوْلِ
الْمُتَنَبِّي :

وَأَنِّي أَهْتَدَى هَذَا الرُّسُولُ بِأَرْضِهِ
وَمَا سَكَنْتَ مُذْ سِرْتَ فِيهَا الْقَسَاطِلُ

وَمِنْ آيَةِ مَاءٍ كَانَ يَسْقِي حِيَادَهُ
وَلَمْ تَصْفُ مِنْ مَرْجٍ الدِّمَاءِ أَلْمَاهِلُ

وَقَوْلُهُ :

لَيْسَنَ الْوُشْيَ لَا مُتَجَمَّلَاتٍ وَلَكِنْ كَيْ يَصُنَّ بِهِ الْجَمَالَ
وَضَفَرْنَ الْفَدَارُ لَا لِحُسْنٍ وَلَكِنْ خَفَنَ فِي الشَّعْرِ الضَّلَالَ
وَهَاهُنَا مَوْضِعٌ سَادِسٌ مَشْهُورٌ يَسْتَعْمِلُهُ الْعَرَبُ وَهُوَ إِقَامَةُ
الْجَمَادَاتِ مُقَامَ النَّاطِقِينَ فِي مُحَاطَبَتِهِمْ وَمُرَاجَعَتِهِمْ إِذَا كَانَتْ فِيهَا
أَحْوَالٌ تَدُلُّ عَلَى النُّطْقِ مِثْلُ قَوْلِ الشَّاعِرِ :

وَأَجْهَشْتُ لِلتَّوْبَادِ لَمَّا رَأَيْتُهُ وَكَبَّرَ الرَّحْمَانُ حِينَ رَأَى
فَقُلْتُ لَهُ أَيْنَ الَّذِينَ وَعَدْتُهُمْ حَوَالِيكَ فِي أَمْنٍ وَخَفَضَ زَمَانُ
فَقَالَ مَضَوْا وَاسْتَوْدَعُونِي بِلَادَهُمْ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَبْقَى عَلَى أَحَدٍ ثَانٍ
وَمِنْ هَذَا أَلْبَابِ مُحَاطَبَتِهِمُ الدِّيَارَ وَالْأَضْلَالَ وَمُجَاوَبَتِهَا لَهُمْ
كَقَوْلِ ذِي الرُّمَّةِ :

وَأَسْقِيهِ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَثْبَتُهُ تُكَلِّمُنِي أَنْجَارُهُ وَمَلَأَعْبُهُ
وَقَوْلِ عَنُتْرَةَ :

أَعْيَاكَ رَنَمَ الدَّارِ لَمْ يَتَكَلَّمْ حَتَّى تَكَلَّمَ كَأَلَا صَمِّ الْأَنْجَمِ
يَا دَارَ عَبَلَةٍ بِالْجَوَاءِ تَكَلِّمِي وَعَمِي صَبَاحًا دَارَ عَبَلَةٍ وَأَسْلَمِي
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ يَمَّا يُشِبُّ هَذَا يَمَّا هُوَ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِمْ وَقَدْ ذَكَرَ هُوَ
هَذَا الْمَوْضِعَ فِي كِتَابِ الْخُطَابَةِ وَذَكَرَ أَنَّ أُوْمَيْرُوشَ كَانَ يَغْتَمِدُهُ
كَثِيرًا (قَالَ) وَالْأَسْتِدْلَالَ الْفَاضِلُ وَالْإِدَارَةُ إِنَّمَا تَكُونُ لِلْأَفْعَالِ

الْإِرَادِيَّةُ وَكَثُرَ مَا يُوجَدُ هَذَا التَّوَعُّ مِنْ الْأَسْتِدْلَالِ فِي الْكِتَابِ
الْعَزِيزِ أَغْنَى فِي مَذْحِ الْأَفْعَالِ الْفَاعِلَةِ وَدَمِ الْأَفْعَالِ الْغَيْرِ فَاضِلَةٍ
وَهُوَ قَلِيلٌ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ. وَمِثَالُ الْإِدَارَةِ فِي الْمَذْحِ قَوْلُ
الْقُرْآنِ : ضَرَبَ اللَّهُ شَيْئًا كَلِمَةً طَيِّبَةً إِلَى قَوْلِهِ : مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ .
وَمِثَالُ الْأَسْتِدْلَالِ . قَوْلُهُ : كَيْثُلُ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ الْآيَةِ .
(قَالَ) وَاجَادَةُ الْقَصَصِ الشَّعْرِيِّ وَالْبُأُوعُ بِهِ إِلَى غَايَةِ التَّمَامِ
إِنَّمَا يَكُونُ مَتَى بَلَغَ الشَّاعِرُ مِنْ وَضْفِ الشَّيْءِ أَوْ الْقَضِيَّةِ
الْوَاقِعَةِ الَّتِي يَصِفُهَا مَبْلَغًا يُرَى السَّامِعِينَ لَهُ كَأَنَّهُ مُحْسُوسٌ وَمَنْظُورٌ
إِلَيْهِ وَيَكُونُ مَعَ هَذَا ضِدُّهُ غَيْرَ ذَاهِبٍ عَلَيْهِمْ مِنْ ذَلِكَ الْوَضْفِ
وَهَذَا يُوجَدُ كَثِيرًا فِي شِعْرِ الْفُحُولِ وَالْمُفْلِقِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ لَكِنْ إِنَّمَا
يُجَدُّ هَذَا النَّحْوُ مِنَ التَّخْيِيلِ لِلْعَرَبِ إِمَّا فِي أَفْعَالٍ غَيْرِ عَفِيفَةٍ وَإِمَّا
فِيمَا الْقَصْدُ مِنْهُ مُطَابَقَةُ التَّخْيِيلِ فَقَطْ فَمِثَالُ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي
الْفُجُورِ قَوْلُ أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهْلُهَا سَمَوْتُ حَبَابِ الْمَاءِ حَالًا عَلَى حَالِ
فَقَالَتْ سَبَّكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتُ تَرَى الشُّمَارَ وَالنَّاسَ أَحْوَالِي
فَقُلْتُ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحَ قَاعِدًا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْيِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي
وَمِثَالُ مَا وَرَدَ مِنْ ذَلِكَ بِمَا الْقَصْدُ بِهِ مُطَابَقَةُ التَّشْبِيهِ فَقَطْ
قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ يَصِفُ النَّارَ :

وَسَقَطَ كَعَيْنِ الدَّيْكَ عَاوَرَتْ ضَجْبَتِي

أَبَاهَا وَهَيَّأْنَا لِمَوْعِمِهَا وَصَرًّا

فَقُلْتُ لَهَا أَرْفَعُهَا إِلَيْكَ وَأَخِيهَا
بِرُوحِكَ وَأَقْتَنُهَا قُتَّةً قَدَرًا
وَوَظَاهِرُهَا مِنْ يَابِسِ الشَّخْتِ وَأَسْتَعِينَ

عَلَيْهَا الصَّبَا وَأَجْعَلَ يَدَيْكَ لَهَا سِتْرًا
وَقَدْ يُوجَدُ فِي أَشْعَارِهِمْ فِي وَصْفِ الْأَحْوَالِ الْوَاقِعَةِ وَمِثْلِ
الْحُرُوبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا يَتِمَّدُحُونَ بِهِ وَأَلْتَسِّي أَفْضَلُ مَنْ يُوجَدُ لَهُ
هَذَا الصَّنْفُ مِنَ التَّخْيِيلِ وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي أَشْعَارِهِ وَلِذَلِكَ يُحْكِي عَنْهُ
أَنَّهُ كَانَ لَا يُرِيدُ أَنْ يَصِفَ الْوَاقِعَ الَّذِي لَمْ يَشْهَدْهَا مَعَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ
وَإِجَادَةُ هَذَا النَّوعِ مِنَ التَّشْبِيهِ يَتَأْتِي بَأَن يَحْصُلَ لِلْإِنْسَانِ أَوَّلًا جَمِيعُ
الْمَعَانِي الَّتِي فِي الشَّيْءِ الَّذِي يَقْصِدُ وَصْفَهُ ثُمَّ يَرْكَبُ عَلَى تِلْكَ
الْمَعَانِي الْأَجْزَاءَ الثَّلَاثَةَ مِنْ أَجْزَاءِ الشَّعْرِ أَعْنِي التَّخْيِيلَ وَالْوَزْنَ
وَاللَّحْنَ (قَالَ) وَتَعْدِيدُ مَوَاضِعِ الْأَسْتِدْلَالَاتِ مِمَّا يَطُولُ وَإِنَّمَا
أَشَارَ بِذَلِكَ إِلَى كَثَرَتِهَا وَاخْتِلَافِ الْأَنْثَمِ فِيهَا (قَالَ) وَكُلُّ مَدِجٍ
يَفْنُهُ مَا فِيهِ رِبَاطٌ بَيْنَ أَجْزَائِهِ وَمِنْهُ مَا فِيهِ حَلٌّ وَيَشْبُهُ أَنْ يَكُونَ
أَقْرَبَ الْأَشْيَاءِ شَبْهًا بِالرِّبَاطِ الْمَوْجُودِ فِي أَشْعَارِهِمْ هُوَ الْجُزْءُ الَّذِي
يُسَمَّى عِنْدَنَا الْإِسْطِرَادَ وَهُوَ رِبْطُ جُزْءِ النَّسِيبِ بِإِجْمَالِهِ صَدْرُ
الْقَصِيدَةِ بِالْجُزْءِ الْمَدِيحِيِّ . وَاحْلُ تَفْصِيلُ الْجُزْأَيْنِ أَحَدَهُمَا مِنَ الْآخِرِ
أَيُّ يُوْتَقَى بِهِمَا مُفَصَّلًا . وَكَثُرَ مَا يُوجَدُ الرِّبَاطُ فِي أَشْعَارِ الْمُحَدِّثِينَ
وَذَلِكَ وَمِثْلُ قَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ:

عَامِي وَعَامِ الْعَيْسِ بَيْنَ وَدِيقَةٍ
مَسْجُورَةٍ وَتَنُوقَةٍ صَنِيدٍ

حَتَّى أَغَادِرَ كُلَّ يَوْمٍ بِالْفَلَاحِ لِلطَّيْرِ عِيدًا مِنْ بَنَاتِ الْعِيدِ
هَيَّاتِ مِنْهَا رَوْضَةً مَحْمُودَةً حَتَّى تُنَاجِيَ بِأَحْمَدِ الْحَمْدِ
وَكَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ:

مَرَّتْ بِنَا بَيْنَ تَرْبِيهَا وَقَلْتُ لَهَا
مِنْ أَيْنَ جَالَسَ هَذَا الشَّادِنُ الْعَرَبَا
فَاسْتَضْحَكَتْ ثُمَّ قَالَتْ كَأَلْفَيْثُ يُرَى
لَيْثُ الشَّرَى وَهُوَ مِنْ عَجَلٍ إِذَا انْتَسَبَا
وَأَمَّا الْحُلُّ فَهُوَ مَوْجُودٌ كَثِيرًا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ مِثْلُ قَوْلِ زُهَيْرٍ:
دَعْ ذَا وَعَدِ الْقَوْلِ فِي هَرَمٍ

(قَالَ) وَأَنْوَاعُ الْمَدَائِحِ أَرْبَعَةٌ ثَلَاثَةٌ مِنْهَا بَسِيطَةٌ وَهِيَ الَّتِي
تَقْدَمُ أَحَدُهَا الْإِدَارَةُ. وَالثَّانِي الْإِسْتِدْلَالُ. وَالثَّلَاثُ الْإِنْفَعَالُ
(قَالَ) وَمِثْلُ مَا يُقَالُ فِي أَهْلِ الْجَحِيمِ فَإِنَّ هَذِهِ مُحْزَنَةٌ مُفْرَعَةٌ.
وَالرَّابِعُ الْمَرْكَبُ مِنْ هَذِهِ إِمَّا مِنْ ثَلَاثَتِهَا وَإِمَّا مِنْ اثْنَيْنِ مِنْهَا
وَيَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ أَمْثَالَ أَنْوَاعِ هَذِهِ الْمَدَائِحِ الْأَرْبَعَةِ لِلْفِعْلِ
الْأَرَادِيِّ الْفَاعِلِ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَإِنَّمَا هِيَ مَوْجُودَةٌ
فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ كَثِيرًا (قَالَ) وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يُجِيدُ الْقَوْلَ
فِي الْقَصَائِدِ الْمَطُولَةِ وَمِنْهُمْ مَنْ يُجِيدُ الْأَشْعَارَ الْقَصَارَ وَالْقَصَائِدَ
الْقَصِيرَةَ وَهِيَ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَنَا الْقَطْعَاتِ وَالسَّبَبُ فِي ذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا
كَانَ الشَّاعِرُ الْحَمِيدُ هُوَ الَّذِي يَصِفُ كُلَّ شَيْءٍ بِمَجَازِهِ وَعَلَى كُنْهِهِ
وَكَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ تَخْتَلِفُ بِالْكَثْرَةِ وَالْقِلَّةِ فِي شَيْءٍ مِنْ

الْأَشْيَاءُ الْمَوْضُوعَةُ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ التَّخْيِيلُ الْفَاضِلُ هُوَ الَّذِي لَا
 يَجَاوِزُ خَوَاصَ الشَّيْءِ وَلَا حَقِيقَتَهَا فَمَنْ النَّاسُ مَنْ لَقَدْ اعْتَادَ أَوْ مَنْ
 فِطْرَتُهُ مُعَدَّةٌ نَحْوُ تَخْيِيلِ الْأَشْيَاءِ الْقَلِيلَةِ الْخَوَاصِ فَهَؤُلَاءِ تَجُودُ
 أَشْعَارُهُمْ فِي الْمَقْطَعَاتِ وَلَا تَجُودُ فِي الْقَصَائِدِ وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ هُوَ
 عَلَى ضِدِّ هَؤُلَاءِ وَهُمْ الْمُقَصِّدُونَ كَمَا لَمْتَنِي وَحَبِيبُ وَهُمْ الَّذِينَ
 اعْتَادُوا الْقَوْلَ فِي الْأَشْيَاءِ الْكَثِيرَةِ الْخَوَاصِ أَوْ هُمْ بِفِطْرَتِهِمْ مُعَدُّونَ
 لِحَاكَمَاتِهَا أَوْ اجْتَمَعَ لَهُمُ الْأَمْرَانِ جَمِيعًا (قَالَ) وَمِنْ التَّخْيِيلَاتِ وَالْعَلَامِي
 مَا يُنَاسِبُ الْأَوْزَانَ الطَّوِيلَةَ وَمِنْهَا مَا يُنَاسِبُ الْقَصِيرَةَ وَرَبَّمَا كَانَ
 الْأَوْنُ مُنَاسِبًا لِلْمَعْنَى غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِلتَّخْيِيلِ وَرَبَّمَا كَانَ الْأَمْرُ
 بِالْعَكْسِ وَرَبَّمَا كَانَ غَيْرَ مُنَاسِبٍ لِكِلَيْهِمَا وَامِثْلُهُ هَذِهِ مِمَّا يَغْسُرُ
 وَجُودُهَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ أَوْ تَكُونُ غَيْرَ مَوْجُودَةٍ فِيهَا إِذَا
 أَعَارِضُهُمْ قَلِيلَةُ الْقَدْرِ (قَالَ) وَقَدْ يُضَافُ إِلَى الْأَشْيَاءِ الَّتِي بِهَا قَوَامُ
 الْأَشْعَارِ أُمُورٌ مِنْ خَارِجٍ وَهِيَ الْهَيْئَاتُ الَّتِي تَكُونُ فِي صَوْتِ الشَّاعِرِ
 وَصُورَتِهِ عَلَى مَا تَقَدَّمَ وَكَثُرَ مَا تَوَجَّدَ هَذِهِ مِنَ الشُّعْرَاءِ الْمُسْتَعْمِلِينَ
 لَهَا فِي الْأَشْعَارِ الْإِنْفِعَالِيَّةِ مِثْلُ الَّتِي تُقَالُ فِي أَهْلِ الْجَحِيمِ وَغَيْرِهِمْ
 وَلَمَّا كُنَّا قَدْ قُلْنَا فِي الْأَشْيَاءِ الَّتِي تَتَقَوَّمُ بِهَا الْأَشْعَارُ الَّتِي هِيَ
 أَجْزَاؤُهَا بِالْحَقِيقَةِ فَقَدْ يَنْبَغِي أَنْ نَقُولَ فِي هَذِهِ أَيْضًا فَقُولُ: إِنَّ هَذِهِ
 الْأَفْعَالُ بِأَجْمَلَةٍ هِيَ الَّتِي تَدُلُّ عَلَيْهَا الْأَقْوَالُ الَّتِي تُسَمَّى الْإِنْفِعَالِيَّةِ
 وَلِذَلِكَ يَنْبَغِي إِذَا اسْتَعْمِلْتَ هَذِهِ أَنْ تُسْتَعْمَلَ مَعَ هَذِهِ الْأَقَاوِيلِ. وَذَلِكَ
 أَنَّ هَذِهِ تُرِي الْإِنْفِعَالَ الَّذِي يُقْصَدُ بِالْقَوْلِ تَثْبِيتهُ كَأَنَّهُ قَدْ وَقَعَ

وَأَسْتَيْقِنَ. وَقَدْ تَقَدَّمَ لَكَ فِي كِتَابِ الْخَطَايَةِ الْأَقَاوِيلُ الْإِنْفَعَالِيَّةُ الْخَطِيئَةُ
وَضُرُوبُ الْإِنْفَعَالَاتِ الَّتِي تَفْعَلُهَا هَذِهِ الْأَقَاوِيلُ وَلِذَلِكَ كَانَتْ هَذِهِ
الْأَفْعَالُ أَحْصَى بِكِتَابِ الْخَطَايَةِ وَنَهَا بِكِتَابِ الشُّعْرِ. وَالْإِنْفَعَالَاتِ الَّتِي
تَثَبَّتْ بِالْقَوْلِ الْخَطِيئَةِ أَوْ الشُّعْرِ هِيَ الْخَوْفُ وَالغَضَبُ وَالرَّحْمَةُ وَالتَّعْظِيمُ
وَسَائِرُ الْأَشْيَاءِ الَّتِي عُدَّتْ فِي كِتَابِ الْخَطَايَةِ. وَهُوَ ظَاهِرٌ أَنَّهُ كَمَا أَنَّ
هَآ هُنَا أَقْوَالًا تُوجِبُ هَذِهِ الْإِنْفَعَالَاتِ كَذَلِكَ هَآ هُهَا هَيْئَاتُ وَأَشْكَالُ
تَدُلُّ مِنْ أَمْتِكَلِمٍ عَلَى حُضُورِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي تُوجِبُ هَذِهِ الْإِنْفَعَالَاتِ
وَأَنَّهَا قَدْ وَقَعَتْ لَوْ قُوعِ الْأَشْيَاءِ أَفْعَاءٌ لَهَا فَيَفْعَلُ لِذَلِكَ النَّاطِرُ هَآ فَهَذِهِ
الصُّورُ وَالْهَيْئَاتُ إِنَّمَا يَتَّبِعِي أَنْ تُسْتَعْمَلَ فِي الشُّعْرِ إِنْ أُسْتُعْمِلَتْ مَعَ
الْأَقَاوِيلِ الْإِنْفَعَالِيَّةِ الشُّعْرِيَّةِ وَذَلِكَ إِمَّا فِي التَّعْظِيمِ وَإِمَّا فِي التَّضْغِيرِ
وَإِمَّا فِي الْأَشْيَاءِ الْعُزْزَةِ الْخَوْفَةِ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ هِيَ الَّتِي
تُسْتَعْمَلُ صِنَاعَةُ الْمَدِيحِ وَنَ الْأَقَاوِيلِ الْإِنْفَعَالِيَّةِ عَلَى مَا سَلَفَ. وَإِنَّمَا
تُسْتَعْمَلُ هَذِهِ مَعَ الْأَقَاوِيلِ الْإِنْفَعَالِيَّةِ الَّتِي لَيْسَتْ صَادِقَةً أَعْنِي الَّتِي
لَيْسَتْ هِيَ ظَاهِرَةٌ الْخَيْلِ. وَإِنَّمَا الْأَقَاوِيلُ الْإِنْفَعَالِيَّةِ الَّتِي هِيَ ظَاهِرَةٌ
الْخَيْلِ وَنَاسِبَةٌ لِلْفَرَضِ الْمَقُولِ فِيهِ وَهِيَ حَقٌّ فَلَيْسَ يُحْتَاجُ أَنْ تُسْتَعْمَلَ
فِيهَا هَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي مِنْ خَارِجٍ فَإِنَّهَا تُهْجَنُ إِذْ كَانَتْ هَذِهِ إِنَّمَا تُسْتَعْمَلُ
فِي الْأَقَاوِيلِ الَّتِي تَضَعُفُ أَنْ تَفْعَلَ. أَقْصِدْ بِهَا إِلَّا بِاقْتِرَابِ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ
بِهَا وَهِيَ الْأَقَاوِيلُ الشُّعْرِيَّةُ فَإِنَّ الْقَائِلَ مِنَ الْفَقْهَاءِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ
النَّاصِرِ يَحْضُرُ الْمَلِكُ مِنْ أَهْلِ قُرُطْبَةَ يُحَرِّضُهُ عَلَى حَسَدَايَ الْيَهُودِيِّ:
إِنَّ الَّذِي شَرَفْتَ مِنْ أَجْلِهِ يَزْعُمُ هَذَا إِنَّهُ كَاذِبٌ

لَمْ يَخْتَجِ فِي إِغْضَابِ النَّاصِرِ عَلَيْهِ إِلَى أَكْثَرِ مِنْ هَذَا الْقَوْلِ وَإِنْ
كَانَ لَمْ يُخْرَجْ عَنْ سِتِّهِ وَهَيْئَتِهِ لِكُونَ هَذَا الْقَوْلِ حَقًّا فَلِذَلِكَ لَا
يَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ أَنْ يَسْتَعْمِلَهَا إِذَا كَانَتْ لَيْسَتْ إِنَّمَا هِيَ فَضْلٌ فَقَطْ بَلْ
وَقَدْ تَهَيَّنُ الْقَوْلُ وَالْقَائِلُ إِذَا كَانَ بِالسَّنَةِ وَالْوَقَارِ (قَالَ) وَقَدْ
يَكْتَفِي الشَّاعِرُ مِنْ هَذِهِ بِاسْتِعْمَالِ الْأَشْكَالِ الْخَاصَّةِ بِصَنْفٍ عِنْفٍ
مِنْ أَصْنَافِ الْأَقَاوِيلِ وَذَلِكَ إِذَا اضْطُرَّ إِلَى ذَلِكَ مَعَ الَّذِينَ
يَسْتَعْمِلُونَ الْأَخَذَ بِالْوُجُوهِ . وَاعْنِي بِأَشْكَالِ الْقَوْلِ شَكْلَ الْخَبَرِ
وَشَكْلَ السُّؤَالِ وَشَكْلَ الْأَمْرِ وَشَكْلَ التَّضَرُّعِ وَذَلِكَ أَنَّ
شَكْلَ الْخَبَرِ غَيْرُ شَكْلِ السَّأْلِ وَشَكْلُ الْأَمْرِ غَيْرُ شَكْلِ
الطَّلَابِ أَوْ الْمُتَضَرِّعِ فَالشَّاعِرُ قَدْ يَكْتَفِي بِأَشْكَالِ الْأَقَاوِيلِ عَنْ
سَائِرِ الْأَشْيَاءِ الَّتِي مِنْ خَارِجِهَا فَإِنَّ تِلْكَ إِذَا كَانَ مِنْ شَأْنِهَا تَهَيُّنُ
الْأَقَاوِيلِ الشَّعْرِيَّةِ فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَنْ تَجْعَلَ جُزْءًا مِنْ صِنَاعَةِ الشَّعْرِ
وَأِنَّمَا يَنْبَغِي أَنْ تَجْعَلَ جُزْءًا مِنْ صِنَاعَةِ أُخْرَى

البحث السابع

في اسطقات الاقاويل الشعرية

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) وَالْأَسْمَاءُ صِنْفَانِ إِمَّا بَسِيطٌ وَهُوَ الَّذِي لَيْسَ هُوَ
مُرَكَّبًا مِنْ أَسْمَاءٍ تَدُلُّ وَإِمَّا مُضَاعَفٌ وَهُوَ الَّذِي يُرَكَّبُ مِنْ أَسْمَاءٍ
تَدُلُّ وَإِنْ كَانَ مِنْ حَيْثُ يُقْصَدُ بِهِ تَسْمِيَةُ شَيْءٍ وَاحِدٍ لَا

تَدُلُّ تِلْكَ الْأَنِمَاءَ الَّتِي رُكِبَ مِنْهَا مِثْلُ عَبْدِ شَمْسٍ وَعَبْدِ الْقَيْسِ
 (قَالَ) وَكُلُّ أُنْمٍ فَهُوَ أَمَا حَقِيقِيٌّ وَأَمَا دَخِيلٌ فِي اللِّسَانِ
 وَأَمَا مَنْقُولٌ نَادِرٌ أَلَا سَتَعْمَالٍ وَأَمَا مُزَيْنٌ وَأَمَا مَعْمُولٌ وَأَمَا مَعْقُولٌ
 وَأَمَا مُفَارِقٌ وَأَمَا مُغَيَّرٌ. فَالْحَقِيقِيُّ هُوَ الْأُنْمُ الَّذِي يَكُونُ خَاصًّا
 بِأُمَّةٍ أُمَّةٍ وَالْدَّخِيلُ هُوَ الَّذِي يَكُونُ لِأُمَّةٍ أُخْرَى فَيُدْخِلُهُ
 الشَّاعِرُ فِي شِعْرِهِ وَذَلِكَ مِثْلُ الْإِسْتَبْرَقِ وَالْإِشْكَاةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنْ
 الْأَنِمَاءِ الْأَنْجُمِيَّةِ الدَّخِيلَةِ فِي لِسَانِ **١** أَمَا الْأُنْمُ النَّادِرُ
 الْمَنْقُولُ فَهُوَ نَقْلُ أُنْمٍ غَرِيبٍ أَمَا مِنَ النَّوعِ إِلَى الْجِنْسِ وَمِثْلُ
 تَسْمِيَةِ الْقَتْلِ مَوْتًا وَأَمَا مِنَ الْجِنْسِ إِلَى النَّوعِ مِثْلُ تَسْمِيَةِ الثَّقَلَةِ
 حَرْكَةً وَأَمَا مِنْ نَوْعٍ إِلَى نَوْعٍ آخَرَ مِثْلُ تَسْمِيَةِ الْحَيَاةِ سَرَقَةً
 وَأَمَا أَنْ يُنْقَلَ شَيْءٌ مَنْسُوبٌ إِلَى ثَانٍ إِلَى شَيْءٍ ثَالِثٍ مَنْسُوبٌ إِلَى
 رَابِعٍ مِثْلُ نِسْبَةِ الْأَوَّلِ إِلَى الثَّانِي مِثْلَ مَا كَانَ يُسَمَّى بَعْضُ
 الْقَدَمَاءِ الشَّيْخُوخَةَ عَشِيَّةَ الْعُمْرِ وَيُسَمَّى الْعَشِيَّةُ شَيْخُوخَةَ النَّهَارِ وَذَلِكَ
 أَنَّ نِسْبَةَ الشَّيْخُوخَةِ إِلَى الْعُمْرِ نِسْبَةُ الْعَشِيَّةِ إِلَى النَّهَارِ وَأَمَا
 الْأُنْمُ الْمَعْمُولُ الْمُرْتَجَلُ فَهُوَ الْأُنْمُ الَّذِي يُخْتَرَعُ الشَّاعِرُ اخْتِرَاعًا
 وَيَكُونُ هُوَ أَوَّلَ مَنْ اسْتَعْمَلَهُ وَهَذَا غَيْرُ مَوْجُودٍ فِي أَشْعَارِ
 الْعَرَبِ وَإِنَّمَا يُوجَدُ ذَلِكَ فِي الصَّنَائِعِ النَّاشِئَةِ وَكَثُرَ مَا فِي الصَّنَائِعِ
 هُوَ مَنْقُولٌ لَا مَعْمُولٌ مُخْتَرَعٌ وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُخْتَرِعُونَ مِنَ الشُّعْرَاءِ
 عَلَى طَرِيقِ الْأَسْتِعَارَةِ أَعْنِي الْمَنْقُولَ إِلَى الصَّنَائِعِ مِثْلُ قَوْلِ أَبِي
 الطَّيِّبِ:

إِذَا كَانَ مَا تَنْوِيهِ فِعْلًا مُضَارِعًا

مَضَى قَبْلَ أَنْ تُتْلَى عَلَيْهِ الْجَوَائِمُ

وَرَبَّمَا اسْتَعْمَلُوا تَضْرِيْفًا لَمْ يُسْتَعْمَلْ قَبْلُ مِثْلُ قَوْلِهِ :

تَفَاوَحَ مِنْكَ الْغَايَاتِ وَرَنَدَهُ

وَأَمَّا الْفَارَقُ وَالْمَعْقُولُ فَلَيْسَ يُوجَدَانِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ . وَالْمَزِيَّةُ

هِيَ أَسْمَاءُ كَانَتْ تُجْعَلُ بَعْضُ أَجْزَائِهَا تَعْمًا قَدَرَيْنِ بِهَا وَقَدْ قِيلَ

أَنَّهُ يَعْنِي بِالْفَارَقِ الْأَسْمَاءُ الْمُغْيِرَةُ بِالزِّيَادَةِ فِيهَا وَالتَّقْصَانِ مِنْهَا

وَالْحَذْفِ أَوْ الْقَلْبِ وَقِيلَ بَلْ يَعْنِي بِذَلِكَ الْأَسْمَاءُ الَّتِي يَغْسُرُ النُّطْقُ

بِهَا وَظَاهِرُ كَلَامِهِ أَنَّهُ أَسْمُ كَانَ يُؤَلَّفُ عِنْدَهُمْ مِنْ مَقَاطِعَ مُحْدَوْدَةٍ

وَالْإِسْمُ الْمَعْقُولُ فَإِنَّهُ فِيهَا أَحْسِبُ الَّذِي سَمَاهُ الْمُخْتَلَفَ وَظَاهِرُ

كَلَامِهِ أَنَّهُ الْإِسْمُ الْمُحْدَوْفُ بِالتَّقْصَانِ مِثْلُ الْأَسْمَاءِ الْمُرَحَّمَةِ عِنْدَنَا

وَأَمَّا الْمُغْيِرَةُ فَهِيَ الْمُسْتَعَارَةُ الَّتِي تُسْتَعَارُ إِمَّا مِنْ الشَّيْءِ مِثْلُ تَسْمِيَتِهِمْ

الْكُوكَبَ نَسْرًا وَإِمَّا مِنْ الضَّيْدِ مِثْلُ تَسْمِيَتِهِمْ الشَّمْسَ جَوْنَةً وَإِمَّا

مِنْ اللَّازِمِ . مِثْلُ تَسْمِيَتِهِمْ الشَّحْمَ نَدًا وَالْمَطَرَ سَمَاءً (قَالَ) وَأَفْضَلُ

الْقَوْلِ فِي التَّفْهِيمِ إِنَّمَا هُوَ الْقَوْلُ الْمَشْهُورُ الْمُبْتَدَلُ الَّذِي لَا يُخْفَى

عَلَى أَحَدٍ وَهَذِهِ الْأَقَاوِيلُ إِنَّمَا تَوَلَّفَ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمَشْهُورَةِ

الْمُبْتَدَلَةِ وَهِيَ الَّتِي سَمَاهَا فِي مَا قَبْلُ الْحَقِيقَةَ وَتُسَمَّى الْمُسْتَوَلِيَّةَ

وَالْأَهْلِيَّةَ (قَالَ) وَذَلِكَ مِثْلُ شَعْرِ فُلَانٍ وَفُلَانٍ لِقَوْمٍ مَشْهُورِينَ

عِنْدَهُمْ . وَيَتَّبِعِي أَنْ نَتَقَدَّ مِنْ الْقَالِبِ عَلَى أَشْعَارِهِ هَذَا النُّوعُ مِنْ

الْأَلْفَاظِ مِنْ شُعْرَاءِ الْعَرَبِ (قَالَ) وَالْأَقَاوِيلُ الْعَفِيفَةُ الْمَدِيحَةُ

فَهِىَ الْأَقَاوِيلُ الَّتِي تُؤَلَّفُ مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُبْتَدَلَةِ وَمِنَ الْأَسْمَاءِ
الْأُخْرَى أَعْنِي الْمُنْقُولَةَ الْقَرِيبَةَ الْمُعْدَرَةَ وَاللُّغَوِيَّةَ لِأَنَّهُ مَتَى تَرَى
الشَّعْرَ كُنْهُ مِنَ الْأَلْفَاظِ الْحَقِيقَةِ الْمُسْتَوَلِيَةِ كَانَ رَمَازًا وَلَفْزًا
وَلِذَلِكَ كَانَتْ الْأَلْفَاظُ وَالرُّمُوزُ هِيَ الَّتِي تُؤَلَّفُ مِنَ الْأَسْمَاءِ
الْقَرِيبَةِ أَعْنِي بِالْقَرِيبَةِ الْمُنْقُولِ الْمُسْتَعَارِ وَالْمُشْتَرَكِ وَاللُّغَوِيِّ. وَالرَّمْزُ
وَاللَّفْزُ هُوَ الْقَوْلُ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى مَعَانٍ لَا يُمَكِّنُ أَوْ يَغْسُرُ
اتِّصَالَ نِكَالِ الْمَعَانِي الَّتِي يَشْتَمِلُ عَلَيْهَا بَعْضًا بِبَعْضٍ حَتَّى يُطَابِقَ
بِذَلِكَ أَحَدَ الْمَوْجُودَاتِ. وَيَكُونُ إِمَّا بِحَسَبِ الْأَلْفَاظِ الْمَشْهُورَةِ
فَإِذَا اتَّصَلَ تِلْكَ الْمَعَانِي بِبَعْضِهَا بِبَعْضٍ غَيْرُ مُمَكِّنٍ وَإِمَّا بِحَسَبِ
الْأَلْفَاظِ الْغَيْرِ الْمَشْهُورَةِ فَمَكِّنٌ وَذَلِكَ كَثِيرٌ فِي شَعْرِ ذِي الرِّمَّةِ
مِنْ شُعْرَاءِ الْعَرَبِ. وَفَضِيلَةُ الْقَوْلِ الشَّعْرِيِّ الْعَفِيفِيِّ أَنْ يَكُونَ مُؤَلَّفًا
مِنَ الْأَسْمَاءِ الْمُسْتَوَلِيَةِ مِنْ تِلْكَ الْأَنْوَاعِ الْأُخْرَى وَأَنْ يَكُونَ الشَّاعِرُ
حَيْثُ يُرِيدُ الْإِيضَاحَ يَأْتِي بِالْأَسْمَاءِ الْمُسْتَوَلِيَةِ وَحَيْثُ يُرِيدُ التَّجْبُّ
وَالْإِلْدَازَ يَأْتِي بِالْصَّنْفِ الْأُخْرَى مِنَ الْأَسْمَاءِ وَلِذَلِكَ قَدْ يُتَضَاحَكُ
بَيْنَ يُرِيدُ الْإِيضَاحَ فَيَأْتِي بِالْأَسْمَاءِ الْمَشْتَرَكَةِ أَوْ الْقَرِيبَةِ أَوْ الْأَنْسَنِ
أَوْ الْمَعْمُولَاتِ وَيُتَضَاحَكُ أَيْضًا بَيْنَ يُرِيدُ التَّجْبُّ وَالْإِلْدَازَ فَيَأْتِي
بِالْأَسْمَاءِ الْمُبْتَدَلَةِ وَكَانَ الشَّاعِرُ يُجِبُّ لَهُ الْأَيْفَرُطُ فِي اسْتِعْمَالِ
الْأَسْمَاءِ الْغَيْرِ الْمُسْتَوَلِيَةِ فَيَخْرُجُ إِلَى حَدِّ الرَّمْزِ وَلَا أَيْضًا يُفَرِّطُ
فِي الْأَسْمَاءِ الْمُسْتَوَلِيَةِ فَيَخْرُجُ عَنْ طَرِيقَةِ الشَّعْرِ إِلَى الْكَلَامِ
الْمُعَارَفِ (قَالَ) وَإِمَّا مُوَافَقَةُ الْأَلْفَاظِ بَعْضُهَا لِبَعْضٍ فِي الْقَدَارِ

وَمَعَادِلُ الْمَعَانِي بَعْضُهَا لِبَعْضٍ وَمُؤَادِنَتُهَا فَأَمْرٌ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ
عَامًّا وَمُشْتَرَكًا لِجَمِيعِ الْأَلْفَافِ الَّتِي هِيَ أَجْزَاءُ الْقَوْلِ الشِّعْرِيِّ
وَذَلِكَ أَنَّا نَجِدُ الشُّعْرَاءَ وَإِنْ اسْتَعْمَلُوا الْأَلْفَافَ الْحَقِيقِيَّةَ فِي الْمَوَاضِعِ
الَّتِي يَهْزَأُ بِهَا فِي اسْتِعْمَالِهِمْ إِلَيْهَا لَيْسَ يَخْلُو شِعْرُهُمْ مِنْ هَذَيْنِ
الْأَمْرَيْنِ أَعْنِي مِنَ الْمُؤَادِنَةِ وَالْمُوَافَقَةِ فِي الْقَدَارِ وَلَكِنْ كَانَ
هَذَا عَامًّا لِجَمِيعِ أَنْوَاعِ الشُّعْرِ. وَأَمَّا الْأَشْعَارُ الَّتِي تَأْتِلُفُ مِنَ الْأَسْمَاءِ
الْمُخْتَلَفَةِ فَوُجُودُ هَذَا الْمَعْنَى فِيهَا آيِنٌ وَمُوَافَقَةُ الْأَلْفَافِ الَّتِي ذَكَرَ فِي
الْقَدَارِ هِيَ مُقَارَنَةُ بَعْضِهَا لِبَعْضٍ فِي عَدَدِ الْحُرُوفِ وَإِنْ رَافَقَتْ
مَعَ هَذَا فِي كُلِّ اللَّفْظِ أَوْ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ فَهُوَ الَّذِي يُعْرَفُ
بِالْمُطَابَقَةِ وَالْجَانَسَةِ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِنَا. وَالْمُوَافَقَةُ اخْتِلافٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ
لَا يَخْلُو الْمُوَافَقَةُ أَنْ تَكُونَ فِي كُلِّ اللَّفْظِ وَكُلِّ الْمَعْنَى وَهَذَا مِثْلُ
قَوْلِ الشَّاعِرِ :

لَا أَرَى الْمَوْتَ يَسْبِقُ الْمَوْتَ شَيْءٌ

وَمِثْلُ قَوْلِهِمْ طَوِيلُ الْحَيَاةِ طَوِيلُ الْعِمَادِ. أَوْ أَنْ تَكُونَ فِي
بَعْضِ اللَّفْظِ وَبَعْضِ الْمَعْنَى أَوْ أَنْ تَكُونَ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ وَكُلِّ الْمَعْنَى
أَوْ تَكُونَ فِي كُلِّ اللَّفْظِ وَبَعْضِ الْمَعْنَى أَوْ تَكُونَ فِي كُلِّ
الْلَفْظِ فَقَطْ أَوْ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ فَقَطْ أَوْ تَكُونَ فِي كُلِّ الْمَعْنَى
فَقَطْ أَوْ فِي بَعْضِ الْمَعْنَى فَفِثَالُ الْمُوَافَقَةِ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ
وَبَعْضِ الْمَعْنَى الْأَسْمَاءِ الْمُسْتَقَّةِ وَنُ تَصْرِيفٍ وَاحِدٍ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ
الْمُتَنَبِّي :

عَلَى قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِي الْعَزَامُ
وَتَأْتِي عَلَى قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ
وَمِثَالُ الْمُوَاقَفَةِ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ وَكُلِّ الْمَعْنَى قَوْلُهُمْ دِرْهَمُ
ضَرْبِ الْأَمِيرِ وَمَضْرُوبُ الْأَمِيرِ. وَمِثَالُ عَكْسِ هَذَا أَنْعِي فِي كُلِّ
الْلَفْظِ وَبَعْضِ الْمَعْنَى الْأَسْمَاءُ الْمُسْكِكَةُ وَالشَّعْرَاءُ يَسْتَعْمِلُونَهَا كَثِيرًا
وَمِثَالُ الْمُوَاقَفَةِ فِي كُلِّ اللَّفْظِ فَقَطُّ الْأَسْمَاءُ الْمُسْتَرَكَّةُ مِثْلُ قَوْلِ
الْمَعْرِيِّ :

مَعَانٍ مِنْ أَحِبَّتِنَا مَعَانٍ

وَمِثْلُ قَوْلِهِ :

فَرَنْدُكَ مُعْتَالٌ وَطَرْفُكَ مُعْتَالٌ

وَمِثَالُ الْمُتَّفِقَةِ فِي بَعْضِ اللَّفْظِ فَقَطُّ قَوْلُ حَبِيبٍ :

مَا أَنْتَ عَنْ ذُهْلِيَّةٍ بِذَاهِلٍ

وَقَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ :

أَقْلَبُ الطَّرْفَ بَيْنَ الْخَيْلِ وَالْخَوْلِ

وَهَذَا كُلُّهُ فِي أَمْعَا الْعَرَبِ مِثْلُ الضَّرْبِ وَالضَّرْبِ وَالْحَمْلِ
وَالْحَمْلِ وَاشْرَقَتِ الشَّمْسُ وَشَرَقَتْ. وَمِثَالُ الْمُوَاقَفَةِ فِي كُلِّ الْمَعْنَى
فَقَطُّ الْأَسْمَاءُ الْمُتَرَادِفَةُ مِثْلُ قَوْلِهِ أَقْوَى وَأَقْفَر. وَمِثَالُ الْمُتَّفِقَةِ فِي
بَعْضِ الْمَعْنَى فَقَطُّ الْأَسْمَاءُ الْمُخْتَلِفَةُ الَّتِي تُدَلُّ مِنْ الشَّيْءِ الْوَاحِدِ
عَلَى جِهَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِثْلَ الصَّارِمِ وَالذَّكْرِ. وَالْقَوَا فِي عِنْدَ الْعَرَبِ
هِيَ مُوَاقَفَةٌ فِي الْمِقْدَارِ وَفِي بَعْضِ اللَّفْظِ وَذَلِكَ إِمَّا فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ

وَهُوَ الْآخِرُ وَامَّا فِي حَرْفَيْنِ وَهُوَ الَّذِي يُعْرِفُهُ الْمُحَدِّثُونَ بِاللُّزُومِ وَامَّا
الْمُوازَنَةُ فِي اجْزَاءِ اقْوَالٍ فَهِيَ عَلَى اَنْحَاءٍ اَرْبَعَةٌ اَحَدُهَا اَنْ يَأْتِيَ
الشَّاعِرُ بِالشَّيْءِ وَشَبِيهِهِ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ اَوْ يَأْتِيَ بِالْاَضْدَادِ مِثْلَ
اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ اَوْ يَأْتِيَ بِالشَّيْءِ وَمَا يُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ الْقَوْسِ
وَالسَّهْمِ وَالْفَرَسِ وَاللِّجَامِ اَوْ يَأْتِيَ بِالْاَشْيَاءِ الْمُنَاسِبَةِ مِثْلُ اَللَّيْلِ
وَالْاِلَهِ وَهَذِهِ الْمُنَاسِبَةُ اِنَّمَا تُؤْخَذُ مِنْ اَرْبَعَةِ اَشْيَاءَ. وَفِي هَذَا الْبَابِ
عِيبٌ عَلَى الْكُمَيْتِ:

تَكَامَلَ فِيهِ الدَّلُّ وَالشَّنْبُ

لَاَنَّ الدَّلَّ غَيْرُ شَيْءٍ بِالشَّنْبِ. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ قَالَ بَعْضُهُمْ
فِي قَوْلِ اَمْرِئِ الْقَيْسِ:

كَأَنِّي لَمْ اَزْكَبْ جَوَادًا لِلدَّيَّةِ وَلَمْ اَتَعْرِفْ كَايِبًا ذَاتَ خُلْطَالٍ
وَلَمْ اَسْبِ اِلْتِقَ الرُّوْيَ وَلَمْ اَقُلْ لِحَيْلِي كُرْبِي كَرَّةً بَعْدَ اِحْقَالٍ
اِنَّهُ غَيْرُ مُنَاسِبٍ وَاِنَّ التَّنَاسُبَ فِيهِ هُوَ عَكْسُ مَا فَعَلَ اَعْنِي
اَنْ يَكُونَ صَدْرُ الْبَيْتِ الْاَوَّلِ صَدْرُ الثَّانِي وَصَدْرُ الثَّانِي صَدْرُ
الْاَوَّلِ وَمِثْلُ هَذَا قِيلَ فِي قَوْلِ اَبِي الطَّيِّبِ:

وَقَفْتَ وَمَا فِي الْمَوْتِ شَكٌّ لِوَاقِفٍ

كَأَنَّكَ فِي جَفْنِ الرَّدَى وَهُوَ نَائِمٌ

تَمُرُّ بِكَ الْاَبْطَالُ كَلَمَى هَزِيمَةً

وَوَجْهَكَ وَضَاحٌ وَتَغْرُكَ بَايِمٌ

اِنَّ التَّنَاسُبَ فِيهِ اَنْ يَكُونَ صَدْرُ الْبَيْتِ الْاَوَّلِ لِلثَّانِي وَصَدْرُ

الثَّانِي لِلدَّوْلِ وَمَا قَالَهُ أَبُو الطَّيِّبِ لَهُ وَجْهٌ مِنَ التَّنَاسُبِ وَكَذَلِكَ مَا
قَالَهُ أَمْرُوهُ الْقَيْسِ (قَالَ) وَالْقَوْلُ إِنَّمَا يَكُونُ مُخْتَلِفًا أَيْ مُغَيَّرًا عَنْ
الْقَوْلِ الْحَقِيقِيِّ مِنْ حَيْثُ تُوضَعُ فِيهِ الْأَسْمَاءُ مُتَوَافِقَةً فِي الْمَوَازِنَةِ
وَالْمُقَدَّارِ وَإِلَّا لَأَسْمَاءُ الْغَرِيبَةِ وَبَغْيَرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ التَّغْيِيرِ. وَقَدْ
يُسْتَدَلُّ عَلَى أَنَّ الْقَوْلَ الشِّعْرِيَّ هُوَ الْمَغْيَرُ أَنَّهُ إِذَا غُيِّرَ الْقَوْلُ
الْحَقِيقِيُّ سُمِّيَ شِعْرًا أَوْ قَوْلًا شِعْرِيًّا وَوُجِدَ لَهُ فِعْلٌ الشِّعْرِ مِثَالُ ذَلِكَ
قَوْلُ الْقَائِلِ:

وَلَمَّا قَضَيْنَا مِنْ مَنَى كُلِّ حَاجَةٍ وَمَسَّحَ بِالْأَرْكَانِ مَنْ هُوَ مَاسِحٌ
أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَغْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
إِنَّمَا صَارَ شِعْرًا مِنْ قَبْلِ أَنَّهُ اسْتَعْمَلَ قَوْلُهُ:

أَخَذْنَا بِأَطْرَافِ الْأَحَادِيثِ بَيْنَنَا وَسَالَتْ بِأَغْنَاقِ الْمَطِيِّ الْأَبَاطِحُ
بَدَلَ قَوْلِهِ تَحَدَّثْنَا وَمَشَيْنَا وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ:

بَعِيدَةٌ مَهْوَى الْقُرْطِ

إِنَّمَا صَارَ شِعْرًا لِأَنَّهُ اسْتَعْمَلَ هَذَا الْقَوْلَ بَدَلَ قَوْلِهِ طَوِيلَةٌ
الْفُتُوحِ وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْآخَرِ:

يَا دَارُ أَيْنَ ظَبَاوُكِ الْلُغْسُ قَدْ كَانَ لِي فِي إِنْسِهَا أَنْسُ
إِنَّمَا صَارَ شِعْرًا لِأَنَّهُ أَقَامَ الدَّارَ مُقَامَ النَّاطِقِ مُخَاطِبَتِهَا وَأَبْدَلَ
كَلِمَةَ الْإِنْسَاءِ بِالظَّبَاءِ وَآتَى بِمُوَافَقَةِ الْإِنْسِ وَالْأَنْسِ فِي اللَّفْظِ وَأَنْتَ
إِذَا تَأَمَّلْتَ الْأَشْعَارَ الْحُرُوكَةَ وَجَدْتَهَا بِهَذِهِ الْحَالِ. وَمَا عَدَاهُ
التَّغْيِيرَاتِ فَلَيْسَ فِيهِ مِنْ مَعْنَى الشِّعْرِيَّةِ إِلَّا الْأَوْزُنُ فَقَطْ وَالتَّغْيِيرَاتُ

تَكُونُ بِالْمَوَازَنَةِ وَالْمُدَاقَعَةِ وَالْإِبْدَالِ وَالشَّيْبِ وَبِالْجُمْلَةِ بِإِخْرَاجِ الْقَوْلِ
غَيْرِ مُخْرِجِ الْعَادَةِ مِثْلُ الْقَلْبِ وَالْحَذْفِ وَالزِّيَادَةِ وَالنَّقْصَانِ وَالتَّقْدِيمِ
وَالتَّأْخِيرِ وَتَغْيِيرِ الْقَوْلِ مِنَ الْإِيجَابِ إِلَى السَّلْبِ وَمِنَ السَّلْبِ إِلَى
الْإِيجَابِ وَبِالْجُمْلَةِ مِنَ الْقَائِلِ إِلَى الْقَائِلِ وَبِالْجُمْلَةِ بِجَمِيعِ
الْأَنْوَاعِ الَّتِي تُسَمَّى عِنْدَنَا مَجَازًا فَالْحَذْفُ مِثْلُ قَوْلِ الْقُرْآنِ وَأَنَالَ
الْقَرْيَةَ. وَقَوْلُهُ: وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ
الْأَرْضُ أَوْ كُلُّ نَفْسٍ بِهٍ الْمَوْتَى. وَالْقَلْبُ مِثْلُ قَوْلِ الْقَائِلِ: فَلَنْ مِنْ
أَجَلِ بَنِيهِ لَا بُوَهُ مِنْ أَجَلِهِ وَالسُّنَّةُ سَبَبُ الْإِنْسَانِ لَا الْإِنْسَانُ
سَبَبُ السُّنَّةِ. وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ مِثْلُ قَوْلِهِ: وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا.
وَقَوْلِهِ: وَإِذْ أَبْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ. وَالزِّيَادَةُ مِثْلُ قَوْلِهِ: تَبَّتْ بِالذَّهْنِ
وَمِثْلُ قَوْلِهِ: لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَمِثْلُ قَوْلِهِ وَلَا طَائِرٌ يَطِيرُ بِجَاحِيهِ
وَمِثَالُ التَّغْيِيرِ مِنَ الْإِيجَابِ إِلَى السَّلْبِ قَوْلُ الْقَائِلِ: مَا فَعَلَهُ أَحَدٌ
إِلَّا أَنْتَ بَدَلْ قَوْلِهِ: أَنْتَ فَعَلْتَهُ وَمِنْ هَذَا أَلْفَنِي قَوْلُ التَّابِعِ:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ عِزَّ أَنْ سَيُوقَهُمْ بَيْنَ قَوْلٍ مِنْ قِرَاعِ أَنْكَتَابِ
فَأَنَّهُ أَوْجَبَ لَهُمُ الْفَضَائِلَ لِيَنْفِي الْعُيُوبَ وَأَسْتَفْنَى سِنَهَا مَا لَيْسَ
بِعَيْبٍ عَلَى جِهَةِ تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمِ ضِدِّهِ. وَمِنْ التَّغْيِيرَاتِ اللَّذِيذَةِ
جَمْعُ الْأَضْدَادِ فِي شَيْءٍ وَاحِدٍ كَقَوْلِهِ:

فِيكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخِصْمُ وَالْحَكْمُ

وَكُونَ الضِّدَّ سَبَبًا لِضِدِّ كَقَوْلِهِ: وَلَكُمْ فِي الْخِصَامِ حَيَاةٌ وَلَيْسَ
يَخْفَى عَلَيْكَ أَنْوَاعُهَا الْبَسِيطَةُ وَالْمُرَكَّبَةُ الْمُحْصُورَةُ فِي هَذِهِ الْكَلِمَاتِ

وَيُشَبِّهُ أَنْ يَكُونَ إِحْصَاءُ أَنْوَاعِهَا الْأَخِيرَةِ عَسِيرًا جِدًّا وَلِذَلِكَ
 اقْتَصَرَ هُنَا عَلَى التَّكْلِيكَاتِ فَقَطْ. وَالْفَاضِلُ مِنْ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ هُوَ أَنْ
 يُسْتَعْمَلَ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَا هُوَ أَبْيَنُ وَأَظْهَرُ وَأَشْبَهُ وَهَذَا لَا
 يُوجَدُ إِلَّا فِي النَّادِرِ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَذَلِكَ أَنَّ اسْتِعْمَالَ الْأَبْيَنِ مِنَ
 هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَالْأَشْبَهُ هُوَ دَلِيلُ الْمَهَارَةِ. وَهَذَا الصَّنْفُ هُوَ الَّذِي
 يَجْمَعُ إِلَى جُودَةِ الْإِنْفَهَامِ فِعْلَ الْأَقَاوِيلِ الشُّعْرِيَّةِ أَغْنَى تَحْرِيكَ
 النَّفْسِ وَمِثَالُ ذَلِكَ أَنَّ الْإِبْدَالَ إِذَا كَانَ شَدِيدَ الشَّبهِ أَفَادَ جُودَةَ
 التَّخْيِيلِ وَالْإِنْفَهَامِ مَعَ رُبَّمَا عَرَضَ مِنَ الْإِبْدَالِ الْمُنَاسِبِ قَلَّةُ فَهْمِ
 عِنْدَ الْقِدَامِ مِنَ السَّامِعِينَ كَمَا عَرَضَ فِي قَوْلِهِ: حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمْ الْخِطُّ
 الْأَبْيَضُ مِنَ الْخِطِّ الْأَسْوَدِ أَنْ ظَنَّ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ الْخِطُّ الْحَقِيقِيُّ
 فَذَكَرْتُ مِنَ الْفَجْرِ. (قَالَ) وَالْأَسْمَاءُ الْمُرَكَّبَةُ تَضِلُّ لِلْوِزْنِ الَّذِي
 يُشْفَى فِيهِ عَلَى الْأَخْيَارِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينَ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْهُمْ وَهَذِهِ الْأَسْمَاءُ
 هِيَ قَلِيلَةٌ الْوُجُودِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهِيَ مِثْلُ قَوْلِهِمُ الْعَبْسِيُّ
 الْمُنْسُوبُ إِلَى عَبْدِ شَمْسٍ. وَأَمَّا اللُّغَاتُ فَتَضِلُّ الشُّعْرُ الَّذِي يُذَكَّرُ فِيهِ
 أَمْرُ الْأَعَادِ وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَكَانَ صِنْفًا مِنَ الشُّعْرِ عِنْدَهُمْ
 مَعْرُوفًا. وَأَمَّا الْأَسْمَاءُ الْمُنْقُولَةُ الْعَرَبِيَّةُ فَتُخْتَصُّ بِالشُّعَارِ الَّتِي تُقَالُ
 فِي الْأَمْثَالِ وَالْحِكَمِ وَالْقِصَصِ الْمَشْهُورَةِ



البحث الثامن

في صناعة الاشعار القصصية

(من الكتاب نفسه)

(قَالَ) فَيَمَّا قَلْنَاهُ فِي صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ وَفِي الْأَشْيَاءِ الْمُشْتَرَكَةِ
لِأَصْنَافِ الْأَشْعَارِ بِنَ التَّشْبِيهِ وَغَيْرِ ذَلِكَ كِفَايَةً. وَالْأَشْعَارُ الْقَصَصِيَّةُ
سَيِّئُهَا فِي الْأَجْزَاءِ الَّتِي هِيَ الْمَبْدَأُ وَالْوَسْطُ وَالنَّهْيَةُ سَيِّئُ أَجْزَاءِ
صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ وَكَذَلِكَ فِي الْمُحَاكَاةِ إِلَّا أَنَّ الْمُحَاكَاةَ لَيْسَ تَكُونُ
لِلْأَفْعَالِ فِيهَا وَإِنَّمَا تَكُونُ لِلْأَزْمَنَةِ الْوَاقِعَةِ فِيهَا تِلْكَ الْأَفْعَالُ وَذَلِكَ
أَنَّهُ إِنَّمَا يُحَاكِي فِي هَذِهِ كَيْفَ كَانَتْ أَحْوَالُ الْمُتَقَدِّمِ مَعَ
أَحْوَالِ الْمُتَأَخِّرِ وَكَيْفَ تُثَقِّلُ الدُّوْلُ وَالْمَمَالِكُ وَالْأَيَّامُ. وَمُحَاكَاةُ
هَذَا النَّوعِ مِنَ الوجودِ قَلِيلٌ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَهُوَ كَثِيرٌ فِي
الْكِتَابِ الشَّرْعِيِّ. وَذَكَرَ مُجِيدِينَ فِي هَذَا الصَّنْفِ مِنْ شُعْرَانِهِمْ
وَأَشْنَى ثَمَاءَ عَامَا عَلَى أُوْمَيْرُوشَ. وَمِنْ جَيِّدِ مَا فِي هَذَا الْمَعْنَى لِلْعَرَبِ
قَوْلُ الْأَنُودِ بْنِ يَغْفَرُ :

مَاذَا أَوْقَلُ بَعْدَ آلِ مُحَرِّقِ	تَرَكُوا مَنَازِلَهُمْ وَبَعْدَ إِيَادِ
أَرْضِ الْخُوزَنَقِ وَالسَّيْدِ وَبَارِقِ	وَالْقَصْرِ ذِي الشَّرَفَاتِ مِنْ سِنْدَادِ
تَرَلُّوا بِأَنْقَرَةِ يَسِيلُ عَلَيْهِمِ	مَاءِ الْفَرَاتِ يُحْيِي مِنْ أَطْوَادِ
جَرَّتِ الرِّيَّاحُ عَلَى مَحَلِّ دِيَارِهِمْ	فَكَانَتْهُمْ كَانُوا عَلَى مِيعَادِ
فَارَى النَّعِيمَ وَكُلَّ مَا يُلْهَى بِهِ	يَوْمًا يَصِيرُ إِلَى بَلَى وَنَفَادِ

(قَالَ) وَأَجْزَاءُ هَذَا النَّوعِ هِيَ أَجْزَاءُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ الْعَفِيفَةِ
مِنَ الْإِدَارَةِ وَالْأَسْتِدْلَالِ وَالتَّرْكِيبِ مِنْهُمَا. وَرُبَّمَا كَانَ بَعْضُ أَجْزَائِهَا
أَنْفَعَالِيًا كَالْحَالِ فِي صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ. وَصَنَائِعُ الشَّعْرِ وَأَحْكَامُهَا فِي
التَّلْحِينِ وَالْعِنَاءِ أَحْكَامُ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ. وَذَكَرَ فُرُوقًا بَيْنَ صِنَاعَةِ الْمَدِيحِ
وَبَيْنَ صَنَائِعِ الشَّعْرِ الْآخَرِ عَنْهُمْ وَخَوَاصَّ تَخْتَصُّ بِهَا تِلْكَ الْأَشْعَارُ
الْآخَرُ فِي الْأَوَازِ وَالْأَجْزَاءِ وَالْحَاكَاةِ وَالْقَدْرِ وَأَنَّ هَاهُنَا أَوْزَانًا
هِيَ أَلْيَقُ بِبَعْضِ الْأَشْعَارِ مِنْ بَعْضٍ وَذَكَرَ مِنْ أَجَادَ مِنَ الشُّعْرَاءِ
فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ وَمِنْ لَمْ يُجِدْ وَأَثْنَى فِي هَذَا كُلِّهِ عَلَى أُوْمَيْرُوشَ
وَكُلِّ ذَلِكَ خَاصُّ بِهِمْ وَغَيْرُ مَوْجُودٍ مِثْلَهُ عِنْدَنَا إِمَّا لِأَنَّ ذَلِكَ الَّذِي
ذَكَرَ غَيْرُ مُشْتَرَكٍ لِلْكَثَرِ مِنَ الْأُلَمِّ وَإِمَّا أَنَّهُ عَرَضٌ لِلْعَرَبِ فِي
هَذِهِ الْأَشْيَاءِ أَمْرٌ خَارِجٌ عَنِ الطَّبَعِ وَهُوَ آيِنٌ فَلِأَنَّهُ مَا كَانَ لِيُثْبِتَ
فِي كِتَابِهِ هَذَا مَا هُوَ خَاصُّ بِهِمْ بَلْ مَا هُوَ مُشْتَرَكٌ لِلْأُلَمِّ الطَّبِيعِيَّةِ

البحث التاسع

في كيفية التخلّص الى ما يراد محاكاته

(من الكتاب نفسه)

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ مَا يَأْتِي بِهِ الشَّاعِرُ مِنَ الْكَلَامِ يَسِيرًا
بِالْإِضَافَةِ إِلَى الْكَلَامِ الْحَاكِي كَمَا كَانَ يَفْعَلُ أُوْمَيْرُوشُ فَلِأَنَّهُ إِنَّمَا
كَانَ يَعْمَلُ صَدْرًا يَسِيرًا ثُمَّ يَتَخَلَّصُ إِلَى مَا يُرِيدُ مُحَاكَاتَهُ مِنْ غَيْرِ
أَنْ يَأْتِي فِي ذَلِكَ بِشَيْءٍ لَمْ يُعْتَذَرَ لَكِنْ مَا قَدْ ائْتَيْدَ فَإِنَّ غَيْرَ الْمُعْتَادِ

مُسْكِرٌ وَإِنَّمَا قَالَ ذَلِكَ فِيمَا أَحْسِبُ لِأَنَّ لِلْأَمْرِ فِي تَشْبِيهَاتِهِمْ عَوَائِدَ
خَاصَّةً وَمِثْلُ قَوْلِ أَمْرِى الْقَيْسُ :

يُهَيِّلُ وَيُذِرِي تَرْبَهَا وَيُمِيرُهُ إِثَارَةَ نَبَاتِ الْهَوَاجِرِ مُحْسِرِ
وَكَذَلِكَ تَشْبِيهُهُمْ الضَّبَّ بِالنُّونِ لِمَكَانِ السَّرَابِ الْمَوْجُودِ فِي
بِلَادِهِمْ وَمِنْ هَذَا قَوْلُهُ : وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ
(قَالَ) وَمَتَى طَالَ الْكَلَامُ وَلَيْسَ فِيهِ تَغْيِيرٌ وَلَا مُحَاكَاةٌ فَيَنْبَغِي
أَنْ يُعْتَنَى فِي ذَلِكَ بِإِرَادِ الْأَلْفَاظِ الْبَيِّنَةِ الدَّلَالَةِ وَهِيَ الَّتِي تَدُلُّ
عَلَى أَشْيَاءَ بِأَعْيَانِهَا لَا عَلَى أَشْيَاءَ مُضَادَّةٍ أَوْ مُخْتَلِفَةٍ وَأَنْ يَكُونَ
تَرْكِيبُهَا عَلَى الْمَشْهُورِ عِنْدَهُمْ وَتَكُونَ سَهْلَةً عِنْدَ النُّطْقِ. وَيُشَبَّهُ أَنْ
يَكُونَ هَذَا هُوَ أَكْثَرُ مَا يُطْلَقُ عَلَيْهِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ أَمُّ الْفَصَاحَةِ
إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ الْقَوْلُ ظَاهِرَ الصِّدْقِ وَمَشْهُورًا فَإِنَّ الصِّدْقَ
الَّذِي يَتَضَمَّنُهُ يَشْفَعُ لِمَا فِيهِ مِنْ قَلَّةِ الْفَصَاحَةِ وَقِلَّةِ التَّغْيِيرِ وَالْمُحَاكَاةِ

البحث العاشر

في أنواع المحاكاة غير المقبولة

(من الكتاب نفسه)

وَالْقَلْطُ الَّذِي يَقَعُ فِي الشَّعْرِ وَيَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ تَوْبِيحُهُ
فِيهِ سِتَّةُ أَصْنَافٍ. أَحَدُهَا أَنْ يُحَاكِيَ بَغَيْرِ مُمَكِّنٍ بَلْ مُتَّبِعٍ وَمِثَالُ
هَذَا عِنْدِي قَوْلُ ابْنِ الْمُعْتَرِّ يَصِفُ الْقَمَرَ فِي تَنْقِصِهِ :
أَنْظُرْ إِلَيْهِ كَزُورَقٍ مِنْ فُضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حُمُولَةٌ مِنْ عَذْبٍ

فَإِنَّ هَذَا مُنْتَبِعٌ. وَإِنَّمَا آتَيْنَاهُ بِذَلِكَ شِدَّةَ الشَّيْءِ وَإِنَّهُ لَمْ يُقْصَدَ بِهِ حَثٌّ وَلَا نَهْيٌ بَلْ إِنَّمَا يَجِبُ أَنْ يُحَاكِيَ بِمَا هُوَ مَوْجُودٌ أَوْ يُظَنُّ أَنَّهُ مَوْجُودٌ مِثْلَ مُحَاكَاةِ الْأَشْرَارِ بِالشَّيَاطِينِ أَوْ بِمَا هُوَ مُمَكِّنُ الْوُجُودِ فِي الْأَكْثَرِ لَا فِي الْأَقَلِّ أَوْ عَلَى التَّسَاوِي فَإِنَّ هَذَا النَّوعَ مِنَ الْوُجُودِ هُوَ الَّتِي بِالْخَطَابَةِ مِنْهُ بِالشَّعْرِ. وَالْمَوْضِعُ الثَّانِي مِنْ غَلَطِ الشَّاعِرِ أَنْ يُخَوِّفَ الْمُحَاكَاةَ وَذَلِكَ مِثْلُ مَا يَعْزِضُ لِلْمُصَوِّرِ أَنْ يَرِيدَ فِي الصُّورَةِ عُضْوًا لَيْسَ فِيهَا أَوْ يَصَوِّرَهُ فِي غَيْرِ الْمَكَانِ الَّذِي هُوَ فِيهِ كَنْ يَصَوِّرُ الرَّجُلَيْنِ فِي مُقَدِّمِ الْحَيَوَانِ ذِي الْأَرْبَعِ وَالْيَدَيْنِ فِي مُؤَخَّرِهِ وَيَذَعِي أَنْ يُتَّفَقَدَ مِثَالُ هَذَا فِي أَشْعَارِ الْعَرَبِ وَقَرِيبٌ مِنْهُ عِنْدِي قَوْلُ بَعْضِ الْمُحَدِّثِينَ الْأَنْدَلُسِيِّينَ يَصِفُ الْقُرْسَ :

وَعَلَى أُذُنَيْهِ أُذُنٌ ثَالِثَةٌ مِنْ سِنَانِ السَّهْمَرِيِّ الْأَزْرَقِ
وَالْمَوْضِعُ الثَّلَاثُ أَنْ يُحَاكِيَ النَّاطِقِينَ بِأَشْيَاءَ غَيْرِ نَاطِقَةٍ فَإِنَّ هَذَا أَيْضًا مِنْ مَوَاضِعِ التَّوْبِيخِ وَذَلِكَ أَنَّ الصِّدْقَ فِي هَذِهِ الْمُحَاكَاةِ يَكُونُ قَلِيلًا وَالْكَذِبَ كَثِيرًا إِلَّا أَنْ يُشَبَّهَ مِنَ النَّاطِقِ صِفَةٌ مُشْتَرَكَةٌ لِلنَّاطِقِ وَغَيْرِ النَّاطِقِ وَقَدْ تَوَسَّسْتُ بِمِثْلِ هَذَا الْعَادَةِ مِثْلُ تَشْبِيهِ الْعَرَبِ النِّسَاءَ بِالطَّبَّاءِ وَبِقَرِّ الْوَحْشِ. وَالْمَوْضِعُ الرَّابِعُ أَنْ يُشَبَّهَ الشَّيْءُ بِشَيْءٍ ضِدِّهِ أَوْ بِضِدِّ نَفْسِهِ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ الْعَرَبِ سَقِيمَةُ الْخَمُونِ فِي الْحَسَنَةِ الْقَاضَةِ النَّظَرِ وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُهُمْ :

رَاحُوا كَأَنَّهُمْ مَرَضَى مِنَ الْكَرَمِ

وَقَوْلُ الْآخَرِ :

وَمُحَرِّقٍ عَنْهُ الْفَقِيرُ نَحْلَهُ وَسَطَ الْيُتُوتِ مِنَ الْحَيَاءِ سَقِيًّا
فَإِنْ هَذِهِ كُلُّهَا هِيَ أَضْدَادُ الصِّفَاتِ الْحَسَنَةِ وَإِنَّمَا آنَسَ بِذَلِكَ
الْعَادَةُ. وَالْمَوْضِعُ الْخَامِسُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْأَسْمَاءِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَى التَّمْثِيلِ
بِالسَّوَاءِ مِثْلُ الصَّرِيمِ فِي لِسَانِ الْعَرَبِ وَالْقُرَى وَالْجُلْدِ وَغَيْرِ ذَلِكَ يَمَّا
قَدْ ذَكَرَهُ أَهْلُ اللُّغَةِ. وَالْمَوْضِعُ السَّادِسُ أَنْ يَتْرَكَ الْخُكَاةَ الشَّعْرِيَّةَ
وَيَنْتَقِلَ إِلَى الْإِفْتِاحِ وَالْأَقَاوِيلِ التَّصْدِيقِيَّةِ وَبِخَاصَّةٍ مَتَى كَانَ الْقَوْلُ
هَيْئَةً قَلِيلَ الْإِفْتِاحِ وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ يَتَذَرُّ عَنْ
جُنْبِهِ :

وَمَا جَبُنْتُ خَيْلِي وَلَكِنْ تَدَكَّرْتُ مَرَايَطَهَا مِنْ بَرَبِيعٍ وَمَيْسَرَا
وَقَدْ يَحْسُنُ هَذَا الصَّنْفُ إِذَا كَانَ حَسَنَ الْإِفْتِاحِ أَوْ صَادِقًا
مِثْلُ قَوْلِ الْآخَرِ يَتَذَرُّ عَنْ الْفِرَارِ :

اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَرَكْتُ قِتَالَهُمْ حَتَّى رَمَوْا فَرَسِي بِأَشَقَرِ مَرْبَدٍ
وَعَلِمْتُ أَنِّي إِنْ أُقَاتِلُ وَاحِدًا أَقْتُلُ وَلَا يَنْكِي عَدُوِّي مَشْهَدِي
فَصَدَدْتُ عَنْهُمْ وَالْأَجَبَةُ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمٍ مُفْسِدٍ
فَإِنَّ هَذَا الْقَوْلَ إِنَّمَا حَسُنَ فِي الْأَكْثَرِ لِصِدْقِهِ لِأَنَّ التَّفْسِيرَ
الَّذِي فِيهِ يَسِيرُ وَإِذَلِكَ قَالَ الْقَائِلُ : يَا مَعْشَرَ الْعَرَبِ لَقَدْ حَسَنْتُمْ
كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى الْفِرَارَ (قَالَ) وَإِذَا كَانَتْ تَوَاضِعُ الْقَلَطِ سِتَّةَ
وَمَوَاضِعِ التَّوْبِيخِ مُقَابِلَتَهَا فَجِبُّ أَنْ تَكُونَ تَوَاضِعُ الْقَلَطِ الدَّائِيَّةِ
وَالْتَّوْبِيخِ الْخَاصِيَّةِ أَثْنِي عَشَرَ مَوْضِعًا سِتَّةَ أَغَالِيطٍ وَسِتَّةَ تَوْبِيخَاتٍ
وَأَمِثَّةِ التَّوْبِيخَاتِ غَيْرُ مَوْجُودَةٍ عِنْدَنَا إِذَا كَانَ شَعْرَاؤُنَا لَمْ تَتَمَيَّزْ

لَهُمْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ وَلَا شَعَرُوا بِهَا فَهَذَا هُوَ مَا تَأْدَى إِلَى فَهْمِنَا بِمَا
ذَكَرَهُ أَرِسْطُو فِي كِتَابِهِ هَذَا مِنَ الْأَقَارِيلِ الْمُشْتَرَكَةِ لِجَمِيعِ أَصْنَافِ
الشَّعْرِ وَالْخَاصَّةِ بِالْمَدِيحِ أَغْنَى الْمُشْتَرَكَةَ مِنْهَا أَيْضًا لِلْأَكْثَرِ أَوْ
لِلْجَمِيعِ وَسَائِرُ مَا ذَكَرَهُ فِي كِتَابِهِ هَذَا مِنَ الْفُضُولِ الَّتِي بَيْنَ سَائِرِ
أَصْنَافِ الشَّعْرِ عِنْدَهُمْ وَبَيْنَ صِنْفِ الْمَدِيحِ فَهُوَ خَاصٌّ بِهِمْ وَمَعَ
ذَلِكَ فَلَسْنَا نَجِدُهُ ذَكَرَ مِنْ ذَلِكَ فِي هَذَا الْكِتَابِ الْوَاصِلِ إِلَيْنَا
إِلَّا بَعْضَ ذَلِكَ. وَذَلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْكِتَابَ لَمْ يُتَرَجَمْ عَلَى
الْتِمَامِ. وَأَنَّهُ بَقِيَ مِنْهُ أَتَّكَلَّمُ فِي سَائِرِ فُضُولِ أَصْنَافٍ كَثِيرَةٍ مِنْ
الْأَشْعَارِ عِنْدَهُمْ وَقَدْ كَانَ هُوَ وَعَدَّ بِاتَّكَلَمِ فِي هَذِهِ كُلِّهَا فِي
صَدْرِ كِتَابِهِ. وَالَّذِي نَقَصَ بِمَا هُوَ مُشْتَرَكٌ هُوَ أَتَّكَلَّمُ فِي صَاعَةِ
الْهَجَاءِ لَكِنْ يُشِبُّهُ أَنْ يَكُونَ الْوُقُوفُ عَلَى ذَلِكَ بِقُرْبٍ مِنْ
الْأَشْيَاءِ الَّتِي قِيلَتْ فِي بَابِ الْمَدِيحِ إِذْ كَانَتْ الْأَضَادُّ يُعْرَفُ
بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ. وَأَنْتَ تَتَبَيَّنُ إِذَا وَقَفْتَ عَلَى مَا كَتَبْنَاهُ
هَاهُنَا أَنَّ مَا شَعَرَ بِهِ أَهْلُ لِسَانِنَا مِنَ الْقَوَائِنِ الشَّعْرِيَّةِ بِالْإِضَافَةِ
إِلَى مَا فِي كِتَابِ أَرِسْطُو هَذَا وَفِي كِتَابِ الْخَطَابَةِ زُرَّ يَسِيرٌ كَمَا
يَقُولُهُ أَبُو نَصْرِ. وَلَيْسَ يَخْفَى عَلَيْكَ أَيْضًا كَيْفَ تُرْجَعُ تِلْكَ الْقَوَائِنُ
إِلَى هَذِهِ وَلَا مَا ذَكَرُوا مِنْ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِ الصَّوَابِ بِمَا ذُكِرَ عَلَى
غَيْرِ ذَلِكَ وَاللَّهُ أَلْوَقُّ لِلصَّوَابِ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ



الفصل الثاني

في معرفة الشعراء

البحث الاول

في القدماء من الشعراء

(من كتاب الزهر في علوم اللغة للعلامة جلال الدين السيوطي)

وَمِنْ قَدَمَاءِ الشُّعْرَاءِ آعْصَرُ بْنُ سَعْدٍ بْنِ قَيْسِ عَيْلَانَ بْنِ مُضَرَ
وَهُوَ مِنْهُ أَبُو بَاهِلَةَ وَغَنِي وَالطُّفَاوَةُ . وَمِنْهُمْ أَلْمُسْتَوِيرُ بْنُ رَبِيعَةَ
أَبْنِ كَعْبِ بْنِ نَهْدٍ وَكَانَ قَدِيمًا وَبَقِيَ بَقَاءً طَوِيلًا حَتَّى قَالَ :
وَلَقَدْ سَمِعْتُ مِنْ أَحْيَاةٍ وَطَوَّلَهَا وَأَزْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ السِّتِينَ مِئْنَةً
مِائَةً أَتَتْ مِنْ بَعْدِهَا مِائَتَانِ لِي وَأَزْدَدْتُ مِنْ عَدَدِ الشُّهُورِ سِنِينَ
وَمِنْهُمْ زُهَيْرُ بْنُ جَنَابٍ الْكَلْبِيُّ كَانَ قَدِيمًا شَرِيفًا وَهُوَ
الْقَائِلُ :

إِذَا قَالَتْ حَذَامُ فَصَدَّقُوهَا فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا قَالَتْ حَذَامُ
وَمِنْهُمْ جَدِيمَةُ الْأَبْرَشِ وَحُلَيْمُ بْنُ صَعْبٍ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ بَكْرٍ
أَبْنِ دَائِلٍ وَهُوَ الْقَائِلُ :

مِنْ كُلِّ مَا نَالَ الْفَتَى قَدْ نَلَتْهُ إِلَّا الْحَيَّةُ

وَقَالَ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ بْنُ حُجْرٍ:

عُوجًا عَلَى طَلْلِ الدِّيَارِ لَعَلَّنَا بَسْكِ الدِّيَارِ كَمَا بَكَى ابْنُ حَذَامٍ
وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ طَيِّئٍ لَمْ نَسْمَعْ شِعْرَهُ الَّذِي بَكَى فِيهِ وَلَا
شِعْرًا غَيْرَ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي ذَكَرَهُ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ
قَصَّدَ الْقَصَائِدَ وَذَكَرَ أَلْوَقَاعَ الْمُهْلُولِ بْنِ رَبِيعَةَ التَّغْلِبِيِّ فِي قَتْلِ
أَخِيهِ كُتَيْبٍ قَالَ الْفَرَزْدَقُ :

وَمُهْلُولُ الشُّعْرَاءِ ذَاكَ الْأَوَّلُ

وَزَعَتِ الْعَرَبُ أَنَّهُ كَانَ يَتَكَثَّرُ وَيَدَّعِي فِي قَوْلِهِ أَكْثَرُ
مِنْ فِعْلِهِ . وَكَانَ شُعْرَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ فِي رَبِيعَةَ أَوَّلَهُمُ الْمُهْلُولُ وَهُوَ خَالَ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ بْنِ حُجْرٍ الْكِنْدِيِّ وَالْمُرْقَشَانِ وَالْأَكْبَرُ مِنْهُمَا عَمُّ
الْأَصْغَرُ وَالْأَصْغَرُ عَمُّ طَرْفَةَ بْنِ الْعَبْدِ . وَأَمُّ الْأَكْبَرِ عَوْفُ بْنُ سَعْدٍ
وَأَمُّ الْأَصْغَرِ عَمْرُو بْنُ حَرْلَةَ وَقِيلَ رَبِيعَةُ بْنُ سُفْيَانَ . وَمِنْهُمْ
سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَطَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ وَعَمْرُو بْنُ قَمَيْةٍ وَالْمُتَلَمِّسُ وَهُوَ خَالَ
طَرْفَةَ . وَالْأَعَشَى وَالْمُسَيْبُ بْنُ عِلْسٍ وَالْحَرْثُ بْنُ حِلْزَةَ . ثُمَّ
تَحَوَّلَ الشِّعْرُ فِي قَيْسٍ فَفَنَّهُمُ النَّابِغَتَانِ وَزُهَيْرُ بْنُ أَبِي سَلَمَى وَأَبْنَةُ
كَعْبٍ وَكَيْدُ وَالْحُطَيْتَةُ وَالشَّخَاخُ وَأَخُوهُ مُرَرَّدٌ وَخِدَاشُ بْنُ زُهَيْرٍ
ثُمَّ آلُ إِلَى تَمِيمٍ فَلَمْ يَزَلْ فِيهِمْ إِلَى الْيَوْمِ . وَوَنَّهُمْ كَانُوا أَوْسُ بْنُ
حُجْرٍ شَاعِرُ مُضَرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ لَمْ يَتَقَدِّمَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ حَتَّى نَشَأَ النَّابِغَةُ
وَزُهَيْرُ وَاحْتِلَاهُ وَبَقِيَ شَاعِرُ تَمِيمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ غَيْرَ مُدَافِعٍ . وَكَانَ
الْأَضْمَعِيُّ يَقُولُ أَوْسُ شَاعِرُ بْنُ زُهَيْرٍ وَلَكِنْ النَّابِغَةُ طَاطَأَ مِنْهُ

وَكَانَ دَاوِيَةَ أَوْسٌ ذُهَيْرٌ وَكَانَ أَوْسٌ رُوحٌ أُمُّ ذُهَيْرٍ (قَالَ عُمَرُ بْنُ شُبَّةٍ)
 فِي طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ: لِلشُّعْرِ وَالشُّعْرَاءِ أَوَّلُ لَا يُوقَفُ عَلَيْهِ وَقَدْ اخْتَلَفَ
 فِي ذَلِكَ الْأَعْلَمَاءُ وَأَدْعَتْ الْقَبَائِلُ كُلُّ قَبِيلَةٍ لِشَاعِرِهَا أَنَّهُ الْأَوَّلُ وَلَمْ
 يَدْعُوا ذَلِكَ لِقَاتِلِ الْبَيْتَيْنِ وَالثَّلَاثَةِ لِأَنَّهُمْ لَا يُسَبُّونَ ذَلِكَ شِعْرًا فَأَدْعَتْ
 أَلِيْمَانِيَةُ لِأَمْرِئِ الْقَيْسِ وَبَنُو أَسَدٍ لِعَبِيدِ بْنِ الْأَبْرَصِ وَتَغْلِبُ لِمُهَلِّهِ
 وَبَكْرٌ لِعَمْرِو بْنِ قُمَيْسَةَ وَالْمُرْقَشُ الْأَكْصَرُ وَيَاذُ الْيَاقِ دُوَادُ (قَالَ)
 وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ الْأَفْوَةَ الْأَوْدِيَّ أَقْدَمُ مِنْ هَؤُلَاءِ وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ
 قَصَدَ الْقَصِيدَ (قَالَ) وَهَؤُلَاءِ الْأَفْرُ الْمُدْعَى لَهُمُ الْقَدَمُ فِي الشُّعْرِ
 مُتَقَارِبُونَ لَعَلَّ أَقْدَمَهُمْ لَا يَسْبِقُ الْهَجْرَةَ مِائَةَ سَنَةٍ أَوْ نَحْوَهَا
 (وَقَالَ تَغْلِبُ فِي أَمَالِيهِ) قَالَ الْأَضْعَمِيُّ: أَوَّلُ مَنْ يَرُودُ لَهُ كَلِمَةٌ
 تَبْلُغُ ثَلَاثِينَ بَيْتًا مِنَ الشُّعْرِ مُهَلِّهُ ثُمَّ ذُوَيْبُ بْنُ كَعْبٍ بْنِ عَمْرِو بْنِ
 تَيْمٍ ثُمَّ ضَمْرَةُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَالْأَضْبَطُ بْنُ مُرَاجٍ (قَالَ)
 وَكَانَ بَيْنَ هَؤُلَاءِ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِ أَرْبَعُمِائَةِ سَنَةٍ وَكَانَ أَمْرُهُ الْقَيْسِ
 بَعْدَ هَؤُلَاءِ بِكَثِيرٍ (وَقَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي كِتَابِ لَيْسَ) أَوَّلُ مَنْ
 قَالَ الشُّعْرُ ابْنُ حَذَّامٍ (وَقَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي الْأَعْمَدَةِ): الْمَشَاهِيرُ
 مِنَ الشُّعْرَاءِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِمْ عَدَدٌ وَبَيْنَهُمْ مَشَاهِيرُ قَدْ طَارَتْ
 أَسْمَاؤُهُمْ وَسَارَ شِعْرُهُمْ وَكَثُرَ ذِكْرُهُمْ حَتَّى غَلَبُوا عَلَى سَائِرِ مَنْ كَانَ
 فِي زَمَانِهِمْ وَلِكُلِّ أَحَدٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ تُفَضِّلُهُ وَتَتَعَصَّبُ لَهُ وَقَلَّمَا
 تَجْتَمِعُ عَلَى وَاحِدٍ إِلَّا مَا رُوِيَ عَنِ الرَّسُولِ فِي أَمْرِئِ الْقَيْسِ
 أَنَّهُ أَشْعَرُ الشُّعْرَاءِ وَقَانَدُهُمْ إِلَى النَّارِ يَعْنِي شُعْرَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُشْرِكِينَ

قَالَ دِغِيلُ بْنُ عَبْدِ الْخَزَائِمِيِّ: وَلَا يَثْقُودُ قَوْمًا إِلَّا أَمِيرُهُمْ. قَالَ
 عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلِبِ وَقَدْ سَأَلَهُ عَنِ الشُّعْرَاءِ: أَمَرُوهُ
 الْقَيْسَ سَابِقَهُمْ خَسَفَ لَهُمْ عَيْنُ الشَّعْرِ فَأَقْتَرَعَ عَنْ مَعَانٍ دُورٍ أَصَحَّ
 بَصَرًا (قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ) خَسَفَ مِنْ الْخَسَفِ وَهِيَ الْمِثْرُ الَّتِي
 حُفِرَتْ فِي حِجَارَةٍ فَخَرَجَ مِنْهَا مَاءٌ كَثِيرٌ. وَقَوْلُهُ أَقْتَرَعَ أَيَّ قَتَحَ وَهُوَ
 مِنْ الْفَقْرِ وَهُوَ قَمُ الْقِنَاقَةِ وَقَوْلُهُ: عَنْ مَعَانٍ دُورٍ يُرِيدُ أَنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ
 مِنْ أَلَيْسَ وَأَنَّ أَهْلَ أَلَيْسَ لَيْسَتْ لَهُمْ فَصَاحَةٌ تَزَارٍ فَعَجَلَ لَهُمْ مَعَانِي
 دُورًا فَكَانَ قَتَحَ أَمْرِي الْقَيْسِ أَصَحَّ بَصَرًا فَإِنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ يَمَانِي
 النَّسَبِ تَزَارِي الدَّارِ وَالْمَنْشَأِ. وَفَصَّلَهُ عَلِيٌّ بِأَن قَالَ: رَأَيْتُهُ أَحْسَنَهُمْ
 نَادِرَةً وَأَسْبَقَهُمْ بَادِرَةً وَأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ لِرُغْبَةٍ وَلَا لِرُهْبَةٍ (وَقَدْ قَالَ
 أَلْعَلَّاءُ بِالشَّعْرِ) إِنَّ أَمْرًا الْقَيْسِ لَمْ يَتَقَدَّمَ الشُّعْرَاءُ لِأَنَّهُ قَالَ مَا
 لَمْ يَقُولُوا وَاسْكَنَهُ سَبَقَ إِلَى أَشْيَاءَ فَاسْتَحْسَنَهَا الشُّعْرَاءُ وَاتَّبَعُوهُ فِيهَا
 لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ لَاطَفَ الْمَعَانِي وَمِنْ اسْتَوْقَفَ عَلَى الطُّلُولِ وَوَصَفَ
 النِّسَاءَ بِالطُّبَاءِ وَالْمَهْمَى وَالْبَيْضَ وَشَبَّهَ الْخَيْلَ بِالْعِظْبَانِ وَالْعِجْيَى وَفَرَّقَ
 بَيْنَ النَّسَبِ وَمَا سِوَاهُ مِنَ الْقَصِيدَةِ وَقَرَّبَ مَا خَذَ الْكَلَامَ قَعِيدَ
 الْأَوْدَابِ وَأَجَادَ الْأَسْتِعَادَةَ وَالنَّشِيْبَةَ وَحَكَى مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ
 الْجَعْفِيُّ: إِنْ سَأَبَلَا سَالَ الْفَرَزْدَقُ مَنْ أَسْعُرُ النَّاسِ فَقَالَ دُو
 الْقُرُوحِ (وَسُئِلَ لَيْسَ): مَنْ أَسْعُرُ النَّاسِ فَقَالَ الْمَلِكُ الضَّلِيلُ
 قِيلَ ثُمَّ مَنْ قَالَ: الشَّابُّ الْقَتِيلُ قِيلَ: ثُمَّ مَنْ قَالَ: الشَّيْخُ أَبُو عَقِيلٍ
 يَعْنِي نَفْسَهُ. وَكَانَ الْخُذَّاقُ يَقُولُونَ: الْخُحُولُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثَةٌ

مُتَشَابِهُونَ زُهَيْرٌ وَالْفَرَزْدَقُ وَالنَّابِغَةُ وَالْأَخْطَلُ وَالْأَعَشَى وَجَرِيرٌ
 وَكَانَ خَلْفَ الْأَحْمَرِ يَقُولُ: أَجْمَعُهُمُ الْأَعَشَى. وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو ابْنُ
 الْعَلَاءِ: مَثَلُهُ مَثَلُ الْبَارِزِي يَضْرِبُ كَبِيرَ الطَّيْرِ وَصَغِيرَهُ. وَكَانَ أَبُو
 الْخَطَّابِ الْأَخْفَشُ يُقَدِّمُهُ جِدًّا لَا يُقَدِّمُ عَلَيْهِ أَحَدًا. وَحَكَى
 الْأَضْمَعِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي طَرَفَةَ: كَفَاكَ مِنَ الشُّغْرَاءِ أَرْبَعَةُ زُهَيْرٌ
 إِذَا رَغِبَ وَالنَّابِغَةُ إِذَا رَهَبَ وَالْأَعَشَى إِذَا طَرِبَ وَعَتْرَةٌ إِذَا
 كَلَبَ وَزَادَ قَوْمٌ: وَجَرِيرٌ إِذَا غَضِبَ. وَقِيلَ لِكَثِيرٍ أَوْ لِنَصِيبٍ
 مِنْ أَشْعَرِ الْعَرَبِ فَقَالَ: أَمَرُوا الْقَيْسَ إِذَا رَكِبَ وَزُهَيْرٌ إِذَا رَغِبَ
 وَالنَّابِغَةُ إِذَا رَهَبَ وَالْأَعَشَى إِذَا شَرِبَ. وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ يُقَدِّمُ
 النَّابِغَةَ وَيَقُولُ هُوَ أَحْسَنُهُمْ شِعْرًا وَأَعَذُّهُمْ بَحْرًا وَأَبْعَدُهُمْ قَفْرًا.
 وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي الْخَطَّابِ فِي كِتَابِهِ الْمَوْسُومِ بِمَجْمَعَةِ أَشْعَارِ
 الْعَرَبِ إِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ قَالَ: أَخْجَابُ السَّنْعِ الَّتِي تُسَمَّى السُّنْطَ أَمَرُوا
 الْقَيْسَ وَزُهَيْرٌ وَالنَّابِغَةُ وَالْأَعَشَى وَلَبِيدٌ وَعَمْرُو وَطَرَفَةُ. (قَالَ)
 وَقَالَ الْمَفْضَلُ: مَنْ زَعَمَ أَنَّ فِي السَّنْعِ الَّتِي تُسَمَّى السُّنْطَ لِأَحَدٍ
 غَيْرِ هَؤُلَاءِ فَقَدْ أَبْطَلَ وَأَسْقَطًا مِنْ أَخْجَابِ الْمُعْلَقَاتِ عَتْرَةٌ
 وَالْحَرْثُ بْنُ حِلْزَةَ وَأَثَبَتَا الْأَعَشَى وَالنَّابِغَةُ وَكَانَتِ الْمُعْلَقَاتُ تُسَمَّى
 الْمَذْهَبَاتِ وَذَلِكَ أَنَّهَا اخْتِيرَتْ مِنْ سَائِرِ الشُّعْرِ فَكُتِبَتْ فِي
 الْقَبَاطِيِّ بِمَاءِ الذَّهَبِ وَعُلِقَتْ عَلَى الْكَعْبَةِ فَلِذَلِكَ يُقَالُ مَذْهَبَةٌ
 فَلَانٍ إِذَا كَانَتْ أَجْوَدَ شِعْرِهِ. ذَكَرَ ذَلِكَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ
 وَقِيلَ بَلْ كَانَ الْمَلِكُ إِذَا اسْتَحْيَدَتْ قَصِيدَةٌ يَقُولُ: عَلِقُوا لَنَا هَذِهِ

لِتَكُونَ فِي خِزَاتِهِ (وَقَالَ الْجَحْيِي) سَأَلَ عِكْرَمَةُ بْنُ جَرِيرٍ أَبَاهُ
جَرِيرًا. مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ قَالَ: أَعَنَ الْجَاهِلِيَّةُ تَسْأَلُنِي أَمِ الْإِسْلَامُ.
قَالَ: مَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِسْلَامَ فَإِذَا ذُكِرْتَ الْجَاهِلِيَّةُ فَأَخْبِرْنِي عَنْ
أَهْلِهَا قَالَ: زُهَيْرٌ شَاعِرُهُمْ (قَالَ) قُلْتُ: فَأَلِإِسْلَامُ قَالَ:
أَلْفَرَزْدَقُ نَبْءُ الشَّعْرِ قُلْتُ: وَالْأَخْطَلُ قَالَ: يُحْسِدُ مَدْحَ الْمُلُوكِ
وَيُصِيبُ صِفَةَ الْحَمْرِ قُلْتُ: فَمَا تَرَكْتَ لِنَفْسِكَ قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي
بَحَرْتُ الشَّعْرَ بَحْرًا (وَسُئِلَ) أَلْفَرَزْدَقُ مَرَّةً: مَنْ أَشْعَرُ الْعَرَبِ
فَقَالَ بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ. قِيلَ لَهُ: بِمَاذَا. قَالَ: بِقَوْلِهِ:

تَوَى فِي مُلْحِدٍ لَا بَدْءَ مِنْهُ كَفَى بِالْمَوْتِ نَأْيًا وَآخِرًا
ثُمَّ سُئِلَ جَرِيرٌ فَقَالَ: بَشْرُ بْنُ أَبِي خَازِمٍ. قِيلَ لَهُ: بِمَاذَا قَالَ
بِقَوْلِهِ:

رَهِينُ بِلَى وَكُلُّ فَتَى سَيْبِلَى فَشَقِي الْحَبِيبَ وَأَنْتَحِبِي أَنْتَحَابَا
فَاتَّفَقَا عَلَى بَشْرِ بْنِ أَبِي خَازِمٍ كَمَا تَرَى (وَكُتِبَ) الْحَجَّاجُ بْنُ
يُوسُفَ إِلَى قُتَيْبَةَ بْنِ مُسْلِمٍ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْعَرِ الشُّعْرَاءِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
وَأَشْعَرِ شُعْرَاءِ وَقْتِهِ فَقَالَ: أَشْعَرُ الْجَاهِلِيَّةِ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ وَأَضْرَبُهُمْ
مِثْلًا طَرَفَةً. وَأَمَّا شُعْرَاءُ الْوَقْتِ فَأَلْفَرَزْدَقُ الْفُحْرُومُ وَجَرِيرٌ أَهْجَاهُمْ
وَالْأَخْطَلُ أَوْصَفُهُمْ (وَأَمَّا الْخَطِئَةُ) فَسُئِلَ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فَقَالَ
أَبُو دُرَادٍ حَيْثُ يَقُولُ:

لَا أَعْدُ إِلَّا قِتَارَ عَدَمًا وَلَكِنْ قَدْ مَنَ قَدْ رُزِنْتُ الْإِعْدَامُ
وَهُوَ كَانَ فَحْلًا قَدِيمًا وَكَانَ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ يَتَوَكَّأُ عَلَيْهِ

وَيُرْوِي شِعْرَهُ فَلَمْ يَقُلْ فِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّقَّادِ مَقَالَةَ الْخَطِيبَةِ (وَسَأَلَهُ
أَبْنُ عَبَّاسٍ مَرَّةً أُخْرَى) فَقَالَ الَّذِي يَقُولُ :

وَمَنْ يَجْعَلِ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عِرْضِهِ
يَفِرَّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّمَّ يُشْتَمُ

وَلَيْسَ الَّذِي يَقُولُ :

وَلَسْتُ بِمُسْتَبَقِرٍ أَخَا لَا تَلْتُمُهُ عَلَى شَعَثِ أَيُّ الرِّجَالِ الْمُهَذَّبِ
وَلَكِنَّ الضَّرَاعَةَ أَفْسَدَتْهُ كَمَا أَفْسَدَتْ جِرَولًا وَاللَّهُ لَوْلَا
وَلَوْلَا لَكُنْتُ أَشْعَرَ الْمَاضِينَ . وَأَمَّا الْبَاقُونَ فَلَا أَشْكُ أَتَى أَشْعَرُهُمْ
(وَرَزَمَ) أَبْنُ أَبِي الْخَطَّابِ أَنَّ أَبَا عَمْرٍو يَقُولُ أَشْعَرُ النَّاسِ : أَرْبَعَةٌ
أَمْرُو الْقَيْسِ وَالنَّابِغَةُ وَطَرْقَةُ وَهَاهِلٌ وَقَالَ الْفَضْلُ : سُبُلُ الْقُرَزْدَقِ
فَقَالَ : أَمْرُو الْقَيْسِ أَشْعَرُ النَّاسِ وَقَالَ جَرِيرٌ : النَّابِغَةُ أَشْعَرُ النَّاسِ
وَقَالَ الْأَخْطَلُ : الْأَعَشَى أَشْعَرُ النَّاسِ وَقَالَ أَبْنُ أَحْمَرَ : زُهَيْرٌ أَشْعَرُ
النَّاسِ وَقَالَ ذُو الرُّمَّةِ : أَمِيدُ أَشْعَرِ النَّاسِ وَقَالَ نَضْرُ بْنُ شُمَيْلٍ :
طَرْقَةُ أَشْعَرُ النَّاسِ وَقَالَ الْكُمَيْتُ : عَمْرُو بْنُ كُلْثُومٍ أَشْعَرُ النَّاسِ
وَهَذَا يَدُلُّكَ عَلَى اخْتِلَافِ الْأَهْوَاءِ وَقِلَّةِ الْإِتِّفَاقِ . وَكَانَ أَبْنُ
أَبِي اسْحَاقَ وَهُوَ عَالِمٌ نَاقِدٌ وَمُقَدِّمٌ مَشْهُورٌ يَقُولُ : أَشْعَرُ الْجَاهِلِيَّةِ
الْمُرْقِشُ الْأَكْبَرُ وَأَشْعَرُ الْإِسْلَامِيِّينَ كَثِيرٌ وَهَذَا غُلُوٌّ مُفْرِطٌ
غَيْرَ أَنَّهُمْ مُجْتَبِعُونَ عَلَى أَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَطَالَ الْمَدْحَ (وَقِيلَ) لِصَيْبِ
مَرَّةً : مَنْ أَشْعَرُ الْعَرَبِ فَقَالَ : أَخُو تَيْمٍ يَعْنِي عَلَقَمَةَ بْنَ عَبْدِةَ وَقِيلَ
أَوْسُ بْنُ حَجْرٍ . وَلَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ بَعْدَ أَمْرِئِ الْقَيْسِ مَا

لِزُهَيْرٍ وَاللَّائِقَةِ وَالْأَعَشَى فِي الْأَنْفُسِ . وَعُلَمَاءُ الْبَصَرَةِ كَانُوا يُقَدِّمُونَ
أَمْرًا الْقَيْسَ وَأَهْلَ الْكُوفَةِ كَانُوا يُقَدِّمُونَ الْأَعَشَى وَأَهْلَ الْحِجَازِ
وَالْبَادِيَةَ كَانُوا يُقَدِّمُونَ زُهَيْرًا وَاللَّائِقَةَ وَكَانَ أَهْلُ الْعَالِيَةِ لَا
يَعْدِلُونَ بِاللَّائِقَةِ أَحَدًا كَمَا أَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ لَا يَعْدِلُونَ بِزُهَيْرٍ أَحَدًا .
قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : قَالَ أَهْلُ النَّظَرِ كَانَ زُهَيْرٌ أَحْصَاهُمْ شِعْرًا
وَأَبْعَدَهُمْ مِنْ تَخَفٍ وَاجْمَعَهُمْ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمَعَانِي فِي قَلِيلٍ مِنْ
الْمَنْطِقِ . وَأَمَّا اللَّائِقَةُ فَقَالَ مَنْ يَخْتِمْ لَهُ كَانَ أَحْسَنُهُمْ دِيبَاجَةَ شِعْرِ
وَأَكْثَرُهُمْ رَوْنَقَ كَلَامٍ وَأَجَزْلُهُمْ بَيِّنَاتُ شِعْرِهِ كَلَامٌ لَيْسَ
فِيهِ تَكَثُّفٌ . وَزَعَمَ أَصْحَابُ الْأَعَشَى أَنَّهُ أَكْثَرُهُمْ عَرُوضًا وَأَذْهَبُهُمْ
فِي قُنُونِ الشِّعْرِ وَأَكْثَرُهُمْ طَوِيلَةَ جِيدَةٍ وَمَدَحًا وَمُجَاسًا وَفَحْرًا
وَصِفَةً (وَقَالَ بَعْضُ مُتَقَدِّمِي الْعُلَمَاءِ) الْأَعَشَى أَشْعَرُ الْأَرْبَعَةِ قِيلَ
لَهُ : قَايِنَ الْخَبَرِ عَنِ النَّبِيِّ إِنَّ أَمْرًا الْقَيْسَ يَسِدُّ لِيَا الشِّعْرَ
فَقَالَ : هَذَا الْخَبَرُ صَحَّ لِلْأَعَشَى مَا قُلْتُ وَذَلِكَ أَنَّهُ مَا مِنْ حَامِلٍ لِيَا
إِلَّا عَلَى رَأْسِ أَمِيرٍ فَأَمَرُوهُ الْقَيْسَ حَامِلَ الْيَا وَالْأَعَشَى الْأَمِيرُ
(وَسُئِلَ) حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فَقَالَ : أَرْجُلَا أُمِّ حَيٍّ
قِيلَ بَلْ حَيَّا قَالَ : أَشْعَرُ النَّاسِ حَيَّا هَذَا . قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ .
الْجَحِي وَأَشْعَرُ هَذَا أَبُو ذُؤَيْبٍ غَيْرَ مُدَافِعٍ . (وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ)
قَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : أَفْضَحُ الشُّعْرَاءِ السَّنَا وَأَعْرَبُهُمْ أَهْلُ
السَّرَوَاتِ وَهُمْ ثَلَاثٌ وَهِيَ الْحِجَالُ الْمَطْلُةُ عَلَى تِهَامَةٍ بِمَا يَلِي
الْيَمَنَ فَأَوَّلُهَا هَذَا وَهِيَ تَلِي الرَّمْلَ مِنْ تِهَامَةٍ ثُمَّ عَلَيْهِ السَّرَاةُ

الْوُسْطَى وَقَدْ شَرَكْتَهُمْ ثَقِيفٌ فِي نَاجِيَةٍ مِنْهَا . ثُمَّ سَرَاةُ الْأَزْدِ
 أَزْدَشُوهُ وَهُمْ بَنُو الْحَرِثِ بْنِ كَعْبٍ بْنِ الْحَرِثِ بْنِ نَضْرِ بْنِ
 الْأَزْدِ وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو أَيْضًا : أَفْصَحُ النَّاسِ عَلِيًّا تَمِيمٌ وَسُؤْلَى قَيْسٍ
 وَقَالَ أَبُو زَيْدٍ : أَفْصَحُ النَّاسِ سَافِلَةُ الْعَالِيَةِ وَعَالِيَةُ السَّافِلَةِ يَعْنِي
 هَوَازِنَ وَأَهْلُ الْعَالِيَةِ أَهْلُ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَمَنْ يَلِيهَا وَدَنَا مِنْهَا
 وَلَقَبْتُهُمْ لَيْسَتْ بِتِلْكَ عِنْدَهُ . وَقَوْمٌ يَرُونَ تَقْدِيمَةَ الشَّعْرِ لِلْيَمَنِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ
 بِأَمْرِ الْقَيْسِ وَفِي الْإِسْلَامِ بِحَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ وَفِي أُمَوِيِّينَ
 بِالْحَسَنِ بْنِ هَانِيٍّ وَأَصْحَابِهِ . وَأَشْعَرُ أَهْلِ الْمَدَرِ بِإِجْمَاعٍ مِنَ النَّاسِ
 وَأَتَقَاتِي حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : خُتِمَ الشَّعْرُ
 بِذِي الرُّمَّةِ وَالرَّجَزِ بِرُؤْبَةِ بْنِ الْعُجَّاجِ . وَزَعَمَ يُونُسُ : أَنَّ الْعُجَّاجَ
 لَيْسَ فِي شِعْرِهِ شَيْءٌ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يَقُولَ : لَوْ كَانَ مَكَانَهُ
 غَيْرُهُ لَكَانَ أَجْوَدَ (وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ) إِنَّمَا كَانَ الشَّاعِرُ يَقُولُ
 مِنَ الرَّجَزِ الْبَيْتَيْنِ وَالْثَلَاثَةَ وَنَحْوَ ذَلِكَ إِذَا حَارَبَ أَوْ شَاتَمَ أَوْ
 فَاهَرَ حَتَّى كَانَ الْعُجَّاجُ أَوَّلَ مَنْ أَطَالَهُ وَقَصَّدهُ وَشَبَّ فِيهِ وَذَكَرَ
 الدِّيَّارَ وَاسْتَوْقَفَ الرِّكَابَ عَلَيْهَا وَاسْتَوْصَفَ مَا فِيهَا وَبَكَى عَلَى
 الشَّبَابِ وَوَصَفَ الرَّاحِلَةَ كَمَا فَعَلَتِ الشُّعْرَاءُ بِالْقَصِيدِ فَكَانَ فِي
 الرُّجَازِ كَأَمْرِ الْقَيْسِ فِي الشُّعْرَاءِ . وَقَالَ غَيْرُهُ : أَوَّلُ مَنْ طَوَّلَ
 شِعْرَ الرَّجَزِ الْأَغْلَبُ الْفُجَلِيُّ وَهُوَ قَدِيمٌ . وَزَعَمَ الْجَمْعِيُّ وَغَيْرُهُ أَنَّهُ أَوَّلُ
 مَنْ رَجَزَ . وَقَالَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي الْعُمْدَةِ : وَلَا أَظُنُّ ذَلِكَ صَحِيحًا لَهُ
 لِأَنَّهُ إِنَّمَا كَانَ عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ وَنَحْنُ نَحْمَدُ الرَّجَزَ أَقْدَمَ مِنْ ذَلِكَ .

وَكَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَقُولُ: أَفْتَحَ الشَّعْرُ بِأَمْرِ الْقَيْسِ وَخَيَّمَ بِأَبْنِ
 هَرَمَةَ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: الشَّعْرَاءُ ثَلَاثَةُ جَاهِلِيٍّ وَإِسْلَامِيٍّ وَمَوْلَدٍ
 فَأَجَاهِلِيٌّ أَمْرُهُ الْقَيْسُ وَالْإِسْلَامِيُّ ذُو الرُّمَّةِ وَالْمَوْلَدُ أَبْنُ الْمُعْتَرِ
 وَهَذَا قَوْلُ مَنْ يُفَضِّلُ الْبَدِيعَ وَخَاصَّةً التَّشْبِيهَ عَلَى جَمِيعِ قُنُونِ
 الشَّعْرِ. وَطَائِفَةٌ أُخْرَى تَقُولُ بِلِ الثَّلَاثَةِ الْأَعَشَى وَالْأَخْطَلُ وَأَبُو
 أَمَّوَارِسَ وَهَذَا مَذْهَبُ أَصْحَابِ الْحَذَرِ وَمَا نَاسَبَهَا وَمَنْ يَقُولُ
 بِالتَّصْرِفِ وَفَلَّةُ التَّكْلُفِ. وَقَالَ قَوْمٌ بِلِ الثَّلَاثَةِ مُنْهَلٌ وَأَبْنُ أَبِي
 رَيْبَعَةَ وَعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ وَهَذَا قَوْلُ مَنْ يُوْزِنُ الْأَنْفَةَ وَسَهُولَةَ
 الْكَلَامِ وَالْفَذْرَةَ عَلَى الصَّنْعَةِ وَالْجَوِيدِ فِي قِنٍ وَاحِدٍ وَلَيْسَ فِي
 الْمَوْلَدِينَ أَشْهُرُ اسْمًا مِنْ أَحْسَنَ شَيْءٍ حَبِيبٍ وَالْجُبَيْرِيِّ. وَيُقَالُ إِنَّهُمَا
 أَحْمَلَا فِي زَمَانِهِمَا خَمْسَانَةَ شَاعِرٍ كُلُّهُمْ مُجِيدٌ ثُمَّ تَبِعَهُمَا فِي
 الْأَشْتِهَارِ أَبْنُ الْأَرْوَمِيِّ وَأَبْنُ الْمُعْتَرِ وَطَارَ اسْمُ أَبْنِ الْمُعْتَرِ حَتَّى صَارَ
 كَالْحَسَنِ فِي الْمَوْلَدِينَ وَأَمْرِي الْقَيْسِ فِي الْقَدَمَاءِ. ثُمَّ جَاءَ الْمُتَنَبِّئِيُّ
 قَلَامَ الذَّنْبِ وَهَذَا كُلُّهُ كَلَامُ أَبْنِ رَشِيقٍ

قَالَ صَاحِبُ الْأَغَانِي:

وَبِمَنْ صَنَعَ مِنْ أَوْلَادِ الْخُلَفَاءِ قَاجَادَ وَأَحْسَنَ وَبَرَّعَ
 وَتَقَدَّمَ أَهْلَ عَصْرِهِ فَضْلًا وَشَرَفًا وَأَدَبًا وَشِعْرًا وَظُرْفًا
 وَتَصَرَّفًا فِي سَائِرِ الْأَدَابِ أَبُو الْعَبَّاسِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِ بِاللَّهِ
 وَأَمْرُهُ مَعَ قُرْبِ عَصْرِنَا هَذَا مَشْهُورٌ فِي فَضَائِلِهِ وَأَدَابِهِ. وَشِعْرُهُ
 وَإِنْ كَانَ فِيهِ رِقَّةٌ الْمُلُوكِيَّةُ وَغَزَلُ الظُّرَفَاءِ وَهَلْهَلَةُ الْخُحْدَثَيْنِ

فَإِنَّ فِيهِ أَشْيَاءَ كَثِيرَةً تَجْرِي فِي أَسْلُوبِ الْمُحِيدِينَ وَلَا تُقَصِّرُ
عَنْ مَدَى السَّائِقِينَ وَأَشْيَاءَ ظَرِيفَةً مِنْ أَشْعَارِ الْمُلُوكِ فِي جِنْسِ
مَا هُمْ بِسَبِيلِهِ لَيْسَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَشَبَّهُ فِيهَا بِفُحُولِ أَجَاهِلِيَّةٍ . فَلَيْسَ
يُمْكِنُ وَاصِفًا لَصُبُوحٍ فِي مَجْلِسِ شَكْلِ ظَرِيفٍ بَيْنَ نُدَامَى وَقِيَانٍ
وَعَلَى مِيَادِينَ مِنَ النُّورِ وَالْبَنَفْسِجِ وَالْأَرْجَسِ وَمَنْضُودٍ مِنْ أَمْثَالِ
ذَلِكَ إِلَى غَيْرِ مَا ذَكَرْتُهُ مِنْ جِنْسِ الْعَجَائِلِ وَقَافِرِ الْقُرَشِ وَمُخْتَارِ
الْأَلَاتِ وَرِقَّةِ الْحَدَمِ أَنْ يَعْدَلَ بِذَلِكَ عَمَّا يُشَبِّهُهُ مِنَ الْكَلَامِ .
السَّبْطِ الرَّقِيقِ الَّذِي يَفْهَمُهُ كُلُّ مَنْ حَضَرَ إِلَى جَفَدِ الْكَلَامِ .
وَوَحْشِيَّةٍ وَإِلَى وَصْفِ أَلْيَدٍ وَالْمَاهِمِ وَالطَّبَّاءِ وَالظُّلُمِ وَالْمَأَقَةِ وَالْجَمَلِ
وَالدِّيَارِ وَالْفِقَارِ وَالْمَازِلِ الْخَالِيَةِ الْمَهْجُورَةِ وَلَا إِذَا عَدَلَ عَنْ ذَلِكَ
وَأَحْسَنَ قِيلَ لَهُ مُسِيءٌ وَلَا أَنْ يَفْطَحَ حَقَّهُ كُلَّهُ إِذَا أَحْسَنَ
الْكَثِيرَ وَتَوَسَّطَ فِي الْبَغْضِ وَقَصَرَ فِي الْإِسِيرِ وَيُنْسَبُ إِلَى التَّقْصِيرِ
فِي الْجَمِيعِ لِلشَّرِّ الْمَقَاجِمِ وَطَيِّ الْحَاسِنِ . فَلَوْ شَاءَ أَنْ يَفْعَلَ هَذَا
كُلُّ أَحَدٍ بِمَنْ تَقَدَّمَ لَوْجَدَ مَسَاغًا وَلَوْ أَنَّ قَانِلًا أَرَادَ الطَّغْنَ عَلَى
صُدُورِ الشُّعْرَاءِ لَقَدَّرَ أَيُّ أَنْ يَطْغَنَ عَلَى الْأَعْمَى وَهُوَ أَحَدُ مَنْ
يُقَدِّمُهُ الْأَوَائِلُ عَلَى سَائِرِ الشُّعْرَاءِ بِقَوْلِهِ :

فَأَصَابَ حَبَّةَ قَلْبِهِ وَطَحَّاهَا

وَبَقَوْلِهِ :

وَقَدْ كَانَ إِنْ يَأْمُرُهُمْ كُلٌّ لَيْلَةٍ بِقِتِّ وَتَعْلِيْقٍ فَقَدْ كَادَ يَسْبِقُ
وَأَمْثَالُ هَذَا كَثِيرَةٌ . وَإِنَّمَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يُحْفَظَ مِنْ

الشَّيْءُ أَحْسَنَهُ وَيُلْغِي مَا لَا يُسْتَحْسِنُهُ فَلَيْسَ مَأْخُودًا بِهِ وَلَكِنَّ أَقْوَامًا
 أَرَادُوا أَنْ يَرْفَعُوا أَنْفُسَهُمُ الْوَضِيعَةَ وَيَشِيدُوا بِذِكْرِهِمُ الْخَالِيلَ
 وَيُعْلُوا أَعْدَادَهُمُ السَّاقِطَةَ بِالطَّعْنِ عَلَى أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْقَدَحِ فِيهِمْ
 فَلَا يَزْدَادُونَ بِذَلِكَ إِلَّا ضَعْفًا وَلَا يَزْدَادُ الْآخَرُ إِلَّا ارْتِفَاعًا. أَلَا تَرَى
 إِلَى ابْنِ الْمُغْتَرِّ قَدْ قُتِلَ أَسْوَأَ قَتْلَةٍ وَدَرَجَ فَلَمْ يَبْقَ لَهُ خَلْفٌ يَفْرُطُهُ
 وَلَا عَقَبٌ يَرْفَعُ مِنْهُ وَمَا يَزْدَادُ بِأَدَبِهِ وَشِعْرِهِ وَقُضِيهِ وَحُسْنِ إِخْبَارِهِ
 وَتَصَرُّفِهِ فِي كُلِّ فَنٍّ مِنَ الْعُلُومِ إِلَّا رَفْعَةً وَعُلُوءًا وَلَا نَظَرَ إِلَى اضْدَادِهِ
 كُلَّمَا أَزْدَادُوا فِي طَنْبِهِ وَتَقْرِيطِ أَنْفُسِهِمْ. وَأَسْلَفَهُمُ الَّذِينَ كَانُوا
 مِثْلَهُمْ فِي ثَلْبِهِ وَالطَّعْنِ عَلَيْهِ زَادُواهَا سُقُوطًا وَضَعَةً وَكُلَّمَا وَصَفُوا
 أَشْعَارَهُمْ وَقَرَّطُوا أَدَابَهُمْ زَادُوا بِهَا ثِقَلًا وَمَثًا فَإِذَا وَقَعَ عَلَيْهِمُ
 الْحُصْلُ الْمُوَافِقُ عَدَلُوا عَنْ ثَلْبِهِ فِي الْأَدَابِ إِلَى التَّشْنِيعِ بِأَمْرِ
 الَّذِينَ وَهَبَاءُ آلِ أَبِي طَالِبٍ وَهُمْ أَوَّلُ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ وَشَنَعَ بِهِ عَلَى
 آلِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ الْمُكْتَنَفِي حَتَّى نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَدَلُوا عَنْ عَيْبِ
 أَنْفُسِهِمْ بِذَلِكَ إِلَى عَيْبِهِ وَارْتَكَبُوا اكْثَرَ مِثْلِهِ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ
 حَسَنَ الْعِلْمِ بِصِنَاعَةِ الْمَوْسِيقَى وَالْكَلَامِ عَلَى النَّثَمِ وَعِلْمَهَا وَلَهُ فِي
 ذَلِكَ وَفِي غَيْرِهِ مِنَ الْأَدَابِ كُتُبٌ مَشْهُورَةٌ وَمُرَاسِلَاتٌ جَرَتْ
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ وَبَيْنَ بَنِي حَمْدُونَ
 وَغَيْرِهِمْ تَدُلُّ عَلَى فَضْلِهِ وَغَزَاةٍ عَلَيْهِ وَآدَبِهِ وَلَقَدْ قَرَأْتُ بِحُطِّ عُبَيْدِ
 اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ رُفْعَةً إِلَيْهِ بِحُطِّهِ وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ بِرِسَالَةٍ إِلَى ابْنِ
 حَمْدُونَ فِي أَنَّهُ يُجَوِّزُ وَلَا يُنْكِرُ أَنْ يُغَيَّرَ الْإِنْسَانُ بَعْضُ نَعَمِ الْعِلَاءِ

الْقَدِيمِ وَيَعْدِلَ بِهَا إِلَى مَا يُحْسَنُ فِي خُلُقِهِ وَمَذْهَبِهِ وَهِيَ رِسَالَةٌ
طَوِيلَةٌ لَيْسَ هَذَا مَوْضِعُ ذِكْرِهَا

البحث الثاني

في المقلّين من الشعراء

(من الكتاب نفسه)

ثُمَّ قَالَ: وَلَمَّا كَانَ الْمَشَاهِيرُ مِنَ الشُّعْرَاءِ كَمَا قَدَّمْتُ أَصْغَرَ
مِنْ أَنْ يُخَصَّوْا ذَكَرْتُ مِنَ الْمُقْلِينَ مَنْ وَسَّعَ ذِكْرُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ
فَنَهْمُ طَرَقَةَ بْنِ الْعَبْدِ وَعَبِيدُ بْنُ الْأَبْرَصِ وَعَلَقَمَةُ الْفَحْلُ وَعَدِيُّ
ابْنُ زَيْدٍ. وَطَرَقَةُ فَضَّلَ النَّاسَ بِوَاحِدَةٍ عِنْدَ الْعُلَمَاءِ وَهِيَ الْمَلَقَةُ:
لِحَوَاةٍ أَطْلَالٍ يَبْرِقُ تَهْمِدُ

وَلَهُ سِوَاهَا يَسِيرٌ لِأَنَّهُ قُتِلَ صَغِيرًا حَوْلَ الْعِشْرِينَ فِيمَا رُوِيَ
وَأَصَحُّ مَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ أُخْتِهِ تَرْثِيهِ:

عَدَدُ نَالِهِ سِتًّا وَعِشْرِينَ حِجَّةً فَلَمَّا تَوَفَّاهَا أَسْتَوَى سَيِّدًا صَحْمًا
فُجِعْنَا بِهِ لَمَّا رَجَوْنَا إِيَابَهُ عَلَى خَيْرِ حَالٍ لَا وَلِيدًا وَلَا نَحْمًا
أَنْشَدَهُ الْمُبَرَّدُ وَالْتَحَمَ الْمُتَنَاهِي فِي السِّنِّ. وَعَبِيدُ قَلِيلُ الشُّعْرِ
فِي أَيْدِي النَّاسِ عَلَى قِدَمِ ذِكْرِهِ وَعِظَمِ شُهْرَتِهِ وَطُولِ عُمرِهِ يُقَالُ
إِنَّهُ عَاشَ ثَلَاثِمِائَةَ سَنَةٍ وَكَذَلِكَ أَبُو ذُرَّادٍ. وَإِعْلَامَةُ الْفَحْلِ ثَلَاثُ
قَصَائِدَ مَشْهُورَاتُ أَحَدَاهَا قَوْلُهُ:

ذَهَبْتَ مِنَ الْعُجْرَانِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ وَالثَّانِيَةُ قَوْلُهُ (طَحَا بِكَ قَلْبُ

فِي الْحِسَانِ طَرُوبُ) وَالثَّلَاثَةُ قَوْلُهُ (هَلْ مَا عَلِمْتَ وَمَا اسْتَوْدَعْتَ مَكْتُومُ)
وَأَمَّا عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ فَمَشْهُورَاتُهُ أَرْبَعُ قَوْلُهُ: (أَرَوَّاحُ مُودِعِ أَم
بُكُورُ) وَقَوْلُهُ (أَتَعْرِفُ رَسَمَ الدَّارِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدٍ) وَقَوْلُهُ (لَيْسَ
شَيْءٌ عَلَى النَّوْنِ بِبَاقٍ) وَقَوْلُهُ:

لَمْ أَرِ مِثْلَ الْفَتَيَانِ فِي غَيْرِ أَلَا مَ يَأْمُ يَلْسُونُ مَا عَوَّافِيهَا
وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو: عَدِيُّ بْنُ الشُّعْرَاءِ مِثْلُ سَهْلٍ فِي النُّجُومِ
يُعَارِضُهَا وَلَا يَجْزِي مَعَهَا هُوَلَاءُ أَشْعَارِهِمْ كَثِيرَةٌ فِي ذَاتِهَا قَلِيلَةٌ
فِي أَيْدِي النَّاسِ ذَهَبَتْ بِذَهَابِ الرُّوَاةِ الَّذِينَ يَجْمَلُونَهَا .
وَمِنْ الْمُقَاتِلِينَ سَلَامَةُ بْنُ جَنْدَلٍ وَحُصَيْنُ بْنُ الْحَمَامِ الْمُرِّيُّ
وَالْمُتَلَسِّسُ وَالْمُسَيَّبُ بْنُ عَالَسٍ كُلُّ أَشْعَارِهِمْ قَلِيلٌ فِي ذَاتِهِ جَيِّدُ
الْجُمْلَةِ . وَيُرْوَى عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَنَّهُ قَالَ: اتَّفَقُوا أَنَّ أَشْعَرَ الْمُقَاتِلِينَ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ ثَلَاثَةٌ الْمُتَلَسِّسُ وَالْمُسَيَّبُ بْنُ عَالَسٍ وَحُصَيْنُ بْنُ الْحَمَامِ
الْمُرِّيُّ . وَأَمَّا أَصْحَابُ الْوَاحِدَةِ فَطَرَفَةُ أَوَّلُهُمْ وَمِنْهُمْ عُنْتَرَةُ وَالْحَرْثُ
ابْنُ جِلْزَةَ وَعَمْرُو بْنُ كُثُومٍ أَصْحَابُ الْمَعْلَقَاتِ الْمَشْهُورَاتِ وَعَمْرُو بْنُ
مَعْدِي كَرَبٍ وَالْأَشْعَرُ بْنُ حَمْرَانَ الْجُعْفِيُّ وَسُوَيْدُ بْنُ أَبِي كَاهِلٍ
وَالْأَسْوَدُ بْنُ يَغْفَرٍ وَكَانَ أَمْرُهُمُ الْقَيْسُ مُقْلًا كَثِيرُ الْمَعَانِي
وَالْتَصَرُّفِ لَا يَصِحُّ لَهُ إِلَّا نَيْفٌ وَعِشْرُونَ شِعْرًا بَيْنَ طَوِيلٍ وَقِطْعَةٍ



البحث الثالث

في المغلّين من الشعراء

(من الكتاب نفسه)

وَأَمَّا الْمُغْلَبُونَ فَمِنْهُمْ تَابِعَةُ بْنُ جَعْدَةَ وَمَعْنَى الْمُغْلَبِ الَّذِي لَا
ذَالَ مَغْلُوبًا قَالَ أَمْرُوهُ الْقَيْسُ :

فَالَيْكَ لَمْ يَفْعَرْ عَلَيْكَ كَفَاخِرِ صَعِيفٍ وَلَمْ يَغْلِبِكَ وَمِثْلُ مُغْلَبٍ
يَعْنِي إِذَا قَدَّرَ لَمْ يُبْقِ وَقَدْ غَلَبَ عَلَى الْجَعْدِيِّ أَوْسُ بْنُ مَفْرَاءَ
وَلَيْلَى الْأَخِيلِيَّةُ وَغَيْرُهُمَا. وَقِيلَ إِنَّ مَوْتَ الْجَعْدِيِّ كَانَ بِسَبَبِ لَيْلَى
الْأَخِيلِيَّةِ فَرَّ مِنْ بَيْنَ يَدَيْهَا فَمَاتَ فِي الطَّرِيقِ مُسَافِرًا . وَالْمُغْلَبُونَ
الزُّبُرْقَانُ غَلَبَهُ عَمْرُو بْنُ الْأَهِمِّ وَغَلَبَهُ الْمُغْلِيلُ السَّعْدِيُّ وَغَلَبَهُ الْخَطِيبَةُ
وَقَالَ يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ كَانَ الْبَعِيثُ مُغْلَبًا فِي الْخُطْبِ

قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ فِي الْعُمْدَةِ فِي بَابِ الْقُدَمَاءِ وَالْمُحْدَثِينَ :
كُلُّ قَدِيمٍ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَهُوَ مُحْدَثٌ فِي زَمَانِهِ بِالْإِضَافَةِ إِلَى مَنْ
كَانَ قَبْلَهُ وَكَانَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ يَقُولُ لَقَدْ حَسُنَ هَذَا الْمَوْلَدُ
حَتَّى هَمَمْتُ أَنْ أَمَرَ صَبِيحًا بِرَوَايَتِهِ يَعْنِي بِذَلِكَ شِعْرَ جَرِيرٍ
وَالْفَرَزْدَقِ فَجَعَلَهُ مَوْلَدًا بِالْإِضَافَةِ إِلَى شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ وَالْمُحَضَّرَمِينَ
وَكَانَ لَا يَعُدُّ الشُّعْرَ إِلَّا مَا كَانَ لِلْمُتَقَدِّمِينَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : جَلَسْتُ
إِلَيْهِ عَشَرَ حَجَجٍ فَمَا سَمِعْتُهُ يَنْتَحِجُ بَيْنَتِ إِسْلَامِي وَسُئِلَ عَنْ
الْمَوْلَدِينَ فَقَالَ : مَا كَانَ مِنْ حَسَنِ فَقَدْ سُبِّحُوا إِلَيْهِ وَمَا كَانَ مِنْ

قَبِيحٌ فَهُوَ مِنْ عِنْدِهِمْ لَيْسَ النَّبَطُ وَاحِدًا هَذَا مَذْهَبُ أَبِي عَمْرٍو
 وَأَصْحَابِهِ كَمَا لِأَصْمَعِيِّ وَأَبْنِ الْأَمْرِيٍّ أَعْنِي أَنْ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ
 يَذْهَبُ فِي أَهْلِ عَصْرِهِ هَذَا الْمَذْهَبَ وَيُقَدِّمُ مَنْ قَبْلَهُمْ وَلَيْسَ
 ذَلِكَ لِشَيْءٍ إِلَّا لِحَاجَتِهِمْ فِي الشَّعْرِ إِلَى الشَّاهِدِ وَقَلَّةِ ثِقَتِهِمْ بِمَا يَأْتِي
 بِهِ الْمَوْلَدُونَ فَأَمَّا أَبُو قَتَيْبَةَ فَقَالَ: لَمْ يَقْصِرِ اللَّهُ الشَّعْرَ وَالْعِلْمَ
 وَالْبَلَاغَةَ عَلَى زَمَنِ دُونَ زَمَنِ وَلَا خَصَّ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ بَلْ جَعَلَ
 ذَلِكَ مُشْتَرَكًا مَقْسُومًا بَيْنَ عِبَادِهِ فِي كُلِّ دَهْرٍ وَجَعَلَ كُلَّ قَدِيمٍ
 حَدِيثًا فِي عَصْرِهِ. ثُمَّ قَالَ أَبُو رَشِيقٍ فِي بَابٍ آخَرَ: طَبَقَاتُ
 الشُّعْرَاءِ أَرْبَعٌ جَاهِلِيٌّ قَدِيمٌ وَمُحَضَّرٌ وَهُوَ الَّذِي أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ
 وَإِسْلَامِيٌّ وَمُحَدَّثٌ ثُمَّ صَارَ الْمُحَدَّثُونَ طَبَقَاتٍ أُولَى وَثَانِيَّةٌ عَلَى
 التَّدْرِيجِ هَكَذَا فِي الْأَهْوَاطِ إِلَى وَتَنَا هَذَا فَلْيَعْلَمْ الْمُتَأَخِّرُ مِقْدَارَ مَا
 بَقِيَ لَهُ مِنَ الشَّعْرِ مُتَصَفِّحًا أَشْعَارَ مَنْ قَبْلَهُ لِيَنْظُرَ كَمْ بَيْنَ الْمُحَضَّرِ
 وَالْجَاهِلِيِّ وَبَيْنَ الْإِسْلَامِيِّ وَالْمُحَضَّرِ وَأَنَّ لِلْمُحَدَّثِ الْأَوَّلِ فَضْلًا
 عَمَّنْ بَعْدَهُ فِي الثَّلَاثَةِ. فَفِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِيَّةِ مَنْ ذَهَبَ
 بِكُلِّ مَلَاةٍ وَرَشَاقَةٍ وَسَبَقَ إِلَى كُلِّ طُلَاوَةٍ وَلَبَاقَةٍ (قَالَ أَبُو
 الْحَسَنِ الْأَخْفَشُ: يُقَالُ مَا هُ خَضِرٌ إِذَا تَأَهَّى فِي الْكَثْرَةِ
 وَالسَّعَةِ فَفَنَّهُ سُبَى الرَّجُلِ الَّذِي شَهِدَ الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ مُحَضَّرًا
 كَمَا هُوَ أَسْتَوْنِي الْأَمْرَيْنِ (قَالَ) وَيُقَالُ: أُذُنٌ مُحَضَّرَةٌ إِذَا
 كَانَتْ مَقْطُوعَةً فَكَأَنَّهُ أَنْقَطَعَ عَنِ الْجَاهِلِيَّةِ إِلَى الْإِسْلَامِ.
 (وَحَكَى) أَبُو قَتَيْبَةَ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ: أَسْلَمَ قَوْمٌ فِي

الْجَاهِلِيَّةَ عَلَى إِبْلِ قَطَعُوا آذَانَهَا فَسَمِيَ كُلُّ مَنْ أَدْرَكَ الْجَاهِلِيَّةَ
وَالْإِسْلَامَ مُحْضَرًا وَزَعَمَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ مُحْضَرًا حَتَّى يَكُونُ
إِسْلَامُهُ بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ وَقَدْ أَدْرَكَهُ كَثِيرًا فَلَمْ يُسَلِّمْ (قَالَ) ابْنُ
رَشِيْقٍ : وَهَذَا عِنْدِي خَطَأٌ لِأَنَّ النَّابِغَةَ الْجَعْدِيَّ وَلَيْسَ قَدْ وَقَعَ
عَلَيْهَا هَذَا الْإِسْمُ قَامًا عَلَيَّ ابْنُ الْحَسَنِ كِرَاعٌ فَقَدْ حَكَى شَاعِرٌ
مُحْضَرٌ بِحَاءٍ غَيْرِ مُنْجَبَةٍ مَأْخُودٌ مِنَ الْخَضْرَمَةِ وَهِيَ الْخَلْطَةُ لِأَنَّهُ خَلَطَ
الْجَاهِلِيَّةَ وَالْإِسْلَامَ وَقَالُوا : الشُّعْرَاءُ أَرْبَعَةٌ : شَاعِرٌ خَنْزِيدٌ وَهُوَ
الَّذِي يَجْمَعُ إِلَى جُودَةِ شِعْرِهِ رِوَايَةَ الْحَجِيدِ مِنْ شِعْرِ غَيْرِهِ . وَسُئِلَ
رُؤْبَةُ عَنْ الْفَحُولِ فَقَالَ : هُمْ الرُّوَاةُ . وَشَاعِرٌ مُفْلِقٌ وَهُوَ الَّذِي لَا
رِوَايَةَ لَهُ إِلَّا أَنَّهُ مُجَوِّدٌ كَالْخَنْزِيدِ فِي شِعْرِهِ . وَشَاعِرٌ فَقَطٌ وَهُوَ
فَوْقَ الرَّدِيِّ بِدَرَجَةٍ وَشِعْرُورٌ وَهُوَ لَا شَيْءَ . قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :
يَا رَابِعَ الشُّعْرَاءِ كَيْفَ هَجَوْتَنِي وَزَعَمْتَ إِنِّي مُفْهِمٌ لَا أَنْطِقُ
وَقِيلَ بَلْ هُمْ شَاعِرٌ مُفْلِقٌ مُطْبِقٌ وَشَوَيْعِرٌ وَشِعْرُورٌ وَالْمُفْلِقُ
الَّذِي يَأْتِي فِي شِعْرِهِ بِالْفَلَقِ وَهُوَ الْعَجَبُ وَقِيلَ الدَّاهِيَةُ (قَالَ
الْأَضْمَعِيُّ) الشَّوَيْعِرُ خُمْرَانُ بْنُ أَبِي خُمْرَانَ سَمَّاهُ بِذَلِكَ أَمْرُؤُ
أَنْقَسِرٍ وَمِثْلُ عَبْدِ الْغَزِيرِ الْمَعْرُوفِ بِالشَّوَيْعِرِ . قَالَ الْجَاهِظُ :
وَالشَّاعِرُ عَبْدُ بَالِيلٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ لَيْثٍ وَقِيلَ اسْمُهُ رَيْعَةُ بْنُ
عُثْمَانَ وَقَالَ بَعْضُهُمْ شَاعِرٌ وَشَوَيْعِرٌ وَشِعْرُورٌ . قَالَ الْعَبْدِيُّ فِي شَاعِرٍ
يُدْعَى الْمَفُوفَ مِنْ بَنِي ضَبَّةَ ثُمَّ مِنْ بَنِي خَمِيسَ :
أَلَا تَنْهَى سَرَاةَ بَنِي خَمِيسَ شَوَيْعِرَهَا فَوَيْلِيَةِ الْأَفَاعِي

فَسَمَاهُ شُوبِعِرًا. وَقَالِيَةُ الْأَفَاعِي دُوبِيَّةٌ فَوْقَ الْخُنُفَسَاءِ فَصَعَّرَهَا تَحْقِيرًا بِهِ
وَزَعَمَ الْحَارِثِيُّ أَنَّ النَّابِغَةَ سُئِلَ: مَنْ أَشْعَرُ النَّاسِ فَقَالَ مَنْ أَسْتَحْيَدُ
جَيْدُهُ وَأَضْحَكَ رَدِيئُهُ كَانَ مِنْ سَفَلَةِ الشُّعْرَاءِ إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ
فِي الْهَجَاءِ خَادَّةً وَقَالَ الْخَطِيبَةُ:

الشُّعْرُ صَعْبٌ وَطَوِيلٌ سَامِعٌ وَالشُّعْرُ لَا يَسْطِيعُهُ مَنْ يَظْلِمُهُ
إِذَا أَرْتَقَى فِيهِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ زَلَّتْ بِهِ إِلَى الْحَضِيضِ قَدَمُهُ
يُرِيدُ أَنْ يُعْرَبَهُ فَيُنْجِمُهُ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ:

الشُّعْرَاءُ قَاعِلَمْنَ أَرْبَعَهُ فَشَاعِرٌ لَا يُرْتَجَى لِنَفْعِهِ
وَشَاعِرٌ يُنْشَدُ وَسَطَ الْحَجْمَةِ وَشَاعِرٌ آخَرٌ لَا يُجْرَى مَعَهُ
وَشَاعِرٌ يَقَالُ خَمْرٌ فِي دَعَاهُ

قَالَ ابْنُ رَشِيقٍ: وَإِنَّمَا سُمِّيَ الشَّاعِرُ شَاعِرًا لِأَنَّهُ يَشْعُرُ بِمَا لَا
يَشْعُرُ بِهِ غَيْرُهُ. قَالَ ابْنُ خَالَوَيْهِ فِي شَرْحِ الدُّرَيْدِيِّ يَقَالُ:
أَنشَدْتُهُ مُقَلَّدَاتِ الشُّعْرَاءِ أَيَّ آيَاتِهِمُ الطَّنَّانَةِ الْمُسْتَحْسَنَةِ وَيَقُولُ
آخَرُونَ: إِنَّ الْمُقَلَّدَ مِنَ الشُّعْرِ مَا كَانَ أَمُّهُ الْمَمْدُوحُ فِيهِ مَذْكُورًا
فِي قَافِيَتِهِ وَيُقَالُ: هَذَا أَلْبَيْتُ عُقْرِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ أَيُّ أَجُودَ بَيْتٍ
فِيهَا كَمَا يَقَالُ: هَذَا بَيْتُ طَنَّانٍ. اهـ. وَفِي الْمَقْصُورِ وَالْمَمْدُودِ
لِلْقَائِلِي: قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ فِي قَوْلِ النَّابِغَةِ الدُّبَيَّانِي:

يَصْدُ الشَّاعِرُ الثَّنَانُ عَنِّي صُدُودَ الْبَكْرِ عَنْ قَوْمِ الْهَجَانِ

قَالَ الثَّنَانُ الَّذِي هُوَ شَاعِرٌ وَأَبُوهُ شَاعِرٌ كَكَعْبِ بْنِ زَهَيْرٍ

وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ حَسَّانَ وَرُوَيْتُهُ بْنُ الْحَجَّاجِ. وَقَالَ أَبُو غَمْرٍو الشَّيْبَانِيُّ
 الثُّنْيَانُ الَّذِي يُسْتَشْتَى قِيَالُ مَا فِي الْقَوْمِ أَشْعَرُ مِنْ فُلَانٍ إِلَّا
 فُلَانٌ فُلَانٌ قِيَالُ مَا فِي الْقَوْمِ أَشْعَرُ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ الثُّنْيَانُ
 الَّذِي تُشْتَى عَلَيْهِ الْخَاصِرُ فِي الْعَدَدِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ
 هُوَ الَّذِي يُسْتَشْتَى مِنَ الشُّعْرَاءِ لِأَنَّهُ دُونَهُمْ. وَقَالَ غَيْرُهُ الثُّنْيَانُ
 الضَّعِيفُ. وَقَالَ الْقَالِي: الثُّنْيَانُ عِنْدِي الَّذِي يُسْتَشْتَى مِنَ الْقَوْمِ
 رَفِيعًا كَانَ أَوْ ضَعِيفًا قِيَالُ لِلدُّونِ وَالضَّعِيفِ ثُنْيَانٌ وَلِلرَّفِيعِ
 وَالشَّاعِرِ ثُنْيَانٌ (وَقَالَ الْقَالِي) فِي الْمَقْصُورِ وَالْمُسَدَّدِ. حَدَّثَنَا
 أَبُو بَكْرٍ بْنُ دُرَيْدٍ قَالَ ذَكَرَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَاحِسِبُ الْأَصْمَعِيُّ قَدْ
 ذَكَرَهُ أَيْضًا قَالَ لَقِيتُ السِّعْلَةَ حَسَّانَ بْنَ ثَابِتٍ فِي بَعْضِ
 طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ وَهُوَ غُلَامٌ قَبْلَ أَنْ يَقُولَ الشَّعْرَ فَبَرَّكَتْ عَلَى صَدْرِهِ
 وَقَالَتْ أَنْتَ الَّذِي جُوعَ قَوْمُكَ أَنْ تَكُونَ شَاعِرُهُمْ قَالَ: نَعَمْ.
 قَالَتْ: فَأَنْشِدْنِي ثَلَاثَةَ آيَاتٍ عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَالْأَوَّلُ قَتَلْتُكَ فَقَالَ:
 إِذَا مَا تَرَعَرَعَ فِينَا الْغُلَا مُمْ قَا إِنْ بُقَالَ لَهُ مَنْ هُوَ
 إِذَا لَمْ يَسُدْ قَبْلَ شَدِّ قَدْ مِ لِكَ فِينَا الَّذِي لَا هُوَ
 وَلِي صَاحِبٌ مِنْ بَنِي الشَّيْطَانِ نَحْنُ نَحْنُ أَقُولُ وَحِينَا هُوَ
 تَحَلَّتْ سَيْلُهُ وَقَالَتْ: أَوَّلَى لَكَ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: يُقَالُ السِّعْلَةُ
 سَاحِرَةُ الْحَيَّةِ
 (قَائِدَةٌ) قَالَ أَبُو اسْحَاقَ الْبَطْلَيْسِيُّ. وَقَدْ أَنْشَدَ قَوْلَ
 الْفَرَزْدَقِ:

وَمَا مِثْلُهُ فِي النَّاسِ إِلَّا مُمْلَكًا أَبُو أُمِّهِ حَتَّى أَبُوهُ يُقَارِبُهُ
هَذَا وَآمِثَالُهُ وَإِنْ كَانَ جَائِزًا فِي الْأَعْرَابِ . فَلَيْسَ يَحْسُنُ فِي
الشِّعْرِ عِنْدَ ذَوِي الْأَلْبَابِ . لِمَا فِيهِ مِنْ وَهْيِ الشَّيْخِ وَالْإِضْطِرَابِ .
وَالشِّعْرُ إِذَا أَخْوَجَ إِلَى شَرْحٍ لَمْ يَعُدَّ فِي قَاخِرِ الْمَسَاقِ . وَلَا قَامَ
فِي الْإِحْسَانِ عَلَى سَاقٍ . وَلَا عَذِبَ فِي الْمَذَاقِ . فَهُوَ مَكْرُوهٌ عِنْدَ
الْحَذَاقِ . وَيَحْتَاجُ الشِّعْرُ إِلَى أَنْ يَسْبِقَ مَعْنَاهُ لَفْظُهُ . فَتَسْلُكُ النَّفْسُ
رَوَايَتَهُ وَحِفْظُهُ . وَأَوَّلُ مَا يَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ وَالْمُتَكَلِّمِ . بَيَانُ مَا يَحْوَاهُ
لِلْعَالِمِ وَالْمُتَعَلِّمِ . فَإِنْ تَكَلَّمَ بِقُلُوبٍ . نَجَّهَ الْأَسْمَاعُ وَالْقُلُوبُ . وَلَمْ
يَتَّخِذْ مِنْهُ الْغَرَضُ الْمَطْلُوبُ . فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ أَمَا تَرَى فِي الْأَشْعَارِ
آمِثَالَ هَذَا كَقَوْلِهِ :

لَهَا مُقَلَّتَا أَذْءَاءَ طَلِّ خَبِيلَةٍ مِنْ الْوَحْشِ مَا يَنْفَكُ يَرْغَى عَرَادَهَا
قِيلَ لَهُ وَهَذَا أَيْضًا قَدْ أَحَالَ وَمِنْ تَكَلَّفٍ مِثْلِ هَذَا لَمْ
يُخَفَّفْ عَنْ نَفْسِهِ الْكُفَاةَ وَالْمَلَامَ . وَتَعَرَّضَ لِأَنْ يَلَامَ . وَتَرَكَ
بَيِّنَ الْكَلَامِ . وَإِنَّمَا يَتَفَاضَلُ الْكَلَامُ وَالشِّعْرُ بِحُسْنِ الْعِبَارَةِ
وَالِدِّيَاغَةِ . وَرَوَاقِ الْفَصَاحَةِ حَتَّى تَكُونَ الْفَاطْهَاتُ كَالزُّجَاجَةِ . وَإِلَّا
فَالْعَامِي مُعَرَّضٌ لِكُلِّ جِيلٍ مِنْ أَهْلِ التَّوْحِيدِ وَالشِّرْكِ حَتَّى
لِلزُّنَجِ وَالنَّسَرِ وَالتُّرْكِ لِكَيْتُمْ قُصِرَتْ بِهِمُ السُّبُطُ عَنْ بُلُوغِ
مَارَامِهِ مِنْ أَرَبٍ . قَدْ تَهَيَّأَ عَلَى أَلْسِنَةِ الْعَرَبِ . وَأَقْلُ مَا يَحِبُّ عَلَى
الْمُتَكَلِّمِ أَلْيَانُ لِحَاظِهِ . وَإِلَّا كَانَ كَخَاطِطِ اللَّيْلِ وَحَاطِطِهِ . يُخَاطَبُ
الْعَرَبِيَّ بِالْعَجِيَّةِ وَيُخَاطَبُ الْعَجَبِيُّ بِالْعَرِيَّةِ . وَصِنَاعَةُ الشِّعْرِ أَشَدُّ

حَضْرًا . وَآمَدُ عَصْرًا وَذَلِكَ أَنَّ الشَّاعِرَ إِنَّمَا هُوَ رَاغِبٌ رَاهِبٌ أَوْ مُعَاتِبٌ بَيْنَ يَدَيْ مَلِكٍ فَإِنْ حَكَمَى عَنْ نَفْسِهِ وَإِلَّا كَانَ جَدِيرًا بِأَنْ يَهْلِكَ . فَمِنْ ذَلِكَ مَا رَوَاهُ أَبُو بِنٍ جِيئِي قَالَ : حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ زَكْرِيَاءَ حَدَّثَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْغَلَايُي حَدَّثَنَا مَهْدِيُّ بْنُ سَابِقٍ قَالَ : دَخَلَ الثُّمَالَةُ عَلَى الثُّعْمَانَ بْنِ الْمُنْذِرِ فَقَالَ :

تَخِفُ الْأَرْضُ إِنْ تَفْقِدَكَ يَوْمًا وَتَبَقَى مَا بَقِيَتْ بِهَا ثَقِيلًا
فَنَظَرَ إِلَيْهِ الثُّعْمَانُ نَظَرَ غَضَبَانٍ . وَكَانَ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ حَاضِرًا
فَقَالَ : أَضْلَحَ اللَّهُ الْمَلِكَ إِنْ مَعَ هَذَا بَيْتًا ضَلَّ عَنْهُ هُوَ

لِأَنَّكَ مَوْضِعُ الْقِسْطِ مِنْهَا فَتَمْنَعُ جَانِبَيْهَا أَنْ تَمِيلَا
فَفَضَحَ الثُّعْمَانُ وَأَمَرَ لَهَا بِجَاوِزَتَيْنِ قَالُوا لَا كَعْبُ كَانَ قَدْ هَلَكَ .
فَإِنْ كَانَ الشَّاعِرُ مُحَاطَبًا مِنْ دُونِ الْمَلِكِ الْأَشْمِ بِمَا لَا يَفْهَمُ وَكَانَ
رَاغِبًا فِي دِرْهِمٍ كَانَ ذَلِكَ سَبَبًا لِيُطْلَانَ حَاجَتِهِ وَاسْتِغْجَانِ شِعْرِهِ
وَتَحْقِيرِ أَمْرِهِ وَالْقَدَمَاءُ فِي هَذَا أَعَذَرُوا لِأَنَّهَا لَعَنَتُهُمْ



الفصل الثالث

في فنون الشعر

البحث الاول

في المطبوع والمصنوع

(من كتاب العمدة لابن رشيق)

وَمِنْ الشَّعْرِ مَطْبُوعٌ وَمَصْنُوعٌ فَالْمَطْبُوعُ هُوَ الْأَصْلُ وَضَعَ عَلَيْهِ
أَوَّلًا وَعَلَيْهِ الْمَدَارُ وَالْمَصْنُوعُ وَإِنْ وَقَعَ عَلَيْهِ هَذَا الْأِسْمُ فَلَيْسَ
مُتَكَلِّفًا تَكَلَّفَ اشْعَارُ الْمُؤَلِّدِينَ. لَكِنْ وَقَعَ فِي هَذَا النَّوعِ
الَّذِي سَمَوْهُ صَنْعَةً مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ وَلَا تَعَمُّدٍ لَكِنْ بِطَبَاعِ الْقَوْمِ
عُنُوا وَاسْتَحْسَنُوهُ وَمَالُوا إِلَيْهِ بَعْضَ الْمِيلِ بَعْدَ أَنْ عَرَفُوا وَجْهَ
اخْتِيَارِهِ عَلَى غَيْرِهِ حَتَّى صَنَعَ زُهَيْرُ الْحَوَلِيَّاتِ عَلَى التَّنْقِيجِ وَالتَّقْطِيفِ
يَضَعُ الْقَصِيدَةَ ثُمَّ يُكْرِرُ نَظْرَهُ بِهَا خَوْفًا مِنَ التَّعَقُّبِ بَعْدَ أَنْ
يَكُونَ قَدْ قَرَعَ مِنْ عَمَلِهَا فِي سَاعَةٍ أَوْ لَيْلَةٍ. وَرَبَّمَا قَصَدَ إِقَامَةَ
نَشَاطِهِ قَتَبَاطًا عَمَلَهُ إِذْكَ. وَأَعْرَبُ لَا تَنْظُرُ فِي أَعْطَافِ شِعْرِهَا بِأَنْ
تُجَنِّسَ أَوْ تُطَابِقَ أَوْ تُقَابِلَ فَتَتْرَكَ لَفْظَةً لِلْفِظَةِ أَوْ مَعْنَى لِمَعْنَى كَمَا
يَفْعَلُ الْمُخَدُّثُونَ وَلَكِنْ نَظَرُهَا فِي فَصَاحَةِ الْكَلَامِ أَوْ جَزَالَتِهِ

وَبَسَطِ الْمَعْنَى أَوْ إِبْرَازِهِ وَاتَّقِ بَيِّنَةَ الشَّعْرِ وَاحْكَامِ الْقَافِيَةَ
وَتَلَاكُمِ الْكَلَامَ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ حَتَّى عَدَا مِنْ فَضْلِ صَنْعَةٍ
الْحُطَيْيَةِ حَتَّى نَسَقَهُ الْكَلَامَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ :

فَلَا وَآيِكَ مَا ظَلَمْتَ قُرَيْعُ بَانَ يَبْنُوا الْمَكَارِمَ حَيْثُ شَاؤُوا
وَلَا وَآيِكَ مَا ظَلَمْتَ قُرَيْعُ وَلَا عَنُفُوا بِذَلِكَ وَلَا آسَاؤُوا
فَإِنَّ الْجَارَ مِثْلَ الصَّيْفِ يَغْدُو لَوُجْهَتِهِ وَإِنْ طَالَ الثَّوَاءُ
وَرَأَيْتِي قَدْ عَلِمْتُ بِجَبَلِ قَوْمٍ آعَانَهُمْ عَلَى الْحَسَبِ الْإِثْرَاءُ
وَأَسْتَظِرُّوْا مَا جَاءَ مِنَ الصَّنْعَةِ نَحْوَ الْبَيْتِ وَالْبَيْتَيْنِ فِي الْقَصِيدَةِ
بَيْنَ الْقَصَائِدِ يُسْتَدَلُّ بِذَلِكَ عَلَى جُودَةِ شَعْرِ الرَّجُلِ وَصِدْقِ حِسِّهِ
وَصَفَاءِ خَاطِرِهِ . وَأَمَّا إِذَا كَثُرَ ذَلِكَ فَهُوَ عَيْبٌ يَشْهَدُ بِخِلَافِ الطَّبَعِ
وَإِثَارِ الْكُلْفَةِ وَلَيْسَ يَتَّحِبُّ الْبَيِّنَةُ أَنْ يَأْتِيَ مِنَ الشَّاعِرِ قَصِيدَةً
كُلُّهَا أَوْ أَكْثَرُهَا مُتَّصِعٌ مِنْ غَيْرِ قَصِيدٍ كَأَنِّي يَأْتِي مِنْ أَشْعَارِ
صَيِّبٍ وَالتَّجْتَرِي . وَغَيْرُهَا وَقَدْ كَانَا يَطْلُبَانِ الصَّنْعَةَ وَيُوعَلَانِ بِهَا . فَأَمَّا
حَبِيبٌ فَيَذْهَبُ إِلَى حُزُونَةِ اللَّفْظِ وَمَا يَمْلَأُ الْأَسْمَاعَ مِنْهُ مَعَ التَّصْنِيعِ
الْمُحْكَمِ طَوْعًا وَكَرْهًا يَأْتِي الْأَشْيَاءَ مِنْ بُعْدٍ وَيَطْلُبُهَا بِكُلْفَةٍ
وَيَأْخُذُهَا بِقُوَّةٍ . وَأَمَّا التَّجْتَرِي فَكَانَ أَمْلَحَ وَأَحْسَنَ مَذْهَبًا فِي
الْكَلَامِ . يَسْلُكُ مِنْهُ دِمَاطَةً وَسَهُولًا مَعَ إِحْكَامِ التَّصْنِيعِ وَقُرْبِ
الْمَأْخِذِ لَا يَظْهَرُ عَلَيْهِ كُلْفَةٌ وَلَا مَشَقَّةٌ . وَمَا أَعْلَمُ شَاعِرًا أَكْمَلَ
وَلَا أَمْلَحَ تَصْنَعًا مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمَعْتَرِ فَإِنَّ صَنْعَتَهُ خَفِيَّةٌ لَا تَكَادُ
تَظْهَرُ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ إِلَّا لِلْبَصِيرِ بِدِقَاتِ الشَّعْرِ وَهُوَ عُيُودِي

أَنْظَفُ أَحْكَايِهِ شِغْرًا وَأَكْثَرُهُمْ بَدِيًّا وَأَقْنَبَانًا وَأَقْرَبُهُمْ قَوَائِي
 وَأَوْزَانًا وَلَا أَرَى وَرَاءَهُ غَايَةً لِطَالِبِهَا فِي هَذَا اللَّابِ. غَيْرَ أَنَّا لَا نَحْدُ
 الْمُبْتَدِئُ فِي طَلَبِ التَّضْيِيعِ وَمَزَازِلَةِ الْكَلَامِ أَكْثَرُ اتِّبَاعًا مِنْهُ
 بِطَالَعَةِ شِغْرِ حَبِيبٍ وَشِغْرِ مُسْلِمٍ بْنِ الْوَلِيدِ لِمَا فِيهِمَا مِنَ الْقُضِيَّةِ
 لِمُبْتَغِيهَا وَلِأَنَّهُمَا طَرَقَا إِلَى الصَّنْعَةِ وَمَعْرِفَتِهَا طَرِيقًا سَابِقَةً وَكَثَرًا مِنْهَا
 فِي أَشْعَارِهِمَا تَكْثِيرًا سَهَّلَهَا عِنْدَ النَّاسِ وَحَسَرَهُمْ عَلَيْهَا عَلَى أَنَّ مُسْلِمًا
 أَسْهَلَ شِغْرًا مِنْ حَبِيبٍ وَأَقْلُ تَكَلُّفًا وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَكَلَّفَ
 الْبَدِيعَ مِنَ الْمَوْلَدِينَ وَأَخَذَ نَفْسَهُ بِالصَّنْعَةِ وَكَثَرَ مِنْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِي
 الْأَشْعَارِ الْخُدَّةَ قَبْلَ مُسْلِمٍ إِلَّا التَّبْدُ الْيَسِيرَةُ. وَهُوَ دُهَيْرُ الْمَوْلَدِينَ
 كَمَا كَانَ يُبْطِئُ فِي صَنْعَتِهِ وَلُحْدُهَا. وَقَالُوا: أَوَّلُ مَنْ فَتَقَ الْبَدِيعَ
 مِنَ الْخُدَّثِينَ بَشَارُ بْنُ بُرْدٍ وَهُوَ سَاقَةُ الْعَرَبِ وَآخِرُ مَنْ
 يُسْتَشْهَدُ بِشِغْرِهِ ثُمَّ اتَّبَعَهُمَا مُقْتَدِيًا بِهِمَا كُثُومُ بْنُ عَمْرِو الْعِتَابِي
 وَمَنْصُورُ النَّسْرِيَّ وَمُسْلِمُ بْنُ الْوَلِيدِ وَأَبُو نُوَّاسٍ وَاتَّبَعَ هَؤُلَاءِ أَبُو
 تَمَّامٍ وَالْجُثْرِيُّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُعْتَرِّ فَأَتَتْهُيْ عِلْمُ الْبَدِيعِ وَالصَّنْعَةِ وَخَمَّ
 بِهِ. وَشَبَّ قَوْمُ أَبِي نُوَّاسٍ بِالنَّايَةِ لِمَا اجْتَمَعَ لَهُ مِنَ الْخَزَالَةِ مَعَ الرَّسَاقَةِ
 وَحُسْنِ الدِّيَابِجَةِ وَالْمَعْرِفَةِ بِمَدْحِ الْمُلُوكِ. وَأَمَّا بَشَارٌ فَقَدْ شَبَّوهُ
 بِأَمْرِئِ الْقَيْسِ لِمَقْدَمِهِ عَلَى الْمَوْلَدِينَ وَآخِذِهِمْ عَنْهُ. وَمِنْ كَلَامِهِمْ:
 بَشَارُ أَبُو الْخُدَّثِينَ. وَسَمِعْنَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ غَيْرَ مَرَّةٍ يَقُولُ: إِنَّمَا سَبَّي
 الْأَعْشَى صَنَاجَةَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ ذَكَرَ الصَّنِيعَ فِي شِغْرِهِ. قَالَ
 وَيَقَالُ بَلْ سَبَّي صَنَاجَةَ لِقُوَّةِ طَبْعِهِ وَحَلِيَّةِ شِغْرِهِ يُحِيلُ إِلَيْكَ إِذَا

أَنشَدَتْهُ أَنَّ آخَرَ يُنْشِدُ مَعَكَ . وَمِثْلُهُ بَسَّارُ بْنُ بُرْدٍ تُنْشِدُ أَقْصَرَ شِعْرَهُ
عَرُوضًا وَآيِنَهُ كَلَامًا فَجِدُّ لَهُ فِي نَفْسِكَ هَزَّةٌ وَجَلْبَةٌ مِنْ قُوَّةِ الطَّبْعِ .
إِنْ قَضَى كَلَامُ عَبْدِ اللَّهِ وَرَجَعْنَا إِلَى الْقَوْلِ فِي الطَّبْعِ . وَالْتَضَامِ .
فَإِذَا كَانَ الشَّاعِرُ مُصَنِّعًا فَإِنَّ جَيْدَهُ مِنْ سَائِرِ شِعْرِهِ كَأَيِّ تَمَامٍ .
فَصَارَ مَحْضُورًا مَعْرُوفًا بِأَعْيَانِهِ فَإِذَا كَانَ الطَّبْعُ غَالِبًا عَلَيْهِ لَمْ يَبَيِّنْ
جَيْدَهُ كُلَّ الْبَيِّنَاتِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْ قَرِيبِ كَالْبُحْرِيِّ . وَمَنْ شَاكَلَهُ
وَقَدْ نَصَّ ابْنُ الرُّومِيِّ فِي بَعْضِ تَسْطِيرَاتِهِ عَلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي
حَكِيمَةَ الشَّاعِرِ حِينَ عَابَ عَلَيْهِ قَوْلَهُ فِي الْفَرَسِ مِنْ قَصِيدَةٍ رَأَى
بِهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ ظَاهِرٍ :

فَلَهُ شَهَامَةٌ سُودِيْنِي بِأَكْبَرِ وَخَوَافِرُ حُفْرٍ وَرَأْسُ صَنْتَعٍ
وَذَكَرَ قَوْلَ أَبِي تَمَامٍ (بِخَوَافِرِ حُفْرٍ وَصَلْبِ صَلْبٍ) فَخَفِلَ بِهِ وَاعْتَدَرَ
لَهُ وَخَرَجَ التَّحَارِيجُ الْجَسَانَ وَذَكَرَ أَنَّ الْخَافِرَ الْوَأْبَ وَالْخَافِرَ الْمَقْعَبَ
وَنَحْوَهُمَا أَشْرَفُ فِي اللَّفْظِ مِنَ الْخَافِرِ الْآخِفِرِ إِلَّا أَنَّ أَبَا تَمَامٍ
كَانَ يَطْلُبُ الْمَعْنَى وَلَا يُبَالِي بِاللَّفْظِ حَتَّى لَوْ تَمَّ لَهُ الْمَعْنَى بِلَفْظَةٍ
بَطِيئَةٍ لَأَتَى بِهَا . وَالَّذِي أَرَاهُ أَنَّ ابْنَ الرُّومِيِّ أَبْصَرَ بِأَبِي تَمَامٍ
وَعَنِيهِ مِمَّا رَأَى الْقَسْلِيمَ لَهُ وَالرُّجُوعَ إِلَيْهِ أَخْزَمُ . غَيْرَ أَنِّي لَوْ شِئْتُ
أَنْ أَقُولَ وَلَسْتُ رَادًّا عَلَيْهِ وَلَا مُعْتَرِضًا بَيْنَ يَدَيْهِ أَنَّ الْمَعْنَى
الَّذِي أَرَادَهُ وَأَشَارَ إِلَيْهِ مِنْ جِهَةِ أَبِي تَمَامٍ إِنَّمَا هُوَ مَعْنَى الصَّنْعَةِ
وَمِثْلُ التَّطْيِيقِ وَالتَّجْنِيسِ وَمَا أَشَبَّهُمَا لَا مَعْنَى الْكَلَامِ الَّذِي هُوَ
رُوحُهُ . وَأَمَّا اللَّفْظُ الَّذِي ذَكَرَ أَنَّهُ لَا يُبَالِي بِهِ إِنَّمَا هُوَ قَصِيحُ

الْكَلَامِ وَمُسْتَعْمَلُهُ وَيَدُلُّكَ عَلَى صِحَّةِ مَا ادَّعَيْتُهُ عَلَى ابْنِ الرُّومِيِّ
 قَوْلُهُ إِنَّ الْخَافِرَ الْوَأَبَّ وَالْمُقَبَّ اشْرَفَ فِي اللَّفْظِ مِنَ الْخَافِرِ الْآخَرِ .
 فَكَلَامُهُ رَاجِعٌ إِلَى مَا قُلْتُهُ فِي أَبِي تَمَّامٍ غَيْرُ مُخَالِفٍ لَهُ وَإِنْ كَانَ
 فِي الظَّاهِرِ عَلَى خِلَافِهِ لَسَاغَ ذَلِكَ إِلَّا أَنْ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى مَا قَالَ
 وَإِنَّمَا هُوَ هَذَا مَعْرُضٌ لِلْكَلَامِ لَا مُخَالَفَةَ . وَقَالَ الْجَاهِظُ : كَمَا لَا
 يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ اللَّفْظُ عَامِيًّا وَلَا سَاقِطًا سُوقِيًّا فَكَذَلِكَ لَا يَنْبَغِي
 أَنْ يَكُونَ وَحْشِيًّا إِلَّا أَنْ يَكُونَ أَلْتَكَلَّمَ بِهِ بَدْوِيًّا أَعْرَابِيًّا فَإِنَّ
 الْوَحْشِيَّ مِنَ الْكَلَامِ يَفْهَمُهُ الْوَحْشِيُّ مِنَ النَّاسِ كَمَا يَفْهَمُ
 السُّوقِيُّ رَطَانَةَ السُّوقِيِّ (قَالَ) وَأَنْشَدَ رَجُلٌ قَوْمًا شِعْرًا فَأَسْتَعْرَبُوهُ
 فَقَالَ : وَاللَّهِ مَا هُوَ بِغَرِيبٍ وَلَكِنَّكُمْ فِي الْأَدَبِ غُرَبَاءُ . وَعَنْ غَيْرِهِ أَنَّ
 رَجُلًا قَالَ لِأَبِي تَمَّامٍ فِي مَجَاسٍ قَدْ حَفَلَ وَارَادَ تَبَكُّيْتُهُ لَمَّا أَنْشَدَهُ :
 يَا أَبَا تَمَّامٍ لِمَ لَا تَقُولُ مِنَ الشِّعْرِ مَا يُفْهَمُ . فَقَالَ لَهُ : وَأَنْتَ لِمَ لَا
 تَفْهَمُ مِنَ الشِّعْرِ مَا يُقَالُ فَفَضَحَهُ . وَيُرْوَى أَنَّ هَذِهِ الْحِكَايَةَ
 كَانَتْ مَعَ أَبِي الْعَمَيْثِلِ وَصَاحِبَيْنِ لَهُ خَاطَبَاهُ فَاجَابَهُمَا . وَقَالَ بَعْضُ
 مَنْ نَظَرَ بَيْنَ أَبِي تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ إِنَّمَا أَبُو تَمَّامٍ كَالْقَاضِي الْعَدْلِ
 يَضَعُ اللَّفْظَةَ مَوْضِعَهَا وَيُعْطِي أَلْفَنِي حَقَّهُ بَعْدَ طَوْلِ النَّظَرِ وَالْجَنَاحِ
 عَنِ الْبَيْتَةِ أَوْ كَالْفَقِيهِ الْوَرَعِ يَحْرَى فِي كَلَامِهِ وَيَتَحَرَّجُ . وَأَبُو الطَّيِّبِ
 كَالشُّجَاعِ الْجَرِيِّ يَهْجُمُ عَلَى مَا يُرِيدُهُ لَا يُبَالِي مَا لَتِي وَلَا حَيْثُ
 وَقَعَ . وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَقُولُ زُهَيْرٌ وَالنَّابِغَةُ مِنْ عَمِيدِ الشِّعْرِ يُرِيدُ
 أَنَّهُمَا يَتَكَلَّفَانِ إِصْلَاحَهُ وَيُسْغِلَانِ بِهِ خَوَاطِرَهُمَا وَحَوَاسَهُمَا . وَمِنْ

أَضْحَايَهَا فِي الشَّتِيعِ وَفِي الشَّتِيفِ وَالتَّحْكِيكِ طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ . وَقَدْ
 قِيلَ إِنَّ زُهَيْرًا أَيْضًا رَوَى لَهُ وَكَانَ يُسَمَّى مُحَبَّرًا لِحُسْنِ شَعْرِهِ .
 وَمِنْهُمْ الْخَطِيبَةُ وَالنَّيْرُ بْنُ تَوَلَبَ وَكَانَ يُسَمِّيهِ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ
 الْكَتْسَ . وَكَانَ بَعْضُ الْخُذَّاقِ يَقُولُ : قُلْ مِنَ الشَّعْرِ مَا يَخْذُمُكَ وَلَا
 تَقُلْ مِنْهُ مَا يَخْذُمُهُ وَهُوَ مَعْنَى كَلَامِ الْأَضْمَعِيِّ . وَسَأُحْلِي هَذَا
 أَلْبَابَ مِنْ كَلَامِ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ بَحْلِيَّةً تَكُونُ لَهُ زِينَةً قَانِقَةً
 وَخَتْمُهُ بِحَامَتِهِ تَكْسُوهُ حُلَّةً رَانِقَةً لِأُذُنِي بِذَلِكَ بَعْضَ مَا صَنَعْتُ
 وَأَقْضِي بِهِ حَقَّ مَا شَرَطْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . فَمَنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ سَنَةَ
 ٤٠٥ يَتَشَوَّقُ أَهْلُهُ :

وَلِي كَبِدٌ مَكْلُومَةٌ لِفِرَاقِكُمْ أَطْلَمْنَاهَا صَبْرًا عَلَى مَا أَجَبَتْ
 تَمَنِّيَتُكُمْ شَوْقًا إِلَيْكُمْ وَصَبُورَةً عَنِ اللَّهِ أَنْ يَبْدِيَ لَهَا مَا تَمَنَّتِ
 وَعَيْنٌ جَفَاهَا الدُّرْمُ وَأَعْتَادَهَا الْبَكَاءَ إِذَا عَنْ ذِكْرِ الْقَيْرِ وَإِنْ أَسْتَهَلَّتْ
 فَلَوْ أَنَّ أَغْرَابِيًّا تَذَكَّرَ نَجْدًا فَحَنَّ بِهِ إِلَى الْوَطَنِ أَوْ تَشَوَّقَ فِيهِ
 بَعْضَ السَّكَنِ مَا حَسِبْتُهُ يَزِيدُ عَلَى مَا آتَى بِهِ هَذَا الْوَلَدُ الْحَضْرِيُّ
 الْمَتَأَخِّرُ الْعَصْرَ . وَمَا أَنْحَطُ فِي هَذَا التَّشْيِيرِ فِي هَوَايَ وَلَا أَتَمَقُّ بِهَذَا
 الْقَوْلِ عِنْدَ مَوْلَايَ وَلَا الْحَدِيثِ بِمَا نَظَنُّ بِهِ وَلَا فِيهِ وَلَكِنْ قَدْ
 رَأَيْتُ وَجْهَ الْحَقِّ فَعَرَفْتُهُ وَالْحَقُّ لَا يَتَلَمَّ وَمَا هُوَ فِي بِلَاغَتِهِ وَإِحْجَازِهِ
 إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَحْمَرُ السَّعْدِيُّ فِي وَصِيَّتِهِ :

مِنْ الْقَوْلِ مَا يَكْفِي الْخَصِيبَ قَلِيلُهُ

وَمِنْهُ الَّذِي لَا يَكْتَفِي الدَّهْرَ قَانِتُهُ

يُصَدُّ عَنِ الْمَعْنَى فَيَتْرُكُ مَا تَجَا
وَيَذْهَبُ فِي التَّقْصِيرِ مِنْهُ تَطَاوُلُهُ
فَلَا تَكُ مَكْثَرًا تَزِيدُ عَلَى الَّذِي
عُنِيَتْ بِهِ فِي خَطْبِ أَمْرِ تَرَاوُلُهُ

البحث الرابع

في اقسام الشعر

(من الكتاب نفسه)

قَالَ عَبْدُ الْكَرِيمِ يَجْمَعُ أَصْنَافَ الشِّعْرِ أَرْبَعَةُ الْمَدِيحُ وَالْهِجَاءُ
وَالْحِكْمَةُ وَاللَّهُوُ ثُمَّ يَتَفَرَّعُ مِنْ كُلِّ صِنْفٍ مِنْ ذَلِكَ فَنُونٌ فَيَكُونُ
فِي الْمَدِيحِ الْمُرَائِي وَالْإِفْتِحَارُ وَالشُّكْرُ ثُمَّ يَكُونُ مِنَ الْهِجَاءِ الذَّمُّ
وَالْعِتَابُ وَالْإِسْتِظْهَارُ وَمِنْ الْحِكْمَةِ الْأَمْثَالُ وَالتَّرْهِيصُ وَالْمَوَاعِظُ
وَيَكُونُ مِنَ اللَّهِوِ الْغَزَلُ وَصِفَةُ الْخَيْرِ وَالْخَمُورِ وَقَالَ قَوْمُ الشِّعْرِ
كُلُّهُ نَوْعَانِ مَدْحٌ وَهَجَاءٌ فَإِلَى الْمَدْحِ يَرْجِعُ الرِّثَاءُ وَالْإِفْتِحَارُ وَالنَّشِيبُ
وَمَا تَعَلَّقَ بِذَلِكَ مِنْ مَحْمُودٍ أَلَوْضَفَ كَهَفَاتِ الْحُمُولِ وَالْأَثَارِ
وَالنَّشِيبَاتِ الْحِسَانِ وَكَذَلِكَ تَحْسِينُ الْخُلُقِ كَالْأَمْثَالِ وَالْحِكْمِ
وَالْمَوَاعِظِ وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَالْقَنَاعَةِ وَالْهِجَاءُ ضِدُّ ذَلِكَ كُلِّهِ غَيْرَ أَنَّ
الْعِتَابَ حَالٌ مِنَ الْخَالَيْنِ فَهُوَ طَرَفٌ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا وَكَذَلِكَ
الْإِغْرَاءُ لَيْسَ بِمَدْحٍ وَلَا هِجَاءٍ لِأَنَّكَ لَا تُغْرِي بِإِنْسَانٍ فَقُولَ إِنَّهُ
حَقِيرٌ وَلَا ذَلِيلٌ إِلَّا كَانَ عَلَيْكَ وَعَلَى الْمَغْرَى أَلَدْرَكُ وَلَا تَقْصِدُ

أَيْضًا بِمَذْهِ الشَّاءِ عَلَيْهِ فَيَكُونُ ذَلِكَ عَلَى وَجْهِهِ . وَأَلَيْتُ مِنْ
 الشِّعْرِ كَأَلَيْتُ مِنَ الْآبِنِيَّةِ وَالشَّعْرِ قَرَارُهُ الطَّبْعُ وَسَنَكُهُ الزَّوَايَةُ
 وَدَعَائِيهِ الْقَلَمُ وَبَابُهُ الدُّرْبَةُ وَسَاكِنُهُ الْمَعْنَى وَلَا خَيْرَ فِي بَيْتٍ غَيْرِ
 مَسْكُونٍ . وَصَارَتْ الْأَعَارِضُ وَالْقَوَائِي كَالْمَوَازِينِ وَالْأَمَثِلَةِ لِلْآبِنِيَّةِ
 أَوْ كَالْأَوَاحِي وَالْأَوْتَادِ لِلْأَخْيَةِ . وَأَمَّا مَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ تَحَايِينَ
 الشِّعْرِ فَلَنَّمَا هُوَ زِينَةٌ مُسْتَأْنَفَةٌ لَوْ لَمْ تَكُنْ لَأَسْتَعْنِي عَنْهَا . قَالَ
 الْقَاضِي عَلِيُّ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخُرَجَانِيُّ صَاحِبُ كِتَابِ الْوَسَاطَةِ :
 الشِّعْرُ عِلْمٌ مِنْ عُلُومِ الْعَرَبِ يَشْتَرِكُ فِيهِ الطَّبْعُ وَالزَّوَايَةُ وَالذِّكَا
 ثُمَّ تَكُونُ الدُّرْبَةُ مَادَّةً لَهُ وَقُوَّةً لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ أَسْبَابِهِ فَمَنْ
 اجْتَمَعَتْ لَهُ هَذِهِ الْخِصَالُ فَهُوَ الْحَسَنُ الْأَبْرَرُ وَيَقْدِرُ نَصِيبُهُ مِنْهَا
 تَكُونُ مَرْتَبَتُهُ مِنَ الْإِحْسَانِ . قَالَ وَلَسْتُ أَفْصَلُ فِي هَذِهِ الْقَضِيَّةِ
 بَيْنَ الْقَدِيمِ وَالْحَدِيثِ وَالْجَاهِلِيِّ وَالْخَضِرِ وَالْأَعْرَابِيِّ وَالْمَوَالِدِ إِلَّا
 أَنِّي أَرَى حَاجَةَ النُّحْدِ إِلَى الزَّوَايَةِ أَمْسَ وَاجِدُهُ إِلَى كَثْرَةِ
 الْخِفْظِ أَفْقَرُ فَإِذَا اسْتَكْشَفْتَ عَنْ هَذِهِ الْحَالَةِ وَجَدْتَ سَبِيلَهَا وَالْعِلَّةَ
 فِيهَا أَنَّ الْمُطْبُوعَ الَّذِي لَا يُمَكِّنُهُ تَنَاوُلُ الْقَاطِرِ الْعَرَبِ إِلَّا زَوَايَةَ
 وَلَا زَوَايَةَ وَلَا طَرِيقَ إِلَى الزَّوَايَةِ إِلَّا السَّمْعُ وَمَلَكَ السَّمْعِ
 الْخِفْظُ . وَقَالَ دِغْبَلُ فِي كِتَابِهِ مَنْ أَرَادَ الْمَدِيحَ فَبِالرَّغْبَةِ وَمَنْ أَرَادَ
 الْهَجَاءَ فَبِالْبَغْضَاءِ وَمَنْ أَرَادَ التَّشْيِيبَ فَبِالشُّوْقِ وَالْعُشْقِ وَمَنْ أَرَادَ
 الْأَمَاتَةَ فَبِالْإِسْتِيطَاءِ : فَقَسَمَ الشِّعْرَ كَهَذِهِ الْأَقْسَامِ الْأَرْبَعَةِ وَكَانَ
 الرِّثَاءُ عِنْدَهُ مِنْ بَابِ الْمَدْحِ عَلَى مَا قَدَّمْتُ . إِلَّا أَنَّهُ جَعَلَ الْعِتَابَ

بَدَلًا مِنْهُ وَقَالَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْعُلَمَاءِ: الشِّعْرُ مَا اشْتَمَلَ عَلَى الْمَثَلِ
السَّائِرِ وَالْإِسْتِعَارَةِ الرَّائِعَةِ وَالْتَشْبِيهِ الْوَاقِعِ. وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَإِنَّمَا
لِقَائِلُهُ قُضِلَ الْوِزْنُ

البحث العاشر

في صناعة المديح

(من الكتاب نفسه)

وَسَبِيلُ الشَّاعِرِ إِذَا مَدَحَ مَلِكًا أَنْ يَسْلُكَ طَرِيقَةَ الْإِفْصَاحِ
وَالْإِشَادَةِ بِذِكْرِ الْمَمْدُوحِ وَأَنْ يَجْعَلَ مَعَانِيَهُ جَزَلَةً وَالْفَاقَةَ نَقِيَّةً
غَيْرَ مُبْتَدَلَةٍ سَوْيَّةٍ وَيَجْتَنِبَ مَعَ ذَلِكَ التَّقْصِيرَ وَالتَّطْوِيلَ فَإِنَّ لِلْمَلِكِ
سَامَةً وَخُبْرًا وَرَبًّا عَابَ مِنْ أَجْلِهَا مَا لَا يُرِيدُ جِرْمَانَهُ وَقَدْ
رَأَيْتُ عَمَلَ النُّجَاشِيِّ إِذَا مَدَحَ الْخَلِيفَةَ كَيْفَ يُقْلُ الْأَيَّاتِ وَيُزِيرُ
وُجُوهَ الْمَغَانِي فَإِذَا مَدَحَ الْكُتَّابَ عَمِلَ طَاقَتَهُ وَبَلَغَ مُرَادَهُ. وَقَدْ
حُكِيَ عَنْ عَمَّارَةَ أَنَّ جَدَّهُ جَرِيرًا قَالَ: يَا بَنِي إِذَا مَدَحْتُمْ فَلَا
تُطِيلُوا الْمَدَاحَةَ وَإِذَا هَجَوْتُمْ فَخَالِفُوا. وَحَكَى آخَرُ قَالَ: دَخَلَ
الْقُرْزُدُقُ عَلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابْنِ أُمِّ الْحَكَمِ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ:
يَا أَبَا فِرَاسٍ دَعْنِي مِنْ شِعْرِكَ الَّذِي لَيْسَ يَأْتِي آخِرُهُ حَتَّى يُنْسَى
أَوَّلُهُ وَقُلْ فِيَّ بَيْتَيْنِ يَعْلَقَانِ بِالرِّوَايَةِ وَأَنَا أُعْطِيكَ عَطِيَّةً لَمْ
يُعْطِكُمَا أَحَدٌ قَبْلِي فَقَدَا عَلَيْهِ وَقَالَ:

وَأَنْتَ أَبْنُ بَطْحَاوَى قُرَيْشٍ وَإِنْ تَشَاءَ
تَكُنْ مِنْ ثَقِيفٍ سُبُلَ ذِي حَذَرٍ عُمَرُ
وَأَنْتَ أَبْنُ سَوَادِ الْيَدِينِ إِلَى الْعَلَا

تَلَقَّتْ بِكَ الشَّمْسُ الْمَضِيَّةُ لِلْبَدْرِ
فَقَالَ لَهُ: أَحْسَنْتَ وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ. وَإِذَا كَانَ الْمَدُوحُ
مَلِكًا لَمْ يُبَالِ الشَّاعِرُ مَا قَالَ فِيهِ وَلَا كَيْفَ أَطْنَبَ وَذَلِكَ بِمُحَمَّدٍ
وَسِوَاهُ الْمَذْمُومُ. فَإِنْ كَانَ سُوءَةً فَإِيَّاهُ وَالْجَاوِزُ بِهِ خُطْئَهُ فَإِنَّهُ مَتَى
تَجَاوَزَ بِهِ خُطْئَهُ كَانَ كَمَنْ نَقَصَهُ مِنْهَا وَكَذَلِكَ لَا يَجِبُ أَنْ يُقْصَرَ
بِهِ عَمَّا يَسْتَحِقُّ وَلَا أَنْ يُعْطِيَ صِفَةً غَيْرَهُ فَيَصِفَ الْكَاتِبُ بِالشَّجَاعَةِ
وَالْقَاضِي بِالْحَيَّةِ وَالْمُهَاجِرُ بِكَثِيرٍ مَا يَقَعُ هَذَا لِشُعْرَاءِ وَقْتِنَا وَهُوَ
خَطَأٌ إِلَّا أَنْ تَضْحِكَهُ قَرِينَةٌ تَدُلُّ عَلَى صَوَابِ الرَّأْيِ فِيهِ وَكَذَلِكَ
لَا يَجُوزُ أَنْ يُمدَحَ الْمَلِكُ بِبَعْضِ مَا يَحِقُّ فِي غَيْرِهِ مِنَ الرُّؤْسَاءِ وَإِنْ كَانَ
قَضِيَّةً وَذَلِكَ مِثْلُ قَوْلِ النُّجَاشِيِّ فِي مَدْحِ الْمَعْتَرِ :

لَا الْعَدْلُ يَرُدُّهُ وَلَا مِ الْتَعْنِيفُ عَنْ كَرَمٍ يُصَدُّهُ
فَإِنَّهُ يَمَّا أَنْكَرَهُ عَلَيْهِ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ قَالَ :
وَمَنْ ذَا يُعَيِّفُ الْخَلِيقَةَ عَنِ الْكَرَمِ أَوْ يُصَدُّهُ هَذَا بِالْهَجَاءِ أَوَّلَى
مِنَهُ بِالْمَدْحِ. وَغَيْبَ عَلَى الْأَخْطَلِ قَوْلُهُ فِي عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ
هَذَا الْبَيْتُ :

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْخِلَاقَةَ مِنْهُمْ
لَا يَنْصَحُ لَا عَارِي الْخَوَانِ وَلَا جَذْبُ

وَقَالُوا: لَوْ مَدَحَ بِهَذَا حَرَسِيًّا لَعَبِدَ الْمَلِكِ لَكَانَ قَصْرَ بِهِ .
وَأَجُودُ مِنْهُ فِي مَعْنَاهُ قَوْلُ حَسَّانَ فِي آلِ جَفْنَةَ .
يَسْتَقُونَ مَنْ وَرَدَ الْبَرِيضَ عَلَيْهِمْ .

بَرْدَى يُصَفَّقُ بِالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
وَيُرَوَّى مِنْكَ . وَعَابُوا عَلَى الْأَخْوَصِ قَوْلَهُ الْمَلِكِ :
وَأَدَاكَ تَفْعَلُ مَا تَقُولُ وَبَعْضُهُمْ

مَذْقُ اللِّسَانِ يَقُولُ مَا لَا يَفْعَلُ
قَالُوا لِأَنَّ الْمُلُوكَ لَا تُمدَحُ بِمَا يَلْزَمُهَا فَعَلُهُ كَمَا تُمدَحُ بِهِ الْعَامَّةُ
وَأِنَّمَا تُمدَحُ بِالْأَغْرَاقِ وَالتَّفْضُلِ لَا بِمَا يَتَّسِعُ غَيْرُهُمْ لِبَذَلِهِ . وَمِنْ هَذَا
النَّوعِ قَوْلُ كَثِيرٍ :

رَأَيْتُ ابْنَ لَيْلَى يَغْتَرِي ضَلَبَ مَالِهِ
مَسَائِلُ شَيْءٍ مِنْ غَتِي . وَمُضْرِمِ .
مَسَائِلُ إِنْ تُوجَدَ لَدَيْكَ تَجِدُ بِهَا

يَدَاكَ وَإِنْ تُظْلَمَ بِهَا تَتَظَلَّمُ .
لِأَنَّ هَذَا إِنَّمَا يُقَالُ لِمَنْ ذُوْنُ الْخَلِيفَةِ وَالْمَلِكِ وَإِنَّمَا أَخَذَهُ
مِنْ قَوْلِ زُهَيْرٍ فِي هَرَمٍ . وَلَيْسَ بِكَ فَلَذَلِكَ حَسَنُ قَوْلِهِ :

هُوَ الْجَوَادُ الَّذِي يُعْطِيكَ نَائِلَهُ عَفُوا وَيُظْلَمُ أَحْيَانًا فَيَظْلِمُ
يُرِيدُ أَنَّهُ يُسَالُ مَا لَيْسَ قَبْلَهُ فَيَتَحَمَّلُهُ . وَحُكِيَ عَنِ الصَّوَلِيِّ أَنَّ
مَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ كَانَ يُقَدِّمُ كَثِيرًا فِي الْمَدْحِ عَلَى جَرِيرٍ
وَالْقُرَزْدَقِ . وَبِمَا قَدِّمَ بِهِ زُهَيْرٌ قَوْلَهُ :

لَوْ كَانَ يَتَّقِدُ فَوْقَ النَّجْمِ مِنْ كَرَمٍ

قَوْمٌ بِأَوَّلِهِمْ أَوْ تَجِدُهُمْ قَعْدُوا

وَقَدَّمَ قُدَّامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ الْكَاتِبُ فَقَالَ فِي كِتَابِهِ نَقْدُ الشُّعْرِ

لَوْ كَانَتْ فَضَائِلُ النَّاسِ مِنْ حَيْثُ هُمْ نَاسٌ لَا مِنْ طَرِيقٍ مَا هُمْ

مُشْتَرِكُونَ فِيهِ مَعَ سَائِرِ الْحَيَوَانِ عَلَى مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْأَلْبَابِ مِنْ

الِاتِّفَاقِ فِي ذَلِكَ إِنَّمَا هِيَ الْعَقْلُ وَالْعَقَّةُ وَالْعِدَاةُ وَالشَّجَاعَةُ كَانَ

الْقَاصِدُ لِلْمَذْحِ بِهَذِهِ الْأَرْبَعَةِ مُصِيبًا وَبِمَا سِوَاهَا مُخْطِئًا. وَقَدْ قَالَ زُهَيْرٌ:

أَخِي ثِقَّةٌ لَا يُتْلَفُ الْخَزَرُ مَا لَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ أَلْمَالُ نَائِلُهُ

لَا أَنَّهُ قَدْ وَصَفَهُ بِالْعَقَّةِ لِقَلَّةِ إِمْعَانِهِ فِي اللَّذَاتِ وَأَنَّهُ لَا يَتَّقِدُ

فِيهَا مَا لَهُ بِالسَّخَاءِ لِأَهْلَاكِ مَالِهِ فِي التَّوَالِ وَاتَّخِرَافِهِ فِي ذَلِكَ عَنْ

اللَّذَاتِ وَذَلِكَ هُوَ الْعَدْلُ (قَالَ) ثُمَّ قَالَ :

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتُهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ

أَرَادَ أَنْ فَرَحَهُ بِمَا يُعْطِي أَكْثَرُ مِنْ فَرَحِهِ بِمَا يَأْخُذُ فَرَادَ فِي وَضْفِ

السَّخَاءِ مِنْهُ بِأَنَّهُ جَعَلَهُ يَهْشُ وَلَا يَخْشَى مَضْضٌ وَلَا تَكْرَهُ لِفِعْلِهِ

ثُمَّ قَالَ :

وَمَنْ مِثْلُ حِضْنٍ فِي الْخُرُوبِ وَمِثْلُهُ

لِإِنْكَارِ ضَمِّهِ أَوْ لِأَمْرِ يُحَاوِلُهُ

وَيُرَوَّى أَوْ لِحُضْمِ يُجَادِلُهُ. فَأَتَى فِي هَذَا الْبَيْتِ بِالْوَضْفِ مِنْ

جِهَةِ الشَّجَاعَةِ وَالْعَقْلِ فَاسْتَوْفَى فِي ضُرُوبِ الْمَذْحِ الْأَرْبَعَةِ الَّتِي هِيَ

فَضَائِلُ الْإِنْسَانِ عَلَى الْحَقِيقَةِ وَزَادَهَا بِهَذَا وَإِنْ كَانَ دَاخِلًا فِي

الْأَرْبَعَةَ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَا يَعْرِفُ وَجْهَ دُخُولِهِ فِيهَا حَيْثُ قَالَ :
 (أَخِي ثِقَّةٌ) قَوْصَفَهُ بِالْوَقَاءِ وَالْوَقَاءُ دَاخِلٌ فِي هَذِهِ الْقَضَائِلِ
 الَّتِي قَدَّمْنَا وَقَدْ نَحْدُثُ هَذَا لِلشُّعْرَاءِ فَيَعُدُّونَ أَنْوَاعَ الْقَضَائِلِ الْأَرْبَعِ
 وَأَقْسَامَهَا وَكُلٌّ دَاخِلٌ فِي جُمْلَتِهَا مِثْلَ أَنْ يَذْكُرُوا الْمَعْرِفَةَ وَالْحَيَاءَ
 وَالْبَيَانَ وَالسِّيَاسَةَ وَالصَّدْعَ بِالنَّجَّةِ وَالْعِلْمَ وَالْجَلْمَ وَغَيْرَ ذَلِكَ ثُمَّ
 يَجْرِي هَذَا الْجَرَى . وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَقْلِ . وَكَذَكَرَهُمُ الْقَنَاطَةُ وَقَوْلُهُ
 الشَّرُّ وَطَهَارَةُ الْأَزَارِ وَغَيْرَ ذَلِكَ وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الْعِفَّةِ . وَكَذَكَرَهُمُ
 الْحِمَايَةُ وَالْأَخَذُ بِالثَّارِ وَالِدِّقَاعُ عَنْ الْجَارِ وَالنَّكَايَةُ فِي الْعَدُوِّ وَقَتْلُ
 الْأَقْرَانِ وَالْمَهَابَةُ وَالسَّيَرُ فِي الْمَهَامِهِ وَالْقِفَارُ الْمَوْجِسَةُ وَمَا شَاكَلَ
 ذَلِكَ وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الشَّجَاعَةِ . وَكَذَكَرَهُمُ السَّمَاةُ وَالْتَّغَابُنُ وَالْإِنْظِلَامُ
 وَالتَّبَرُّعُ بِالنَّائِلِ وَاجَابَةُ السَّائِلِ وَقَرَى الْأَضْيَافِ وَمَا جَانَسَ هَذِهِ
 الْأَشْيَاءَ وَهِيَ مِنْ أَقْسَامِ الْعَدْلِ

وَأَمَّا تَرْكِيبُ بَعْضِهَا مَعَ بَعْضٍ فَقَدْ حَدَّثَ وَنَهَيْتُهُ أَقْسَامًا : يَحْدُثُ
 مِنْ تَرْكِيبِ الْعَقْلِ مَعَ الشَّجَاعَةِ الصَّبْرُ عَلَى الْمَلَمَاتِ وَنَوَازِلِ الْخُطُوبِ .
 وَعَنْ تَرْكِيبِ الْعَقْلِ وَالسَّخَاةِ الْبَرُّ وَانْجَاذُ الْوَعْدِ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ . وَعَنْ
 تَرْكِيبِ الْعَقْلِ وَالْعِفَّةِ التَّزَدُّ وَالرَّغْبَةُ عَنِ الْمُنَسَّلَةِ وَالْإِقْتِسَارُ عَلَى
 آذَنِي مَعِيشَةٍ وَمَا أَشَبَهُ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيبِ الشَّجَاعَةِ مَعَ السَّخَاةِ
 الْإِنْتِلَافُ وَالْإِسْرَافُ وَمَا جَانَسَ ذَلِكَ . وَعَنْ تَرْكِيبِ الشَّجَاعَةِ مَعَ
 الْعِفَّةِ انْكَارُ الْفَوَاحِشِ وَالْعَزِيمَةُ عَلَى الْحَرِيمِ . وَعَنْ السَّخَاةِ مَعَ الْعِفَّةِ
 الْإِسْعَافُ بِأَثَوْتِ وَالْإِيْشَارُ عَلَى النَّفْسِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ . قَالَ وَكُلُّ

وَاحِدٍ مِنْ هَذِهِ الْفَضَائِلِ الْأَرْبَعِ أَلْتَقَدَّمَ ذِكْرُهَا وَسَطَ بَيْنَ طَرَفَيْنِ
مَذْمُومَيْنِ وَمِنَ الْمَدِيحِ الْمَنْصُوصِ عَلَيْهِ قَوْلُ زُهَيْرٍ :

وَفِيهِ مَقَامَاتُ حَسَنٍ وَجُوهُهُمْ وَأَنْدِيَّةُ يَنْتَابِهَا الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
وَرَأَى جِثَّتَهُمُ الْقَيْتَ حَوْلَ يُبُوتِهِمْ مَجَاسٍ قَدْ يَشْفَى بِأَحْلَامِهَا الْجَهْلُ
عَلَى مُكَثِّرِيهِمْ رِزْقُ مَنْ يَعْتَدِيهِمْ وَعِنْدَ الْمَقْلِينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ
سَعَى بَعْدَهُمْ قَوْمٌ يَكْبِي يَذْرُكُوهُمْ فَلَمْ يَفْعَلُوا وَلَمْ يُلَيْسُوا وَلَمْ يَأْلُوا
وَلَمْ يَكُ مِنْ خَيْرِ أُتُوهُ وَإِنَّمَا تَوَارَثَهُ آبَاؤُ آبَائِهِمْ قَبْلُ
وَهَلْ يُنْبِتُ الْخَطِيَّ إِلَّا وَشِجْهُ وَتُغْرَسُ إِلَّا فِي مَنَابِتِهَا النَّخْلُ
وَقَوْلُهُ :

مَنْ يَلْقَى يَوْمًا عَلَى عِصْلَاتِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَاللَّدَى خُلُقًا
أَيْثُ بَعَثَ يَضْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَانِهِ صَدَقًا
يَطْعَنُهُمْ مَا أَرْتَمُوا حَتَّى إِذَا طَعَنُوا ضَارِبَ حَتَّى إِذَا مَا ضَارِبُوا أَعْتَمًا
لَوْ نَالَ حَيٌّ مِنَ الدُّنْيَا بِمَنْزِلَةِ أَفْقِ السَّمَاءِ لَمَاتَ كَفُّهُ الْأُفُقَا

وَيَلْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَصْدُ الشَّعْرِ فِي مَدْحِ الْوَزِيرِ وَالْكَاتِبِ
عَلَى مَا اخْتَارَهُ قُدَامَةُ وَغَيْرُهُ مَا نَاسَبَ حُسْنَ الرُّوْيَةِ وَسُرْعَةَ الْخَاطِرِ
بِالضَّوَابِ وَشِدَّةِ الْحَزْمِ وَقَلَّةِ الْغَفْلَةِ وَجُودَةِ النَّظَرِ لِلْخَافِقَةِ وَالتَّيَّابَةِ عَنْهُ
فِي الْمَغْضَلَاتِ بِالرَّأْيِ أَوْ بِالذَّاتِ كَمَا قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ :

إِذَا نَابَهُ أَمْرٌ قَامًا كَفَيْتُهُ وَإِمَامًا عَلَيْهِ بِالْكَفِيِّ تُشِيرُ
وَبِأَنَّهُ مَحْذُودُ السَّيْرِ حَسَنُ السِّيَاسَةِ لَطِيفٌ فَإِنْ أَصَافَ إِلَى
ذَلِكَ ذِكْرَ الْبَلَاغَةِ وَالْخَطِّ وَالتَّفَنُّنِ فِي الْعِلْمِ كَانَ غَايَةً. وَأَفْضَلُ مَا

مُدِّحٌ بِهِ الْقَائِدُ الْجُودَ وَالشَّجَاعَةَ وَمَا تَفَرَّعَ مِنْهَا مِنْ الْإِفْرَاطِ فِي التَّجَدُّدِ
وَسُرْعَةِ الطُّشْرِ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ. وَيُمدِّحُ الْقَاضِي بِمَا نَاسَبَ الْعَدْلَ
وَالْإِنْصَافَ وَتَقْرِيبَ الْبَعِيدِ فِي الْحَقِّ وَتَبْعِيدَ الْقَرِيبِ فِي الْأَخْذِ
لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ وَالْمُسَاوَاةَ بَيْنَ الْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ بِبَسْطِ الْوَجْهِ
وَلِينِ الْجَانِبِ وَقِلَّةِ الْمُبَالَاةِ فِي إِقَامَةِ الْحُدُودِ وَاسْتِخْرَاجِ الْحَقُوقِ
فَإِنْ زَادَ إِلَى ذَلِكَ وَذَكَرَ الْوَرَعَ وَالْتَّحَرُّجَ وَمَا شَاكَاهُمَا فَقَدْ بَلَغَ
الْنِّهَايَةَ. وَصِفَاتُ الْقَاضِي كُلُّهَا لَا تَنُفَقُ بِصَاحِبِ الظَّالِمِ وَمَنْ كَانَ
ذُوْنَ هَذِهِ الثَّلَاثِ الطَّبَقَاتِ سِوَى طَبَقَةِ أَلَلِكٍ فَلَا أَرَى لِدَعْوِهِ وَجْهًا
فَإِنْ دَعَتْ إِلَى ذَلِكَ ضَرُورَةٌ مُدِّحٌ كُلِّ إِنْسَانٍ بِالْفَضْلِ فِي
صِنَاعَتِهِ وَالْمَعْرِفَةِ بِطَرِيقَتِهِ الَّتِي هُوَ فِيهَا. وَكَثُرَ مَا يُعَوَّلُ عَلَى
الْقَضَائِلِ النَّفْسَانِيَّةِ الَّتِي ذَكَرَهَا قُدَّامَةُ وَإِنْ أُضِيفَتْ إِلَيْهَا فَضَائِلُ
عَرَضِيَّةٌ أَوْ حَسَنِيَّةٌ كَالْجَمَالِ وَالْأُيَّةِ وَبَسْطَةِ الْخُلُقِ وَسَعَةِ الدُّنْيَا
وَكَثْرَةِ الْعَيْشِ كَانَ ذَلِكَ جَيِّدًا. إِلَّا أَنَّ قُدَّامَةَ قَدْ آبَى مِنْهُ وَأَنْكَرَهُ
جُمْلَةً وَلَيْسَ ذَلِكَ صَوَابًا وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقُولَ: الْمَدْحُ
بِالْقَضَائِلِ النَّفْسَانِيَّةِ أَشْرَفُ وَأَصَحُّ قَامًا إِنْكَارًا مَا سِوَاهَا جُمْلَةً
وَإِدَّةً قَمَا أَظُنُّ أَحَدًا يُسَاعِدُهُ فِيهِ وَلَا يُوَافِقُهُ عَلَيْهِ وَقَدْ كَرِهَ
الْخُذَّاقُ أَنْ يُمدِّحَ أُمُوكَ بِمَا نَاسَبَ قَوْلَ: مُوسَى شَهَوَاتٍ وَيُرَوِّى
لِغَيْرِهِ:

أَنْتَ نَعَمَ الْمَتَاعُ لَوْ كُنْتَ تَبْقَى غَيْرَ أَنْ لَا بَقَاءَ لِلْإِنْسَانِ
لَيْسَ فِيمَا بَدَأَ لَنَا مِنْكَ عَيْبٌ عَابَهُ النَّاسُ غَيْرَ أَنَّكَ قَانِي

وَحُكِّيَ عَنْ بَعْضِ الْمُلُوكِ أَنَّهُ قَالَ مَا لِهَؤُلَاءِ الشَّعْرَاءِ قَاتَلَهُمْ
 اللَّهُ رَبَّمَا ذَكَرُونَا شَيْئًا نَحْنُ أَكْثَرُ لَهُ ذِكْرًا مِنْهُمْ فَيَنْعُصُونَ بِهِ عَلَيْنَا
 أَوْقَاتٍ لَذَاتِنَا يَعْنِي بِذَلِكَ أَلَمُوتَ . وَمِنْ أَبْشَعَ مَا فِي ذَلِكَ قَوْلُ
 أَبِي تَمَامٍ :

فَلَيْطَلُ غَمْرُهُ فَلَوْ مَاتَ فِي طَوْنٍ سِمْيَاءً لَمَاتَ فِيهَا غَرِيْبًا
 مَا أَلَذِّي دَعَاهُ إِلَى ذِكْرِ أَلَمُوتٍ هَهُنَا إِلَّا أَلْتَكْدُ وَأَلْبَغَاضَةً
 وَاجْمَعَ النَّاسَ عَلَى تَقْدِيمِ قَوْلِ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ بِمَدْحِ الرَّسُولِ :
 تَحْمِلُهُ أَلْمَاقَةُ أَلْأَدَمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبَذْرِ جَلَى لَيْلَةٍ أَلْظُلُمِ
 وَفِي عَطَافِهِ أَوْ أَثْنَاءَ رَيْطِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَوَن كَرَمِ
 وَالْجَهَالِ يُرَوْنُ أَلْبَيْتَ لِأَبِي دَعْبِلَ الْجَحْمِيِّ وَيُنَاسِبُهُ قَوْلُ
 أَلْعَجَّاجِ :

يَحْمِلُنْ كُلُّ سُرْدُودٍ وَفَخْرِ يَحْمِلُنْ مَا نَذَرِي وَمَا لَا نَذَرِي
 قَالَ أَلْأَصْعَمِيُّ أَضْلُهُ مِنْ قَوْلِ أَلْحَارِثِ بْنِ جَلِزَةَ :
 وَفَعَلْنَا بِهِمْ كَمَا عَلِمَ اللَّهُ مَ وَإِنْ أَلِلْحَاثِينَ دَمَاءُ
 قَالَ وَلَمْ يُقَلْ شَعْرُهُ قَطُّ أَحْسَنُ مِنْ هَذِهِ أَلثَّلَاثَةِ أَلْمَعَانِي . قَالَ
 أَبُو أَلْعَبَّاسِ أَلْمُبَرَّدُ : مِنْ أَلشَّعْرَاءِ مَنْ يَحْمِلُ أَلْمَدْحَ فَيَكُونُ ذَلِكَ وَجْهًا
 حَسَنًا لِلْبُؤْهِ أَلْإِرَادَةِ مَعَ خُلُوقِهِ مِنْ أَلْإِطَاةِ وَبَعْدِهِ عَنِ أَلْإِكْتِفَارِ
 وَدُخُولِهِ فِي أَلْإِخْتِصَارِ وَذَلِكَ نَحْوُ قَوْلِ أَلْخَطِيبَةِ :

تَرُودُ فَتَى يُعْطِي عَلَى أَلْحَمْدِ مَا لَهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ أَلْمَرْءَ غَيْرُ مُجَلَّدٍ
 كَسُوبٍ وَتَلَاَفُ إِذَا مَا سَأَلْتَهُ تَهَلَّلَ وَأَهْتَرَّ أَهْتَرَّ أَرَا أَلْمُهَدَّدِ

مَتَى تَأْتِيهِ تَغْشُو إِلَى ضَوْءِ نَارِهِ تَجِدُ خَيْرَ نَارٍ عِنْدَهَا خَيْرُ مَوْقِدٍ
تَصَرَّفَ فِي آيَاتِهِ هُذُو فِي أَصْفَاءِ الْمَدِيحِ وَآتَى بِجَمَاعِ
الْوَصْفِ وَنُجْمَةِ الْمَدْحِ عَلَى سَبِيلِ الْاِقْتِصَادِ فِي الْبَيْتِ الْآخِرِ. وَمِثْلُهُ
قَوْلُ الشَّاعِرِ :

رَأَيْتُ عُرَابَ الْأَوْسِيِّ يَسْمُو إِلَى الْخَيْرَاتِ مُنْقَطِعَ الْقَرِينِ
إِذَا مَا رَأَيْتُ رُفَعْتَ لِحْجِي تَلَقَّاهَا عُرَابُ الْبَالِينِ
وَأَفْضَلُ مَدْحٍ مُدِحٍ بِهِ الْمُلُوكُ وَكَثَرُهُ إِصَابَةُ الْقَرَضِ مَا
يُنَاسِبُ قَوْلَ ابْنِ هَرَمَةَ فِي الْمَنْصُورِ :

لَهُ لَحْظَاتٌ عَنْ جَفَافِ سَرِيرِهِ إِذَا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ
فَأَمَّا الَّذِي آمَنَتْ أَمْنُهُ الرَّدَى وَأَمَّا الَّذِي أَوَعَدَتْ بِالشَّكْلِ ثَاكِلُ
وَقَوْلَ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ يَدْحُ أَهَادِي :

يَضْطَرِبُ الْخَوْفُ وَالزَّجَاءُ إِذَا حَرَكَ مُوسَى الْقَضِيبَ أَوْ فَكَّرَ
وَكَذَلِكَ قَوْلُ الْحَزِينِ الْكِنَانِيِّ فِي عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ
أَبْنِ مَرْوَانَ وَتُرْوَى لِلْفَرَزْدَقِ فِي عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ وَقِيلَ بَلْ قَالَهَا
فِي اللَّيْلِ الْإِنْفَرِيِّ وَقِيلَ هِيَ لِدَاوُدَ بْنِ مُسْلِمٍ فِي قُتَمِ بْنِ الْعَبَّاسِ
أَبْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ :

فِي كَفِّهِ خَيْزُرَانٌ رِيحُهُ عَيْقُ مِنْ كَفِّ أَرْوَاحٍ فِي عَرْنِينِهِ شَمَمُ
يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ قَمَا يُكَاثِمُ إِلَّا حِينَ يَتَسَمُّ
وَأَجْتَمَعَ الشُّعْرَاءُ بِبَابِ الْمُعْتَمِرِ فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ
يُحْسِنُ أَنْ يَقُولَ مِثْلَ قَوْلِ مَنْصُورِ النَّدَرِيِّ فِي الرَّشِيدِ :

إِنَّ الْمَكَارِمَ وَالْمَعْرُوفَ أَوْدِيَّةُ أَحَلَّكَ اللَّهُ مِنْهَا حَيْثُ تَجْتَمِعُ
إِذَا رَفَعْتَ أَمْرًا فَإِنَّهُ رَافِعُهُ وَمَنْ وَضَعَتْ مِنَ الْأَقْوَامِ مَتَضِعُ
مَنْ لَمْ يَكُنْ بِأَمِينِ اللَّهِ مُعْتَصِمًا فَلَيْسَ بِالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ يَنْتَفِعُ
إِنْ أَخْلَفَ الْغَيْثُ لَمْ تَخْلَفْ أُنَامِلُهُ أَوْ ضَاقَ أَمْرٌ ذَكَرْنَاهُ فَيَسْمَعُ
فَلْيَدْخُلْ . فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ وَهَبٍ : فِينَا مَنْ يَقُولُ خَيْرًا مِنْهُ
وَأَنْشَدَ :

ثَلَاثَةٌ تُشْرِقُ الدُّنْيَا بِبَهْجَتِهِمْ شَمْسُ الصُّحَى وَأَبُو إِسْحَاقَ وَالْقَمَرُ
تَحْكِي أَفَاعِيلَهُ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ الْغَيْثُ وَاللَّيْثُ وَالصَّمَامَةُ الذِّكْرُ
فَأَمَرَ بِإِذْخَالِهِ وَأَحْسَنَ صِلَتَهُ
وَقَالُوا لِمَا حَضَرَتْ الْأُخْطِيَّةَ الْوَفَاةُ قَالَ : بَلِّغُوا الْأَنْصَارَ أَنَّ
أَخَاهُمْ أَمَدَحُ النَّاسِ حَيْثُ يَقُولُ :
يُغْشُونَ حَتَّى مَا تَهْرُ كِلَابُهُمْ لَا يَسْأَلُونَ عَنِ السَّوَادِ الْقَلِيلِ
قَالَ ثَعْلَبٌ بَلْ قَوْلُ الْأَعَشَى :
فَتَى لَوْ يُبَادِي الشَّمْسَ أَلْقَتْ قِنَاعَهَا

أَوْ الْقَمَرَ الشَّارِي لَأَلْقَى الْمَقَالِدَا
أَمَدَحُ مِنْهُ . وَقَالَ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ : بَيْتُ جَرِيرٍ
الْشَّمُّ خَيْرٌ مِنْ رَكْبِ الْمَطَايَا وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بَطُونِ رَاحِ
أَسِيرُ مَا قِيلَ فِي الْمَدْحِ وَأَسْهَلُهُ . وَقَالَ غَزِيَّةُ : بَلْ قَوْلُ
الْأَخْطَلِ :

شَمْسُ الْعِدَاوَةِ حَتَّى يُسْتَقَادَ لَهُمْ وَأَعْظَمُ النَّاسِ أَخْلَامًا إِذَا قَدَرُوا

وَقَالَ دُعِيلُ بَلْ قَوْلُ أَبِي الطَّحَّانِ أَتَقْنِي
أَضَاءَتْ لَهُمْ أَحْسَابُهُمْ وَوُجُوهُهُمْ

دُجِيَ اللَّيْلُ حَتَّى تَنَظَّمَ الْخِرْعَ صَاحِبُهُ
قَالَ : وَقَدْ تَنَازَعَ فِي هَذَا الْبَيْتِ يَعْنِي بَيْتَ أَبِي الطَّحَّانِ قَوْمٌ
وَفِي بَيْتِ حَسَّانٍ فِي آلِ جَفَّةَ وَبَيْتِ النَّبِيعَةِ :

يَا نَكَ شَنْسُ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ إِذَا طَلَعَتْ لَمْ يَبْدُ مِنْهُمْ كَوْكَبُ
وَبَيْتُ أَبِي الطَّحَّانِ أَشْعَرُهَا. قَالَ الْحَلِائِيُّ : بَلْ بَيْتُ ذَهَيْرٍ :
تَرَاهُ إِذَا مَا جَشَّهُ مُتَمَلِّلاً كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
وَحَكِي عَنْ عَلِيِّ بْنِ هَارُونَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ : أَجْمَعَ أَهْلُ
الْعِلْمِ أَنَّ بَيْتِي أَبِي نُوَاسٍ أَجْوَدُ بَيْتَيْنِ فِي الْمَدِيحِ لِلْمَوْلَدِينَ وَهُمَا :
أَنْتَ الَّذِي تَأْخُذُ الْأَيْدِي بِخُجْرَتِهِ

إِذَا الزَّيْمَانُ عَلَى أَنْيَابِهِ كَلَحَا
وَكَلَّتْ بِالذَّهْرِ عَيْنَا غَافِلَةٍ

مِنْ جُودِ كَفِّكَ تَأْسُو كُلَّمَا جَرَحَا
وَحَكِي الْحَلِائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْوَاحِدِ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى
قَالَ : سَبِغْتُ أَبْنَ الْأَعْرَابِيِّ يَقُولُ : أَمْدَحُ بَيْتَ قَالَهُ مُوَلَّدُ قَوْلِ
أَبِي نُوَاسٍ :

تَغَطَّيْتُ مِنْ ذَهْرِي بِظِلِّ جَنَاحِهِ فَعَيْنِي تَرَى ذَهْرِي وَلَيْسَ يَرَانِي
فَلَوْ تَسَالُ الْأَجْدَاثُ مَا أُنْسِي مَا دَرَّتْ

وَأَيْنَ مَكَانِي مَا عَرَفَنَ مَكَانِي

قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ: نَحْنُ إِلَى الْإِنْصَافِ أَخْرَجُ مِنْهَا إِلَى
الْمُكَابَرَةِ وَالْخِلَافِ وَأَبُو نُوَّاسٍ ذَهَبَ مَذْهَبًا لَطِيفًا يُخْرِجُ لَهُ فِيهِ الْعُدْرُ
وَالْتَأْوِيلُ وَالْأَقْمَا فِي صِفَةِ الْخُمُولِ أَشَدُّ مِمَّا ذَكَرَ لِأَسِيْمًا عَلَى
رِوَايَةٍ مَنْ رَوَى (فَلَوْ تَسَالُ الْأَيَّامُ). وَمِنْ جَيْدٍ مَا سَيَعَتْ لِيُحَدِّثَ
وَأَظُنُّهُ لِابْنِ الرُّومِيِّ فِي عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ وَرَأَيْتُ
مَنْ بَرَّوِيهِ لِأَحْمَدَ بْنِ مُحَمَّدٍ الْكَاتِبِ أَبِي الْحَسَنِ:

إِذَا أَبُو قَائِمٍ جَادَتْ يَدَاهُ لَنَا

لَمْ يُحْمَدِ الْأَجُودَانِ الْبَجْرُ وَالْمَطَرُ
وَأِنْ أَضَاءَتْ لَنَا أَنْوَارُ غُرَّتِهِ

تَضَاعَلِ السَّيْرَانِ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ
وَأِنْ مَضَى رَأْيُهُ أَوْ جَدَّ عَزَمَتُهُ

تَأَخَّرَ الْمَاضِيَانِ السَّيْفُ وَالْقَدَرُ
مَنْ لَمْ يَبْتَ حَدِيدًا مِنْ سَطْوِ صَوْلَتِهِ

لَمْ يَذِرْ مَا أُلْزِمَ حِجَابِ السَّيْفِ وَالْحَدَرُ
يُنَالُ بِالظَّنِّ مَا يَغَيَا أَلْيَانُ بِهِ

وَالشَّاهِدَانِ عَلَيْهِ الْعَيْنُ وَالْأَثَرُ
كَأَنَّهُ وَزَمَامُ الدَّهْرِ فِي يَدِهِ

يَرَى عَوَاقِبَ مَا يَأْتِي وَمَا يَنْدُرُ
قَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ: أَخْلَبَ الْمَدْحَ وَأَكْثَرَهُ مُلَقًا قَوْلُ زُهَيْرِ بْنِ

أَبِي سَلَمَى:

تَرَاهُ إِذَا مَا جِئْتَهُ مُتَهَلِّلًا كَأَنَّكَ تُعْطِيهِ الَّذِي أَنْتَ سَائِلُهُ
أَخُو ثِقَةٍ لَا تُتْلَفُ الْحُمْرُ مَالَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ يُتْلَفُ أَلْمَالُ نَائِلُهُ
غَدَوْتُ عَلَيْهِ غَدَوَةٌ فَرَأَيْتُهُ قُودًا لَدَيْهِ بِالصَّرِيمِ عَوَازِلُهُ
يُغْدِيَنِي طَوْرًا وَطَوْرًا يَلْمُهُ وَأَعْيَا قَمَا يَذْرِيْنَ آيْنَ مُحَاتِلُهُ
فَاغْرَضَنَ عَنْهُ عَنْ كَرِيمٍ مُرْزَا جُمُوعٍ عَلَى الْأَمْرِ الَّذِي هُوَ قَابِلُهُ
وَقَوْلٍ طَفِيلٍ :

جَزَى اللَّهُ عَنَّا جَعْفَرًا حِينَ أَزَلَّتْ بِمَا نَعَلْنَا فِي الْوِطَائِينِ وَزَلَّتْ (١)
أَبَوَا أَنْ يَمْلُونَا وَلَوْ أَنَّ أَمَنَا تُتْلَقِي الَّذِي لَأَقْوَهُ مِمَّا لَمَلَّتْ
وَسَالَ الرَّشِيدُ الْمَفْضَلُ الصَّبِيَّ : أَيَّ بَيْتٍ قَالَتْ الْعَرَبُ أَمَدَحُ
فَقَالَ :

أَغْرَ أَبْلَحُ تَأْتُمُ الْهَدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَالِمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ
قَالَ شَرَّاحِيلُ بْنُ مَعْنٍ بْنِ زَائِدَةَ : كُنْتُ أَسِيرُ تَحْتَ قُبَّةٍ يُحْيِي
أَبْنُ خَالِدٍ وَقَدْ حَجَّ مَعَ الرَّشِيدِ وَعَدِيْلُهُ أَبُو يُوسُفَ الْقَاضِي إِذَا
أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي أَسَدٍ كَانَ يَلْقَاهُ إِذَا حَجَّ قَيْدَهُ فَانْشَدَهُ شِعْرًا
أَنْكَرَ يُحْيِي مِنْهُ بَيْتًا فَقَالَ : يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ مِثْلِ
هَذَا الشِّعْرِ أَلَا قُلْتَ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :

بَنُو مَطَرٍ يَوْمَ الْإِلْقَاءِ كَأَنَّهُمْ لِجَارِهِمْ بَيْنَ التِّمَاجِينِ مَنَزِلُ
بِهَالِيلٍ فِي الْإِسْلَامِ سَادُوا وَلَمْ يَكُنْ كَأَوَّلِهِمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ أَوَّلُ
هُمْ الْقَوْمُ إِنْ قَالُوا أَصَابُوا وَإِنْ دُعُوا أَجَابُوا وَإِنْ أَعْطُوا أَطَابُوا وَأَجْزَلُوا

وَلَا يَسْتَطِيعُ الْفَقَاءُونَ فِعَالَهُمْ وَإِنْ أَحْسَنُوا فِي الدَّلَائِلِ وَأَجْمَلُوا
فَقَالَ أَبُو يُوسُفَ لِمَنْ هَذَا الشِّعْرُ أَصْلَحَكَ اللَّهُ فَمَا سَمِعْتُ أَحْسَنَ
مِنْهُ فَقَالَ يَحْيَى يَقُولُهُ ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ فِي أَبِي هَذَا أَلْفَتِي وَأَوَمَّا إِلَيَّ
فَكَانَ قَوْلُهُ أَسَرَ إِلَيَّ مِنْ جَلِيلِ الْفَوَائِدِ ثُمَّ أَلْفَتَ إِلَيَّ وَقَالَ
يَا شَرَجِيلُ أَنْشِدْنِي أَحْوَدَ مَا قَالَهُ ابْنُ أَبِي حَفْصَةَ فِي أَبِيكَ
فَأَنْشَدُهُ:

نِعْمَ الْمُنَاخُ لِزَاهِبٍ وَلِرَاغِبٍ مِمَّنْ تُصِيبُ حَوَانِجُ الْأَزْمَانِ
مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ الَّذِي زِيدَتْ بِهِ شَهَقًا إِلَى شَرْفِ بَنُو شَيْبَانَ
إِنْ عُدَّ أَيَّامُ الْإِقْدَاءِ فَلَانَا يَوْمَاهُ يَوْمُ نَدَى وَيَوْمُ طَانِ
يَكْسُو الْأَسِرَّةَ وَالْمَنَابِرَ بَهْجَةً وَيَزِينُهَا بِجَهَارَةٍ وَيَبَانِ
تَمْضِي أَسِنَّتُهُ وَيُسْفِرُ وَجْهَهُ فِي الْحَرْبِ عِنْدَ تَغْيِيرِ الْأَلْوَانِ
نَفْسِي فِدَاكَ أَبَا الْوَلِيدِ إِذَا بَدَا رَهْجُ السَّنَابِكِ وَالرِّيحُ دَوَانِ
فَقَالَ يَحْيَى أَنْتَ لَا تَذَرِي جَيْدَ مَا مُدِحَ بِهِ أَبُوكَ وَأَخُوذَ مِنْ
هَذَا قَوْلُهُ:

تَشَابَهَ يَوْمَاهُ عَلَيَّاءَ فَاشْكَلَا فَلَا تَحْنُ تَذَرِي أَيَّ يَوْمِيهِ أَفْضَلُ
أَيُّومُ نَدَاهُ الْعُمَرُ أَمْ يَوْمُ بَأْسِهِ وَمَا مِنْهُمَا إِلَّا أَعْرُ مُجْجَلُ
وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَنْقُلُ الْمَدِيحَ عَنْ رَجُلٍ إِلَى رَجُلٍ وَكَانَ
ذَلِكَ دَأْبَ الْجَحْثَرِيِّ وَفَعَلَهُ أَبُو ثَمَامٍ فِي قَصَائِدِ مِنْهَا:

قَدْكَ أَتَيْتُ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ

نَقَلَهَا عَنْ يَحْيَى بْنِ ثَابِتٍ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ حَسَّانِ الصَّبَّيِّ

البحث الرابع

في الافتخار

(من الكتاب نفسه)

الْإِفْتِخَارُ هُوَ الْمَدْحُ بِعَيْنِهِ إِلَّا أَنَّ الشَّاعِرَ يُخَصُّ بِهِ نَفْسَهُ وَقَوْمَهُ
فَكُلَّمَا حَسُنَ فِي الْمَدْحِ حَسُنَ فِي الْإِفْتِخَارِ وَكُلَّمَا قُبِحَ فِيهِ قُبِحَ
فِي الْإِفْتِخَارِ مِنْ آيَاتِ الْإِفْتِخَارِ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى أُنَا بَنَاتَادَعَانِيهِ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ
قَالَ أَحْمَدُ بْنُ يَحْيَى بْنِ تَعَلَّبٍ : أَخْبَرُ بَيْتَ قَالَتْهُ الْعَرَبُ قَوْلُ
أَمْرِئِ الْقَيْسِ :

مَا يُسَكِّرُ النَّاسُ وَمِنَا جِينَ تَمْلِكُهُمْ كَانُوا عَيْدًا وَكُنَّا نَحْنُ أَرْبَابَا
وَقَالَ دِغِيلُ أَخْبَرُ الشَّعْرِ قَوْلُ كَعْبٍ :
وَبِئْسَ بَدْرٌ إِذْ يَرُدُّ وُجُوهَهُمْ جَبْرِيلُ تَحْتَ لَوَائِنَا وَمُحَمَّدُ
وَقَالَ الْحَاقِمِيُّ : قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

تَرَى النَّاسَ مَا يَسِرُّنَا يَسِيرُونَ خَلْقًا وَإِنْ نَحْنُ أَوْمَةٌ تَأْتِي النَّاسَ وَقَفُّوا
قَالَ وَيَتْلُوهُ قَوْلُ جَرِيرٍ :

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَيْمٍ وَجَدْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابَا
وَقَالَ آخَرُ : بَلْ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ :

وَنَحْنُ إِذَا عَدَّتْ مَعَدُّ قَدِيمَهَا مَكَانَ النَّوَاصِي مِنْ وُجُوهِ السَّوَابِقِ
وَقَالَ غِيْزُهُ : بَلْ قَوْلُ الْفَرَزْدَقِ لِجَرِيرٍ :

فَإِذَا نَظَرْتَ رَأَيْتَ قَوْلَكَ دَارِمًا وَالشَّمْسَ حَيْثُ تَقْطَعُ إِلَّا بَصَادُ
وَقِيلَ بَلْ قَوْلُ ابْنِ مَيْدَاةَ :

وَلَوْ أَنَّ قَيْسًا قَيْسَ غِيلَانَ أَقْسَمَتْ

عَلَى الشَّمْسِ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْكَ حِجَابُهَا
وَأَفْخَرُ بَيْتٍ صَنَعَهُ مُحَدَّثٌ عِنْدَهُمْ قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ :
إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضَرِّيَةً

هَتَكْنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ قَطَرَتْ دَمًا (١)
إِذَا مَا أَعْرَأْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمًا
وَمِنْ جَيْدِ الْأَفْتَحَارِ قَوْلُ بَكْرِ بْنِ الْأَطَّاحِ :

وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِمَّا يَعِشُ بِحُسَامِهِ وَمَنْ يَفْتَقِرُ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ يَسْأَلُ
وَنَحْنُ وَصَفْنَا دُونَ كُلِّ قَبِيلَةٍ بِأَسْ شَدِيدٍ فِي الْكِتَابِ أَلْتَزَلُ
وَأَنَا لَنَلْهُو فِي الْحُرُوبِ كَمَا لَهَتْ قَتَاةٌ يَعْقِدُ أَوْ سِجَابٍ قَرْنُفَلِ
يَعْنِي قَوْلَ الْقُرْآنِ : سَتُدْعُونَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ . وَبَسَبَ
هَذَا الشَّعْرَ وَأَشْبَاهِهِ طَلَبَهُ الرَّشِيدُ أَشَدَّ طَلَبٍ فَقَالَ : كَيْفَ تَفْتَحِرُ عَلَى
مُضَرٍّ وَمِنْهُمْ النَّبِيُّ . فَهَذَا الْإِفْتِحَارُ بِالشَّجَاعَةِ خَاصَّةً . وَمِنْ أَفْخَرَ
بِالْكَثْرَةِ أَوْسُ بْنُ مَغْرَاءَ فَقَالَ :

مَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ إِلَّا عِنْدَ أَوْلِنَا وَلَا تَغِيِبُ إِلَّا عِنْدَ آخِرِنَا
وَقَدْ أَنْكَرَ قَدَامَةً أَنْ يَمْدَحَ الْإِنْسَانُ بِأَبَانِهِ دُونَ أَنْ يَكُونَ
تَمْدُوحًا بِنَفْسِهِ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ لَا يَكُونُونَ كَأَبَائِهِمْ . وَالَّذِي

ذَهَبَ إِلَيْهِ حَسَنٌ. وَانْكَرَ الْجُرْجَانِيُّ عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ قَوْلَهُ :
مَا يَقْوِمِي شَرَفْتُ بَلْ شَرُّوْا بِي بَلْ بِنَفْسِي فُحِزْتُ لَا مَجْدُودِي
وَقَالَ إِنَّمَا أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ عَلِيٍّ بْنِ جَبَلَةَ حَيْثُ يَقُولُ :

وَمَا سَوَدَّتْ عَجَلًا مَآثِرُ عُنْدَهُمْ وَلَكِنْ بِهِمْ سَادَتْ عَلَى غَيْرِهَا عَجَلُ
قَالَ وَهَذَا مَعْنَى سُوءِ يَغْنُضُ مَنْ حَسَبِ الْمَذْذُوحِ وَيُحَقِّرُ مِنْ شَأْنِ
سَلَفِهِ وَإِنَّمَا طَرِيقَةُ الْمَذْحِ أَنْ يَجْعَلَ الْمَذْذُوحَ لِشَرَفِ آبَائِهِ وَالْآبَاءَ
تَرْدَادُ شَرَفًا بِهِ فَيَجْعَلُ لِكُلِّ مِنْهُمْ فِي الْفَخْرِ حَظًّا وَفِي الْمَذْحِ
نَصِيبًا. وَإِذَا حَصَلَتِ الْحَقَائِقُ كَانَ النَّصِيبَانِ مَقْسُومَيْنِ بَلْ كَانَ
الْكُلُّ خَالِصًا لِكُلِّ فَرِيقٍ مِنْهُمْ لِأَنَّ شَرَفَ الْوَالِدِ جُزْءٌ مِنْ
مِيرَاثِهِ وَمُنْتَقِلٌ إِلَى وَلَدِهِ كَمَا نَقَالَ إِلَيْهِ قَادًا رُغِي وَحُرْثَ ثَبَتَ
وَأَزْدَادَ وَإِنْ أَهْمِلَ وَضِعَ هَلَكَ وَكَذَلِكَ شَرَفُ الْوَالِدِ يَعْهُ الْقَيْلَةُ
وَالْوَلَدُ مِنْهُ الْقِسْمُ الْأَوْفَرُ وَالْحَظُّ الْأَكْبَرُ

قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ : وَالَّذِي يَقَعُ عَلَيْهِ الْأَخْتِيَارُ عِنْدَهُمْ مَا
نَاسَبَ قَوْلَ الْمُتَوَكِّلِ اللَّيْثِيِّ :

لَسْنَا وَإِنْ أَحْسَابًا كُرِّمَتْ يَوْمًا عَلَى الْأَحْسَابِ تَكِيلُ
نَبْنِي كَمَا كَانَتْ أَوَائِلُنَا تَبْنِي وَتَفْعَلُ مِثْلَمَا فَعَلُوا
وَقَوْلَ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ :

وَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنُ سَيِّدِ عَامِرٍ وَفِي السِّرِّ مِنْهَا وَالصَّرِيحُ الْمُهَذَّبُ
فَمَا سَوَدَّتْنِي عَامِرٌ عَنْ وَرَاثَةٍ أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأَمٍّ وَلَا أَبِ
وَمِنْ أَنْفَخَ مَا قَالَ الْمُؤَلَّدُونَ قَوْلَ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْمُؤَصِّلِي -

يَفْخَرُ بِوَلَايَةِ مَنْ خَزِيمَةُ بْنُ خَازِمٍ النَّهْشَلِيَّ :
 إِذَا مُضِرُّ الْحِمْرِ كَانَتْ أَرُومَتِي وَقَامَ بِضُرِّي خَازِمٌ وَأَبْنُ خَازِمٍ
 عَطَسْتُ بِأَنْفٍ شَاخِجٍ وَتَنَاوَلَتْ يَدَايَ الثَّرَيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمٍ
 وَمَنْ قَوْلِ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ يَفْخَرُ بِقَوْمِهِ بَنِي شَيْبَانَ .
 يَا آلَ شَيْبَانَ لَا غَارَتْ نُجُومُكُمْ وَلَا خَبَتْ نَارُكُمْ مِنْ بَعْدِ تَوْفِيدِ
 أَنْتُمْ دَعَانِمْ هَذَا الْمَلِكُ مُذَرَّكَنْتَ قَبْلُ الْخِيُولُ لِإِبْرَامٍ وَتَوَكِيدِ
 الْمُنْعُمُونَ إِذَا مَا أَرَمَةُ أَرَمَتْ وَالْوَاهِبُونَ عَتِيقَاتِ الْمَرَاوِدِ
 سِيُوفُكُمْ أَفَقَدَتْ كَسْرَى مَرَاذِبَهُ فِي يَوْمٍ ذِي قَارٍ إِذْ جَاؤُوا لِمَوْعِدِ
 فَهَذَا هُوَ الْفَخْرُ الْحَلَالُ غَيْرُ الْمُدَّعَى فِيهِ وَلَا الْمُنْتَحَلُ .
 وَعَابَ الْأَضْمَعِيُّ وَغَيْرُهُ قَوْلَ عَامِرِ بْنِ مُعَسِّرِ بْنِ أَسْحَمَ يَصِفُ
 أَسِيرًا :

فَظَلَّ يُجَالِسُ الْمَذَقَاتِ فِينَا يُقَادُّ كَانَهُ جَمَلٌ رَبِيقُ
 وَذَلِكَ لِأَنَّهُ وَصَفَ أَسِيرَهُمْ بِأَنَّهُ جَانِعُ يُجَالِسُ الْقَلِيلَ الْمَذْذُوقِ
 مِنَ اللَّبَنِ إِنَّمَا ذَلِكَ مِنَ الْجَهْلِ . وَمِنْ أَحْوَدِ قَصِيدَةِ أَفْخَرٍ فِيهَا شَاعِرٌ
 قَصِيدَةُ السَّمَوَالِ بْنِ عَادِيَاءَ فَإِنَّهُ قَدْ جَمَعَ فِيهَا ضُرُوبَ الْمَادِحِ
 وَأَنْوَاعَ الْمَقَاحِرِ وَهِيَ مَشْهُورَةٌ



البحث الخامس

في الرثاء

(من الكتاب نفسه)

وَأَيْسَ بَيْنَ الرِّثَاءِ وَالْمَسْحِ قَرْنٌ إِلَّا أَنْ يُخْلَطَ بِالرِّثَاءِ شَيْءٌ
يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ مَيِّتٌ مِثْلَ كَانَ أَوْ عَدِمَ مَا كُنْتُ وَكُنْتُ
أَوْ مَا شَاكَ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ مَيِّتٌ. وَسَبِيلُ الرِّثَاءِ أَنْ يَكُونَ ظَاهِرَ
التَّفَجُّعِ بَيْنَ الْحَسْرَةِ مَخْلُوطًا بِالتَّهْنِيفِ وَالْأَسْفِ وَالْإِسْتِعْظَامِ إِنْ
كَانَ أَلَمْتُ مَلَكًا أَوْ رَئِيسًا كَثِيرًا كَمَا قَالَ النَّابِغَةُ فِي حِضْنِ بْنِ
حَذِيفَةَ :

يَقُولُونَ حِضْنُ ثُمَّ تَأْتِي نَفْسُهُمْ وَكَيْفَ بِحِضْنٍ وَالْحَبَالُ جُوحٌ
وَلَمْ تَأْفُظِ أَلْمُوتَى الْقُبُورُ وَلَمْ تُزَلْ تُجْجِمُ السَّمَاءُ وَالْأَدِيمُ صَحِيجٌ
فَعَمَّا قَلِيلٍ ثُمَّ جَاءَ نَعِيُهُ فَظَلَّ بَذِيْ الْقَوْمِ وَهُوَ يُنُوحُ
فَهَذَا وَمَا شَاكَهُ رِثَاءُ أَلْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ الْحَلَّةِ وَإِلَى هَذَا ذَهَبَ
أَبُو الْقَتَاهِيَةِ حِينَ قَالَ : (مَاتَ الْخَلِيفَةُ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ) فَرَفَعَ النَّاسُ
رُؤُوسَهُمْ وَفَتَحُوا عُيُونَهُمْ وَقَالُوا : أَنْعَاهُ إِلَى الْخَيْرِ وَالْإِنْسِ ثُمَّ قَالَ :
(فَكَأَنِّي أَفْطَرْتُ فِي رَمَضَانَ) يُرِيدُ إِلَيَّ مُجَاهَرَّتِي بِهَذَا
الْقَوْلِ كَأَنَّمَا جَاهَرْتُ نَهَارًا بِالْأَفْطَارِ فِي رَمَضَانَ فَكُلُّ أَحَدٍ
يُسْكِرُ عَلَيَّ ذَلِكَ وَيَسْتَعْظِمُهُ مِنْ فِعْلِي وَهَذَا مَعْنَى جِدِّ غَرِيبٍ فِي
لَفْظِ رَدِيَّةٍ غَيْرِ مُغْرِبٍ عَمَّا فِي النَّفْسِ. وَمِنْ أَفْضَلِ الرِّثَاءِ قَوْلُ

أَلْحَسِينَ بْنِ مَطِيرٍ يَرِثِي مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ وَيُرْوَى لِابْنِ أَبِي حَفْصَةَ:
فَيَا قَبْرَ مَعْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ بُقْعَةٍ

مِنَ الْأَرْضِ خُطَّتْ لِلْسَّامَةِ مَوْضِعًا
وَيَا قَبْرَ مَعْنٍ كَيْفَ وَارَيْتَ جُودَهُ

وَقَدْ كَانَ وَنَهُ أَهْبُ وَالْبَجْرُ مُدْرَعًا
يَلَى قَدْ وَسِعْتَ الْجُودَ وَالْجُودُ مَيِّتٌ

وَلَوْ كَانَ حَيًّا عِشْتَ حَتَّى تَصْدَعًا
فَتَى عِيشَ فِي مَعْرُوفِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ

كَمَا كَانَ بَعْدَ السَّيْلِ مَجْرَاهُ مَرْتَعًا
وَمِمَّا قَصَرَ بِهِ أَبُو تَمَّامٍ فِي رِثَانِهِ مُحَمَّدُ بْنُ حُمَيْدٍ بِالْقَصِيدَةِ الَّتِي
يَقُولُ فِيهَا:

أَلَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ عَطَلَتْ لَهُ فِجَاجُ سَبِيلِ اللَّهِ وَأَنْشَعَرَ الشَّعْرُ
وَقَدْ آجَادَ أَيْضًا فِي الْقَصِيدَةِ الَّتِي رَتَمَهَا أَدْرِيسُ بْنُ بَدْرٍ
يَقُولُ فِيهَا:

وَلَمْ أَنْسَ سَعْيَ الْجُودِ خَلْفَ سَرِيرِهِ بِأَكْسَفِ بَالٍ يَسْتَقِيلُ وَيَطْلُعُ
وَأَبُو تَمَّامٍ مِنَ الْمُعْذُودِينَ فِي إِجَادَةِ الرِّثَاءِ وَمِثْلُهُ دِيكَ الْخِنْ
وَهُوَ أَشْهُرُ فِي هَذَا مِنْ أَبِي تَمَّامٍ لَهُ فِيهِ طَرِيقٌ قَدْ أَنْفَرَدَ بِهَا قَالَ
فِي عُيَيْدِ اللَّهِ بْنِ سُلَيْمَانَ بْنِ وَهْبٍ:

قَدْ أَسْتَوَى النَّاسُ وَمَاتَ الْكَمَالُ وَصَاحَ صَرْفُ الدَّهْرِ آيُنَ الرِّجَالِ
هَذَا أَبُو الْقَلَامِ فِي نَعْسِهِ قَوْمُوا أَنْظَرُوا كَيْفَ تَسِيرُ الْحِبَالُ

وَمِنْ عَادَةِ الْقَدَمَاءِ أَنْ يَضْرِبُوا الْأَمْثَالَ فِي الْمَرَاثِي بِأَلْمُلُوكِ
الْأَعِزَّةِ وَالْأَهْلِ السَّالِفَةِ وَبِالْوُغُولِ الْمُنْتَعَةِ فِي قُلُلِ الْجِبَالِ وَالْأَسُودِ
الْحَادِرَةِ فِي الْغِيَاضِ وَحَمْرِ الْوَحْشِ الْمُنْتَصِرَةِ بَيْنَ الْقَفَارِ وَالْثُغُورِ
وَالْعُقْبَانِ وَالْحَيَاتِ لِبَاسِهَا وَطُولِ أَعْمَارِهَا وَذَلِكَ فِي أَشْعَارِهِمْ كَثِيرٌ
مَوْجُودٌ لَا تَكَادُ تَحُلُو مِنْهُ. فَأَمَّا الْخُذُنُ فَهُمْ إِلَى غَيْرِ هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ أَمِيلٌ وَمَذْهَبُهُمْ فِي الرِّثَاءِ أَمْثَلُ فِي وَقْتِنَا هَذَا وَقَبْلَهُ وَرَبَّمَا
جَرَا عَلَى سُنَنِ مَنْ قَبْلَهُمْ أَقْتِدَاءُ بِهِمْ وَآخِذَا يُسْتَبْهِمُ كَأَلَدِي صَنَعَ
أَبُو نَوَاسٍ فِي رِثَائِهِ أَبَا الْوَلِيدِ الْأَعْرَابِيَّ وَحَلَفًا الْأَحْمَرَ وَمَرَاثِيهِ
فِيهَا ثَلَاثُ قَوَافٍ مَشْهُورَاتُ

وَكَمَا صَنَعَ ابْنُ الْأَعْتَرِ يَرْثِي أَبَاهُ بِالْقَصِيدَةِ اللَّامِيَّةِ الْمُعَيَّدَةِ
فِي الرَّمْلِ أَوَّلُهَا :

رُبَّ حَتَفٍ بَيْنَ أَثْنَاءِ الْأَمَلِ وَحَيَاةِ الْمَرءِ ظِلٌّ مُسْتَقِلٌّ
وَهِيَ مَعْرُوقَةٌ وَلَوْلَا اِسْتِهَارُ هَذِهِ الْقَصَائِدِ وَوُجُودُهَا وَخِيفَةُ التَّطْوِيلِ
لَا ثَبَتَتْ بِهَذَا الْمَوْضِعِ وَلَيْسَ مِنْ عَادَةِ الشُّعْرَاءِ أَنْ يَقْدِمُوا قَبْلَ
الرِّثَاءِ نَسِيبًا كَمَا يَضَعُونَ فِي الْمَذْحِجِ وَالْهَجَاءِ. قَالَ ابْنُ الْكَلْبِيِّ
وَكَانَ عَلَامَةً لَا أَعْرِفُ مَرِئَةً فِي أَوَّلِهَا نَسِيبٌ إِلَّا قَصِيدَةً دُرَيْدِ بْنِ
الْصِّتَةِ فِي رِثَاءِ أَخِيهِ خَالِدٍ :

أَرَتْ جَدِيدُ الْجَبَلِ مِنْ أُمِّ مَعْبَدٍ لِعَاقِبَةٍ أَوْ أَخَلَّتْ كُلُّ نَوْعِدٍ
وَحَكَى الْخُفَّاسُ عَنْ عَلِيٍّ بْنِ سُلَيْمَانَ عَنْ أَبِي الْعَبَّاسِ الْأَخْوَلِ
أَنَّ الْقَصِيدَةَ الَّتِي لِأَبِي قُحَاظَةَ أَعَشَى بِأَهْلَةٍ إِنَّمَا هِيَ لِابْنَةِ الْمُنْتَشِرِ

وَأَسْمَهَا الدَّعْجَاءُ. وَالْحَاصِلُ أَنَّ الْمُتَعَارِفَ عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ أَنَّهُ لَيْسَ لِلْعَرَبِ
فِي الْجَاهِلِيَّةِ مَرْثِيَةٌ أَوْ لَهَا تَشْيِيبٌ إِلَّا قَصِيدَةُ دُرَيْدٍ. وَأَنَا أَقُولُ إِنَّهُ
الْوَاجِبُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ إِلَى وَقْتِنَا هَذَا وَمِنْ بَعْدِهِ لِأَنَّ
الْأَخَذَ فِي الرِّثَاءِ يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ مَشْغُولًا عَنِ النَّسِيبِ بِمَا هُوَ فِيهِ
مِنَ الْحَسْرَةِ وَالْإِهْتِمَامِ بِالْمُصِيبَةِ وَإِنَّمَا تَغُولُ دُرَيْدٌ بَعْدَ قَتْلِ أَخِيهِ
بِسَنَةِ وَحِينَ أَخَذَ بَنَاهُ وَادْرَكَ طَائِلَتَهُ

وَمِنْ الْعَجِيبِ أَنْ يَقُولَ عَبْدَةُ بْنُ الطَّيِّبِ فِي تَأْيِينِ قَيْسِ بْنِ
عَاصِمٍ الْمُنْقَرِي:

عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ قَيْسَ بْنَ عَاصِمٍ وَرَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا
وَيَقُولَ الْكُمَيْتُ فِي تَأْيِينِ النَّبِيِّ هَذَا الْقَوْلَ فَهَلَّا قَالَ مِثْلَ
قَوْلِ فَاطِمَةَ:

اغْبَرَ آفَاقُ السَّمَاءِ وَكُوِّرَتْ شَمْسُ النَّهَارِ وَأَظْلَمَ الْعَصْرَانِ
وَالنِّسَاءُ اسْتَحْيَى النَّاسَ قُلُوبًا عِنْدَ الْمُصِيبَةِ وَأَشَدُّهُمْ جَزَاعًا عَلَى
هَالِكٍ لِمَا رَكِبَ اللَّهُ تَعَالَى فِي طِبَاعِهِمْ مِنْ ضَعْفِ الْغَرِيمَةِ
فَأَنْظُرْ إِلَى قَوْلِ جَلِيلَةٍ بِنْتِ مِرَّةٍ تُرِثِي زَوْجَهَا كُنِيًّا حِينَ قَتَلَهُ
أَخُوهَا جَسَّاسٌ مَا اسْتَحْيَى لَفْظَهَا وَأَظْهَرَ الْفُحِيمَةَ فِيهِ وَكَيْفَ يُمِيرُ
الْأَشْجَانَ وَيَقْدَحُ شَرَرِ الْتِيرَانِ وَذَلِكَ:

يَا أَبْنَةَ الْأَقْوَامِ إِنْ لُمْتُ فَلَا تَحْجَلِي بِاللُّؤْمِ حَتَّى تَسْأَلِي
وَمِنْ أَشَدِّ الرِّثَاءِ صُعُوبَةُ عَلَى الشَّاعِرِ أَنْ يَرِثِي طِفْلًا أَوْ امْرَأَةً
لِضَيْقِ الْكَلَامِ عَلَيْهِ فِيهِمَا وَقَوْلُهُ الصِّفَاتِ. أَلَا تَرَى مَا صَنَعُوا بِأَيِّ

الطَّيِّبُ وَهُوَ فُحْلٌ مُجَرَّدٌ إِذْ ذَكَرَ الْخُحْدُثُونَ فِي قَوْلِهِ يَذْكُرُ أَمْ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

صَلَاةُ اللَّهِ خَالِقَنَا حُنُوطٌ عَلَى الْوَجْهِ الْمَكْفَنِ بِالْجَمَالِ وَقَالُوا مَا لَهُ وَلِهَذِهِ الْعُجُوزُ يَصِفُ جَمَاهَا وَقَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ : هَذِهِ اسْتِعَارَةٌ جِدَادٍ فِي عُرْسٍ فَإِنْ كَانَ أَرَادَ الصَّاحِبُ بِالْإِسْتِعَارَةِ الْخُنُوطَ فَقَدْ وَاللَّهُ ظَلَمَ وَتَعَسَّفَ وَإِنْ كَانَ أَرَادَ اسْتِعَارَةَ الْكَفَنِ لِحِمَالِ الْعُجُوزِ فَقَدْ اغْتَرَضَ فِي مَوْضِعٍ اغْتَرَضَ إِلَى مَوَاضِعَ كَثِيرَةٍ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ مَا يَحْتَاجُ كُلَّ رَدٍّ وَيُعْنِي كُلَّ إِسَاءَةٍ . قَالَ الصَّاحِبُ بْنُ عَبَّادٍ وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى مَرِيثَةٍ لَهُ فِي أَمْرِ سَيْفِ الدَّوْلَةِ تَدُلُّ مَعَ قَسَادِ الْحُنَنِ عَلَى سُوءِ آدَبِ النَّفْسِ وَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ يُخَاطَبُ مَا كُنَّا فِي أَمْرِ يَقُولُهُ :

رِوَاقُ الْعِزِّ فَوْقَكَ مُسَبِّطٌ وَمُلْكُ عَلِيٍّ أَيْنَكَ فِي كَمَالٍ وَلَعَلَّ لَفْظَ الْأَسْبِطَرَارِ فِي مَرَاثِي النِّسَاءِ مِنَ الْخِذْلَانِ الصَّفِيقِ الرِّقِيقِ . وَأَنَا أَقُولُ إِنَّ أَشَدَّ مَا هَجَّنَ هَذِهِ اللَّفْظَةَ وَجَعَلَهَا مَقَامَ قَصِيدَةٍ هَجَاءٌ أَنَّهُ قَرَنَهَا بِفَوْقَكَ فَجَاءَ عَمَلًا تَامًا لَمْ يَبْقَ فِيهِ إِلَّا قَضَاءُ وَمِنْ أَضْعَابِ الزَّمَاءِ أَيْضًا جَمْعُ تَغْزِيَةٍ وَتَهْنِئَةٍ فِي مَوْضِعٍ قَالُوا : لَمَّا مَاتَ مُعَاوِيَةُ أَجْتَمَعَ النَّاسُ بَابَ يَرْيَدَ فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَى الْجَمْعِ بَيْنَ التَّغْزِيَةِ وَالتَّهْنِئَةِ حَتَّى آتَى عَبْدُ اللَّهِ ابْنُ هَمَامٍ السَّائِلِيُّ فَدَخَلَ فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرَكَ اللَّهُ عَلَى الرِّزْيَةِ . وَبَارَكَ لَكَ فِي الْعَطِيَّةِ . وَأَعَانَكَ عَلَى الرَّعِيَّةِ . فَقَدْ رُزِيتَ عَظِيمًا وَأُعْطِيتَ فَأَشْكُرُ

اللَّهُ عَلَى مَا أُعْطِيَ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا رُزِيتَ فَقَدْتَ خَلِيفَةَ اللَّهِ وَأُعْطِيَ
خِلَافَةَ اللَّهِ فَفَارَقْتَ جَلِيلًا وَأُعْطِيَ عَظِيمًا إِذْ قَضَى مُعَاوِيَةَ نَحْبَهُ
وَوَلَّيْتَ الرِّئَاسَةَ وَأُعْطِيَ السِّيَاسَةَ فَأَوْرَدَهُ اللَّهُ مَوَارِدَ السُّرُورِ
وَوَقَّكَ لِمَصَالِحِ الْأُمُورِ :

فَأَصْبِرْ يَزِيدُ فَقَدْ فَارَقْتَ ذَا ثِقَةٍ

فَأَشْكُرْ جِبَاءَ الَّذِي بِأَمْلِكِ أَضْفَاكَ
لَا رُزْءَ أَصْبَحَ فِي الْأَيَّامِ تَعْلَمُهُ كَمَا رُزِيتَ وَلَا عُقْبَى كَعُقْبَاكَ
فَفَتَحَ لِلنَّاسِ بَابَ الْقَوْلِ وَعَلَى هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ جَرَى الشُّعْرَاءُ بَعْدَهُ
قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ يُعَزِّي الْفَضْلَ بْنَ الرَّبِيعِ وَيَهْتِمُ بِالْأَمِينِ :

تَعَزَّى أَبَا الْعَبَّاسِ عَنْ خَيْرِ هَالِكٍ بِأَكْرَمِ حَيٍّ كَانَ أَوْ هُوَ كَانَ
حَوَادِثُ أَيَّامٍ تَدُورُ صُرُوفُهَا لَهْنٌ مَسَاوِي مَرَّةً وَمَحَاسِنُ
وَفِي الْحَيِّ بِأَمْلَيْتِ الَّذِي غَيْبَ الثَّرَى

فَلَا أَمْلِكُ مَغْبُونٌ وَلَا أَمُوتُ غَابِنٌ
وَيُرَوَّى فَلَا أَنْتَ مَغْبُونٌ. وَاتَّبَعَهُ أَبُو شَمَّامٍ بِالْقَصِيدَةِ الَّتِي أَوَّلُهَا
(مَا لِلدَّمُوعِ ثَرُومٌ كُلُّ مَرَامٍ) يَقُولُ فِيهَا لِنَوَاقِثِ بَعْدَ الْمُنْعَجَمِ صَرَفٌ
فِيهَا الْكَلَامَ حَيْثُ شَاءَ وَأَطْنَبَ كَمَا أَرَادَ وَأَحْجَّ وَأَسْهَبَ وَتَقَدَّمَ
فِيهَا عَلَى مَنْ سَلَكَ هَذِهِ النَّاحِيَةَ مِنَ الشُّعْرَاءِ. وَأَرَادَ ابْنُ الرُّيَّانِ
مُجَارَاتِهِ فَعَلِمَ مِنْ نَفْسِهِ التَّقْصِيرَ فَأَقْتَصَرَ عَلَى :

قَدْ قُلْتُ إِنْ غَيَّبُوكَ وَأَضْطَفَقَتْ عَلَيْكَ أَيْدٍ بِالْثُّزْبِ وَالطَّيْنِ
إِذْ هَبَ فَنِعْمَ الْمَعِينُ كُنْتُ عَلَى الدُّمِ نِيًّا وَنِعْمَ الظُّهَيْرُ لِلدِّينِ

لَنْ يُجَبِّرَ اللَّهُ أُمَّةً فَقَدَتْ مِثْلَكَ إِلَّا بِغُلِّ هَارُونَ
وَمِنْ جَيْدٍ مَا رُبِّيَ بِهِ النِّسَاءُ وَأَشَدِّهِ تَأْثِيرًا فِي الْقَلْبِ وَآثَارَةً
لِخُزْنِ قَوْلِ ابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ هَذَا فِي أُمِّ وَلَدِهِ :
أَلَا مَنْ رَأَى الطِّفْلَ الْمَفَارِقَ أُمَّهُ

بُعِيدَ الْكَرَى عَيْنَاهُ تَبْتَدِرَانِ
يَقُولُ فِيهَا :

أَلَا إِنْ سَجَلًا وَاجِدًا قَدْ أَرَقْتُهُ مِنْ الدَّمْعِ أَوْ سَجَلِينَ قَدْ شَفَيَانِي
وَرَأَيْتُ مَكَانًا فِي الْبَرِّ خُطَّ لَحْدُهُ

لَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِي بِكُلِّ مَكَانٍ
وَمِنْ أَشْجَى الشَّعْرِ رِثَاءُ قَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

فَهَبْنِي عَدِمْتُ الصَّبْرَ عَنْهَا لِأَنِّي جَلِيدٌ قَدْ بَالَصَبْرِ لِابْنِ ثَمَانَ
فَهَذِهِ الطَّرِيقُ هِيَ الَّتِي يَجْرِي حُدَاقُ الشُّعْرَاءِ إِلَيْهَا وَيَعْتَبِدُونَ
فِي الرِّثَاءِ عَلَيْهَا مَا لَمْ تَكُنِ الْمُرِثَةُ مِنْ نِسَاءِ الْمَلِكِ وَبَنَاتِ
الْأَشْرَافِ وَغَيْرِ ذَوَاتِ مَحَارِمِ الشَّاعِرِ فَإِنَّهُ يُجَاوِزُ عَنْ هَذِهِ الطَّرِيقَةِ
إِلَى أَرْفَعِ مِنْهَا نَحْوُ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

وَلَوْ أَنَّ النِّسَاءَ كَمَنْ فَقَدْنَا لَفَضَّلْتَ النِّسَاءَ عَلَى الزُّجَالِ
وَقَوْلِهِ فِي هَذِهِ الْقَصِيدَةِ :

مَشَى الْأَمْرَاءُ حَوْلَهَا حُفَاةً كَانَ الْمُرَوِّ مِنْ زِفْرِ الرِّيَالِ
وَقَوْلِهِ لِأَخْتِ سَيْفِ الدَّوَلَةِ :

يَا أُخْتَ خَيْرِ أَخٍ يَا بِنْتَ خَيْرِ أَبِي كِنَايَةً بِهِمَا عَنْ أَشْرَفِ النَّسَبِ

أَجِلْ قَدْرَكَ أَنْ تُسَمِّيَ مُوَبَّةً وَمَنْ يَصِفُكَ فَقَدْ سَمَّاكَ لِلْعَرَبِ
 وَرَبَّاهُ الْأَطْفَالَ أَنْ يَذْكُرَ مَحَايِلَهُمْ وَمَا كَانَتْ الْفِرَاسَةُ تُعْطِيهِ
 فِيهِمْ يَمْنٌ تَحْتَنُّ لِصَاحِبِهِمْ وَتَجْمَعُ بِهِمْ كَأَلَدِي صَنَعَ أَبُو نَعْمَانَ فِي ابْنِي
 عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ

البحث السادس

في الاقتضاء والاستنجاز

(من الكتاب نفسه)

حَسَبُ الشَّاعِرِ أَنْ يَكُونَ مَدْحُهُ شَرِيفًا وَأَقْتِضَاؤُهُ لَطِيفًا
 وَهَجَاؤُهُ إِنْ هَجَا عَنِيْفًا فَإِنَّ الْأَقْتِضَاءَ الْحَسَنَ رُبَّمَا كَانَ سَبَبَ الْمُنْعِ
 وَالْجُرْمَانِ وَدَاعِيَةَ الْقَطِيعَةِ وَالْهَجْرَانِ. وَقَوْمٌ يُدْرَجُونَ الْعِتَابَ فِي
 الْأَقْتِضَاءِ وَالْأَقْتِضَاءِ بِالْعِتَابِ وَأَنَا أَرَى غَيْرَ هَذَا الْمَذْهَبِ أَصَوْبَ
 فَإِلَّا قِضَاءَ طَلَبِ حَاجَةٍ وَبَابُ التَّلَطُّفِ فِيهِ أَجُودُ فَإِنْ بَلَغَ الْأَمْرُ
 الْعِتَابَ فَإِنَّمَا هُوَ طَلَبُ الْإِبْقَاءِ عَلَى الْمُوَدَّةِ وَالْمُرَاعَاةِ وَفِيهِ تَوْبِيخٌ
 وَمُضَادَّةٌ لَا يَجُوزُ مَعَهَا بَعْدُ أَقْتِضَاءُ إِلَّا أَنْ النَّاسَ قَدْ خَاطَبُوا هَذَيْنِ
 وَسَاوَا بَيْنَهُمَا. فَمَنْ أَحْسَنَ الْأَقْتِضَاءِ عَلَى مَا تَحْدِثُوهُ وَنَحْوُ إِلَيْهِ
 قَوْلُ أُمِّئَةِ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ جُدْعَانَ:

أَذْكُرُ حَاجَتِي أَمْ قَدْ كَفَانِي حَيَاؤُكَ إِنْ شِئْتَكَ الْحَيَاءُ
 وَعِلْمُكَ بِالْحَقُوقِ وَأَنْتَ فَرَعٌ لَهُ الْحَسَبُ أَلْمَهْدَبُ وَالسَّنَاءُ
 خَلِيلٌ لَا يُفِيدُهُ عِبَاحٌ عَنْ الْخَلْقِ الْجَمِيلِ وَلَا مَسَاءُ

إِذَا أَثْنَىٰ عَلَيْكَ أَلَمْ تَرَ يَوْمًا كَفَاهُ مِنْ تَعَرُّضِهِ الشَّكَاةَ
فَأَنْتَ تَرَىٰ هَذَا الْإِقْتِضَاءَ كَيْفَ يُلِينُ الصَّخْرَ وَيَسْتَنْزِلُ الْفَقْرَ
وَيَخْطُ الْعُظْمَ إِلَى السَّهْلِ وَمِثْلَهُ. قَوْلُ الْآخِرِ:
لَا شُكْرَ لَكَ مَعْرُوفًا هَمَمْتَ بِهِ إِنَّ اهْتِمَامَكَ بِالْمَعْرُوفِ مَعْرُوفٌ
وَلَا أَلُومَ لَكَ إِنْ لَمْ يُعْضِدْ قَدْرُ قَالَتِي بِالْقَدَرِ الْخَتْمُ مَضْرُوفٌ
فَأَمَّا مَا نَاسَبَ قَوْلَ مُحَمَّدٍ بْنِ يَزِيدَ الْأَمْوِيِّ لِعِيسَى بْنِ قُرْخَا
إِذْ يَقُولُ لَهُ مُسْتَبْطِنًا:

لَقَدْ كُنْتُ أَرْجِيكَ لَمَّا أَخَشَى مِنَ الدَّهْرِ
فَقَدْ أَصْبَحْتَ مِنْ أَوْكَدِمْ أَسْبَابِي إِلَى الْفَقْرِ
أَرْضَى لِي بِأَنْ أَرْضَى بِتَقْصِيرِكَ فِي أَمْرِي
وَقَدْ أَفْنَيْتُ مَا أَفْنَيْتُ فِي شُكْرِكَ مِنْ عُمْرِي
فَهُوَ الْعِتَابُ الْخَضُّ وَالتَّوْبِخُ الَّذِي دُونَهُ الْجُلْدُ بِالسَّوْطِ بَلْ
بِالسَّيْفِ. وَمِمَّا صَنَعَهُ فِي الْعِتَابِ عَلَى هَذَا الشَّكْلِ بَعْدَ الْيَأْسِ
الْخُحْمُ كَمَا شَرَطْتُ:

رَجَوْنَكَ لِلْأَمْرِ أَلْهَمَ وَفِي يَدَيَّ بَقَا يَا أَمَنِي النَّفْسَ فِيهَا الْأَمَانَا
فَسَاوَفَتْ فِي الْأَيَّامِ حَتَّى إِذَا أَنْقَضَتْ

أَوَاخِرُ مَا عُنْدِي قَطَعْتَ رَجَائِي
وَكُنْتُ كَأَنَّي نَازِفُ الْبُيْرِ طَالِبًا لِإِحْمَامِهَا أَوْ يَرْجِعَ أَلْمَاءُ صَافِيَا
فَلَا هُوَ أَبْقَى مَا أَصَابَ لِنَفْسِهِ وَلَا هِيَ أَعْطَتْهُ الَّذِي كَانَ رَاجِيَا
وَمِنْ أَمْلَحَ مَا رَأَيْتُ فِي الْإِقْتِضَاءِ وَالْإِسْتِطَاءِ قَوْلُ أَبِي

الْعَاقِبَةِ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَلَاءِ. وَأَبْنُ الْمُعْتَزِ يُسَيِّ هَذَا النَّوعَ مَرَحًا
يُرَادُ بِهِ الْجِدُّ وَهُوَ:

أَصَابَتْ عَلَيْنَا جُودَكَ الْعَيْنُ يَا عَمْرُؤَ فَتَحْنُ لَهَا نَبْعِي التَّمَائِمَ وَاللُّشُرَ
سَزَوَيْكَ بِالْأَشْعَارِ حَتَّى تَمْلَهَا فَإِنْ لَمْ تُتَفِقْ مِنْهَا رَقِيكَ بِالسُّورِ
وَكُنْتُ صَنَعْتُ فِي الْإِسْتِظَاءِ:

أَحْسَنْتَ فِي تَأْخِيرِهَا مِنْهُ لَوْ لَمْ تُؤَخَّرْ لَمْ تَكُنْ كَامِلَةً
وَكَيْفَ لَا يَحْسُنُ تَأْخِيرُهَا بَعْدَ يَقِينِي أَنَّهَا حَاجِلَةٌ
وَجَعَلْتُ الْفِرْدَوْسَ يُدْعَى بِهَا آجِلَةً لِلْمَرْءِ لَا عَاجِلَةً
لَكِنَّمَا أَضَعَفَ مِنْ نَيْتِي أَيَّامُ عَمْرٍو دُونَهَا زَائِلَةٌ
وَالْعِتَابُ أَوْسَعُ جِدًّا مِنَ الْإِقْتِضَاءِ لِأَنَّهُ يَكُونُ مِثْلُهُ بِسَبَبِ
الْحَاجَاتِ وَقَدْ يَكُونُ بِسَبَبِ غَيْرِهَا كَثِيرًا وَالْإِقْتِضَاءُ لَا يَكُونُ
إِلَّا فِي حَاجَةٍ

البحث السابع

في العتاب

(من الكتاب نفسه)

وَإِنْ كَانَ حَيَاةَ الْمَوَدَّةِ وَشَاهِدَ الْوَفَاءِ فَإِنَّهُ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ
الْحَدِيثِ وَسَبَبٌ مِنْ أَسْبَابِ الْقَطِيعَةِ وَالْجَنَاءِ وَإِذَا قُلْتُ كَانَ دَاعِيَةً
الْأُلْفَةِ وَقَيْدَ الصُّحْبَةِ وَإِذَا كَثُرَ خَشَنُ جَانِبِهِ وَثَقُلَ صَاحِبُهُ. وَلِلْعِتَابِ
طُرُقٌ كَثِيرَةٌ وَالنَّاسُ فِيهِ ضُرُوبٌ مُخْتَلِفَةٌ فَمِنْهُ مَا يُمَارِجُهُ الْإِسْتِعْطَافُ

وَالْإِسْتِثْلَافُ وَمِنْهُ مَا يَدْخُلُهُ الْإِلْحِتْجَاجُ وَالْإِلْتِصَافُ . وَقَدْ يَعْزِضُ
فِيهِ أَلَانٌ وَالْإِلْجَحَافُ . مِثْلُ مَا يَشْرُكُهُ الْإِعْتِدَارُ وَالْإِعْتِرَافُ . وَأَحْسَنُ
النَّاسِ طَرِيقًا فِي عِتَابِ الْأَشْرَافِ شَيْخُ الصَّنَاعَةِ وَسَيِّدُ الْجَمَاعَةِ أَبُو
عِبَادَةَ الْجُبَيْرِيُّ الَّذِي يَقُولُ :

يُرِيْبُنِي الشَّيْءُ تَأْتِي بِهِ وَأَكْبِرُ قَدْرَكَ أَنْ أَسْتَرِيَا
وَأَكْرَهُ أَنْ أَمَادَى عَلَى سَبِيلِ اعْتِدَارٍ فَالْتَمَى شَعُوبَا
أَكْذَبُ طَلِي بَانَ قَدْ سَخِطْتُ م وَمَا كُنْتُ أَعْهَدُ ظَنِّي كَذُوبَا
وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاقِطًا لَمْ أَكُنْ أَذْمُ الزَّمَانَ وَأَشْكُو الْخُطُوبَا
وَلَا بُدَّ مِنْ لَوْمَةٍ أَنْتَهِي عَلَيْكَ بِهَا مَخْطِئًا أَوْ مُصِيَا
أَيُضِجُ وَرَدِي فِي سَاحَتِكَ م طَرَقًا وَمَرْعَايَ مَحَلًّا جَدِيَا
فَقِنِي كُلَّ يَوْمٍ لَنَا مَوْقِفٌ يُشَقِّقُ فِيهِ الْوَدَاعُ الْجُيُوبَا
وَالَّذِي يَقُولُ :

وَأَعِيدَ إِنْ نَارَعْتَهُ الْخَطَّ رَدَّهُ كَلِيلًا وَإِنْ رَاجَعْتَهُ الْقَوْلَ جَجَمَا
ثَنَاهُ الْإِعْدَاءُ عَنِّي فَاصْبَحْ مُعْرِضًا وَأَوْهَمَهُ الْوَأْشُونَ حَتَّى تَوَهَّمَا
وَقَدْ كَانَ سَهْلًا وَإِضْحًا فَتَوَعَّرَتْ رُبَاهُ وَطَلَقَا صَاحِبًا فَجَهَّمَا
يُخَوِّفُنِي مِنْ سُوءِ رَأْيِكَ مَعَشَرٌ وَلَا خَوْفَ إِلَّا أَنْ تَجُورَ وَتَظْلِمَا
أَعِيدُكَ أَنْ أَخْشَاكَ مِنْ غَيْرِ حَادِثٍ

تَبَيَّنَ مِنْ جُرْمِ إِلَيْكَ تَقَدُّمًا
أَلَسْتُ أُلْوَإِي فِيكَ نَظْمَ قَصَائِدٍ
هِيَ الْأَنْجَمُ اقْتَادَتْ مَعَ اللَّيْلِ أَنْجَمَا

فَهَذَا أَعْتَبُ كَمَا قَالَ :

عَتَابُ بِأَطْرَافِ الْقَوَائِفِ كَأَنَّهُ طِعَانُ بِأَطْرَافِ الْقِنَا أَلْتَكْتِسِرَ
وَقَدْ نَحَوْتُ أَنَا بَعْضَ هَذَا النَّحْوِ فِي كَلِمَةٍ عَاتَبْتُ بِهَا الْقَاضِيَّ
جَعْفَرَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الْكُوفِيِّ قُلْتُ فِيهَا :

وَقَدْ كُنْتُ لَا آتِي إِلَيْكَ نَحَائِلًا لَدَيْكَ وَلَا أُثْنِي عَلَيْكَ تَصْنَعًا
وَلَكِنْ رَأَيْتُ الْمَدْحَ فِيكَ فَرِيضَةً عَلَيَّ إِذَا كَانَ السَّيِّئُ تَطَوُّعًا
فَقُمْتُ بِمَا لَا نَحْفَى عَنْكَ مَكَانَهُ مِنْ الْقَوْلِ حَتَّى ضَاقَ مِنِّي تَوْسَعًا
إِلَى أَنْ أَقُولَ :

فَوَاللَّهِ مَا طَوَّلْتُ بِاللُّومِ فِيكُمْ لِسَانِي وَلَا عَرَّضْتُ لِلذَّمِّ مَسْمَعًا
أَلُوذُ بِإِكْتِافِ الرَّجَاءِ وَآتَتْنِي شَمَاتُ الْعِدَا إِنْ لَمْ أَجِدْ فِيكَ مَطْمَعًا
وَمِنْ مُعَاتَبَاتِ آيِي تَمَامِ قَوْلُهُ لِابْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّيَّاتِ :

تَقَطَّعَتْ الْأَنْسَابُ إِنْ لَمْ تُعْرِهَا قُوَى أَوْ يَصِلَهَا مِنْ يَمِينِكَ وَاعْمِلْ
سَوْىَ مَطْلَبٍ يُنْضَى الرَّجَاءُ بِطَوْلِهِ وَتُخْلَقُ أَخْلَاقُ الْجَفُونِ أَلْوَسَانِلُ
وَقَدْ تَأَلَّفُ أَلْعَيْنُ الدُّجَى وَهُوَ قَبْدُهَا

وَيُرْجَى شِفَاءُ السَّمِّ وَالسَّمُّ قَاتِلُ

إِلَى قَوْلِهِ :

وَأَنَّ أَلْعَالِي يُسْتَرَمُ بِنَاوِهَا وَشَيْكََا كَمَا قَدْ تُسْتَرَمُ أَلْمَنَازِلُ
مَتَحَنُّهَا تَشْفِي الْجَوَى وَهُوَ لَا عَجْ وَتَبَعْتُ أَشْجَانَ أَلْقَتَى وَهُوَ ذَاهِلُ

تَرُدُّ قَوَائِمَهَا إِذَا هِيَ أُرْسِلَتْ هَوَامِلُ مَجْدِ الْقَوْمِ وَهِيَ هَوَامِلُ
فَكَيْفَ إِذَا حَلَّتْهَا بِحَايَتِهَا تَكُونُ وَهَذَا حُسْنُهَا وَهِيَ عَاطِلُ
وَقَالَ ابْنُ الرُّومِيِّ لِأَبِي الصَّغِيرِ يُعَاتِبُهُ فِي قَصِيدَةٍ جَيِّدَةٍ :
عَذْرُكَ لَوْ كَانَتْ سَمَاءً تَقَشَّعَتْ سَحَابَتُهَا أَوْ كَانَ رَوْضًا تَصَوَّحَا
فَيَا لَكَ بَحْرًا لَمْ أَجِدْ فِيهِ مَشْرَعًا وَإِنْ كَانَ غَيْرِي وَاجِدًا فِيهِ مَسْجَعًا
مَدِيحِي عَصَا مُوسَى وَذَلِكَ أَنِّي ضَرَبْتُ بِهِ بَحْرَ النَّدَى فَتَضَخَّحَا
إِلَى أَنْ يَقُولَ :

سَأَمْدَحُ بَعْضَ الْبَاطِلِينَ لَعَلَّهُ إِذَا اطَّرَدَ الْإِقْيَاسُ أَنْ يَلْسَحَا
فَهَذَا هُوَ الَّذِي لَا يُبْلَغُ جُودَةٌ وَلَا يُجَارَى سَبْقًا. عَلَى أَنَّ
الْبَحْرِيَّ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى بَعْضِ الْغَنِيِّ فِي قَوْلِهِ لِلْفَتْحِ بْنِ خَاقَانَ :
غَمَامٌ خَطَا فِي صَوْبِهِ وَهُوَ مُسْبِلٌ وَبَحْرٌ عَدَا فِي فَيْضِهِ وَهُوَ مُنْعِمٌ
وَبَدْرٌ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا وَمَوْضِعُ رَحْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ أَقْتَمُ
وَمَا تَجَلَّ الْفَتْحُ بْنُ خَاقَانَ بِالْنَدَى وَلَكِنَّهَا الْأَقْدَارُ تُعْطِي وَتَحْرِمُ
فَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَكَانَتْ فِي طَبِيعِهِ غِلَظَةٌ وَفِي عِتَابِهِ شِدَّةٌ
وَكَانَ كَثِيرَ التَّحَامُلِ ظَاهِرَ الْكِبَرِ وَالْأَنَمَةِ وَمَا ظَنُّكَ بِنِّ يَقُولُ
لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ :

يَا أَعْدَلَ النَّاسِ إِلَّا فِي مُعَامَلَتِي فَيْكَ الْخِصَامُ وَأَنْتَ الْخَصْمُ وَالْحَكْمُ
أَعِيدْهَا نَظَرَاتٍ مِنْكَ صَادِقَةٌ أَنْ تَحْسَبَ الشَّخْمَ فِي مَنْ شَخِمَهُ وَرُمُ
وَمَا أَتَبْتَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَاطِرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
وَفِيهَا يَقُولُ :

إِذَا رَأَيْتَ نِيُوبَ اللَّيْثِ بَارِزَةً فَلَا تَظُنَّ أَنَّ اللَّيْثَ مُبْتَسِمٌ
فَهَذَا الْكَلَامُ فِي نِهَآيَةِ الْجُودَةِ غَيْرَ أَنَّهُ مِنْ جِهَةِ الْوَاجِبِ
وَالسِّيَاسَةِ غَايَةً فِي الْقُنُجِ وَالرَّدَاءَةِ وَإِنَّمَا عَرَضَ بِقَوْمٍ يَنْتَقِصُونَهُ
عِنْدَ سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَيُعَارِضُونَهُ فِي أَشْعَارِهِ . وَالْإِشَارَةُ كُلُّهَا إِلَى
سَيْفِ الدَّوْلَةِ . ثُمَّ قَالَ بَعْدَ آيَاتٍ :

يَا مَنْ يَعْزُّ عَلَيْنَا أَنْ نُفَارِقَهُ وَجَدَانَا كُلَّ شَيْءٍ بَعْدَكُمْ عَدَمٌ
مَا كَانَ أَحَقُّنَا مِنْكُمْ بِتَكْرِمَةٍ لَوْ أَنَّ أَمْرَكُمْ مِنْ أَمْرِنَا أَمٌّ
وَبَيْنَنَا لَوْ رَعَيْتُمْ ذَاكَ مَعْرِفَةً إِنَّ الْمَعَارِفَ فِي أَهْلِ النَّهْيِ ذِمٌّ
كَمْ تَطْلُبُونَ لَنَا عَيْبًا فَيُغَيِّرُكُمْ وَاللَّهُ يَكْرَهُ مَا تَأْتُونَ وَالْكَرَمُ
مَا أَبْعَدَ الْعَيْبَ وَالنَّقْصَانَ مِنْ شَرِّ فِي

أَنَا الْثُرَيَّا وَذَانِ الشَّيْبِ وَالْهَرَمِ
وَلَيْسَ هَذَا عِتَابًا لِكُنْهُ سَبَابٍ وَبِسَبَبِ هَذِهِ الْقَصِيدَةِ كَادَ
يُقْتَلُ بَعْدَ أَنْصَرَفِهِ مِنْ مَجْلِسِ إِنْشَادِهَا . وَأَمَّا عِتَابُ الْأَكْفَاءِ
وَأَهْلِ الْمَوَدَّاتِ مِنَ الظُّرَفَاءِ فَمِنْهُ قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ بْنِ عَبَّاسٍ الصَّوَلِيِّ
يُعَاتِبُ مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَّاتِ وَقَدْ تَغَيَّرَ عَلَيْهِ كَمَا وَرَدَ :

وَكُنْتَ أَخِي بِأَحَاءِ الزَّمَانِ فَلَمَّا نَبَا صِرْتَ حَرْبًا عَوَانَا
وَكُنْتُ أَذَمُّ إِلَيْكَ الزَّمَانِ فَاصْبَحْتُ فِيكَ أَذَمُّ الزَّمَانَا
وَكُنْتُ أَعْدُكَ لِلنَّائِبَاتِ فَهِيَ أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا
وَهَذَا عِنْدِي مِنْ أَشَدِّ الْعِتَابِ وَأَوْجَعِهِ . وَمِنْ أَكْرَمِ الْعِتَابِ
قَوْلُ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ :

وَإِنِّي لَأُطْرِي كُلَّ خِلٍّ صَحْبَتُهُ وَأَنْتَ تَرَى سَمْتِي بَعِيرِ حَيَاءٍ
وَمِنْ مَلِيحٍ مَا سَعَيْتُ قَوْلُ سَعِيدِ بْنِ حُمَيْدٍ يُعَارِبُ صَدِيقًا
لَهُ :

أَقْلِلْ عِتَابَكَ فَالْبَقَاءُ قَلِيلُ وَالذَّهْرُ يَغْدِلُ مَرَّةً وَيَمِيلُ
لَمْ أَبْكُ مِنْ زَمَنِ ذَمَّتْ صُرُوفُهُ إِلَّا بَكَيتُ عَلَيْكَ حِينَ يَزُولُ
وَلِكُلِّ نَائِبَةٍ أَلَّتْ مُدَّةً وَلِكُلِّ حَالٍ أَقْبَلَتْ تَحْوِيلُ
وَالْمُتَشَوُّونَ إِلَى الْإِخَاءِ عَصَابَةٌ إِنْ حَصَلُوا أَفْنَاهُمْ التَّخْصِيلُ
وَلَعَلَّ أَحْدَثَ أَلْنِيَّةٍ وَالرَّدَى يَوْمًا سَتَضَعُ بَيْنَنَا وَتَحُولُ
فَلَنْ سَبَقْتُ لَتُسَكَبَنَّ بِحَجَرَةٍ وَلَيَكْثُرَنَّ عَلَيَّ مِنْكَ عَوِيلُ
وَتَتَفَجَّنَ بِمُخْلِصٍ لَكَ وَابِقٍ حَبْلُ الْوَفَاءِ بِحَبْلِهِ مَوْضُولُ
وَأَنْ سَبَقْتُ وَلَا سَبَقْتُ لَيَضِينَ مَنْ لَا يُشَاكُهُ لَدَيَّ خَلِيلُ
وَأَيُّ ذَهَبٍ بَهَا كُلِّ مُرْوَةٍ وَلَيُفْقَدَنَّ جَمَاهَا التَّجْهُولُ
وَأَرَاكَ تَكْلَفُ بِالْعِتَابِ وَوَدُنَا صَافٍ عَلَيْهِ مِنَ الْوَفَاءِ دَلِيلُ
وَدُّ بَدَا لَذَوِي الْإِخَاءِ كَمَالُهُ وَبَدَتْ عَلَيْهِ بَهْجَةُ وَقَبُولُ
وَلَعَلَّ أَيَّامَ الْإِخَاءِ قَصِيرَةٌ فَعَلَامَ يَكْثُرُ عَتَبُنَا وَيَطُولُ
وَالِي هُنَا أَوْ مَا أَبُو الطَّيِّبِ يَقُولُهُ :

دَرِ النَّفْسِ تَأْخُذُ وَسُغَمَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا فُفْتُرَقُ جَارَانِ دَارُهَا الْعَمْرُ
وَأَشَارَ إِلَيْهِ أَيْضًا يَقُولُهُ وَأَرَدَتْ أَلْنِيَّةَ الْآخِرِ :
وَصَلِيًّا نَصْلِكَ فِي هَذِهِ الذُّ : يَا قَانَ أَلْقَامَ فِيهَا قَلِيلُ
وَالْجَمِيعُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

وَلَقَدْ عَلِمْتُ فَلَا تَكُنْ مُتَحَبِّبًا
 أَنَّ الصُّدُودَ هُوَ الْفِرَاقُ الْأَوَّلُ
 حَسْبُ الْأَحِبَّةِ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمْ رَيْبُ الْتُونِ فَمَا لَنَا نَسْتَفْجِلُ
 إِلَّا أَنْ أَنْ مُحَمَّدٍ قَدْ قَتَنَ وَبَيَّنَ وَشَرَحَ مَا أَجَلَ غَيْرُهُ يَقُولُهُ:
 لَنْ سَبَقْتُ أَنَا وَلَنْ سَبَقْتَ أَنْتَ وَلَا سَبَقْتُ فَلَهُ بِذَلِكَ فَضْلُ بَيْنِ
 الرُّجْحَانِ ظَاهِرٌ. وَمَا أَحْسَنَ إِجْكَازَ الَّذِي قَالَ:
 الْعَمْرُ أَقْصَرُ مُدَّةً مِنْ أَنْ يُحَقِّقَ بِالْعِتَابِ
 وَقَالَ أَبُو النُّحْدَثَيْنِ بَشَّارُ بْنُ بُرْدٍ:
 إِذَا كُنْتَ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُعَارِبًا صَدِيقَكَ لَمْ تَلْقَ الَّذِي لَا تُعَاتِبُهُ

البحث الثامن

في الوعيد والانذار

(من الكتاب نفسه)

كَانَ الْعُقَلَاءُ مِنَ الشُّعْرَاءِ وَذَوُو الْحَزَمِ يَتَوَعَّدُونَ بِالْهَجَاءِ
 وَيَحْذَرُونَ مِنْ سُوءِ الْأَحْدُوثِ وَلَا يُخْضُونَ الْقَوْلَ إِلَّا ضَرُورَةً حِينَ
 لَا يَحْسُنُ السُّكُوتُ. قَالَ أَبُو مُقْبِلٍ:

بَنِي عَامِرٍ مَا تَأْمُرُونَ لِشَاعِرٍ
 أَرَى الشَّعْبَ فِيمَا بَيْنَنَا مُتَدَانِيًا
 أَعْفُو كَمَا يَعْفُو الْكَرِيمُ فَإِنِّي
 أَعْمَضُ بَيْنَ اللَّحْمِ وَالْجِلْدِ غَمَضَةً
 قَامًا سَرَاقَاتُ الْهَجَاءِ فَإِنَّمَا
 تَحْيَرُ آيَاتِ الْكِتَابِ هِجَانِيَا
 عَمْرٍو رُومِي يَقْطُ النَّوَاصِيَا
 كَلَامُ تَهَادَاهُ اللَّكَّامُ تَهَادِيَا

وَعِنْدِي الدُّهُيمُ لَوْ أُحِلَّ عَقَالُهَا فَتَضَحَّجَ لَمْ تَعْدَمَ مِنَ الْحِنْ حَادِيَا
 شَبَّهَ لِسَانَهُ بِعَبْدِ رُوْمِي لِضَايِهِ وَشَبَّهَ الْقَصِيدَةَ الَّتِي لَوْ شَاءَ
 هِجَاءُ هُمْ بِهَا بِالدُّهُيمِ وَهُوَ الدَّاهِيَةُ وَأَعْلَى ذَلِكَ أَنَّ الدُّهُيمَ نَاقَةُ عَمْرِو بْنِ
 رَبَّانٍ الثَّغْلَبِيِّ الَّتِي حَمَلَتْ رُوْسَ بَنِيهِ مُعَلَّقَةً فِي عُنْقِهَا فَجَاءَتْ بِهَا الْحَيَّ
 فَضْرِبَ بِهَا الْمَثْلُ لِلدَّاهِيَةِ . وَقَالَ جَرِيرٌ لَبَنِي حَنِيفَةَ وَكَانَ مِنْهُمْ
 مَعَ الْفَرَزْدَقِ عَلَيْهِ :

أَبْنِي حَنِيفَةَ حَكِمُوا سُفَهَاكُمْ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ أَغْضَبَا
 قَوْلُهُ حَكِمُوا أَيِ كُفُّوا . وَقَالَ لَتَيْمِ الرَّبَّابِ رَهْطِ عَمْرِو بْنِ جَلَا :
 يَا تَيْمَ تَيْمَ عَدِي لَا آبَا لَكُمْ لَا يُفَسِّسُكُمْ فِي سَرَّاءٍ عَمَرُ
 وَمِمَّا قُلْتُهُ فِي هَذَا الْبَابِ :

يَا مُوجِعِي شَتْمًا عَلَى أَنَّهُ لَوْ تَرَكْتُ الْبَرْغُوثَ مَا أَوْجَعَا
 كُلُّ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ آفَةٌ وَآفَةُ النَّحْلَةِ أَنْ تَلْسَعَا

البحث التاسع

في الهجاء

(من الكتاب نفسه)

يُرْوَى عَنْ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ أَنَّهُ قَالَ : خَيْرُ الْهَجَاءِ مَا تُشِيدُهُ
 الْعُذْرَاءُ فِي خَدْرِهَا فَلَا يَفْجَحُ بِعَثَلِهَا . نَحْوُ قَوْلِ جَرِيرٍ :
 لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا يَوْمَ التَّفَاخُرِ لَمْ تَرْنِ مِثْقَالَ
 وَقَوْلِ الْآخَرِ :

فَغَضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فَلَا كَمْبًا بَأَفْتٍ وَلَا كِلَابًا
وَلَمَّا أَطْلَقَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ الْخُطْبَةَ مِنْ حَنْبِهِ آيَاهُ بِسَبَبِ
هِجَابِهِ الزَّبْرَقَانَ قَالَ لَهُ : تَدْعُ الْهَجَاءَ الْمُنْقَذَ . قَالَ : وَمَا الْهَجَاءُ الْمُنْقَذُ .
قَالَ : الْمُنْقَذُ أَنْ تَقُولَ هُوَلَاءُ أَفْضَلُ مِنْ هُوَلَاءُ وَأَشْرَفُ وَتَبْنِي
شِعْرًا عَلَى مَدْحِ لِقَوْمٍ وَذَمِّ لِمَنْ يُعَادِيهِمْ . قَالَ : أَنْتَ وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ أَعْلَمُ مِنِّي بِغَذَائِبِ الشَّعْرِ لِكُنِّي حَبَانِي هُوَلَاءُ قَدْ حَتَّمُ
وَحَرَمَنِي هُوَلَاءُ قَدْ كَرْتُ حِرْمَانَهُمْ وَلَمْ أَنْلِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ شَيْئًا
وَصَرَفْتُ مَدْحِي إِلَى مَنْ أَرَادَهُ وَرَغِبْتُ بِهِ عَلَى مَنْ كَرِهَهُ وَزَهَّدَ
فِيهِ . يُرِيدُ قَصِيدَتَهُ الْمَهْمُوزَةَ وَهِيَ أَحَبُّ مَا صَنَعَ وَفِيهَا أَوْ مِنْ أَجْلِهَا
قَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرُ : أَشَدُّ الْهَجَاءِ أَعَقُّهُ وَأَصْدَقُهُ . وَقَالَ مَرَّةً أُخْرَى :
مَا عَفَّ لَفْظُهُ وَصَدَقَ مَعْنَاهُ . وَمِنْ كَلَامِ صَاحِبِ الْوَسَاطَةِ : فَأَمَّا
الْهَجْوُ فَأَبْلَغُهُ مَا قَرُبْتَ مَعَانِيهِ وَسَهَّلَ حِفْظُهُ وَأَسْرَعَ عُلُوقُهُ
بِالْقَلْبِ وَلِصُوقِهِ بِالنَّفْسِ فَأَمَّا الْقَذْفُ وَالْفُحْشُ فَبَابُ مُحَضٍّ وَائِسٍ
لِلشَّاعِرِ فِيهِ إِلَّا إِقَامَةُ الْوَزْنِ . وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ مَا قَالَهُ صَاحِبُ
الْوَسَاطَةِ وَحُسْنِ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ إِعْجَابُ الْخُذَّاقِ وَنَ الْعُلَمَاءِ
وَفُورَسَانَ الْكَلَامِ بِقَوْلِ زُهَيْرٍ فِي تَشْكِيهِ وَتَهْزِيلِهِ وَتَجَاهُلِهِ فِيمَا
يَعْلَمُ :

وَمَا أَذْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَذْرِي أَقَوْمُ آلِ حِضْنٍ أَمْ نِسَاءِ
فَإِنَّ هَذَا عِنْدَهُمْ مِنْ أَشَدِّ الْهَجَاءِ وَأَمَّضِهِ . وَلَمَّا قَدِمَ النَّابِغَةُ بَعْدَ
وَقَعَةٍ حُسًّا سَأَلَ بَنِي ذُبْيَانَ مَا قُلْتُمْ لِعَامِرِ بْنِ الْأُطْقَيْلِ وَمَا قَالَ

لَكُمْ . فَأَنشَدُوهُ . فَقَالَ : أَنَحْشَتُمْ عَلَى الرَّجُلِ وَهُوَ شَرِيفٌ لَا يُقَالُ لَهُ مِثْلُ هَذَا وَلَكِنِّي سَأَقُولُ ثُمَّ قَالَ :

وَإِنْ يَكْ عَامِرٌ قَدْ قَالَ جَهْلًا فَإِنَّ مَظِنَّةَ الْجَهْلِ الشَّبَابُ (١)

فَلَمَّا بَلَغَ عَامِرًا قَوْلُ النَّابِغَةِ شَقَّ عَلَيْهِ وَقَالَ جَعَلَنِي الْقَوْمُ رَيْسًا وَجَعَلَنِي النَّابِغَةُ سَفِيهَا جَاهِلًا وَتَهَكَّمَ بِي . وَرَوَى أَنَّ شَاعِرًا مَدَحَ الْحُسَيْنَ بْنَ عَلِيٍّ فَأَجْزَلَ عَطِيَّتَهُ فَلَمَّ عَلَى ذَلِكَ فَقَالَ : أَتَرَوْنِي خِفْتُ أَنْ يَقُولَ : لَسْتُ أَبْنُ فَاطِمَةَ وَلَا أَبْنُ عَلِيٍّ . وَلَكِنْ خِفْتُ أَنْ يَقُولَ : لَسْتُ كَأَرْسُولٍ وَلَسْتُ كَعَلِيٍّ . فَيَصْدُقُ وَيُحْمَلُ عَنْهُ وَيَبْقَى مُحْمَدًا فِي الْكُتُبِ مُحْفُوظًا عَلَى أَلْسِنَةِ الرُّوَاةِ . فَقَالَ الشَّاعِرُ : أَنْتَ وَاللَّهِ أَعْلَمُ مِنِّي بِالْمَدْحِ . وَقَدْ وَقَعَ الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ بِبَعْضِ مَا قَالَ فِيهِ أَبُو عَاصِمٍ مُحَمَّدُ بْنُ حُمْزَةَ الْأَسْلَمِيُّ الْمَدِينِيُّ :

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ وَمَهْمَا قَالَ فَالْحَسَنُ الْحَمِيلُ
وَجَمِيعُ الشُّعْرَاءِ يَرَوْنَ قَصْرَ الْهَجَاءِ أَجْوَدَ وَتَرَكَ الْفُحْشَ أَصَوْبَ
الْأَجْرِيًّا فَإِنَّهُ قَالَ لِنَبِيهِ : إِذَا مَدَحْتُمْ فَلَا تُطِيلُوا وَإِذَا هَجَوْتُمْ
فَخَالِفُوا . وَأَنَا أَرَى التَّعْرِيزَ أَهْجَى مِنَ التَّضْرِيحِ لِإِسْعَاقِ الظَّنِّ فِي
التَّعْرِيزِ وَشِدَّةِ قَلْقِ النَّفْسِ بِهِ وَالنَّجْثِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ وَطَلَبِ حَقِيقَتِهِ
فَإِذَا كَانَ الْهَجْوُ تَضْرِيحًا أَحَاطَتْ بِهِ النَّفْسُ عِلْمًا وَقَلَّتْهُ يَقِينًا فِي أَوَّلِ
وَهْلَةٍ وَكَانَ كُلُّ يَوْمٍ فِي نَقْصٍ لِلنِّسْيَانِ أَوْ مَلَلٍ يَعْزُضُ . وَهَذَا الْمَذْهَبُ
الصَّحِيحُ عَلَى أَنْ يَكُونَ الْمَهْجُوُّ ذَا قَدَرٍ فِي نَفْسِهِ وَحَسَنِهِ . فَأَمَّا

(١) انظر تلمحة هذه القصيدة في ترجمة النابغة من كتاب شعراء الصراينة

إِنْ كَانَ مَنْ لَا يُوقِظُهُ التَّلْوِيحُ وَلَا يُؤْمِلُهُ إِلَّا التَّصْرِيحُ فَذَلِكَ .
وَلِهَذَا أَلَعَلَّ اخْتَلَفَ هِجَاءُ أَبِي نُوَّاسٍ وَكَذَلِكَ هِجَاءُ أَبِي الطَّيِّبِ فِيهِ
اخْتِلَافٌ لِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِ الْمَهْجُورِينَ فَمِنْ التَّفْضِيلِ فِي الْهَجَاءِ قَوْلُ
رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الرَّقِّي :

لَشَتَّانَ مَا بَيْنَ الْيَزِيدَيْنِ فِي الدَّيِّ يَزِيدُ سُلَيْمٌ وَالْأَعَزُّ بْنُ حَاتِمٍ
فَهَمُّ الْفَقَى الْقَيْسِيِّ انْتِلَافُ مَالِهِ وَهُمْ أَلْفَقَى الْعَبْسِيِّ جَمْعُ الدَّرَاهِمِ
فَلَا يَحْسِبُ التَّمَامُ ابْنِي هَجُونَهُ وَلَكِنِّي فَضَّلْتُ أَهْلَ الْمَكَارِمِ
وَمِنْ الْإِخْتِصَارِ وَالْإِسْتِحْقَافِ قَوْلُ زِيَادِ الْأَنْجَمِ :

قُمْ صَاحِرًا يَا شَيْخَ جُرْمٍ فَإِنَّمَا يُقَالُ لِشَيْخِ الصَّدَقِ قُمْ غَيْرَ صَاحِرٍ
فَمَنْ أَنْتُمْ أَنَا نَسِيًا مَنْ أَنْتُمْ وَرِيحُكُمْ مِنْ أَيِّ رِيحٍ الْأَعَاصِرِ
أَنْتُمْ أَوْلَى جِئْتُمْ مَعَ الرِّيحِ وَالِدَبَا فَطَارَ وَهَذَا شَيْخُكُمْ غَيْرُ طَائِرٍ
قَضَى اللَّهُ خَلْقَ النَّاسِ ثُمَّ خَلَقْتُمْ بَقِيَّةَ خَلْقِ اللَّهِ آخِرَ آخِرٍ
فَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَّا بِنَ كَانَ قَبْلَكُمْ

وَلَمْ تُذَكِّرُوا إِلَّا مَدَقَّ الْخَوَافِرِ

أَخَذَ مِنْهُ الطَّرِمَاحُ هَذَا أَلْفَنَى فَقَالَ :

وَمَا خَلَقْتَ تَيْمٌ وَعَبْدُ مَنْاتِهَا وَضَبَّةٌ إِلَّا بَعْدَ خَلْقِ الْقَبَائِلِ

وَمِنْ الْإِخْتِقَارِ قَوْلُ جَرِيرٍ فِي تَيْمٍ :

وَيُقْضَى الْأَمْرُ حِينَ تَغِيبُ تَيْمٌ وَلَا يُسْتَأْذَنُونَ وَهُمْ شُهُودُ

وَإِنَّكَ لَوْ رَأَيْتَ عَيْدَ تَيْمٍ وَتَيْمًا قُلْتَ أَيُّهُمَا الْعَيْدُ

وَمِنْ مَلِيحِ التَّهْكُمِ قَوْلُ أَبِي هَفَّانَ :

سُلَيْمَانُ مَيُونُ الْقَيْيَةِ حَازِمٌ وَلَكِنَّهُ وَقَفَ عَلَيْهِ الْهَزَامُ
وَفِيهِ يَقُولُ ابْنُ الرُّومِيِّ :

قَرْنُ سُلَيْمَانَ قَدْ أَضَرَّ بِهِ شَوْقٌ إِلَى وَجْهِهِ سَيَتَلَفُهُ
كَمْ يَعِدُّ الْقَرْنَ بِاللِّقَاءِ وَكَمْ يَكْذِبُ فِي وَعْدِهِ وَيُخْلِفُهُ

أَخَذَ مَعْنَى الْبَيْتِ الْأَخِيرِ مِنْ قَوْلِ الْخَارِجِيِّ وَقَدْ قَالَ لَهُ
الْمَنْصُورُ : أَيُّ أَصْحَابِي كَانَ أَشَدَّ إِقْدَامًا فِي مِبَارَرَتِكُمْ فَقَالَ : مَا
أَعْرِفُ وَجُوهَهُمْ وَلَكِنْ أَعْرِفُ أَتْقَاءَهُمْ . وَأَجُودُ فِي الْهَجَاءِ أَنْ
يُسَلِّبَ الْإِنْسَانُ الْقَضَائِلَ النَّفْسِيَّةَ وَمَا تَرْكَبَ مِنْ بَعْضِهَا . فَأَمَّا مَا
كَانَ فِي الْخَلْقَةِ الْجِسْمَانِيَّةِ مِنَ الْعَلَائِبِ فَإِنَّ الْهَجَاءَ بِهِ دُونَ مَا تَقَدَّمَ
وَقُدَّامَةً لَا يَرَاهُ هُجُوعًا الْبَتَّةَ وَكَذَلِكَ مَا جَاءَ مِنَ الْآبَاءِ وَالْأُمَهَاتِ مِنْ
الْمَقْصُصِ وَالْفَسَادِ لَا يَكُونُ عَيْنًا وَلَا يَعِدُّ الْهَجَاءُ بِهِ صَوَابًا وَكَانَ
الْثَّابِتَةُ الْجَعْدِيُّ يَقُولُ إِنِّي وَأَوْسًا لَنَبْتَسِدِرُ بَابًا مِنْ الْهَجَاءِ قَدْ غَلَبَ
مَنَا إِلَيْهِ غَلَبَ صَاحِبُهُ فَلَمَّا قَالَ أَوْسُ بْنُ مَغْرَاءَ :

لَعَنَكَ مَا تُبْلَى سَرَائِلُ عَامِرٍ مِنَ اللَّوْمِ مَا دَامَتْ عَلَيْهَا جُلُودُهَا
قَالَ الثَّابِتَةُ : هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي كُنَّا نَبْتَدِرُهُ . وَالَّذِي أَرَاهُ عَلَى
كُلِّ حَالٍ أَنَّ أَشَدَّ الْهَجَاءِ مَا أَصَابَ الْقَرُوضُ وَوَقَعَ عَلَى النَّسَكَةِ وَهُوَ
كَمَا قَالَ خَلْفُ الْأَحْمَرِ بِعَيْنِهِ



البحث العاشر

في الاعتذار

(من الكتاب نفسه)

وَيَبْغِي الشَّاعِرُ أَنْ لَا يَقُولَ شَيْئًا يَحْتَاجُ أَنْ يَعْتَذِرَ مِنْهُ قَارِ
اضْطَرَّهِ الْقَدَارُ إِلَى ذَلِكَ وَأَوْقَعَهُ فِيهِ الْقَضَاءُ فَلْيَذْهَبْ مَذْهَبًا طَيِّفًا
وَلْيَقْصِدْ مَقْصِدًا عَجِيبًا وَلْيَعْرِفْ كَيْفَ يَأْخُذُ بِقَلْبِ الْمُعْتَذِرِ إِلَيْهِ مِنْ
بَابِ الْإِخْتِجَاجِ وَإِقَامَةِ الدَّلِيلِ لَا سِيَّمَا مَعَ الْمُلُوكِ وَذَوِي السُّلْطَانِ
وَحَقُّهُ أَنْ يُلَافِفَ بُرْهَانَهُ مُدْرَجًا فِي التَّضَرُّعِ وَالْدُّخُولِ تَحْتَ عَفْوِ
الْمُلُوكِ وَإِعَادَةِ النَّظَرِ فِي الْكَشْفِ عَنْ كَذِبِ النَّاقِلِ وَالْحَاسِدِ قَامًا
مَعَ الْأَخْوَانِ قِتْلِكَ طَرِيقَةً أُخْرَى وَقَدْ أَحْسَنَ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الْأَضْبَهَانِيُّ
حَيْثُ يَقُولُ :

وَقَدْ أَسَاتُ فَيَا نَعْمَى الَّتِي سَلَفَتْ إِلَّا مَنَنْتَ بِعَفْوٍ مَا لَهُ سَبَبُ
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْمُهْدِيِّ لِلْمَأْمُونِ مِنْ آيَاتِ يَعْتَذِرُ إِلَيْهِ :
اللَّهُ يَعْلَمُ مَا أَقُولُ فَإِنَّهَا جَهْدُ الْآلِيَةِ مِنْ مُقَرَّرِ خَاضِعٍ
مَا إِنْ عَصَيْتُكَ وَأَلْعَوَاةٌ تُمِدُّنِي أَسْبَابُهَا إِلَّا بِنِيتَةِ طَائِعٍ
وَقَدْ سَلَكَ أَبُو عَلِيٍّ الْبَصِيرُ مَذْهَبَ الْحُجَّةِ وَإِقَامَةَ الدَّلِيلِ بَعْدَ
ارْتِكَابِ الْجَلَايَةِ فَقَالَ :

لَمْ أَجْنِ ذَنْبًا فَإِنْ زَعَمْتَ بِأَنْ جَنَيْتُ ذَنْبًا فَقِيرٌ مَعْتَبِدٌ
نَحَوْتُ هَذَا النُّحْوَ فَقُلْتُ :

لَا يُبْعِدُ اللَّهُ أَبَا جَعْفَرٍ دَعَاةٌ بَتَ عَلَى نَارِهَا
وَأِنْ تَأَذَّيْتُ فَيَارُبَمَا تَأَذَّتِ الْعَيْنُ بِأَشْفَارِهَا
وَأَجَلُ مَا وَقَعَ فِي الْأَعْتِدَارِ مِنْ شَهُورَاتِ الْعَرَبِ قَصَائِدُ النَّبِغَةِ
الثَّلَاثُ أَحَدَاهُنَّ «يَا دَارَ مَيَّةَ بِالْعَلْيَاءِ بِالسَّنَدِ» يَقُولُ فِيهَا:
فَلَا أَعْمُرُ الَّذِي مَسَّحَتْ كَعْبَتَهُ وَمَا هَرِيقَ عَلَى الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
وَالْمُؤْمِنِ الْعَانِدَاتِ الطَّيْرِ تَمْسَحُهَا رُكْبَانُ مَكَّةَ بَيْنَ الْغَيْلِ وَالسَّعْدِ
مَا قُلْتُ مِنْ سَيِّءٍ مِمَّا آتَتْ بِهِ إِذَا فَلَا رَفَعَتْ سَوْطِي إِلَى يَدِي
إِلَّا مَقَالَةَ أَقْوَامٍ شَقِيتُ بِهَا كَانَتْ مَقَاتِلَهُمْ قُرْعًا عَلَى الْكَيْدِ
أُنِيتُ أَنَّ أَبَا قَابُوسَ أَوْعَدَنِي وَلَا قَرَارَ عَلَى زَائِرٍ مِنَ الْأَسَدِ
وَالثَّانِيَةُ (أَرْسَمًا جَدِيدًا مِنْ سَعَادَ تَجَنَّبُ) يَقُولُ فِيهَا مُعْتَذِرًا
مِنْ مَذْحِجِ آلِ جَفْتَةَ وَمُخْتَجِبًا بِإِحْسَانِهِمْ إِلَيْهِ:
حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيَّةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْعَمْرِؤِ مَذْهَبُ
لَنْ كُنْتُ قَدْ بُلِغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لِمَلْعُوكِ الْوَاثِي عَاشُ وَأَكْذَبُ
وَلَكِنِّي كُنْتُ أَمْرًا لِي جَانِبُ مِنْ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
مُلُوكٍ وَإِخْوَانُ إِذَا مَا آتَيْتَهُمْ أَحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ
كَفْعَلِكِ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ أَصْطَنَعْتَهُمْ فَلَمْ تَرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنِّي
قَلَمْتُ أَنْ اللَّهَ أَعْطَاكَ سُورَةَ إِلَى النَّاسِ مَطْلِي بِهِ أَتَقَارُ أَجْرَبُ
بِأَنَّكَ شَنْسٌ وَالْمُلُوكُ كَوَاكِبُ تَرَى كُلَّ مَالِكٍ دُونَهَا يَتَذَبَذَبُ
وَالثَّلَاثَةُ (عَفَا ذُو حُسَى مِنْ فَرَتْنَا فَالْقَوَارِعُ) يَقُولُ فِيهَا بَعْدَ

قَسَمَ قَدَمُهُ عَلَى عَادَتِهِ :

لَكَفَّتَنِي ذَنْبَ أَمْرِي وَتَرَكْتُهُ كَغِيَايِ الْعَرِّ يُكْوِي غَيْرُهُ وَهُوَ رَاتِعٌ
فَإِنْ كُنْتُ لَا ذُو الضِّغْنِ عَنِّي مُكَدِّبٌ

وَلَا حَلْفِي عَلَى الْبَرَاءَةِ نَافِعٌ
وَلَا أَنَا مَأْمُونٌ بِشَيْءٍ أَقْوَاهُ وَأَنْتَ بِأَمْرٍ لَا مَحَالَةَ وَاقِعٌ
فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِي هُوَ مُدْرِكِي وَإِنْ خِلْتَ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِعٌ
وَقَدْ عَاقَ بِهَذَا أَلْعَنَى جَمَاعَةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ سَلِمُ الْخَالِيسُ
يَعْتَذِرُ إِلَى الْمُهْدِي :

إِنِّي أَعُوذُ بِخَيْرِ النَّاسِ كُلِّهِمْ وَأَنْتَ ذَاكَ يَا نَاقِي وَتَحْتَنِبُ
وَأَنْتَ كَالدَّهْرِ مَبْشُوثًا حَبَائِلُهُ وَالْدَّهْرُ لَا مَلْجَأَ مِنْهُ وَلَا هَرْبُ
وَقَالَ عُمَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ :

وَإِنِّي وَإِنْ حَدَّثْتُ نَفْسِي بِأَنْتِي أَفَوْتُكَ إِنْ الرَّاْيَ مِنِّي لَعَازِبُ
وَإِلَى هَذِهِ النَّاحِيَةِ أَشَارَ أَبُو الطَّيِّبِ بِقَوْلِهِ :

وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيَّةٌ قَمَاعُكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ
غَيْرَ أَنَّهُ حَرَفَ الْكَلَامَ عَنْ مَوَانِعِهِ وَأَخْتَارَ أَعْلَمَاءُ بِهَذَا الشَّانِ
قَوْلَ عَلِيِّ بْنِ جَبَلَةَ :

وَمَا لِأَمْرِي حَادِلَتُهُ عَنْكَ مَهْرَبُ وَلَوْ رَفَعْتُهُ فِي السَّمَاءِ لَطَالَعُ
بَلَى هَارِبٌ لَا يَهْتَدِي لِمَكَانِهِ ظِلَامٌ وَلَا ضَوْءٌ مِنَ الْفَجْرِ سَاطِعُ
لِأَنَّهُ قَدْ أَجَادَ مَعَ مُعَارَضَتِهِ النَّافِعَةَ وَزَادَ عَلَيْهِ ذِكْرَ الضَّمِيرِ
وَإِظْهُهُ أَقْتَدَى بِقَوْلِ الْأَنْصَارِيِّ فِي بَيْتِ النَّافِعَةِ : لَيْسَ اللَّيْلُ أَوَّلِي

بِهَذَا الْمَثَلِ مِنَ النَّهَارِ . وَفِي هَذَا الْأَعْتِرَاضِ كَلَامٌ يَأْتِي فِي مَوْضِعِهِ
 مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَأَفْضَلُ مِنْ هَذَا كُلِّهِ قَوْلُ
 الْقُرْآنِ : إِنْ أَسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
 فَأَنْفُذُوا . وَوَجَدَ الْفَضْلُ بْنُ يُحْيَى عَلَى أَبِي الْهَوَلِ الْحَمِيرِيِّ فَدَخَلَ
 إِلَيْهِ فَأَنْشَدَهُ :

كَسَانِي وَعِيدُ الْفَضْلِ ثَوْبًا مِنْ أَلْبِلَى

وَإِعَادُهُ عِنْدِي الَّذِي مَأَلَهُ رَدُّ
 فَجِدُّ بِالرَّحْنَى لَا أَتَّبِعِي مِنْكَ غَيْرَهُ وَرَأَيْكَ فِيمَا كُنْتَ عَوَّدْتَنِي بَعْدُ
 فَقَالَ لَهُ الْفَضْلُ عَلَى مَذْهَبِ الْكِتَابِ فِي تَحْرِيرِ الْحَطَّابِ : لَا
 احْتِمِلْ . وَاللَّهُ قَوْلُكَ (وَرَأَيْكَ فِيمَا كُنْتَ عَوَّدْتَنِي بَعْدُ) فَقَالَ أَبُو
 الْهَوَلِ : لَا تَنْظُرْ إِلَى قَصْرِ بَاعِي وَقَلَّةِ تَمْيِيزِي وَأَفْعَلْ لِي مَا أَنْتَ
 أَهْلُهُ . فَأَمَرَ لَهُ بِمَالٍ جَسِيمٍ وَرَضِيَ عَنْهُ وَقَرَّبَهُ

وَفِي أَشْتَقَاتِ الْأَعْدَارِ ثَلَاثَةُ أَقْوَالٍ أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ مِنَ
 الْحَوَى كَمَا نَكَحَتْ آثَارَ الْمَوْجِدَةِ مِنْ قَوْلِهِمْ أَعْتَدْتَ الْمَنَازِلُ إِذَا
 دَرَسْتَ وَأَنْشَدَ قَوْلَ ابْنِ حُجْرٍ :
 أَوْ كُنْتَ تَعْرِفُ آيَاتٍ فَقَدْ جَعَلْتَ

أَطْلَالُ الْفِكَ بِالْوَدَّاءِ مَعْدِرُ
 وَاللَّيْنِ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْأَنْقِطَاعِ كَمَا نَكَحَتْ قَطَعْتَ الرَّجُلَ عَمَّا أَمْسَكَ
 فِي قَلْبِهِ مِنَ الْمَوْجِدَةِ وَيَقُولُونَ أَعْتَدْتَ الْمِيَاهُ إِذَا أَنْقَطَعَتْ :
 وَالْقَوْلُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْحَجَرِ وَالنَّعْمِ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ

يُقَالُ عَذَرْتُ الدَّابَّةَ أَيَّ جَعَلْتُ لَهَا عَذَارًا يَنْجُزُهَا مِنَ الشَّرَادِ
فَعَنَى اعْتَذَرَ الرَّجُلُ اخْتَجَزَ وَعَذَرْتُهُ جَعَلْتُ لَهُ حَاجِزًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ
الْعُقُوبَةِ أَوِ الْعُتْبِ وَمِمَّنْ تَعَذَّرَ الْأَمْرُ وَاخْتَجَزَ أَنْ يُقْضَى وَمِنْهُ جَارِيَةٌ
عَذْرَاءُ

البحث الحادي عشر

في سيرورة الشعر والحظوة في المدح

(من كتاب العمدة لابن رشيق)

كَانَ الْأَعَشَى أَسِيرَ النَّاسِ شِعْرًا وَأَعْظَمَهُمْ فِيهِ حِطَاءً حَتَّى كَادَ
يُنْسِي أَحْبَابَهُ الْمَذْكُورِينَ مَعَهُ وَقَبْلَهُ زُهَيْرٌ وَالنَّايِفَةُ وَأَمْرُو الْقَيْسِ
وَكَانَ جَرِيرٌ بَاقِعَةً سَارَ الشَّعْرِ مُظْفَرًا. قَالَ الْأَخْطَلُ لِلْفَرَزْدَقِ وَأَنَا
وَاللَّهُ أَشَعْرُ مِنْ جَرِيرٍ غَيْرَ أَنَّهُ رَزَقَ مِنْ سَيُورَةِ الشَّعْرِ مَا لَمْ أُرْزَقْهُ
وَقَدْ قُلْتُ بَيْنَا لَا أَحْسَبُ أَحَدًا قَالَ أَهْجَا مِنْهُ

وَلَيْسَ مِنَ الْعَرَبِ قَبِيلَةٌ إِلَّا وَقَدْ نِيلَ مِنْهَا وَعُدَّتْ وَهَجِمَتْ فَحُطَّ
الشَّعْرُ مِنْهُمْ بَعْضًا بِمُؤَافَقَةِ الْحَقِيقَةِ وَمَضَى صَفْحًا عَلَى الْآخَرِينَ لَمَّا لَمْ
يُؤَافِقِ الْحَقِيقَةَ وَلَا صَادَفَ مَوْضِعَ الرِّيَّةِ. فَمِنَ الَّذِينَ لَمْ يُنْحَكْ فِيهِمْ هِجَاءُ
إِلَّا قَلِيلًا عَلَى كَثَرَةِ مَا قِيلَ فِيهِمْ تَمِيمُ بْنُ مُرَّةَ وَبَسْكَرُ بْنُ وَائِلٍ
وَأَسَدُ بْنُ خُرَيْمَةَ وَنُظَرَاؤُهُمْ مِنْ قَبَائِلِ أَلْيَمَنَ. فَأَمَّا مَنْ شَتُّوا بِالْهَجَاءِ
وَمَزَّقُوا كُلَّ مُمَزَّقٍ عَلَى تَقَدُّمِهِمْ فِي الشُّجَاعَةِ وَالْفَضْلِ أَحْيَاءُ مِنْ قَيْسِ
نَحْوِ غَنِيٍّ وَبَاهِلَةَ بْنِ أَنْصَرٍ بْنِ سَعْدٍ بْنِ قَيْسِ بْنِ غِيلَانَ وَأَنَّهُمْ غَنِيٌّ

عَمْرُو وَكَانُوا مَوَالِي عَامِرِ بْنِ صَعْصَعَةَ يَحْمِلُونَ عَلَيْهِمُ الدِّيَّاتِ وَالنَّوَابِ
وَنَحْوُ مُحَارِبِ بْنِ خُضْفَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ غِيلَانَ وَجَسْرِ بْنِ مُحَارِبِ
وَمِنْ وَلَدِ طَالِحَةَ بْنِ إِلْيَاسِ بْنِ مُضَرَ تَيْمٌ وَعُكْلٌ أَبْنَا عَبْدِ مَنَاةَ
وَقَعَ عَلَيْهِمُ السَّبُّ فِي الْجَاهِلِيَّةِ فَأَسْتَهَانَتِ الْعَرَبُ بِهِمْ وَأَنْطَبَعَ الْعَجَّاءُ
فِيهِمْ وَعَدِيُّ بْنُ عَبْدِ مَنَاةَ كَانُوا قَطِينًا لِحَاجِبِ بْنِ ذُرَّادَةَ وَأَرَادَ أَنْ
يَسْتَمْلِكَهُمْ مَلِكٌ رَقٍ بِسَجَلٍ مِنْ قَبْلِ الْنَذِيرِ وَالْحِطَّاتِ وَهُمْ وَلَدُ
الْحَارِثِ بْنِ عَمْرُو بْنِ تَيْمٍ وَسَمِيَ الْحِطُّ لِعَظَمِ بَطْنِهِ شَبَّهَهُ بِالْحِمْلِ
الْحِطُّ وَهُوَ الَّذِي أَنْتَفَخَ بَطْنُهُ مِنْ كَلَالٍ يَسْتَوِيهِ . فَأَمَّا السَّلُولُ فَقَدْ
قَالَ فِيهِمْ أَبُو زَيْدٍ الْكِلَابِيُّ : كِرَامٌ مِنْ كِرَامِ صَعْصَعَةَ لَمْ يُخَالَفُوا فِي
أَمْرِ وَلَمْ يَدْخُلُوا فِي صَغَارٍ وَإِنَّمَا كَلِمَةُ عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ هِيَ الَّتِي
شَامَتْهُمْ يُرِيدُ قَوْلَهُ : أَغْدَةُ كَغْدَةِ الْبُعِيرِ وَمَوْتًا فِي بَيْتِ سُلُوكِيَّةِ .
قُلْتُ أَمَّا عَامِرُ فَقَدْ قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَةُ حِينَ دَعَا عَلَيْهِ الرَّسُولُ فَمَا
يَضَعُ بِقَوْلِ السَّمَوَالِ بْنِ عَادِيَاءَ :

وَأَنَا لَقَوْمٌ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرُ وَسَلُولُ

وَالسَّمَوَالُ فِي زَمَانِ أَمْرِ الْقَيْسِ وَبَيْنَ أَمْرِ الْقَيْسِ
وَمَبْعَثِ الرَّسُولِ مِئَةَ وَارْبَعٍ وَخَمْسُونَ سَنَةً . قَالَ الْحَاجِظُ لَمْ يَمْدَحْ
قَبِيلَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنْ قُرَيْشٍ كَمَا مَدَحَتْ تَحْزُومُ . قَالَ وَكَانَ عَبْدُ
الْعَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ أَخْطَا فِي الشَّعْرِ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ خُلَفَائِهِمْ . وَمَا
أَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ نِعْمَةً بَعْدَ وَلَايَةِ اللَّهِ أَنْظَمَ مِنْ أَنْ يَكُونَ
الرَّجُلُ مُمَدِّحًا . قُلْتُ أَنَا : أَمَّا هَذِهِ النِّعَةُ فَقَدْ أَحَلَّهَا اللَّهُ مُضَاعَفَةً

عِنْدَ السَّيِّدِ أَبِي الْحَسَنِ وَقَرَنَهَا مِنْهُ بِالْإِسْتِحْقَاقِ فَقَرَّتْ مَقَرَّهَا
وَرَزَلَتْ مَنَزِلَهَا الْخُتَارَ لَهَا . وَأَحْيَا اللَّهُ بِهِ لِبَنِي شَيْبَانَ حَمْدًا لَمْ
يَشْبُهُ ذَمٌّ وَجُودٌ لَمْ يُعْقِبْهُ نَدَمٌ مِمَّا زَادَ عَلَى يَزِيدَ وَلَمْ يَدْعُ لِمَنْ مَعْنَى
فِي الْجُودِ . وَقَالَ غَزْرُهُ : كَانَ عَمْرُو بْنُ الْعَلَاءِ مَمْدُوحًا وَفِيهِ يَقُولُ
بِشَّارِ بْنِ بُرْدٍ :

قُلْ لِلْخَلِيفَةِ إِنْ جِئْتُهُ نَصِيحًا وَلَا خَيْرَ فِي أَلْمَتِهِمْ
إِذَا أَيْقَظْتُكَ حُرُوبُ الْعِدَا فَنَبِهَ لَهَا عُمَرَا ثُمَّ ثُمَّ
فَتَى لَا يَبِيتُ عَلَى دِمْنَةٍ وَلَا يَشْرَبُ الْمَاءَ إِلَّا بِدَمٍ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَّةِ :

إِنَّ الْمَطَايَا تَشْتَكِيكَ لِأَنَّهَا قَطَعَتْ إِلَيْكَ سَبَابِسًا وَرِمَالًا
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : لَمْ يَدْعُ أَحَدٌ قَطُّ بَنِي كَلْبٍ غَيْرَ
الْخَطِيئَةِ :

لَعَمْرُكَ مَا الْجَوَارُ فِي كَلْبٍ يُمْقِصِي فِي الْجَوَارِ وَلَا مُضَاعِرَ
وَكَانَتْ قَيْسُ تَفْتَحُ عَلَى تَمِيمٍ لِأَنَّ شُعْرَاءَ تَمِيمٍ تَضْرِبُ الْمَثَلَ
بِقَبَائِلِ قَيْسٍ وَرِبَايَا . فَأَقَامَتْ تَمِيمٌ دَهْرًا لَا تَرْفَعُ رُؤُوسَهَا حَتَّى
قَالَ لَيْدُ بْنُ رَبِيعَةَ :

أَبْنِي كَلْبٍ كَيْفَ تُنْفَى جَعْفَرُ وَبَنُو ضُبَيْعَةَ حَاضِرُوا الْأَجْنَابِ
قَتَلُوا ابْنَ عُرْوَةَ ثُمَّ لَطَوُا دُونَهُ حَتَّى يُحَاكِمَهُمْ إِلَى جَوَابِ
يَرَعُونَ مُنْحَرِقَ اللَّيْدِ كَانَهُمْ فِي الْعِزِّ أَسْرَةً حَاجِبٍ وَشِهَابِ
مُتَظَاهِرٌ حَاقُ الْحَدِيدِ عَلَيْهِمْ كَبَنِي زُرَّارَةَ أَوْ بَنِي عَثَابِ

قَوْمٌ لَهُمْ عَرَفَتْ مَعَهُ فَضْلَهُمْ وَالْفَضْلُ يَعْرِفُهُ ذَوُو الْأَلْبَابِ
وَقَالَ ابْنُ مَنْظُورٍ بْنُ سَيَّارٍ الْفَرَّارِيُّ :

فَجَاؤُوا بِجَمْعٍ مُجْزِلٍ كَانَتْهُمْ بَنُو دَارِمٍ إِذَا كَانَ فِي النَّاسِ دَارِمٌ
فَتِيكَلَمَتْ تَمِيمٌ وَأَفْتَحَرَتْ لِمَكَانِ هَذَيْنِ الشَّاعِرَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ
قَدَرًا فِي قَيْسٍ فَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ قَيْسًا أَخْطَى بِالْمَدْحِ مِنْ تَمِيمٍ .
وَالْأَوَايِدُ مِنَ الشَّعْرِ الْآيَاتُ السَّائِرَةُ كَالْآيَاتِ وَالْأَكْثَرُ مَا
تُسْتَعْمَلُ الْأَوَايِدُ فِي الْهَجَاءِ يُقَالُ : رَمَاهُ بِأَبْدَةٍ فَتَكُونُ الْأَبْدَةُ
هَهُنَا الدَّاهِيَةَ . قَالَ الْجَاهِظُ : الْأَوَايِدُ الدَّوَاهِي وَمِنْهُ أَوَايِدُ الشَّعْرِ
حَكَاهُ عَنْ أَبِي زَيْدٍ وَحَكَى : الْأَوَايِدُ الْإِبِلُ الَّتِي تَمُوتُ فَلَاحُ
يُقَدَّرُ عَلَيْهَا إِلَّا بِالْعَقْرِ . وَالْأَوَايِدُ الطَّيْرُ الَّتِي تُقِيمُ صَيْفًا وَشِتَاءً .
وَالْأَوَايِدُ الْوَحْشُ فَإِذَا حُمِلَتْ آيَاتُ الشَّعْرِ عَلَى مَا قَالَ الْجَاهِظُ
كَانَتْ الْمَعَانِي السَّائِرَةُ كَالْإِبِلِ الشَّارِدَةِ الْمُتَوَحِّشَةِ وَإِنْ شَتَّ
الْمُقِيمَةُ عَلَى مَنْ قِيلَتْ فِيهِ لَا تُفَارِقُهُ كَأَقَامَةِ الطَّيْرِ الَّتِي لَيْسَتْ
بِقَوَاعٍ . وَإِنْ شَتَّ قُلْتُ فِي بُعْدِهَا مِنَ الشُّعْرَاءِ وَامْتِنَاعِهَا عَلَيْهِمْ
كَالْوَحْشِ فِي نِفَارِهَا مِنَ النَّاسِ . وَأَمَّا الْحُجْدُونُ فِي الْكُسْبِ
بِالشَّعْرِ وَأَخْطَوَةُ عِنْدَ الْمُؤَلِّكِ فَهُمْ مُسْلِمُ الْخَالِصِ مَاتَ عَنْ مِائَةِ
أَلْفٍ دِينَارٍ وَلَمْ يَتْرُكْ وَارِثًا وَأَبُو الْعَتَاهِيَةِ مَنَعَ :

تَعَالَى اللَّهُ يَا مُسْلِمُ بْنُ عَمْرِو أَذَلَّ الْخِرَاصُ أَغْنَاكَ الرِّجَالُ
وَكَانَ صَدِيقَهُ جَدًّا . فَقَالَ مُسْلِمٌ : وَيَلِي مِنْ هَذَا الرَّجُلِ جَمْعُ
الْعُقَاطِيرِ مِنَ الذَّهَبِ وَقَدْ نَسَبَنِي إِلَى مَا تَرَوْنَ مِنَ الْخِرَاصِ . وَلَمْ

يَرُدُّ ذَلِكَ أَبُو الْقَتَاهِيَّةَ وَمَرْوَانَ بْنَ أَبِي حَفْصَةَ أُعْطِيَ مِائَةَ أَلْفٍ
دِينَارٍ مَرَّاتٍ عَدِيدَةً وَكَانَ لَا يُقَابِلُ إِلَّا بِالْكَثِيرِ وَهُوَ لَعْمَرِي مِنْ
ذَوِي الْيُوتَاتِ وَالْمَعْرُوفِينَ فِي الْأَكْسَبِ وَالشَّعْرِ . وَكَانَ أَبُو نُؤَاسٍ
مَحْظُوظًا لَا يُدْرَى لِمَا وَصَلَ إِلَيْهِ لَكِنَّهُ كَانَ مُتَلَفًا سَخِيًّا وَكَانَ
يَتَسَاجَلُ فِي الْأَنْفَاقِ هُوَ وَعَبَّاسُ بْنُ أَخْنَفَ . وَكَانَ الْبُخْتَرِيُّ مَلِيًّا
قَدْ قَاضَى كَسْبُهُ مِنَ الشَّعْرِ . وَكَانَ يَرْكَبُ فِي مَوْكِبٍ مِنْ عَسِيدِهِ .
وَأَمَّا أَبُو تَمَّامٍ فَمَا وَفَّى حَقَّهُ مَعَ مَا صَارَ إِلَيْهِ مِنَ الْأَمْوَالِ لِأَنَّهُ تَبَذَّلَ
وَجَابَ الْأَرْضَ وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ

البحث الثاني عشر

في ما اشكل من المدح والهجاء

(من كتاب العمدة لابن رشيقي)

أَنْشَدَنَا أَبُو عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ الْخُويُّ عَنْ أَبِي عَلِيٍّ
الْحُسَيْنِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْأَمْدِيِّ لِرَجُلٍ مِنْ عَبْدِ شَمْسٍ بْنِ سَعْدِ بْنِ
تَمِيمٍ :

تَصَيَّفَنِي وَهَنَا فَقُلْتُ أَسَاقِي إِلَى الزَّادِ شَلَّتْ مِنْ يَدَيَّ الْأَصَابِعُ
وَلَمْ تَلْقَ لِلسَّعْدِيِّ ضَيْفًا بِقَفْرَةٍ مِنْ الْأَرْضِ إِلَّا وَهُوَ غُرِيَانُ جَانِعُ
لَمْ يُرَدْ أَنَّهُ يَسْبِقُ ضَيْفَهُ إِلَى الزَّادِ فَيَكُونُ قَدْ هَجَا نَفْسَهُ
أَكْبَهُ وَصَفَ ذُبَابًا لَقِيَهُ لَيْلًا فَقَالَ : أَتَسْبِقُنِي أَنْتَ إِلَى الْأَكْلِ
أَيُّ تَأْكُلُنِي شَلَّتْ إِذَا أَصَابِعِي إِذَا لَمْ أَرَمِكَ فَأَقْتُلَكَ وَأَكُلْ
حَلْمَكَ . ثُمَّ قَالَ عَلَى الْمَثَلِ : لَمْ تَلْقَ لِلسَّعْدِيِّ يَعْنِي نَفْسَهُ ضَيْفًا فِي

قَفَرَةٍ يَعْنِي الذَّنْبَ إِلَّا هُوَ جَائِعٌ فَهُوَ لَا يُبْقِي عَلَيَّ لِأَيِّ أَقْتَلُهُ قَبْلَ
أَنْ يَشْبَعَ مِنْ لَحْمِي. وَمِنْ أَنْ أَشْبِدَهُمْ:

أَبُوكَ الَّذِي نَبْتُ يُحْبِسُ خَيْلَهُ غَدَاةَ اللَّدَى حَتَّى يَخِفَ لَهَا الْبَقْلُ
قَالُوا إِذَا أَخَذَ مَطَرُ الصَّيْفِ الْأَرْضَ أَبَتَتْ بَقْلًا فِي أُصُولِ
بَقْلِ قَدْ يَبَسَ فَذَلِكَ الْأَخْضَرُ هُوَ النَّشْرُ وَهُوَ الْغَيْرُ فَتَأْكُلُهُ
الْأَبِلُ فَيَأْخُذُهَا السَّهَامُ وَلَا سَهَامَ فِي الْخَيْلِ فَعَابَهُ بِالْجَهْلِ بِالْخَيْلِ.
قَالَ الْأَضْمَعِيُّ: هَذَا الْقَوْلُ خَطَأٌ بَلْ مَدَحُهُ بِعَرَفَةِ الْخَيْلِ لِأَنَّ
النَّشْرَ مُؤْذٍ لِكُلِّ مَا أَكَلَهُ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ شِمَّ سَهَامٍ. وَقَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ
قُبَةَ فِي رثاءِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ وَذَكَرَ آلَ الرَّسُولِ:

أَوَّلِكَ قَوْمٌ لَمْ يَشِيسُوا سُيُوفَهُمْ وَلَمْ تَكْثُرْ أَلْقَتْلَى بِهَا حِينَ سَأَتْ
قَالَ قَوْمٌ أَرَادَ لَمْ يُعِيدُوا سُيُوفَهُمْ إِلَّا نَعْدَ كَثْرَةِ أَلْقَتْلَى بِهَا كَمَا
تَقُولُ لَمْ أَضْرِبَكَ وَلَمْ تُجِنِّ عَلَيَّ إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَنَيْتُ عَلَيْكَ. وَقَالَ
آخَرُونَ: أَرَادَ لَمْ يَسْلُوا سُيُوفَهُمْ إِلَّا وَكَثُرَتْ بِهَا أَلْقَتْلَى كَمَا
تَقُولُ: لَمْ أَلْقَكَ وَلَمْ أُحْسِنِ إِلَيْكَ أَيَّ إِلَّا وَقَدْ أَحْسَنْتُ إِلَيْكَ
وَالْقَوْلَانِ مَعًا صَحِيحَانِ لِأَنَّهُ مِنَ الْأَضْدَادِ وَيُشَدُّونَ قَوْلَ الْآخَرِ:
هَجَمْنَا عَلَيْهِ وَهُوَ يَكْعَمُ كَلْبُهُ دَعِ الْكَلْبَ يَنْجِ إِنَّمَا الْكَلْبُ تَائِجٌ
وَيَزَوَى:

دَفَعْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَخْتُقُ كَلْبُهُ
وَأَنشَدَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ:

فَجَنَيْتُ الْخَيْشَ أَبَا حَبِيبٍ وَجَادَ عَلَى مَحَلَّتِكَ السَّحَابُ

وَيُرَوَّى أَنَّ أَبَا زَيْنَبٍ قَالَ: إِنْ دَعَا لَهُ فَإِنَّمَا أَرَادَ أَنْ يُعَافَى مِنَ
الْجَبُوشِ وَأَنْ يَجُودَهُ السَّحَابُ فَتُخَصَّبَ أَرْضُهُ وَإِنْ دَعَا عَلَيْهِ قَالَ:
لَا أَبْقَى لَكَ خَيْرًا تَطْمَعُ فِيهِ الْجَبُوشُ فَهِيَ تَتَجَبَّبُ دِيَارَكَ لِغُلَامِهِمْ
بِقِلَّةِ الْخَيْرِ فِيهَا وَيَدْعُو عَلَى مُحَلَّتِهِ بِأَنْ تَذْرُسَهَا الْأَمْطَارُ . وَقَالَ
غَيْرُهُ: إِنَّمَا مَعْنَاهُ جَادَ عَلَى مُحَلَّتِكَ السَّحَابُ فَأَخْصَبَتْ وَلَا مَاشِيَةَ
لَكَ فِيهَا فَذَلِكَ أَشَدُّ لَهْمِكَ وَغَمِّكَ وَيَكُونُ الْمَعْنَى حِينَئِذٍ كَقَوْلِ
الْآخِرِ :

وَحَيْفَاءُ أَلْقَى اللَّيْثُ فِيهَا ذِرَاعَهُ فَسَرَّتْ وَسَاءَتْ كُلُّ مَاشٍ وَمَضْرَمٍ
أَيَّ سَرَّتْ كُلُّ ذِي مَاشِيَةٍ وَسَاءَتْ كُلُّ فَقِيرٍ . وَأَنشَدَ أَبُو عَبْدِ
اللَّهِ أَيْضًا :

إِنِّي عَلَى كُلِّ إِيسَارٍ وَغَسْرَةٍ أَدْعُو حَيْثَا كَمَا تُدْعَى ابْنَةُ الْجَبَلِ
وَرَوَى الْمُبَرِّدُ حَنِيفًا يُرِيدُ أَنَّهُ يُحْيِيهِ بِسُرْعَةٍ كَالصَّادِ وَهُوَ ابْنَةُ
الْجَبَلِ وَقِيلَ ابْنَةُ الْجَبَلِ الْخَمْرَةُ الْمُخْمَدَةُ مِنْ أَعْلَاهُ . وَزَادَ أَبُو
زَيْدٍ فِي رِوَايَتِهِ بَيْتًا وَهُوَ :

إِنْ تَدْعُهُ مُوهِنًا يَجْعَلُ بِجَانِبِهِ عَارِي الْأَشَاجِعِ يَسْعَى غَيْرُ مُشْتَمِلٍ
فَهَذَا مَدْحٌ لَا مَحَالَةَ وَنَتْنُهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى قَوْلِ الْآخِرِ :
كَأَنِّي إِنْ دَعَوْتُ بَنِي حَنِيفٍ دَعَوْتُ بِدَعْوَتِي لَهُمْ الْجَبَالَا
وَرَوَاهُ قَوْمٌ بَنِي سُلَيْمٍ فَمَنْ مَدَحَ جَعَلَهُ مِثْلَ الْأَوَّلِ فِي سُرْعَةِ
الْإِجَابَةِ وَمَنْ دَمَّ نَسَبُهُمْ إِلَى الثَّقَلِ عَنْ إِجَابَتِهِ مِثْلَ الْجَبَالِ . وَمِنْ
الدُّعَاءِ الَّتِي يَدْخُلُ فِي هَذَا الْبَابِ :

تَفَرَّقَتْ غَنَمِي يَوْمًا فَقُلْتُ لَهَا يَا رَبِّ سَلِّطْ عَلَيْهَا الذِّئْبَ وَالضَّبْعَا
 قِيلَ إِنَّهُمَا إِذَا اجْتَمَعَا لَا يُؤْذِيَانِ وَشَغَلَ كُلُّ مَنِمَهَا الْآخَرَ
 وَإِذَا تَفَرَّقَا أَدَيَا وَقِيلَ : إِنَّ مَعْنَاهُ فِي الدُّعَاءِ عَلَيْهَا : قَتَلَ الذِّئْبُ
 الْأَجْبَاءَ عَبَثًا وَآكَلَتِ الضَّبْعُ الْأَمْوَاتَ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا بَقِيَّةٌ . وَمِنْ
 لَطِيفِ مَا وَقَعَ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي :

يَصُدُّ الشَّاعِرُ الثُّنْيَانَ عَنِّي صُدُودَ الْبَكْرِ عَنْ قَرْمِ الْهَجَانِ
 وَلَمْ يُرِدْ أَنَّهُ يَغْلِبُ الثُّنْيَانَ وَلَا يَغْلِبُ الْفَحْلُ لَكِنْ أَرَادَ التَّضْغِيرَ
 بِالَّذِي هَاجَهُ فَجَعَلَهُ ثُنْيَانًا . وَقَالَ آخَرُ :

وَمَنْ يَفْخَرُ بِمِثْلِ أَبِي وَجَدِّي يَحْيَى قَبْلَ السَّوَابِقِ وَهُوَ ثَانٍ
 أَرَادَ وَهُوَ ثَانٍ مِنْ عَنَانِهِ لَا يُسْبِقُ مُتَمَهِّلًا . وَمِمَّا يُدْخِلُ بِهِ وَيَدْمُ
 قَوْمَهُ بَيْضَةَ الْبَلَدِ فَمَنْ مَدَحَ أَرَادَ أَنَّهَا أَصْلُ الطَّائِرِ وَمَنْ ذَمَّ أَرَادَ أَنَّهَا
 لَا أَصْلَ لَهَا . قَالَتْ أُخْتُ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ وَدٍّ فِي عَلِيٍّ لَمَّا قَتَلَ أَخَاهَا :
 لَوْ كَانَ قَاتِلُ عَمْرِو غَيْرَ قَاتِلِهِ أَقْدَ بَكَيتُ عَلَيْهِ آخِرَ الْأَبَدِ
 لَكِنْ قَاتِلُهُ مَنْ لَا يُعَابُ بِهِ مَنْ كَانَ يُدْعَى قَدِيمًا بَيْضَةَ الْبَلَدِ
 فَهَذَا أَمَدُ كَمَا تَرَاهُ وَقَالَ الرَّاعِي التُّمَيْرِيُّ يَهْجُو عَدِيَّ بْنَ
 الرَّقَاعِ الْعَلَامِيَّ :

لَوْ كُنْتَ مِنْ أَحَدٍ تُهْجِي هَجْوَتَكُمْ

يَا ابْنَ الرَّقَاعِ وَلَكِنْ لَسْتُ مِنْ أَحَدٍ

تَأْتِي قُضَاعَةُ أَنْ تَرْضَى بِكُمْ نَسَبًا

وَأَبْنَا تَرَارٍ فَأَنْتُمْ بَيْضَةُ الْبَلَدِ

وَأَنشَدَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ :

وَأَيُّ لَطْلَامٍ لَأَشَعْتَ بِأَسِ
عَرَارًا وَمَقْرُورًا يُرَى مَالَهُ الدَّهْرُ
وَجَارٍ قَرِيبِ الدَّارِ أَوْ ذِي جِنَايَةٍ
غَرِيبٍ بَعِيدِ الدَّارِ لَيْسَ لَهُ وَقْرُ
يَظُنُّهُ السَّامِعُ هَجَا نَفْسَهُ يَظْلَمُ هَوْلَاءُ الَّذِينَ ذُكِرُوا إِنَّمَا
مَدَحَهَا بِأَنَّهُ يَظْلَمُ النَّاقَةَ فَيَحْرُ لِلضِّيَافَةِ فَصِيلَهَا مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ وَلَا دَاءٍ
هَذَا هُوَ الْأَشَعْتُ وَالْجَارُ وَأَشْبَاهُهُمَا

البحث الثالث عشر

في البديهة والارتجال

(من كتاب العمدة لابن رشيق)

الْبَدِيهَةُ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنَ الْمُؤَسَّسِينَ يَعْلَمُ هَذِهِ الصَّنَاعَةَ فِي
بَلَدِنَا وَمِنْ أَهْلِ عَصْرِنَا هِيَ الْإِرْتَجَالُ وَلَيْسَتْ بِهِ لِأَنَّ الْبَدِيهَةَ
فِيهَا الْفِكْرُ وَالْتَأْيِدُ . وَالْإِرْتَجَالُ مَا كَانَ أَنْهَارًا وَتَدْفُقًا لَا يَتَوَقَّفُ
فِيهِ قَائِلُهُ كَأَلَدِي صَنَعَ الْفَرَزْدَقُ وَقَدْ دَفَعَ إِلَيْهِ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ
الْمَلِكِ أَسِيرًا مِنْ الرُّومِ لِيَقْتُلَهُ فَدَسَّ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْسٍ سَيْفًا
كَهَامًا فَنَبَا حِينَ ضَرَبَ بِهِ وَصَحَّكَ سُلَيْمَانُ فَقَالَ الْفَرَزْدَقُ ارْتَجَلَا
فِي مَقَالَةٍ يَعْتَذِرُ لِنَفْسِهِ وَيُعَيِّرُ بَنِي عَبْسٍ بِأَبَوِ سَيْفٍ وَرَقَاءِ بْنِ
زُهَيْرٍ عَنْ رَأْسِ خَالِدِ بْنِ جَعْفَرٍ :

فَإِنْ يَكُ سَيْفُ خَانَ أَوْ نَبَا حَدُّهُ

لِتَأْخِذِ نَفْسٍ حَيْثُهَا غَيْرُ شَاهِدٍ

فَسَيْفُ بَنِي عَبَسٍ وَقَدْ ضَرَبُوا بِهِ

نَبَا يَدَيَّ وَرَقَاءَ عَنْ رَأْسِ خَالِدٍ

كَذَاكَ سَيُوفُ الْهِنْدِ تَنْبُو طَلَبَاتِهَا

وَيَقْطَعْنَ أَحْيَانًا مَنَاطَ الْقَلَانِدِ

وَلَوْ شِئْتُ قَطَّ السَّيْفُ مَا بَيْنَ أَنْفِهِ

إِلَى عَرَقِ دُونَ الشَّرَاسِيفِ حَاسِدٍ

ثُمَّ جَلَسَ وَهُوَ يَقُولُ:

وَلَا نَقْتُلُ الْأَسْرَى وَلَكِنْ نَفْكُهُمْ

إِذَا شَغَلَ الْأَعْنَاقَ حَمْلُ الْمَكَارِمِ

وَأَعْظَمُ الْأَرْجَالِ وَقَعَ قَصِيدَةُ الْحَارِثِ بْنِ حِلْزَةَ بَيْنَ يَدَيَّ عَمُرُو

أَبْنِ هِنْدٍ فَإِنَّهُ يُقَالُ أَتَى بِهَا كَالْحُطْبَةِ . وَكَذَاكَ قَصِيدَةُ عُبَيْدِ بْنِ

الْأَبْرَصِ . وَقِيلَ : أَفْضَلُ الْبَدِيَّةِ بَدِيَّةُ أَمْنٍ وَرَدَتْ فِي مَوْضِعٍ

خَوْفٍ فَمَا ظَنُّكَ بِالْأَرْجَحَالِ وَهُوَ أَسْرَعُ مِنَ الْبَدِيَّةِ . وَكَانَ أَبُو

نَوَاسٍ قَوِيَّ الْبَدِيَّةِ وَالْأَرْجَحَالِ لَا يَكَاذُ يَنْقَطِعُ وَلَا يَرُوزِي إِلَّا فَلْتَةً .

وَيُرُوزِي أَنْ الْحُطْبِيبَ قَالَ لَهُ مَرَّةً يَمَارِضُهُ وَهُوَ بِالسَّجْدِ الْجَامِعِ :

وَأَنْتَ غَيْرُ مُدَافِعٍ فِي الشِّعْرِ وَلَكِنَّكَ لَا تَحْطُبُ . فَقَامَ مِنْ فُورِهِ

يَقُولُ مُرْتَجِلًا :

مَتَحْتَكُمُ يَا أَهْلَ مِضَرَ نَصِيحَتِي أَلَا فَخَذُوا مِنْ نَاصِحٍ بِصِيبِ

رَمَاكُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ بِحِجَّةٍ أَكُولُ لِحْيَاتِ الْبِلَادِ شُرُوبِ
 قَانَ يَكُ بَاقِي سَخَرٍ فِرْعَوْنَ فِيكُمْ فَإِنَّ عَصَا مُوسَى بِكَفِّ خَطِيبٍ
 ثُمَّ انْتَفَتَ إِلَيْهِ : وَاللَّهِ لَا يَأْتِي بِمِثْلِهَا خَطِيبٌ مُضَقَّعٌ فَكَيْفَ
 رَأَيْتَ فَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ فَخَلَفَ : إِنْ كُنْتُ إِلَّا مَارِحًا . وَسَمِعَتْ جَمَاعَةٌ
 مِنْ أَعْلَمَاءٍ يَقُولُونَ : كَانَ مُسْلِمٌ بْنُ الْوَلِيدِ نَظِيرَ أَبِي نُوَّاسٍ فِي
 وَكُوفِهِ عِنْدَ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ زَمَانِهِ فِي أَشْيَاءٍ إِلَّا أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ
 قَهَرَ بِالْبِدْيَةِ وَالْأَرْتَجَالِ مَعَ تَقَبُّضٍ كَانَ فِي مُسْلِمٍ . وَإِظْهَارٍ تَوْقُفٍ
 وَكَانَ صَاحِبَ فِكْرَةٍ وَرَوِيَّةٍ لَا يَبْتَدِهُ وَلَا يَرْتَجِلُ فَكَانَ أَبُو
 الْعَتَاهِيَةِ فِيمَا يُقَالُ أَقْدَرَ النَّاسِ عَلَى أَرْتَجَالٍ وَبِدْيَةٍ لِقُرْبٍ مَأْخُذِهِ
 وَسَهْوَةٍ طَرِيقِهِ

وَأَجْتَمَعَ عِدَّةٌ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِيهِمْ أَبُو نُوَّاسٍ فَشَرِبَ أَحَدُهُمْ مَاءً
 ثُمَّ قَالَ أَجِزُونَا : بَرَدَ أَلْمَاءُ وَطَابَا . فَكُلُّهُمْ تَلَعَّمُ حَتَّى طَلَعَ أَبُو
 الْعَتَاهِيَةِ . قَالَ : فِيمَ أَنْتُمْ فَأَنْشُدُوهُ . فَقَالَ وَمَا تَرَدَّدَ : جَبَدَا أَلْمَاءُ
 شَرَابَا . فَاتَى بِالْقَسِيمِ شَيْئًا بِصَاحِبِهِ . وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَعْوَزَ الْقَوْمَ لَا
 وَزْنَ الْكَلَامِ . وَصَحِبَ رَفَقَةً فَسَمِعَ زُفَاءَ الدُّيُوكِ . فَقَالَ لِرَفِيقِهِ :
 هَلْ رَأَيْتَ الضُّبْحَ لَاحًا . قَالَ نَعَمْ . قَالَ : وَسَمِعْتَ أَلْدِيكَ صَاحَا .
 قَالَ نَعَمْ . قَالَ :

إِنَّمَا بَكَى عَلَى أَلْمَةٍ تَرَى بِالْدُّنْيَا وَنَاحَا

فَاسْتَقِظَ رَفِيقُهُ لِلْكَلامِ أَنَّهُ شِعْرُ فِرَوَاهُ . فَاجْرَى هَذَا الْحَجْرَى
 فَهُوَ الْأَرْتَجَالُ . وَأَمَّا الْبِدْيَةُ فَبَعْدَ أَنْ يُفَكِّرَ الشَّاعِرُ سِيرًا وَيَكْتُبَ

سَرِيْعًا إِنْ حَضَرَتْ آلَةُ إِلَّا أَنَّهُ غَيْرُ بَطِيءٍ وَلَا مُتَأَخِّرٍ فَإِنْ أَطَالَ
حَتَّى يُفْرِطَ أَوْ قَامَ مِنْ مَجْلِسِهِ لَمْ يَعُدْ بَدِيْهَا
وَقَالُوا اجْتَمَعَ الشُّعْرَاءُ بِبَابِ الرَّشِيدِ فَادْنَلَهُمْ وَقَالَ : مَنْ
يُجِيزُ هَذَا الْقَسِيمَ وَلَهُ حُكْمُهُ . قَالُوا : مَا هُوَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . قَالَ :
أَلْمَلِكُ لِلَّهِ وَخَدُّهُ . فَقَالَ الْجَمَّازُ : وَلِلْخَالِيفَةِ بَعْدَهُ وَلِنَحْبٍ إِذَا مَا
حَبِيْبُهُ بَاتَ عِنْدَهُ . فَقَالَ : أَحْسَنْتَ وَأَتَيْتَ عَلَى مَا فِي نَفْسِي وَأَسْرَ
لَهُ بِعَشْرَةِ آلَافٍ دِرْهَمٍ . وَقَدْ كَانَ أَبُو الطَّيِّبِ كَثِيرَ الْبَدِيْهِ
وَالْأَرْتِحَالِ إِلَّا أَنَّ شِعْرَهُ فِيهَا نَازِلٌ عَنْ طَبَقَتِهِ جَدًّا وَهُوَ لَعَمْرِي فِي
سَعَةٍ مِنَ الْفَنَدِ إِذْ كَانَتْ الْبَدِيْهُ كَمَا قَالَ أَمِيرُ الرُّومِيِّ فِيهَا :
نَارُ الرُّوِيَّةِ نَارٌ جَدُّ نُضِجَتْ وَلِلْبَدِيَّةِ نَارٌ ذَاتُ تَلَوُّجٍ
وَقَدْ يُفَضِّلُهَا قَوْمٌ لِعَاجِلِهَا لَكِنْ عَاجِلُهَا يَعْضِي مَعَ الرِّيحِ
وَقَالَ أَمِيرُ الْمُعْتَزِلِ :

وَالْقَوْلُ بَعْدَ الْفِكْرِ يُؤْمَنُ زَيْفُهُ شَتَانٌ بَيْنَ رُوِيَّةٍ وَبَدِيَّةٍ
وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ شِعْرُهُ فِي الرُّوِيَّةِ وَالْبَدِيَّةِ سَوَاءٌ وَعِنْدَ
الْآنِ وَالْخَوْفُ لِلْقُدْرَةِ وَسُكُونٌ جَاشُهُ وَقُوَّةٌ غَرِيْبَتُهُ كَهْدِيَّةٌ بَنِي
الْحَشْرَمِ الْعُذْرِيِّ وَطَرَقَةُ بَنِي الْعَبْدِ الْبَكْرِيِّ وَمَرَّةٌ بَنِي مُحَبَّكَانِ
السَّعْدِيِّ إِذْ يَقُولُ وَقَدْ أَمَرَ مُضْعَبُ بْنُ الرَّبِيعِ رَجُلًا مِنْ بَنِي
أَسَدٍ بِقَتْلِهِ :

بَنِي أَسَدٍ إِنْ تَقْتُلُونِي تُحَارِبُوا تَيْمًا إِذَا الْحَرْبُ الْعَوَانُ أَسْمَعَاتِ
وَأَسْتُ وَإِنْ كَانَتْ إِلَيَّ حَبِيْبَةٌ بِبَاكِ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا تَوَلَّتْ

وَهَذَا شِعْرٌ لَوْ تَرَوَى فِيهِ صَاحِبُهُ حَوْلًا كَامِلًا عَلَى أَمْنٍ وَدَعَةٍ
وَقَرَطٍ شَهْوَةٍ أَوْ شِدَّةٍ حِمِيَّةٍ لَمَا أَتَى بِهِ فَوْقَ هَذَا وَكَذَلِكَ عَبْدُ
يَاغُوثَ بْنِ صَلَاةٍ إِذْ يَقُولُ فِي كَلِمَةٍ لَهُ طَوِيلَةٍ :

أَقُولُ وَقَدْ شَدُّوا إِسْلَامِي بِبُسْعَةٍ أَمْعَشَرَ تَيْمٍ أَطْلَقُوا مِنْ لِسَانِيَا
أَيَا رَاكِبًا إِمَّا عَرَضْتَ قَبْلَعَنَ نُدَامَايَ مِنْ تَجْرَانِ أَنْ لَا تَلَاكِيَا
وَكُنُوا شَدُّوا لِسَانَهُ خَوْفًا مِنَ الْهَجَاءِ فَعَاهَدَهُمْ فَأَطَاعُوهُ
لِيُنَوِّحَ عَلَى نَفْسِهِ وَعَرَضَ عَلَيْهِمْ فِي فِدَائِهِ أَلْفَ نَاقَةٍ فَأَبَوْا إِلَّا
قَتْلَهُ فَقَالَ :

فَإِنْ تَقْتُلُونِي تَقْتُلُونِي بِخَيْرِكُمْ وَإِنْ تُطْلِقُونِي تَحْرِبُونِي بِمَالِيَا
وَهَذِهِ شَهَامَةٌ عَظِيمَةٌ وَشِدَّةٌ . وَمِنْ قَوْلِهِ طَرَقَةَ بْنِ الْعَبْدِ لَمَّا
أَيَقَنَ بِالْمَوْتِ :

أَبَا مُنْذِرٍ كَأَنْتَ غُرُورًا صَحِيفَتِي
وَلَمْ أَعْطِكُمْ فِي الطُّوعِ إِلَيَّ وَلَا عِزِّي
أَبَا مُنْذِرٍ أَفْنَيْتَ فَأَسْتَبْقِ بَعْضَنَا

حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ بَعْضِ
وَأَيْنَ هَوْلَاءُ مِنْ عُيَيْدِ بْنِ الْأَبْرَصِ وَهُوَ شَيْخٌ مِنْ شُيُوخِ
الْبَصَاةِ وَمُقَدَّمٌ فِي السِّنِّ عَلَى الْجَمَاعَةِ إِذْ يَقُولُ لَهُ النُّعْمَانُ يَوْمَ
بُؤْسِهِ : أَنْشِدْنِي . قَالَ : حَالُ الْجَرِيضِ دُونَ الْقَرِيضِ . قَالَ : أَنْشِدْنِي
قَوْلَكَ أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبٌ . فَقَالَ :

أَقْفَرُ مِنْ أَهْلِهِ عُيَيْدُ فَالْيَوْمَ لَا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ

فَبَلَغَتْ بِهِ حَالُ الْجَزَعِ إِلَى مِثْلِ هَذَا عَلَى أَنَّ فِي طَرَفَةِ
بَعْضِ الضَّرَاعَةِ

حَكَى عَلِيُّ بْنُ يَحْيَى قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ الْمُتَوَكِّلِ إِذْ آتَاهُ رَسُولُ
إِسْحَاقَ بْنِ إسماعِيلَ فَقَامَ عَلِيُّ بْنُ الْجَهْمِ يَخْطُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَيَقُولُ:
أَهْلًا وَسَهْلًا بِكَ مِنْ رَسُولٍ جِئْتَ بِمَا يَشْفِي مِنَ الْغَلِيلِ
رَأْسِ إِسْحَاقَ بْنِ إسماعِيلِ

فَقَالَ الْمُتَوَكِّلُ أَتَطْلُوْا هَذَا الْجَوْهَرَ لَا يَضِيعُ . وَاشْتَقَّاقُ الْبَدِيَّةِ
مِنْ بَدَءٍ بِمَعْنَى بَدَأَ أُبْدِلْتَ الْهَمْزَةُ هَاءٌ كَمَا أُبْدِلْتُ فِي أَشْيَاءَ
كَثِيرَةٍ لِقُرْبِهَا مِنْهَا . فَقَدْ قَالُوا: مَدَحَ وَمَدَّ وَلِهَذَا تَفَعَّلَ كَذَا
بِمَعْنَى لِأَنَّكَ وَمِثْلُ ذَلِكَ كَثِيرٌ . وَالْأَرْتِجَالُ مَاخُذٌ مِنَ السُّهُولَةِ
وَالْأَنْصِبَابِ . وَمِنْهُ قِيلَ: شَعَرَ الرَّجُلُ إِذَا كَانَ شَعْرُهُ سَبْطًا مُسْتَرَسِلًا
غَيْرَ حَصْدٍ . وَقِيلَ هُوَ مِنْ أَرْتِجَالِ الْبَيْرِ وَهُوَ أَنْ تَنْزِلَهَا بِرِجْلَيْكَ وَنَ
غَيْرِ حَبْلٍ

البحث الرابع عشر

في آداب الشاعر

(من كتاب العمدة لابن رشيقي)

مَنْ حَكَمَ الشَّاعِرُ أَنْ يَكُونَ حُلُوَ الشَّمَائِلِ حَسَنَ الْأَخْلَاقِ
طَلَّقَ الْوَجْهَ بَعِيدَ الْقَوَرِ مَأْمُونِ الْجَانِبِ سَهْلَ النَّاحِيَةِ وَطِيَّ
الْأَكْنَافِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يُحِبُّهُ إِلَى النَّاسِ وَيُزَيِّنُهُ فِي عُيُونِهِمْ وَيُثَرِّبُهُ

مِنْ قُلُوبِهِمْ وَلَيَكُنْ مَعَ ذَلِكَ شَرِيفَ النَّفْسِ لَطِيفَ الْحِسِّ عَرُوفَ
الْهَمَّةِ نَظِيفَ الْبُرْءِ أَيْفًا لَهَا بِهِ الْعَامَّةُ وَيَدْخُلُ فِي جُمْلَةِ الْخَاصَّةِ فَلَا
تَنْجُو أَبْصَارُهُمْ سَخَّحَ أَلْيَدَيْنِ وَإِلَّا فَهُوَ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي قَتَنِ:
وَأَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِاللُّومِ شَاعِرٌ يَلُومُ عَلَى الْجَلِّ الرِّجَالَ وَيَجْلُ
وَالِي هَذَا الْمَعْنَى ذَهَبَ الطَّائِيُّ بِقَوْلِهِ:

أَلُومٌ مَنْ بَجَلَتْ يَدَاهُ وَتَعَدَّى لِلْجَلِّ جَرِيًا سَاءَ ذَلِكَ صَنِيعًا
وَالشَّاعِرُ مَاخُذٌ بِكُلِّ عِلْمٍ مَطْلُوبٌ بِكُلِّ مَكْرَمَةٍ لَا تَسَاعُ
الشَّعْرُ وَاحْتِمَالُهُ كُلُّ مَا حُمِلَ مِنْ نَحْوِ وَلَعَةٍ وَفَقْهِ وَجَبَرٍ وَحِسَابِ
وَفَرِيضَةٍ وَاحْتِيَاجِ أَكْثَرِ هَذِهِ الْعُلُومِ إِلَى شَهَادَتِهِ وَهُوَ مُكَيِّفٌ
بِذَاتِهِ مُسْتَعْنٍ عَمَّا سِوَاهُ وَلِأَنَّهُ قَيْدُ الْأَخْبَارِ وَتَجْدِيدُ الْأَثَارِ وَصَاحِبُهُ
الَّذِي يَذُمُّ وَيُحْمَدُ وَيَهْجُو وَيَمْدَحُ وَيَعْرِفُ مَا يَأْتِي النَّاسُ مِنْ مُحَاسِنِ
الْأَشْيَاءِ وَمَا يَذَرُونَهُ فَهُوَ عَلَى نَفْسِهِ شَاهِدٌ وَبِحُجَّتِهِ مَاخُذٌ. وَلَيَأْخُذُ
نَفْسَهُ بِحِفْظِ الشَّعْرِ وَالْحَبْرِ وَمَعْرِقَةِ النَّسَبِ وَأَيَّامِ الْعَرَبِ يَسْتَعْمِلُ
ذَلِكَ فِيمَا يُرِيدُهُ مِنْ ذِكْرِ الْأَثَارِ وَضَرْبِ الْأَمْثَالِ لِيُعَاقَ نَفْسُهُ
بَعْضَ أَنْفَاسِهِمْ وَيَقْوَى بِقُوَّةِ طِبَاعِهِمْ. فَقَدْ وَجَدْنَا الشَّاعِرَ مِنْ
الْمَطْبُوعِينَ الْمُتَقَدِّمِينَ يَفْضُلُ أَصْحَابَهُ بِرَوَايَةِ الشَّعْرِ وَمَعْرِقَةِ الْأَخْبَارِ
وَالْتَّلَمِّدَةِ لِمَنْ فَوْقَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ فَيَقُولُونَ: فَلَانُ شَاعِرٌ رَاوِيَةٌ
يُرِيدُونَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ رَاوِيَةٌ عَرَفَ الْمَقَاصِدَ وَسَهَّلَ عَلَيْهِ مَاخُذُ
الْلَفْظِ وَلَمْ يَضِقْ بِهِ الْمَذْهَبُ وَإِذَا كَانَ مَطْبُوعًا لَا عِلْمَ لَهُ وَلَا رَاوِيَةً
ضَلَّ وَاهْتَدَى مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُ وَرُبَّمَا طَلَبَ الْمَعْنَى فَلَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ

وَهُوَ مَائِلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ لِضَعْفِ آلَتِهِ كَالْمُقْعَدِ يَجِدُ فِي نَفْسِهِ الْقُوَّةَ عَلَى
الْتِهْوِضِ فَلَا تُعِينُهُ آلَاةُ . وَقَدْ سُئِلَ رُؤْبَةُ بْنُ الْعَجَّاجِ عَنِ الْفَحْلِ
مِنَ الشُّعْرَاءِ . فَقَالَ : هُوَ الرَّاوِيَةُ يُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا رَوَى اسْتَحْلَ . قَالَ
يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ : وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَجْمَعُ إِلَى جَيْدِ شَعْرِهِ مَعْرِفَةَ
جَيْدِ غَيْرِهِ فَلَا يَحْمِلُ نَفْسَهُ إِلَّا عَلَى بَصِيرَةٍ . وَقَالَ رُؤْبَةُ فِي
صِفَةِ شَاعِرٍ :

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ تَكُونَ سَاحِرًا رِوَايَةً مُرًّا وَمُرًّا شَاعِرًا
وَأَسْتَظْلَمَ حَالَهُ حَتَّى قَرَنَهَا بِالسَّحْرِ . وَقَالَ الْأَضْمَعِيُّ : لَا يَصِيرُ
الشَّاعِرُ فِي قَوِيضِ الشَّعْرِ فَحْلًا حَتَّى يَرَوِيَ أَشْعَارَ الْعَرَبِ وَيَسْمَعَ
الْأَخْبَارَ وَيَعْرِفَ الْمَعَانِي وَتَدُورَ فِي مَسَامِعِهِ الْأَلْقَاظُ . وَأَوَّلُ ذَلِكَ
أَنْ يَعْرِفَ الْعُرُوضَ لِيَكُونَ مِيزَانًا عَلَى قَوْلِهِ وَالنَّحْوُ يُضْلِجُ بِهِ لِسَانَهُ
وَيُقِيمُ بِهِ إِعْرَابَهُ وَالنَّسَبَ وَأَيَّامَ النَّاسِ لِيَسْتَعِينُ بِذَلِكَ عَلَى مَعْرِفَةِ
الْمَنَاقِبِ وَالْمَثَالِبِ وَذِكْرِهِمَا بِمَنْحِ أَوْ ذَمِّ . وَقَدْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ
عَلَى فَضْلِهِ فِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يَرَوِي لِلْحُطَيْئَةِ كَثِيرًا وَكَانَ الْحُطَيْئَةُ
رَاوِيَةً زُهَيْرٍ وَكَانَ زُهَيْرٌ رَاوِيَةً أَوْسَ بْنَ حَجْرٍ وَطُفَيْلَ الْغَنَوِيِّ جَمِيعًا .
وَقَدْ تَرَلَّ أَنْشَى بَنِي قَيْسٍ بْنِ ثَعْلَبَةَ بَيْنَ يَدَيْ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي
يَسُوقُ عُكَاظَ وَأَنْشَدَهُ فَقَدَّمَهُ . وَأَنْشَدَهُ حَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ وَلَيْدُ
أَبْنِ رَبِيعَةَ فَمَا عَابَهُمْ ذَلِكَ وَلَا غَضَّ مِنْهُمْ . وَكَانَ كَثِيرٌ رَاوِيَةً
جَمِيلٍ مُفَضِّلًا لَهُ . وَكَانَ أَبُو حَيَّةَ التَّمَرِيُّ وَأَسْمُهُ أَهَيْمُ بْنُ الرَّبِيعِ
وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ شِعْرًا وَأَنْظَفِهِمْ كَلَامًا مُؤْتَمًا بِالْفَرَزْدَقِ

أَخِذًا عَنْهُ كَثِيرًا مُتَعَصِّبًا لَهُ . وَلَا يَسْتَعْنِي الْمَوْلِدُ عَنْ تَصْفَحِ أَشْعَارِ
الْمَوْلِدِينَ لِمَا فِيهَا مِنْ حَلَاوَةِ اللَّفْظِ وَقُرْبِ الْمَأْخِذِ وَإِشَارَاتِ الْمُلْحِ
وَوُجُوهِ الْبَدِيعِ الَّذِي مِثْلُهُ فِي شِعْرِ الْمُتَقَدِّمِينَ قَلِيلٌ وَإِنْ كَانُوا هُمْ
فَقَحُّوا بَابَهُ وَقَتَّقُوا جَلْبَابَهُ . وَلِلْمُتَعَقِّبِ زِيَادَاتٌ وَأَفْتِكَانٌ . لَا عَلَى أَنْ
تَكُونَ عُدَّةُ الشَّاعِرِ مُطَالَعَةً مَا ذَكَرْتُهُ آخِرَ كَلَامِي هَذَا دُونَ مَا
قَدَّمْتُهُ فَإِنَّهُ مَتَى فَعَلَ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ فِيهِ مِنْ أَلَمَّةٍ وَفَضْلٍ الْقُوَّةُ مَا
يَبْلُغُ بِهِ طَاقَةٌ مِنْ تَبَعٍ فَيْجَارِيهِ . وَإِذَا آعَاتُهُ قَصَاحَةُ الْمُتَقَدِّمِ وَحَلَاوَةُ
الْمُتَأَخِّرِ أَشَدَّ سَاعِدُهُ وَبَعْدَ مَرَامِهِ قَلَمٌ يَقَعُ دُونَ الْغُرُضِ وَسَعَى
أَنْ يَكُونَ أَوْثَقَ سَهَامًا وَآحَسَنَ مَوْقِعًا يَمُنُّ لَوْ عَوَّلَ عَلَيْهِ مِنْ
الْمُخَدِّثِينَ لَقَصَرَ عَنْهُ وَوَقَعَ دُونُهُ . وَلِيَجْعَلَ طَلَبَهُ أَوَّلًا لِلْسَّلَامَةِ فَإِذَا
صَحَّتْ لَهُ طَلَبَ التَّجْوِيدِ حِينَئِذٍ وَلَيَرْغَبْ فِي الْحَلَاوَةِ وَالطَّلَاوَةِ رَغْبَتَهُ
فِي الْجَرَالَةِ وَالْفَحَامَةِ . وَلِيَجْتَنِبِ السُّوقِيَّ الْقَرِيبَ وَالْوَحْشِيَّ الْقَرِيبَ
حَتَّى يَكُونَ شِعْرُهُ حَالًا بَيْنَ حَالَيْنِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

عَلَيْكَ بِأَوْسَاطِ الْأُمُورِ فَإِنَّهَا نَجَاةٌ وَلَا تَرْكَبْ ذُلُولًا وَلَا صُعْبًا
وَأَوَّلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ الشَّاعِرُ بَعْدَ الْحِدِّ الَّذِي هُوَ الْغَايَةُ وَفِيهِ
وَحْدَهُ الْكِفَايَةُ حُسْنُ التَّسَاوِي وَالسِّيَاسَةِ وَعِلْمُ مَقَاصِدِ الْقَوْلِ فَإِنْ
نَسَبَ ذَلَّ وَخَضَعَ وَإِنْ مَدَحَ أَطْرَبَ وَأَسْعَى وَإِنْ هَجَا أَقْلَّ
وَأَوْجَعَ وَلِتَكُنْ غَايَتُهُ مَعْرِفَةُ أَغْرَاضِ الْمُخَاطَبِ كَثَانًا مَنْ كَانَ
لِيَدْخُلَ إِلَيْهِ مِنْ بَابِهِ وَيَدْخُلَهُ فِي بَيْتِهِ فَذَلِكَ هُوَ سِرُّ صِنَاعَةِ
الشَّعْرِ وَمَغْزَاهُ الَّذِي تَفَاوَتْ النَّاسُ فِيهِ تَفَاضُلًا . وَقَدْ قِيلَ : لِكُلِّ

مَقَامٍ مَقَالٍ . وَشِعْرُ الشَّاعِرِ لِنَفْسِهِ وَفِي مُرَادِهِ وَأُمُورِ ذَاتِهِ مِنْ مَدْحٍ
وَعَزْلِ وَمُكَاتَبَةٍ وَمُجُونٍ وَخَوَرِيَّةٍ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ غَيْرُ شِعْرِهِ فِي
قَصَائِدِ الْخَلِّ أَلَّتِي يَقُومُ بِهَا بَيْنَ السِّمَاطَيْنِ . يُقْبَلُ مِنْهُ فِي تِلْكَ الطَّرِيقِ
غَفُورٌ كَلَامِهِ وَمَا لَا يَتَكَلَّفُ لَهُ وَلَا أَلْقَى بِهِ بَالًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهُ
فِي هَذِهِ إِلَّا مَا كَانَ مُحْكَمًا مُعَاوَدًا فِيهِ النَّظَرُ جَدًّا لَا غَثَ
فِيهِ وَلَا سَاقِطَ وَلَا قَلَقَ . وَشِعْرُهُ لِلْأَمِيرِ غَيْرُ شِعْرِهِ لِلْوَزِيرِ وَالْكَاتِبِ
وَالْمُخَاطَبَةِ لِلْقَضَاةِ وَالْفُقَهَاءِ . بِخِلَافِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ
وَالْمُتَأَخَّرُ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي الزَّمَانِ لَا يَضُرُّهُ تَأَخُّرُهُ إِذَا أَجَادَ
كَمَا لَا يَنْفَعُ الْمُتَقَدِّمُ تَقَدُّمُهُ إِذَا قَصَرَ وَإِنْ كَانَ لَهُ فَضْلُ السَّبْقِ
فَعَلَيْهِ دَرَكُ التَّقْصِيرِ كَمَا أَنَّ لِلْمُتَأَخَّرِ فَضْلَ الْإِجَادَةِ وَالزِّيَادَةِ . وَلَا
يَكُونُ الشَّاعِرُ حَاقِدًا مُجُودًا حَتَّى يَتَفَقَّدَ شِعْرَهُ وَيُعِيدَ فِيهِ نَظَرَهُ
فَيُسْقِطَ رَدِيَّهُ وَيُثَبِّتَ جَيِّدَهُ وَيَكُونُ بِالرَّكِيكِ مُطَرِّحًا لَهُ رَاغِبًا
عَنْهُ . فَإِنَّ بَيْتًا جَدًّا مَقَامَ أَلْفِ رَدِيٍّ . وَقَالَ أَمْرُوهُ الْقَلَسِ وَهُوَ
أَوَّلُ مَا زَعَمُوا أَنَّهُ اخْتِيرَ لَهُ وَعُلِمَ بِهِ أَنَّهُ أَفْضَلُ الشُّعْرَاءِ وَالْمُقَدَّمُ
عَلَيْهِمْ :

أَذُودُ الْقَوَائِي عَتِي ذِيَادَا ذِيَادَ غَلَامٍ جَرِيءُ جَرَادَا
فَلَمَّا كَثُرْنَ وَعَتَيْنَهُ تَخَيَّرَ مِنْهُنَّ سِتًّا حِيَادَا
فَاعْزَلُ مَرْجَانَهَا جَانِبًا وَأَخْذُ مِنْ دُرِّهَا الْمُسْتَجَادَا
وَيُقَالُ إِنَّ أَبَا نُوَّاسٍ كَانَ يَفْعَلُ هَذَا الْفِعْلَ وَيُبْقِي الْيَعْدَ
وَيَلْتَمِسُ لَهُ مِنَ الْكَلَامِ مَا سَهْلَ وَمِنْ أَلْفَنَى مَا كَانَ وَاحِدًا جَلِيًّا

يُعرفُ بدياً. فَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْمُتَقَدِّمِينَ: شَرُّ الشِّعْرِ مَا سُئِلَ عَنْهُ.
وَكَانَ الْخَطِيئَةُ يَقُولُ: خَيْرُ الشِّعْرِ الْخَوَلِيُّ الْحَكَّاءُ. أَخَذَ فِي ذَلِكَ
بِمَذْهَبِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سَلَمَى وَأَوْسٍ وَطَقِيلٍ. وَلَا يَجُوزُ لِلشَّاعِرِ
كَمَا لَا يَجُوزُ لِغَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ مُعْجَبًا بِنَفْسِهِ مُثْنِيًا عَلَى شِعْرِهِ وَإِنَّ
فَضِيحَةَ ظَاهِرَةً كَانَتْ غَنِيًّا عَنْهَا. وَكَانَ فِي الْبُحْرِيِّ إِعْجَابٌ شَدِيدٌ إِذَا
أَنشَدَ يَقُولُ: مَا لَكُمْ لَا تَعْجَبُونَ مَا أَحْسَنَ مَا تَسْمَعُونَ. فَالْأَنشَدَ
الْمُتَوَكِّلُ يَوْمَ مَا قَصِيدَتُهُ:

عَنْ أَبِي تَغْرِ تَبْتَسِمُ وَبَايَ طَرْفٍ تَحْتَكِمُ
وَأَبُو الْعَبَّاسِ الصَّيْرِيُّ حَاضِرٌ فَلَمَّا رَأَى إِعْجَابَهُ قَامَ حِذَاءَهُ
وَقَالَ:

مَنْ أَبِي سَلْعٍ تَلْتَقِمُ وَبَايَ كَفٍ تَلْتَطِمُ
قَوْلٌ وَهُوَ غَضَبَانُ. فَقَالَ: وَعَلِمْتُ أَنَّكَ تَهْتِمُ. فَصَحَّكَ
الْمُتَوَكِّلُ حَتَّى فَحَصَ بِرِجْلَيْهِ وَأَعْطَى الصَّيْرِيَّ جَاِزَةً سَنِيَّةً

البحث الخامس عشر

في عمل الشعر وشعر القريحة

(من كتاب العمدة)

لَا بُدَّ لِلشَّاعِرِ وَإِنْ كَانَ فَحْلاً حَازِقاً مُبَرِّزاً مُقَدِّمًا مِنْ قَتَرَةٍ
تَعْرِضُ لَهُ فِي بَعْضِ الْأَوْقَاتِ إِمَّا لِشُغْلٍ طَرَأَ أَوْ مَوْتِ قَرِيحَةٍ أَوْ
نُبُوِّ طَبْعٍ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ أَوْ ذَلِكَ الْخَيْنِ. وَقَدْ كَانَ الْفَرَزْدَقُ

وَهُوَ فُحْلٌ مُضَرٌّ فِي زَمَانِهِ يَقُولُ : تَمُرُّ عَلَيَّ السَّاعَةُ وَقَلْعُ ضَرْسٍ مِنْ
أَضْرَاسِي أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ عَمَلِ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ فَإِذَا تَمَادَى ذَلِكَ
عَلَى الشَّاعِرِ قِيلَ : قَدْ أَصْفَى كَمَا يُقَالُ أَصْفَتِ الدَّجَاجَةُ إِذَا
أَنْقَطَعَ يَبُضُّهَا وَكَذَلِكَ يُقَالُ لَهُ أَجْبَلَ كَمَا يُقَالُ لِجَافِرِ السَّيْرِ
إِذَا بَلَغَ جَبَلًا تَحْتَ الْأَرْضِ لَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْءٌ أَجْبَلَ . وَأُفْحِمَ
الشَّاعِرَ عَلَى أَفْعَلٍ وَقَالُوا : هُوَ مِنْ فَحِمَ الصَّبِي إِذَا أَنْقَطَعَ صَوْتُهُ مِنْ
شِدَّةِ الْبُكَاءِ . فَإِنْ سَاءَ لَفْظُهُ وَقَسَدَتْ مَعَانِيهِ قِيلَ لَهُ أَهْتَرَ فَهُوَ
مُهْتَرٌ . وَقَدْ قِيلَ فِي الذُّبْيَانِيِّ إِنَّهُ كَانَ شِعْرُهُ نَظِيفًا مِنَ الْعُيُوبِ
لِأَنَّهُ قَالَهُ كَثِيرًا وَمَاتَ عَنْ قُرْبٍ وَلَمْ يَهْتَرْ وَأَكْثَرُ مَا جَاءَ الْإِهْتَارُ
فِي صِفَةِ الْكَبِيرِ الَّذِي يَخْتَلِطُ كَلَامُهُ . وَقَوْلُهُمْ فِي شِعْرِ النَّابِغَةِ
إِنَّهُ قَالَ كَثِيرًا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَهَذَا يُسَمَّى نَابِغَةً كَمَا عِنْدَ أَكْثَرِ
النَّاسِ لَا لِقَوْلِهِ : « فَقَدْ نَبَغْتَ لَنَا مِنْهُمْ شُؤْنٌ » كَمَا تَقَدَّمَ مِنْ
قَوْلِ بَعْضِهِمْ . وَيُقَالُ أَخْلَى الشَّاعِرُ كَمَا يُقَالُ أَخْلَى الرَّامِي إِذَا
لَمْ يُصِبْ مَعْنَى

وَيُحْكَى عَنِ الْجُبْتَرِيِّ أَنَّهُ قَالَ : فَأَوَضْتُ عَلِيَّ بْنَ الْحَجَّاجِيِّ فِي
الشَّعْرِ وَذَكَرَ أَشْجَعَ السَّلَمِيِّ فَقَالَ : أَنَّهُ يُحْلِي . فَلَمْ أَفْهَمْهَا وَأَنْفَتُ
أَنْ أَسْأَلَهُ عَنْهَا . فَلَمَّا أَنْصَرَفْتُ فَصَكَّرْتُ فِيهَا وَنَظَرْتُ فِي شِعْرِ
أَشْجَعَ فَإِذَا هُوَ رُبَّمَا مَرَّتْ بِهِ الْأَيَّاتُ مَعْسُولَةً لَيْسَ فِيهَا بَيْتٌ
رَافِعٌ

ثُمَّ إِنَّ لِلنَّاسِ فِيهَا بَعْدُ ضُرُوبًا مُخْتَلِفَةً يَسْتَدْعُونَ بِهَا الشَّعْرَ

فَتَسَحَّدُ الْقَرَائِمَ وَتُنَبِّهُ الْخَوَاطِرَ وَتُلِينُ عَرِيكَةَ الْكَلَامِ وَتُسَهِّلُ
طَرِيقَ الْغَنَى لِكُلِّ أَمْرٍ بِحَسَبِ تَذْيِيرِ طَبْعِهِ وَأَطْرَادِ عَادَتِهِ .
وَسَيَأْتِي ذَلِكَ فِي أَقَاوِيلِ الْعُلَمَاءِ بِمَا أَرْجُو أَنْ يَكُونَ فِيهِ هِدَايَةٌ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

قَالَ بَكْرُ بْنُ الْأَنْطَاحِ الْحَنْفِيُّ: الشِّعْرُ مِثْلُ عَيْنِ الْمَاءِ إِنْ تَرَكَتَهَا
نَضَبَتْ وَإِنْ اسْتَهْتَتَهَا هَتَّتْ . وَلَيْسَ مُرَادُ بَكْرٍ أَنْ تُسَهِّلَ بِالْعَمَلِ
وَحَدَهُ لِأَنَّا نَحُدُّ الشَّاعِرَ تَكِلُ قَرِيحَتُهُ مَعَ كَثْرَةِ الْعَمَلِ مِرَادًا وَتَنْزِفَ
مَادَّتُهُ وَتَقْدُ مَعَانِيهِ فَإِذَا جَمَّ طَبْعُهُ أَيَّامًا وَرَبَّمَا زَمَانًا طَوِيلًا ثُمَّ
صَنَعَ الشِّعْرَ جَاءَ بِكُلِّ آيَةٍ وَأَتَمَّ بِكُلِّ قَافِيَةٍ شَارِدَةً وَفَجَّ لَهُ
مِنَ الْمَعَانِي وَالْأَلْفَافِ مَا لَوْ رَامَهُ مِنْ قَبْلِ لَأَسْتَغْلِقَ عَلَيْهِ وَأُبْهِمَ
دُونَهُ . لَكِنْ بِالْمُذَاكِرَةِ مَرَّةً فَإِنَّهَا تَقْدَحُ زِنَادَ الْخَاطِرِ وَتَفْجُرُ عُيُونََ
الْمَعَانِي وَتُوقِظُ أَبْصَارَ الْفِتَنِ وَبُطَالَةِ الْأَشْعَارِ كَرَّةً فَإِنَّهَا تَبْعَثُ
الْجَسَدَ وَتُولِدُ الشَّهْوَةَ . وَسُئِلَ ذُو الرُّمَّةِ كَيْفَ تَفْعَلُ إِذَا أَنْقَقَلَ
دُونَكَ الشِّعْرَ . فَقَالَ: كَيْفَ يَنْقَلُ دُونِي وَعِنْدِي مَفَاتِحُهُ . قِيلَ لَهُ:
وَعَنْهُ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ . قَالَ: الْخُلُوءُ بِذِكْرِ الْأَحْبَابِ وَلَعْمَرِي إِنَّهُ إِذَا
انْقَمَحَ لِلشَّاعِرِ نَسِيبُ الْفَصِيدَةِ فَقَدْ وَلَجَ مِنَ الْبَابِ وَحَطَّ رِجْلُهُ فِي
الرِّكَابِ عَلَى أَنَّ ذَا الرُّمَّةِ لَمْ يَكُنْ كَسِيرِ الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ وَإِنَّمَا
كَانَ وَاصِفَ أَطْلَالٍ وَنَادِبَ أَظْلَانٍ وَهُوَ الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ طَبَقَةِ
الْفُحُولِ . وَقِيلَ لِكَثِيرٍ كَيْفَ تَصْنَعُ الشِّعْرَ إِذَا عَسَرَ عَلَيْكَ . قَالَ:
أَطُوفُ فِي الرِّيَاضِ الْمُشَبَّعَةِ فَيَسْهَلُ عَلَيَّ صَعْبُهُ وَيُسْرِعُ إِلَيَّ

أَحْسَنُهُ . وَقَالَ الْأَضْمِيُّ : مَا أَسْتُدْعِي شَارِدُ الشِّعْرِ بِشَلِّ الْمَاءِ
الْجَارِي وَالشَّرَفِ الْعَالِي وَالْمَكَانِ الْخَالِي . وَقِيلَ الْخَالِي يَعْنِي الرُّوضَ
وَحَدَّثَنَا بَعْضُ أَصْحَابِنَا مِنْ أَهْلِ الْمَهْدِيَةِ وَقَدْ مَرَرْنَا بِمَوْضِعٍ
بِهَا يُعْرَفُ بِالْكِنْدِيَةِ وَهُوَ أَثَرُهَا أَرْضًا وَهَوَاءً . قَالَ : حِثُّ هَذَا
الْمَوْضِعِ مَرَّةً فَإِذَا عَبْدُ الْكَرِيمِ عَلَى سَطْحٍ هُنَالِكَ قَدْ كَشَفَ الدُّنْيَا .
فَقُلْتُ : أَبَا مُحَمَّدٍ . قَالَ : نَعَمْ . فَقُلْتُ : مَا تَصْنَعُ هَاهُنَا . قَالَ : الْقَحْ
خَاطِرِي وَاجْلُو نَاطِرِي قُلْتُ : فَهَلْ نَتَجَّ لَكَ شَيْءٌ . قَالَ : مَا تَقَرُّ بِهِ
عَيْنِي وَعَيْنُكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَنْشَدَ شِعْرًا يَدْخُلُ مَسَامَ الْقُلُوبِ
رَقَّةً . قُلْتُ : هَذَا اخْتِيارٌ مِنْكَ اخْتَرَعْتَهُ . قَالَ : بَلْ يَرَأِي
الْأَضْمِيُّ

وَقَالُوا كَانَ جَرِيرٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُؤَيِّدَ قَصِيدَةً صَنَعَهَا أَيْلًا يُشْعِلُ
سَرَاجًا وَيَعْتَرِلُ أَهْلَهُ وَرُبَّمَا عَلَا السَّطْحَ وَحَدَّهُ وَغَطَّى رَأْسَهُ رَغْبَةً فِي
الْخُلُوةِ فِي نَفْسِهِ . فَحُكِيَ أَنَّهُ صَنَعَ ذَلِكَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي أَخْرَجَ
بِهَا بَنِي عُثَيْمٍ

وَرَوِيَ أَنَّ الْقُرَزْدَقَ كَانَ إِذَا عَصَتْ عَلَيْهِ صَنْعَةُ الشِّعْرِ رَكِبَ
نَاقَةً وَطَافَ وَحَدَّهُ مُنْفِرِدًا فِي شِعَابِ الْجِبَالِ وَبُطُونِ الْأَوْدِيَةِ
وَالْأَمَاكِنِ الْخَالِيَةِ فَيُعْطِيهِ الْكَلَامُ قِيَادَهُ . حُكِيَ ذَلِكَ فِي قَصِيدَتِهِ
الْقَائِيَةِ :

عُرِفْتُ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتُ تُعْرِفُ
وَذُكِّرَ أَنَّ فُتًى مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَخَّرَ بِأَنْبِيَاءِ حَسَّانَ بْنِ

ثَابِتٍ :

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْغُرُ يَلْمَعْنَ فِي الصُّحَى

وَأَسْيَافُنَا يَفْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا
وَأَنْظَرُهُ سَنَةً فَمَضَى حَقِيقًا وَطَالَتْ لَبْلُتُهُ لَمْ يَضَعْ شَيْئًا فَلَمَّا كَانَ
قُرْبَ الصَّبَاحِ أَتَى جَبَلًا بِالْمَدِينَةِ يُقَالُ لَهُ ذُبَابُ فَنَادَى : أَخَاكُمْ
أَخَاكُمْ يَا بَنِي لَبِينَا صَاحِبَكُمْ صَاحِبَكُمْ صَاحِبَكُمْ وَتَوَسَّدَ ذِرَاعَ
نَاقَتِهِ فَأَثَلَتْ عَلَيْهِ الْقَوَارِي وَجَاءَ بِالْقَصِيدَةِ بُكْرَةً وَقَدْ انْجَزَتْ
الشُّعْرَاءُ وَبَهَرْتُهُمْ طَوْلًا وَجُودَةً

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : وَلِلشُّعْرِ أَوْقَاتٌ تُسْرَعُ فِيهَا قَوَافِيهِ مِنْهَا أَوَّلُ
الَلَّيْلِ قَبْلَ تَغَيُّبِ الْكَرَى وَمِنْهَا صَدْرُ اللَّيْلِ وَقَبْلَ الْغَدَا وَمِنْهَا
يَوْمُ شُرْبِ الدَّوَاءِ وَمِنْهَا الْخُلُوءُ فِي الْجُلُوسِ . فَلِهَذَا الْأَسْبَابِ
تَخْتَلِفُ أَشْعَارُ الشَّاعِرِ وَرَسَائِلُ الْمُرْسَلِ . وَحُكِيَ عَنْ أَبِي تَمَّامٍ
وَقَدْ سَأَلَهُ الْجُبَّارِيُّ عَنْ أَوْقَاتِ صَنَعَةِ الشُّعْرِ فَقَالَ قَرِيبًا مِنْ هَذَا
لَا أَحْفَظُهُ وَلَا أَشْكُ أَنَّ ابْنَ قُتَيْبَةَ بِهِ اقْتَدَى وَإِنْ كَانَ مِمَّا
رَوَاهُ

وَمِمَّا يَجْمَعُ الْفِكْرَةَ فِي طَرِيقِ الْفَلَسَفَةِ اسْتِغْلَاءُ الْمَرْءِ عَلَى ظَهْرِهِ
وَعَلَى كُلِّ حَالٍ قَلْبٌ يَفْتَحُ مُقْعَلِ الْخَوَاطِرِ بِمِثْلِ مُبَاكَرَةِ الْعَمَلِ
بِالْأَسْحَارِ عِنْدَ الْمُبُوبِ مِنَ النَّوْمِ يَكُونُ النَّفْسُ مُجْتَمِعَةً لَمْ يَتَفَرَّقْ
جِسْمُهَا فِي أَسْبَابِ اللَّهِوِ أَوْ الْمَعِيشَةِ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَإِذَا هِيَ مُسْتَرِيحَةٌ
جَدِيدَةٌ كَأَنَّمَا نَشَأَتْ نَشَاةً أُخْرَى وَلِأَنَّ السَّحَرَ الطَّيِّفَ هَوَاءٌ وَارَقُ
نَسِيمًا وَاعْدَلُ مِيزَانًا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَإِنْ لَمْ يَكُنِ الْعَشِيُّ كَالسَّحَرِ

وَهُوَ عَدِيلُهُ فِي التَّوَسُّطِ بَيْنَ طَرَفِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لِدُخُولِ الظُّلْمَةِ
فِيهِ عَلَى الصِّيَاءِ بَعْدَ دُخُولِ الصِّيَاءِ بِالسَّحْرِ عَلَى الظُّلْمَةِ وَلِأَنَّ النَّفْسَ
فِيهِ كَالِئِ مَرِيضَةٍ مِنْ تَعَبِ النَّهَارِ وَتَصَرُّفِهَا مُحْتَاجَةً إِلَى قُوَّتِهَا مِنْ
النَّوْمِ وَمُتَشَوِّقَةً لِنَحْوِهِ فَالسَّحْرُ أَحْسَنُ لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَضَعَ . فَأَمَّا لِمَنْ
أَرَادَ الْحِفْظَ وَالِدِّرَاسَةَ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ فَاللَّيْلِ . قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَهُوَ
أَمْدَقُ الْقَائِلِينَ : إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْأً وَأَقْوَمُ قِيلاً . وَهَذَا
الْكَلَامُ لَا مَطْمَئِنَ فِيهِ وَلَا اعْتِرَاضَ عَلَيْهِ . وَكَانَ أَبُو تَمَّامٍ يُكْرَهُ
نَفْسَهُ عَلَى الْعَمَلِ حَتَّى يَظْهَرَ ذَلِكَ فِي شِعْرِهِ . حَكَى ذَلِكَ عَنْهُ بَعْضُ
أَصْحَابِهِ قَالَ : اسْتَأْذَنْتُ عَلَيْهِ وَكَانَ لَا يَسْتَتِرُ عَنِّي فَأَذِنَ لِي
فَدَخَلْتُ فَإِذَا هُوَ فِي بَيْتٍ مُصْهَجٍ . قَدْ غُسِلَ بِالْمَاءِ يَتَقَلَّبُ مِثْلًا
وَشِمَالًا فَقُلْتُ : لَقَدْ بَلَغَ بِكَ الْحَرُّ مَبْلَغًا شَدِيدًا . قَالَ : لَا وَلَكِنْ غِزْدُهُ .
فَمَكَثَ سَاعَةً ثُمَّ قَامَ كَأَنَّمَا أُطْلِقَ مِنْ عِقَالٍ فَقَالَ : الْآنَ الْآنَ
أَرَدْتُ . ثُمَّ اسْتَمَدَّ وَكَتَبَ شَيْئًا لَا أَعْرِفُهُ ثُمَّ قَالَ : أَتَذَرِي مَا
كُنْتُ فِيهِ مُنْذُ الْآنَ . قُلْتُ : كَلَّا . قَالَ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ :

« كَالدَّهْرِ فِيهِ شِرَاسَةٌ وَلَيَانَ » زَاوَلْتُهُ حَتَّى أَمَكَّنَ اللَّهُ مِنْهُ

فَعَمِلْتُ :

شَرِسْتُ بَلْ لَيْتَ بَلْ فَأَنْتَ ذَلِكَ نَدَى

فَأَنْتَ لَا شَكَّ فِيهِ السَّهْلُ وَالْجَبَلُ

وَلَعَمْرِي لَوْ سَكَتَ هَذَا الْخَاكِي لَتَمَّ هَذَا الْبَيْتُ بِمَا كَانَ

دَاخِلَ الْبَيْتِ لِأَنَّ الْكُلْفَةَ فِيهِ ظَاهِرَةٌ وَالتَّعَمُّلُ بَيِّنٌ . عَلَى أَنَّ مِثْلَ

حِكَايَةِ أَبِي تَمَّامٍ وَأَشَدَّ مِنْهَا وَقَعَتْ لَنَا لَا يُتُّهُمُ وَهُوَ جَرِيرٌ. صَنَعَ
الْفَرَزْدَقُ شِعْرًا يَقُولُ فِيهِ:

فَقُلْتُ أَنَا الْمَوْتُ الَّذِي هُوَ ذَاهِبٌ

بِنَفْسِكَ فَانْظُرْ كَيْفَ أَنْتَ مُحَاوِلُهُ

وَحَافٍ بِالطَّلَاقِ أَنَّ جَرِيرًا لَا يَغْلِبُهُ فِيهِ فَكَانَ جَرِيرٌ يَتَمَرَّغُ

فِي الرِّمَضَاءِ وَيَقُولُ: أَنَا أَبُو حَرْزَةَ حَتَّى قَالَ مِنْ آيَاتِهِ لَهُ
مَشْهُورَةٌ:

أَنَا الدَّهْرُ يُفْنِي الْمَوْتَ وَالِدَهُرُ خَالِدٌ

فَحِينِي مِثْلُ الدَّهْرِ شَيْنًا يُطَاوِلُهُ

وَكَانَ أَبُو تَمَّامٍ يَنْصِبُ الْقَافِيَةَ لِلْبَيْتِ لِيُعْلَقَ الْأَعْجَازُ بِالصُّدُورِ

وَذَلِكَ هُوَ التَّضْدِيرُ فِي الشَّعْرِ وَلَا يَأْتِي بِهِ كَثِيرًا إِلَّا شَاعِرٌ مُتَصَنِّعٌ

كَحَيْبٍ وَنُظْرَانِهِ وَالصَّوَابُ أَنْ لَا يَضَعَنَّ الشَّاعِرُ بَيِّنَاتٍ لَا يَعْرِفُ قَافِيَتَهُ

غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ ذَلِكَ فِي طَبْعِي وَلَا أَقْدِرُ عَلَيْهِ الْبَيِّنَةَ بَلْ أَضَعُ

الْقَسِيمَ الْأَوَّلَ عَلَى مَا أُرِيدُهُ ثُمَّ أَلْتَمِسُ فِي نَفْسِي مَا يَأْتِي بِهِ

مِنَ الْقَوَائِي بَعْدَ ذَلِكَ فَابْنِي عَلَيْهِ الْقَسِيمَ الثَّانِي أَعْمَلُ ذَلِكَ فِيهِ

كَمَا يَفْعَلُ مَنْ يَبْنِي الْبَيْتَ سَكَّهُ عَلَى الْقَافِيَةِ وَلَمْ أَرِ ذَلِكَ يَجْعَلُ عَلَيَّ

وَلَا يُزِيحُنِي عَنْ مُرَادِي وَلَا يُعَيِّرُنِي عَلَيَّ شَيْئًا مِنْ لَفْظِ الْقَسِيمِ الْأَوَّلِ

إِلَّا فِي التَّنْدَرَةِ الَّتِي لَا يُعْتَدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِ التَّنْقِيجِ الْمَفْرُطِ

وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَسْبِقُ إِلَيْهِ بَيْتٌ وَاثْنَانِ وَخَاطِرُهُ فِي

غَيْرِهِمَا يَحِبُّ أَنْ يَكُونَ بَعْدَ ذَلِكَ بِآيَاتٍ وَذَلِكَ لِقُوَّةِ طَبْعِهِ وَأَنْبِعَاطِ

خَاطِرِهِ . وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْصِبُ قَافِيَةً بِعَيْنِهَا لِلْبَيْتِ بِعَيْنِهِ مِنَ الشِّعْرِ
مِثْلَ أَنْ تَكُونَ ثَالِثَةً أَوْ رَابِعَةً أَوْ تَحْوِ ذَٰلِكَ لَا يَعْدُو بِهَا ذَٰلِكَ
الْمَوْضِعَ إِلَّا اتَّحَلَ عَلَيْهِ نَظْمُ آيَاتِهِ وَذَٰلِكَ عَيٌّْ فِي الصَّنْعَةِ شَدِيدٌ
وَنَقْصٌ بَيِّنٌ لِأَنَّ الشَّاعِرَ يَصِيرُ مُحْضُورًا عَلَى شَيْءٍ وَاحِدٍ بِعَيْنِهِ مُضَيَّقًا
عَلَيْهِ وَدَاخِلًا تَحْتَ حُكْمِ الْقَافِيَةِ . وَكَانُوا يَقُولُونَ لِيَكُنِ الشِّعْرُ
تَحْتَ حُكْمِكَ وَلَا تَكُنْ تَحْتَ حُكْمِهِ

وَمِنْهُمْ مَنْ إِذَا أَخَذَ فِي صَنْعَةِ الشِّعْرِ جَمَعَ مِنَ الْقَوَائِي مَا
يَضِلُّ لِذَٰلِكَ الْوَزْنِ الَّذِي هُوَ فِيهِ . ثُمَّ أَخَذَ مُسْتَعْمِلَهَا وَشَرِيفَهَا وَمَا
سَاعَدَ عَايَتَهُ وَوَافَقَهَا وَأَطْرَحَ مَا سِوَى ذَٰلِكَ إِلَّا أَنَّهُ لَا بُدَّ أَنْ
يَجْمَعَهَا لِيُكَرَّرَ فِيهَا نَظَرُهُ وَيُعِيدَ عَلَيْهَا التَّخَيُّرَ فِي حِينِ الْعَمَلِ .
هَذَا الَّذِي عَلَيْهِ حَدَاقُ الْقَوْمِ .

وَمِنَ الشُّعْرَاءِ مَنْ إِذَا جَاءَهُ الْبَيْتُ عَفْوًا انْتَبَهَ ثُمَّ رَاجَعَ فِيهِ
فَتَحَقَّقَهُ وَعَمَّقَهُ مِنْ كَدَرِهِ وَذَٰلِكَ أَسْرَعُ وَأَخْفُ عَلَيْهِ وَأَصَحُّ لِنَظَرِهِ
وَأَخْفُ لِإِلَالِهِ . وَآخِرُ لَا يُثَبِّتُهُ إِلَّا بَعْدَ إِحْكَامِهِ فِي نَفْسِهِ وَتَثْقِيفِهِ
مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ وَذَٰلِكَ أَشْرَفُ لِلْهَمَّةِ وَأَدْلُ عَلَى الْقَدْرِ وَأَظْهَرُ
لِلْكَلْفَةِ وَأَبْعَدُ مِنَ السَّرِقَةِ . وَسَأَلْتُ شَيْخًا مِنْ شُيُخِ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ
فَقُلْتُ : مَا يُعِينُ عَلَى الشِّعْرِ . فَقَالَ : زَهْرَةُ الْبُسْتَانِ وَرَاحَةُ الْحَمَامِ .
وَقِيلَ : إِنَّ الطَّعَامَ الطَّيِّبَ وَالشَّرَابَ الطَّيِّبَ وَسَمَاعَ الْغِنَاءِ يَرْوِقُ
الطَّبْعَ وَيُصْفِي الْمَزَاجَ وَيُعِينُ عَلَى الشِّعْرِ . وَلَمَّا أَرَادَتْ قُرَيْشُ
مُعَارَضَةَ الْقُرْآنِ عَكَفَ فَصَحَّائِهِمُ الَّذِينَ تَعَاطَوْا ذَٰلِكَ عَلَى لُبَابِ

أَلْبَرِ وَسَلَافِ الْخَمْرِ وَلَحْمِ الضَّانِ وَالْخَلْوَةِ إِلَى أَنْ بَلَّغُوا مَجْهُودَهُمْ .
فَلَمَّا سَمِعُوا قَوْلَ الْقُرْآنِ : وَقِيلَ يَا أَرْضُ أَبْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ
أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ . يَنْسُوا يَمَّا طَمِعُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّهُ لَيْسَ بِكَلَامٍ مَخْلُوقٍ .
وَقِيلَ : مَقْشُودُ الشَّيْءِ الْعِتَابُ . وَذُكِرَ عَنْ أَبِي الطَّيِّبِ أَنَّ مَشْرِقًا
تَشَرَّفَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَضَعُ قَصِيدَتَهُ أَتَيْ يَقُولُ فِي أَوَّلِهَا « جَلَّا كَمَا
بِي فَلَيْكَ التَّبَرُّجُ » وَهُوَ يَتَغَنَّى وَيَضَعُ فَإِذَا تَوَقَّفَ بَعْضُ التَّوَقُّفِ
رَجَعَ بِالْإِنْشَادِ مِنْ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ إِلَى حَيْثُ أَنْتَهَى مِنْهَا . وَقَالُوا :
الْحِيلَةُ لِكَلَالِ الْقَرِيحَةِ أَنْتَظَارُ الْحَمَامِ . وَهَذَا عِنْدِي أَنْجَعُ الْأَقْوَالِ
وَبِهِ أَقُولُ وَإِلَيْهِ أَذْهَبُ . وَقَالَ بَكْرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْأَزْهَرِيُّ : لَا
تَكْذِبُوا الْقُلُوبَ وَلَا تُشَاهِوْهَا وَخَيْرُ الْفِكْرِ مَا كَانَ عَنْ عَقِبِ الْحَمَامِ
وَأَسْتَحْذُوا الْقُلُوبَ بِالْمُذَاكَرَةِ وَلَا تَيَاسُوا مِنْ إِصَابَةِ الْحِكْمَةِ إِذَا
أَمْتَحَنْتُمْ بَعْضَ الْأَسْتِغْلَاقِ فَإِنَّ مَنْ أَدَمَنْ قَرَعَ الْبَابَ وَصَلَ .
وَقَالَ الْخَلِيعُ : مَنْ لَمْ يَأْتِ شَعْرُهُ مَعَ الْوَحْدَةِ فَلَيْسَ بِشَاعِرٍ .
وَقَالُوا يُرِيدُ الْحَاوَةَ وَرُبَّمَا أَرَادَ الْغُرْبَةَ كَمَا قَالَ دِيكَ الْجَزْ : مَا
أَصْفَى شَاعِرٌ مُغْتَرِبٌ قَطُّ

وَمَا لَا يَسَعُ تَرْكُهُ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ صَحِيفَةٌ كَتَبَهَا بَشَرُ بْنُ
الْمُتَسَبِّرِ ذَكَرَ فِيهَا الْبَلَاغَةَ وَدَلَّ عَلَى مَظَانِ الْكَلَامِ وَالْفَصَاحَةِ يَقُولُ
فِيهَا : خُذْ مِنْ نَفْسِكَ سَاعَةً فَرَانِكَ وَفَرَاغَ بَالِكَ وَاجَابَتَهَا إِيَّاكَ فَإِنَّ
قَلِيلَ تِلْكَ السَّاعَةِ أَكْرَمُ جَوْهَرًا وَأَشْرَفُ جِنْسًا وَأَحْسَنُ فِي الْأَسْمَاعِ

وَأَخْلَى فِي الصُّدُورِ وَأَسْلَمَ مِنْ فَاحِشِ الْخَطَا وَآخَلَبُ لِكُلِّ
عَيْنٍ وَغَرَّةٍ مِنْ لَفْظٍ شَرِيفٍ وَمَعْنَى بَدِيعٍ

وَأَعْلَمَ أَنَّ ذَلِكَ أَجْدَى عَلَيْكَ مِمَّا يُعْطِيكَ يَوْمَكَ الْأَظُولُ
بِالْكَدِّ وَالْجَاهِدَةِ وَبِالتَّكْلُفِ وَالْمُعَانَدَةِ وَمَهْمَا أَخْطَاكَ لَمْ يُخْطِئَكَ
أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا قَصْدًا أَوْ حَقِيقَةً عَلَى اللِّسَانِ سَهْلًا كَمَا خَرَجَ مِنْ
يَتَّبِعُهُ وَتَجَمَّ عَنْ مَعْدِنِهِ وَإِيَّاكَ وَالتَّوَعُّرَ فَإِنَّ التَّوَعُّرَ يُسَلِّمُكَ إِلَى
التَّعْقِيدِ وَالتَّعْقِيدُ هُوَ الَّذِي يَسْتَهْلِكُ مَعَانِيكَ وَيَشِينُ الْقَاطِكَ . وَمَنْ
أَرَاغَ مَعْنَى كَرِيمًا فَلْيَلْتَمِسْ لَفْظًا كَرِيمًا فَإِنَّ حَقَّ الْمَعْنَى الشَّرِيفِ
الْلَفْظُ الشَّرِيفُ وَمِنْ حَقِّهِمَا أَنْ يَصُونَهُمَا عَمَّا يَفْسِدُهُمَا وَيُهْجِنُهُمَا
وَعَمَّا يَفُودُ مِنْ أَجْلِهِ أَسْوَأَ حَالًا مِنْكَ قَبْلَ أَنْ يَلْتَمِسَ إِظْهَارَهُمَا
وَتَرْهَنْ نَفْسَكَ فِي مُلَابَسَتِهِمَا وَقَضَاءِ حَقِّهِمَا وَكُنْ فِي إِحْدَى ثَلَاثِ
مَنَازِلَ فَإِنَّ أَوَّلَ الثَّلَاثِ أَنْ يَكُونَ لَفْظُكَ رَشِيقًا عَذْبًا أَوْ نَحْمًا
سَهْلًا وَيَكُونَ مَعْنَاكَ ظَاهِرًا مَكْشُوفًا وَقَرِيبًا مَعْرُوفًا . إِمَّا عِنْدَ
الْخَاصَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْخَاصَّةِ قَصَدْتَ . أَوْ لِلْعَامَّةِ إِنْ كُنْتَ لِلْعَامَّةِ
قَصَدْتَ وَالْمَعْنَى لَيْسَ يَشْرَفُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْخَاصَّةِ
فَكَذَلِكَ لَيْسَ يَتَّصِفُ بِأَنْ يَكُونَ مِنْ مَعَانِي الْعَامَّةِ وَإِنَّمَا مَدَارُ
الشَّرَفِ مَعَ الصَّوَابِ وَإِخْرَازِ الْمُنْفَعَةِ وَمَعَ مُوَافَقَةِ الْحَالِ وَمَعَ
مَا يَجِبُ لِكُلِّ مَقَامٍ مِنَ الْقَالَ . وَكَذَلِكَ الْلَفْظُ الْعَامِّيُّ وَالْخَاصِّيُّ
فَإِنْ أَمَكَّكَ أَنْ تَبْلُغَ مِنْ بَيَانِ لِسَانِكَ وَبَلَاغَةِ قَلَمِكَ وَلُطْفِ
مَدَاخِلِكَ وَاقْتِدَارِكَ فِي نَفْسِكَ عَلَى أَنْ تُفْهَمَ الْعَامَّةُ مَعَانِي

الخاصّة وتكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تطف عن الدّهماء
ولا تحقى عن الألفاء فانت اليليع التام فإن كانت المئزلة
الأولى لا تواتيك ولا تغريك ولا تسمع لك عند أول نظرك
في أول تكلفك وتجد اللفظة لم تقع موقعها ولم تسمع إلى
قرارها وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها والقافية لم تحل من
مركزها في نصلها ولم تتصل بشكلها وكانت قلقة في مكانها
نافرة عن موضعها فلا تكرهها على اغتصاب مكانها والذول في
غير أوطانها فإنك إذا لم تتعاط قرض الشعر الموزون ولم تكلف
اختيار الكلام المنشور لم يعبك بترك ذلك أحد . فإن أنت
تكلفها ولم تكن حاذقا مطبوعا ولا محكما لشأنك بصيرا بما
عليك ولك عابك من أنت أقل منه عينا ورأى من هو دونك
أنه فوقك . فإن أنت أثبتت بأن تكلف القول وتعاطى
الصنعة ولم تسمع لك الطباع فلا تعجل ولا تضجر ودعه يياض
يؤمك وسواد ليك وعادده عند نشاطك وفرغ بالك قريبا لا تعدم
الإجابة والموائاة إن كان هناك طبيعة أو جرئت في الصنعة على
عرف فإن تمنع عليك بعد ذلك من غير حادث شغل ومن غير
طول انهمال فالمئزلة الثالثة أن تتحول عن هذه الصنعة إلى
أشهى الصناعات إليك وأخفها عليك

إلا أن النفوس لا تجود بمكنونها مع الرغبة ولا تسمع بخزونها
عند الرهبة كما تجود به مع الشهوة والحبوة . وقال بعض أهل

الآدب : حَسَبُ الشَّاعِرِ عَوْنًا عَلَى صِائغَتِهِ أَنْ يَجْمَعَ خَاطِرُهُ بَعْدَ أَنْ يُخْلِي قَلْبَهُ مِنْ فُضُولِ الْأَنْفِعَالِ وَيَدَعِ الْإِمْتِلَاءَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ثُمَّ يَأْخُذُ فِيهَا يُرِيدُ. وَأَفْضَلُ مَا اسْتَعَانَ بِهِ الشَّاعِرُ غِنَى أَوْ فَضْلُ طَمَعٍ وَالْفَقْرَ أَقَّةَ الشِّعْرِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَنَّ الشَّاعِرَ إِذَا صَنَعَ الْقَصِيدَةَ وَهُوَ فِي غِنَى وَوُسْعَةٍ نَفَحَهَا وَأَمَعَنَ النَّظَرَ فِيهَا عَلَى مَهَلٍ وَإِذَا كَانَ مَعَ ذَلِكَ طَمَعٌ غَنَى قَوَى أَنْبِعَاشَهَا مِنْ يَبُوعِهَا وَجَاءَتْ الرِّغْبَةُ فِيهَا فِي نَهَائِتِهَا مُحْكَمَةً. وَإِذَا كَانَ فَقِيرًا مُضْطَرًّا رَضِيَ بِغَفْوِ الْكَلَامِ وَآخَذَ مَا أَمَكَنَهُ مِنْ نَتِيجَةِ خَاطِرٍ وَلَمْ يَتَدَخَّلْ فِي بُلُوغِ مُرَادِهِ وَلَا بَلَغَ مَجْهُودَ نَفْسِهِ لِأَنَّهُ يَخْشَى مِنَ الْحَاجَةِ وَالضَّرُورَةِ نَجَاءَ دُونَ عَادَتِهِ فِي سَائِرِ أَشْعَارِهِ وَرُبَّمَا قَصَرَ عَنْ دُونِهِ بِكَثِيرٍ. وَمِنْهُمْ مَنْ تُحْمِي الْحَاجَةُ خَاطِرَهُ وَتَبْعَتْ قَرِيحَتُهُ فَيَجُودُ فَإِذَا أَوْسَعَ أَنْفَ وَصَعِبَ عَلَيْهِ عَمَلُ الْأَنْبِيَاءِ الْيَسِيرَةِ فَضَلًا عَنِ الْكَثِيرَةِ وَالْعَادَةِ فِي هَذِهِ الْأَشْيَاءِ فِعْلٌ عَظِيمٌ وَهِيَ طَبِيعَةٌ خَاسِئَةٌ كَمَا قِيلَ فِيهَا

البحث السادس عشر

في المقاطع والمطالع

(من كتاب العمدة لابن رشيق)

اِخْتَلَفَ أَهْلُ الْعَرَفَةِ فِي الْمَقَاطِعِ وَالْمَطَالِعِ . فَقَالَ بَعْضُهُمْ : هِيَ الْفُضُولُ وَالْوُضُولُ بِعَيْنِهَا . فَالْمَقَاطِعُ أَوَاخِرُ الْفُضُولِ وَالْمَطَالِعُ أَوَائِلُ الْوُضُولِ . وَالْفُضُولُ آخِرُ جُزْءٍ مِنَ الْقِسْمِ الْأَوَّلِ كَمَا قَدَّمْتُ

وَهُوَ الْعَرُوضُ أَيْضًا . وَالْوُضُولُ أَوَّلُ جُزْءٍ يَلِيهِ مِنَ الْقِسْمِ الثَّانِي .
وَقَالَ غَيْرُهُمْ : الْمَقَاطِعُ مُنْقَطِعُ الْآيَاتِ وَهِيَ الْقَوَافِي وَالْمَطَالِعُ
أَوَائِلُ الْآيَاتِ . وَقَالَ قُدَّامَةُ بْنُ جَعْفَرٍ فِي بَعْضِ تَأْلِيْفِهِ وَقَدْ ذَكَرَ
التَّضْرِيحَ وَهُوَ أَنْ يَتَوَخَّى تَضْيِيقَ مَقَاطِعِ الْأَجْزَاءِ فِي الْبَيْتِ عَلَى سَجْعٍ
أَوْ شَبِيهِهِ أَوْ مِنْ جِنْسٍ وَاحِدٍ فِي التَّضْرِيحِ . فَأَشَارَ بِهَذِهِ
الْعِبَارَةِ إِلَى الْمَقَاطِعِ أَوْ آخِرِ أَجْزَاءِ الْبَيْتِ كَمَا تَرَى . وَقَدْ نَحَدُّ مِنْ
الشَّعْرِ الْمَرْصَعِ مَا يَكُونُ سَجْعُهُ غَيْرَ مَقَاطِعِ الْأَجْزَاءِ نَحْوَ قَوْلِ أُمِّ
مَعْدَانَ فِي مَرْثِيَةِ لَهَا :

فَعَلُ الْجَمِيلِ وَتَفَرُّجُ الْجَلِيلِ وَاءِ م طَاءُ الْجَزِيلِ الَّذِي لَمْ يُعْطِهِ أَحَدُ
فَالسَّجْعُ فِي هَذَا الْبَيْتِ اللَّامُ الْمَطْرَدَةُ فِي ثَلَاثَةِ أَمَاكِنَ مَثَلُهُ
وَأَخِرُ الْأَجْزَاءِ الَّتِي هِيَ الْمَقَاطِعُ عَلَى شَرِيطَةِ الْيَاءِ الَّتِي قَبْلَ اللَّامِ .
اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يُجْعَلَ السَّجْعُ هُوَ الْيَاءُ الْمُتَرَمَّةُ فَحِينَئِذٍ عَلَى أَنَا لَا نَعْلَمُ
حَرْفَ السَّجْعِ يَكُونُ إِلَّا مُتَأَخِّرًا فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكَانِ وَمِثْلُ هَذَا
فِي أَنْوَاعِ الْأَعَارِضِ كَثِيرٌ

وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّ الْمَقْطَعَ وَالْمَطْلَعَ أَوَّلُ الْقَصِيدَةِ
وَأَخِرُهَا وَلَيْسَ ذَلِكَ بِشَيْءٍ لِأَنَّا نَحْدُّ فِي كَلَامِ جَهَابِذَةِ النُّقَادِ
إِذَا وَصَفُوا قَصِيدَةً قَالُوا : حَسَنَةُ الْمَقَاطِعِ حَمِيدَةُ الْمَطَالِعِ . وَلَا
يَقُولُونَ الْمَقْطَعَ وَالْمَطْلَعَ . وَفِي هَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ لِأَنَّ الْقَصِيدَةَ
إِنَّمَا هِيَ أَوَّلُ وَاحِدٌ وَآخِرُ وَاحِدٌ وَلَا يَكُونُ لَهَا أَوَائِلُ وَأَوَاخِرُ إِلَّا
عَلَى مَا قَدَّمْتُ مِنْ ذِكْرِ ابْتِدَآتِ الْآيَاتِ أَوْ الْأَقْسِمَةِ وَأَنْتَهَائِهَا

وَسَأَلْتُ الشَّيْخَ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيمَ بْنِ السَّيْنِ عَنْ
هَذَا فَقَالَ: الْمَقَاطِعُ أَوَاخِرُ الْآيَاتِ وَالْمَطَالِعُ أَوَائِلُهَا. قَالَ وَمَعْنَى
قَوْلِهِمْ: حَسَنُ الْمَقَاطِعِ جَيْدُ الْمَطَالِعِ أَنْ يَكُونَ مُنْقَطِعُ الْبَيْتِ وَهُوَ
الْقَافِيَةُ مُتَمَكِّنًا غَيْرَ قَلْبٍ وَلَا مُتَعَلِّقٍ بِغَيْرِهِ وَهَذَا هُوَ حُسْنُهُ. وَالْمَطْلَعُ
هُوَ أَوَّلُ الْبَيْتِ وَجُودُهُ أَنْ يَكُونَ دَالًّا عَلَى مَا بَعْدَهُ كَالْتَضْدِيرِ
وَمَا شَاكَاهُ. وَرَوَى الْجَاهِظُ أَنَّ حَبِيبَ بْنَ شَبَةَ كَانَ يَقُولُ: لِلنَّاسِ
مُؤَكَّلُونَ بِتَفْضِيلِ جُودَةٍ الْإِبْتِدَاءِ وَبِمَدِيمِ صَاحِبِهِ وَأَنَا مُؤَكَّلٌ
بِتَفْضِيلِ جُودَةِ الْمَقْطَعِ وَبِمَدْحِ صَاحِبِهِ. وَحَظُّ جُودَةِ الْقَافِيَةِ وَإِنْ
كَانَتْ كَلِمَةً وَاحِدَةً أَرْفَعُ مِنْ حَظِّ سَائِرِ الْبَيْتِ أَوْ الْقَصِيدَةِ. حَكَاهُ
الْجَاهِظُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْمَقْطَعِ آخِرُ الْبَيْتِ أَوْ الْقَصِيدَةِ وَهُوَ بِالْبَيْتِ
أَلِيقُ لِذِكْرِ حَظِّ الْقَافِيَةِ

وَحِكْمِي أَيْضًا عَنْ مَدِينٍ لَهُ أَنَّهُ قَالَ لِلْعِتَابِيِّ مَا الْبَلَاغَةُ. فَقَالَ:
كُلُّ كَلَامٍ أَفْهَمَكَ صَاحِبُهُ حَاجَتَهُ فِيهِ مِنْ غَيْرِ إِعَادَةٍ وَلَا حُبْسَةٍ
وَلَا اسْتِعَانَةٍ فَهُوَ بَلِيجٌ. قَالَ: قُلْتُ قَدْ عَرَفْتُ الْإِعَادَةَ وَالْحُبْسَةَ فَمَا
الْإِسْتِعَانَةُ فَقَالَ: أَمَّا تَرَاهُ إِذَا تَحَدَّثَ قَالَ عِنْدَ مَقَاطِعِ كَلَامِهِ
يَا هَذَا أَسْمِعْ مِثِّي وَأَسْتَمِعْ إِلَيَّ وَأَفْهَمْ وَالسَّتْ تَفْهَمُ هَذَا كُلَّهُ
عِيٌّ وَفَسَادٌ

قَالَ صَاحِبُ الْكِتَابِ وَهَذَا الْقَوْلُ مِنَ الْعِتَابِيِّ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ
الْمَقَاطِعَ أَوَاخِرَ الْفُصُولِ. وَمِثْلُهُ مَا حَكَاهُ الْجَاهِظُ عَنِ الْمَأْمُونِ إِنَّهُ
قَالَ لِسَعِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتُضْغِي لِجَدِيدِي وَتَقِفُ عِنْدَ

مَقَاطِعِ كَلَامِي. وَإِذَا جُعِلَ الْمَقْطَعُ وَالْمَطْلَعُ مُضْدَرَيْنِ بِمَعْنَى الْقَطْعِ
وَالطَّلُوعِ كَانَتْ الطَّاءُ وَاللَّامُ مَفْتُوحَتَيْنِ وَإِذَا أُريدُ مَوْضِعُ الْقَطْعِ
وَالطَّلُوعِ كَثُرَتْ اللَّامُ خَاصَّةً وَهُوَ مَسْمُوعٌ عَلَى غَيْرِ الْقِيَاسِ

البحث السابع عشر

في المبتدأ او الخروج والنهاية

(من كتاب العمدة لابن رشيق)

قِيلَ لِبَعْضِ الْحَدَّاقِ بِصَاعَةِ الشَّعْرِ لَقَدْ طَارَ أَسْمُكَ وَأَشْتَهَرَ
فَقَالَ لِأَيِّ أَقَلَّتْ الْحَقُّ وَأَصَبَتْ مَقَامِعِدَ الْكَلَامِ وَقَرَّطَتْ نُصَّتَ
الْأَغْرَاضِ بِحُرِّ الْقَوَاطِحِ وَالْخَوَاتِمِ وَلُطْفِ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدْحِ وَالْهَجَاءِ
وَقَدْ صَدَقَ لِأَنَّ حُسْنَ الْإِفْتِتَاحِ دَاعِيَةُ الْإِنْشِرَاحِ وَمَطْيَةُ الْجَبَاحِ
وَلَطَافَةُ الْخُرُوجِ إِلَى الْمَدْحِ سَبَبُ أَرْيَاحِ الْمَدْحِ وَخَاتِمَةُ الْكَلَامِ
أَبْقَى فِي السَّمْعِ وَالْحَقُّ بِالنَّفْسِ لِقُرْبِ الْعَهْدِ بِهَا فَإِنْ حَسُنَتْ حَسُنَ
وَأِنْ قَبِجَتْ قَبِجَ وَالْأَعْمَالُ بِجَوَائِمِهَا. وَيَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ أَنْ يُجَرِّدَ أَيْتِدَاءَ
شِعْرِهِ فَإِنَّهُ أَوَّلُ مَا يُقْرَعُ السَّمْعُ بِهِ وَبِهِ يُسْتَدَلُّ عَلَى مَا عِنْدَهُ مِنْ
أَوَّلٍ وَهَلَةٍ. وَقَدْ اخْتَارَ النَّاسُ كَثِيرًا مِنَ الْإِبْتِدَائَاتِ سَادَ ذِكْرُ هُمَا مَا
أَمَكْنَ مِنْهَا لِيُسْتَدَلَّ بِهِ نَحْوُ قَوْلِ أَمْرِئِ الْقَيْسِ « قِفَا نَبِكَ مِنْ
ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَثَرِلٍ » وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَفْضَلُ أَيْتِدَاءٍ قَالَهُ شَاعِرٌ لِأَنَّهُ
وَقَفَ وَاسْتَوْقَفَ وَبَكَى وَاسْتَبَكَى وَذَكَرَ الْحَبِيبَ وَالْمَثَرِلَ فِي
مِضْرَاعٍ وَاحِدَةٍ. وَقَوْلُهُ « الْآعِمُّ صَبَاحًا أَيُّهَا الطَّلَلُ الْبَالِي » وَمِثْلُهُ

قَوْلُ الْقَطَامِيِّ « إِنَّا نُحْيِيكَ فَأَسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلَلُ » وَكَقَوْلِ النَّابِغَةِ :
 رَكِّبْنِي لِهَمٍّ يَا أَمِينَةَ نَاصِبٍ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِيءُ الْكَوَاكِبِ
 وَقَوْلُهُ :

كَتَمْتِكَ لَيْلًا بِالْجُمُوعَيْنِ سَاهِرًا وَهَمَّيْنِ هَمًّا مُسْتَكِنًا وَظَاهِرًا
 هَذَا بَعْضُ مَا اخْتِيرَ لِلْقُدَمَاءِ وَمِمَّا اخْتِيرَ فِي الرِّثَاءِ قَوْلُ أَوْسٍ
 ابْنِ حَجْرٍ :

أَيُّهَا النَّفْسُ أَجْمَلِي جَزَعًا إِنَّ الَّذِي يُخَذِّرِينَ قَدْ وَقَعَا
 وَمِمَّا اخْتِيرَ لِلْمُخَذَّيْنِ قَوْلُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدٍ « أَبِي طَلَلٌ بِالْجَزَعِ
 أَنْ يَسْكَلَمَا » وَهُوَ عِنْدَهُمْ أَفْضَلُ ابْتِدَاءٍ قَالَهُ مُخَذَّثٌ . وَقَوْلُ أَبِي
 نُوَّاسٍ :

لَنْ دُونَ تَزْدَادُ طِيبَ نَسِيمٍ
 عَلَى طُولِ مَا أَقَوْتُ وَحُسْنِ رُسُومٍ
 وَقَوْلُهُ :

رَسْمُ الْكَرَى بَيْنَ الْجُفُونِ مَحِيلُ عَفَى عَلَيْهِ بُكَاءُ عَلَيْكَ طَوِيلُ
 وَقَوْلُهُ :

أَعْطَنْتَكَ رِيحَانَهَا الْعُقَارُ وَحَانَ مِنْ لَيْلِنَا أَنْسِفَارُ
 وَقَوْلُهُ :

دَعِ عَنْكَ لَوْحِي فَإِنَّ اللَّوْمَ إِنْغَرَاءُ وَدَاوِنِي بِأَلَّتِي كَانَتْ هِيَ الدَّاءُ
 وَمِمَّا أَشْبَهَ ذَلِكَ لَوْ تَقَصَّيْتُهُ لَطَالَ وَكَثُرَ . وَلْيَرْغَبْ عَنِ التَّعْقِيدِ
 فِي الْإِبْتِدَاءِ فَإِنَّهُ أَوَّلُ الْعَبْرَةِ وَدَلِيلُ الْفَهْمِ . وَقَدْ حُكِيَ أَنَّ دُعِيلَ

أَبْنِ عَلِيٍّ الْخَزَاعِيَّ وَرَدَّ رِجْلُ خَصِّ قَصَصَ دَارَ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ رَغَبَانَ
دِيكَ الْجَنِّ فَصَمَّ نَفْسَهُ عَنْهُ خَوْفًا مِنْ قَوَارِصِهِ فَقَالَ : مَا لَهُ
يَسْتَبْرُ وَهُوَ أَشْعَرُ الْجَنِّ وَالْإِنْسِ أَلَيْسَ الْقَائِلُ :
بِهَا غَيْرُ مَعْدُولٍ فَدَا وَحَمَارَهَا . وَهَلْ بِعِشْيَاتِ الْغُبُوقِ أَبْتِكَارُهَا
فَظَهَرَ إِلَيْهِ وَأَعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَآخَسَن . ثُمَّ تَنَاشَدَا فَانْشَدَ دِيكَ
الْجَنِّ أَتَبْدَأُ قَصِيدَةً :

كَأَنَّمَا مَا كَانَتْهُ خَلَلُ الْخَلَّةِ وَقَفُّ الْهَلُولِ أَنْ بَعَمَا
فَقَالَ لَهُ دِغِيلُ : أَسَكْتُ قَوْلَ اللَّهِ مَا ظَنَنْتُكَ تُتِمُّ الْبَيْتَ إِلَّا وَقَدْ
غُشِيَ عَلَيْكَ أَوْ تَشَكَّيْتَ دِمَاغَكَ وَلَكَ أَنْتَ فِي جَهَمٍ مُخَاطَبُ
الرَّبَّانِيَّةِ أَوْ تَحْبَطُكَ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ . وَإِنَّمَا أَرَادَ أَلَدِيكَ أَنْ
يَهْوَلَ عَلَيْهِ وَيَقْرَعَ سَمْعُهُ عَنِّي أَنْ يُرْجِعَهُ أَوْ يَرُوعَهُ فَسَمِعَ مِنْهُ مَا
كَرِهَ . وَلَعَمْرِي مَا ظَلَمَهُ دِغِيلُ وَلَقَدْ أَبْعَدَ مَسَافَةَ الْكَلَامِ وَخَالَفَ
الْعَادَةَ وَهَذَا يَنْتُ قَبِيحٌ مِنْ جِهَاتٍ مِنْهَا إِضْطَارٌّ مَا لَمْ يُذَكَّرْ قَبْلُ وَلَا
جَرَتْ الْعَادَةُ بِمِثْلِهِ فَيَعْتَذَرُ وَلَا كَثُرَ اسْتِعْمَالُهُ فَيُشْهِرُ مَعَ إِحَالَةِ
التَّشْبِيهِ عَلَى تَشْبِيهِ ثَقُلِ تَجَانُّسُهُ الَّذِي هُوَ حَشْوٌ فَارِغٌ لَوْ طُرِحَ مِنْ
الْبَيْتِ كَانَ أَخْزَمَ وَأَسْتَدْعَى قَافِيَةً لَا لِيْهِ إِلَّا لِفَسَادِ الْمَعْنَى وَاسْتِحَالَةِ
التَّشْبِيهِ مَا الَّذِي يُرِيدُ بُعَاثِهِ فِي تَشْبِيهِ الْوَقْفِ وَهُوَ السِّوَارُ وَلَمْ
كَانَ وَقَفُّ الْهَلُولِ خَاصَّةً . وَمِثْلُهُ قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ الزُّيَّاتِ
يَصِفُ نَاقَتَهُ فِي أَوَّلِ قَصِيدَةٍ مَدَحَ بِهَا الْحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ :

كَأَنَّمَا جِئْتُ نَتَاءً خَطُوهَا أَجَشُّ مَوْشِيٍّ الشَّوْىَ يَرْغَى الْقَتْلُ

فَالْبَيْتُ الْأَوَّلُ فِي مُحَالَفَةِ الْعَادَةِ لِأَنَّهُ وَمَعَ ذَلِكَ قَوْلُهُ « حِينَ تَنَاسَى خَطُوهَا » فَقَصَرَ بِهَا وَهُوَ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ « حِينَ تَدَانِي خَطُوهَا » وَخَالَفَ جَمِيعَ الشُّعْرَاءِ بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ يَصِفُونَ النَّاقَةَ بِالْظَّلِيمِ وَالْحِمَارِ وَالثَّوْرَ بَعْدَ الْكَلَالِ غُلًّا وَمُبَالَغَةً فِي الْوَصْفِ . هَذَا هُوَ الْخَبِيرُ فَإِنْ لَمْ يَفْعَلُوا لَمْ يَذْكُرُوا أَنَّهَا بَذَلَتْ جَهْدَهَا وَاسْتَفْرَعَتْ جَمِيعَ مَا عِنْدَهَا بَلْ يَدْعُونَ التَّأْوِيلَ مُحْتَمِلَ الزِّيَادَةِ . ثُمَّ قَالَ « تَرَعَى الْقُلُلَ » وَالثَّوْرُ لَا يَرَعَى قُلُلَ الْجِبَالِ وَإِنَّمَا ذَلِكَ الْوَعْلُ لِأَنَّهُ لَا يُسْهَلُ وَالثَّوْرُ فِي السُّهُولِ وَمَوَاضِعِ الرِّمَالِ إِلَّا أَنْ يُرِيدَ بِالنَّبَاتِ أَعَالِيَهُ قَرِيبًا أَنْ يَكُونَ الْقُلُلُ نَبَاتًا بَعِينَهُ أَوْ مَكَانًا فَقَدْ يُعَكِّنُ وَمَا سَبِغَتْ

بِهَا

وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَقْطَعُ الْمَضْرَاعَ الثَّانِي مِنَ الْأَوَّلِ إِذَا ابْتَدَأَ شِعْرًا وَاصْنُرْ مَا يَقَعُ ذَلِكَ فِي النَّسِيبِ كَأَنَّهُ يَدُلُّ بِذَلِكَ عَلَى وَلَهٍ وَشِدَّةٍ حَالٍ كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ :

جَلًّا كَمَا بِي فَلَيْكَ التَّبَرُّجُ أَغْدَا ذَا الرِّشَاءِ الْأَغْنِ الشَّيْخُ
فَهَذَا اعْتِدَارُ مَنْ اعْتَذَرَ لَهُ لَوْ وَقَعَ مِثْلُ هَذَا فِي الرِّثَاءِ
وَالْتَفْجِعُ لَكَانَ مَوْضِعُهُ أَيْضًا وَكَذَلِكَ عِنْدَ الْعُظَمَاءِ مِنَ الْأُمُورِ
وَالنَّوَازِلِ الشَّدِيدَةِ . وَلِيُخْتَرَسَ بِمَا يَنَالُهُ فِيهِ زِيَادَةٌ أَوْ يَقَعُ عَلَيْهِ مَطْمَنٌ
فَإِنَّ أَبَا تَمَّامٍ امْتَدَحَ أَبَا ذُلْفٍ بِخُضْرَةٍ مِنْ كَانَ يَكْرَهُهُ وَأَقْتَحَمَ
تَصِيدَتَهُ الْمَشْهُورَةَ « عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَابِغٍ » وَكَانَتْ فِيهِ
حُبْسَةٌ شَدِيدَةٌ . فَقَالَ الرَّجُلُ لَعَنَهُ اللَّهُ وَالْمَلَائِكَةُ وَالنَّاسُ أَجْمَعُونَ .

فَدِهَشَ أَبُو تَمَّامٍ حَتَّى تَبَيَّنَ ذَلِكَ عَلَيْهِ عَلَى أَنَّهُ غَيْرُ مَأْخُوذٍ بِمَا قِيلَ
وَلَا هُوَ بِمَا يُدْخِلُ عَلَيْهِ عَيْنًا. وَلَا يَلْزُمُهُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا أَنْ الْحَوَاطَةَ
وَالْتَحَقُّظَ مِنَ النُّجَّةِ الْبَارِدَةِ أَفْضَلُ وَالتَّفْرِيطُ أَرَذَلُ وَأَخْبَثُ .
وَدَخَلَ جَرِيرٌ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ وَانْشَدَهُ « أَتَضْحَكُ أَمْ فُؤَادُكَ
غَيْرُ صَاحِي » فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الْمَلِكِ : بَلْ فُؤَادُكَ يَا ابْنَ الْقَاعَةِ كَانَهُ
يَسْتَقِيلُ هَذِهِ الْمَوَاجَهَةَ وَالْأَقْدَرُ عَلِمَ أَنَّ الشَّاعِرَ إِنَّمَا خَاطَبَ نَفْسَهُ
وَمِنْ هَذِهِ الْجَهَةِ بَعَيْنُهَا عَابُوا عَلَى أَبِي الطَّيِّبِ قَوْلَهُ يَكَا فُؤَادُكَ أَوَّلَ
لِقَائِهِ مُبْتَدِئًا وَإِنْ كَانَ إِنَّمَا يُخَاطَبُ نَفْسَهُ لَا كَا فُؤَادًا :

كَفَى بِكَ دَاءً أَنْ تَرَى أَلَمْتَ شَافِيَا

وَحَسْبُ الْمَنَايَا أَنْ يَكُنَّ أَمَانِيَا
فَالْغَيْبُ مِنْ بَابِ التَّادُّبِ وَحُسْنِ السِّيَاسَةِ لَا يَزِمُ لِأَبِي الطَّيِّبِ
فِي هَذَا الْإِتِّبَادِ لَا سِيَّمَا وَهَذَا النُّوعُ أَغْنَى جُودَةً الْإِتِّبَادِ مِنْ
أَجْلِ تَحَايُنِ أَبِي الطَّيِّبِ وَأَشْرَفِ مَأَثَرِ شِعْرِهِ إِذَا ذُكِرَ الشِّعْرُ .
وَدَخَلَ ذُو الرِّمَّةِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ فَاسْتَنْشَدَهُ شَيْئًا مِنْ
شِعْرِهِ فَانْشَدَهُ « مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا أَلَمَّا يَنْسَكِبُ » وَكَانَ بَعَيْنِ
عَبْدِ الْمَلِكِ رِيْشَةً فَهِيَ تَدْمَعُ فَنَوَّهَمَ أَنَّهُ خَاطَبَهُ أَوْ عَرَّضَ بِهِ فَقَالَ :
وَمَا سُؤَالُكَ يَا جَاهِلُ عَنْ هَذَا وَمَقْتَهُ وَأَمَرَ بِإِخْرَاجِهِ وَكَذَلِكَ فَعَلَ
أَبْنُ هِشَامٍ بِأَبِي النُّجْمِ وَقَدْ انْشَدَهُ فِي أَرْجُوزَةٍ :

صَفَرَاءُ قَدْ كَادَتْ وَلَمَّا تَفَعَّلَ فَكَانَتْهَا فِي الْأَفْقِ عَيْنُ الْأَحْوَلِ
وَكَانَ هِشَامٌ أَحْوَلَ فَامَرَ فَحُجِبَ عَنْهُ مُدَّةً وَقَدْ كَانَ قَبْلَ

ذَلِكَ مِنْ خَاصَّتِهِ يَسْمُرُ عِنْدَهُ وَهُوَ يُبَارِزُهُ وَإِنَّمَا يَأْتِي الشَّاعِرُ بِهِذِهِ
 الْأَشْيَاءَ إِمَامًا مِنْ غَفْلَةٍ فِي الطَّبَعِ أَوْ مِنْ اسْتِغْرَاقٍ فِي الصَّنْعَةِ
 وَشُغْلٍ هَاجِسٍ بِالْعَمَلِ يَذْهَبُ مَعَ حُسْنِ الْقَوْلِ حَيْثُ ذَهَبَ
 وَالْقَطْنُ الْحَازِقُ يُخْتَارُ لِلذُّرُوفَاتِ مَا يُشَاكِلُهَا وَيَنْظُرُ فِي أَحْوَالِ
 الْخَطَاطِينَ فَيَقْصِدُ مُحَابِيَهُمْ وَيَمِيلُ إِلَى شَهَوَاتِهِمْ وَإِنْ خَالَفَتْ شَهَوَاتِهِ
 وَيَتَّقَدُّ مَا يَكْرَهُونَ سَمَاعَهُ فَيَجْتَنِبُ ذِكْرَهُ . أَلَا تَرَى أَنَّ بَعْضَ الْمُلُوكِ
 قَالَ لِأَحَدِ الشُّعْرَاءِ وَقَدْ أوردَ بَيْنَا ذَكَرَ فِيهِ « لَوْ جُلِدَ أَحَدُ أَكْرَمِ
 لَكُنْتُ مُخْلَدًا بِكَرَمِكَ » وَقَالَ كَلَامًا نَحْوَ هَذَا . فَقَالَ الْمَلِكُ : إِنْ
 أَلَمْتُ حَقًّا وَلَنَا مِنْهُ نَصِيبٌ . غَيْرَ أَنَّ الْمُلُوكَ تَكَرَّهُ مَا يُكْسِدُ عَيْشَهَا
 وَيَنْعِصُ لَدَيْهَا فَلَا تَأْتِيهَا بِشَيْءٍ مِمَّا تَكَرَّهُ ذِكْرُهُ

وَمِنْ الْأَشْهُورِ أَنَّ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ أَتَى شَجَرَةَ ظَلِيلَةٍ مُلْتَمِّئَةٍ
 الْأَغْصَانِ فِي مَرْجٍ حَسَنٍ كَثِيرِ الشَّقَائِقِ وَكَانَ مُنْجَبًا بِهَا وَإِلَيْهِ
 أَضِيفَتْ قَيْسِلَ شَقَائِقِ النُّعْمَانِ . فَقَرَّلَ فَأَمَرَ بِالطَّعَامِ وَالشَّرَابِ
 فَأُخْضِرَا وَجَلَسَ لِلذَّيْتِ . فَقَالَ عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ الْعَبَادِيُّ وَكَانَ كَاتِبَهُ :
 أَتَعْرِفُ آيَةَ اللَّغْنِ مَا تَقُولُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ . قَالَ : وَمَا تَقُولُ . قَالَ
 تَقُولُ :

رُبَّ رَكْبٍ قَدْ آتَاخُوا حَوْلَنَا يَشْرَبُونَ الْخَمْرَ بِأَلَاءِ الزُّلَالِ
 عَطَفَ الدَّهْرُ عَلَيْهِمْ فَتَوَدَّوْا وَكَذَلِكَ الدَّهْرُ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ
 مَنْ رَأَى فُلْيُوطَنَ نَفْسَهُ إِنَّمَا الدُّنْيَا عَلَى قُرْطِ الزُّوَالِ
 كَأَنَّهُ قَصَدَ مَوْعِظَتَهُ فَنَقَصَ عَلَيْهِ مَا كَانَ فِيهِ وَأَمَرَ بِالطَّعَامِ

وَالشَّرَابِ قَرُوفًا مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَأَزْخَلَ مِنْ قُورِهِ وَلَمْ يَنْتَفِعْ بَقِيَّةَ
يَوْمِهِ وَلَيْلَتِهِ . فَهَذَا شَأْنُ الْمُلُوكِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا وَمِنْ هَذِهِ الْجِهَةِ أَكْثَرُ
النَّاسِ مِنَ الدُّعَاءِ لَهُمْ بِطُولِ الْعُمُرِ حَتَّى بَلَغُوا بِهِمْ مَا لَا يُمَكِّنُ
فَقَالُوا: عِشْ أَبَدًا وَسَلِّمْ مَدَى الدَّهْرِ وَأَبْقِ بَقَاءَ الزَّمَانِ . وَأَعْتَزَّضَ
النُّقَادُ فِي ذَلِكَ وَاخْتَلَفُوا بِحَسَبِ مَا يَنْتَحِلُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي قَوْلِ
أَبِي نُوَّاسٍ :

يَا أَمِينَ اللَّهِ عِشْ أَبَدًا دُمَّ عَلَى الْآيَامِ وَالزَّمَنِ
أَنْتَ تَبْقَى وَالْفَنَاءُ لَنَا فَإِذَا أَفْدَيْنَا فَكُنْ

وَفِي كَثِيرٍ مِثْلِهِ فَإِذَا خَرَجَ الْكَلَامُ عَنْ حَدِّ الْإِمْكَانِ فَأَنَّمَا
يُرَادُ بِهِ بُلُوغُ الْعَلَايَةِ لَا غَيْرُ ذَلِكَ . وَمِنْ قَبِيحِ مَا وَقَعَ لِأَبِي نُوَّاسٍ
الَّذِي أَسَاءَ فِيهِ آدَبُهُ وَخَالَفَ بِهِ مَذْهَبَهُ أَنَّ بَعْضَ بَنِي بَرْمَكٍ بَنَى
دَارًا اسْتَفْرَغَ فِيهَا مَجْهُودَهُ وَأَثْقَلَ إِلَيْهَا . فَصَنَعَ أَبُو نُوَّاسٍ لِذَلِكَ
الْحِينِ أَوْ قَرِيبًا مِنْهُ قَصِيدَةً يمدحُهَا وَيَقُولُ أَوَّلُهَا :

أَرْبَعَ إِلَيَّ إِنْ الْخُشُوعَ لِبَادٍ عَلَيْكَ وَإِنِّي لَمْ أَخُكْ وَدَادِي
وَحَتَمَهَا أَوْ كَادَ بِقَوْلِهِ :

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا قُدِّرَتْهُمُ بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَاحِلِينَ وَغَادِي
فَقَطِيرِ الْبَرْمَكِيِّ وَأَشَارَ ثُمَّ قَالَ : نَعَيْتُ إِلَيْنَا أَنْفُسًا يَا أَبَا
نُوَّاسٍ فَمَا كَانَتْ إِلَّا مُدِيدَةً حَتَّى أَوْقَعَ بِهِمُ الرَّشِيدُ وَصَحَّتْ بِهِمُ
الطَّيْرَةُ . وَزَعَمَ أَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ قَصَدَ التَّشَاؤِمَ لَهُمْ لَشَيْءٍ كَانَ فِي نَفْسِهِ
مِنْ جَفَرٍ وَلَا أَظُنُّ ذَلِكَ صَحِيحًا لِأَنَّ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ مِنْ جَيْدِ شِعْرِهِ

الَّذِي لَا أَشْكُ أَنْ يُخْتَلَّ لَهُ. اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَضَعَ ذَلِكَ حِيلَةَ لَهُ وَسِتْرًا
 عَلَى مَنْ قَصَدَ إِلَيْهِ بِذَلِكَ. وَلِلشُّعْرَاءِ مَذَاهِبُ فِي افْتِتَاحِ الْقَصَائِدِ
 بِالنَّسِيبِ إِلَى مَا فِيهِ عَطْفُ الْقُلُوبِ وَاسْتِدْعَاءُ الْقَبُولِ بِحَسَبِ مَا
 فِي الطَّبَاعِ مِنْ حُبِّ الْقَزْلِ وَالْمِيلِ إِلَى الْهَوِ فَإِنَّ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجٌ
 إِلَى مَا بَعْدَهُ. وَمَقَاصِدُ النَّاسِ تَخْتَلِفُ فَطَرِيقُ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ذِكْرُ
 الرَّحِيلِ وَالْإِتْقَالِ وَتَوَقُّعُ الْبَيْنِ وَالْإِشْفَاقُ مِنْهُ وَصِفَةُ الطُّلُولِ
 وَالْحُمُولِ وَالْإِبِلِ وَلَمَعُ الرِّقِّ وَمَرَّ النَّسِيمِ. وَذَكَرُ الْإِيَاءِ الَّتِي يَلْتَمُونَ
 عَلَيْهَا وَالرِّيَاضِ الَّتِي مِنْ خَزَائِمِ وَأَقْحَوَانِ وَبِهَارٍ وَعَوَارٍ وَمَا أَشَبَّهُ
 مِنْ زَهْرِ الْبَرِّيَّةِ. وَأَهْلُ الْحَاضِرَةِ يَأْتِي تَعَزُّلُهُمْ فِي الصُّدُودِ
 وَالْهَجْرَانِ وَالرُّقْبَاءِ وَمَنْعَةِ الْحَرَسِ وَالْأَبْوَابِ وَفِي ذِكْرِ الشَّرَابِ
 وَاللَّدَائِمِ وَاللَّسْرِينَ وَالذُّلُوفِ وَمَا شَاكَ ذَلِكَ مِنَ النَّوَادِيرِ الْبَلَدِيَّةِ
 وَالرِّيَاحِينَ الْبُسْتَانِيَّةِ فِي تَشْبِيهِ الثُّفَاحِ وَالْثَّجِيَّةِ بِهِ وَدَسِ الْكُتُبِ
 وَمَا تَمَآكَلَ ذَلِكَ مِمَّا هُمْ مُنْفَرِدُونَ بِهِ

وَالْعَادَةُ أَنْ يَذْكُرَ الشَّاعِرُ مَا قَطَعَ مِنَ الْمَفَاوِزِ وَمَا أَنْصَى مِنْ
 الرِّكَائِبِ وَمَا تَجَمَّعَ مِنْ هَوْلِ اللَّيْلِ وَسَهَرِهِ وَطُولِ النَّهَارِ وَهَجِيرِهِ
 وَقِلَّةِ الْمَاءِ وَغُورِهِ. ثُمَّ يُخْرِجُ إِلَى مَنَحِ الْقُصُودِ لِيُوجِبَ عَلَيْهِ حَقَّ
 الْقَصْدِ وَدِمَامِ الْقَاصِدِ وَيَسْتَحِقَّ مِنْهُ الْمَكَافَاةَ. وَكَأَنَّا قَدِيمًا أَصْحَابَ
 خِيَامٍ يَنْتَقِلُونَ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى آخَرٍ فَلِذَلِكَ كَانَ أَوَّلُ مَا يَبْتَدِئُونَ
 أَشْعَارَهُمْ بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَتِلْكَ دِيَارُهُمْ وَلَيْسَتْ كَانِيَّةِ الْحَاضِرَةِ
 فَلَا مَعْنَى لِذِكْرِ الْحَضَرِيِّ الدِّيَارِ إِلَّا حِجَازًا لِأَنَّ الْحَاضِرَةَ لَا تَنْسِفُهَا

الرَّيْحُ وَلَا تَنْفُخُوا إِلَّا أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ بَعْدَ زَمَانٍ طَوِيلٍ لَا يُمَكِّنُ
أَنْ يَعْيشَهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْحَيْلِ وَأَحْسَنُ مَا اسْتَعْمَلَهُ الْمُؤَلَّدُونَ
أَلْتُخَدُّونَ مَا تَأْسَبُ قَوْلَ ابْنِ الرُّومِيِّ :

سَمَى اللَّهُ قَضْرًا بِالرَّصَاقَةِ شَاقِي بَاغِلَاهُ قَضْرِي الدِّيَارِ رُصَا فِي
أَشَارَ بِقُضْبَانٍ وَنَ الدَّرِّ قُمِعَتْ يَوَاقِيْتُ نَحْرًا فَاسْتَبَاحَ عَقَا فِي
وَكَانَتْ دَوَاهِيهِمْ الْإِبِلَ بِكَثْرَتِهَا وَعَدَمَ غَيْرِهَا وَصَبْرِهَا عَلَى
التَّعَبِ وَقِلَّةِ الْمَاءِ وَالْعَلَفِ فَلِهَذَا أَيْضًا خَصَّوْهَا بِالذِّكْرِ دُونَ غَيْرِهَا وَلَمْ
يَكُنْ أَحَدُهُمْ يَرْضَى بِالْكَذِبِ فَيَصِفَ مَا لَيْسَ عِنْدَهُ كَمَا يَفْعَلُ
أَلْتُخَدُّونَ إِلَّا تَرَى أَمْرًا الْقَيْسَ لَمَّا كَانَ مَلِكًا كَيْفَ ذَكَرَ خَيْلَ
الْبَرِيدِ وَالْفَرَاتِ عَلَى أَنَّهُ لَمْ يَسْتَغْنِ عَنْ ذِكْرِ الْإِبِلِ لِلْعَادَةِ الَّتِي
جَرَتْ عَلَى أَسْلِحَتِهِمْ فَقَالَ يَصِفُ رَجُلُهُ إِلَى قَيْصَرَ :

إِذَا قُلْتُ رَوْحًا أَرَنْ فُرَاتٍ

عَلَى هَزَجٍ وَاهِي الْأَبَاجِلِ ابْتَرَا

عَلَى كُلِّ مَقْصُوصٍ الذَّنَابِيُّ مُعَاوِدٍ

بَرِيدَ السُّرَى بِاللَّيْلِ مِنْ خَيْرِ بَرَبَرَا

إِذَا رُعْتُهُ مِنْ جَانِبَيْهِ رَكْلَيْهِمَا

مَشَى الْهَيْدَتَى فِي دِقِّهِ ثُمَّ فَرَفَرَا

كَانَتْ الْحَيْلُ الْبَرَبَرِيَّةُ تُهْلَبُ أَذْنَابُهَا كَالْبَعَالِ لِتَدْخُلَ مَدَاخِلَهَا

فِي خِدْمَةِ الْبَرِيدِ وَلِيَعْلَمَ أَنَّهَا لِلْمَلِكِ . وَقَالَ ابْنُ مِيَادَةَ فِي ابْنِ

هُبَيْرَةَ لَمَّا كَانَ أَمِيرًا :

جَاءَتْ بِهِ مُعْتَجِرًا بِبُرْدِهِ سَفَوَاءَ تَرْدِي بِلَسِيْعٍ وَخِدِهِ

تَقْدَحُ قَيْسُ كُلُّهَا بِزَنْدِهِ

إِلَّا أَنْ مِنْهُمْ مَنْ خَالَفَ هَذَا كُلَّهُ فَوَصَفَ أَنَّهُ قَصَدَ الْمَمْدُوحَ
رَاجِلًا أَمَّا إِخْبَارًا بِالْصِّدْقِ وَأَمَّا تَعَاطِي صَعْلَكَةٍ . قَالَ أَبُو نُوَّاسٍ
لِلْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى :

إِلَيْكَ أَبَا الْعَبَّاسِ مِنْ بَيْنِ مَنْ مَشَى

عَلَيْهَا أَمْتَطَيْنَا الْحَضْرَمِيَّ الْمَلْسَنَا

قَلَانِصُ لَمْ تَعْرِفْ خَبِيثًا عَلَى طَلَا

وَلَمْ تَدْرِ مَا قَرَعَ الْفَنِيْقَ وَلَا أَلْهَنَا

فَذَكَرَ أَنَّ قَلَانِصَهُمُ الَّتِي أَمْتَطَوْا إِلَيْهِ مَشْدُودَةٌ بِالْعَمَالِ
وَأَخْرَجَهُ كَمَا تَرَى مُخْجَجَ الْغُرِّ وَاتَّبَعَهُ أَبُو الطَّيِّبِ فَقَالَ :

لَا نَاقِي تَحْمِيلَ الرَّدِيفِ وَلَا بِالسُّوْطِ يَوْمَ الرِّهَانِ أَجْهَدُهَا
شِرَاكُهَا كُورُهَا وَمَشْفَرُهَا زِمَامُهَا وَالشُّسُوعُ مِقْوَدُهَا
وَقَالَ كَرَّةٌ أُخْرَى فِي مِثْلِ ذَلِكَ يَتَشَكَّى :

وَمَنْعَهُ جُبْنُهُ عَلَى قَدَمِي تَحْجِرُ عَنْهُ الْعَرَامِسُ الدُّلُلُ

وَلَوْ شَاءَ قَانِلٌ أَنْ يَقُولَ فَإِنَّ أَبَا نُوَّاسٍ لَمْ يُرْذَ مَا ذَهَبَ
إِلَيْهِ أَبُو الطَّيِّبِ لَكِنْ أَرَادَ أَنَّهُ مَعَهُ فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ قَصَدَهُ فِي حَاجَتِهِ
مُخْتَذِيًا نَعْلَيْهِ لَكَانَ أَظْهَرَ وَجْهًا مَا لَمْ يَكُنِ الْحَضْرَمِيُّ مِنَ الْجُلُودِ
مُخْصُوصًا بِهِ الْمُسَافِرُ دُونَ الْحَاضِرِ . وَظَاهِرُ الْكَلَامِ أَنَّ مَقْصِدَ
الشَّاعِرَيْنِ وَاحِدٌ . وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو الطَّيِّبِ الْخَيْلَ فِي كَثِيرٍ مِنْ شِعْرِهِ

وَكَانَ يُؤْثِرُهَا عَلَى الْأَيْلِ لِمَا يَقُومُ فِي نَفْسِهِ مِنَ التَّهَيُّبِ بِذِكْرِ
الْحَيْلِ وَتَعَاطِي الشَّجَاعَةِ . فَقَالَ يَذْكُرُ قُدُومَهُ إِلَى مِصْرَ عَلَى خَوْفٍ
مِنْ سَيْفِ الدَّوْلَةِ :

وَيَوْمَ كَلِيلِ الْعَاشِقِينَ كَمَنْتُهُ
أَرَاقُبُ فِيهِ الشَّمْسَ أَيَّانَ تَغْرُبُ
وَعَيْنِي إِلَى أُذُنِي أَعَزُّ كَأَنَّهُ

مِنَ اللَّيْلِ بَاتٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَوَكْبُ
وَلَيْسَ مِنْ عَادَةِ بَلَدِنَا خَاصَّةً شَيْءٌ مِنْ هَذَا كُلِّهِ إِلَّا مَا يُعَدُّ
قَوْلَهُ فَالْوَاجِبُ اجْتِنَابُهُ إِلَّا مَا كَانَ مِنْهُ حَقِيقَةً لَاسِيًا إِذَا كَانَ
الْمَادِحُ مِنْ سُكَّانِ بَلَدِ الْمَدُوحِ يَرَاهُ فِي أَكْثَرِ أَوْقَاتِهِ فَمَا أَفْجَحَ ذِكْرُ
النَّاقَةِ وَالْفَلَاةِ

وَمِنَ الشُّعْرَاءِ مَنْ يَهْجُمُ عَلَى مَا يُرِيدُهُ مُكَامَحَةً وَذَلِكَ عِنْدَهُمْ
هُوَ الْوُثْبُ وَالْبَتْرُ وَالْقَطْعُ وَالْكَسْعُ وَالْإِقْتِصَابُ كُلُّ ذَلِكَ يُقَالُ
وَالْقَصِيدَةُ إِذَا كَانَتْ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ بَتْرَاءً كَالْخُطْبَةِ الْبَتْرَاءِ
وَالْقَطْعَاءِ وَهِيَ الَّتِي لَا يُبْتَدَأُ فِيهَا بِحَمْدِ اللَّهِ عَلَى عَادَتِهِمْ فِي الْخُطْبِ
كَمَا قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ « إِذَا كَانَ مَدْحٌ فَالْنِّسَبُ الْمَقْدَمُ » فَانْكُرُوا
النِّسَبَ وَزَعُمُوا أَنَّ أَوَّلَ مَنْ قَعَّ هَذَا الْبَابَ وَفَتَى هَذَا الْمَعْنَى أَبُو
نُؤَاسٍ بِقَوْلِهِ « لَا تَبْكُ لَيْلَى وَلَا تَطْرَبُ إِلَى هَيْدٍ » وَقَوْلُهُ عِنْدَ
الْحَاقِعِيِّ فِيمَا رَوَى بَعْضُ أَشْيَاخِهِ أَفْضَلُ أَيْتَاءِ صَنَعَهُ شَاعِرٌ مِنْ
الْمَقْدَمَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ :

أَعْرِ شِعْرَكَ الْأَطْلَالَ وَالْمَنْزِلَ الْقَفْرَا
 فَقَدْ طَالَ مَا إِنْ رَأَيْتُكَ الْخَمْرَا
 دَعَانِي إِلَى نَعْتِ الطُّلُولِ مُسَلَّطُ
 يَضِيقُ ذِرَاعِي أَنْ أَرُدَّ لَهُ أَمْرَا
 فَسَمِعَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَطَاعَةَ

وَأِنْ كُنْتُ قَدْ جَسَمْتَنِي مَرْكَبًا وَغَرَا
 فَجَاءَ هُوَ بِأَنْ وَصَفَ الْأَطْلَالَ وَالْقَفْرَا إِنَّمَا هُوَ مِنْ خَشْيَةِ
 الْإِمَامِ وَالْأَفْهَى عِنْدَهُ فَرَاغٌ وَجْهٌ. وَإِنَّ فِي اللِّسَانِ وَكَثْرَةَ وَلَوْعِهِ
 بِالشَّيْءِ لَشَاهِدًا عَدْلًا لَا تُرَدُّ شَهَادَتُهُ وَقَدْ قَالَ أَبُو تَمَّامٍ «لِسَانُ
 الْمُرءِ مِنْ خَدَمِ الْفُرَادَا» وَمِنْ غُيُوبِ هَذَا أَلْبَابِ أَنْ يَكُونَ النَّسِيبُ
 كَثِيرًا وَالْمَدِيحُ قَلِيلًا كَمَا يَضَعُ بَعْضُ أَهْلِ وَقْتِنَا

وَمِنْ الشُّعْرَاءِ مَنْ لَا يُجِيدُ الْإِبْتِدَاءَ وَلَا يَتَكَلَّفُ لَهُ ثُمَّ يُجِيدُ
 بَاقِيَ الْقَصِيدَةِ وَكَثَرَتْهُمْ فَعَلًا لِذَلِكَ الْبُخْرِيُّ كَانَ يَضَعُ الْإِبْتِدَاءَ
 سَهْلًا وَيَأْتِي بِهِ عَفْوًا وَكُلَّمَا تَمَادَى قَوِي كَلَامُهُ وَهُوَ مِنْ جَيْدِ
 الْإِبْتِدَاءِ كَثِيرٌ لِكَثْرَةِ شِعْرِهِ وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ مَا قَدَّمْتُ غَيْرَ أَنَّ
 الْقَاضِي الْجُرْجَانِي فَضَلَ بِجُودَةِ الْإِسْتِهْلَالِ وَهُوَ الْإِبْتِدَاءُ عَلَى أَبِي
 تَمَّامٍ وَأَبِي الطَّيِّبِ وَقَدْ فَضَلَهُمَا بِالْخُرُوجِ وَالْحَاقِمَةُ وَلَكْتُ أَرَى
 لِذَلِكَ وَجْهًا إِلَّا كَثْرَةَ شِعْرِهِ كَمَا قَدَّمْتُ فَإِنَّهُ لَوْ حَاسَبَهَا ابْتِدَاءً
 جَيْدًا بِإِبْتِدَاءِ لَارَبِّي وَقَصَّرَا عَنْ عَدْدِهِ

وَأَمَّا الْحَاقِمَةُ فَإِنَّهُ يَعْضُ مِنْ أَبِي عِبَادَةَ غَضًّا شَدِيدًا وَيَجُودُ

عَلَيْهِ جَوْرًا بَيْنًا لَا يُقْبَلُ مِنْهُ وَلَا يُسَلَّمُ إِلَيْهِ . وَكَانَ أَبُو تَمَّامٍ فَحْمَ
الْإِبْتِدَاءِ لَهُ رَوَعَةٌ وَعَلَيْهِ أَهْبَةٌ كَقَوْلِهِ :

أَلْحَقْ أَلْبَجْ وَالسُّيُوفُ عَوَارٍ فَحَذَارٍ مِنْ أَسَدِ الْعَرِينِ حَذَارٍ
وَقَوْلِهِ أَيْضًا :

السَّيْفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنْ أَلْكَتُبِ

فِي حَدِيثِهِ الْحَدُّ بَيْنَ الْحَدِّ وَاللَّعِبِ

وَقَوْلِهِ « يَا رُبَّعُ لَوْ رَبَعُوا عَلَى ابْنِ هُمُومٍ » وَالْغَالِبُ تَحْتَ اللَّفْظِ
وَجَهَارَةُ الْإِبْتِدَاءِ

وَكَانَ أَبُو الْقَاسِمِ الْحَسَنُ بْنُ بَشْرِ الْأَمْدِيِّ يُفَضِّلُ ابْتِدَاءَاتِ
الْبُحْثَرِيِّ جِدًّا وَهُوَ الَّذِي وَضَعَ كِتَابَ الْمَوَازِنَةِ وَالتَّرَجِيحِ بَيْنَ
الطَّائِفَيْنِ وَنَوَّهَ فِيهِ بِالْبُحْثَرِيِّ أَعْظَمَ تَنْوِيهِ وَمِنْ جَيْدِ ابْتِدَاءَاتِهِ
قَوْلُهُ :

عَارَضْنَا أَصْلًا فَقَالْنَا الرَّبُّبُ حَتَّى أَضَاءَ الْأَتْحَوَانُ الْأَشْنَبُ
وَقَوْلُهُ « ضَمَانٌ عَلَى عَيْنَيْكَ إِنِّي لَا أَسْأُو » وَقَوْلُهُ « نَرَى عِنْدَهُمْ
عِلْمًا بِشَجْوِي وَأَذْمِي » فَلَمَّا أَخْرُجُ فَهُوَ عِنْدَهُمْ شَيْئُهُ بِالْإِسْطِرَادِ
وَلَيْسَ بِهِ لِأَنَّ أَخْرُجَ إِنَّمَا هُوَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ تَسْيِيرٍ إِلَى مَدْحٍ أَوْ
غَيْرِهِ بِأُطْفِئِ تَحْيِيلٍ ثُمَّ تَمَّادَى فِيمَا خَرَجْتَ إِلَيْهِ كَقَوْلِ أَبِي عِبَادَةَ
الْبُحْثَرِيِّ :

سُقِيتَ رَبَّاكَ بِكُلِّ غَيْثٍ جَاعِلٍ مِنْ وَبَلِهِ حَقًّا لَهَا مَعْلُومًا
وَلَوْ أَنَّنِي أُعْطِيتُ فِيهِنَّ أَلْمَنَى لَسَقَيْتُهُنَّ بِكَفِّ إِبْرَاهِيمَا

وَأَكْثَرُ النَّاسِ اسْتَعْمَالًا لِهَذَا الْقَوْلِ أَبُو الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ مَا يَكَادُ
يَشُدُّ عَنْهُ حَتَّى رُبَّمَا قَبَّحَ سُقُوطَهُ فِيهِ نَحْوَ قَوْلِهِ:
هَذَا فَانْظُرِي أَوْ قَطُّبِي بِي تَرِي حُرْقًا
مَنْ لَمْ يَذُقْ طَرَفًا مِنْهَا فَقَدْ وَآلَا

عَلَّ الْأَمِيرَ يَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعُ لِي
إِلَى آلِي تَرَكْتَنِي فِي الْهَوَى مَشَلَا
فَقَدْ تَمَنَّى أَنْ يَكُونَ الْأَمِيرُ لَهُ قَوَادًا وَلَيْسَ هَذَا مِنْ قَوْلِ أَبِي نُوَّاسٍ:
سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ هَوَانًا لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
فِي شَيْءٍ. لِأَنَّ أَبَا نُوَّاسٍ قَالَ: يَجْمَعُ بَيْنَنَا شَيْءٌ أَتَّبِعُ ذَلِكَ ذِكْرُ
الْمَاءِ وَالسَّخَابَةِ فَقَالَ:

أَمِيرُ رَأَيْتُ أَلْمَالَ فِي نَقْمَاتِهِ ذَلِيلًا مَهِينًا النَّفْسِ بِالضَّعِيفِ مُوقِنًا
وَكَاثَهُ أَشَارَ إِلَى أَنَّ جَمْعَهُ بَيْنَهُمَا بِالْمَالِ خَاصَّةً يَفْضَلُ عَلَيْهِ
وَيُجْزَلُ عَظِيمَتُهُ فَيَتَوَجَّهَهَا أَوْ يَتَسَرَّاهَا. وَأَبُو الطَّيِّبِ قَالَ لِيَشْفَعُ
وَالشَّفَاعَةُ رَغْبَةٌ وَسَوَالٌ. ثُمَّ أَتْبَعَ بَيْتَهُ بِمَا هُوَ مُقَوِّمٌ لِعَنَاهُ فِي
الْقِيَادَةِ فَقَالَ:

أَيَقُنْتُ أَنَّ سَعِيدًا طَالِبٌ بِدَمِي لَمَّا بَصُرْتُ بِهِ بِالرُّمَحِ مُعْتَقِلًا
فَدَلَّ عَلَى أَنَّهُ يَشْفَعُ فَإِنْ أُجِيبَ إِلَى مُسَاعَدَةِ أَبِي الطَّيِّبِ
فَذَلِكَ وَالْأَرَجُّ إِلَى الْفَقْرِ وَالَّذِي يُشَاكِلُ قَوْلَ أَبِي نُوَّاسٍ قَوْلُهُ:
أَحِبُّ الَّذِي فِي الْبَدْرِ مِنْهُ مِثَابُهُ

وَأَشْكُو إِلَى مَنْ لَا يُضَابُ لَهُ شَكْلُ

فَلَفْظَةُ الشُّكْوَى تَحْمِلُ عَنْهُ كَمَا حُمِلَتْ عَنْ أَبِي نُوَّاسٍ
وَأَوَّلَى الشُّعْرِ بِأَن يُسَيَّ تَخْطِئًا مَا تَحْلُصَ فِيهِ الشَّاعِرُ عَنْ مَعْنَى
إِلَى مَعْنَى ثُمَّ عَادَ إِلَى الْأَوَّلِ وَآخَذَ فِي غَيْرِهِ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَا كَانَ
فِيهِ كَقَوْلِ النَّابِغَةِ الذُّبْيَانِي آخِرَ نَسِيبٍ قَصِيدَةٍ اُعْتَذَرَ بِهَا إِلَى
النُّعْمَانِ :

فَكَفَفْتُ مَتْنِي عَذْرَةً فَرَدَدْتُهَا
عَلَى النَّحْرِ مِنْهَا مُسْتَهْلٌ وَدَامِعُ
عَلَى هَيْنٍ عَانَبْتُ الْمَشِيبَ عَلَى الصَّبِيِّ
وَقُلْتُ أَلَمَّا أَضْحُ وَالشَّيْبُ وَازِعُ

ثُمَّ تَحْلُصَ إِلَى الْأَعْتِدَارِ فَقَالَ :
وَلَكِنَّ هُمَا دُونَ ذَلِكَ دَاخِلًا مَكَانَ الشَّغَافِ يَتَّبِعِيهِ الْأَصَابِعُ
وَعِيدُ أَبِي قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضُّوَاجِعُ
ثُمَّ وَصَفَ حَالَهُ عِنْدَ مَا سَمِعَ مِنْهُ ذَلِكَ فَقَالَ :
فَبِتُّ كَأَنِّي مَادَرْتِي ضَيْلَةً مِنْ الرُّقْشِ فِي آيِلِهَا السَّمُّ نَاقِعُ
يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ اللَّتَامِ سَائِلُهَا لِحْلِي اللَّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَا قِعُ
فَوَصَفَ الْحَيَّةَ وَالسَّلِيمَ الَّذِي شَبَّ نَفْسَهُ بِهِ مَا شَاءَ ثُمَّ تَحْلُصَ
مِنَ الَّذِي كَانَ فِيهِ فَقَالَ :

أَتَانِي أَبْنَتُ اللَّعْنِ أَنْكَ لَمَتْنِي وَتِلْكَ أَتَيْتُكَ مِنْهَا الْمَسَامِعُ
ثُمَّ أَطْرَدَ لَهُ الْقَوْلُ مَا شَاءَ مِنْ تَحْلُصٍ إِلَى تَحْلُصٍ حَتَّى انْقَضَتْ
الْقَصِيدَةُ وَهُوَ مَا أَشْرْتُ إِلَيْهِ غَيْرُ خَافٍ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى . وَقَدْ

يَقَعُ مِنْ هَذَا النَّوعِ شَيْءٌ يَعْتَرِضُ فِي وَسْطِ النَّسِيبِ مِنْ مَذْحِ
مَنْ يُرِيدُ الشَّاعِرُ مَذْحَهُ بِتِلْكَ الْقَصِيدَةِ ثُمَّ يَعُودُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى مَا
كَانَ فِيهِ مِنَ النَّسِيبِ ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْمَذْحِ كَمَا فَعَلَ وَمِنْ قَوْلِ
أَبِي تَمَّامٍ يَمْدَحُهُ الَّذِي تَمَادَى فِيهِ مُنْقَطِعًا وَذَلِكَ فِي وَسْطِ النَّسِيبِ
مِنْ قَصِيدَةٍ :

لَا وَالَّذِي هُوَ عَالِمٌ أَنَّ النَّوَى

مُرٌّ وَأَنَّ أَبَا الْحُسَيْنِ كَرِيمٌ

مَا زِلْتُ عَنْ سَنَنِ الْوُدَادِ وَلَا غَدْتُ

نَفْسِي عَلَى رَأْفِ سِوَاكَ تَحْوُمُ

ثُمَّ قَالَ بَعْدَ ذَلِكَ :

يُحَمَّدُ بْنُ أَهْلَيْكُمْ بَنَ شَبَابَةٍ مَجْدٌ إِلَى جَنْبِ السَّمَاءِ مُقِيمٌ
وَيَسْمَى هَذَا النَّوعُ الْإِلَامُ. وَكَانَتْ الْعَرَبُ لَا تَذْهَبُ هَذِهِ
الْمَذَاهِبَ فِي الْخُرُوجِ إِلَى الْمَذْحِ بَلْ يَقُولُونَ بَعْدَ قِرَائِهِمْ مِنْ نَفْتِ
الْإِلَامِ وَذِكْرِ الْفَقَارِ وَمَا هُمْ بِسَبِيلِهِ دَعَا وَعَدَ عَنْ ذَا وَيَأْخُذُونَ
فِيمَا يُرِيدُونَ أَوْ يَأْتُونَ بِإِنَّ الْمَشْدَدَةَ أَتْدَاءَ لِلِكَلَامِ الَّذِي يَقْصِدُونَهُ
وَإِذَا لَمْ يَكُنْ خُرُوجُ الشَّاعِرِ إِلَى الْمَذْحِ مُتَّصِلًا بِمَا قَبْلَهُ وَلَا مُنْفَصِلًا
بِقَوْلِهِ : دَعَا وَعَدَ عَنْ ذَا وَخَوَّ ذَاكَ سُتِي طَفَرًا وَأَنْقِطَاعًا. وَكَانَ
الْجُبَّارِيُّ كَثِيرًا مَا يَأْتِي بِهِ كَقَوْلِهِ :

لَوْلَا الرِّجَاءُ لَمْتُ مِنَ أَلَمِ الْهَوَى لَكِنَّ قَلْبِي بِالرِّجَاءِ مُوَكَّلٌ
إِنَّ الرِّعْيَةَ لَمْ تَزَلْ فِي سِيرَةٍ مَحْمُودَةٍ مَذْ سَاسَهَا التَّوَكُّلُ

وَرَبَّمَا قَالُوا بَعْدَ صِفَةِ اللَّاقَةِ وَالْمَفَازَةِ إِلَى فُلَانٍ قَصَدْتُ وَحَتَّى
تَرَلْتُ بِفَنَاءِ فُلَانٍ وَمَا شَاكَلَ ذَلِكَ . وَأَمَّا الْإِنْتِهَاءُ فَهُوَ قَاعِدَةٌ
الْقَصِيدَةِ وَآخِرُ مَا يَبْقَى مِنْهَا فِي الْأَسْمَاعِ وَسَبِيلُهُ أَنْ يَكُونَ مُحْكَمًا
لَا يُمَكِّنُ الزِّيَادَةَ عَلَيْهِ وَلَا يَأْتِي بَعْدَهُ أَحْسَنُ مِنْهُ . وَإِذَا كَانَ أَوَّلُ
الشَّعْرِ مُفْتَاَحًا لَهُ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ آخِرُهُ قُفْلًا عَلَيْهِ . وَقَدْ أَرَى أَبُو
الطَّيِّبِ عَلَى كُلِّ شَاعِرٍ فِي جُودَةٍ هَذِهِ الْأَبْوَابِ الثَّلَاثَةِ إِلَّا أَنَّهُ
رُبَّمَا عَقَدَ أَوَائِلَ الْأَشْعَارِ ثِقَةً بِنَفْسِهِ وَإِغْرَابًا عَلَى النَّاسِ كَقَوْلِهِ أَوَّلُ
قَصِيدَةٍ :

وَقَالُوا كَمَا كَالِ الرَّبْعِ اشْتَجَاهُ طَائِسُهُ بَانَ تُسْعِدَا وَالْدَمْعُ اشْفَاهُ سَاجِيهِ
فَإِنَّ هَذَا يَحْتَاجُ الْأَضْمَعِيَّ إِلَى أَنْ يُفَسِّرَ مَعْنَاهُ . وَيَقَعُ لَهُ فِي
الْخُرُوجِ مَا كَانَ تَرْكُهُ أَوَّلِي بِهِ وَأَشْعَرُ لَهُ وَإِنَّمَا أَدْخَلَهُ فِيهِ حُبُّ
الْإِغْرَابِ فِي بَابِ التَّوْلِيدِ حَتَّى جَاءَ بِالْعَثِّ الْبَارِدِ وَالتَّشْنِيعِ الْمُتْكَفِّفِ
نَحَرَ قَوْلِهِ :

أُحِبُّكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ ثَمْلٍ ثِيْرًا وَأَبْنُ إِبْرَاهِيمَ رَيْعَا
فَهَذَا مِنَ الْبَشَاعَةِ وَمِنَ الشَّنَاعَةِ لِحَيْثُ لَا يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ . وَمَا
أُظْهِرَ سَرَقَ هَذَا الْمَعْنَى الشَّرِيفَ إِلَّا مِنْ كِذْبَةٍ كَانَ أوردَهَا أَبُو
الْعَبَّاسِ الصَّمِيرِيُّ عَلَى لِسَانِ رَجُلٍ قَزَعَمَ أَنَّهُ قَالَ : رَأَيْتُ رَجُلًا
نَامَ فَجَرَهُ التَّمَلُّ ثَلَاثَةَ فَوَاسِخَ . وَقَدْ جَعَلَ أَبُو الطَّيِّبِ مَكَانَ الرَّجُلِ
جَبَلًا وَإِنْ عَلِمْنَا الْإِغْرَابَ فِي مُرَادِهِ وَلَفْظِهِ . وَقَالَ أَيْضًا :
أَعَزُّ مَكَانٍ فِي الدُّنْيَا سَرَجُ سَاجِمٍ وَخَيْرُ جَلِيسٍ فِي الزَّمَانِ كِتَابُ

وَنَجَرُ أَبُو الْمَسْكِ الْخِضْمُ الَّذِي لَهُ عَلَى كُلِّ نَجَرٍ زَخْرَةٌ وَعُجَابُ
يُرِيدُ وَخَيْرُ نَجَرٍ أَبُو الْمَسْكِ وَهَذِهِ غَايَةُ التَّصْنَعِ وَالتَّكْلِيفِ. وَمِنْ
الْعَرَبِ مَنْ يَخْتِمُ الْقَصِيدَةَ فَيَقْطَعُهَا وَالنَّفْسُ بِهَا مُتَعَلِّقَةٌ وَفِيهَا رَاغِبَةٌ
وَلَهَا مُشْتَمِيَةٌ وَيَبْقَى الْكَلَامُ مَشْهُورًا كَأَنَّهُ لَمْ يَتَعَمَّدْ جَعْلُهُ خَاتَمَةً
كُلُّ ذَلِكَ رَغْبَةٌ فِي اخْتِذِ الْعَفْوِ أَلَا تَرَى مُعَلَّقَةً أَمْرِي الْقَيْسِ كَيْفَ
خَتَمَهَا بِقَوْلِهِ يَصِفُ السَّيْلَ عَنْ شِدَّةِ الْمَطَرِ :

كَانَ السَّبَاعُ فِيهِ غَرَقٌ غُدِيَّةٌ بِأَرْجَانِهِ الْقُضْوَى عَنَابِيشُ عُضُلٍ
فَلَمْ يَفْعَلْ لَهَا قَاعِدَةً كَمَا فَعَلَ غَيْرُهُ مِنْ أَصْحَابِ الْمُعَلَّقَاتِ
وَهِيَ أَفْضَلُهُنَّ. وَقَدْ كَرِهَ الْخُذَّاقُ مِنَ الشُّعْرَاءِ خَتَمَ الْقَصِيدَةَ بِالذِّعَاءِ
لَأَنَّهُ مِنْ عَمَلِ الضَّعِيفِ إِلَّا لِلْمُلُوكِ فَإِنَّهُمْ يَشْتَهُونَ ذَلِكَ كَمَا قَدَّمْتُ
مَا لَمْ يَكُنْ مِنْ جِنْسِ قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ يَذْكُرُ الْحَيْلَ لِسَيْفِ الدَّوْلَةِ
فِي آخِرِ قَصِيدَةٍ لَهُ :

فَلَا هَجَمْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى ظَفَرٍ وَلَا وَصَلْتَ بِهَا إِلَّا عَلَى أَمَلٍ
فَإِنَّ هَذَا يُشَبِّهُ مَا ذَكَرَ عَنْ بَغِيضٍ كَانَ يُصَاحِبُ الْأَمِيرَ
فَيَقُولُ « لَا صَبَّحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ بِعَافِيَةٍ » وَيَسْكُتُ سَكْتَةً ثُمَّ يَقُولُ
« إِلَّا وَمَسَّاهُ بِأَكْثَرِ مِنْهَا » وَيُنَاسِيهِ فَيَقُولُ « لَا مَسَّى اللَّهُ الْأَمِيرَ
بِنِعْمَةٍ » ثُمَّ يَقُولُ « إِلَّا وَصَبَّحَهُ بِأَكْثَرِ مِنْهَا » وَتَحْوُ هَذَا فَلَا يَدْعُو
لَهُ حَتَّى يَدْعُو عَلَيْهِ وَمِثْلُ هَذَا قَبِيحٌ لَأَسْمَاءٍ مِنْ مِثْلِ أَبِي الطَّيِّبِ



فهرس

المقالات

وجه

١٢ الجديرة بالخطيب

البحث الثاني في وسائل الاتناع التي

٢٥ يتخذها الخطيب البليغ

الفصل الثالث في الاقاويل

٢٨ المقنعة

البحث الاول في ان الخطيب لا بد له

للاقتناع من معرفة القياس وعلم

٢٨ المنطق

البحث الثاني في الطريق اي الدليل

٣٠ وتفسيره

البحث الثالث في المواضيع

البحث الرابع في التعريف والحد

٣٣ والرسم

البحث الخامس في الكلبي

٣٧ والجزئي

البحث السادس في الجنس والنوع

البحث السابع في تعريف العلة

٤١ والمعلول

وجه

القسم الاول في علم الخطابة ١

الفصل الاول في تعريف الخطابة

١ واقسامها ومنافعها

البحث الاول في تمديد الخطابة وما

١ تشتمل عليه بوجه الاجمال

البحث الثاني في تعريف الخطابة

٣ وموضوعها

البحث الثالث في المناسبة الموجودة

٤ بين الجدل والخطابة

البحث الرابع في ان الخطابة تحرر

٥ للتصديق اكثر منها للتأثير

البحث الخامس في فوائد علم

٧ الخطابة

البحث السادس في ان الخطابة صناعة

١١ اصلها في طبع الانسان

الفصل الثاني في بلاغة الخطيب ١٢

البحث الاول في تعريف البلاغة

وجه

البحث الاول في مبادئ الخطابة

٨٩

والافتتاحات

البحث الثاني في القضية والقياس

٩٠

البحث الثالث في القياس واقسامه

٩٢

وانواعه

البحث الرابع في ملحقات القياس

البحث الخامس في القياسات المستعملة

في الخطابة واخصها القياس الاضاري

٩٧

والتحليل

البحث السادس في مقدمات القياسات

١٠٢

الخطبية

الفصل السابع في التنفيذ

البحث الاول في المناظرة

١٠٨

والجدال

البحث الثاني في آداب

١١١

المناظرة

البحث الثالث في الجوابات على

١١٤

الخصم

البحث الرابع في المغالطة

١١٥

البحث الخامس في مقاطيع

١١٩

الكلام

الفصل الثامن في التعبير

١٢٤

وجه

الفصل الرابع في آداب الخطابة

البحث الاول في آداب كلام

٤٢

الخطيب

البحث الثاني في خصال الخطيب

البحث الثالث في طابع الناس على

٤٩

اختلاف اطوار الحياة

البحث الرابع في سياسة الخطيب مع

٥٢

الجمهور ومواجهة طباعهم

الفصل الخامس في الاخلاق

٥٩

والاهواء

البحث الاول في تعريف

٥٩

الاخلاق

البحث الثاني في الاخلاق الحسنة

٦٢

البحث الثالث في الاخلاق

٦٩

الرديئة

البحث الرابع في بعض الاخلاق التي

تكون في بعض الناس فضيلة وفي

٧٤

بعضهم رذيلة

البحث الخامس في الارتياض بمكارم

٧٩

الاخلاق

الفصل السادس في تنسيق الخطابة

٨٩

وبيان القضية والقياس

وجه

١٦٢

والسعادة

البحث الثامن في انه ينبغي للخطيب

المشير ان يعرف الاستياء النافعة

وفي مقابلة الخير مع النافع ومقابلة

١٧٢

الخبور مع بعضها

البحث التاسع في ايشار الخبور وفي

شروط تفضيل بعضها على بعض

١٨١

والاسباب الموجبة لذلك

البحث العاشر في ان الخطيب المشوري

ينبغي ان يعرف اصناف السياسات

وفي بيان اجناس هذه السياسات

١٩٤

الاربعة

البحث الحادي عشر في ما ينبغي

للخطيب ان يعرفه في النوع التثبيتي

وفي الفصيطة والنقيصة والمدح والذم

وتصرف الخطيب فيهما وفي انواع

١٩٨

الامور الفاضلة والناقصة

الفصل العاشر في انواع الخطب ومن

٢١١

برع فيها

البحث الاول في خطب التهانى

٢١١

البحث الثاني في خطب التقليد

٢١٢

البحث الثالث في الارتمجال والبديحة

٢١٤

واشارات الخطيب

وجه

البحث الاول في خواص تعبير

١٢٤

الخطيب

البحث الثاني في بلاغة كلام العرب

١٢٦

وكلام العجم

الفصل التاسع في اجناس الخطابة

١٣٧

الثلاثة

البحث الاول في تقسيم الخطب الى

١٣٧

ثلاثة اجناس

البحث الثاني في غايات الاجناس

الخطبية الثلاثة وانواع مقدماتها

١٣٩

البحث الثالث في مقدمات الحس

١٤٢

المشوري

البحث الرابع في خمسة امور يدور

عليها البحث في النوع المشوري وفي

١٤٥

القياسات المختلفة بها

البحث الخامس في السبب الذي من

اجله يشير الخطيب وهو سعادة

السامع وفي ماهية السعادة وانواع

الخبور التي من مجموعها تتولد

١٥٠

السعادة

البحث السادس في الفرق بين الخير

١٦١

والسعادة

البحث السابع في اقسام الخير

وجه

البحث الثامن في اسقطات الاقاول

التعريف ٢٨٤

البحث التاسع في صناعة الاشعار

القصيدة ٢٩٤

البحث العاشر في كيفية التخلص الى

ما يراد محاكاة ٢٩٥

البحث الحادي عشر في انواع

المحاكاة غير المقبولة ٢٩٦

الفصل الثاني في معرفة الشعراء ٣٠٠

البحث الاول في القدماء من

الشعراء ٣٠٠

البحث الثاني في المقلين من

الشعراء ٣١٢

البحث الثالث في المعلمين من

الشعراء ٣١٤

الفصل الثالث في فنون الشعر ٣٢١

البحث الاول في المصنوع

والمصنوع ٣٢١

البحث الثاني في اقسام الشعر ٣٢٧

البحث الثالث في صناعة المديح ٣٢٩

البحث الرابع في الافتخار ٣٤٣

البحث الخامس في الرثاء ٣٤٧

وجه

البحث الرابع في خطب الوعاظ ٢١٦

البحث الخامس في غابة الوعط ٢٢١

البحث السادس في فوائد الوعط

وحمل كثيرين من الخطباء في

هذا الفن ٢٢٣

البحث السابع في الخطب عند

العرب ٢٣١

القسم الثاني في علم الشعر ٢٤٠

الفصل الاول في تعريف الشعر

وانواعه وفرائده ٢٤٠

البحث الاول في تحديد الشعر ٢٤٠

البحث الثاني في صناعة الشعر وانواع

الاشعار ٢٤٣

البحث الثالث في المديح والمجوى ٢٤٧

البحث الرابع في العال المولدة

للشعر ٢٤٩

البحث الخامس في وزن الشعر

ولحنه ٢٥٣

البحث السادس في صناعة المديح

واجرائها ٢٥٨

البحث السابع في اجزاء صناعة

المديح من جهة الكمية ٢٦٦

وجه

البحث الثالث عشر في البدئية

٣٨٠ والارتجال

البحث الرابع عشر في اداب

٣٨٥ الشعر

البحث الخامس عشر في عمل الشعر

٣٩٠ ونخذ القرينة

البحث السادس عشر في المقاطع

٤٠١ والمطالع

البحث السابع عشر في المبتدا او

٤٠٤ الخروج والنهاية

وجه

البحث السادس في الاقتضاء

٣٥٤ والاستنجاز

البحث السابع في العتاب

٣٥٦ البحث الثامن في الوعيد

٣٦٢ والانذار

البحث التاسع في الهجاء

٣٦٣ البحث العاشر في الاعتذار

٣٦٨ البحث الحادي عشر في سيرة

الشعر والخطوة في المدح

٣٧٢ البحث الثاني عشر في ما اشكل

٣٧٦ من المدح والهجاء



اصلاح غلط وقع في بعض النسخ

صواب	خطا	طر	صفحة
الجدل	الجدل	٥	٢
الجدل	الجدل	١٤	٠
كالحال	كالحال	١١	٤
كل	كل	١٤	٠
يُثَبَّتْ	يُثَبَّتْ	١٣	٥
اسْتَبْهَمَ الْكَلَامُ	اسْتَبْهَمَ الْكَلَامُ	٠٤	٢١
يُقْنَعُ	يُقْنَعُ	١٩	٢٦
من كتاب ادب الدنيا	من كتاب الدنيا	١١	٤٢
فان	فان	١١	٤٤
بن عَتَمَةَ بن	بن عَتَمَةَ بن	٠٤	٤٨
وهو	وهو	٨٧ و ٨٦	٠٠
جلها ودقها	جلها ودقها	١٧	٥٤
أما التي	التي	٠٨	٥٦
الأكثرات	الأكثرات	١٧	٥٧
يَعْلَمُ	يَعْلَمُ	٠٨	٥٨
والتشدد	والتشرر	١٤	٥٩
والتقصير	والتقصير	٠٢	٦٢
وقصد	وقصد	٠٨	٠٠
السَّخِيفِ	والسَّخِيفِ	٠٢	٦٣
والطَّيِّسِ	والطَّيِّسِ	٠٢	٧٠
يستودع	يستودع	٠٥	٧١
الحروب مجالسة	الحروب وفي مجالسة	٠٣	٨٣
كثيرة	كثيرة	٠٧	٨٦
الشَّعْبِ	الشَّعْبِ	٠٧	٩٠
مقدمته	مقدمته	١٢	١٠٢

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٠٦	٠٩	من فلان الملك	من فلان الملك
١١٩	٠٥	التكرار	والتكرار
١٢٢	٠٣	الفاظك	الفاظك
١٢٤	٠٧	السكوني	السكوني
١٢٦	٠٣	من رسالة	من رسالة لابي هلال العسكري
١٢٨	٠٧	لحقه	لحقه
١٤٤	١٦	وغير ذلك مما يستعمله	وغير..... يستعمله
١٤٦	٠٤	وبالقصاص	بالقصاص
١٥٢	١٠	والحسدانية	والحسدانية
١٥٧	٠٣	والملاكرة	والملاكرة
٠٠٠	١٩	ويجاورهم	ويجاورهم
١٦٠	٠٨	طلبه	طلبه
١٦٦	٢٠	انما	انما
١٨٠	٠٤	يسر	يسر
١٨١	٠٢	اشار	اشار
١٨٢	١١	فالدكران	فالدكران
١٨٤	١٢	واحد	واحد
٢١١	١٤	والتبرؤ	والتبرؤ
٢١٢	١١	الاحسن منها	الاحسن فيها
٠٠٠	٠٠	وتعتبر	وتعتبر
٠٠٠	١٣	لقب	لقب
٠٠٠	١٤	المطلع	المطلع
٢١٤	١١	واشتقاقا الارتمال والبدجة	الارتمال والبدجة
٠٠٠	١٧	بتقفيه	بتقفيه
٢١٥	٢٠	ابا داود	ابا داود
٢١٦	٠٠	الخطابة	الخطابة
٠٠٠	٠٦	يومون	يرمون

صفحة	سطر	خطاء	صواب
٠٠٠	١٨	أَلَفَتْ	أَلَفَتْ
٢١٧	٠٩	لَتَسْمِمْ	لَتَسْمِمْ
٢١٨	١٥	تَلَكَّا	تَلَكَّا
٢٢١	٠٧	ضُرِبَ	ضُرِبَ
٢٢٢	١٥	دَوْدَ	دَوْدَ
٢٢٤	٠١	والقوذ	والقوذ
٢٣١	١٨	ومعانيه	ومعانيه
٢٣٣	٠٤	والذي	الذي
٢٣٦	١٥	وممن	وممن
٠٠٠	١٦	باهلة	باهلة
٢٣٨	٠٦	وذكر	وذكر بعضهم
٠٠٠	٠٠	تَحَامَة	تَحَامَة
٢٤٧	٠١	البحث الثاني	البحث الثالث
٢٤٩	١١	البحث الثالث	البحث الرابع
٢٥٣	٠١	البحث الرابع	البحث الخامس
٢٥٨	٠١	البحث الخامس	البحث السادس
٢٦٦	٠١	البحث السادس	البحث السابع
٢٨٣	١٤	ظاهرة	ظاهرة
٢٨٤	١٤	البحث السابع	البحث الثامن
٢٨٦	١٠	وطاهر	وطاهر
٠٠٠	١٠	المرحمة	المرحمة
٢٩٤	٠١	البحث الثامن	البحث التاسع
٢٩٥	١٣	البحث التاسع	البحث العاشر
٢٩٦	١٣	البحث العاشر	البحث الحادي عشر
٣٠٣	١٨	الضليل	الضليل
٤٢٥	١٥	في المديح والهجو	في زاية صناعة الشعر

واما ما وقع فيه من سقوط نقطة او حركة ففي ظهور امره غنى عن التنبيه اليه

